

ESTABLISHED 1876.

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

المجلد الخامس والاربعون

يوليو الى ديسمبر سنة ١٩١٤

قيمة الاشتراك في السنة جنيه افرنجي (٢٥ فرنكاً) يدفع سلفاً

AL-MUKTATAF

AN ARABIC ILLUSTRATED REVIEW

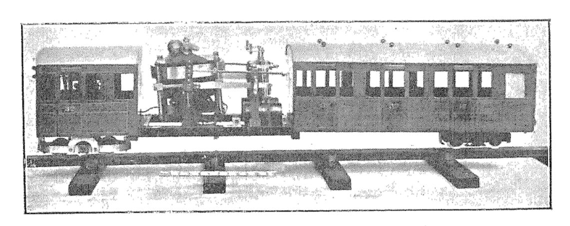
Vol. XLV

July — December, 1914.

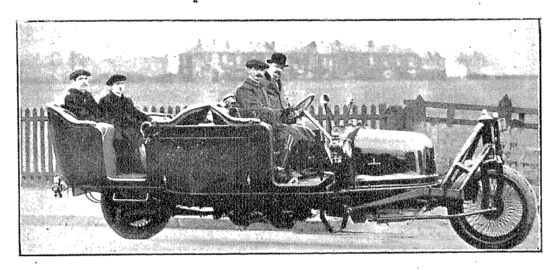
PUBLISHED MONTHLY

AL-MUKTATAF PRINTING OFFICE
CAIRO EGYPT

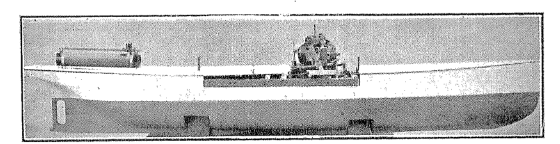
فهرس المجلد الخامس والاربعين



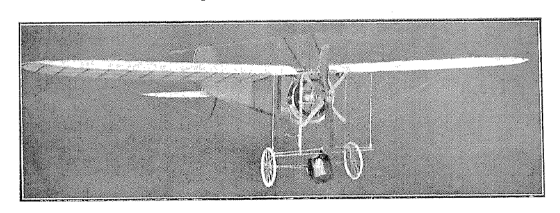
الشكل الاول　　مركبة شيلوسكي



الشكل الثاني　　اوتوموبيل شيلوسكي



الشكل الثالث　　قارب شيلوسكي



الشكل الرابع　　طيارة شيلوسكي

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الرابع والاربعين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩١٤ — الموافق ٨ شعبان سنة ١٣٣٢

الجيروسكوب او الدوَّامة

ذكرنا في مقتطف سبتمبر سنة ١٩٠٧ ان المستر لويس برنان الارلندي مولداً والاسترالي منشئاً استنبط طريقة تسير بها قطرات سكك الحديد على خط واحد فقط سواء كان الخط قضيباً من الحديد ممدوداً على الارض او حبلاً متيناً من السلك معلقاً في الهواء وسواء كانت الارض سهلاً منبسطاً او جبالاً واودية وسواء كان الخط مستقيماً او منحنياً . وقد جرَّب ذلك في مركبة صغيرة امام اعضاء الجمعية العلمية ببلاد الانكليز فثبتت لهم صحتهُ وساعدتهُ الحكومة الانكليزية بالمال فمنحتهُ ستة آلاف جنيه لكي يجرب بآلة كبيرة فاذا نجح فيها كما نجح في الصغيرة كان لنجاحهِ اكبر تأثير في سكك الحديد في المسكونة ولاسيما في البلدان الجبليَّة

وذكرنا في باب الاخبار العلمية في مقتطف دسمبر سنة ١٩٠٩ ان المستر برنان هذا تمكَّن من عمل مركبة كبيرة ثقلها ٢٢ طنًّا تحمل ما ثقلهُ ١٥ طنًّا ووضع فيها دوَّامتين تدور كلٌّ منهما ٣٠٠٠ دورة في الدقيقة وجربها في العاشر من نوفمبر اذ ركب فيها اربعون نفساً فسارت بهم سبعة اميال في الساعة

ثم وصفنا هذه المركبة وآلاتها بالاسهاب في مقتطف يونيو سنة ١٩١٠ وقلنا انها جُربت مرةً اخرى في ٢٥ فبراير سنة ١٩١٠ امام مندوبي البحرية والحربية في بلاد الانكليز فسارت اول دفعة وعليها اربعة رجال وعدد من الطرود وكانت سرعتها ٢٠ ميلاً في الساعة

لكن آمال المستر برنان لم تتحقق لانهُ وضع الدوامة التي تثبت بها المركبة فوق مركز ثقلها فاضطر ان يجعلها كبيرة ثقيلة جدًّا تقتضي ادارتها قوة عظيمة واضطرَّ ان يضعها في مكان مفرغ من الهواء لتقليل الفرك وهذا ليس مما يسهل الحصول عليهِ فكانت النتيجة ان

أُهملت آلتهُ لصعوبة استعمالها وكثرة نفقاتها ولكن المبدأ العلمي الذي بنيت عليهِ صحيح وهو ان الدوامة او الدوارة اذا دارت بسرعة انتصبت حتى يكون سطحها الدائر افقيًّا على نقطة ارتكازهِ واذا كانت ملتصقة بسطح شيءٍ آخر ابقت ذلك الشيء افقيًّا واذا أُميل اعادتهُ الى الافقية . وكثير من المخترعات ظهرت اصولهُ فرأَى الناس صحتها نظريًّا ولكن مرَّ عليها سنون كثيرة قبل ان تمت وخلت من كل الشوائب وصار العمل بها ممكنًا . ويقال الآن ان هذا الاختراع قد أُصلح اصلاحًا جوهريًّا على يد عالم روسي مقيم في البلاد الانكليزية اسمهُ بطرس شيلوسكي Schilowsky فانهُ صنع مركبة تسير على خط واحد ووضع فيها دوامةً تجنَّب فيها بعض ما في دوامة برنان من الخلل واضاف اليها اشياء اخرى تجعل حركتها سهلة وتحكيمها للمركبة اسهل ولا تستدعي ان توضع في مكان مفرغ من الهواء . واهدى المركبة والدوامة الى المتحف العلمي الانكليزي بسوث كنسنجتون فوضعت حيث يراها كل احد ويرى اجزاء آلاتها لان صانعها يعتقد ان اخفاء اسرار المكتشفات العلمية يقلل تقدُّمها واتقانها ولان هذه الآلة لم تبلغ حد الكمال فيحسن ان يراها الصنَّاع والمستنبطون ليصلحوا عيوبها ويضيفوا اليها ما تصل بهِ الى الغرض المطلوب

وهذه المركبة ودوامتها تحركان بالكهربائية ولكن يمكن تحريكهما باية قوة كانت . والدوامة تدور ثلاثة آلاف دورة في الدقيقة ولكن المخترع يقول انهُ لا داعي لان تدور في المركبات اكثر من خمس مئة دورة الى ثمانمئة في الدقيقة لان قطرها يقارب عرض المركبة فلا داعي لزيادة سرعتها . ويجب ان توضع في اسفل المركبة تحت مركز ثقلها ولكنهُ وضعها في هذا المثال على موازاة المركبة بين جزئيها كما ترى في صورتها المرسومة في الشكل الاول

وصنع ايضًا اوتوموبيلاً يسع ستة اشخاص يسير على عجلتين فقط واحدة اماميَّة وواحدة خلفية كالدرَّاجة (البيسكل) ووضع فيهِ دوَّارة يحرك دولابها بآلة البنزين التي تحرك الاوتوموبيل كما ترى في الشكل الثاني فيسير هذا الاتوموبيل على عجلتين فقط واذا حدث ما امالهُ الى اليمين او الى اليسار قاوم الميل واعتدل من نفسهِ كأَن آلة الدوَّامة شخص عاقل يشعر بالميل فيقاومهُ

وصنع قاربًا وضع فيهِ دوَّامة لكي تمنع نودانهُ اذا كان في البحر وتبقيهُ افقيا مستويًا وهو المرسوم في الشكل الثالث . وعندهُ ان الدوامة الكافية لمنع نودان السفينة لا يلزم ان يكون ثقلها اكثر من نصف في المئة من ثقل السفينة فاذا كان ثقل السفينة

الف طن فالدوامة التي ثقلها خمسة اطنان تكفي لحفظها افقيةً اي يكفي ان تكون قرصاً من الحديد كالرحى قطرهُ متر وربع متر وعلوهُ نحو نصف متر فقط

اما القارب الذي صنعهُ فقد امتحنهُ المستر هرس ستون مكاتب مجلة المعرفة فوجد انهُ اذا اميل على احد جانبيهِ خطر اربع عشرة مرة قبلما يهدأ ويسكن اذا لم تكن دوامتهُ دائرة ولكن اذا كانت دائرة واملتهُ الى احد جانبية اعتدل حالاً ولم يتقلقل كأَنَّ فيهِ قوة عاقلة تسكنهُ وتمنع نودانهُ . وهو يفعل ذلك ولو كانت سرعة الدوامة نحو ٥٠٠ دورة فقط في الدقيقة

وصنع طيارة (اروبلاناً) علق بها ثقلاً يقوم مقام مديرها ووضع فيها دوامة لا يزيد ثقلها على ثقل راكب فاذا ادارها بقي الاروبلان افقيًّا حتى اذا حاولتَ خفضهُ من الجهة الواحدة او الاخرى قاوم القوة التي تحاول امالتهُ بها وبقي افقيًّا واذا خُفض عاد الى وضعهِ الافقي من نفسهِ حالاً

ولا يخفى ان اكبر عائق في سبيل الطيران واقوى الاسباب لوقوع الطيارين هو انقلاب الطيارة بمجاري الهواء او غيرها وهي التي تشغل بال الطيار فاذا وضع في الطيارة آلة تمنع ميلها وتكفل بقاءها افقية زالت اكبر عقبة من سبيل الطيران

وقد اهدى المسيو شيلوسكي القارب والطيارة الى متحف سوث كنسنجتون وهما المرسومان في الشكلين الثالث والرابع

ولا يخفى ان لوضع الدوَّامة في السفن لمنع تقلقلها باضطراب البحر فائدةً كبيرة في اراحة الركاب ومنع الدوار ولهُ فائدة مالية ايضاً في تقليل القوة اللازمة لسير السفينة لان سكونها يقلل القوة اللازمة لسيرها . ولعلَّ هذا الاقتصاد في القوة يفي بالنفقات اللازمة لادارة الدوارة . واذا زال الخوف من اضطراب السفن والدوار البحري صار سفر البحر من الفكاهات التي تطلب لذاتها

ثم انهُ اذا ثبت ان الدوامة تمنع انقلاب الطيارات فيكون قد زال بها اكبر عقبة من عقبات الطيران ومنع الخطر الاكيد منهُ وهنا الفائدة الكبرى لهذا الاستنباط . فاذا كان ما رواهُ مكاتب مجلة المعرفة خاليًا من المبالغة فلا بدَّ من مبادرة الحكومة الانكليزية الى امتحان ذلك في طياراتها الحربية . ويقال ان الالمان اشد اهتماماً بامر الدوامة من الانكليز وعلماؤهم يبحثون الآن في اتقانها لاستعمالها في طياراتهم وسفنهم ومركباتهم . ولا بدَّ من الوصول الى الغاية المنشودة قريبًا

عجائب النور الخفي

اذا مرَّ نور الشمس الابيض بموشور زجاجي انحلَّ وظهرت فيهِ سبعة الوان احمر فبرتقالي فاصفر فاخضر فازرق فنيلي فبنفسجي وهي الوان قوس قزح . وما قوس قزح الاَّ نور الشمس وقد حلتهُ نقط المطر الى الوانهِ السبعة ولم ترَ العين منها الاَّ ما هو في شكل دائرة او منطقة سعتها محدودة كما شرحنا ذلك شرحاً رياضيًّا مسهباً في المجلد السابع من المقتطف . لكن الاضواء السبعة التي ترى في النور المحلول ليست هي كل نور الشمس او ليست كل الاشعة الآتية من الشمس بل منها اشعة لا لون لها ولا تراها العين بعضها اشعة حرارة واكثرها يقع تحت النور الاحمر وبعضها اشعة كهربائية واكثرها يقع فوق النور البنفسجي

وقد ظهر الآن ان للاشعة التي تقع فوق البنفسجي اذا انحل النور على ما تقدم افعالاً ذات شأن كبير فهي اولاً اسرع اشعة النور كلها سيراً تبلغ سرعة تموجها ٧٥٠ مليون مليون مليون موجة في الثانية من الزمان فلا تراها عيوننا لسرعتها الفائقة كما لا تسمع آذاننا الاصوات الناتجة عن اهتزاز يفوق في سرعتهِ حد الاصوات المسموعة . ولكن لا يبعد ان تراها عيون بعض الحشرات كالنمل ونحوهِ . وهذه الاشعة هي التي تحل المواد الكيماوية في الواح التصوير الشمسي وتسبب ظهور الصور فيها وتفعل بجلد الانسان فانها تلوّحهُ حتى لقد يلتهب ويتقشر كما يحدث لكل مَن يتعرّض لشمس الصيف في الجبال النقية الهواء اذا كان من سكان المدن . وفعلها بالعين شديد جدًّا اذا نظر الانسان اليها وحدها فقد يصاب بالرمد حالاً او يفقد بصرهُ . ولا يبعد ان تستعمل في حروب المستقبل كما استعمل البلغار مصابيح الاسيتيلين فبهروا بها عيون الجنود العثمانية . وتجريدها وحدها عن بقية اشعة النور صار الآن سهلاً فاذا جُرّدت ووجهت الى عيني انسان اعمت بصرهُ او الى جلدهِ حرقتهُ

هذا من حيث ضرر هذه الاشعة لكنها لم توجد لتكون ضرراً محضاً على ما يظهر بل منها منافع للناس فانها تفعل بالحامض الكربونيك وبخار الماء فتركب منهما سكّراً لان السكر مركب من الكربون والاكسجين والهيدروجين وهذه العناصر الثلاثة موجودة في الماء والحامض الكربونيك . وتركّب منهما ايضاً مواد اخرى كربوهيدراتية ويحتمل ان تستعمل يوماً ما لتوليد مواد الطعام من عناصر الهواء والماء

وتركيب السكر بواسطة هذه الاشعة لا يزال كبير النفقة لا يصنع الكيلو منهُ باقل من

الوف من الغروش مع ان ثمنهُ نحو غرشين ولكن عظم النفقة على عمل قبل اتقانهِ لا يستلزم ان تبقى عظيمة بعد اتقانهِ فان العالم الكيماوي سنت كلر دفيل انفق مئات من الفرنكات حتى استخرج اول كيلو من الالومينيوم النقي والآن يستخرج الكيلو من هذا المعدن باقل من فرنكين

وقد ثبت حديثاً ان هذه الاشعة تسبب الاختمار وتحل المواد المركبة فقد وضع الاستاذ برثلو الكيماوي مواد نقية مثل السكر والزبدة والدهن في آنية من البلور الطبيعي وسدها سداً محكماً وعرض بعضها لهذه الاشعة فاختمر ما فيها وانحلَّ من نفسهِ من غير ان تدخلهُ جراثيم ميكروبية وقال انهُ يحتمل ان يستعمل الاطباء هذه الاشعة لمساعدة هضم الطعام في المعدة والتخلص من سوء الهضم وذلك بادخال مصابيح صغيرة الى المعدة فتصدر منها الاشعة المشار اليها

والظاهر ان هذه الاشعة تماثل اشعة الراديوم وان هواء المدن والاماكن الكثيرة الغبار والدخان يمنع وصولها الى الارض لان الهباء الذي فيهِ يمتصها ولذلك تجد وجوه سكان المدن بيضاء مصفرة لان هذه الاشعة لا تصل اليهم لتفعل بهم واما سكان الجبال التي لا غبار في هوائها ولا دخان فيهِ فوجوههم محمرة من فعل هذه الاشعة بهم

وهي مميتة للميكروبات والحشرات الصغيرة ولذلك تتطهَّر المياه الجارية بوقوع اشعة الشمس عليها لأن هذه الاشعة تميت ما فيها من الميكروبات المرضية · ومن المحتمل ان الطين يمتصها فيصير فعلهُ مثل فعل الراديوم في قتل الميكروبات وشفاء الامراض الميكروبية وبهذا يعلل ما قالهُ الشيخ الرئيس ابن سينا منذ تسع مئة سنة فقد قال ان اصلح المياه للشرب مياه العيون الحرة الجارية المكشوفة للشمس والرياح · ثم قال « واعلم ان المياه التي تكون طينيَّة المسيل خير من التي تجري على الاحجار فان الطين ينقي الماء ويأخذ منهُ الممزوجات الغريبة ويروقهُ والحجارة لا تفعل ذلك · لكن يجب ان يكون طين مسيلها حرًّا (اي نقيًّا) لا حمأة فيهِ ولا غير ذلك · والماء الذي ينحدر من مواضع عالية مع سائر الفضائل افضل · وما كان بهذه الصفة كان عذباً لا يغلب عليهِ طعم البتة ولا رائحة ···· وقوم يفرطون في مدح ماء النيل افراطاً شديداً ويجمعون محامدهُ في اربعة بُعْدِ منبعهِ وطيب مسلكهِ واخذهِ الى الشمال من الجنوب لانهُ ملطف لما يجري فيهِ من المياه وغمورتهِ »

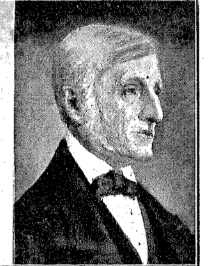
ولو عرف ابن سينا ما نعرفهُ الآن عن فعل اشعة الراديوم واشعة النور الخفي لقال ان الطين الذي في مسائل الماء يمتص جانباً من هذه الاشعة والمياه الجارية تمتص جانباً آخر وهذه الاشعة تميت الميكروبات المرضية وتنقي الماء وتساعد على هضم الطعام · وبهذا يعلل ما يقال من ان مياه الجبال الجارية تسرع الهضم

كان الناس في هذا القطر يفضلون شرب ماء النيل من غير ترشيح و يعتقدون انهُ انفع للصحة من الماء المرشح ولعلهم مصيبون اذا ثبت ان في العكر الذي فيهِ شيئاً من اشعة الراديوم او من اشعة النور الخفي الذي وراء البنفسجي ولكن اذا كان فيهِ ايضاً جراثيم البلهارتزيا والانكلوستوما وغيرهما من الادواء فالفائدة الحاصلة من اشعة النور لا توازي الضرر الحاصل من هذه الجراثيم . والانسان في جهاد دائم بين عوامل النفع وعوامل الضرر والحكيم من عرف كيف يتقي هذه و ينتفع بتلك او كيف يتحكم بالعوامل الطبيعية حتى يزيد نفعها على ضررها

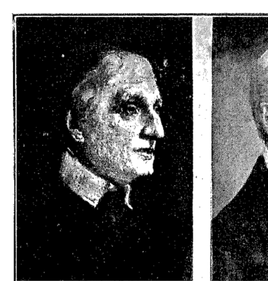
تشابه الناس

زارنا بالامس رجل في نحو الثلاثين من عمرهِ معتدل القامة ابيض الوجه اشقر اللحية لم نشك حالما وقع نظرنا عليهِ انهُ طبيب من الاطباء الذين نعرفهم فحييناهُ كطبيب وسألناهُ عن نجاح عملية طبية كان قد دعانا الى مشاهدتها وهو يعملها . فاستغرب ذلك واستغربنا استغرابهُ ولكنهُ لم يلبث ان قال انكم حسبتموني الطبيب فلاناً ولا غرابة في ذلك لان كثيرين يظنونني اياهُ لعظم الشبه بيننا . ولو لم يخبرنا انهُ غير الطبيب الذي حسبناهُ اياهُ لما علمنا انهُ غيرهُ لشدة الشبه بينهما . وقد رأينا في هذه العاصمة شابين توأمين يتعذر على المرء ان يرى فرقاً بينهما في الهيئة والقامة والصوت ولون الشعر و يقال انهما كانا يفتكران على اسلوب واحد ايضاً كأنهما شخص واحد . ورأينا في مدينة صيداء منذ نحو اربعين سنة اخوين كان يتعذر علينا وعلى غيرنا رؤية فرق بينهما واقمنا سنتين ونحن نرى الواحد فنظنهُ اخاهُ . ولا يخفى ان عدد سكان الارض الف وخمس مئة مليون نسمة فاذا كانت الصور التي تتركب بها مميزات وجوه الناس لا تزيد على بضعة الوف وجب ان نرى بينها صوراً كثيرة متشابهة كأنها مفرغة في قالب واحد او الفرق بينها قليل جداً لا يدركهُ الانسان الاَّ بعد تدقيق النظر . وهذا هو الواقع لكن الناس لا ينتبهون كثيراً الاَّ الى الذين يشبهون المشهورين فاذا اشبه رجل احد الملوك او احد القواد انتبه لهُ كل احد وكذا اذا اشبهت امرأة احدى الملكات او احدى الاميرات

واذا تشابه مئات من الناس في عصر واحد ففي عصور كثيرة يجب ان يكون عدد المتشابهين اكثر من ذلك كثيراً حسب قوانين المرجحات ومن ثم اعتقد البعض بالتقمص او بولادة الانسان الواحد مراراً في ازمنة مختلفة . ومما قوَّى هذا الاعتقاد ان بعض الذين تشابهوا



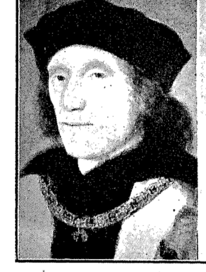
امرصن



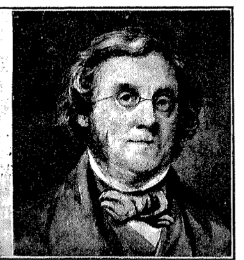
الكردينال نيومن



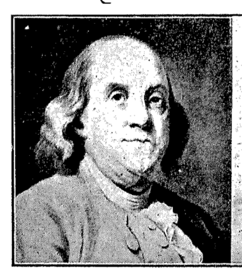
المستر اسكوت



الملك هنري السابع



تكري



فرنكلين

في هيئتهم تشابهوا ايضاً في اخلاقهم . ولكن ان كان تشابهُ الاخلاق في مئات من الناس يقوّي عقيدة التقمص فتخالُفها في مئات الملايين يجب ان يضعفها او ينفيها هذا اذا لم تقم على نفيها ادلة اخرى والواقع ان ليس لها سند علمي وكل الاسانيد على نفيها

ويقال ان التشابه بين وجوه العظماء كثير جدًّا حتى يتعذر على حفظة معارض الصور ان يبتُّوا الحكم في صورة هل هي صورة زيد او صورة عمرو لشدة الشبه بينهما فتدعو الحال الى الاعتماد على شكل اللباس وهيئة الشعر . فاذا رأوا صورة تشبه رجلاً من رجال القرن السابع عشر ورجلاً من رجال القرن الثامن عشر ولكن لبسها مثل لبس الناس في القرن الثامن عشر حكموا انها صورة الثاني لا صورة الاول

قيل ان احد ناشري الكتب في مدينة ادنبرج طبع منذ عهد قريب خطب غلادستون وافتتح الكتاب بصورة كانت في المطبعة حاسباً انها صورة غلادستون وهي في الحقيقة صورة وبستر الاميركي صاحب القاموس المشهور ولا غرابة في ذلك فان الشبه بين الاثنين شديد مع ان غلادستون كان من الرجال الذين يندر اندادهم والذين يقال ان وجههم يشبه وجه الاسد وقلما قام من الانكليز في عهدهِ من لم يرَهُ او لم يرَ صورتهُ مراراً

وقد نشرت مجلة الستراند الانكليزية منذ نحو خمس سنوات صور بعض المشاهير المتشابهين والصورة الثانية من صور في كل رجلين متشابهين هي نفس الصورة الاولى وانما غُيّر فيها اللبس وشكل الشعر . مثال ذلك صورة الكردينال نيومن الانكليزي وصورة الكاتب امرصن الاميركي فان صورة وجه امرصن هي نفس صورة وجه الكردينال نيومن ولكن شكل الشعر والثياب غُيّر في صورة امرصن حتى يماثل شعرهُ وثيابهُ . ومن هذا القبيل صورة الملك هنري السابع وصورة المستر اسكوِث وزير انكلترا الحالي فان المشابهة بين وجهيهما شديدة جدًّا والفرق بينهما في الزمن اربعة قرون . وصورة بنيامين فرنكلين الكهربائي الاميركي وصورة وليم ثكري الكاتب الانكليزي المشهور وقد نقلنا عنها هذه الصور لان اصحابها من المشاهير

ومن الصور التي نشرتها ايضاً لتشابه وجوه اصحابها صورة السرهنري سدني من رجال القرن السادس عشر ودوق نورفولك الحالي . وصورة اجنلوبوني والسر ادورد غراي وزير خارجية انكلترا الحالي . وصورة لست الموسيقي المجري والمستر هنري تشبلن من اعضاء مجلس النواب الانكليزي . وصورة جورج كولمن الروائي الانكليزي والسر الفرد لوريه وزير كندا وصورة السر اري كوت الجنرال الانكليزي والسر ادورد كارصون القائم بحركة

الصنر في ارلندا ضد الوزارة الانكليزية ·وصورة ارل اكسفرد ولورد كرزن حكمدار الهند السابق · وصورة المارشال مركيز كورنولس والسر وليم هركورت

ولكن مهما كان الشبه شديداً بين الناس تبقى في ابدانهم واطوارهم فوارق كثيرة تظهر لمن يعرفهم معرفة تامة ولو خفيت على من لا يعرفهم جيداً او من ينظر اليهم اول مرة وسواء كانت المشابهة كثيرة او قليلة فلا يحتمل ان تدل على وحدة الشخصين لانهما قد يكونان معاصرين ولانهُ لو صحَّ ان يولد الشخص الواحد مراراً كما يدَّعي البعض لصحَّ ان يولد غيرهُ كذلك ولكان التماثل بين الناس اكثر جداً مما هو الآن · ولكن لا خلاف في ان الاجسام الحيَّة موءلفة من دقائق اصلية متشابهة او متماثلة ولو في النوع الواحد وتجري في نموها وتكاثرها على سنن واحد حسب القوى الطبيعية الفاعلة بها ولذلك تتبع في نموها خططاً محدودة كل نوع حسب نوعهِ · فلكل انسان يدان ورجلان وعينان واذنان وشكل مخصوص يشبه شكل كل انسان آخر ويفرق عن شكل كل حيوان حتى لا يتعذر على احد ان يفرق بين شكل الانسان وشكل غيرهِ من انواع الحيوان ولو اقربها اليهِ شبهاً · وما يقال عن شكل جسمهِ الظاهر يقال عن شكل هيكلهِ العظمي واعضائهِ الباطنة حتى ان كل عظمة من عظام الانسان تماثل العظمة المقابلة لها من اي انسان آخر وتخالف العظمة القابلة لها في الحيوان الاعجم · وكان الواجب ان يكون التشابه بين وجوه الناس اكثر مما هو الآن لولا الفواعل الطبيعية الكثيرة التي تفعل بكلٍ منهم على اساليب مختلفة من حين تصوُّر الجنين في بطن امهِ الى ان يكبر ويشيخ ويلقى حتفهُ بل تفعل بهِ وهو نطفة في صلب والديهِ واجدادهِ · فاذا اتفق لوجهي جنينين ان فعلت بهما فواعل متشابهة ولدا ونميا متشابهين وذلك واقع فعلاً على ندرتهِ ومثلهُ مثل التشابه في اثمار الشجرة الواحدة واوراق الغصن الواحد · ولكن الاثمار والاوراق قليلة التنوُّع قصيرة الاقامة لا يدوم فعل الفواعل الطبيعية المختلفة بها زماناً طويلاً فيبقى التشابه فيها اكثر واتم حتى لا ترى فرقاً يشعر بهِ بين الكثير من اوراق الشجرة الواحدة ولا بين اثمارها وبزورها بل لا تجد فرقاً يشعر بهِ بين اوراق اشجار كثيرة من نوع واحد ولا بين ازهارها واثمارها وبزورها لان كل نوع منها يجري في نموهِ على وتيرة واحدة ولا تطول حياتهُ حتى توءثر فيهِ الفواعل الطبيعية المختلفة وتنوعهُ حسب اختلافها · اما اذا انتقلت افراد نوع واحد من الحيوان او النبات من بلاد الى اخرى حتى تغيَّر عليها الاقليم وسائر الاحوال التي توءثر فيها جعلت تختلف رويداً رويداً عن النوع الذي تفرعت منهُ · ومن ثم ظهرت التنوعات المختلفة في الخيل والكلاب وفي اكثر الاشجار البرية والبستانية مع انها في الاصل متماثلة

بحث مالي

— ٦ —

أتؤخذ الضريبة من رأس المال ام من الايراد ؟

بدأنا في مقالتنا السابقة بذكر القواعد المالية التي يصح ان تكون اساساً لوضع الضرائب فذكرنا الآراء في التفضيل بين الضريبة الثابتة والضريبة المتزايدة وبين الضريبة الواحدة والضريبة المتعددة . والآن نضع على بساط البحث القاعدة الثالثة وهي اخذ الضريبة عن رأس المال فقط وهي من القواعد التي يدافع عنها الاشتراكيون وزعماء العمال

للقائلين بوجوب اخذ الضريبة عن رأس المال خمسة مزاعم

الزعم الاول : يقول اصحابهُ اننا لو حللنا الضرائب جميعها لرأيناها ترجع الى رأس المال وعلى الاخص رأس المال الثابت . فقول هؤلاء يشبه قول الطبيعيين وهو ان الضريبة يجب ان تؤخذ عن الارض فقط لان الارض مصدر الايرادات جميعها . ثم يدعون ان اخذ الضريبة عن الايراد يقلل من المستهلكات العمومية كما يزيد في نفقات الاستحصال العامة وهذه النتيجة مضرة اقتصادياً . ولايضاح المسألة بمثال يقولون انهُ يجب ان لا تأخذ الحكومة ضريبةً عن الخمر والسكر ولا عن الآلات التي يستخدمها الانسان للاستثمار بل يجب ان توضع ضريبة واحدة على الكرْمِ وحقل قصب السكر

اما المعارضون فيقولون ان الادعاء برجوع الضرائب جميعها الى رأس المال الثابت ليس صحيحاً ولا يمكن تصور هذا الحال في بلاد فتحت ابوابها للتجارات الاجنبية . ولا يتصور هذا الدَوْرُ والرجوع الأفي حالين الاولى ان تكون الدولة مستقلة بشؤونها الاقتصادية منفردة عن جميع الامم . والثانية ان تكون القوانين المالية في الارض جميعها واحدة . ولكن ما دام قسم عظيم من المحصولات الداخلية في كل بلاد يباع في البلاد الاجنبية فالاجانب يحملون حصة من الضرائب التي تدفع عليهِ فلا ترجع كلها الى رؤوس الاموال الوطنية وحدها . نعم لا ننكر ان اخذ الضريبة من الصنّاع والزرّاع ووضع ضرائب اخرى على النقل والآلات وغيرها مضرّ بالحركة الاقتصادية من حيث تقليل المستهلكات العامة ولكن فتح ابواب البلاد لخروج هذه المحصولات الى الخارج يخفف شيئاً من هذه المضار . فبمثل هذه الضرائب يخف حمل ثقيل عن كاهل رأس المال المتداول ولكن هذا التخفيف لا يعادل مقدار الزيادة التي نضطر الى زيادتها دفعة واحدة فيما لو اردنا ان نأخذ ضريبة واحدة عن

الاراضي والاموال غير المنقولة تعادل مقدار جميع الضرائب المتنوعة التي كنا نأخذها فلا بد من ابلاغ هذه الضريبة الى عشرة او خمسة امثالها على الاقل فتثقل كثيراً

يعترف القائلون بذلك بان الضريبة الواحدة عن رأس المال ستكون ثقيلة جدًّا ولكنهم يقولون ان الزيادة في الاستهلاكات العامة وارتفاع الاثمان يعوض هذه الخسارة لان الضريبة التي كنا نأخذها من العمال تبقى في جيوبهم وهؤلاء يصرفون هذه الزيادة على احتياجاتهم فيكثرون من الانفاق للزيادة التي حصلت في جيوبهم ولنزول الاثمان بالغاء الضرائب على الآلات والنقل وغيرها

قد يلوح للقارئ ان هذا الجواب متين مقنع ولكن المعارضين حللوهُ تحليلاً اقتصاديًّا فقالوا ان الامة ليست عبارة عن العمال فقط فاذا اسرف العمال للزيادة التي حصلت في جيوبهم بسبب الاعفاء من الضرائب فلا بد لاصحاب رؤوس الاموال من الاقتصاد في الانفاق لزيادة الحمل الذي التي عليهم وان نفقات الاغنياء لا تقل عن نفقات العمال

ثم ان صاحب الارض او رأس المال لا يستطيع ان يزيد في ثمن الاشياء على نسبة الزيادة في الضريبة لاننا قلنا ان ابواب البلاد ليست موصدة امام البضائع الاجنبية فتروج سوقها وتكسد البضاعة الوطنية لارتفاع ثمنها فلا يستفيد في هذه الحال الاَّ العمال فقط لان الاشياء كثيرة رخيصة من الجهة الواحدة وجيوبهم مملوءة مما ربحوهُ من الغاء الضرائب من الجهة الاخرى فاذا عملت الحكومة بهذه القاعدة المالية تكون كأنها احسنت الى العمال بثمانية او عشرة في المئة من ايراداتهم السابقة

ويقول زعماء الاشتراكيين والعمال لاصحاب رؤوس الاموال اذا وصلت حالة العامل الى هذه الدرجة من السعة فلا بد حينئذٍ من نزول الاجور وما تربحونهُ من نزول الاجور يعوض عليكم هذه الخسارة وترجع الموازنة الاصلية فيما بيننا

هذا القول يفهمهُ زعماء العمال واصحاب الاموال اما العمال انفسهم فلا يدركون هذه الفلسفة الاقتصادية ومن الصعب جدًّا ان تقنع العامل ان يتنازل عن قسم من اجرتهِ ولو بينت لهُ ان رطل الدقيق الذي كان يأخذهُ بثلاثة قروش صار يأخذهُ الآن بقرشين ونصف . نعم ان النواميس الاقتصادية صادقة صحيحة ولا بد من حصول هذه النتيجة عقليًّا ولكن الهيئة الاجتماعية ليست كالماء يستوي سطحهُ بسرعة وسهولة فان الاخلاق والشهوات والمطامع واختلاف التربية تعيق عمل الناموس الاقتصادي فلا تدعهُ يتحرك كما يشاء لاسيما بعد ان بلغت نقابات العمال ما بلغتهُ من الانتظام والمهارة العظيمة في استعمال سلاح الاعتصاب

اما زعماء العمال فيقولون لاصحاب رؤوس الاموال لا بد للعامل ان يتنازل عن قسم من اجرتهِ مختاراً او مضطراً لانهُ اذا اصرَّ على الاجرة الاولى فان العمال الاجانب يهاجرون الى حيث هو و ينافسون العمال الوطنيين فيضطر هؤلاء الى مجاراتهم وموافقتهم

ولكن ارباب الاموال ليسوا اغبياء ويعلمون ان المهاجرة والمنافسة ليست بالامر اليسير فيخسرون اموالهم قبل ان يدركهم المدد لذلك يجيبون زعماء العمال بقولهم « نحن لا نشتري سمكاً في البحر »

ثم اننا اذا رضينا بهذه النظرية فلا نكون قد حفظنا المساواة في الحقوق والواجبات المدنية لا بين الاغنياء والفقراء ولا بين الاغنياء انفسهم لان رؤوس الاموال تقسم الى قسمين ثابتة كالاراضي والعقارات ومتداولة كالنقد . فاذا وضعت الحكومة ضريبة واحدة على رأس المال تسربت رؤوس الاموال المتداولة الى البلاد الاخرى كما ذكرنا في ما سبق ويرزح تحت حمل هذه الضريبة اصحاب الاراضي فقط اما اصحاب العقارات والابنية فلا يتضررون كثيراً لانهم يزيدون الايجار عند بدء السنة الجديدة . ولا يُحتمل وقوع المنافسة بين الاجانب والوطنيين فيما لو ارتفعت الايجارات لان هذه ليست كالبضائع فلا يستطيع الاجانب ان ينقلوا بيوتهم الى تلك المملكة كما انهم لا يفضلون ان يشتروا ارضاً ويعمروها لثقل الضريبة فيكون قد تضرر من تطبيق هذه القاعدة اصحاب الاراضي فقط . وهذه النتيجة لا يرضى عنها علم الاقتصاد ولا يوافق عليها المعتدلون . ولا يتصور امكان تطبيق هذه القاعدة من دون ظلم الاَّ في ثلاث احوال مستحيلة او صعبة المنال : الحال الاولى ان تقبل الدول جميعها بهذه النظرية ونظن ان اتفاق كلمة الدول على هذا الامر مستحيل : الحال الثانية ان تضع الحكومة ضريبة ثقيلة على البضائع الاجنبية تعادل قيمة الضريبة التي وضعتها على رؤوس الاموال حتى لا يستطيع الاجانب منافسة الوطنيين وهذا لا يكون ابداً لان الحكومة تكون قد خالفت نفسها بنفسها لانها اذا قبلت باخذ الضريبة عن رأس المال فقط يجب عليها ان تلغي جميع الضرائب التي تؤخذ بالواسطة ومنها الضرائب الكمركية ايضاً . ولو رضيت الحكومة ان تخالف نفسها بنفسها وتستثني الكمرك من هذه القاعدة لعاملتها الدول الاخرى بالمثل وهذا لا يتفق مع مصلحة الدولة الاقتصادية لانها مضطرة الى بيع قسم عظيم من حاصلاتها و بضائعها في الخارج

الحالة الثالثة : ان تعفي الحكومة من الضرائب البضائع والمصنوعات التي تباع في الخارج وتطبيق ذلك صعب جداً

فرغنا من سرد الزعم الاول وتفنيدهِ . وتفضيل حجة احد الطرفين على حجة الآخر يتوقف على المذهب الاجتماعي الذي يذهب اليهِ فالاشتراكي مثلاً يصرّ على وجوب تطبيق هذه القاعدة لان الاشتراكيين يرغبون في تعديل النواميس الاجتماعية عن طريق تبديل القوانين المدنية التي من اهمها القوانين المالية

الزعم الثاني : يقول مروجو نظرية الضريبة على راس المال اننا لو امعنا النظر في ماهية الضريبة لرأينا انها ليست الاَّ بدل حراسة او ضمان تاخذهُ الحكومة من الامة فليس للعمال والصناع المساكين روُوس اموال يخافون عليها حتى يدفعوا اجرة حراستها او ضمانها . هذا الزعم نفسهُ هو احد تعاريف الضريبة التي ذكرناها في المقالة السابقة وبيَّنا فساد هذا الراي وان الحكومة لا تشابهُ شركة الضمان . واذا سلمنا ان الضريبة اجرة حراسة المنافع فكما انها تحرس راس المال فهي تحرس الايراد ايضاً فهنالك قسم عظيم من الاطباء والمحامين والمهندسين وغيرهم من اصحاب الصناعات الحرة الكثيرة الربح يربحون ايرادات عظيمة فاذا اختل الامن يخسرون هم هذا الايراد ايضاً افلا يجب ان يدفع هوُلاء شيئاً بدل الحراسة ؟ وقد اثبتنا في ما سبق ان بدل الحراسة او ما تصرفهُ الحكومة لاجل المحافظة على الامن في الداخل والخارج يبلغ نحو ثلث الميزانية فقط فمن يستفيد من الثلثين الباقيين ؟

الزعم الثالث : يقولون ان احسن قاعدة تتجلى فيها المساواة الحقيقية هي قاعدة الضريبة على راس المال فتكون الضريبة واحدة مهما اختلف نوع التصرف في راس المال . اما اليوم فنرى ظلماً فاحشاً في جباية الضرائب من روُوس الاموال فبعضها لا يدفع بدلاً ابداً كالجوهرات والرسوم والتماثيل الجميلة وبعضها يدفع ضريبة خفيفة جداً كالضريبة المأخوذة عن الساحات التي في داخل المدن وبعضها يدفع ضريبة ثقيلة جداً كالاراضي والاسهم المالية

هذا القول متين صحيح في ظاهرهِ ولكن لو قايسنا هذه المضار التي يراها المعترضون بالمضار التي تنتج عن الضريبة الواحدة عن راس المال لراينا بوناً شاسعاً بين الضررين . اجل ان اعفاء المجوهرات وبعض الآثار الصناعية من الضريبة فيهِ شيءٌ من الظلم ولكن الذي يمنع الحكومة من وضع الضريبة على مثل هذه الاشياء هو الصعوبة في الوقوف على ثمنها الحقيقي هذا اذا امكن ان تصل يد الحكومة اليها اذ يسهل اخفاوُها في الصناديق والجيوب وحينئذٍ يضطر موظفو الحكومة ان يدخلوا الدور ويفتشوها وهذا مخل بالحرية الشخصية . وان عدم المساواة بين روُوس الاموال في هذا الامر ليس شيئاً يذكر في جانب عدم المساواة التي تنتج عن تطبيق تلك النظرية عندما يخرج ثلاثة ارباع الامة من تحت واجب الضرائب

وان النظريات السياسية والاقتصادية لا تجوز مثل هذا الخروج لان الحكومات اليوم قائمة على اصول الحكم النيابي وكل فرد يشترك في جزء من الحاكمية فكيف يجوز لفرد ان يشترك في حق الحاكمية ولا يشترك في واجب النفقة وهذا يجر الافراد المعفين من الضرائب القابضين على زمام الحاكمية الى الإسراف والتبذير في النفقات العامة لان الاموال لا تخرج من جيوبهم حتى يقدروا قيمتها و يقتصدوا في انفاقها

الزعم الرابع : يورد اصحاب هذه النظرية رأي العلامة ماك كولون الذي ذكرناهُ في الضرائب فيقولون ان ثقل الضرائب على رؤُوس الاموال يسوق المتمولين الى السعي والاجتهاد ولكن هذه الحجة تردُّ عليهم فاذا كانت الضرائب واسطة للتشويق الى السعي والاجتهاد فلماذا يحرم ثلاثة ارباع الامة من هذا المشوق واذا كان الامر عكس ذلك كما كما يرى ادم سمث فلماذا نخصص هذا الظلم بفئة دون اخرى

الزعم الخامس : يقولون ان تقدير رأس المال اسهل من تقدير الايراد واصدق لان رأس المال نراهُ باعيننا اما الايراد فنخمنهُ تخميناً

وهذا القول ضعيف ايضاً لان قيمة الاشياء تقدر بقدر الانتفاع منها وتقدير قيمة الانتفاع هو تقدير الايراد لذلك اذا اردنا تقدير قيمة الشيء لا بد لنا من تقدير ايرادهِ اولاً فقبولنا بالضريبة على رأس المال لا يخلصنا من هذا المحذور. وان اسباب قيمة الاشياء ليست المنفعة وحدها والاَّ لكان الهواء والماء من اغلى الاشياء قيمةً فينضم الى المنفعة اسباب اخرى منها النَدْرَة ثم ما يصرف من السعي للحصول على ذلك الشيء وغيرها من الاسباب التي تفصلها كتب الاقتصاد. وكم يلاقي موظفو الحكومة من الصعوبة في تقدير قيمة جوهرة اوكتاب قديم او تمثال لان هذه ليست قيمتها بايرادها بل بندرتها مع رغبة الراغب فيها وهذا امر متحول مختلف بالنسبة الى التربية وتقدم العلوم. فتقدير ايراد الشيء اذن اسهل من تقدير قيمتهِ

واذا جارينا المعترضين وفرضنا ان الصعوبة واحدة في تقدير الايراد والقيمة فما هو رأس المال الذي يعنونهُ في كلامهم لان تعاريف رأس المال مختلفة متباينة فقد قال روسو وستورت ميل وغيرهم في تعريف رأس المال : « في كل واسطة طبيعية يستعملها الانسان فائدة وفي كل فائدة رأس مال» فيدخل في هذا التعريف رأس المال المعنوي ايضاً وهذا لا يسلم بهِ القائلون باخذ الضريبة عن رأس المال لانهم لا يعتبرون الاَّ رؤُوس الاموال المادية فقط وقد قلنا ان رؤُوس الاموال المادية تقسم الى قسمين ثابتة ومتداولة فالمتداولة كالنقد والاسهم المالية تهرب الى الممالك الاخرى اذا عملت الحكومة بهذه القاعدة فتبقى

الاراضي والعقارات فقط وهذه لا تستطيع ان تحمل نفقات الامة جميعها ولا يبعد ان تساوي الضريبة الايراد جميعهُ· مثال ذلك تبلغ قيمة الاموال الثابتة والمنقولة في فرنسا نحو ٢٠٠ مليار او ٢١٠ مليارات فرنك فاذا طرحنا من هذه رأس المال المتداول الذي يفر عند وضع الضريبة الثقيلة يبقى عقارات بقيمة ١٢٠ او ١٣٠ ميليار· اما نفقات حكومة فرنسا فتقدر باربعة ميليارات ونصف ميليار فرنك فاذا طرحنا من هذه ميلياراً واحداً نفرض اننا وفرناهُ من الاقتصاد في نفقات التحصيل بسيرنا على اصول الضريبة الواحدة يبقى مقدار ثلاثة ميليارات ونصف · فاذا وزعناها على رأس المال المذكور وهو ١٣٠ ميليار يبلغ معدل الضريبة عن الاموال الثابتة نحو ثلاثة في المئة· اما الفائدة التي يحصل عليها المتمولون من عقاراتهم فلا تتجاوز هذا المعدل فتكون الحكومة قد اخذت الايراد جميعهُ وبعبارة اخرى تكون الحكومة قد اخذت هذه العقارات لنفسها لانهُ ما هي فائدة الانسان من مال لا يستفيد منهُ· وعليهِ فالمحاذير السياسية والاقتصادية كثيرة جدًّا في تطبيقنا هذه القاعدة ومع هذا كلهِ فبعض الحكومات اليوم تطبقها لكن ليس بجميع فروعها كحكومة سويسرة وبعض حكومات اميركا· والضريبة التي تأخذها حكومة فرنسا عن الاراضي وادوات الزينة هي من هذا القبيل · وعلى كل يجب على رجال الحكومة ان يفكروا كثيراً و يدرسوا الاحوال الاجتماعية قبل ان يفضلوا قاعدة على اخرى

خلاصة القول : يرى مما ذكرناهُ اهمية البحث في هذه القواعد المالية خاصة لما يترتب على اعتناق الرأي العام لها ووضعها موضع العمل من الانقلابات الاقتصادية فالسياسية لانها المقياس الذي يعين ما يجب ان يخرج من جيب كل فرد ·وان الشرقيين لم يهتمو بعدُ بهذه الامور فنقرأ هذه المواضيع ونطالعها لتمرين العقل على فهم النظريات ومقابلتها كما نطالع مؤلفات الفلاسفة القدماء في المنطق وعلم النفس لان مجموع الامة الاعظم لم تصل تربيتهُ السياسية الى درجة يفهم معها معنى التضامن الاجتماعي فلا يزال العمال والفلاحون وعامة الشعب يظنون ان الحكومة خلقت من التبر وهم خلقوا من التراب فينظرون الى قوانين الحكومة واوامرها كقوانين سماوية لا يجوز البحث فيها فيحنون رؤُوسهم صاغرين تحت عصا الراعي وسكين الجزار · اماالغربيون فقد قطعوا هذه الحبال الوهمية وطهَّرت نار الثورة المقدسة هذه الاوبئة القتالة وفتح الفلاح عيني بصيرتهِ فرأى ان الملك انسان لهُ عينان واذنان يأكل و يشرب مثل باقي الناس وقد يكون اضعف من غيرهِ في كثير من اطوارهِ واعمالهِ فصعد الفلاح والعامل في باريس الى عرش الملك وقامت الجمهورية مقام الملكية ففهمت الامةُ قيمة

نفسها الحقيقية واصبحت الحكومة وكيلة او خادمة لاماني الشعب المقدسة يحاسبها عن كل ما تعملهُ • فالحاكم المطلق هو ارادة الامة مصدر السلطات جميعها والامة توكل في قضاء حاجاتها من تشاء. ولا تزال الهيئات الاجتماعية سائرة نحو الكمال بثورات وانقلابات على ان الثورات الاجتماعية المقبلة لا تكون دموية كالثورات القديمة بعد ان تهذبت النفوس واخترعت الجماعة اسلحة لطيفة فعالة فسلاح الاعتصاب امضى من الميتراليوز بكثير • واصبح لهذه الجماعات نواب في مجلس الامة لصون حقوقهم فالثورات الاجتماعية تجلى بابهى مظاهرها اوقات الانتخابات النيابية وفي مجالس الامة وتصل الثورة الى احد ادوارها عند المذاكرة في القوانين المالية وفي اصلاح الضرائب خاصة لان فوز هذه الجماعات يتوقف على قبول الحكومة قاعدة مالية دون اخرى فعسى ان نخطو من دور الفكر والكتابة الى دور العمل

الاستانة رفيق رزق سلوم المحامي

المآخذ الشعرية

قال علي بن محمد البسامي :

قل لوزير الانام عني ونادِ ياذا المصيبتينِ
يموت خلف الندى ويحيا خلف المخازي ابو الحسين
حياة هذا كموت هذا فالطم على الرأس باليدين

وقال بعضهم بمعناهُ :

يا ابن المعلَّى وليس عيبَة افعالهُ كلُّها معيبه
موت اخيهِ وعيش هذا كلاهما عندي مصيبه

وقال بعضهم :

سكنتَ سكوناً كان رهناً لوثبةٍ نثور كذاك الليث للوثب يلبدُ

فجاراهُ الآخر بقولهِ :

قد قلت يا قوم ان الليث منقبضٌ على براثنهِ للوثبة الضاري

فأخذ ذلك صالح البشتريني المغربي وقال :

تحاذر احداثَ الليالي وقلَّما خلا من توقيهنَّ قلب أديبِ

ونرتاب بالايام عند سكونها وما ارتاب بالايام غير أريبِ
وما الدهر في حال السكون بساكنٍ ولكنهُ مستجمعٌ لوثوبِ

وقال المتنبي :

أعارني سقم عينيهِ وحمّلني من الهوى ثقل ما تحوي مآزرهُ

فاخذهُ ظافر الحداد وقال :

مريضُ لحاظ الطرف لولا جفونهُ لما كنتُ ادري السقم كيف يكونُ

وقال الذهبي :

يطير فؤادي لالحاظهِ غراماً وشوقاً وفيها التَلَفْ
فيا من رأى قبلها اسهماً يطير اشتياقاً اليها الهَدَفْ

وبمعناهُ قول ابن نباتة المصري :

صيّرتَ نومي مثل عطفك نافرا وتركت عزمي مثل جفنك فاترا
وسكنت قلباً طار فيك مسرةً أرأيت وكراً قطُّ اصبح طائرا

ولم يتجاوز قولهما احمد العناياتي :

يطير قلبي الى الحاظهِ شغفاً فاعجب لهُ كيف يرمي السهم بالهدفِ

وقال بكر بن حارثة :

قلبي الى ما ضرّ بي داعي يُكثِر اسقامي واوجاعي
كيف احترامي من عدوّي اذا كانَ عدوّي بين اضلاعي

وقال البحتري مثلهُ :

ولستُ اعجب من عصيان قلبك لي عمداً اذا كان قلبي فيك يعصيني

وقال العناياتي :

أأسومهم وهمُ الاجانب طاعةً وهوايَ بين جوانحي يعصيني

وقال الأرّجاني :

وقد علتْ غُبرة الشيب الشبيبة لي فبتُّ للاجل المكتوب مكتوبا
كتاب عمري الليالي تربّتهُ وما أدنى المترّب ان تلقاهُ منطويا

وقال محمد بن قاسم الحلبي :

شعَر المرء نسخة العمر والايام فيها من اصدق الكتَّابِ
فاذا تمَّ منهُ ما كتبتهُ تربتهُ من شيبهِ بترابِ

وللشهاب الخفاجي :

لعمريَ ان الدهر خطٌّ بمفرقي رسائل تدعو كل حيٍّ الى البلى
أرى نسخة للعمر سوَّدها الصبا وما بُيِّضت بالشيب الاَّ لتنقلا

وقال البديع :

اهدي لمجلسك الشريف وانما اهدي لهُ ما حزت من نعمائهِ
كالبحر يمطرهُ السحاب وما لهُ منٌّ عليهِ لأنهُ من مائهِ

فقال ابو بكر الحلبي بمعناهُ :

أيا بحراً غدونا من نداهُ نقدّم بعض انعمهِ لديهِ
كذاك البحر ينشأ منهُ غيثٌ وبعض سحابهِ يُهدى اليهِ

وكتب الشهاب الخفاجي الى صديق اهداهُ سمكاً ولم يخرج عن المعنى :

اهديت حوتاً نحو من فاتت عزائمهُ السماك
فاقبل بحقك عذر من أهدى الى البحر السماك

ونقل بعضهم هذا المعنى من الجدِّ الى الهزل فقال :

يتبادلان فينصفا ن وليس بينهما ارتياب
فيصيب هذا ماء ذا كالبحر يمطرهُ السحاب

وقال المتنبي :

خلقتُ ألوفًا لو رجعتُ الى الصبا لفارقتُ شيبي موجع القلب باكيا

فاخذ المعنى البهاء زهير بقولهِ :

وألوفًا فلو افارق بؤسى لتوالت لفقدها حسراتي

واجاد الآخر في متابعتهِ :

ألفتُ الضنى من بعدكم فلو أنهُ يزول اذا عدتم حننتُ اليهِ
وصار البكا لي عادةً فلو أنهُ تغيب عن عيني بكيتُ عليهِ

وقال الشهاب الخفاجي :

مذ هجرتم هجرَ الطيفُ ولي ناظر لم يدرِ ما طعم الوَسَنْ
في هواكم ألف الحزن فلو لم يجدهُ مات من فرط الحَزَن

وقال ابو تمام :

اعوام وصل كاد ينسي طيبها ذكر النوى فكأنها ايامُ
ثم انبرت ايام هجرٍ اعقبت نحوي أسى فكأنها أعوامُ
ثم انقضت تلك السنون واهلها فكأنها وكأنهم احلامُ

واخذ معناهُ ابو بكر تقي الدين بن الجوهري فقال :

هذي المنازل قبلنا كم ذا تداولها اناسْ
كم صدّعت ملكاً وكم من مدّعٍ وضع الاساسْ
غرسوا وغيرهم اجتنى من بعدهم ثمر الغراسْ
دول تمرُّ كأنها أضغاث حلم في نعاسْ

ولم يتجاوز قول الشهاب الخفاجي هذا المعنى :

ويلاهُ من زمن كأن نهارهُ نفضت دجاهُ عنهُ صبغ ظلامِ
من بعدهِ كانت ليالينا لها نور يرينا صفوة الايامِ
زمن كاحلام تقضّى بعدهُ زمن نعلّل فيهِ بالاحلامِ

وقال محمد بن الرومي المعروف بابن مامية :

راحٌ حلالي شربها في جنةٍ والنص في الجنات حلّ شرابها

وقد تناولهُ من قول الارجاني :

كأسٌ من السحر الحلال بشربها للقوم سكرُ
في مجلس هو جنة ولذاك فيهِ تحلُّ خمرُ

وقال ابن مامية :

يقول حبيبي ما لطرفك أحمراً كأنك يا حيرانُ في نشوةِ التيهِ
فقلتُ لهُ اشراق خدك قد بدا وقابلهُ طرفي تخيّلهُ فيهِ

ولكن قول مجير الدين بن تميم احسن منهُ :

اقول للصحب لما انكروا أثراً من احمرار بدا في باطن المقلِ
عاتبتُ الحاظ عيني عند ما نظرت الى سوى الحب فاحمرّت من الخجلِ

وقال ابن مامية :

ولما انقضى شهر الصيام بفضلهِ تجلّى هلال العيد من جانب الغربِ
كحاجب شيخ شاب من طول عمرهِ يشير لنا بالرمز للأكل والشربِ

واخذهُ من قول العقيلي :

قم هاتها وردّيةً ذهبية تبدو فتحسبها عقيقاً ذابا
أو ما ترى حسن الهلال كأنهُ لما تبدّى حاجبٌ قد شابا

وقال شاعر :

رأيتُ الكائنات خيال ظلٍّ محرّكها هو الرب الغفورُ
فصندوق اليمين بطون حوّا وصندوق الشمال هو القبورُ

فاخذهُ من قول الآخر :

رأيت خيال الظل اكبر عبرةٍ لمن هو في علم الحقيقة راقي
شخوصٌ واشكال تمرُّ وتنقضي وتفنى سريعاً والمحرّك باقي

فولد منهُ ابن الوردي معنى في الحمّام وهو :

وما اشبهَ الحمّام بالموت لامرئٍ تبصّر لكن اين من يتبصّرُ
يجرّد من امواله ولباسه ويبقى لهُ من كل ذلك مئزرُ

ولم يبعد عن هذا المعنى الشهاب الخفاجي بقولهِ :

ان يكن يحكي خيال الظلّ في فعلهِ دهرٌ لنا يبدي العبرْ
فمساهُ عن قريب مظهراً صوراً احسن من هذي الصورْ

وقال علاء الدين بن مليك الحموي من قصيدة :

سقياً لارض بعد كوثر مائها ما اشتاق قلبي للموارد منهلا
لولا بقاياهُ وحقك في فمي ما قلت شعراً في المسامع قد حلا

وهو من قول ابن حجة الحموي من قصيدة :

ولولا بقايا طعمهم في مذاقتي لما ظهرت هذي الحلاوة في شعري

وروى الشهاب الخفاجي في كتابهِ (ريحانة الالبّاء) بيتاً لعلاء الدين بن مليك الحموي من قصيدة :

وفوق ظهور الخيل ماتوا فاصبحوا وفي كل سرج فوقها لهمُ قبرُ

ثم قال: «وقد توارد في هذا المعنى مع ابن حجة في قوله من قصيدة وكنت لما طالعت ديوانهُ لم أرَ لهُ معنى ابتكرهُ غيرهُ وهو:

ماتوا على تلك السروج مخافةً فكأَن هاتيك السروج مقابرُ

وهو تشبيهٌ لطيف. لأَن هيئة دفتي السرج كهيئة جانبي القبر المصنوع من الحجارة في هذا الزمان. وقد سبق اليهِ ابن نباتة في مرثية لهُ:

وما الناس الاَّ راحل بعد راحلٍ اذا ما انقضى عصر مضى بعدهُ عصرُ

تبدَّت لدى البيدا مطايا قبورهم ليعلم اهل العقل انهم سَفْرُ

ثم رأَيتهُ في اشعار المتقدمين لكنهُ هذبهُ. فان أَبا نواس قال في قصيدتهِ التي اولها:

أَجارةَ بيتينا ابوك غيورُ وميسور ما يُرجى لديك عسيرُ

ومنها: اليك أَتت بالقوم هوج كأَنما جماجمها تحت الرحال قبورُ

قال الصولي: اي ابل كأَن بها هوَجًا لنشاط في سيرها. وهذا التشبيه بالقبر حسن لكنهُ اخذهُ من قول الوليد:

كأَن هاماتها قبر على شرف يمدّ للسير اوصالاً وأَصلابا

وههنا أَمرٌ نفيس ينبغي الاصغاء اليهِ لأَن الجماجم الرؤُوس ولو شبهَ أَسنمتها او الرحال التي عليها بالقبور لكان من المعاني التي لا نظير لها فاستحسان الصولي ليس بحسن. وكأَن المتأَخرين اذ كانوا رأَوهُ تنبهوا لهذا. وهذا من حسن الظن بالسلف. والاَّ فللمقال مجال. فاذا فطنت لما قلناهُ وفهمتهُ علمت ان هذا كلَّهُ لا يصل في الحسن الى درجة من درجات قولي من قصيدة لي:

اذا جئتُ داراً قبل لقيايَ اهلها أُلاقي قبوراً للكرام أُولي المجدِ

عليها لقد حطوا رحالاً بمنزلٍ وكم هودج من بينها مرتخي الشدّ

لينتظروا من خلَّفوهُ بدورهم ليلحقهم قبل القيام بلا جهدِ

يقولون جدّوا في الرحيل فان من تبقى اناسٌ ارضعوا اللؤْم في المهدِ

وقولهُ: قبل لقياي الخ. اشارة الى ان قبور كل بلدة خارجها فكل قادم لا بدَّ ان يلاقيها اولاً والى هذا المعنى اشار القاضي الفاضل في قولهِ:

المدن ان رجع المسافر او اذا خرج المسافر

ما استقبلتهُ وودَّعتهُ بغير هاتيك المقابر

انتهى كلام صاحب الريحانة

عيسى اسكندر المعلوف

التوازن بين ازدحام السكان

ودوائر العمران

﴿ التعاون الحتمي ﴾ — الانسان اجتماعي بمقتضى الحاجة الاقتصادية . فالناس آثروا الاجتماع لما فيهِ من مزايا التعاون الاقتصادية وتبادل المنفعة والتألب على الطوارئ والتوافق على المصالح . ولما صار الناس اجتماعيين صار مستحيلاً عليهم ان يفككوا اوصال مجتمعهم لان تنوع موارد الارزاق وتعدد الحاجات مع تمادي الزمان قضيا حتماً بتوزع الاعمال على افراد المجموع حسب سنة التعاون

ولما كانت الاعمال مرتبطة بعضها ببعض لم يكن بدٌّ من ارتباط الناس ايضاً بعضهم ببعض . فلو رام فرد ان يعتزل المجموع ويعيش مستقلاً الاستقلال المطلق عن معاملة المجموع لهلك لا محالة لعدم تيسُّر حاجاتهِ المتعددة لهُ ولانهُ بعد ان نشأ في وسط اجتماعي لا يقدر ان يعيش عيشة جدهِ القديم

فالناس في نظامهم مترابطون ترابطاً حتميًّا ومتعاونون بالرغم من اختيارهم اي سواء رضوا اولم يرضوا فهم مضطرون الى التعاون لانهُ ارث الجسم الاجتماعي المتسلسل . والمراد بالتعاون هنا اختصاص كل فرد او جماعة من الجماعات بعمل من الاعمال المتنوعة المشتركة وتبادل الافراد ثمرات الاعمال بطريقة المعاملة التجارية

فاذا تكاثر عدد السكان بحكم سنَّة التناسل الطبيعية القاسرة ازدحموا في دائرة ارزاقهم بحكم سنَّة الترابط المشار اليها آنفاً وان وجدت دوائر للرزق غير دائرتهم اقل ازدحاماً منها

وقبل ان نبين سر هذا الازدحام في دوائر الارزاق الواحدة مع وجود دوائر اخرى غير مزدحمة لا نرى بدًّا من الاسهاب في بيان مرونة الدائرة التي اشرنا اليها في النبذة السالفة

﴿ تعليل مرونة الدائرة ﴾ — لقوة الارض على الانتاج حدٌّ نهائي فمتى بلغ استغلالها هذا الحد فزيادة العاملين فيها لا تزيد غلتها شيئاً وكل عمل يعمل فيها علاوة على ما يكفي لاخراج ذلك القدر يذهب عبثاً . فاذا ازداد العمال على حاجة الارض كان نصيب كل منهم من الغلة اقل . فاذا كان نصيب غيرهم من ثمرة العمل في النسج مثلاً اوفر ترك بعضهم الزراعة وانضم الى الناسجين بحيث تتوازن المكافأة بين هؤلاء واولئك بنسبة الاهلية الشخصية . واذا ازداد الناسجون الى حد ان تزداد منسوجاتهم على حاجة المجتمع وقلَّ نصيبهم من المكافأة عن نصيب الحدادين مثلاً جنح بعضهم الى صناعة الحدادة بحيث تتوازن المكافأة بين

الطائفتين . وهكذا يتوزع العمال على الاعمال اللازمة للمجتمع كلهِ توزعاً متكافئاً متوازناً تقريباً وكلما ازداد افراد المجتمع توزعوا على هذا النحو ايضاً

﴿ مصادر الرزق الطبيعية والصناعية ﴾ — ولا يخفى ان اساس الارزاق مصادرها التي في الطبيعة كزراعة الارض و تربية المواشي واستخراج الفحم الحجري والبترول وسائر المعادن وصيد الاسماك والطيور الخ . واما الاعمال الاخرى كالحدادة والحياكة والنجارة والبناء الى غير ذلك من انواع الاعمال التي لا تحصى فانما هي مصادر للرزق تكميلية يراد منها تسهيل استخراج الارزاق الطبيعية وتهيئتها لحاجات الانسان الضرورية والكمالية . وعليهِ فالاعمال الصناعية والتجارية ونحوها مترتبة على مصادر الارزاق الطبيعية ومتوقفة عليها . فاذا فقد القطن والصوف والكتان لم يبقَ للناسج ما ينسجهُ وبالتالي لم يبقَ لتاجر المنسوجات ما يتاجر بهِ وللخياط ما يخيطهُ . واذا استوفى السكان الذين يستهلكون كل ما في دائرة رزقهم من الغذاء والكساء حاجتهم من المنازل والاثاث لم تبقَ حاجة لبناء البنّاء ولا لنجارة النجار ولا لصناعة الخزّاف الخ

﴿ الحد النهائي لمصادر الارزاق الصناعية ﴾ — فكما ان لمصادر الارزاق الطبيعية حدًّا نهائيًّا كذلك للاعمال المتوقفة عليها حدٌّ نهائي ايضاً . فكلما ازداد افراد المجتمع وتوزعوا على الاعمال تناقص نصيب كل فرد منهم وكلما اتسعت دائرة الاعمال قلت مرونة دائرة الارزاق واستلزم توسيعها جهاداً اشد . اي ان نسبة الجهاد في تحصيل الرزق الى الحاصل منهُ تزداد بزيادة ازدحام الناس في هذه الدائرة

﴿ مط الدائرة بالاضافة ﴾ — على انهُ قد تنفد مصادر الارزاق الطبيعية او يبلغ استخراجها الحد النهائي في مملكة ما ومع ذلك تبقى دائرة الرزق مرنة تحتمل المط والاتساع بواسطة المعاملات التجارية مع البلاد الاجنبية فيستورد السكان جانباً من حاصلات البلاد الاخرى الطبيعية ويصدرون بدلها مصنوعاتهم كما يفعل الانكليز مثلاً في استيرادهم القطن ونسجهِ واستبدال جانب من مصنوعاتهم ومنسوجاتهم بالحنطة والثمار واللحوم المقددة . ولو اقتصر الانكليز على الاتكال على مصادر الرزق الطبيعية عندهم لما احتملت بلادهم عددهم الوافر ولا يخفى ان هذا الازدحام الهائل في منطقة يستلزم النقص في السكان في منطقة اخرى . فلو كان قطن مصر ينسج فيها مثلاً لاقتضى ان ينقص سكان انكلترا ويزداد سكان مصر

﴿ تقلص الدائرة بغير الازدحام ﴾ — وكما يحتمل ان دائرة الرزق تتسع بضم جانب من مصادر دائرة اخرى اليها على نحو ما تقدم يحتمل ايضاً ان دائرة رزق اخرى تتوتّر من غير

ان تنفد مصادر الرزق الطبيعية فيها اذ تحدث اسباب اجتماعية توترها قسراً بالرغم من عدم استيفائها ما تحتملهُ من الازدحام . واهم هذه الاسباب فساد الحكومة واستبداد الحكام كما في بعض الممالك الشرقية مثلاً فان كلاًّ منها تحتمل من السكان ضعفي سكانها بل ازيد لو كان فيها عدل وتدبير للشؤُون الاقتصادية . ومن تلك الاسباب الجهل الذي يفضي الى ظلم الحكام ايضاً والى الفوضى في الاحكام و يقف في سبيل تقدم الحالة الاقتصادية واستعمال الطرق الحديثة لاستخراج خيرات الارض كما في بلاد العرب مثلاً

﴿ التحام الدوائر ﴾ — ثم ان دوائر الارزاق المتجاورة جغرافياً والمتقاربة في التمدن والعمران قد تلتحم بعضها ببعض من بعض الجهات بحيث يتيسَّر التدفُّق من الدائرة المزدحمة الى الدائرة الاقل ازدحاماً بعض التيسُّر . نقول بعض التيسُّر لان هناك عقبات اجتماعية واقتصادية كاللغة والتعصب للجنسية ونحوهما تقف في سبيل ذلك التدفُّق فيقل او يكثر حسب تلك العقبات . وبهذا الاعتبار تعد تلك الدوائر المتلاحمة دائرة كبيرة مركَّبة . فقد يعدُّ كل من اوربا واميركا الشمالية واسيا وجنوبي افريقيا دائرة كبيرة مركبة . واخيراً لك ان تعد الممالك المتمدنة كلها في العالم دائرة مركبة مقابل دائرة الممالك المتمدنة بعض التمدن لان علائق تلك بعضها ببعض اكثر من علائقها مع الممالك الاخرى

﴿ القوتان المتضادتان ﴾ — نرى من كل ما تقدم ان في كل مجتمع من المجتمعات البشرية قوتين متضادتين تفعلان معاً . الاولى قوة الميل الطبيعي الى التناسل المفضي الى ازدحام السكان . والثانية ضغط دائرة الرزق المتوترة على السكان . وكلما اشتد الزحام من جهة والضغط من جهة اخرى قل هناء السكان او ازدادت تعاستهم

﴿ اسباب القعود عن المهاجرة ﴾ — بقي ان نورد الاسباب التي تحمل افراد المجتمع على تحمل مشقَّة ذلك الجهاد واحتمالهم هذه التعاسة وتفضيلها على اختراقهم دائرة رزقهم وخروجهم الى دائرة اخرى ارحب

اولاً ان السبب الاساسي الذي يُحرج الفرد الى المهاجرة هو نفسهُ عقبة كؤُود في سبيل مهاجرتهِ ونعني بهِ ضيق ذات اليد . فاذا كان الفرد عاجزاً عن تحصيل رزقهِ فكيف يقدر على تجشم مشاق المهاجرة والقيام بنفقاتها — نفقة السفر ونفقة الاقامة في بدء الامر ونفقة الشروع في عمل جديد . لذلك نرى ان الفقر المدقع يقعد جانباً من المضغوط عليهم عن المهاجرة ولسان حالهم يقول « عصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة » واما الموسر او المكتفي فلا يضطر الى المهاجرة

ثانياً ان الفرد مرتبط بوسطهِ باربطة مختلفة — علاقة الاهل وإلفة الاصدقاء ومعاضدتهم واحساساتهم نحوهُ . وهذه الاربطة تقعد كثيرين عن المهاجرة لشعورهم بضعفهم وهم بعيدون عن الاهل والاصحاب

ثالثاً جهل الفرد لغة البلاد التي يخرج الى المهاجرة اليها يفقدهُ جانباً كبيراً من اهليتهِ . ولا ريب ان الفرد في مهجرهِ اضعف منهُ في بلادهِ الاَّ اذا كان اهل المهجر احط منهُ في اعتبارات كثيرة

رابعاً كثيراً ما تكون المسؤُولية نحو العائلة عقبة في سبيل المهاجرة . فرب العائلة اعجز من العازب عن المهاجرة والعازب اقل اضطراراً اليها

خامساً اختلاف البيئة يكون احياناً عقبةً فالذي نشأَ في منطقة باردة مثلاً يستصعب جدًّا المعيشة في منطقة حارَّة والعكس بالعكس . والذي تعوَّد سكن المدينة يستصعب المعيشة في الريف الخ

﴿ ضعف هذه الاسباب ﴾ — على ان هذه الاسباب ونحوها مما على شاكلتها ليست اسباباً قوية للقعود عن المهاجرة اذا توترت دائرة الرزق وشدَّدت الضغط على المزدحمين فيها . وانما هي كافية لاستمساك السكان بوطنيتهم ما دامت دائرة رزقهم تحتمل المط والاتساع عليهم وان وجدت دائرة اخرى اوسع وارحب لهم . هذا هو سر الازدحام في مناطق من المعمور اكثر منهُ في مناطق اخرى

واما تزاحم الناس في المناطق العامرة مع وجود مناطق اخرى خالية من العمران او قليلة السكان فليس سرًّا خفيًّا عن الاذهان . وغني عن البيان ان استعمار البلاد غير العامرة كمجاهل افريقيا يستلزم مشقات لا يستطيعها الافراد ولا يمكن ان يقوم بها الاَّ جماعات مستعمرة متضامنة

﴿ اسباب المهاجرة اقوى ﴾ — وكما انهُ توجد اسباب كافية للقعود عن المهاجرة توجد اسباب اقوى للاقدام عليها وهي

اولاً — توتُّر دائرة الرزق حتى لا تعود تحتمل مطًّا ولا اتساعاً فعند ذلك يفضل المتضايقون من شدَّة الازدحام اخطار المهاجرة على الهلاك تحت ذلك الضغط لان في المهاجرة املاً وفي البقاء تحت الضغط يأْساً

ثانياً — ان البلاد المستجدَّة في العمران ترحب بالمهاجرين وتسهّل المهاجرة لهم لانها تحتاج الى عمال يعملون فيها كالبلاد الاميركية في القرن الماضي

ثالثاً — انهُ متى شرع البعض يهاجرون يمهدون السبيل لغيرهم اذ توجد صلة بين الفريقين . والذين هاجروا يؤَنسون بلغاتهم وعاداتهم وطناً جديداً لاخوانهم وبني جنسهم ويزيلون اكثر العقبات التي مرَّ ذكرها بل كلها . ومهاجرة السوريين الى اميركا وغيرها مثَلٌ ظاهرٌ على كل انواع المهاجرة

رابعاً — متى شعرت الامة برمتها (اوحكومتها) بشدَّة الازدحام وتوترت دائرة ارزاقها اهتمت بالاستعمار في خارج بلادها وتسهيل المهاجرة الى المستعمرة الجديدة كما فعلت امم اوربا المستعمرة

خامساً — العلائق التجارية بين الممالك المختلفة تسهل سبيل المهاجرة كما لا يخفى . وهذه العلائق نفسها كثيراً ما تكون سبباً كبيراً لزيادة مرونة دائرة الرزق كما ذكر آنفاً

﴿ التوازن بين ضغط الدائرة والازدحام ﴾ فاذا كانت دوائر الارزاق من الجهة الواحدة تتوتَّر اخيراً حتى تضغط على السكان مهما كانت مرنة وقابلة المط والاتساع واذا كانت قوة الميل الطبيعي الى التناسل من الجهة الاخرى تفضي الى ازدحام السكان وتزاحمهم واذا كانت نتيجة الضغط من هذين الجانبين تأول الى اشقاء السكان بانقاص نصيب الفرد منهم من الرزق — فلا بدَّ من وجود توازن بين ضغط قوة التناسل وضغط الدائرة وشقاء السكان. فاذا كثر التناسل واشتدَّ الزحام وجب على السكان ان يمطُّوا الدائرة ما استطاعوا. فان عجزوا عن مطها عند حد وجب ان يرضوا بالنقص من هنائهم وبالمزيد من شقائهم او ان يرحلوا . فان لم يستطيعوا الرحيل ولا احتمال المزيد من الشقاء اضطروا الى مقاومة قوة الميل الى التناسل . فترى ان كلاًّ من هذه الحالات الثلاث مَرِنٌ وقابل للنقص والتمدُّد . والسكان يتموجون تحت هذه القوات الضاغطة حسب تغلُّب الضغط من جهة على الجهتين الاخريين

فامام السكان اذاً ثلاث مهمَّات : اولاً توسيع دائرة الرزق او الخروج الى دائرة اخرى . وثانياً احتمال المزيد من الشقاء . وثالثاً تقليل النسل . والامم تختلف لقاء هذه المهمات . فالانكليز مثلاً يهتمون بالاكثر في توسيع دائرة الرزق . والارلنديون والطليان يرضون بنقص الرزق والشقاء . والافرنسيس يقاومون الميل الى التناسل . ولعلي مخطئٌ بهذا التمثيل ولكن اختلاف الامم في هذه الاعتبارات امرٌ لا مشاحة فيهِ . على ان كل امة من الامم المزدحمة في دائرتها لا بد ان تقوم بكل من هذه المهمات الثلاث كثيراً او قليلاً . ولما كانت قوة الميل الى التناسل اشد هذه القوات والسكان يتكاثرون على نسبة هندسية بحيث انهم يتضاعفون اضعافاً لا يحصى عديدها في قرون قليلة فلا ريب من وجود عوامل قوية

مقاومة لتكاثر النسل والاَّ لكانت البسيطة امتلأَت منذ قرون لوكانت الطبيعة تسمح بذلك فما هي هذه العوامل ؟

﴿ العوامل لصد قوة الميل الى تكثير النسل ﴾ — قسم ملثوس العوامل المقاومة لازدياد السكان الى قسمين : عوامل منعية وعوامل فعلية اما العوامل المنعية فهي امتناع الناس باختيارهم عن ولادة الاولاد . واما العوامل الفعلية فهي العوامل التي تزيد الوفيات كالاوبئة والامراض والحروب والموبقات

وكأَنهُ يريد ان يقول ان من العوامل ما يفعل باختيار الانسان وارادتهِ ومنها ما يفعل بفعل طبيعة الوسط الاجتماعي بالرغم عن ارادة الانسان

﴿ العوامل المنعية ﴾ — اما العوامل المنعية فهي : اولاً الامتناع عن الزواج بتاتاً . وثانياً الابطاء بالزواج الى السن التي يغلب فيها العقم وتقل المواليد . وثالثاً العقم الصناعي اي استعمال الوسائل لمنع الحمل او للاجهاض قبل الوضع . وربما عُدَّت فرنسا في طليعة الامم التي تلجأ الى هذه العوامل الاختيارية لمنع تكاثر النسل وتحامي المزيد من الازدحام

وغنيٌّ عن البيان ان الذي يعجز عن كسب رزقهِ وهو فرد لا يجرأُ على ان يكفل اثنين او ثلاثة او اربعة . والزوجان اللذان يقمان بعد الزواج في شقاء لم يذوقاهُ قبلهُ يبذلان وسعها في منع ولادة الاولاد . فاذا شحت موارد الرزق على مزدحم السكان اضطر الى هذه الوسائل . وكثيراً ما تتحاشى النساء الحمل لا لضيق ذات اليد بل لانهنَّ يتجنبنَ كل ما يشغلهنَّ عن لهوهنَّ وترفهنَّ وهذه الوسائل فعالة جدًّا في منع تكاثر النسل .ومع كل ذلك فالناس يعجزون عن مقاومة الميل الطبيعي للتناسل ومنعهِ بتاتاً

﴿ حدَّة قوة التناسل ﴾ — وما دام هناك متَّسع من الرزق مهما كان قليلاً وما دام في طوق الناس احتمال الضيم ولهم رجاءُ بتحسن الحال وما دام بين السكان موسرون او مقدمون لا يخافون من اعباء العائلة فالميل الى ولادة الاولاد يبقى فاعلاً فعلهُ . وكلما اشتدَّ الزحام واشتدَّ الميل الى ولادة الاولاد مع ضيق الدائرة وضغط الشقاء جاء دور العوامل الفعلية لانقاص عدد السكان باكثار عدد الوفيات

﴿ العوامل الفعلية ﴾ — واهمها : اولاً الفقر . فمتى قلَّت انصبة الافراد من الرزق تنحط درجة المعيشة فتسوء الحالة الصحية وتكثر الامراض وبالتالي تقل طاقة الافراد على تحصيل الرزق فتزداد حالة المعيشة سوءا . فالفقر يجلب السقم والسقم يجلب الفقر . فيقوم التقهقر الصحي مقام النجاح الاقتصادي وعاقبة هذا التقهقر كثرة الوفيات طبعاً . وسقم الغذاء

ورقة الكساء عن مقاومة البرد واكتظاظ المساكن الحقيرة بالسكان والمعامل بالعمال حتى تتعذر النظافة والوقاية من الامراض تهيئ الاسباب لانتشار الاوبئة فاذا حل فيهم وباء جرف منهم جانباً كبيراً

ثانياً البطر. فان الموسرين من السكان يتمادون في اللهو والبطالة والفجور وادمان المسكر ونحوها من الموبقات التي تعرضهم للفقر من جهة وللامراض من جهة اخرى كالامراض الزهرية والصدرية وغيرها مما يتوارثهُ الخلف عن السلف ونتيجتهُ اولاً الموت العاجل قبل دور الزواج او على اثرهِ الامر الذي يقلل المواليد طبعاً. وثانياً ضعف السلالة من جراء توارث السقم. والنتيجة النهائية انقراض جانب من السلالة وانحطاط الجانب الآخر الى طبقة الفقراء هذا اذا لم تنقرض برمتها

ثالثاً. انتهاك القوة من الجهاد في الاعمال. فقد علمت مما سبق ان ازدحام الناس في دائرة العمل يفضي الى بذل كثير من القوى لاستخراج قليل من الرزق. والانتهاك كثيراً ما يورث الوفاة في مقتبل العمر قبل امكان التناسل فضلاً عن انهُ يورث ضعف قوة التناسل

﴿الحروب ليست سبباً طبيعيًّا لصد الازدحام﴾ — اما الحروب فلا اعدها من العوامل الطبيعية لتقليل السكان لانها ليست لازمة من لوازم الازدحام وانما هي نتيجة جنون اجتماعي ولهذا قد تقلل السكان في حين لا يلزم تقليلهم. ولذلك لا تبرّدها نتيجتها في تقليل السكان وان كان هذا التقليل من مقتضيات العمران لانهُ ليس من وظائفها

﴿الحاصل﴾ — ومحصل ما تقدم ان في طبيعة الاجتماع البشري عوامل طبيعية تقضي بمقاومة الميل الى التناسل وزيادة الوفيات قبل ان يمتلىء المعمور والمجهور بالسكان اي ان مجرد الازدحام ليس السبب الوحيد لصد تلك القوة كما يفهم من نظرية ملثوس. وهذا هو السر في أن البسيطة لم تمتلئ سكاناً حتى الآن وقد لا تمتلىء بعد قرون مع انهُ لو صحت نظرية ملثوس لاقتضى ان تكون البسيطة قد امتلأت مراراً قبل طوفان نوح ومراراً بعدهُ

﴿السؤال الجوهري﴾ — بقي سؤال آخر جوهري قد لا يغرب عن بال الكثيرين من القراء ولا يصح اغفالهُ في هذا المقال لئلاً يبقى ناقصاً وهو: — هل ازدحام السكان حتى في الدائرة الواحدة هو العلة الوحيدة للفقر والشقاء وبالتالي لصد قوة الميل الى التناسل ؟ او ان هناك اسباباً اخرى تقضي بذلك ولو ازيلت قلَّ الفقر وامكن ان تسع دائرة الرزق من السكان اكثر مما تسع الآن ؟

نقولا حداد

العرابة المدفونة

ومدفن المعبود اوسيرس فيها

العرابة المدفونة انقاض مدينة من اقدم المدن المصرية واجلها آثاراً تعرف بابيدوس . واسمها المصري القديم ابوت او ابتو حرفهُ اليونان الى ايدوس اسم مدينة لهم في اسيا الصغرى عند مضيق الدردنيل وذلك لشدة الشبه بين اللفظين. اختطها المصريون الاقدمون قبل عهد الملك مينا اي منذ اكثر من سبعة آلاف سنة واتخذوها مباءة لملكهم ودفن فيها ملوك الدولة الاولى و بعض ملوك الدولة الثانية . وما زال الفراعنة يرممونها و يجددون بناءها حتى عهد الدولة الثلاثين و بقي عظماء مصر ونوابغها يدفنون فيها بلا انقطاع

واحتفر فيها سنورس الثالث احد ملوك الدولة الثانية عشرة مدفناً كبيراً في الصخر . واقام ستي الاول احد ملوك الدولة التاسعة عشرة هيكلاً فخماً الى الجنوب منها للملوك الدول الاولى ولم يكمل بناؤهُ الا في عهد رعمسيس الثاني الذي اقام هيكلاً آخر اصغر منهُ . وأُلحق منفتاح بهيكل ستي مقاماً لاوسيرس تحت الارض . وآخر ما اقيم فيها من البناء الفخم هيكل اقامهُ نختنبف من ملوك الدولة الثلاثين . وبعد ان تولى البطالسة ملك مصر اهمل ترميم ابنيتها ولم يقم فيها بناء جديد

هذا مجمل ما عرف من تاريخ هذه المدينة ذكرناهُ تمهيداً لفهم ما يأْتي فقد شاع في العام الماضي ان مدفن اوسيرس معبود المصريين الاقدمين كشف فيها ثم عثرنا على خطبة للمسيو نفيل في هذا الموضوع فاقتطفنا منها ما يلي

كانت ايدوس مدينة عظيمة مُصِّرت في اوائل عهد التاريخ المصري ولكنها لم تبلغ شأْو طيبة ومنف من العظمة السياسية ولم تكن مهمة الا من الجهة الدينية فقد كانت موطن المعبود اوسيرس كما كانت اون او هليو بوليس (المطرية) موطن المعبود توم هرماخس . وكان اوسيرس يلقب بالساكن في ايدوس وهو يمتاز عن سائر المعبودات المصرية بانهُ لا يمثل قوة او مظهراً من قوى الطبيعة او مظاهرها بل هو شخص متصف باوصاف ادبية وهو عندهم اله الموتى الذي يدينهم في ابيدوس . وكتاب الموتى يمثلهُ جالساً على عرش وبين يديهِ آلهة الجهات الاربع الذين يقدرون استحقاق الناس وميزان يوزن فيهِ قلب انسان وهذا الانسان يستشفع اثنين واربعين الهاً و يستشهدهم انهُ لم يقترف اثماً من الآثام

المميتة وهي اثنان واربعون · على ان هذه الدينونة تكون في ابيدوس السماوية لا ابيدوس الارضية فقد كان المصريون يعتقدون ان لابيدوس وهليوبوليس وبوصيرس مدناً تقابلها في السماء كما ان لكل انسان نفساً او ظلاً او نسخة منهُ تعيش في العالم الثاني .

ومن الامكنة التي تجاور ابيدوس ويرد ذكرها كثيراً في الكتابات القبرية روزت وهي مدخل العالم السفلي ولعلها ثغرة من الثغرات التي ترى في الجبال الفاصلة بين العمارة والصحراء غربي ابيدوس

ويمثَّل اوسيرس بهيئة انسان واكثر ما يرى قابضاً على محجن وهراوة من المراوات التي يضرب بها القمح ليفصل عن سنبلهِ · ولهُ زوجة هي ايسس وابن وهو هورس · والراجح ان اعتقاد هذه الصفات فيهِ نشأ في الدلتا اي الوجه البحري من القطر المصري وكان اعتقاد اهل ابيدوس بهِ في ايام الدول الاولى يختلف عن ذلك

ولم يكن لابيدوس اهمية سوى من الوجهة الدينية كما تقدم وهي قديمة جداً تذكر في مطلع عصر التاريخ المصري · وقد ذكر مانيثو الكاهن المصري الذي نظم اسماء الملوك المصريين في جدول يوناني وذكر فيهِ تاريخ كل منهم ان مينا اول ملك يعرفهُ التاريخ غادر عاصمتهُ ثيس في اواسط مصر واتى راس الدلتا فاختار مكاناً حوّل عنهُ مجرى النهر الى الشرق وبنى فيهِ عاصمتهُ الجديدة منف

وكانت ثيس هذه قريبة من ابيدوس وقد حقق الاثريون ان موقعها اكمة تعرف الآن بالبربة · وكان امير ثيس من اهم اركان الدولة في المملكة الجديدة · ولعلها كانت العاصمة السياسية والمدنية للكورة المحيطة بها ثم تغلبت عليها ابيدوس واخذت عظمتها

والادلة الاثرية تثبت رواية مانيثو ان اصل ملوك الدول الاولى من ابيدوس · واقدم ما عرف من الآثار المصرية واقع فيها وفي جوارها وهي الانقاض الباقية من عهد الدول الثلاث الاولى وكلها تدل على ان الملوك كانوا يبنون مدافنهم في ثيس

وعلى مقربة من الجبال التي هناك على نحو ميل من الارض المزروعة اكمة يسميها الاهلون بام القعاب لكثرة ما فيها من كسر الخزف او قعاب الخزف وقد اكتشف فيها ابنية من اللبن في وسط كل منها قاعة على جانبيها غرف تفضي اليها · ووجد في هذه الغرف قوارير واثاث والواح حجرية من نوع الصفاح وادوات من الصوان وكثير من الآثار غير هذه فاتضحت لنا منها مدنية الدول الثلاث الاولى · ومن اهم ما عثر عليهِ فيها اسماء الملوك في العالم

الآخر او بالحري اسماء انفسهم او اشباحهم العائشة فيهِ

ويطلق على هذه الاخربة اسم القبور وانا لا اوافق على ذلك لان الملوك لم يكونوا يدفنون في القاعات التي كانوا يعبدون فيها بل في غرف محاذية لها . ولكن اذا كبرت قاعة من هذه القاعات حتى صارت هيكلاً كبيراً كهيكل رعمسيس في الدير البحري دفن فيهِ اعوان الملك وكل من انتسب اليهِ في حياتهِ لان هؤلاء الاعوان يعدون ذلك فخراً لهم ولانهُ هو يود ان تحيط نفوسهم بنفسهِ في العالم الآخر

وعندي ان السبب الرئيسي الذي جعل ملوك الدول الاولى يقيمون معابد لانفسهم في ايبدوس هو ان معبودهم اوسيرس دفن فيها الاَّ انهُ لم يعرف باسم اوسيرس في ذلك الحين بل كان اسمهُ على ما في اقدم الكتابات ابواتو اي ممهد السبل او الدليل . وكان يمثَّل في الغالب على هيئة حيوان من نوع الكلب اي بصورة تقرب ان تكون صورة ابن آوى او كلب او ذئب او ثعلب . وكانوا يصورونهُ كذلك على اعلامهم . ثم تغير اسمهُ وبقيت هذه الحيوانات تعد مقدسة في ايبدوس حيث عثر على آلاف منها محنطة

ومن المحتمل انهُ كان لابواتو معبد بالقرب من هيكل اوسيرس الذي نراهُ الآن . وكانت نفسهُ تعبد هناك كما عبدت نفس اوسيرس من بعدهِ في الهيكل الذي اقامهُ ستي الاول لعبادتها . وحيث ورد في الكتابات القديمة ذكر قبر اوسيرس فالمراد معبد نفسهِ كما انهم كانوا يقولون قبر رعمسيس وهم يريدون معبد نفسهِ لا القبر الذي فيهِ جسمهُ لان قبرهُ الحقيقي كان في وادي الملوك وقد عثر عليهِ هناك محنطاً ولم يدخل الى المعبد قط . واذا ذكروا ان رأس اوسيرس وحدهُ دفن في ايبدوس فمعناهم في ذلك على ما ارى ان عوذة من العوذ التي كانت تتخذ على هيئة رأسهِ دفنت هناك مع تمثالهِ . وقد عثر على كثير من هذه الرؤوس او العوذ في القبور وكان اعتقاد المصريين انها تقي جسم الميت

ومؤسس هيكل اوسيرس هو ستي الاول ثاني ملوك الدولة التاسعة عشرة وابو رعمسيس الثاني . وكان هذا الهيكل في اول امرهِ رواقين بلا سقف يدخل منهما الى دار يقوم سقفها على ثلاثة صفوف من الاعمدة . وتفضي هذه الدار الى سبع غرف مقببة تختص كل منها بمعبود والثلاث الشمالية منها تختص باوسيرس وايسس وهورس . ومن غرفة اوسيرس يدخل الى المعبد المختص بهِ وهو دار قائمة على عشرة اعمدة وفي جوانبها غرف كثيرة . وفي احد اجنحة هذا الهيكل الجدول المشهور الذي فيهِ اسماء الملوك من مينا الى ستي الاول ونقوشهُ

من ابدع النقوش المصرية و بعضها ملون بالالوان الزاهية · وقد بنى رعمسيس الثاني داراً الى جنب دار ابيهِ ولكنها مثل كل ما عملهُ اي انها اقيمت بسرعة ولم يدقق في اتقانها فالفرق كبير بينها و بين دار ستي الاول · وكان اوسيرس يعبد في هذه الدور والغرف وتعبد فيها ايضاً الآلهة التي يسمح هو بادخالها في هيكلهِ ويخصص لكل منها غرفة · ولكن ايُّ هذه الغرف هي غرفتهُ الخاصة

يجب ان تكون هذه الغرفة تحت معبدهِ وذلك قياساً على ما وجد في الدير البحري · فقد اكتشف تحت هيكل منتوحتاب من ملوك الدولة الحادية عشرة غرفة متقنة البناء فيها مزار يشغل اكثرها مبني من المرمر وليس عليهِ نقش ولا كتابة · ووجد امامهُ قوارب عليها صور وقطع اسلحة خشبية ومنسوجات و بقايا من التقدمات التي كانت تقدم هناك · ولا يمكن ان يكون هذا المزار قبراً اذ لم يعثر فيهِ على تابوت وهو فوق ذلك لا يسع ناووساً حجريًّا ولو كان قبر ملك لوجب ان يسعهُ · فكان يوضع في المزار تمثال لاحد الملوك فيقدم لهُ الكهنة التقادم و يذكرونها على نصب حجري اما مومياء الملك فتوضع في غرفة مقفلة لا يدخلها احد · وقياساً على ذلك ارى ان نفس اوسيرس كانت تعبد في غرفة تحت هيكلهِ

وقد عثرنا على مدخل هذه الغرفة وسنرفع الردم منهُ في فصل الشتاء القادم ونصل الى الغرفة التي كانت نفس اوسيرس تقيم فيها على زعمهم · وارجح اننا لا نعثر على تحف تزان بها المعارض ولكن سنتمكن من حل معضلات كثيرة تاريخية وفنية ودينية

وحول هيكل اوسيرس في ابيدوس مقبرة كبيرة اكتشفت فيها الوف من القبور ومؤرخو اليونان يقولون ان هذا الهيكل هو قبر اوسيرس حيث دفن رأسهُ · فلا بد اذن من ان يكون تحتهُ قبر او معبد تعبد فيهِ روح هذا المعبود او روح ملك دفن جسمهُ في وادٍ بعيد عن المكان

وكان الاستاذ بتري قد كشف عن نفق بالقرب من الهيكل يفضي الى غرفة صغيرة · وعلى جداري النفق وجدران هذه الغرفة كثير من الصور والكتابات من كتاب الاموات واسم منفتاح بن رعمسيس الثاني · وفي آخر النفق عند مدخل الغرفة باب في جهة الهيكل وقد حفرنا الردم من هذا الباب فاذا هو مدخل نفق آخر طولهُ نحو ٤٥ قدماً وعلى جدارهِ الى يمين الداخل الفصلان الاول والسابع عشر من كتاب الاموات وعلى الجدار الآخر

الفصلان التاسع والتسعون والمئة والسادس والاربعون والاعتراف النافي · ويظهر ان هذه الكتابات نقشت هناك بعد بناء النفق بزمن لا حين بنائهِ · والكتابة التي على الجدار الايمن تقرأ من اسفلها صعداً اما الكتابة على الجدار الايسر فاولها عند آخر النفق وتقرأ من اعلاها نزولاً

ولما وصلنا الى آخر النفق عثرنا على غرفتين واحدة الى اليمين وواحدة الى اليسار ووجدناهُ ينتهي بجدار سمكهُ ١٢ قدماً يفصل هاتين الغرفتين عما وراءها من الغرف في جهة الهيكل · وفي هذا الجدار عتبة كبيرة طولها ١٥ قدماً · وارجح ان البناء كان ظاهراً فوق الارض من بعض جهاتهِ ومسقوفاً بالرضام ومن فوقها الرمل حتى يصبح منظرهُ كمنظر مصطبة كبيرة

وقد افرغنا احدى هاتين الغرفتين فاذا جدارها الشرقي محكم البناء من الحجارة الكبيرة يشبهُ بناؤُهُ بناء الاهرام التي تنسب الى هيكل ابي الهول · ويظهر انهُ اقدم من هيكل ستي ولعلهُ من بقية المعبد القديم اذ لا شك في انهُ كان هناك معبد في ايام الدولة الثانية عشرة ان لم يكن قبل ذلك والاَّ فما معنى كثرة القبور هناك من عهد الدولة الثانية عشرة والدولة الثالثة عشرة · ثم كشفنا عن غرفتين وراء هذا الجدار وسنوالي البحث الى ان نصل الى تحت الهيكل وليس امامنا الآن انفاق بل غرف يفضي بعضها الى بعض

ولدينا مسألة لم تحل بعد وهي هل هذا المعبد هو اقدم معبد لاوسيرس؟ ولا بد من القول بانهُ كان هناك معبد مهم لالهٍ عظيم في ايام الدولـــ الاولى والاَّ لما بنى ملوكها قبورهم في ام القعاب

ولكن متى بدئ بعبادة اوسيرس في ايدوس ومتى تغير اسمهُ من ابواتو الى اوسيرس؟ معنى ابواتو ممهد السبل او الدليل وذلك كان اسمهُ لما كانت صورتهُ شعاراً لعبدتهِ الفاتحين يتبعونهُ في زحفهم الى الشمال · ومعنى اوسيرس من يصنع مجلساً او مسكناً · ولعل اسمهُ تغير من ابواتو الى اوسيرس عند ما بني معبدهُ في ايدوس · فاذا ثبت ذلك هان علينا معرفة السبب الذي من اجلهِ اتخذ ملوك الدول الاولى ايدوس مباءة لهم ولماذا يقال ان مينا نشأ فيها · وقد توضح لنا حفريات الشتاء القادم شيئاً عن ذلك ولكن علينا بالتحفظ في احكامنا ونبوءاتنا الآن

الدماغ والتعليم

ما دام العلم حياة الانسان مفرداً ومجموعاً لا تزال الابحاث المتعلقة بطرق تحصيلهِ شغلا شاغلاً لاهل التفكير على مرّ الايام وموضوعاً دائراً بين تقليب الانظار ومحك الامتحان والتمحيص باختبار بعد اختبار الى ان ترسخ قواعدهُ على اوطد الاركان العلمية اي يصبح علماً باصول قانونية قائمة على دليل العقل الراجح وساطع البرهان

ولعلّ اساليب الدرس ومناهج تلقين العلم كان حظها من غوائل التقليد القديم والحديث ما يفوق سائر المفاسد من الشؤون البشرية الحيوية . بل ان اعلى الامم كعباً وارسخها قدماً في احراز العلم واسماها شأناً في مفاخر التعليم ما برحت الى الساعة اعظم جامعاتها وكلياتها عرضةً لنقد ارباب العلم الامتحاني نبراس اليقين ومحجَّة العقلاء

ومن مسارّ الحكماء ان مطالعي مثل المقتطف ومُتابعي مقالاتهِ العلمية الاجتماعية اصبحوا في الجملة على استعداد تدريجيّ للتسليم بالاحكام الطبيَّة في مطلق الشؤون والمباحث العائدة الى رقيّ الانسان وسعادة الحياة حتى يسوغ ان يُعدَّ علم الابدان سلطان العلوم الدنيوية سواءٌ كان من اتساع حدودهِ وتعدُّد فروعهِ وامتداد سطوتهِ ونفوذ حكمهِ في كل علم تشتغل بهِ قوى الانسان او في اسلوب بحثهِ وتقرير احكامهِ ولاسيما بعد ان اضحى الامتحان منهاجهُ والبرهان سراجهُ

فلا عجب اذا امسى البشر يوماً — ولعلّ هذا اليوم على الابواب — وهم لا يأ كلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يلبسون ولا يزوّجون ولا يتزوّجون ولا يعلّمون ولا يتعلمون ولا يديرون البلاد او يسوسون العباد — الاَّ بالقانون الطبي إِما من حيث الغايات والمطالب او من حيث الطرق والاساليب في الاعمال

هذا فن الدَّرس والتدريس : من كان يمرُّ لهُ في خيال من قديم الاجيال ان الاطباء اصبحوا فيهِ عمدة اهل التعليم العقليّ في تحديد الدروس ونظام التدريس حتى لم يعودوا — بسلطان الطب — يأذنون ببناء مدرسة مثلاً او تفويض رئاستها او تسليم ادارتها وتعيين مدرّسيها الاَّ بعد مراجعة القانون الصحي واحاطة عمَّالها بالقدر الكافي من تشريح الابدان وعلم النفس على الخصوص القائم على علم وظائف الاعضاء ولاسيما الجهاز العصبيّ وان شئت فقل اعصاب الدماغ

ولما كان من المفروض على اهل صناعتنا دوام النظر في شؤون الدرس والتدريس ومطالعة احدث ما يقرّرهُ اهل التحقيق العلمي في هذا الشأن الخطير لم نرَ لنا محيداً عن تلخيص ما عسى ان نعثر عليهِ من ذلك آناً بعد آن ونشرهِ على صفحات المقتطف المستغني في خدمة العلم الشريف عن الاطراء

ومن الغريب ان الولايات المتحدة وقد اصبح عَلَمُها ارض الغرائب ومطلع اقمار النوابغ والبدائه في انواع العلوم وضروب الاختراع اليومية الساحرة العقول فضلاً عن مفاخرها المدنية هي البلاد التي قام اليوم من كبار اطبَّائها من ينْعَون على جامعاتها الكبرى خططها في تنشئة اذهان ابنائها ويقيمون عليها الصيحات بألسنة الصحف العلميَّة السيَّارة الفُضلى حتى يخيل للقارىء كأن علمها تجهيل ونورَها ظلامٌ وتعليمها تضليل وكأن ذلك الارتقاء الهائل آخذٌ بالتراجع الى الدرك الاسفل من الانحطاط وكلُّ ذلك لشدة اليقين بمقام الدماغ وعلاقتهِ الضرورية بفلاح النوع الانساني على الاطلاق

وان كان هذا حال مثل هذه الصروح العلمية بل الشموس العقلية في مثل هاتيك الديار الاميركية في نظر اهل العلم الصحيح وتلك هي حاجتها الى اصلاح التعليم العقلي فما قولك في مثل هذه الاقطار الشرقية وحال العلم والتعليم فيها على الاجمال ما تعلمهُ وتراه ؟ دَعْنا هذه الآونة من المقابلة والتنظير ولتأذن العين للقلم بنهزةٍ يسطّر فيها قطرة مما يجول في خواطر اهل العلم من مهمات هذا البحث وللاجفان بعد ذلك ان تبكي ما تشاء ان رأت جدوى من البكاء وسلوى عن البلاء

كان تعريف التعليم قبل هذا العهد التحقيقي عبارةً عن « ابلاغ العلوم الى ذهن المتعلّم » وكان مقياسهُ الكمّ لا الكيف اي ان درجة المتعلّم كانت تقاس بمقدار ما يعيهِ من المعلومات كما تُقاس المقادير وتكال ولا عبرة بمجال الوعاء . ولا يزال جوهر هذا التعريف مدار الاعتبار للمدارس والمدرّس والدارس في اكثر اقسام المعمور . وعلى هذا القياس كان يتمشَّى الحكم على مبلغ الامم من الارتقاء العقلي والادبي والمدني في مطلق الاحوال اذ العلمُ والتعليم اساس كل رقي بلا جدال

ولم يتنبَّه العقلاء الى فساد هذا المبدإ التعليمي الأمد ارتقى علم البسيكولوجيا (علم النفس) اولاً وعلم الفلسفة العقلية ثانياً تبعاً لارتقاء علم الفسيولوجيا (او علم وظائف الاعضاء) واطلق للعقل حريَّةُ التفكير في كل جليل وحقير وظهرت الحاجة الى تحديد قوى العقل

وخواص كلٍّ منها وإعمالها في مجالها الخاص ودائرتها المحدودة ٠ ه

فعكف ارباب البحث على تجديد النظر في مسائل العلم والتعليم ومبلغ ما يستفيده العقل وهو آلة التحصيل من القوة الذاتية حتى اقرُّوا بالاجماع على ان الغرض الرئيسي من التعليم تقوية العقل نفسهِ بقواهُ المختلفة وتوفيق موضوعات الدرس وكيفيَّات التدريس لاحوال هذه القوى حتى اصبحت المنزلة الاولى في باب التعليم للكيف والثانية للكمّ وبذلك يُعتبر المعلّم والمتعلّم جميعاً

وفي جملة ما حقّقوهُ مراعاة الحال العقلية لكل متعلّمٍ بمفردهِ في هذا الشأن ٠ وحكموا انهُ لا يجوز ان يأخذ الطالب بدرس قبل التثبُّت من احوال قواهُ العقلية بالفحص العلمي وقابليَّات كلٍّ منها لانواع المطالب ٠ وقضوا بان لا يُقام على تنظيم لوائح الدروس والتعليم فيها الأ كل من ثبت اضطلاعهُ الكافي بعلوم البسيكولوجيا والفيسيولوجيا والاخلاق ٠ وكانت خلاصة ما قرَّروهُ في تعيين المفلح من المتعلّمين لا مقدار ما يُحصّل ويخزن ويحفظ في الوعاء الذهني بل مبلغ ما حصلَ للعقل من قوَّة الاستقلال الفكري وتوجيه الذهن الى الموضوع المطلوب وسعة النظر بمجموع جهاتِهِ اليهِ وصحة الحكم فيهِ من باب الاستقراء والاستدلال مع تنمية قوة الاستنباط والابتداع الى آخر ما يتعلق بتقوية هذه القوى المتنوعة الاسماء والوظائف ٠ فكان قصارى ما انتهى اليهِ بحثهم في هذا المطلب الاعظم ان مبلغ الرقيّ في كل قبيل وكل جيل في مطلق الشؤُون البشرية من ادبٍ واجتماع واقتصادٍ وسياسة عائدٌ الى تطبيق التعليم على الاحوال الدماغية وان لا انحطاط ولا تقصير في ميدان الحضارة بالاجمال الأ من الاخلال بهذهِ الشريعة الطبيعية

وهذا هو المعنى المراد باسلوب التعليم او منهجهِ او خطتهِ لا (علم التعليم) المستقلّ الموضوع الذي يراد بهِ صناعة التعليم الخاصة من الالقاء والإفهام والشرح والتوضيح والتسميع ولا ما يدخل في هذه الابواب ويتصل بها من شؤُون التربية المشهورة مما يطلق عليهِ اجمالاً علم (البيداكوجي)

وقد افاضوا في شرح القوى الدماغية ووسائل تقوية كلٍّ منها واطالوا بايراد الشواهد والامثلة ايضاحاً للمقاصد في موَّلفات مستقلة ٠ ولكن فريقاً من المتلهبين غيرةً على مستقبل الامة لم يقتصروا من وفاء النصح والانذار على بيان الاضرار ولا وقفت بهم الهمة عند تقرير تلك الاصول العلمية بين دفَّات الكتب والاسفار خاصَّة المطالعين بل عمدوا الى نشر

الفصول الطويلة الاذيال على اجنحة المجلات الجليلة الشأن تبليغاً في تعم التنبيه الى خطورة الموضوع والاسراع الى تلافي الاخطار شأنهم في كل مسألة من المسائل الحيوية المتعلقة بارتقاء بني الانسان

هذا وان لم نقصد في هذه العجالة الاتيان على كل ما اردنا ايضاحهُ من هذا البحث المقصود بالذات يحسن بنا ان نودع المطالع الكريم بنقل فقرات من اقوال من اعتمدناهم في تسطير هذه المقالة تشويقاً لما ننوي استيفاء الكلام فيهِ من اركانها على ما يأذن الامكان والمقام

قال معتمدنا النطاسي الاجتماعي الكبير تنبيهاً على جلالة شأن الموضوع «قد اصبح من الجلي الواضح وضوح الصبح لذي عينين ان في تنازع الامم على البقاء لا ينال اكليل الفوز والنجاح الاَّ الامة التي يرتقي في افرادها قوة الدماغ الى الحد المطلوب . » ثم قال نقلاً عن روسو «ان الاطباء لا الفلاسفة ينبغي ان يكونوا ارباب الرأي والشأن في مسائل التعليم والتربية والتهذيب » . ثم قال «اننا نتنبأ ولا نخشى لنبوءَتنا تكذيباً بان في المستقبل القريب سيكتب الفوز الاعلى والنصر المبين في جهاد الحياة للمدرسة والامة التي تعير احسن الثقات لدرس الدماغ الذي عليهِ وحدهُ يقوم بناءُ صرح المدنية ويتوقف تقدُّم النوع الانساني وارتقاؤُهُ الى اوج السعادة والرفاه . ولا مبالغة اذا قلنا ان مقياس تمدننا اليوم ينبغي ان يكون مقدار اجتهادنا في تحصيل المعرفة الاوسع حدوداً والاجلى وضوحاً المتعلقة بالدماغ ووظائفهِ على قصد ان نوصل قوة الجنس المفكرة الى اقصى حدود العمل والنفع . . . لأن الفكر والسيرة ليسا الاَّ مظاهر وجود الدماغ والجهاز العصبي واثر من آثارهما الخ» وختام هذه الفقرات الخالدات قولهُ

«ان كان الدماغ هو العضو الوحيد بل السيف القاطع في محاربة الجهل فمن نقائص مدارسنا الكبرى انها لا تزال الى الآن قليلة الالتفات الى درس هذه العُدَّة الحربية الضرورية في ساحة هذا النزال »

مترى قندلفت

ميزانية الدولة العلية

قدمت نظارة المالية ميزانية الدولة العلية لسنة ١٣٣٠ الى مجلس المبعوثان فاحالها الى اللجنة الخاصة بالمالية لتبحث فيها وتدقق · وقال جاويد بك ناظر المالية في بيانهِ الذي عرضهُ على المجلس ان الخلل الذي طرأ على ميزانية سنة ١٣٣٠ خلل وقتي يصلح في السنة القادمة على النحو التالي

اولاً لان حصة الديون العمومية من ولايات الروملي التي تزيد على مليون ليرا سترفع عن عاتق الدولة في اثناء الاجتماع المقبل الذي يعقدهُ المؤتمر المالي في باريس

ثانياً لان الثلاث مئة والثلاثة والثمانين الف الليرة التي لشركة بغداد سنة ١٣٢٤ وسنة ١٣٢٨ ادخلت في ميزانية هذا العام فتتخلص الدولة منها طبعاً في السنة المقبلة

ثالثاً لان الاقساط التي تضطر الدولة الى دفعها سنوياً والتي تزيد عن مليون وثماني مئة الف ليرا ثمن الدارعة سلطان عثمان تنتهي قبل سنة ١٣٣٤ فلا تدخل في ميزانية الدولة بعد ذلك التاريخ

قال وقد انقضى زمن عقد القروض لسد عجز الميزانية وما علينا بعد الآن الاَّ مفاوضة اوربا في اصلاح البلاد واستثمار موارد الرزق المتوفرة فيها · وتكلم عن مستقبل الدولة المالي فقال

ان مستقبل الدولة المالي لا يوجب يأساً بل هو يدعو الى الارتياح للاسباب التالية

اولاً لان المصائب العظيمة التي انتابت الدولة في العامين الماضيين لم توءثر في ايراداتها التي كانت تزيد زيادة منتظمة مع تلك الحال الحرجة

ثانياً لان ايرادات الدولة ستزيد زيادة عظيمة ومطردة في المستقبل بفضل الاصلاح الزراعي الذي نفذ بعضهُ وسينفذ البعض الآخر ايضاً ذلك في قونيه واطنه وضواحي الجزيرة

ثالثاً لان سكك الحديد الجديدة التي تقرر مدها في الولايات العثمانية لوصل هذه الولايات بعاصمة الملك ستأتي بايرادات عظيمة للدولة في المستقبل

رابعاً لانهُ بات في حكم الامكان ان الدول العظمى تترك للدولة العلية الحرية في وضع تكاليف (رسوم وضرائب) جديدة لا تقل ايراداتها عن ثلاثة ملايين ليرا في العام

وهذا هو جدول المصاريف في ميزانية سنة ١٣٣٠ على سبيل التخمين

الديون العمومية [1]	١١ ٥٣٠ ٧٢٨	ليرة عثمانية
معاشات التقاعد	٣ ٥٠٠ ٠٠٠	« «
مخصصات العائلة المالكة	٥٥٧ ٧٠٠	« «
المجلس العمومي	١٨٥ ٦١١	« «
نظارة المالية	٢ ٣٨٣ ٥٥٩	« «
ديوان المحاسبات	٢٥ ٠٧٠	« «
الرسومات	٣٩١ ٣٥٥	« «
نظارة البوستة والتلغراف والتلفون	٧٢٤ ٢٢٣	« «
« الدفتر الخاقاني	١٠٥ ٦٢٠	« «
الصدارة العظمى	٢٧ ٢٦١	« «
نظارة الداخلية	١ ٠٤٤ ٦٥٢	« «
مديرية الصحة	١٢٨ ٠٦٨	« «
« الامن العام	٤٩١ ٨٤٣	« «
مجلس شورى الدولة	٢٤ ٥٦٢	« «
نظارة الخارجية	٢٦٣ ٦٨٤	« «
« العلية (مشيخة الاسلام والاوقاف)	٤٢٤ ٨١١	« «
« العدلية	٦٦٩ ٣٠٠	« «
« المعارف	٥٥٤ ٥٩٢	« «
« النافعة (الاشغال العمومية)	٥٥٧ ٣٢٣	« «
« التجارة والزراعة	٣٩٧ ٣٢٩	« «
« البحرية	١ ٣٣٨ ٩٣٢	« «
« الحربية	٦ ٠٠٠ ٠٠٠	« «
الانشاءات الحربية	٤٥٠ ٦٦٧	« «
الجندرمة	٢ ٢٣٠ ٧٢٠	« «
مجموع المصاريف	٣٤ ٠٠٧ ٦٦٩	« «

(١) وهو يشمل ٣٠٠٠٠٠٠ ضمانات سكك الحديد و٦٠٠٠٠٠ للفنارات و٧٨٠٠٠٠ لنفقات ادارة الديون العمومية و٢٥٠٠٠٠٠ اقساط سندات تنتهي سنة ١٩١٥ و١٩١٧

وقد قدرت الايرادات بمبلغ ٤٦٨ ٩٢٢ ٣١ فيكون العجز في الميزانية ١٥١ ٠٨٥ ٢ ليرة

وهاك اهم ابواب الايرادات وتقدير دخل كل منها على وجه التقريب

ويركو الاملاك	٣٫٥٠٠٠٠٠	ليرة عثمانية
الاعشار ومن ضمنها اعشار الدخان والحرير	٧٠٠٠٠٠٠	« «
تعداد الاغنام	٢٠٠٠٠٠٠	« «
الكمارك	٥٠٠٠٠٠٠	« «
احتكار الملح	١٠٠٠٠٠٠	« «
ادارة الرجي (للدخان والتنباك)	١٠٠٠٠٠٠	« «
ضريبة الحرب	١٥٠٠٠٠٠	« «
عوائد منح الرخص والامتيازات	٥٠٠٠٠٠	« «
ويركو مصر وقبرس	٨٥٠٠٠٠	« «
عوائد التسجيل ونقل الملكية والتركات	١٥٠٠٠٠٠	« «
التمغة	٥٠٠٠٠٠	« «
مصلحة الدومين	٥٠٠٠٠٠	« «

وقد اضطرت الحكومة غير مرة بعد اعلان الحرب البلقانية الى عقد السلفات لسد حاجتها الى المال وهاك السلفات التي عقدتها منذ سنة ١٩١١ الى حين عقد القرض في باريس

استلفت من بنك الريجي سنة ١٩١١ مبلغاً كبيراً من المال بفائدة ٥ و ٧½ و ٩ في المئة واستلفت من ناسيونال بنك مليوناً ونصف مليون ليرة انكليزية بفائدة ٥½ في المئة وبحساب المئة ٩٨½ . ولما حان ميعاد الدفع وتأخرت عنهُ بسبب اعلان الحرب البلقانية جُعلت الفائدة ٩ في المئة

وفي سنة ١٣٢٨ سعى نايل بك ناظر المالية حينئذٍ فعقد قرضاً مع البنك العثماني بخمسة وعشرين مليون فرنك واستلف اربعماية الف ليرا انكليزية بفائدة ٥ في المئة ولكن تأخر الحكومة عن الدفع لعدم النجاح في عقد القرض رفع الفائدة الى ٩ في المئة ثم اصدر في ١٩ حزيران (يونيو) سنة ١٣٢٨ تحاويل على الخزينة بمبلغ ٢٧٢ الف ليرا انكليزية بفائدة ٩ في المئة . واستلفت الحكومة مئتي الف ليرا انكليزية من شركة الريجي واصدرت تحاويل على الخزينة بمبلغ ٢٦٥ الف ليرا ورهنت اوراق سكك حديد الاناضول وبغداد مقابل ٣٢٠ الف ليرا استلمتها من البنك العثماني و٢٣ الف ليرا من الدتش بنك (البنك الالماني)

وبات موقف الدولة حرجاً جدًّا بعد سقوط وزارة كامل باشا ولكن رفعت بك الذي قبل نظارة المالية في ذلك الحين تمكن بعد جهد جهيد من عقد سلفة قدرها ٢٢٤ الف ليرا مع شركة سكة حديد بغداد و ٥٠٠ الف ليرا مقابل اطالة امتياز الفنارات خمساً وعشرين سنة وباع قشلاق تقسيم وبناء بورصة غلطه بيعاً وفائيًّا بخمس مئة الف ليرا واصدر عدة تحاويل على الخزينة . واستلف من الديون العمومية في شهر مارس سنة ١٣٢٩ مبلغ ٤٢٥ الف ليرا وفي شهر مايو ٢٠٠ الف ليرا وفي شهر حزيران (يونيو) ٢٠٠ الف ليرا ايضاً وفي تموز (يوليو) ٢١٤ الف ليرا

واستلفت من ادارة الريجي مليوناً وخمسين الف ليرا مقابل اطالة امتيازها خمس عشرة سنة ومن الديون العمومية مليوناً وتسع مئة الف ليرا ومن البنك العثماني مئة الف ليرا ومن شركة الريجي مئة الف ليرا ايضاً

واستلفت الحكومة في شهر شباط (فبراير) سنة ١٣٢٩ مبلغ ٢٥٠ الف ليرا من البنك العثماني و ٢٠٠ الف ليرا من سكة حديد الاناضول و ٦٢ الف ليرا من بلدية الاستانة و ٣٠٠ الف ليرا من البنك الزراعي . وباعت في ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٣٢٩ لبنك بيريه تحاويل على الخزينة بمئة مليون فرنك

وعادت فاستلفت من الديون العمومية في شهري مارس ونيسان (ابريل) سنة ١٣٣٠ مبلغ ٥٣٥ الف ليرا ومن ادارة الريجي ٤٠ الف ليرا ومن بنك سلانيك ٦٠ الف ليرا . ثم وفقت الى عقد القرض الكبير في باريس في اوائل شهر نيسان الماضي (ابريل) لايفاء الديون السائرة كلها

واذا اعتمدنا على احصاء الديون العثمانية الى ١٤ سبتمبر الماضي وجدنا انها اقل مما يتبادر الى الذهن من التفصيل السابق واستغربنا لماذا يخصص لايفاء فوائدها اكثر من سبعة ملايين من الليرات فقد جاء في الاحصاء المشار اليهِ ان هذه الديون اقل من ١٢٩ مليون ليرة عثمانية كما ترى في هذا الجدول

الدين المضمون بويركو القطر المصري	١٨٠٣٠٣١٠	ليرة عثمانية
الدين المضمون ببعض ايرادات الحكومة	٨٤٣٥٧٤٩٢	« «
الديون السائرة	٢٦٤٤٦٦٨٤	« «
والجملة	١٢٨٨٣٤٤٨٦	

ولا يخفى ان الدين الاول لا شأن للولايات العثمانية فيهِ لان القطر المصري متعهد

بايفائهِ فائدةً واصلاً فيبقى على الحكومة العثمانية ١٧٦ ٨٠٤ ١١٠ ليرة عثمانية او نحو مئة مليون ليرة انكليزية

فدين الحكومة العثمانية كان في ١٤ سبتمبر الماضي اقل من دين الحكومة المصرية مع ان سكان الولايات العثمانية مضاعف سكان القطر المصري واراضيها اوسع جدًّا فتزيد خيراتها على سكانها. نعم ان معدل الفائدة في الدين العثماني اعلى من معدل الفائدة في الدين المصري ولكن اذا صلحت حال البلاد العثمانية واستتبَّ الامن فيها لم يتعذَّر تحويل ديونها وتخفيض فائدتها حتى تصبح اربعةً في المئة مثلاً

ثم ان حروب البلقان الاخيرة سلخت عن الحكومة العثمانية بلاداً مساحتها ٥٥ الف ميل مربع وعدد سكانها اربعة ملايين و ٢٣٩ الف نفس او أكثر من سدس سكان السلطنة فلا بدَّ من تحميلهم جانباً من الديون العثمانية على نسبة عددهم وهذا يخفف حمل الدين على سائر الولايات. وهب ان الحكومة العثمانية استطاعت ان تقترض اربعين مليون جنيه اخرى فوق ما اقترضتهُ حديثًا لايفاء الديون السائرة حتى صار دينها مئة وخمسين مليون ليرة عثمانية فلا يبهظ حملهُ عاتق الاهلين اذا تناولت القرض الجديد رويداً رويداً واستعملتهُ في اصلاح البلاد وتثمير خيراتها الطبيعية. ولكن الدين يجلب معهُ المراقبة الاجنبية والغطرسة الاجنبية والتحكم في موارد الثروة واصحابها فتنجو البلاد من ورطة الفقر لتقع في ورطة الاستعباد لاناس غير مسؤولين عن افعالهم وهناك البلية الكبرى

وعندنا انهُ لو جمعت الحكومة العثمانية مجلساً من عشرة من أكبر علماء الاقتصاد السياسي في اوربا واميركا واستشارتهم في هل تسير الهوينا في اصلاح بلادها فتعتمد على الاقتصاد التام الى حد التقتير في ما يمكن الاقتصاد فيهِ من النفقات وتستعمل ما يتوفَّر لديها سنويًّا في اصلاح بلادها وتسهِّل على رعاياها اصلاح شؤونهم بانفسهم او هل تستدين الاموال من اوربا وتنفقها على اصلاح بلادها باسرع ما يمكن وتحمل ما يضطر ان يتحملهُ المستدين من الدائن . لو فعلت ذلك لاشار أكثر اولئك العلماء باتباع الطريقة الاولى لانها اسلم عاقبة من باب سياسي اقتصادي من الطريقة الثانية لاسيما وان بين رعاياها ثلاثة اصناف من الناس لا اقدر منهم بين امم الارض على تدبير الاموال واكتساب الرزق وهم الارمن واليهود والسوريون . وقد اشتهروا بذلك منذ الوف من السنين ولا يزالون مشهورين بهِ. والفريق الثاني منهم وهو اليهود ملكوا الخافقين وفي يدهم سياسة اوربا المالية وقد بلغ عددهم الآن في مدينة نيو يورك باميركا مليون نفس وكادوا يقبضون على موارد رزقها . والارمن

والسوريون يفلحون في كل بلاد يهاجرون اليها فهل تموت هممهم اذا اقاموا في بلادهم واطلقت لهم حرية القول والعمل هذا امر غير معقول

ولكن اقل امتياز لزيد على عمرو يضعف همة عمرو و يثبط عزيمتهُ وهذا الامتياز هو الذي اضعف الارمن واليهود والسوريين في بلادهم وسيزيدهم ضعفاً اذا دخل الاوربيون البلاد مسلحين بالامتيازات الكثيرة وبما وراءهم من بوارج دولهم ومدافعها وحينئذٍ يضطر السكان الى الخنوع او تعود المناظرة بين الشرق والغرب الى تحكيم السيف والمدفع

حاجتنا الكبرى

من مزايا الحكومات الراقية انها تختار اقدر رجالها لادارة امورها . تختار اذكاهم عقلاً واوسعهم علماً واصوبهم رأياً فتستفيد البلاد منهم ما يستفيدهُ كل مَن يعتمد في قضاء امورهِ على اعقل الناس واعلمهم واوسعهم خبرة . ومن اعظم الرجال الذين اختارتهم البلاد الانكليزية لتولي امورها وهو الآن ناظر الحقانية فيها المحامي الكبير لورد هولدين فانها جعلتهُ اولاً ناظراً للحربية فاصلح امور تلك النظارة اصلاحاً لم ترَهُ من قبلُ ثم جعلتهُ ناظراً للحقانية وهو المنصب الذي تأهَّل لهُ بالعلم والعمل سنين كثيرة . وقد قرأنا لهُ الآن مقالة موضوعها حاجتنا الكبرى (Our greatest need) وهو يريد حاجة بلاد الانكليز . ولكن ان كان ما اشار اليهِ فيها وبنى عليهِ كلامهُ يعدُّ حاجة كبرى للبلاد الانكليزية فهو لنا نحن معشر المشارقة حاجة ضرورية لا بدَّ منها . فاقتطفنا من مقالتهِ الفقرات التالية قال

ان الحكومة الانكليزية عازمة ان تقيم التعليم في بلادها على اسس وطنية ثابتة فاذا استطعنا ذلك نكون قد فعلنا ما نحن محتاجون اليهِ لانهُ ما من شيءٍ في هذه البلاد يقابل باصلاح التعليم لما لهُ من المساس التام بمصالحنا العمومية والخصوصية واذا أُصلح مكَّننا من اصلاح سائر امورنا الاجتماعية . ان وسائل المعيشة هي الاولى وبعدها لا شيء امسُّ بمصادر قوتنا من مقدار معارفنا ونوعها فعليها يتوقف فلاحنا في التجارة وبها نصير امَّة متكافئة . فاننا حسب الظاهر والعرف امَّة متساوية في الحقوق متكافئة في المرافق ولكن ما دام ابن الفقير لا يتساوى بابن الغني في تمهيد سبيل العلم لهُ فلا يحق لنا ان ندَّعي المساواة . العلم هو الذي يمهد السبيل لهذا التساوي ويجعل الولدين الفقير والغني في مستوًى واحد لا يخفض ابن الغني حتى يهبط الى مستوى ابن الفقير بل يرفع ابن الفقير حتى يعلو الى مستوى ابن الغني .

فتى شعر كل ولد في هذه المملكة (كل ابن وكل ابنة) ان الحكومة بذلت اقصى جهدها لكي يتعلم العلوم الضرورية لهُ لاتقان ما يتعاطاهُ من الاعمال فحينئذٍ تأخذ الفوارق التي بين طبقات الناس في الزوال رويداً رويداً ويزول معها ما نراهُ الآن من الاختلاف بين الذين يشتغلون بعقولهم والذين يعملون بايديهم ويقترب الناس بعضهم من بعض وتُحكم عرى الالفة والوداد بينهم . فالتعليم الوطني العمومي هو الذي نحتاج اليهِ وهو الذي تسعى الحكومة لتحقيقهِ

واننا لفي اشد الحاجة فوق ذلك الى مناهضة مقاومي التعليم بالتعليم . فان البعض من الطبقات العليا بيننا لا يزالون يعتقدون ضرر التعليم وانهُ احبولة يقع فيها الشبان فتحملهم على العُجب بانفسهم والترفع عن العمل . لكن اعتقادهم هذا غير ضائر الآن في تثبيط الهمم . والذي يضرُّ حقيقةً هو ان ارباب الاعمال لا يعرفون قيمة العلم في انجاح اعمالهم فقد تأخرنا بسبب ذلك عن المانيا واميركا ثلاثين عاماً في صنائعنا ومتاجرنا . وما من بلاد من البلدان الصناعية الكبيرة يحتقَر فيها شأن الاستعداد العلمي وفائدتهُ للصناعة كالبلاد الانكليزية . ولقد انتزع منا مناظرونا صناعات كثيرة لانهم اعتمدوا على الاساليب العلمية اكثر مما اعتمدنا

قال احد الاساقفة منذ عشر سنوات ان انكلترا تحتقر المعارف فكان لقولهِ رنة كبيرة في البلاد لانهُ من اوسع الناس خبرة واصوبهم رأياً . ولقد نهضت البلاد نهضة كبيرة في سبيل التعليم منذ عشر سنوات الى الآن ولكننا لا نزال كما وصفنا كسالى متطرفين في الاعتماد على ما كسبناهُ بمزاولة الاعمال نحسب طلب العلم تنازلاً منا . وعندنا عقبة كؤُود في سبيل نشر المعارف وهي الاختلافات الدينية حتى اذا بحثنا في التعليم في مجلس نوابنا جعلنا مدار بحثنا على ما لا شأن لهُ في التعليم . فذلك مع ما في اسلوب التعليم الجاري عندنا من التعقيد جعلنا نستصعب الاهتمام بهِ واحلالهُ محلهُ من الاهمية في مصالح الامة . ولولا النهضة التي نهضتها البلاد بمساعي هكسلي وارنلد وفوستر منذ خمسين سنة لكانت حالنا اسوأ كثيراً (وهنا ذكر مقدار النجاح الذي نجحتهُ البلاد الانكليزية في اتقان التعليم وتعميمهِ من ذلك الحين الى الآن بالمقابلة بين عدد التلامذة حينئذٍ وعددهم الآن وعدد المعلمين الحائزين على الشهادات حينئذٍ وعددهم الآن وما كانت تنفقهُ الحكومة على التعليم حينئذٍ وما تنفقهُ الآن الى ان قال)

وادل دليل على التقدم الذي تقدمناهُ انشاء مدننا الكبيرة للمدارس الجامعة كلندن وبرمنجهام ومنشستر ولفربول وليدس ودرهم وشفيلد وبرستول . فان هذه الجامعات انشأتها الغيرة الوطنية لسدّ حاجة وطنية ولها غرضان مهمان الاول تعليم العلم لذاتهِ والثاني تطبيق العلم

على العمل او استعمال العلم في الاعمال المتبعة في تلك المدن وبها تتعلَّم البلاد كلها ان العلم ضروري لذاتهِ وضروري من حيث استعمالهُ في الاعمال فلا يفلح اهل صناعة ما لم تؤسس على المعارف العلمية . وان الاختصاصي المفلح هو الذي لهُ المام بكل العلوم ولا تقوم العلوم العملية الاَّ اذا بنيت على اساس علمي راسخ في المدارس الجامعة . فمهندسونا ومحامونا ومديرونا ومخترعونا لا يستطيعون ان يسبقوا غيرهم او ان يجاروا غيرهم ما لم ترسخ في عقولهم المبادئ العلمية حتى اذا عرضت لهم المصاعب والمشاكل التي لا بد من ان تعرض لهم دواماً يعرفون كيف يحلونها بتلك المبادىء . المعارف الصناعية المكتسبة بالخبرة والمزاولة لازمة نافعة ولكن المبادئ العلمية الزم منها وانفع ولا بدَّ من هذه للنجاح في تلك . وهي لا تنال الاَّ اذا تعلمت الامَّة وتربت تربية علمية . وهذا التعليم وهذه التربية تقوم بهما الجامعات التي انشأتها المدن . اليها يذهب الشاب الراغب في العلم فيجد فيها ضالتهُ

لما كنت في نظارة الحربية دهشت لما رأيت ١٣ في المئة من الجنود اميين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة . فكيف حدث ذلك وهم قد تعلموهما في المدارس الاولية . خرجوا من تلك المدارس وليس لهم سبيل لدخول مدارس اعلى منها ولا عمل يستدعي حفظ ما تعلموهُ فاهملوهُ ونسوهُ وصار علينا ان نعلمهم القراءة والكتابة من جديد . وهذا يدل على ان المدارس كلها يجب ان تكون حلقات متصلة من الاولية الى الجامعة . فالمدارس الاولية لا تفيد الفائدة المقصودة ما لم توصل الى المدارس الابتدائية وهذه الى المدارس الثانوية او الصناعية او الجامعة . فالمدارس الجامعة والصناعية والثانوية يأتيها التلامذة من المدارس الابتدائية من الذين تظهر فيهم الرغبة في العلم او الصناعة . والمدارس الابتدائية تعلم كل تلامذة المدارس الاولية وتعدهم لما يختارونهُ من الاعمال والمطالب

ومقام بريطانيا بين الامم المناظرة لها في العزة والمنعة يتوقف على تعليم اولادها حتى يتمكنوا من مباراة مناظريهم

قد نعرف قوة اعدائنا ظاهرين كانوا او مختفين ونقدرها قدرها ولكن يبقى امامنا عدو آخر الدُّ من كل الاعداء وافتك وهو الجهل او الجمود العقلي والاكتفاء بالذكاء الفطري والاستسلام للصدَف والاكتفاء بالاساليب المألوفة حيث يعتمد مناظرونا على الاساليب العلمية وينظمون امورهم بالتعقُّل والتروي واخذ الاهبة للمستقبل

الكيماوي الالماني والاستاذ الالماني والمدير الالماني الذين يشتغلون في معاملهم ومدارسهم ومكاتبهم غير منظورين هم الذين يهددون مركزنا بين امم الارض اكثر من اسطول كبير

من المدرعات . وعلينا ان نقابلهم في الميدان الذي هم فيهِ ونستعد استعدادهم ونحاربهم بسلاحهم بجعل انفسنا اكفاء مثلهم . وهذا العمل شاق ونفقاتهُ كثيرة ولكن كل درهم ينفق فيهِ هو انفاق ضروري شريف لا شائبة فيهِ . ولا سبيل لنا لدفع الخطر الذي يتهددنا الاّ اذا فعلنا كما فعلت المانيا فحلت مشاكلها واصلحت امورها بعد ان وقفت ذليلة خانعة امام نبوليون الاول . والذي نجّى المانيا رجال مثل فخت وهمبلت اللذين ناديا بوجوب التعليم العام فان ذلك هو الفاعل الاكبر في ابلاغها المنزلة التي بلغتها بين ممالك الارض . وعلينا نحن ايضاً ان نعلم ان مستقبلنا متوقف على تعلمنا . انتهى

وفي مقالة لورد هولدين عبارة حرية بالنظر وهو انهُ لا بدَّ من الحصول على وسائل المعيشة الضرورية اولاً قبل نشر التعليم العام والتوسع فيهِ للوصول الى مقام رفيع بين امم الارض فاذا لم تتوفر وسائل المعيشة ولو الضروري منها اي اذا لم تستطع الامة ان تجد كفافا من الخبز لتأكل فمن العبث ان تحاول التعليم لمباراة الامم العظيمة

فوائد من اخبار القضاة

قرظنا منذ عهد غير بعيد كتابًا جليلاً في اخبار قضاة مصر أُنفق على طبعهِ من الاموال التي تطبع بها الكتب الشرقية تذكاراً للمرحوم المسترجب . والكتاب لابي عُمَر محمد بن يوسف الكندي المتوفَّى سنة ٣٥٠ فما نقلهُ فيهِ من الاخبار واسندهُ الى رواة كثيرين يصحُّ الاعتماد عليهِ غالبًا ولاسيما اذا كان غير مناقض لامور مقررة ولو كان تاريخهُ سابقًا لعهدهِ مئتي سنة او ثلثمئة سنة

قال ان عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بن العاص ان يولي القضاء كعبًا بن ضنَّة الذي حضر فتح مصر وان كعبًا هذا كان حكَمًا في الجاهلية فقضى بمصر شهرين . وفي ذلك اشارة الى ان الحكَم غير القاضي ولو من باب الاحتمال

وقال قبل ذلك ان اول قاضٍ قضى بمصر قيس بن ابي العاص ولاهُ القضاء عُمَر بن الخطاب بكتاب الى عمرو بن العاص في اول سنة ٢٣ للهجرة ولكنهُ مات بعد نحو ثلاثة اشهر ولا يعلم من خلفهُ على القضاء . ولكن يقال بعد ذلك ان نفراً من جذام اختصموا الى عبدالله بن سعد بن ابي سرح فقال لهم ارتفعوا الى القاضي عثمان بن قيس وان عثمان بن قيس هذا

مات بعد قتل عثمان فلم يكن بمصر قاضٍ حتى قام معاوية · وقد قتل الامام عثمان سنة ٣٥ للهجرة

واول قاضٍ ولاهُ معاوية سُلَيم بن عِتر التجيبي سنة اربعين ويقال انهُ كان قاصًّا فجُمِعَا لهُ اي انهُ كان يقص على الناس اخبار النبي والصحابة فصار قاصًّا وقاضياً · وقيل انهُ كان قاص الجند وكان ممَّن حضر فتح مصر وهو اول قاضٍ نظر في الجراح فكان الرجل اذا اصيب بجرح اتى الى القاضي واحضر بيِّنتهُ على الذي جرحهُ فيكتب القاضي بذلك الجرح قصتهُ على عاقلة الجارح ويرفعها الى صاحب الديوان فاذا حضر العطاء اقتص من اعطيات عشيرة الجارح ما وجب للمجروح وينجّم ذلك في ثلاث سنين · اي ان القاضي لم يكن ينظر في المواد الجنائية الى عهد سليم بن عتر .

ويقال ان اناساً اختصموا اليهِ في ميراث فقضى بين الورثة ثم تناكروا فعادوا اليهِ فقضى بينهم وكتب كتاباً بقضائهِ واشهد فيهِ شيوخ الجند فكان اول قاضٍ بمصر سجَّل سجلاً بقضائهِ · وامتدت ولايتهُ للقضاء من سنة ٤٠ الى سنة ستين · ووبخهُ موبخ مرةً فقال لهُ كنت قاصًّا فكان معك ملكان يفتيانك ويذكرانك ثم صرت قاضياً فمعك شيطانان يزيغانك عن الحق ويفتنانك · ولما قدم مسلمة الفسطاط بعد موت معاوية بن ابي سفيان ليأخذ البيعة ليزيد عزل سليم بن عتر عن القضاء وجعلهُ الى عابس بن سعيد وجعل لهُ الشرط ايضاً وهو اول من جمع لهُ القضاء والشرط

وههنا امران حريان بالنظر او خطتان من خطط الامارة الاولى خطة قاصّ الجند والثانية خطة القاضي وظيفة الاول وعظ الناس وارشادهم كأنهُ قس من قسوس النصارى · افلم تكن الكلمة قسًّا وكانت تكتب بالسين او بالصاد لانها ليست عربية ثم لما قدم العهد بها ونسي اصلها او تنوسي زعم المفسرون انها من قصّ القصص · ووظيفة الثاني مثل وظيفة الكريتيسس باليونانية وهو القاضي او الحكم او الفيصل كما ابنا في المجلد السابع والثلاثين من المقتطف في كلامنا على كتاب الامام عُمَر الى ابي موسى الاشعري ويؤيد ذلك انهُ كان للقاضي اسم خاص في العربية وهو الحكم ولذلك قيل عن كعب بن ضنَّة انهُ كان حكماً في الجاهلية فكتب الامام عُمَر بن الخطاب الى عمرو بن العاص ان يوليهُ القضاء في مصر

والظاهر انهُ لم يكن يطلب من القاضي ان يكون عارفاً بالشرع وقواعدهِ فقد قال مؤلف هذا الكتاب انهُ لما قدم الخليفة مروان مصر سنة ٦٦ سأل عن القاضي فقيل هو عابس بن سعيد فدعاهُ فقال جمعتَ القرآن · قال لا · قال فتفرض الفرائض · قال لا ·

قال فتكتب بيدك . قال لا . قال فبمَ تقضي . قال بما علمت واسأل عمّا جهلتُ . قال انت القاضي . ويقال بعد ذلك ان مروان سألهُ عن مسألة في الطلاق فاجاب وسألهُ عن شيءٍ من القرآن فاجاب فقال مروان « عباد الله لا تعجبنَّ من عابس زعم انهُ لا يحسن الفرائض والقرآن ولكن المؤْمن يهضم نفسهُ » . والاليق في رأينا ان يكون هذا القاضي صادقًا في ما قالهُ للخليفة مروان من ان يكون متضعًا هاضمًا لنفسهِ

والظاهر ان كلمة « قضية » مشتقة من القضاء وانها كانت الكلمة المتعارفة حينئذٍ او انها صارت متعارفة في اواسط القرن الاول فقد جاء في الكلام على القاضي عبد الرحمن بن حُجَيْرة الذي ولي القضاء من قبل عبد العزيز بن مروان ان حفيدهُ سعيد ابن السائب سُئل من ولّي جدك القضاء فقال لا ادري غير اني رأيت لهُ قضية عند آل قيس بن زبيد الخولاني تاريخها شهر رمضان سنة سبعين ولا اعلم اني رأيت اقدم منها . ويقال هناك انهُ لما ولي عبد الرحمن بن حجيرة القصص خُبّر ابوهُ بذلك وكان بالشام فقال الحمد لله الذي ذكر ابني وذكّر فلما وُلّي القضاء أُخبر ابوهُ بذلك فقال هلك ابني واهلك وفي ذلك دليل قاطع على ان وظيفة القاص كانت دينية محبوبة لدى اهل التدين ووظيفة القاضي كانت دنيوية مكروهة لديهم . ويقال هناك ايضًا ان ابن حجيرة كان على القضاء والقصص وبيت المال فكان رزقهُ في السنة من القضاء مئتي دينار وفي القصص مئتي دينار وفي بيت المال مئتي دينار وكان عطاؤُهُ مئتي دينار وكانت جائزتهُ مئتي دينار فكان يأخذ الف دينار (او نحو ٦٠٠ جنيه) فلا يحول عليهِ الحول وعندهُ منها شيءٌ يفضل عن اهلهِ واخوانهِ

ومّما يروى عن ابن حجيرة هذا انهُ كان لا يحجُر على سفيه في مالهِ ولكن يشهّرهُ وينهى الناس عن معاملتهِ ويقر ما لهُ في يدهِ يصنع بهِ ما يشاء . وقالَ لأَن اسلف دينارين فيردّان عليّ ثم اسلفهما فيردّان عليّ احبُّ اليَّ من ان اتصدق بهما » فان كان التسليف بمعنى القرض فلا ربا لهُ اي لا منفعة لصاحب المال وان كان بمعنى السلم فمنهُ منفعة لصاحبهِ مثل الربا او الفائدة ولكن الظاهر ان المراد هنا هو المعنى الاول

ويقال في الكلام على القاضي عبد الرحمن بن معاوية بن حُدَيج الذي ولي القضاء سنة ٨٦ للهجرة انهُ كان اول قاضٍ نظر في اموال اليتامى وضمّن عريف كل قوم اموال يتامى تلك القبيلة وكتب بذلك كتابًا وكان عندهُ وقيل في مكان آخر انهُ كشف عن اموال اليتامى وجعلها على ايدي عرفاء القبائل وشهرها واشهد فيها فجرى الامر على ذلك

ثم وُلي القضاء عمران بن عبد الرحمن الحسني من قبل عبد الملك بن مروان وجمع لهُ القضاء والشرط جميعاً وغلا الطعام حينئذٍ فتشاءم اهل مصر واضطربوا وهجا بعضهم الوالي عبد الله بن عبد الملك فطلبهُ الوالي فهرب ويقال ان القاضي آواهُ فعزلهُ الوالي عن القضاء والشرط في سنة تسع وثمانين وولى عبد الواحد بن عبد الرحمن بن معاوية وكان غلاماً حدثاً غير انهُ كان فقيهاً فهجاهُ عمران فامر عبد الله بن عبد الملك ان يقطع لهُ قميص من قراطيس ويكتب فيهِ عيوبهُ ويوقف للناس وقيل في سبب صرفهِ عن القضاء غير ذلك

وهنا فائدة لغوية وهي معنى القرطاس والقراطيس . فان اهالي مصر كانوا يكتبون حينئذٍ على الورق المصنوع من البردي بشق قدد رقيقة منهُ والصاقها بعضها ببعض طبقات متصالبة فالقرطاس اذاً هو الورق المصنوع من البردي المسمَّى عند الاوربيين ببيروس

وسنة سبعة وتسعين ولي عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة القضاء وبيت المال وهذه خطة اخرى اضيفت الى القضاء . وروي ان ناساً من اليهود خاصموا بن حجيرة الى عُمَر بن عبد العزيز في مال كان قبضهُ منهم فاقرَّ انهُ كان قبضهُ منهم ثم دفعهُ اليهم فقال لهُ عُمَر هل عندك بينة انك دفعتهُ اليهم فقال لا فقال عُمَر غرمتَ . ثم ذكر بعد ذلك ان لهُ بينة فشهد لهُ رجال منهم وانذ المحدث عبد الله بن لهيعة

ويستدل من ذلك ان اليهود كانوا يقرضون المال حينئذٍ للقضاة كما كانوا يفعلون من قبلُ ومن بعد وانهم لم يكونوا يخافون شكوى القضاة الى الخليفة وكان الخليفة ينصفهم

ثم جمعت الولاية الى القضاء في عهد سليمان بن عبد الملك فانهُ ولَّى القضاء عياض بن عبد الله الازدي وكان عاملاً لاسامة بن زيد على الهري فانتهُ ولايتهُ على القضاء من قبل امير المؤمنين سليمان (بن عبد الملك) فقال اسامة لا اعزلك عن الهري للقضاء انت عليهما جميعاً

ومن غريب ما يذكر حينئذٍ ان القضاة كانوا يستفتون الخلفاء ويعملون بفتواهم كما ترى مما يلي

حدَّثني ابن قُدَيد عن عبيدالله عن ابيهِ عن الليث ان عمر بن عبد العزيز كتب : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المؤمنين الى عِياض بن عبيد الله : سلام عليك فانّي احمد اليك الله الذي لا إله الاّ هو . امَّا بعد فانَّك كتبت تستأمرني في ثلاثة نَفَر بلغك من شأنهم ما لم يكن لك بُدٌّ من رفعهم اليَّ تذكر انك قد كتبت اليَّ بقضيَّتهم كتبتَ تذكر ان رجلاً منهم تُوُفّيَ وترك عليهِ دَيناً كثيراً ولم يترك لهُ قضاء ولهُ تسع ولائد * وان بيتهُ وبعض تلك الديون من اثمانهنَّ . نقول وكان اهل الديُون لا يرون ان حقوقهنَّ في رِقابهنَّ

يسئاون الذي لهم و يقول بعض غرمائهِ : كان دَينهُ قبل ان يبتاع تلك الولائد . فأَمَّا اولئك الولائد قيمةَ عدلٍ فأَيَّتهنَّ ما استقلَّت بثمنها الذي اقمتَ بهِ فلتفتكَّ بهِ نفسها لِتُعتَقَ فانهُ ليس عليها الأَ ذلكَ ومن لم تفتكَّ نفسها بثمنها فهي امة تُدفع الى الغُرَماء والغُرَماء في ذلك أُسوةٌ ما بلغ ان كان الذي على الرجُل من الدَّين فهو افضل ممَّا تبلغ قيمة أُولئك الولائد فان قصُر عمَّا يُحيط بقيمتهنَّ كلّهنَّ جُعل الغُرَماء اسوةً في ذلك ما بلغ يخصّ كلَّ امرأَة منهنَّ ما بلغت قيمتها . وكتبتَ تذكر ان رجلاً ابتاع رقيقاً فانطلق بهِ عامداً الى البأر فأُصيب رفيقهُ وبقي عليهِ دَين كثير ولم يبقَ لهُ مال فجعلتهُ في ايدي الغُرَماء حتى يأْتيك امري فيهِ فمُر ذلك الرجل فليسعَ في دَينهِ وأْمُرْ غُرَماءهُ فليرفقُوا بهِ حتى يقضي الذي عليهِ ولا يُباع واجعلِ الغرماء أُسوةً فيما يسعى فيهِ من الدَّين لهم كلَّ رجلٍ منهم يخصّهُ الذي لهُ ما بلغ (وتذكر) ان منهم رجلاً يبتاع الولائد بالنَظِرة بالمال المرتفع و يبيع بالنقد الذي يشتري بثُلُث الثمن او ببعضهِ ونقول... فلم يزلْ ذلك شأْنهُ حتى ترابى عليهِ من الدين ثلثمائة دينار ونقول جاءني اصحابهُ يسأَلونني ان يُباع لهم وتذكر انك جعلتهُ في ايديهم حتى يأْتيك امري فمُر ذلك الرجل فليسعَ في الذي عليهِ و يسأَل حتى يقضي ولا يمكِّن غرماؤُهُ من بيعهِ ومرْهم فليرفقوا بهِ حتى يؤَدّي الله عزَّ وجلَّ ما عليهِ والسلام عليك ورحمة الله و بركاتهُ وكتبت لصباح يوم الخميس لاربع خلونَ من ذي الحجَّة تسع وتسعين

والكتاب على بلاغة انشائهِ عبارتهُ غامضة في بعض الاماكن . ثم ولي القضاء عبد الله بن يزيد بن خذام من قبل امير المؤْمنين عُمَر بن عبد العزيز والسبب في ولايتهِ على ما قيل ان وفداً من اهل مصر وفدوا على سليمان بن عبد الملك وفيهم ابن خذام الصنعاني فسأَلهم سليمان عن شيءٍ من اهل المغرب فاخبروهُ وأَبى ابن خذام ان يتكلَّم فلما خرجوا قال لهُ عُمَر ابن عبد العزيز ما منعك من الكلام يا ابا مسعود قال خفت الله ان أَكذب . فعرفها لهُ عُمَر فلما ولي كتب الى ايوب بن شرحبيل بولاية ابن خذام القضاء فوليهُ من سنة مائة الى سنة خمس ومائة . اي ان امتناعهُ عن الكذب او عن التملُّق كان كافياً لتوليتهِ قضاء مصر . و يظهر ممَّا روي بعد ذلك عن ابن خذام هذا انهُ كان يكتب الى الخليفة عمر بن عبد العزيز يستفتيهِ في كل امر اشكل عليهِ وانهُ كان عفيفاً لم يستفد من القضاء شيئاً لا درهماً ولا ديناراً . وممَّا يحسن الانتباه لهُ ان الكتَّاب حتى ذلك العصر كانوا يذكرون الخلفاء و يكتفون بتلقيبهم بامير المؤْمنين اذا لقبوهم والاَّ ذكروا الاسم غفلاً من اللقب

التعليم في فرنسا

تمتاز فرنسا على امم اوربا الكبرى بان لغتها وعاداتها واخلاق اهلها تكاد تكون واحدة في جميع انحائها ولذلك كانت مبادئ المركزية غالبة على حكومتها وكانت باريس منها بمنزلة الدماغ من الانسان · والامر على مثل ذلك في شؤُون التعليم فان نظارة المعارف تدير مدارس البلاد جميعها وتشارف على التعليم في المدارس التي لا تختص بالحكومة وتعين المعلمين اما مباشرة او بواسطة عمالها وتدفع اجورهم الاَّ في المدن الكبيرة التي يزيد عدد سكانها على ١٥٠ الفاً ولكن مجالس المقاطعات في الغالب تضيف شيئاً الى ما تدفعهُ نظارة المعارف للمعلمين

وقد انفقت الحكومة سنة ١٩١٣ عشرة ملايين ونصف مليون من الجنيهات على التعليم العمومي الابتدائي وعشرة ملايين اخرى على تشييد الابنية للمدارس الابتدائية · وبلغ عدد التلامذة في هذه المدارس في السنة نفسها اكثر من خمسة ملايين ونصف

والاميون في فرنسا قليلون جدًّا فلم يزيدوا بين الشبان الذين جندوا سنة ١٩١٢ على ٣ في المئة · وسنة ١٩١٠ كان ١,٢ في المئة من الرجال الذين تقدموا لتسجيل زواجهم اميين يقابل ذلك ٢,٣ في المئة من النساء اي ان الاميين من الجنسين معاً ٢,٦٥ في المئة

وتقسم البلاد من الوجهة الادارية في التعليم الى سبعة عشر قسماً يسمى كل منها اكادمية · ولكل اكادمية مجلس ينظر في شؤُون التعليم وللمعلمين والمعلمات ان ينتخبوا بعض اعضائهِ · اما رئيسهُ وهو مدير المعارف في الاكادمية فيعينهُ رئيس الجمهورية

والتعليم العمومي في فرنسا مجاني منذ سنة ١٨٨١ والزامي منذ سنة ١٨٨٢ · وسنة ١٨٨٦ منع الاكليريكيون من التعليم في المدارس العمومية الابتدائية وسنة ١٩٠٤ سن قانون يقضي باقفال المدارس التي تديرها الجمعيات الدينية في مدة عشر سنوات · ويلزم الوالدون بارسال اولادهم الى مدارس الحكومة من سن السادسة الى سن الثالثة عشرة وقد يصرح لبعضهم ان يعلموا اولادهم في بيوتهم على ايدي اساتذة مخصوصين ولكن لا بد لهؤُلاء الاولاد من اجتياز امتحانات المدارس فان قصروا فيها الزموا ان يتعلموا في المدارس العمومية

اما المدارس الثانوية فكثيرة في فرنسا ومنها نحو ٢١٤ مدرسة للصبيان و ١٠٨ للبنات وتؤَهل الطلبة لدخول المدارس الصناعية والكليات العالية · وقد رأَت المانيا على شهرتها في تنظيم المدارس ان تقتدي بفرنسا في تنظيم مدارسها الثانوية

والمدارس الفرنسوية الصناعية اي التي تعلم الطلبة حرفاً تفيدهم في كسب معاشهم من

ارقى المدارس من نوعها في اوربا واميركا. ومن اقدمها مدرسة مارتير في ليون التي انشئت سنة ١٨٢٠ . والتعليم في هذه المدرسة مجاني ويعلم فيها الطلبة الرسم والكيمياء والميكانيكيات والطبيعيات وكل ما يختص بشغل الخشب والحديد ومسح الاراضي عدا عن الفروع الاخرى التي تعلم في المدارس العادية . وكل ما يتعلمهُ الطلبة فيها يتقنون القيام عليهِ بانفسهم مستقلين ويزورون المعامل مع اساتذتهم فاذا عادوا منها دونوا ما رأوهُ فيها بالتفصيل وعرضوهُ على الاساتذة لتقدهِ . وقلما يلاقي متخرجوها صعوبة في كسب معاشهم لان اصحاب المعامل وارباب التجارات يرغبون في استخدامهم لما يظهرونهُ من الكفاءة . ومن هذه المدارس ايضاً مدرسة في ريمس تهتم بتعليم الصنائع الرائجة في الكورة المحيطة بالمدينة المذكورة وهي الحياكة والصباغة والهندسة . ومنها في باريس مدرسة ديدرو وتعلم كل ما يختص بالمعادن والخشب من الجهة العملية ومدرسة استين وتعلم الطباعة بالحروف والطباعة الحجرية وتجليد الكتب

وامثال هذه المدارس كثيرة في البلاد وكل منها تعلم ما يفيد اهل المقاطعة التي هي فيها . وتلقى على طلبتها محاضرات علمية في المواضيع التي يتعلمونها فتتوسع مداركهم ويجربون التجارب الكيماوية بارشاد اساتذتهم فيكونون صناعاً وزراعاً متنورين يقرنون العلم بالعمل

وفي كل كورة (كومين) جمعية تعرف بصندوق المدارس تجمع المال وتنفقهُ على مساعدة النابغين من اولاد الفقراء على اكمال دروسهم في المدارس الثانوية والكليات . وتقوم بعملها طي الخفاء فلا يعلم التلامذة ايهم يتعلم على نفقة الجمعية وتبذل لمن تساعدهُ كل ما يلزم لهُ ليساوي من يتعلم على نفقة ابيهِ في المطعم والملبس وسائر وجوه المعيشة . وكانت هذه الجمعيات اول من سعى الى انشاء المطاعم لاطعام الاولاد في المدارس الابتدائية باثمان بخسة يتيسر للفقير دفعها . ويقدم الطعام للتلامذة على موائد نظيفة فيأكلون بالسكاكين والشوك ويتعودون النظافة ويتعلمون آداب السفرة . ويكون من وراء ذلك ايضاً ان الاولاد الذين لا يشبعون في بيوتهم يتناولون من الطعام المغذي ما يكفي لنمو ابدانهم وعقولهم . وقد رأى الانكليز والالمان من نفع هذه المطاعم ما حملهم على الاقتداء بالفرنسويين في انشائها

اما المعلمون الفرنسويون فيشعرون باهمية الواجب الملقى على عواتقهم ولهم مؤتمرات يعقدونها ويبحثون فيها في كل ما يختص بالتعليم وينفع الطلبة . وقلما يعقدون مؤتمراً للشكوى من قلة مرتباتهم مع ان متوسط ما يتقاضاهُ المعلم منهم لا يزيد على نصف ما يتقاضاهُ المعلم في هذا القطر حيث كثرت شكوى المعلمين من قلة اجورهم . وكثيراً ما يقضون اوقات فراغهم وعطلاتهم في تنظيم رحلات التلامذة في الارياف واكثر ما يكون ذلك في المدن

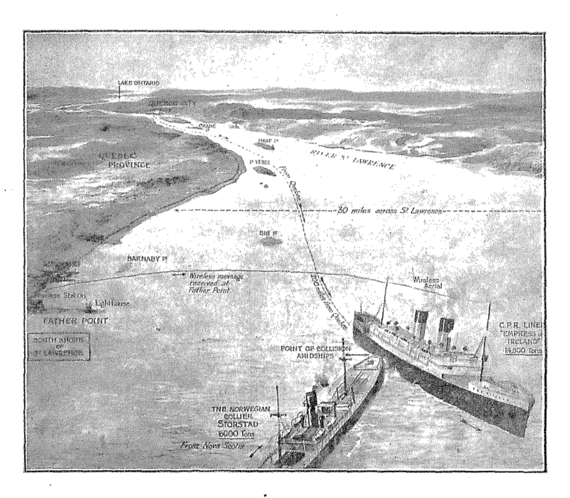
الكبيرة . فيخرج التلامذة بقيادة معلّمهم ويقضون بضعة اسابيع في العراء بين تطنيب وتقويض متنقلين من مكان الى آخر كأنهم قبيلة من البدو ولا يخفى ما في ذلك من النفع لهم

ومما يجدر ذكرهُ ان الانظار اتجهت الى اهمية التربية البدنية وقد لا يمضي زمن طويل حتى تدرك فرنسا شأو الانكليز والاميركان الذين سبقوها من هذا الوجه . واذا شئنا ان نبين الغاية التي يرمي اليها التعليم العمومي في فرنسا بكلام موجز قلنا انها مثل الغاية التي يرمي اليها التعليم في جميع بلدان اوربا الراقية وهي تأهيل ابناء الامة للمعيشة الراضية في مدنيتها وذلك باصلاح عيوبهم سواء كانت عقلية او ادبية او بدنية وبتعليمهم ما يسهل عليهم كسب معيشتهم

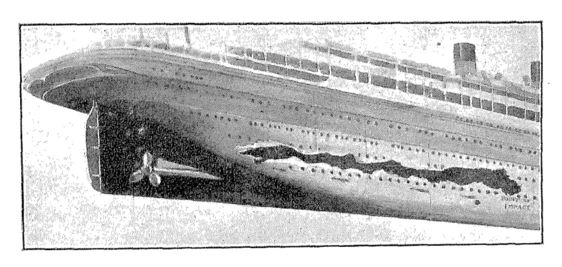
اما التعليم العالي فقد اشتهرت بهِ فرنسا والطلبة يؤمونها من جميع اقطار الارض لاكمال دروسهم . واشهر معاهدها العلمية العالية معهد السوربون في باريس الذي يصح فيهِ قول المتنبي « تجمّع فيهِ كل لسن وامة » . وتلقى فيهِ المحاضرات على الطلبة وتعين لهم الكتب التي عليهم ان يحصلوا ما فيها ويتركون احراراً في سائر شؤونهم

وقد وصفت سيدة انكليزية طلبة السوربون وهي من جملتهم فقالت « اختلطت في السوربون ام الارض فهم يمثلون اممًا لا يمثلها مجموع آخر من الناس . واذا قرب وقت المحاضرة واجتمعوا ينتظرون الاستاذ فقف فيهم وتأمل ترَ الى يسارك جماعة من الالمانيين والالمانيات يتجادلون بجدة وبين يديك ثلاث شابات روسيات والى يمينك يابانيًّا قد استند الى الجدار واخذ يجيل نظرهُ في ما حولهُ وهو منفرد بنفسهِ واليابانيون كثيرون في السوربون ولكنهم في الغالب معتزلون منفردون . والى جانب هذا الياباني ترى بعض الاسوجيين ووراءهم جماعة من الاميركيين يتكلمون الانكليزية بلهجتهم الاميركية . ولكن اللغة التي تسمعها اكثر من غيرها بين هذه اللغات جميعها هي اللغة الفرنسوية . فهي في السوربون بمنزلة رقعة الصورة واللغات الاخرى بمنزلة نقوشها

« اما آراء التلامذة ومذاهبهم فمضطربة لا تستقر على وجه . وشأنهم ان يشكّوا في كل شيء ويسيروا على الطرائق العلمية في اثبات كل قضية او تفنيدها ولذلك تراهم قد نبذوا اعتقادات وتعاليم مر عليها قرون وليس من يفكر في تفنيدها . وليس لافكارهم وجهة مخصوصة فكأنهم لا يدرون بماذا يقولون فيثبت على التمحيص . وفوق ذلك يعتقد كثيرون منهم بآراء برغسون الفلسفية . فسواد التلامذة في اختلاط وآراؤهم مضطربة لم تستقر على وجه ولكنهم في اضطرابهم هذا ذوو آمال يرون ان عامة الناس سيتمتعون بالسعادة وان الحروب ستبطل في المستقبل وان الزمن الذي يتم فيهِ ذلك غير بعيد »



الباخرة النروجية تصدم الباخرة امبراطورة ارلندا



الشق الكبير في جانب الباخرة امبراطورة ارلندا

امبراطورة ارلندا وارزاء البحر

لا تمضي سنة الاَّ ونسمع بما تدوي لهُ الآذان من الارزاء التي تصيب راكبي البحر . ولقد بذل الناس جهد ما وصل اليهِ علمهم واختبارهم لمنع هذه الارزاء فقللوها كثيراً ولكنهم لم يمنعوها وحسبنا ما اصاب الباخرة تيتانك منذ عهد غير بعيد وما اصاب الباخرة امبراطورة ارلندا بالامس دليلاً على ان الآفات كثيرة متنوعة لم يتمكن صانعو السفن ومسيروها من تلافيها كلها حتى الآن . لكنَّ ما حدث للباخرة تيتانك وللباخرة امبراطورة ارلندا كانت الامةُ على الذين اصيبوا بهِ مباشَرة قصيرة دامت دقائق او ساعات وانقضت فنجوا او ماتوا اما السفن التي كانت تصاب بمصيبة في عرض البحر قبل التلغراف اللاسلكي فكان ركابها يعانون العذاب زماناً طويلاً الى ان يقضى عليهم او يتفق لهم من ينجيهم والذين نجوا من مثل هذه الارزاء رووا عنها روايات تقشعر لها الابدان

من اقرب الامثلة على ذلك ما اصاب ركاب الباخرة المسماة كرنارفون كسل التي احترقت سنة ١٩٠٧ وهي على ٨٥٠ ميلاً من استراليا غرباً فنزل ركابها في قاربين وساروا وهم يحسبون انهم يصيبون برًّا بعد سبعة ايام فلم يصلوا الى البر الاَّ بعد اربع وعشرين يوماً . وفي اليوم التاسع افترق القاربان واختفى كل منهما عن الآخر ثم وصلا معاً في اليوم الرابع والعشرين الى جزيرة وهي الجزيرة الوحيدة التي كان في الامكان الوصول اليها فكأَن التقادير قادتهما اليها . ولم يمت من ركابهما في هذه المدة سوى ثلاثة ولكن الباقين وصلوا في حالة يرثى لها ممزقي الثياب نحاف الابدان خائري القوى من قلة الطعام والنوم ولو بقوا في البحر يومين آخرين لقضي عليهم كلهم ولولا ما ابداهُ الربان من المهارة وحسن الادارة لما استطاعوا ان يبقوا اربعاً وعشرين يوماً ولم يهلك منهم سوى ثلاثة

واشد من ذلك هولاً ما اصاب بحارة المنيونت وهي سفينة صغيرة محمولها ١٦٠٠ طن كانت ذاهبة الى استراليا فغرقت ونجا ربانها وثانيهِ وبحار وولد ركبوا قارباً وساروا في عرض البحر . ولما اعياهم الجوع ارتأَى بعضهم ان يُقتل واحد منهم بالقرعة فيتقوَّت الباقون بلحمهِ ولكن الباقين رفضوا هذا الرأي ولما صار لهم عشرون يوماً ولما يصيبوا ارضاً ذبحوا الولد واكلوهُ وبعد اربعة ايام وجدتهم سفينة فانقذتهم وحوكم الربان وثانيهِ لقتلهما الولد وحكُم عليهما بالاعدام ثم خفّف الحكم الى حبس ستة اشهر

وافجع من ذلك ما اصاب رجال الفرقاطة الفرنسوية مدوزا منذ مئة سنة فانها صدمت صخراً وهي ماخرة بسرعة شديدة فغرقت ولجأ بحارتها والجنود الذين فيها الى قواربها حتى اذا امتلأت بهم صنع الباقون رمثاً كبيراً وجلسوا عليهِ وربطوهُ بالقوارب لكي تجرهُ وكانوا مئة وخمسين نفساً من الجنود والبحارة · لكن الحبال التي تربطهُ بالقوارب قُطعت وكان على الرمث براميل خمر وشيء من البقسماط فجعل البحارة يأكلون البقسماط ويشربون الخمر فلم يصبح الصباح التالي الاَّ وقد جرفت امواج البحر كثيرين منهم واجتمع الباقون بعضهم فوق بعض في وسط الرمث فنطس بعضهم · وعاد الجنود الى شرب الخمر فسكروا وحاولوا قص الحبال التي تربط الواح الرمث بعضها ببعض فمنعهم الباقون من ذلك فنشبت بينهم حرب قتل فيها ٦٥ نفساً · ثم مات بعض الباقين في الليلة الثالثة فجعل رفاقهم يأكلون لحمهم وكان عدد الباقين في قيد الحياة حينئذٍ ثلاثين ثم مات منهم واحد ورُمي اثنان في البحر وعقد خمسة عشر منهم مجلساً حربيًّا حكموا فيهِ بان لا يترك منهم الاَّ من يحتمل بقاؤُهُ في قيد الحياة · وبعد ثلاثة ايام وجدتهم سفينة كانت قد ارسلت للتفتيش عنهم فانقذت الاحياء منهم

اما الباخرة امبراطورة ارلندا فكانت آتية من مدينة كوبك بكندا قاصدة لفربول فصدمتها سفينة نروجية من سفن الفحم في التاسعة والعشرين من شهر مايو الماضي وهي لا تزال في فم نهر سنت لورانس قريبة من البر فخرقت جانبها الايسر واغرقتها

رأى ربان امبراطورة ارلندا السفينة النروجية ماخرة متجهة اليهِ والضباب يفصل بينهُ وبينها فلا يرى منها الاَّ انوارها فاطلق البخار لسفينتهِ حتى تسير على اشد سرعتها وجعل يصفر للسفينة النروجية لكي تنتبه لهُ وتنحرف عنهُ لكن الوقت كان اقصر من ان يأذن بذلك فادركتهُ وصدمت باخرتهُ بمقدمها في جانبها الايمن كما ترى في الشكل الاول ففتحت فيهِ ثغرة كبيرة طويلة كما ترى في الشكل الثاني · وللحال جعل الماء يتدفق الى امبراطورة ارلندا فاثقل ذلك الجانب واماله فغاص في الماء وانحنت الباخرة حتى صار جانبها الآخر سطحاً مائلاً يسهل المشي عليهِ · وكان الربان قد ادرك الخطر الذي وقعت فيهِ سفينتهُ ودرت السفينة النروجية بما فعلت فجعل بحارة السفينتين يهتمون بانزال القوارب وتخليص الركاب. وبعد قليل غرقت امبراطورة ارلندا بمن بقي فيها وكان عدد ركابها وبحارتها ١٤٦٧ نفساً فغرق منهم ١٠٢٣ نفساً ونجا ٤٤٤ نفساً كما ترى في هذا الجدول

عدد البحارة	٤١٣	نجا منهم	٢٠٧	وغرق	٢٠٦
ركاب الدرجة الاولى	٠٨٧	« «	٠٣٥	«	٠٥٢
ركاب الدرجة الثانية	٢٥٣	« «	٠٣٨	«	٢١٥
ركاب الدرخة الثالثة	٧١٤	« «	١٦٤	«	٥٥٠
والجملة	١٤٦٧	« «	٤٤٤	«	١٠٢٣

ومما يدعو الي الاسف الشديد ان اكثر الغرقى وجدوا مشوهين كأنهم اختصموا بعضهم مع بعض قبلما غرقوا او وقعت عليهم اشياء من السفينة فشوهتهم . ويقال ان بعض الاشرار اسرعوا الى الغرقى لا لينشلوهم احياء بل ليجهزوا عليهم وينهبوا ما معهم . والظاهر ان الباخرة لم تبقَ فوق الماء بعد ما صُدمت الاَّ ١٧ دقيقة وكان الضباب كثيفاً في اول الامر لكنهُ انقشع حالاً وهذا مما سهل نجاة الذين نجوا

وقد كانت هذه الباخرة من اجمل البواخر واسرعها طولها ٥٧٠ قدماً وعرضها ٦٥ قدماً ونصف قدم وفيها اماكن لثلاثمائة وخمسين من ركاب الدرجة الاولى و ٣٥٠ من ركاب الدرجة الثانية و ١٠٠٠ من ركاب الدرجة الثالثة وقوة آلاتها البخارية ١٨٠٠٠ حصان وكان فيها جهاز للتلغراف اللاسلكي واجراس تقرع تحت الماء للتنبيه وقت اشتداد الضباب وغير ذلك من وسائل الوقاية الحديثة وقد قسم جوفها الى عشرة اقسام بفواصل محكمة حتى اذا دخل الماء قسماً منها لا يتطرق الى غيرهِ ولم يخطر على بال صانعيها انهُ يحتمل ان تصدمها سفينة صدمة جانبية مائلة فتشقها شقًّا طويلاً يتناول بضعة اقسام من اقسامها فتمتلئ كلها ماء في وقت واحد . وكانت حاويةً ايضاً لكل وسائل الراحة والرفاهة كانها من قصور الملوك . وعليها سافر دوق كنوت وزوجتهُ لما ذهب الى كندا والياً سنة ١٩١١ . وغرفة المائدة التي فيها من اكبر الغرف فتسع كل ركاب الدرجة الاولى

وكانت مسوكرة على ٢٨٠ الف جنيه فاذا ارادت شركات التأمين انتشالها من الماء واصلاحها فالمرجح ان نفقات ذلك تزيد على ٢٨٠ الف جنيه فلا تربح شيئاً بانتشالها فلا بدَّ من تكسيرها واخراجها من مقرها لئلاَّ تبقى عائقاً في سبيل الملاحة لان قاع البحر هناك قريب لا يزيد عمقهُ على ١٧ قامة . ومن المشاهير الذين غرقوا بغرقها المستر لورنس سدني ارفنج ابن السر هنري ارفنج الممثل المشهور وكان قد اقتفى خطوات والدهِ وغرقت معهُ زوجتهُ وهي ممثلة مشهورة ايضاً وقد اقترن بها منذ عشر سنوات ومنهم السر هنري سنن كار الصياد المشهور ومن اعضاء مجلس النواب الانكليزي

تأثير العقل في الداء

الاعتقاد بتأثير العقل في الداء قديم جدًّا وكثيراً ما كان الاطباء الاقدمون يعتمدون عليهِ في مداواة مرضاهم . وقد انتقد افلاطون الفيلسوف الكبير اطباء عصرهِ لانهم كانوا يعتنون بالجسم ويهملون تأثير العقل فيهِ . وفي اساطير اليونان ادلة كثيرة على انهم عرفوا هذه الحقيقة وعملوا على الاستفادة منها وكانوا يداوون المرضى في هيكل ابيداريوس المشهور على هذه الطريقة . وقد كان موقع هذا الهيكل في مكان يطل على مناظر طبيعية بديعة وخصص قسم منهُ للرياضة البدنية كالقفز والجري وقذف الاثقال واقيم فيهِ مرسح كبير لتمثيل الروايات وغرف لسكنى المرضى يدخلها النور ويتجدد هواؤُها كغرف المصحات التي تقام في هذا العصر

والمصريون ايضاً كانوا يعتقدون بذلك فكانت لهم حدائق وحراج خاصة بالمرضى . وكثيراً ما كانوا يصفون للمريض ركوب النيل والتنزه فيهِ واستنشاق هوائهِ المنعش

ومنذ خمسة عشر قرناً اشار كلن الطبيب الذي ذاعت شهرتهُ في ذلك الحين الى ما لثقة المريض بطبيبهِ من التأثير في شفائهِ . ويروى عن طبيب من اطباء القرن الثامن انهُ دعي لمعالجة امرأة تتوهم انها ابتلعت صلاً فقيأَها واوهمها انها تقيأَت صلاً كان قد احضرهُ لهذه الغاية فشفيت . وكان اطباء العرب يعرفون ذلك ويعملون على تسلية مرضاهم واقناعهم انهم متماثلون الى الشفاء ولو لم يكن لهم امل بالحياة . وقال موندفيل في القرن الثالث عشر ان ثقة المريض بطبيبهِ تفعل اكثر من الادوية . ويحكى عن الطبيب سيدنهام انهُ قضى مدة طويلة يعالج غنيًّا مصاباً بسوء الهضم الوهمي على غير جدوى فعمد الى استعمال الحيلة فاشار عليهِ ان يمشي الى نبع بعيد ويشرب منهُ ويستحم فيهِ فعمل باشارتهِ ولكنهُ لم يقف على اثر للنبع فعاد حانقاً ولكن ظهر التحسن في هضمهِ فبين لهُ الطبيب ان المشي في الهواء الطلق ينفعهُ

واطباء القرون الوسطى كانوا يعتقدون بذلك ايضاً فقد قال احدهم ان الظن والثقة قد يزيدان المرض او يخففانهِ وقال فون همنت ان القوى السحرية كامنة في الانسان تتطلب المنبهات للظهور

واذا وجهَ الانسان افكارهُ الى قلبهِ فقد يوقفهُ عن عملهِ فان القلب يضرب بترتيب وانتظام حينما لا تكون افكار صاحبهِ موجهة اليهِ فاذا وجهها اليهِ ازداد خفقانًا وتشوشًا

ولا يقتصر هذا التأثير على القلب فقط بل قد يتناول كل عمل يقوم بهِ الجسم . فقد يجلس الانسان الى الطعام بشهوة شديدة فيتناول ما لا يروقهُ طعمهُ فتذهب شهوتهُ ويسوء هضمهُ . ويحدث لهُ مثل ذلك ايضًا اذا تلقى عند فراغهِ من الاكل خبرًا يسوءهُ

حكى لي صديق كان في البرازيل انهُ دعي مرة لتناول طعام العشاء عند احد اصدقائهِ من البرازيليين فكان في جملة ما قدم لهُ اللحم فاستطابهُ كثيرًا . وبعد ان فرغوا من الاكل اخبرهُ صديقهُ ان اللحم الذي اكلهُ لحم سعدان فاضطربت معدتهُ للحال وتقيأ ما اكلهُ . ويحكى عن سائح انكليزي انهُ دخل مطعمًا في بلاد الصين فقدم لهُ لحم استطابهُ كثيرًا فسأل الخادم عن نوعهِ فاخبرهُ انهُ لحم كلب فتغيرت حالهُ وساء هضمهُ

وكثير من الادوية التي كان لها شأن كبير في تاريخ الطب لم يكن تأثيرها الاَّ وهميًّا في عقول المرضى . من ذلك ان طبيبًا يقال لهُ اليشار بركنس رأى ان يجرب الكهربائية في مداواة الروماتزم فشاع انهُ اكتشف دواءً جديدًا وتقاطر المرضى عليهِ فكانوا يشفون من امراض كثيرة عرف الآن ان لا تأثير للكهربائية فيها . ومنهُ ايضًا ان طبيبًا انكليزيًّا يقال لهُ مون اشاع انهُ اكتشف دواء يشفي ادواء كثيرة اذا استعمل مع الفرك فاقبل المرضى على التداوي بهِ ايما اقبال وكانوا يشفون من امراضهم بعض الاحيان ثم عرف ان دواءهُ مستحضر من زلال البيض فغير الناس اعتقادهم فيهِ

ويروى ان رجلاً ارلنديًّا ادَّعى ان الله اوحى اليهِ في حلم ان يشفي المرضى باللمس فلما ذاع حلمهُ في الناس اقبل المرضى عليهِ فشفى كثيرين منهم . ومثل ذلك يقال في قديس الشويفات الذي اشتهر امرهُ في سورية وشفى بعض المرضى . وقد استشار مريض استاذًا فرنسويًّا في التداوي بدواء جديد سمع بهِ فاشار عليهِ باستعمالهِ قبل ان يعرف تركيبهُ ويفقد فعلهُ . وكبار الاطباء يهتمون لمعرفة حالة المريض النفسية كما يهتمون لمعرفة مرضهِ

وكم من رجل يموت بغير سبب ظاهر اثر سماعهِ بخبر يحزنهُ وما سبب ذلك الاَّ تأثير العقل في اعمال الجسم فقد يقف قلب الانسان او ينفجر احد اوعيتهِ الدموية عند اشتداد الحزن بهِ فيموت فجأةً

قرأت عن امرأة ماتت فجأةً لان عربة اعتسفت الطريق وكادت تصدمها وسبب موتها

انها افتكرت ان العربة قاتلتها لا محالة فوقف قلبها · وسمعت بسيدة بارعة الجمال اصابها ما شوّه وجهها فلزمت بيتها وانقطعت عن زيارة صديقاتها واخذت تضعف وتنحل مع انها لم تصب بمرض وما ذلك الاّ لشدة غمّها

وممّا يروى عن النحات المشهور بنفنتو سليني انهُ توقف عن اكمال تمثال كان يشتغل بصنعهِ لحمّى الزمتهُ الفراش· فبينما كان ذات يوم اذا باحد الصناع الذين كانوا يعاونونهُ دخل عليهِ واخبرهُ ان ناراً شبت في البيت الذي فيهِ التمثال فنهض من فراشهِ واسرع الى التمثال فانقذهُ من النار وعاد الى بيتهِ معافىً · ويقرب من ذلك ما يحكى عن احد القواد المشهورين انهُ كان في حالة النزع وبلغهُ ان العدو هاجم جيشهُ فنهض الى جوادهِ وامتطاهُ وقاد جنودهُ ضد العدو وهزمهُ ولكنهُ مات بعد انتهاء المعركة

ومثل ذلك ما حدث لامبراطور البرازيل دن بدرو فانهُ مرض مرضاً شديداً فغادر بلادهُ الى اوربا مستشفياً ·وحال وصولهِ الى اوربا وصلهُ نبأٌ من ابنتهِ انها تمكنت من اقناع الشعب والحكومة بالغاء الاتجار بالرقيق وتحرير الارقاء فشفي من مرضهِ تماماً لان هذه المسألة كانت شغلهُ الشاغل

وقد يكون الانسان ضعيفاً مضنوكاً لا يقوى على المشي بسبب المرض فيبلغهُ ان خطراً محدق بهِ او باحد اهلهِ او اصدقائهِ فينفض الضعف ويأتي من الاعمال ما يعجز عنهُ عادة ولو كان متمتعاً بالصحة فمن اين تأتيهِ القوة في مثل هذه الاحوال وجسمهُ لم يكتسب شيئاً خارجيًّا يزيدهُ قوة او يعيد عافيتهُ ؟ لا شك في ان ذلك نتيجة تأثير عقلهِ في جسمهِ · واذا احدق الخطر بالانسان نسي ضعفهُ بل نسي نفسهُ جملة وانصرفت كل قواهُ الى التخلص من ذلك الخطر او التغلب عليهِ

قال الدكتور وليم اوسلر ما ملخصهُ « لا ينكر ما للدواء من التأثير في شفاء الداء ولكن ثقة المريض بطبيبهِ تنعش قواهُ وتجري الدم في عروقهِ وتنشط اعصابهُ· وملعقة ماء يعطيها الطبيب لمريض واثق بهِ قد تفعل العجائب » وقال السر جيمس سمبسون « ان الطبيب الذي لا يلتفت الى تأثير العقل في الجسم يخل بركن من اركان الطب الراقي »

نجيب ملحم نصار

نحو الكمال [1]

يكثر الناس في حديثهم هذه الايام من الطعن في المدنية الحاضرة والتنديد بها .
فنسمع احدهم يقول مدنيتنا الحاضرة مدنية ساقطة تُسلط القوي على الضعيف. تُقسي قلوب
الحكام على رعاياهم . تجعل الغني يظلم الفقير. تستدعي استخدام الصغار في المعامل . تحلل
للمتمولين احتكار صناعة العامل تسوغ للمحتكرين دفع اجور بخسة لعمالهم .مدنية تهيج العمال
على ارباب المال والامة على الحكومة . تؤيد المبدأ « الحق للقوة » . تسلب النساء حقوقهن
الطبيعية تعزز الطمع وحب المال في قلوب الحكام فلا يجرون عدلاً في الارض . الكذب
رائج فيها والغش والخداع والنفاق وحب الذات . التعصب الديني أعمى قلوبَ ابنائها عن
الحق ولا يزال يفرق بين القلوب و يذكي فيها نيران البغض والكره والحسد. وبكلمة هي منبع
الفساد والخلاعة والرذيلة . فما لك ولهذه المدنية . بالله عليك لا تحدثني عنها ولا تذكر لي
اسمها . وكثيرون يتمنون مع هكسلي ان يصدم ارضنا مذنّب يدمّرها هي ومدنيتها

نذم مدنيتنا الحاضرة لاننا نقابلها مع المدنية التي نتصوّرها تصوراً ولا وجود لها الآن.
غير اننا اذا قابلناها مع المدنية الغابرة وجدنا البون بينهما شاسعاً فان حياة الاقدمين
كانت كلها بؤساً وكانوا يقضون العمر في مناهضة الوحوش المفترسة ومحاربة بعضهم بعضاً
و يحسبون ان للعالم الهة ظالمة لا تسر الاَّ باذية الانسان ناهيك عن انهم كانوا معرضين
للمرض والجوع والخوف والالم. فاذا اعتبرنا ذلك كلهُ قلنا « هنيئاً لنا ولمدنيتنا »

شعر الاقدمون بما هم فيهِ من البؤس فكرهوا الحياة. ظنوا ان لا كمال الاَّ بعد الموت .
ظنوا الانسان لا يقدر ان يتسلط على الطبيعة ويستعمل قواها مهما وصل اليهِ من التمدن
والرقي . فحسبوا البؤس من لوازم الطبيعة والسعادة من خوارقها . ولذلك كانوا يعللون
انفسهم بالحياة الثانية بعد الموت اذا رضيت عنهم الالهة . وهي لا ترضى عن البشر في زعمهم
ما لم يذوقوا انواع العذاب فكانوا يقنعون بالتعب والنصب ثم يموتون لكي يستريحوا بعد الموت
حيث لا شقاء ولا بؤس لا مصائب ولا احزان بل سرور دائم وسعادة ابدية . وما من
امة الاَّ في ديانتها موطن للسعادة في الحياة الاخرى محل لا يدخلهُ سوى الابرار الذين
احتملوا الآلام بالصبر الجميل . وهذا دليل على يأس الاقدمين وقنوطهم من الحياة الدنيا .

---

(١) من خطبة تليت في الاحتفال السنوي للجمعية العلمية العربية بالمدرسة الكلية في بيروت في ٤ يونيو الماضي

ولا عجب في ذلك وقد جهلوا معرفة القوى الطبيعية فبقيت تسيطر عليهم وتذيقهم نتيجة جهلهم من العذاب اشكالاً

اما نحن وان كان بعضنا لا يزال يشاركهم في كثير من آرائهم واعتقاداتهم . فقد اصبحنا ننظر الى الحياة من وجهة ثانية . هم حسبوا الكمال مستحيلاً على الارض ونحن نحسب اننا على طريق الكمال وان لا بد من الوصول اليهِ اخيراً . هم عدوا التنافر بين مصلحة الانسان ومحيطهِ من نواميس الطبيعة التي لا يطرأُ عليها تغيير . ونحن لا نعد هذا التنافر الا عرضيًّا لا بد من زوالهِ في المستقبل . هم توقعوا الحياة السعيدة بعد الموت . اما نحن فنسعى لجعل حياتنا سعيدة على هذه الارض قبل الموت . هم حسبوا الشر من طبيعة الانسان ونحن نحسبهُ نتيجة عدم التآلف بين الانسان ومحيطهِ ومتى حصل هذا التآلف لا نعود نسمع بالشر . حياتهم كانت على رجاء وحياتنا على يقين . فكثير من احلام فلاسفتهم ونبوات انبيائهم عن الحياة الثانية قد تحقق في جيلنا هذا والباقي سيتحقق في الاجيال الآتية . أَلم يتمنَّ افلاطون يوماً يستغني فيهِ الانسان عن الاشتغال بيدهِ بما يسخر من الآلات . الم يتمنَّ ايضاً حكومة دمقراطية تجري العدل بين رعاياها وتنظر الى كل فرد من افرادها وتساعدهُ ليعيش عيشةً راضية . الا تعد الاديان بسماء يعيش فيها الابرار في نعيم مقيم . اوَ لا نرى الآن جماعات من البشر تنطبق حياتهم على هذا الوصف . نعم ان تفاحة واحدة ناضجة تدل على ان تفاح الشجرة كلهُ سينضج . كذلك انسان واحد من الذين يتمتعون بالحياة الطيبة دليل على ما سيؤُول اليهِ حال الانسان . فاني ارى ان لا بد من حالة كمالية يصل اليها المجتمع هي منتهى السعادة والسلام وتتمة اقوال الرسل والانبياء الكرام

ولكن ما هي الشروط للوصول الى ذلك . لا بد لادراك هذه الغاية من اتمام التآلف بين الانسان ومحيطهِ . فعلى الانسان اذاً ان يعرف اسرار الطبيعة ويفهمها ثم يجري بموجبها فتطيعهُ وتخضع لارادتهِ . ومقدار هذا التآلف هو مقياس التمدن في كل مكان وزمان . فهذه الابنية الفاخرة والادوات الجميلة والآلات العجيبة والسفن العظيمة لا تدل على التمدن الا لانها تدل على ذلك التآلف . فهو سنة الله في جميع اجزاء خليقتهِ

وفي سبيل هذا التوفيق عقبات هي ثلاثة اعتقادات رسخت في عقول العامة

الاول الاعتقاد العام بصحة القديم لكونهِ قديماً وفساد الجديد لكونهِ جديداً

من اصعب الامور على الناس ان ينبذوا اعتقاداتهم القديمة وان يروا فساد الفاسد منها . ترى البشر كلهم يسيرون في الطرق التي سار فيها اسلافهم ويكرهون السير في طريق جديدة

بل لا يهمهم التفتيش عن طريق جديدة افضل من القديمة وربما حسبوا ذلك كفراً يغضب الالهة ويجر المصائب · وهذا الاعتقاد هو اعظم عقبة يصادفها المصلح · فما لم نتركهُ لا نستطيع ادراك غاية الوجود

الثاني الاعتقاد بان الطبقة المنحطة مستحقة الانحطاط

يرى البعض ان مبدأ تنازع البقاء وبقاء الاصلح يعمل في الانسان كما في الحيوان · فالطبقة المنحطة هي الجزء الفاسد من البشر وعلينا ان لا نساعدها بل ان نفنيها على قدر الامكان

هذا هو اعتقاد الكثيرين ان لم اقل الاكثر· فاننا ننظر الى النقص في القليل من اهل هذه الطبقة ونتعامى عن الالوف الذين لا نقص فيهم غير انهم خلقوا في محيط كثرت صعوباتهُ فتغلبت عليهم · ولذلك ترانا ننظر الى الضعيف فينا ونحتقرهُ ولا نمد اليهِ يد المساعدة · ولكن في كل فرد قوة كامنة يجب على الهيئة البشرية ان تساعدهُ ليبرزها

الثالث الاعتقاد العام بان الطبقة المنحطة سعيدة بانحطاطها

نعتقد ان ابناء الفقر سعداء مع كونهم يسكنون المنازل القذرة ويلبسون الثياب الرثة ويأكلون الاطعمة السخيفة ويعملون الاعمال الشاقة

نقول « تعودوا ذلك فلا يشعرون ببؤسهم » ان العادة تخفف كثيراً من الآلام والارزاء الأ انها لا تجلب السعادة · فالسعادة ليست عدم البؤس بل هي شعور خاص ناتج عن حسن الحال يشعر بهِ السعيد ولا يشعر البائس الأ بفقدانهِ

ألا ترون ايها السادة كيف ان ابناء الفقر يقضون كل ساعة في خطر الجوع والفاقة ولا راحة لهم بل دأبهم العمل لتحصيل الطعام واللباس الضروريين · فمن اين لهم السعادة ؟

نقول ايضاً ان من ارتضى بمعيشتهِ فهو السعيد · وكيف يرتضي هؤلاء بمعيشتهم وهم يقابلون حالهم بحال جيرانهم الاغنياء· وكيف يكونون سعداء وهم ينظرون باعينهم ويسمعون بآذانهم ويشعرون بانفسهم الفرق بين حالهم وحال اهل اليسار

وهذا الاعتقاد يعمي الامة عن واجباتها الاجتماعية ويجعل الحكام يتغاضون عن سن الشرائع التي تضمن للبائسين التمتع بما يتمتع بهِ غيرهم من الخيرات

والآن اذ بيّنا اننا على طريق الكمال وان مستقبل الانسان يكون في عالم مجيد تعم فيهِ السعادة وعرفنا ايضاً ما هي العقبات في طريق هذه السعادة وانها كلها من عمل الانسان وصنع يديهِ فيمكنهُ لذلك ان يزيلها كما اوجدها · افلا يجدر بنا ان نستفيد من هذه المعرفة ونساعد الله او القوة الطبيعية اذا شئتم على تنفيذ ما لا بد من تنفيذهِ اخيراً · او لا نرى ان

حياة الانسان لا تعد شيئاً ما لم تقضَ في سبيل ادراك هذه الغاية المجيدة · فمن هم الرجال الذين يخلد ذكرهم التاريخ ؟ ومن هم الذين نفاخر بهم ونحترمهم ونقتدي بهم ؟ أليسوا الذين بذلوا جهدهم ليوصلوا الهيئة الاجتماعية الى غايتها باسرع ما يمكن ؟ نعم هذه هي مشيئة الله ولا اجهل ممن يعرف مشيئتهُ ولا يعمل بها

ان تاريخ المدنية ونشوئها يدل على انهُ لم يكن للانسان يدٌ قوية في الوصول الى هذه الحالة · بل كان تقدمهُ طبيعيًّا لم يعمل فكرتهُ فيهِ الاَّ في قليل من الاحوال · غير انهُ من مدة قصيرة انتبهت الشعوب الاوربية الى مدنيتنا فساءها ما رأتهُ من آفاتها فاشهرت عليها حرباً عواناً · واشتغل اعظم مصلحيهم بازالة هذه الآفات فذهب بعضهم الى ان التعليم العام هو انجع دواء لهذا · ورأى آخرون غير ذلك لم ينكروا اهمية التعليم بل عدُّوهُ غير كافٍ وحدهُ وحثوا اممهم على الالتجاء الى ما يسمونهُ بالانتخاب التناسلي اي العمل على تكثير نسل الاقوياء وتقليل نسل الضعفاء

وهذا الانتخاب التناسلي هو نفس الطريقة التي يستعملها النباتيون ومربو الحيوانات · فكما انها افضل واسطة لترقية النبات والحيوان كذلك هي افضل وسيلة لترقية الانسان · وقد شعرت الامم الاوربية كلها بوجوب الاسراع نحو الكمال وبدأت تسعى الى ذلك · اما نحن فلا نزال خاملين لا نحرك ساكناً تاركين امرنا للطبيعة لتمدننا كيفما شاءت وباي سرعة ارادت

ان ناموس تنازع البقاء وبقاء الاصلح ايها السادة لا يزال يعمل الآن كما كان يعمل من قبل · فان بقينا على ما نحن عليهِ الآن من الاهمال وعدم الانتباه نقصر بلا ريب في سباق هذه الحياة بعد ان كنا السابقين فنندم حيث لا ينفع الندم · وها نحن الآن اذا داهمتنا دولة تريد سلخ قسم من سلطتنا سألنا متكاسلين « باي حق تفعل ذلك » ظانين ان ناموس التنازع قد انتهى عملهُ وان العدل قد استتب في الارض · وما العدل سوى ان يملك الارض من هو اهلٌ لملكها · فإلى اين نصل يا ترى ان ظللنا نركن الى اوربا لتحل لنا مشاكلنا السياسية او لتفرج عنا الازمات المالية · انتم ادرى بذلك · فعلينا اذاً ايها السادة ان ننهض ونجاري الامم المتمدنة في سيرها او ان نترك هذا السباق لمن هو اهل لهُ ولمن يستحقهُ اكثر منا · فلنفاخر بما نعدهُ لاولادنا من اسباب السعادة والراحة والطمأنينة لا بما تركهُ اجدادنا من الآثار المجيدة التي تدل على اننا لسنا ابناء امناء · فهذه هي الحياة سباق لا يفوز فيهِ سوى الاصلح لهُ من الامم والافراد

مومي حنا ناصر

باب الزراعة

نفقات الري في العراق

انتدبت الحكومة العثمانية احد كبار المهندسين الانكليز وهو السير وليم ويلكوكس المهندس الطائر الصيت للنظر في شؤون ريّ العراق وبيان آرائهِ في حفر جداول جديدة وتطهير الانهار المندرسة وتعمير الاراضي الغامرة ونشر اصول الزراعة الحديثة بين الفلاحين والبحث عن الاراضي التي تمتاز عن غيرها بزرع نوع من الانواع . وقد امّ هذا المهندس ديار العراق قبل سبع سنوات وطاف البلاد من احقر قراها الى اضخم مدنها وجاب فيافيها وقفارها وسهلها وجبلها واختبر بنفسهِ مجاري الانهار وتفرعاتها ومنعطفاتها ومقدار مياهها ودرس طبيعة البقاع التي تمر بها فلم يدع مسألة من مسائل الري الاّ مارسها ودرسها درساً دقيقاً فكتب ذلك التقرير المطول الذي بعث بهِ الى نظارة النافعة فاسهب في امور الري اسهاباً ادهش الباحثين المدققين . وقد اطلعت على هذا التقرير المهم فوجدتهُ نافعاً لكل من يود ان يطلع على مستقبل العراق الزاهر فاستعنت على تعريبهِ من الفرنسوية باحد المهندسين الماهرين . وفي النية تمثيلهُ للطبع ليكون اعم انتشاراً واجزل نفعاً . وها انا اقتطفت منهُ فصلاً عقدهُ المؤلف في « نفقات الري » بعد ان اضفت اليهِ ما عرفتهُ عن البلاد وزراعتها لينشر في هذه المجلة الزاهرة

العراق قطر زراعي توفرت فيهِ كل الاسباب التي تؤهلهُ لمزاحمة الممالك والبلدان في الحاصلات الزراعية . ومتى صحت عزيمة الحكومة على انفاذ المشاريع الاقتصادية المفيدة اصبح في مقدمة الاقطار من حيث الثروة واتساع نطاق التجارة بل سيكون مستورد ديار العالم . فزراعة القمح ناجحة في العراق بالرغم عن فقدان الوسائط التي تسهل على الفلاح سبل الرقي المستمر والحياة الطيبة . ولئن افتخرت روسيا ورومانيا بكثرة الحبوب ووفرة الحاصلات الزراعية وتصديرها الى الديار الاجنبية فما ذلك الاّ لان العراق لم يدخل بعد ميدان السباق اي انهُ لم يتسلح بسلاح العلم الحديث فاذا انتشرت الادوات الحديثة واقتفى الفلاح العراقي اثر الفلاح الغربي في الري والحرث والبذر والحصد ولاقى ما لا يلاقيهِ الآن من المساعدات والتسهيلات وبقي آمناً مطمئناً فاق العراق كل انحاء العالم بزراعتهِ . ويمتاز هذا القطر على

بقية الامصار باستعدادهِ لزراعة النخيل فتجد اليوم على شواطئ الفرات ودجلة وشط العرب اشجار النخيل الباسقة ممتدة على ضفاف هاتيك الانهر وعددها قراب ١٥ مليون نخلة ولا يقل ما يتسرب من ثمن ثمرها الى جيوب المالكين عن خمسة ملايين جنيه كل سنة ٠ وتربة ما بين النهرين صالحة لزراعة القطن وقصب السكر والنيلة وقد قام بعض الفلاحين بتجارب كثيرة اسفرت عن نجاح وفلاح عظيم

ومن رأي هذا المهندس الكبير ان لا تزرع كل بقاع العراق في آن واحد بل يجب على الزراع ان يحرثوا نصف مساحة الاراضي التي يرويها نهر واحد اذا كان الموسم شتاء وثلثها اذا كان الموسم صيفاً وعلى الفلاح ان لا يعاود حرثها في السنة الثانية بل ان يزرع النصف الثاني الذي بوَّرهُ في السنة الاولى اي يتبع طريقة المناوبة كما هي عليهِ الحال في اوربا واميركا حتى تأخذ الارض نصيبها من الراحة ولكيلا تذهب قواها وتضعف موادها الكيماوية ٠ واشار ايضاً بزرع القمح في الشتاء والقطن في الصيف لان هذين النوعين من اهم النواتج الزراعية في هذا القطر ٠ وقال اذا توفر الزراع على التمسك باصول الزراعة الحديثة سهل عليهم ان يستثمروا من كل هكتار (فدانين ونصف) من الارض زرع قمحاً — طنين او ٢٠٠٠ كيلو فاذا حسبنا قيمة الطن ١٦ جنيهاً[1] كان معدل الربع ٣٢ جنيهاً من كل هكتار ٠ واما القطن فان زراعتهُ تدر الذهب الوهاج على السكان فقد اثبتت التجارب الفنية ان معدل محصول الهكتار من القطن ٥٠٠ كيلو وثمن كل ٥٠ كيلو ليرتان ونصف ليرة فيكون متوسط الريع ٢٥ جنيهاً ٠ واما الارز فان ما يزرع منهُ شيء كثير حتى ان اراضي الهبارة وحدها تسد احتياجات القطر كلهِ ويصدر منهُ كميات كبيرة الى الديار الاجنبية ومتوسط ريع الهكتار من الارز لا يقل عن ٢٨ جنيهاً ٠ وزراعتهُ مقصورة على قضاء الهندية والهبارة ولواء العمارة واكثر السكان في هذه البلاد لا يعرفون غير الارز طعاماً حتى انهم يعملون منهُ اقراصاً يخبزونها بدل خبز القمح ٠ ومن الارز ما هو فاخر جداً وهو الذي يزرع في العمارة والهبارة وما هو متوسط وهو الذي يأتي من الهندية وبعض مقاطعات المنتفق ٠ وحاصلات الارز سنوياً تجاوز المليونين من الليرات ناهيك ان جباية الحكومة من ارز العمارة وحدها بلغت في العام الماضي نحو ١٥٠ الف جنيه وليس في هذه الارقام مبالغة لان الاهلين هناك لا يحسنون غير زراعة الارز

واما واردات النخيل فحدث عنها ولا حرج لانها مدر حياة العراقي كما ان القطن

(١) [المقتطف] ثمن طن القمح نحو نصف ذلك فقط في اكثر البلدان الزراعية في الغالب

مصدر معيشة المصري . وتباع بساتين النخيل بحساب الجريب ففي المواضع التي تدنو من المدن وتجود فيها حاصلات التمر ويجد النخيل ما يكفيهِ من الماء والغذاء وهو السماد يساوي الجريب ٥٠٠ جنيه . فلو فرضنا ان معدل الربا خمسة في المائة كان متوسط واردات الجريب السنوية لا يقل عن ٢٥ ليرة . على ان هناك من اجربة النخيل ما يرتفع ثمنهُ حتى يبلغ الف جنيه ولا تنسَ ان النخيل لا يتطلب نفقات كثيرة كسائر الاشجار والمزروعات فهو في ما يلي البصرة ويجاورها مزروع على ضفاف الانهر التي تستمد الماء من شط العرب الكبير بواسطة المد الذي يقلب المياه العذبة ويردها على عقبيها فيرتفع سطح ذلك النهر حتى يفيض على الجداول التي يتوزع ما يأتيها من المياه على البساتين والحدائق والمزارع بدون كلفة وعناء . وحوالي بغداد تكتفي النخلة من الفلاح بالسقي مرتين كل اسبوع اما بواسطة الكرود اي القرب التي تنقل على ظهور السانية او بالمعينات والآلات الرافعة للمياه وهذه الطريقة قد احرزت المقام الاول في سقي المزارع العراقية حتى ان احدى الشركات الانكليزية باعت وحدها من هذه الآلات في السنة الماضية ما يناهز ثمنهُ ٥٠ الف جنيه كما فهم ذلك من جدول احصائي نشرهُ مدير الزراعة في بغداد وهو ما يدل على ان الاقبال عظيم على تقليد الفلاح الاوربي في شؤونهِ واعمالهِ وادواتهِ الزراعية التي هي بلا شك مصدر سعادتهِ ومنبع نعيمهِ . وخلاصة ما يقال عن زراعة النخيل وغلتهِ انها ستكون في مقتبل الزمن من العوامل الكبيرة في تكثير الثروة الاهلية وانمائها. وها نحن نجد الوفاً من الموسرين يعيشون بالرفاهة والرخاء ويتأنقون في الملبس والمأكل والمشرب وما ذلك الاَّ من اشتغالهم بزراعة النخيل واهتمامهم بها

وهنا يجب ان نصرح ان اكثر الاملاك في البصرة قد انتقلت من ايدي اعيانها واشرافها الى بعض الامراء والحكام من العرب امثال الشيخ مبارك باشا الصباح والشيخ خزعل خان امير المحمرة فان هذين الاميرين قد ابتاعا بقاعاً واسعة كلها مغروسة باشجار النخيل في احسن المواقع واقربها الى حدود بلادهما حتى ان الامير مباركاً اشترى اطيان احد كبار آل الزهير بثمانين الف جنيه صفقة واحدة وفي هذه الآونة ابتاع ما بقي لآل القرطاس من الاملاك على شاطئ شط العرب الكبير بخمسة عشر الف ليرة . وكذلك امير المحمرة فانهُ اصبح من الاغنياء وارباب الاطيان الواسعة ومن اعاظم المتمولين في البصرة . ووارداتهُ منها تعادل واردات امارتهِ على اتساعها وترامي اطرافها . ومع هذا فهو دون امير الكويت فان هذا يملك نحو مليون نخلة تمتد من الفاد — فم خليج فارس — الى ما يقرب من البصرة وارباب الخبرة يقدرون اثمانها بثلاثة ملايين جنيه

وزراعة النخيل في البصرة متقدمة جدًّا وهي اوسع منها في بغداد . وقال الدكتور زويمر صاحب كتاب مهد الاسلام ان احد كبار التجار الانكليز في البصرة يقدر غلة التمر سنويًا بنحو من مئة وخمسين الف طن اما اليوم فقد دلت الاحصاءات انها قد تضاعفت فقد جاء في تقرير احد قناصل الدول الاوربية ان غلة التمر تقدر بثلثمائة وخمسين الف طن

ومما يحكى عن خيرات البصرة ان احد الغرباء حل ضيفًا في دار احد الاعيان فاطعمهُ كل يوم لونًا من التمر غير الذي اطعمهُ اياهُ في امسهِ على مدى ثلاثين يومًا

والتمر من المعائش الاولية عند العراقيين وليس في شجرتهِ شيءٌ الاَّ ولهُ منفعة واستعمال عندهم واكثر وقود السكان من سعف النخيل اليابس

ويأتي بعد البصرة في كثرة اشجار النخيل مدينة بغداد وغلة التمر فيها كما قدرهُ القنصل الامريكي مائة وثمانون الف طن ونظن الحقيقة اكثر من ذلك . وقد صدر من التمر من مدينة بغداد سنة ١٩١٢ ما ثمنهُ ٩٥٠و٨٠٩ فرنك على ان تلك السنة كان الموسم فيها رديئًا جدًّا فقد اصيب النخل بمرض وبيل يعرف في العراق بداء « المن » ويسميهِ الفرنسيس Fumagine وكانت الحكومة قد منعت اصدار التمر الى البلاد الاجنبية في تلك السنة لاسباب لا محل لذكرها . ويصدر كل سنة من التمر الى الموصل واربل وكركوك وديار بكر ما يقدر بثلاثين الف طن تحمل على ظهور الابل . وقد تنبه الافرنج الى منافع النخيل واربابهِ فابتاع الامريكيون كميات وافرة من الفسائل وهي اشجار النخيل الصغيرة وقد رأينا عشرات من علماء الزراعة الامريكيين يطوفون اراضي العراق ويتفقدون بساتين النخيل وزراعتهُ فعادوا الى ديارهم بعد ان عرفوا اصول غرسهِ وطرق زرعهِ وتربيتهِ وتعهد سقيهِ على ان الحكومة ادركت خطر اصدار الاشجار الى امريكا فامرت بمنع ارسال النخيل الى تلك الديار خشية ان يزاحم الاميركي العراقي فتفقد الديار العراقية مكانتها الزراعية

واول مشروع اشار اليهِ المهندس ولكوكس هو انشاء سد الهندية ذلك السد الكبير الذي احيا موات بقاع فسيحة كانت في سالف الازمان تضاهي الجنان بخيراتها وبركاتها . وقد كانت ديار السحرة قبل عشر سنوات خرابًا يبابًا ليس فيها من يزرعها ويحرثها لانقطاع المياه عنها حتى هجرها سكانها وقطانها . واما اليوم فقد رأينا الاهلين والفلاحين يفدون اليها من كل صوب وحدب بعد ان جرى الماء في نهر الحلة المشهور . والآن باشر الزراع حرث نحو ١٠ آلاف فدان كلها زرعت من الارز والقمح والشعير والذرة والسمسم والقطن . والامل وطيد ان لا يمضي ربع قرن الاَّ وتسترد الحلة عهد غضارتها ونضارتها . فهذه هي

فوائد الري التي ظن الجاهلون ان انفاق الملايين في سبيل تحقيقها ضرب من الجنون·على ان هناك مشاريع خطيرة قد اظهر المهندس و يلكوكس ضرورة الاسراع الى ايجادها كحفر النهروان القديم وري اراضي البصرة الظامئة وشق الجداول وتطهير الانهار القديمة وانشاء الجسور وتشييد القناطر وغير ذلك وها نحن اولاً نأتي بالجدول الذي كشف فيهِ الغطاء عن النفقات والاراضي القابلة للزرع واثمانها بعد اعمارها وحرثها

اسماء البقاع	نفقات الري	النفقات الزراعية	مجموع النفقات	مساحة الاراضي بالهكتار	اثمان الحاصلات	الاعشار	اثمان الاراضي
الاراضي الكائنة بين الفلوجة والهندية	٥٠٨٤٥٨٠	٥٥٠٠٠٠٠	١٠٥٨٤٥٨٠	٥٥٠٠٠٠	٣٠٨٠٠٠٠	٧٧٠٠٠٠	٤٢٩٠٠٠٠
اراضي الحي وما يلي ديار المنتفق	٢٧٥٧٩٨٠	٢٥٠٠٠٠٠	٥٢٥٧٩٨٠	٢٥٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠	١٩٥٠٠٠٠
البصرة وما يجاورها	١٩٩٦٩٦٠	٩٠٠٠٠٠	٢٨٩٦٩٦٠	٩٠٠٠٠	٥٠٤٠٠٠	١٢٦٠٠٠	٧٠٢٠٠٠
سواحل الفرات	٤٢٥٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	٦٧٥٠٠٠	٥٠٠٠٠	٢٨٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	٣٩٠٠٠٠
اراضي بلد ومايليها	٢١١٨٢١٠	١٧٠٠٠٠٠	٣٨١٨٢٤٠	١٧٠٠٠٠	٩٥٢٠٠٠	٢٣٨٠٠٠	١٣٣٦٠٠٠
اراضي دجلة الجنوبية	١٠٠٦٧٦٠	١٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٦٧٦٠	١٠٠٠٠٠	٥٦٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠	٧٨٠٠٠٠
تأمين سير السفائن	٤٨٣٨٠	...	٤٨٣٨٠	...	...	...	...
	١٥٥٥٠٢٠٠	١٣٨٥٠٠٠٠	٢٩١٠٥٠٢٠	١٤١٠٠٠٠	٧٢٥٦٠٠٠	١٨١٤٠٠٠	١٠٠٩٨٠٠٠

فيرى القارىء من هذا الجدول ان الدولة العثمانية اذا انفقت ١٥٥٥٠٢٠٠ ليرة على شؤون الري وشمر السكان عن سواعدهم فارصدوا من

ثروتهم ١٣٨٥٠٠٠٠ جنيه لانفاقها على الاعمال الزراعية الكبرى كشراء الادوات الحديثة وانشاء السكك الزراعية وما اشبه ذلك استطاعت الحكومة ان تحصل على اراضٍ مساحتها ١٤٤٠٠٠٠ هكتار (او نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون فدان) من اخصب بلاد العالم وريعها من الاعشار فقط ما يناهز ١٨١٤٠٠ جنيه ويدخل الى جيوب الملاكين والفلاحين نحو ٧٢٥٦٠٠٠ جنيه فتعمر البلاد ويميل البدو الى الزراعة واستثمار ما في الارض من الكنوز المدفونة. والذي يؤسف لهُ ان الحكومة قد ارجأت اشغال الري والمظنون انها صرفت النظر عن تحقيق ما جاء في تقرير ويلكوكس لانها على ما يستبان من خلال حركاتها وجهت معظم عنايتها نحو تعمير الاناضول وتنشيط الزراعة والصناعة فيهِ فقد انفقت المبالغ الجسيمة على تشييد المدارس الزراعية والصناعية في كثير من مدن اسيا الصغرى. وهناك جماعة من ولاة الحل والعقد تفضل الاناضول على بقية البلاد العثمانية لانها بمثابة القلب من الدولة ولكونها مقر العنصر التركي ومعقلهُ الحصين ذلك العنصر الذي هو الآن العامل الاكبر في سياسة الدولة فيجب الاخذ بيد سوادهِ وتعويدهُ على الاشغال الحرة النافعة. تلك آراؤُهم في تعمير البلاد وهو ما دفع ساسة الاستانة الى ان يضنوا بانشاء مدرسة زراعية في بغداد معتذرين بضيق الميزانية وعجزها ولا ندري الى متى تظل العصبية العنصرية عاملاً مؤَثراً في ادارة البلاد ولو نظر اولو الامر والنهي بعين البصيرة والخبرة لوجدوا ان انفاق غرش على ري العراق يفيد الخزينة اكثر من انفاق دينار على الاناضول لان العراق قطر لا يحتاج الا الى اعتناء قليل وتنشيط الفلاح فيهِ ودفع الاذى والظلم عنهُ. وتربتهُ اكثر استعداداً للزرع والضرع من الاناضول ففي العراق الانهار الجارية ذات المياه الغميرة وفيهِ الاراضي الواسعة والتربة الخصبة والهواء المعتدل والشعب المطيع النجيب فلا يعوزهُ الا ما ذكرناهُ من اتمام اعمال الري. ولا نريد حمل الحكومة على حرمان الاناضول من اسباب الرقي والتقدم بل نطلب منها ان تنظر الى البلاد العربية عامة والعراقية خاصة بالعين التي تنظر بها الى البلاد التركية فتنشرُ فيها المدارس والمعاهد الكبرى وتفتح المصارف الزراعية وتوزع الاراضي الاميرية على البدو وسكان المدر وتمدهم بقليل من عنايتها ورعايتها حتى لا نقول اننا اليوم في عصر لا تنطبق عليهِ احكام الدستور وقواعدهُ الاساسية. وما دامت الدولة تعقد القروض باسم المملكة باسرها فمن الواجب عليها ان تنفق ما تستلفهُ من الاموال على البلاد بالسوية من دون تمييز بين بلاد وبلاد وعنصر وعنصر وعسى ان تجد كلمتي هذه اذاناً صاغية وقلوباً واعية

بغداد ابرهيم حلمي العمر

الواردات الزراعية

يظهر من تقرير الجمارك المصرية حتى آخر مايو الماضى ان بعض الواردات الزراعية زاد في هذه الاشهر الخمسة عما كان في مثلها من العام الماضي وبعضها نقص كما ترى في الجدولين التاليين

اهم الواردات التي زادت قيمتها

	سنة ١٩١٣	سنة ١٩١٤	الزيادة
الغنم والمعزى	٣٩٢٦٥ جنيهاً	٤٧٢٨٤ جنيهاً	٨٠١٩ جنيهاً
السمن والزبدة	٢٦٠٥٠ «	٣٥٤٩٤ «	٩٤٤٤ «
سمك مملح ومقدد	٤٢٧٤١ «	٤٩٥١٤ «	٦٧٧٣ «
لحم مملح ومقدد ومبرد	٥١٣٠٧ «	٥٣٩٧١ «	٢٩٣٤ «
سمسم	١٧٠٨٦ «	٥٧٤٨٠ «	٤٠٣٩٤ «
ذرة	٢٣٧٥٧ «	٤٣٠٩٨ «	١٩٣٤١ «
خمر	٦٣٤٣٠ «	٦٨٦١٤ «	٠٥١٨٤ «
مسكرات	٦٢١٩٣ «	٦٣٧٢١ «	٠١٥٢٨ «
زيت زيتون	٣٥٨٧٩ «	٥٣١٣٧ «	١٧٢٥٨ «

اهم الواردات التي نقصت قيمتها

	سنة ١٩١٣	سنة ١٩١٤	النقص
الشعير	٤٢٨٩١ جنيهاً	٣٣٦٤١ جنيهاً	١٩٣٤١ جنيهاً
الارز	٢٦٦١٥٩ «	٢٢٢٢٧٥ «	٤٣٨٨٤ «
الدقيق	١٠٣٩٥٨٦ «	٨٩١٥٠٧ «	١٤٨٠٧٩ «
الاثمار الطرية	٠٠٥٨٦٤٣ «	٥٤٦٦٦ «	٠٠٣٩٧٧ «
الاثمار المقددة	١٠٠٧١٦ «	٩٣٠٩٠ «	٧٦٢٦ «
السكر	١٨١٨٢٠ «	١٠٦٢٤٤ «	٧٥٥٧٦ «

اما الصادرات الزراعية فزادت قيمة ما صدر منها من البيض والبصل والكسب والحناء والقطن والكتان كما ترى في هذا الجدول

	سنة ١٩١٣	سنة ١٩١٤	الزيادة
القطن	٩ ٩٧٨ ٤٦٧ جنيهاً	١٠ ٩٦٩ ٠١٧ جنيهاً	٩٩٠ ٥٥٠ جنيهاً
البيض	٠ ١٨١ ١٣٩ «	٠٠ ١٨٧ ٤٥١ «	٠٠٦ ٣١٢ «
البصل	٠ ٢٦٠ ٣٧٧ «	٠٠ ٣٣٧ ٥٠٠ «	٠٧٧ ١٢٣ «
الكسب	٠ ١٥٠ ١٠٤ «	٠٠ ١٥٥ ٦٨٠ «	٠٠٥ ٥٧٦ «
الحناء	٠ ٠٠٥ ٥٣٧ «	٠٠ ٠١١ ٩٩٩ «	٠٠٦ ٤٦٢ «
الكتان	٠ ٠٤٨ ٢١٤ «	٠٠ ٠٦٨ ٢٧١ «	٠٢٠ ٠٥٧ «

ونقصت قيمة ما صدر من بزرة القطن والارز والسكر والصمغ العربي كما ترى في هذا الجدول

	سنة ١٩١٣	سنة ١٩١٤	النقص
بزرة القطن	١ ٢٢٩ ٨٩٩ جنيهاً	١ ٢٠٨ ٤٣٩ جنيهاً	٢١ ٤٦٠ جنيهاً
الارز	٠ ١١٢ ١٨٠ «	٠ ٠٩٤ ٤٧٦ «	١٧ ٧٠٤ «
السكر	٠ ٠٤١ ٦٨٨ «	٠ ٠٢٠ ٤٩٧ «	٢١١٩١ «
الصمغ العربي	٠٠ ١٣ ٩٢٣ «	٠ ٠٠٦ ٨٧٩ «	٠٧ ٠٤٤ «

وقد زادت قيمة الواردات بنوع عام عمّا كانت عليهِ في العام الماضي ٧٢٩ ٣٩٥ جنيهاً وزادت قيمة الصادرات ١ ٦٦ ٦٢٤ جنيهاً ولذلك فتباشير هذه السنة تدل على انها ايسر من السنة الماضية ومما يؤيد ذلك ان النقود التي وردت هذه السنة الى آخر مايو تزيد على النقود التي وردت في السنة الماضية الى آخر مايو ١٥٩ ٤٨٨ جنيهاً والنقود التي صدرت هذه السنة تنقص عن النقود التي صدرت في العام الماضي ١ ٤٠٨ ٤٤٤ جنيهاً

ردم البرك

تناقشت الجمعيَّة التشريعية في القانون الذي تريد الحكومة سنهُ لردم البرك حتى اذا لم يردمها اصحابها ردمتها الحكومة او مجلس المديرية وباعتها واستوفت نفقات الردم من ثمنها . وقد اعترض بعض الاعضاء على اصدار هذا القانون والعمل بهِ قبلما توافق المحكمة المختلطة على ان يصدق على الاجانب كما يصدق على الوطنيين كانهُ لا يجوز ان يتمتَّع الوطنيون بنعمة ما لم يتمتَّع بها الاجانب ايضاً اذ قد وافقت الجمعية على ان ردم البرك مفيد للبلاد حتماً من باب صحي ومن باب زراعي

ولكن لو رُدِمَتْ البرك كلها الآن تجدَّد غيرها بعد عهد غير طويل لان العمارة مستمرة في البلاد وهي تزيد على نسبة هندسية وموادها الطوب في الغالب ولا مصدر لهُ الاَّ الاطيان فهل فكَّرت الحكومة او فكَّر غيرها في ايجاد مادة اخرى لبناء البيوت غير الطوب . اما الطوب الاخضر فقد استعملهُ سكان هذا القطر منذ عهد سحيق جدًّا كما ترى في اهرام دهشور المبنية بالطوب الاخضر وفي مخازن رعمسيس فان طوبها لا يزال سليمًا وعليهِ ختم رعمسيس ولا يحتمل ان توجد مادة تقوم مقام الطوب وتكون رخيصة مثلهُ

بقي ان نرى هل البرك الكبيرة التي تبقى فيها المياه على مدار السنة وتتجدَّد مياهها من وقت الى آخر بما يضاف اليها من ماء الري مضرة بالصحة . ان قيل ان الضرر حاصل من الابخرة التي تصعد منها قلنا ان هذا قول قديم منقوض لان الابخرة لا تضر والذي يسبب الحميات الاجمية ليس البخار المائي بل نوع من البعوض يتوالد في البرك القليلة الماء ويمكن منع تولدهِ بصب قليل من البترول فيها او بتربية السمك الذي يأكل عوم البعوض . وقلما يتولد هذا البعوض الاَّ في البرك الصغيرة . واذا خيف من البلهرتسيا التي تسبب البول الدموي والانكلوستوما التي تسبب فقرَ الدم فجراثيم هذين المرضين توجد في مياه الترع كما توجد في مياه البرك . ويظهر لنا انهُ اذا كانت البركة كبيرة ومرت بها ترعة تجدد ماءها وحفظت حافاتها من الاقذار فان مياهها تكون صالحة للشرب كمياه الترع ولاسيما اذا رشحت في الازيار وتبقى للفلاحين مورداً يستقون منهُ لمواشيهم اذا جفت الترع كما يحدث في زمن المناوبة . ولا يحسن بالحكومة ان تأمر بردم كل البرك قبل ان يثبت لها بادلة علمية قاطعة انها مضرة حتماً وانهُ لا سبيل لمنع ضررها الاَّ بردمها وانهُ يمكن الاستغناء عنها ومنع تجددها والاَّ فردمها كلها عناءٌ بلا نفع او منهُ ضرر لان ارباب الزراعة يعلمون ان ردم بركة من الاطيان المجاورة لها يضعف تلك الاطيان ويقلل ريعها ولو سنة واحدة ولانهُ لا بدَّ من مستقى تستقي منهُ مواشي كل عزبة قريب منها والاَّ فالذهاب بالمواشي الى مستقى يبعد عن مقرها ميلاً او ميلين كما يحدث احيانًا يضعف قوتها على غير فائدة

وعسى ان لا تبرح الامور التالية من ذهن رجال الحكومة وهي

اولاً انهُ لا بدَّ من مكان تستقي منهُ المواشي يكون قريبًا من مقرها

ثانيًا انهُ لا بدَّ من مكان لضرب الطوب

ثالثًا ان كل ما كان يقال من ان الحميات تتولد من متصعدات البرك والآجام خطأٌ

والصواب انها تتولد من لسع بعض الحشرات التي تبيض وتتولد في بعض المياه الراكدة ويمكن التخلص منها بغير ردم البرك

رابعًا ان البركة الكبيرة التي تمرُّ فيها ترعة جارية لا يحتمل ان يكون ماؤُها اضر بالصحة من مياه تلك الترعة

خامسًا ان ردم البرك من الاطيان المجاورة لها يضعف تلك الاطيان ويقلل محصولها ولو في زرعة واحدة

فاذا راعت الحكومة هذه الامور كلها ولم يثبت لها علميًا ثبوتًا ينفي كل ريب ان البرك مضرة بالصحة حتماً كان من الحكمة ان تقصر مشروعها على البرك الصغيرة التي يسهل ردمها وتترك للاهالي الخيار في ردم ما سواها او تشترط عليهم حفظها نظيفة من الاقذار على قدر الامكان

غرس الاشجار

نشرت نظارة الزراعة منشوراً كبير الفائدة في كيفية غرس الاشجار هذا نصهُ

يجب ان تفك الاشجار المحرومة حال وصولها وتوضع جذورها في حفرة وتغطى جيداً بالتراب ثم تروى ريًّا كافيًا وتوضع منفردة في الحفرة اذ لا فائدة من وضعها حزمة واحدة وتغطية جذورها الخارجية بالتراب

فاذا تأَخرت الاشجار العارية الجذور (الملش) في الطريق وظهر على قشرتها انكماش فالاحسن غمرها ليلة في مجرى ماء ثم دفنها بجذورها واغصانها في الارض مدة ثلاثة ايام وبعد ذلك يمكن استخراجها وغرسها · ويجب ان تفحص الجذور بعناية قبل الغرس فتنزع جميع اجزائها الممزقة والمنسلخة والمكسورة

اما اشجار التفاح واللوز والمشمش والتين والكاكي والخوخ والكمثرى والبرقوق والسفرجل والحمضيات فيجب قطع سيقانها على ارتفاع ٦ سنتيمتراً من القاعدة واذا وجدت في بقية الساق اغصان صغيرة تقلم على بعد ٧ او ٨ سنتيمترات من الساق

وقد يموت عدد عظيم من الاشجار لانها لم تقلم وقت النقل ويحسن قبل نقلها الى المغارس ان تغمس جذورها في الطين (الزهريط) فتحفر حفرة عمقها ٤٠ سنتيمتراً الى ٥٠ سنتيمتراً وسعتها ٦٠ سنتيمتراً ويملأ جزءٌ منها بالتراب ثم يخلط التراب بماء كافٍ حتى يصير مائعًا وتغمس فيهِ الجذور فيقل الضرر الذي يلحق بالاشجار من تعرضها للشمس اثناء الغرس

واما الاشجار المغلفة الجذور بالطين فيجب غرسها وريها حال وصولها

فيضان هذا العام

اهم المسائل التي شغلت الافكار هذا العام فيضان النيل فان الفيضان الماضي كان اوطأ من كل فيضان سبقهُ منذ ١٥٠ سنة الى الآن حتى كاد الماء ينضب من مجرى النيل ولولا الماء المخزون في خزان اصوان لاستحال زرع القطن هذه السنة. وبقي رجال الري خائفين ان يجيء الفيضان التالي واطئًا فتكون السنة التالية اردأ من هذه السنة وقد منعوا زرع الارز لكي يكفي الماء الموجود في الخزان مع القليل الذي يمدهُ لزراعة القطن . لكن الفيضان ابتدأ في اعالي النيل في البحر الازرق والبحر الابيض كما يبتدئ في السنين العادية والنيل في مقياس الرُّصَيْرص عند كتابة هذه السطور اعلى مما كان في العام الماضي وارتفاعهُ يزيد و ينقص حسب وقوع الامطار في بلاد الحبش ولكن الزيادة اكثر من النقصان . والمظنون ان الحكومة تسمح بالابتداء بري الشراقي في اوائل يوليو ولقد كان الماء متوفراً لري القطن في كل الشهر الماضي بما بُذل من العناية في توزيعهِ حتى زاد في بعض الاماكن على حاجة القطن فاطفأ الفلاحون بهِ الشراقي

موسم القطن ودودهُ وسعرهُ

تأخر نمو القطن في اكثر الاماكن بسبب برد الهواء في شهر ابريل واوائل مايو ولكن اشتدَّ الحر بعد ذلك فعاد القطن الى النمو السريع . وظهرت لطع دود القطن في اواسط يونيو ولكن الدلائل تدلُّ حتى الآن على ان دودها مريض لا يقوى على احتمال الحر والمرجح ان القطن يسلم منها . وقد وضعت الحكومة قانونًا لاستئصال دود اللوز ولاسيما دود بزر القطن وذلك بجمع كل اللوز الذي يترك عادة على حطب القطن قبل قلعهِ وحرقهِ . وهو اسلوب حسن لا صعوبة في العمل بهِ . وعسى ان يكون كافيًا لاستئصال دود اللوز ودود البزر او لتخفيف وطأتهما . وحبذا لو سعى علماء الحشرات في اكتشاف داء ميكروبي ينشرونهُ بين هذه الديدان فيفتك بها . ولا يفلُّ الحديد الاَّ الحديد

ولكن هبوط سعر القطن ادعى الى الخوف من كل آفة لان نقص ريالين في القنطار بمثابة خسارة ثلاثة ملايين من الجنيهات . وعندنا ان اصحاب القطن في هذا القطر يستطيعون ان يرفعوا سعرهُ ريالاً او ريالين او اكثر اذا استخدموا الوسائل اللازمة لذلك . وهم حتى الآن يكلون سعر القطن الى طقس اميركا وما يصيب قطنها مما ينميهِ او يقلل نموهُ . فاذا وافقت

الاحوال القطن الاميركي فكثر موسمهُ وجاد نوعهُ هبط سعر القطن المصري واذا لم توافق الاحوال القطن الاميركي فجاء محصولهُ قليلاً ونوعهُ رديئاً ارتفع سعر القطن المصري مع انهُ في الامكان ان يطلب القطن المصري لذاتهِ ويكون ثمنهُ مستقلاً عن المحصول الاميركي كما سنبينهُ في الجزء التالي او الذي يليهِ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النباتات الاهلية وفوائدها الطبية

التمر الهندي A. Tamarind, F. Tamarin, L. Tamarindus Indica· هو ثمر شجرة من الفصيلة القرنية تنمو في الهند واسيا الغربية ومصر يحتوي على طرطرات البوتاسا وطرطرات الكلس الحامضين وعلى الحامض الطرطريك· وقلما يخلو التمر الهندي التجاري من الغش ويرد بعد ان يبخر في اساطين نحاسية فيحتوي احياناً على جزء من النحاس· وهو مسهل ومبرد فيستعمل شراباً او نقيعاً بنسبة ٣٢ من التمر الى ليتر ماء وجرعتهُ مسهلاً من ٣٠ — ٦٠ غراماً ويحضر منهُ اقراص مسهلة حسنة الطعم

التوت A. Mulberry, F. Mûre شجر من الفصيلة الانجرية وثمرهُ نوعان ابيض حلو واسود حلو الى حموضة وكلاهما يؤكلان· ويحضر من الاسود شراب لذيذ يفيد في القلاع وفي التهاب الامعاء للاطفال وينفع في التهاب الحلق واللوزتين اذا اتخذ غرغرة· والورق يستعمل غذاء لدود القز وهو والجذر مران حريفان مسهلان ومضادان للدود

التين A. Fig, F. Figue. ثمر شجرة من الفصيلة التوتية يؤكل طريًّا وجافًّا وهو احد الاثمار الاربعة الصدرية وتتوقف فائدتهُ الدوائية على المادة السكرية اللزجة الموجودة فيهِ بكثرة فيغلى التين الجاف بعد تشريحهِ بالماء او بالحليب ويستعمل غرغرة وشرباً وهو ملطف وملين

الثالوث البرّي A. Pansy, F. Pensée sauvage, Viola tricolor. عشبة من الفصيلة البنفسجية تشبهُ البنفسج بمنظرها وخواصها وهي منقية ومضادة للخنازيري وبالجرعات الكبيرة مسهلة ومقيئة

الثوم A. Garlick, F. Ail, L.Allium satvium من الفصيلة الزنبقية يدخل كثيراً في تحضير الاطعمة وهو منبه قوي ومحمّر اذا وضع على الجلد فعل كالخردل واذا طالت مدة وضعهِ فعل كالحراقة ولهذا يضاف الى الضمادات لزيادة فعلها المنضج والى الخرديات لزيادة فعلها المنبه · ويستعمل من الداخل مضاداً للدود فيؤْخذ منقوعاً بالحليب

الجذور الخمسة المفتحة عند القدماء Les cinq racines apéritives الكرفس · الشمر · الهليون · الآس البري

الجرجار او الجرجير A. Cress, F. Cresson, L. Nasturtium عشبة من الفصيلة الصليبية ذات رائحة عطرية وطعم حار تؤْخذ مع الطعام لتنبيهِ القابلية والاكثار منها قد يحدث حريقاً في البول · وتفيد في مرض الاسكربوط وتدخل في تركيب الخمر والشراب المستعملين ضده ُ

الجرجار الحلو A. & F. Cardamine ويعرف في سورية بالقرّة طعمهُ حلو ويكثر على حافات البرك وجوانب المجاري المائية ويشبهُ بخواصهِ الجرجار الحار الاَّ انهُ اقل منهُ فعلاً

الجزر A. Carrot, F. Carotte, L. Daucus carota. عشبة من الفصيلة الصيوانية جذرها حلو سكري ذو رائحة عطرية خفيفة وهو من الاغذية اللطيفة والصحية التي توافق اصحاب الهضم الضعيف والناقهين من الامراض الطويلة وفعلهُ الدوائي ملطف

جوز الطيب A. Nutmeg, F. Muscade, L. Nux moschata ثمر شجرة من الفصيلة الطيبية يستعمل بهاراً ومعطراً للطعام او للادوية ويستخرج منهُ زيت عطري يدخل في تركيب البلاسم التي تستعمل من الخارج في الامراض العصبية

جوز الهند A. Cocoa, F. Cacao, L. Semnia cacao ثمر شجرة من الفصيلة النخلية حسن الرائحة والطعم تحضر منهُ الشوكولاته والسيال الذي في قلب الجوزة يفيد احياناً في طرد الدود القرعي

حامض الطرطير · انظر العنب

حامض الليمون · انظر ليمون

الحبق A. Sweet basil, F. Basilic, L. Ocymum basilicum نبات سنوي من

الفصيلة الشفوية رائحتهُ عطرية واوراقهُ وزهورهُ منبهة ومضادة للتشنج

حبل المساكين . عمشق الارض A. Ivy, F. Lierre terrestre, L. Glechoma hederacea

عشبة اهلية عن الفصيلة الشفوية عطرية الزهر يستعمل نقيعها لتنبيه الغشاء المخاطي الرئوي في الالتهاب الشعبي المزمن وغيرهِ من امراض الرئة

حبة البركة A. Nigella, F. Nigelle, L. Nigella sativa هي ثمر عشبة من الفصيلة الشقيقية وهي منبهة ومفرزة للعاب ومعطسة ومدرة للطمث ويستعمل مسحوقها بهاراً مع الطعام

الحشيش A. Indian hemp, F. Hachiche, Connabis Indica حشيشة سنوية من الفصيلة الانجرية يحضر بطريقة خصوصية من الغبار الدقيق الملتصق باوراقها واغصانها لعوق يستعمل في الشرق مسكراً على طرق شتى واشهرها مع الدخان بالنارجيله وهو ذو عواقب سيئة واضرار جسيمة ومخدر ومنوم ولا يجوز استعمالهُ الاَّ بمشورة الطبيب

حشيشة البحر A. Lichen, F. Lichen, L. Lichene اسم طائفة من الاعشاب البحرية تحتوي على مادة جلاتينية وكثير من المادة النشائية فتصلح بذلك للغذاء وكلها صحية وغير سامة . وبعضها يستعمل دواء في الامراض الصدرية ولشفاء الحمى وطرد الدود واشهرها واكثرها استعمالاً النوع المعروف بالليكن الاسلاندي Lichen d' Island فهو ملطف صدري ومنفث يؤْخذ نقيعاً بنسبة ١٦ غراماً منهُ الى ليتر ماء او مجمداً على هيئة الهلام (من ١٢٠ الى ١٨٠ غرام في النهار) وهو يحتوي على مبدإٍ مر وتختلف فائدتهُ باختلاف تحضيرهِ فاذا غسلت الحشيشة قبل نقعها غسلاً بسيطاً بالماء البارد زال منها المبدأ المرّ الاَّ القليل منهُ وبقي في النقيع المادة المغذية والملطفة وعلى هذه الصفة يستعمل في الامراض الصدرية . واما اذا نقعت الحشيشة بدون غسل كان لون النقيع اصفر وطعمهُ مرًّا يشبهُ طعم نقيع خشب المرّ وهذا يستعمل مقوّياً وشافياً للحمى

ومن انواعهِ نوع يفيد في السعال الديكي (الشهقة) وهو Lichen pyxidatus وآخر يستعمل في علاج اليرقان المستعصي وهو Lichen pulmonarium وآخر مسهل طارد وآخر مضاد للدود الخ . وكلها معروفة في موسوعات العقاقير الدوائية

حشيشة الانجبار . انظر اذن الحمار

حشيشة البنج A. Henbane, F. Jusquiame, L.Hyoscyamus عشبة من الفصيلة البطاطية كثيرة الاصناف يستعمل منها بنوع خصوصي الصنف المعروف بالبنج

الاسود وينبت على جوانب السبل وفي الاراضي الغير المزروعة ورائحتهُ كريهة وفعلهُ مخدر . والحشيشة كلها مخدرة وسامة الاَّ ان الاوراق اشد فعلاً من الجذور والبزور اشد فعلاً من كليهما فلا يجوز استعمالها الاَّ بمشورة الطبيب . واهم مستحضراتها مسحوق الورق وجرعتهُ من ٥ — ٣٠ سنتكراماً والخلاصة وجرعتها من ٢ — ٥ سنتكرامات ويستخرج منها زيت يستعمل للتسكين من الخارج ويدخل الورق في تركيب البلسم الهادي ومرهم الحور

الحشيشة الحبشية A. Kousso, F. Cousso ou Kousso L. Brayera anthelmentica

تعرف عند العامة بهذا الاسم وهي بالحقيقة زهر شجرة كبيرة تعلو من ٥ — ٦ امتار وتنمو في جبال الحبشة على علو ٢٣٠٠ — ٣٥٠٠ متر وهو افضل دواء معروف ضد الدود القرعي وجرعتهُ من ١٥ — ٢٠ غراماً تؤْخذ مجبولة بالعسل وتعقب بمسهل

حشيشة الحلاوى . انظر عصلج

حشيشة الدينار A. Hop, F. Houblon, L. Humulus lupulus حشيشة من الفصيلة الانجرية تدخل في تحضير البيرا فتكسبها طعمها المقبول وهي مقوية كبيرة الفائدة وبالجرعات الكبيرة منومة . ويستخرج منها مبدأ فعال اسمهُ اللولوبين يستعمل مقوياً ومسكناً والجرعة من ١٦ غراماً الى ٣٢ غراماً من الرؤُوس اي الاكواز في ليتر ماء ويفضل النقيع على المغلي لانهُ افضل طعماً واقوى فعلاً

حشيشة الزجاج A. Pellitory, F. Pariétaire, L. Parietaria officinalis عشبة من الفصيلة الانجرية تنبت على الجدران القديمة وهي مبولة لاحتوائها على نيترات البوتاس وتستعمل مغلياً بنسبة قبضة منها الى ليتر ماء ويستقطر منها ماء يستعمل لهذه الغاية

حشيشة الغافلة A. Agrimony, F. Agrimoine, L. Agrimonia eupatoria

عشبة من الفصيلة الوردية مرة قليلاً وقابضة تستعمل غرغرة منظفة في امراض الحلق ويستعمل مسحوق ورقها في بعض جهات سورية لمعالجة الاكزيما الناشفة

حشيشة الغبراء A. Germander, F. Germandrée, L. Teucrium عشبة من الفصيلة الشفوية اذا فرك ورقها بالاصابع فاحت منهُ رائحة كرائحة الثوم وهي مرة مقوية

حشيشة القطع وصل A. Shavegrass, F. Prêle, L. Equisetum arvens

وسميت بالقطع وصل لانها تتألف من قطع يندغم بعضها ببعض وطول كل قطعة عقدة وخواصها قابضة ومقوية للمعدة

حشيشة مار يوحنا A. Saint John's wort, F. Millepertuis
L. Hypericum perforatum
عشبة من الفصيلة الهيبريكية زهرها جميل عطري وفي ورقها نقط شفافة تحتوي على زيت طيار وخواصها مقوية قليلاً تستعمل القمم المزهرة منها نقيعاً بنسبة ٨ — ١٦ غراماً في ليتر ماء ويؤخذ الزيت الطيار نقطاً

حشيشة الملاعق A. Scurvy-grass, F. Cochléaria, L. Cochlearia officinalis
عشبة من الفصيلة الصليبية طعمها حار حارق اشبه بطعم الجرجار الحار وسميت بحشيشة الملاعق من هيئة ورقها · وخواصها مضادة للاسكربوط فيعطي عصير الورق الطري صرفاً او على هيئة شراب وجذرها يغور في الارض ويبلغ غلظهُ غلظ الزند وطعمهُ حريف كاوٍ ورائحتهُ قوية ويطلقون عليهِ اسم الفجل البري Raifort sauvage وهو يحمر الجلد اذا وضع عليهِ ويحضر منهُ ومن الورق الطري شراب مفيد يعرف بالشراب ضد الاسكربوط

الحلبة Fenu-greek, F. Fenugrec, L. Qrigonella foenum groecum عشبة سنوية من الفصيلة الشفوية تزرع كثيراً في مصر ولبزرها رائحة قوية مقبولة ودقيقهُ ملين ومحلل وتستعملهُ العامة مقوياً للمعدة ومليناً وطارداً للريح

الحلّيبة A. Spurge, F. Euphorbe, L. Euphorbia اعشاب من الفصيلة الاوفوربية ذات عصار لبني كاوٍ وتبلغ حجم الاشجار في افريقيا والهند وجزائر كناريا · يستخرج منها صمغ راتينجي وخواصها مسهلة عنيفة ومن الخارج كاوية ويستعمل عصارها اللبني لاماتة المسامير والثآليل

الحلو المر A. Bitter sweet, or Woody nightshed, F. Douce amer,
L. Solanum doulca amara.
نبات نجمي من نوع عنب الذئب من الفصيلة البطاطية رائحتهُ كريهة وهو طري ولا رائحة لهُ وهو جافٌّ · طعمهُ مرٌّ الى حلاوة ويحتوي على زيت طيار وتستعمل اغصانهُ الطرية (٢٥ — ٣٠ سنتكراماً) في الامراض الجلدية والرومانسم المزمن والنقرس

الحندقوق A. Melilot, F. Melilot, L. Melilotus officinalis. نبات اهلي من الفصيلة القرنية اصفر الزهور ينبت في الحقول فيزيدها رونقاً وجمالاً · يستعمل نقيع زهرهِ في التهابات العين الخفيفة ولكنهُ قليل الفائدة ولا يستحق الاهمية التي يعلقونها عليهِ

الدكتور
امين ابو خاطر

مس سلسور رائدة الحضارة

اذا عُدَّ روَّاد الحضارة الذين دخلوا قلب افريقية وابطلوا النخاسة منها وعلّموا السكان اساليب الحضارة وصرفوهم عن الفعال البربرية وساعدوهم على ترقية انفسهم بانفسهم واصلاح شؤونهم بايديهم فلهذهِ السيدة المقام الاول بينهم · ذهبت الى بلاد النيجر مرسلة من قبَل جمعية الكنيسة الاسكتلندية الحرة فاقامت فيها ٣٨ سنة وابدت من الشجاعة والحزم وبُعد النظر ما يندر مثيلهُ · تعلمت لغة الاهالي واحسنتها ودخلت بيوتهم وعاشرت عيالهم وعرفت عاداتهم وشرائعهم وخبرت اساليب معيشتهم فبلغت في ذلك شأواً لم يبلغهُ اوربي قبلها · واحبها السكان واكرموها وكانت اذا نشبت حرب بين فريقين منهم تدخل ميدان القتال بينهما فيمتنعان عن اطلاق الرصاص لكي لا تصاب بمكروه وقد فعلت ذلك مراراً فبطل القتال احتراماً لها وضنًّا بحياتها

ولما رأى السر تشارلس مكدونلد حاكم البلاد من قبل الدولة الانكليزية ما لها من الشأن الرفيع هناك جعلها قنصلاً للحكومة الانكليزية فزاد احترامها في عيون رؤساء القبائل · ثم لما أُنشئت مجالس القضاء في تلك البلاد وليت القضاء في مجلس منها · والبلاد التي كانت فيها استتبَّ فيها الامن ولم يقع من سكانها ما يدعو الى تأديبهم لانهم كانوا يطيعونها في كل شيء ولا يخالفون لها امراً واذا وقعت بينهم الخصومات كما تقع عادة بين القبائل المتناظرة فكلمة منها تكفي لرفع الخصومة مهما كانت

ولم تكتفِ بهذه السلطة الادبية والادارية بل بذلت جهدها في اصلاح شؤون الاهلين المادية فانشأت لهم مدرسة صناعية وعلمتهم كيف يجلبون بضائعهم من المعامل الصناعية مباشرة فنالت الشكر الجزيل منهم ومن الحكومة الانكليزية صاحبة السيادة عليهم

ولو كان كل روَّاد الحضارة من النساء لاكتفين بنقل منافعها الى البلدان التي دخلنها وامتنعنَ عن نقل مضارها ولكانت حال افريقية الآن غير ما هي

الممرضات لتفتيش المدارس

اختارت احدى الولايات الاميركية النساء الممرضات مفتشات للمدارس من الجهة الصحية بدل الاطباء فجعلن يترددن على مدارس الاولاد وبيوتهم ويشرن عليهم وعلى والديهم بما يرينهُ لازماً لهم من باب طبي او صحي · ويظهر مما قرَّرهُ مدير الصحة في تلك الولاية ان هؤلاء الممرضات فحصن ١٨٠٠٠ ولد فوجدن ١٢٠٠٠ منهم محتاجين الى التدبير الصحي

او الى المعالجة ولو لخلل طفيف في صحة ابدانهم فان ٤٢ في المئة منهم اسنانهم غير سليمة و ٢٨ في المئة مصابون في اللهاة و ١٨ في المئة مصابون بخلل في البصر و ١٣ في المئة يتنفسون من افواههم لا من انوفهم و ٨ في المئة بهم تضخُّم في الغدد

ولا شبهة في ان تعيين النساء مفتشات صحيات في الكتاتيب والمدارس الابتدائية اصلح من تعيين الرجال لانهُ يسهل عليهنَّ دخول البيوت والتفتيش عن كل ما يتعلَّق بالاولاد من حيث طعامهم ولباسهم واماكن منامتهم ولكن يشترط ان يكنَّ متعلمات حتى يستطعْنَ ان يشرن بما هو نافع

مسز بلُّو
احذق امرأة طيَّارة

هي سيدة انكليزية اولعت في صباها بركوب الاوتوموبيل ولم تكتفِ بركوبهِ بل جعلت تصلح في آلاتهِ ولها مخترعات فيهِ تدلُّ على حذق شديد ومهارة فائقة . واول مرة طارت في طيارة سنة ١٩١٠ ثم طارت مرة اخرى بعد بضعة اشهر ومن ثمَّ أُولعت بركوب الطيارات فدخلت مدرسة الطيران في دوي بفرنسا وكانت السيدة الوحيدة في تلك المدرسة فاقامت فيها سنة ونصف سنة درست في غضونها كل ما يتعلَّق بالطيران وعمل الطيارات وجعلت تعمل بيديها كل اجزاء الطيارة مثل اي ضابط من ضباط الفرقة الطيارة في الجيش الفرنسوي

وطارت اول مرة وثاني مرة في دوي مع استاذها واذن لها في المرة الثالثة ان تطير وحدها ولكن اشترط عليها ان تطير في خط مستقيم ولا تدور في الجو لانهُ حسب انها لا تستطيع الدوران فطارت ثم ادارت طيارتها قليلاً فوجدت انها تستطيع ان تديرها بسهولة فجعلت تدور بها مرة بعد اخرى واساتذة المدرسة تحتها وقوف يعجبون من جسارتها وجرأتها

ونالت الشهادة من تلك المدرسة في ٢ ابريل سنة ١٩١٢ وكانت تعد من امهر الضباط الطيارين الذين تعلموا معها لانهم كسروا ٢٧ طيارة ثمنها ٤٠٠٠٠ جنيه واما هي فلم تكسر ولا طيارة مع انها كانت تطير مثلهم . ولما جرت المسابقة لاجل كأْس النساء بقيت طائرة ساعتين في عاصف شديد ثم نفد زيت الآلة المحركة فوقفت بغتةً ووقفت المروحة اما هي فلم تضع صوابها كما يقع للطيارين في مثل هذه الحال بل ادارت الطيارة ونزلت بها



مسز بلَّر

المقتطف صفحة ٨٠ مجلد ٤٤

رويداً رويداً فوصلت بها الى الارض سالمة كأَنهُ لم يصبها شيء

وكانت مرة تطير بطيارة فيها آلة قوتها ١٣٠ حصاناً فرأَت وهي طائرة ان اسلاك الطيارة اطول مما يلزم ولم تكن قد فحصتها قبلما طارت بها فانحنت وضغطت على الاسلاك وانزلت الطيارة الى ميدان الطيران وكان الوقت ليلاً ولم تكن قد رأَت ذلك الميدان من قبل لكنها وصلت الى الارض في الميدان المعد لنزول الطيارين . وهي عازمة الآن ان تطير من اوربا الى مصر بطريق البلقان

الحيوانات الاهلية والامراض

لا غنى للانسان عن الحيوان فان لم يقتنهِ للانتفاع منهُ مادياً كما ينتفع من البقر والخيل اقتناهُ للهو بهِ . ومن هذا القبيل اقتناؤُهُ للكلاب والطيور وغيرها . ولكن الحيوان معرض للامراض وبعضها يصيبهُ ويصيب الانسان على حد سوى فعلى اصحاب الحيوانات ان يقوها من الامراض ويوفروا لها الوسائل الصحية احترازاً من امتداد العدوى اليهم هذا اذا لم يقوموا بذلك رأْفة بها وابقاء عليها او اتقاء للخسارة المادية التي تترتب على مرضها وموتها . وكثيراً ما يكون الحيوان واسطة لانتقال العدوى من المصاب الى السليم وان لم يصب هو بالداء فقد يلاعب ولد مصاب بالدفثيريا او بالشهقة قطةً ثم يفلتها فتنطلق الى بيت الجيران حاملة العدوى الى ولد آخر سليم . وقد يشتري الرجل كلباً او ببغاء كان لمسلول وهو لا يدري فتنتقل عدوى السل بهِ اليهِ

ومن مكروبات الامراض ما يعيش في جسم الحيوان كما يعيش في جسم الانسان ومن هذا النوع مكروبات السقاوة والكلَب والسل

وقد تتصل الجمرة وجدري البقر من الحيوان الى الانسان فوقاية الحيوانات من هذه الامراض ضرورية مثل وقاية الانسان نفسهِ

وقد كان كثيرون يصابون بالجمرة لاشتغالهم بصوف الغنم المصابة بها . ويروى ان بعض القطط اعديت بالدفثيريا من اولاد مصابين بها وان طيوراً كثيرة اصيبت بالسل لان اصحابها كانوا مسلولين . وكان يظن ايضاً ان الدجاج والبقر تعدى بالسل من اصحابها ولكن حوادث العدوى التي رويت من هذا القبيل لا يؤْخذ بها اذ لم يثبت ان العدوى فيها لم تكن ممكنة من مصادر اخرى ولانها وقعت قبل ان اكتشف مكروب السل وعرفت طبائعهُ . وفوق ذلك قد اطعمت الدجاج مكروب السل ولم تصب بهِ

الطعام
وحقائق علمية فيهِ

لقد بسطنا الكلام على هذه الحقائق العلمية في ما يلي لكي يفهمها العامة كما يفهمها الخاصة ولان معرفتها مفيدة لكل احد

جسم الانسان كالآلة البخارية التي تعمل عملاً فيحتاج الى الطعام للقيام بهذا العمل كما تحتاج الآلة البخارية الى الوقود . هذا فضلاً عن انهُ يحتاج الى الطعام ايضاً لنموهِ اذا كان لا يزال في سن النمو

والعمل يقتضي قوة وينتج عنهُ انحلال او دثور في اعضاء الجسم فيجب ان يكون في الطعام مواد تتولد منها القوة ويكون فيهِ ايضاً مواد تقوم مقام ما يندثر من دقائق الجسم اي مقام ما ينحل من عضلاتهِ وسائر اعضائهِ وهذه لا تكون الاَّ في اللحم او ما يقوم مقامهُ من المواد النيتروجينية التي في القطاني والحبوب . والمواد اللحمية تكفي ايضاً لتوليد القوة كما تكفي للتعويض عمَّا يندثر من الجسم ولكن اذا جعل الانسان طعامهُ كلهُ من اللحم اتعب كليتيهِ وسائر اعضائهِ المفرزة وزادت نفقاتهُ ولذلك اهتدى الناس في كل العصور الى جعل بعض طعامهم من اللحم وبعضهُ من الدهن والزيت والسمن وبعضهُ من المواد الكربوهيدراتية كالقمح والسكر والعسل . ولا بدَّ من شرب الماء مع الطعام ليسهل هضمهُ وليقوم مقام ما يخرج من الجسم بالبول والعرق والتبخُّر

والرجل القوي البنية الصحيح الجسم الذي يعمل عملاً شاقًّا يندثر منهُ في اليوم ما يماثل ١٢٠ جراماً من اللحم فيجب ان يأْكل من اللحم او ما يقوم مقامهُ مقداراً يكفي لان يعوض هذا الاندثار فاذا اكل اقل من ذلك وبقي على عملهِ ضعف جسمهُ واذا اكل اكثر من ذلك اضطرَّ جسمهُ ان يفرز الكمية الزائدة

ويقيس العلماءُ مقدار الطعام اللازم للعمل والتعويض عمَّا يندثر من الجسم بما يلزم من الحرارة او القوة لاحماء الكيلو من الماء درجة واحدة من درجات الحرارة بميزان سنتغراد ويسمون هذه القوة او الحرارة «كلوري» وهي كلمة لاتينية معناها دفءٌ او حرارة او لظًا. وهم اذا اعوزتهم كلمة للتعبير عن معنى جديد استعاروها من اليونانية او اللاتينية لكي لا تتشوش كلمات لغتهم بالباسها معاني جديدة . ولا عار علينا اذا جاريناهم في ذلك بدلاً من التفتيش عن كلمة عربية قليلة الاستعمال تؤدي معنى الحرارة كاللظى والفيح والسعير . ومع ذلك لا نرى

بأساً باستعمال كلمة فيح فقد جاء في الحديث شدة القيظ من فيح جهنم وقيل الحمَّى من فيح جهنم فيراد بهِ الحرارة والجمع فيوح . فنستعملهُ الآن بمعنى كلوري اي الحرارة اللازمة لتسخين الكيلوجرام من الماء درجة بميزان سنتغراد

وقد وجدوا بالامتحان ان الجرام من اللحم او السكر ونحوه يولد اربعة فيوح وعشر فَيْح وان الجرام من الدهن يولد تسعة فيوح وثلاثة اعشار الفيح ومن ثم يسهل قياس الطعام الذي يحتاج اليهِ الانسان في يومهِ او العمل الذي يعملهُ في يومهِ بمقدار ما يتولد منهُ من الفيوح

وقد وجد بالامتحان ان الرجل القوي البنية الذي يعمل عملاً معتدلاً يحتاج الى طعام يولد فيهِ ٣٠٠٠ فيح فالمئة وعشرون جراماً من اللحم تولد ٥٠٠ فيح وبقية طعامهِ من الخبز والدهن والاثمار وما اشبه يجب ان تولد ٢٥٠٠ فيح . والغالب ان الناس ينوّعون طعامهم حسب ما تصل اليهِ يدهم منهُ فالاسكيمو اهالي الشمال يكثرون من اكل الدهن لكثرة الاسماك المدهنة عندهم والفلاحون اهالي هذا القطر يكثرون من اكل الذرة لكثرتها . والطعام المعتدل عند اهل اليسار من الاوربيين ١٢٠ جراماً من اللحم و٥٠ جراماً من الدهن والسمن والزيت و٥٠٠ جرام من المواد الكربوهيدراتية كالخبز والسكر والنشا والعسل وما اشبه وهذه المواد تولد ٣٠٠٠ فيح

وقد امتحن الاستاذ اتووتر طعام بعض الناس فوجدهُ مؤلفاً كما ترى في هذا الجدول والمواد بالجرام

	مواد لحمية	دهن	كربوهيدرات	القوة المتولدة منها
الرهبان الترببين	٦٨	١١	٤٦٩	٢٣٠٤
التلامذة اليابانيون	٩٧	١٦	٤٣٨	٢٣٤٣
الجنود الالمان	١١٤	٣٩	٤٨٠	٢٧٩٨
الحداد الانكليزي	١٧٦	٧١	٦٦٦	٤١١٧
لاعبو كرة القدم	١٨١	٢٩٢	٥٥٧	٥٧٤٣
متوسط ٥٣ اميركيًّا	١٠٣	١٣٨	٤٣٦	٣٤٩٤

فالراهب الترّبي والتلميذ الياباني لا يعملان عملاً بدنيًّا شاقًّا ولذلك لا يحتاجان الى الكثير من المواد اللحميَّة والاغذية المقوية . وطعام الجندي الالماني اقرب ما يكون الى القانون الصحي ولكنهُ قليل نوعاً لانهُ قليل الحركة ما دام في ثكنتهِ والحداد الانكليزي ولاعب كرة الرجل يعملان عملاً شاقًّا فيحتاجان الى الكثير من الطعام المقوي وثانيهما يأكل من الاطعمة الدهنية

اكثر مما يحتاج اليهِ جسمهُ . ومتوسط ما يأ كلهُ الاميركي من اللحم اقل مما يلزم وما يأكلهُ من الدهن اكثر مما يلزم وهم يكثرون من اكل الدهن والزبدة لانهم يقللون من اكل الخبز

هذا من حيث ما في الطعام من القوة والتعويض عما يندثر من الجسم ويأتي بعد ذلك البحث عن صفات الطعام الاخرى كسهولة هضمهِ وصعوبتها وسهولة امتصاصهِ وصعوبتها ودرجة اشباعهِ للجسم ونحو ذلك مما سيأتي الكلام عليهِ

نزع اللطوخ والدبوغ

اذا تلطخ الخشب بالحبر فامسحهُ عنهُ اولاً بالماء والرمل الناعم فان لم يزل اضف ثمانية دراهم من الحامض الكبريتيك المركز الى عشرين درهماً من الماء وامسح اثر الحبر بالمزيج الى ان يزول

واذا تلطخت الثياب البيضاء والمناديل والملايات بالحبر فالحامض الاكساليك يزيل لطخ الحبر عنها ولكنهُ يتلف النسيج وخير منهُ مزيج من جزئين من الطرطير وجزء من مسحوق الشب الابيض فانهُ يزيل اللطوخ ولا يتلف النسيج

واذا ظهر العفن على الحرير او تلطخ بالخمر او بالاثمار فقطع الصابون النقي واغلهِ في قليل من الماء حتى يكون من ذلك معجون كالعصيدة وابسطهُ على اللطخ وذرَّ عليهِ قليلاً من مسحوق كربونات البوتاس الناعم واتركهُ اربعاً وعشرين ساعة منشوراً في الهواء ثم اغسلهُ بماء نقي فتزول اللطخ عنهُ

واذا تلطخ الحرير بالدهن او الزيت او القطران او الورنيش فامزج قليلاً من زيت التربنتينا بما يساويهِ من الاثير وبل خرقة نظيفة بالمزيج وافرك بها اللطوخ حتى لا يعود يصعد على الخرقة ثم ذرَّ على اللطوخ قليلاً من الطباشير الناعم وضع فوقهُ ورقة من الورق النشاش واكوها بمكواة سخنة فما بقي من الدهن او الزيت يمتصهُ الطباشير والورق النشاش والأكرر العمل الى ان لا يبقى شيء من اللطوخ

اذا تلطخت الثياب الحريرية بالحبر فبل اللطخ بقليل من الحامض الخليك او الخل الابيض الحاذق ثم افركهُ بقليل من الرماد الابيض ثم بالماء والصابون واذا خفت من ان الخل يتلف لون الثياب فاستعمل بدلاً منهُ قليلاً من مرارة الثور مذابةً بالماء وافرك اللطوخ بهِ

وتزال نقط الشمع عن المخمل بان تضع عليها خرقة بيضاء مبلولة بالماء النقي وتمرَّ على الخرقة مكواة محماة فيذوب الشمع وتمتصهُ الخرقة



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك . (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

كلمة على كلمة · او نقد على ما استحسنهُ ملحم شميل

قرأنا في مقتطفكم الصادر مقارن خامس جمادى الاولى من سنة ١٣٣٢ مقالاً يتخاصم اصحاب البرهان جدالاً على اهل الايمان · ومذ وجدتهُ غير خال عن النقض والابرام خالج فكري ان الق على كلمتهِ كلمةً · ولابد قبل الشروع في النقض من بيان ملخص ما نص بهِ — وهو انهُ قد ادَّعى ان من يقيم البرهان على اثبات مدعاهُ من معلولاتهِ لا نجاح لهُ في اثبات دعواهُ · حيث ان البرهان ظاهر مشاهد وهو معلول ما هو بصدد اثباتهِ · والعلم بالمعلول لا ينتج العلم بالعلة لامكان وجود علة اخرى لا تعلم انت بها

ولكن نقول لو كان هذا برهانك في ابطال مذهب صحبة البرهان فيلزمك الخضوع بصحة ناموسهِ كي يكون لك عليهم حجة بالغة والاَّ لا طريق لك في الزامهم

وبعبارة اخرى لو كنت للبرهان من المنكرين فما برهانك في ابطال ما رغبوا فيهِ البرهانيون · وان كنت مع ذلك مستعيناً بالبرهان انجازاً لخصمائك يكشف انك مذعن بصحة البرهان بالفطرة السليمة لا بتجشم الدليل

ثم قال (وكيف ما كان الحال فان هناك من البراهين ما يقضي للطبيعي بصحة دعواهُ واخصها امران احدها الوجود المطلق اي وجود المادة من حيث هي هي لا من حيث مركباتها · وذلك لان هذا الوجود يقتضي كون المادة ازلية ابدية · اما ازلية فلاستحالة وجودها من عدم لان العدم نقيض الوجود والنقيض لا يكون علة لوجود نقيضهِ بل لعدمه · واما ابدية

فلانعدام العدم بوجودها) هذا ما نص بهِ بعين لفظهِ ٠ وفيهِ ان وجود المادة بقول مطلق بذاتها و بساطتها لا من حيث تكونها في مركباتها اول الكلام ٠ وهو ابن البحث ٠ ودون اثباتهِ خرط القتاد٠ كيف يثبتهُ الادعاء الساذجَ عن البرهان ٠ولو فرضنا ثبوتهُ ببركة الدليل لا نحتاج في اثبات الازلية والابدية لهُ باقامة البرهان والدليل بل قياسها معها بعد ما كان ذاك الوجودُ الوسيع البسيط بمكان من الامكان ٠ ثم لا يخفى على المنصف المتأمل ان بعد فرض قيام الدليل الحاكم بمثل هذا الوجود الذي في عرف الطبيعيين موسوم بوجود المادة يبقى النزاع بين الطائفتين نزاعاً لفظيًّا حيث ان الطبيعي يعبر عن ذاك الوجود البسيط من جميع الجهات بالمادة ٠ والالهي يعبر عنهُ تارةً بالصانع واخرى بالخالق وطوراً بالرازق مشيراً بها الى ذاك الوجود المنبسط البسيط حيث انهُ بعيد عن ساحتهِ المقدسة وهو اصغر من ان يصل الى كنه ذاتهِ فيشير اليهِ بتوسيط تلك الصفات الغاليات ٠ ثم قال (ولا شك ان ما كان كذلك — اي وجود مطلق دائم ازلي لا تأثير فيهِ لغيرهِ لان ذلك التأثير تغيير في كيفيتهِ ومقتضى هذا التغيّر زوال ما هو دائم وهو محال) انتهى ٠ اقول ومن العجب انهُ جعل التأثير تغيراً في المؤثر والحال ان التأثير امر واقعي وهو عين التغيير الحاصل في المتغير ولا يمكن اخذهُ في مقام ذات المؤثر بحيث ينتج ضيقاً في دائرتهِ كما هو شأن القيود والاَّ يلزم استحالة تأثير شيء ذي جهات متعددة في شيء بعد ما كان مؤثراً في شيء آخر مع كون هذا التأثير بمصداقهِ مضاداً لشخص تأثير الاول ٠ فلو كان المؤثر بعد التأثير مقيداً بحيثيتهِ ومضيقاً بهِ فلا يمكن ان يكون بهذا الضيق وبهذا القيد مؤثراً في الآخر مع فرض ان التأثيرين ضدان او نقيضان فهل يعقل علّية الضد لضدهِ ؟ ولان قلت ان ما هو مضيق لدائرة الذات عنوان المؤثرية نقول ان هذا العنوان امر منتزع عن مقام اصل التأثير وهذا الامر الانتزاعي كيف يدس في مقام الذات وهو امر واقعي ٠ وكيف يرفع الامر الثابت وهو الازلية ؟ والحاصل انا لو ساعدنا الدليل على اثبات مثل هذا الوجود المطلق الموصوف بالازلية والابدية لا محذور في ان يكون ذاك الوجود مع بساطتهِ مؤثراً في الغير من دون تنافٍ بينهُ وبين ابديتهِ ولو فرضنا كون التأثير صفة لهُ لان تأثيرهُ في كل شيء ولو لم يكن عين تأثيرهِ في شيء آخر بل يخال الى تأثيرات متخالفة ولكن لماذا غفلت عن الجامع بين التأثيرات الذي يستحق اطلاق اسم التأثير عليهِ بقول مطلق ؟ ٠ وهو بما هو جامع صفة لذلك الوجود البسيط مع ان كل اوصافهِ راجع الى نفس ذاتهِ لا امر زايد عليهِ كما برهن في محلهِ ثم قال — (وثانيهما

الاستقرار اي حصول المادة في مكان ما) لا يخفى ان هذا الوجه ليس وجهاً مستقلاً بل متفرع على الوجه الاول لانا لو كنا في اصل وجود المادة من الشاكين فما شأننا بالاضافة الى استقرارهِ او عدمهِ ؟ ولو ساعدنا الدليل على اثباتهِ يلزم ان يكون قبل كل شيء فذاك الوجود التام غني عن الاستقرار · فعليهِ اين التنازع المكاني كي ينتج التفاعل الذاتي والغنى عن المؤثر

(كربلا) محمد حسن فضل الله زاده المارندراني

كلمة ملذة

رأيت لاحدهم في مقتطف حزيران الحالي سؤالاً عن ملذّة وهي وزن مَفْعلَة ولا اكثر من ورودها قياساً في اللغة كالمأثرة والمكرمة والمَسَرَّة والمَحْسَمَة والمفسدة والملذّة الخ بمعنى الفاعلية او المفعولية او المفعول لاجلهِ وقد رأيتها واردة في احياء علوم الدين للغزالي مرتين في وجه واحد من المجلد الرابع في فصل « بيان مظان الحاجة الى الصبر» قال — وكثرة الانصار والاتباع وجميع ملاذّ الدنيا ثم قال — والانهماك في ملاذّها المباحة — فاذا احتيج الى ما ورد للامام الغزالي فليراجع في الجزء الرابع من الاحياء في كتاب الصبر فصل « بيان مظان الحاجة الى الصبر»

بيروت · احد القراء

[المقتطف] يظهر من كتب اللغة ان كلمة ملاذّ جمع ملذّ لا جمع ملذّة قال في اللسان والملاذّ ج ملَذّ وهو موضع اللذة · وقال في التاج « ومما يستدرك على القاموس الملاذ جمع ملذ وهو موضع اللذة »· ولم يذكر الجوهري ولا الفيومي ولا الاساس الملذ ولا الملاذ · والمرجح عندنا ان الغزالي اراد بالملاذ جمع الملذ لا الملذة فاذا رأيتم الملذة او الملذات واردة في كلام مَن يوثق بعربيتهِ فاكرموا علينا بذلك ولكم الفضل



بين عرشين

رواية تاريخية ادبية غرامية تبحث في الانقلاب العثماني واسراره وسقوط عبد الحميد وتنصيب جلالة السلطان الحالي ويتخلل ذلك فصول في حالة العصر الادبية تأليف المرحومة فريدة عطية

الرواية محكمة الوضع تدلُّ على ان المؤلفة رحمها الله تعقبت حوادث الاستانة كلها وعرفت ظواهرها وخوافيها ولو كانت الآن في قيد الحياة لاضطرت ان تلجأ الى التورية واختراع الاسماء الغريبة للذين سمّتهم باسمائهم ونسبت اليهم اموراً تعيبهم اما وقد نجت من سلطة القانون فالقارئ يسر بتسمية الشخص باسمهِ حتى لا يتكلَّف مشقة الفرض والاستدلال الى ان يقف على الاسم الحقيقي. وان كانت قد بالغت في ما ذكرتهُ عن عيوب بعض الرجال واتهمتهم تهماً فاضحة فهي انما ذكرت ما كان يروى ويكثر دورانهُ على الالسنة منذ بضعة اعوام ككلامها عن فريده وسمحه وعزت باشا العابد وبعض اغوات السراي. ولكن المهم في هذه الرواية كشف الدسائس السياسية التي دسها البعض للبعض الآخر لكي يفوزوا عليهم ولو باهلاك الرعية مما كنا نودُّ ان لا يشهر ولا يذكر اذا كان صحيحاً. ولكن يظهر ان كاتبة هذهِ الرواية ابت الا كشف كل مخبإٍ. وفي بعض فصولها من الحوادث ما يحسن ان يختار للتمثيل في المشاهد وقد طبعت في مطبعة النجاح بطرابلس الشام

نوابغ الاقباط ومشاهيرهم

صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب مفتتحاً بجدول آباء الكنيسة القبطية الارثوذكسية من عهد مرقص الرسول الى البطريرك الحالي وعدتهم ١١٢ بطريركاً. وقد علَّق المؤلف على اسم كلٍّ منهم حاشية صغيرة ذكر فيها شيئاً من امرهِ بالاختصار. وذكر الاسماء بالعربيَّة والقبطية وبلد كل بطريرك وتاريخ قدومهِ الى الاسكندرية وتاريخ وفاتهِ لكن التاريخين جُعلا بسني الاسكندر قبل الشهداء ثم بسني الشهداء. وحبذا لو اضاف اليها التاريخ المسيحي لان ادراكهُ اسهل تناولاً لدى جمهور القراء ولان اكثر الامم يؤرخ بهِ الآن

ومحاولة اخواننا الاقباط اهاله والتمسك بتاريخ الشهداء مبني على غيرة مليّة يمدحون عليها ولكنهم سيرون انهُ جهد لا يجدي وان تيار التاريخ المسيحي عمّ العالم حتى الامم الوثنية صارت تؤرخ بهِ . فاذا نظرنا اليهِ من الوجهة الدينية فالاقباط احرى باتباعهِ من كل احد وهو احق من غيرهِ باتباعهم اياهُ . واذا نظرنا اليهِ من جهة المعاملات فالذين يجرون عليهِ يكفون انفسهم مؤونة البحث والاستقصاء لتفهم التواريخ . والذي يجاري ابناء عصرهِ يقتصد في قوتهِ العقلية ووقتهِ فيربح اكثر من الذي لا يجاريهم

ثم ان في الحواشي التي علقت على اسماء البطاركة اموراً حرية بالاسهاب كقولهِ في الكلام على البطريرك سمعان الاول ان ملك الهند ارسل اليهِ رسولاً يطلب اسقفاً . فان دخول الديانة المسيحية الى بلاد الهند قبل القرن السابع للميلاد امر يستحق الاسهاب وقد ذكر المقريزي ذلك في خططهِ حيث قال وفي ايامهِ اي ايام البطريرك سمعان « قدم رسول اهل الهند في طلب اسقف يقيمهُ لهم فامتنع من ذلك حتى يأذن لهُ السلطان »

ومما ذكرهُ بعد جدول البطاركة صورة توقيع سلاطين مصر لبطاركة الاقباط نقلاً عن صبح الاعشى . وقد جاء في هذا التوقيع او البلوردي قولهُ « ولما كانت طائفة النصارى اليعاقبة بالديار المصرية لهم من حين الفتح عهد وذمام ووصية سابقة من سيدنا رسول الله عليهِ افضل الصلاة والسلام ولا بد من بطريرك يرجعون اليهِ في الاحكام ويجتمعون عليهِ في كل نقض وابرام ولما كانت الحضرة السامية الشيخ الرئيس المبجَّل المكرم الكافي المعزز المفخم القديس شمس الرئاسة عماد بني المعمودية كنز الطائفة الصليبية اختيار الملوك والسلاطين فلان وفقهُ الله هو الذي تجرّد وترهب واجهد روحهُ واتعب وصام عن المأكل والمشرب وساح فابعد ومنع جسمهُ لذيذ المرقد ونهض في خدمة طائفتهِ وجد وخفض لهم الجناح وبسط الخد وكفّ عنهم اليد واستحق فيهم التبجيل لما تميز بهِ عليهم من معرفة احكام الانجيل وتفرد اقتضى حسن الرأي الشريف ان يلقى اليهِ امر هذه الفرقة ويفوّض ويبدلهم عن بطريركهم المتوفى ويعوّض الخ »

ويلي ذلك صورة توقيع للبطريرك يوحنا العاشر المتوفى سنة ١٠٧٩ للشهداء وهي على مثال ما قبلها من التكريم والتبجيل ثم صور اخرى وصورة كتاب من ملك الحبشة الى الملك الظاهر برقوق وترجمة البطريرك كيرلس الرابع المشهور بابي الاصلاح القبطي واكثر هذا الجزء في وصف اعمالهِ . وقد ختم الجزء باخبار عن زمن الاحتلال الفرنسوي لهذا القطر والمجالس التي انشأها الفرنسويون فيهِ ومن اختاروهُ لها من الاعضاء وكان في

الديوان الخاص اربعة عشر عضواً سبعة منهم من المسلمين وهم من المشايخ الشرقاوي والمهدي والصاوي والبكري والفيومي ومن التجار المحروقي واحمد محرم ومن النصارى الاقباط لطف الله المصري (والمعلم ملطي) ومن الشوام يوسف فرحات وميخائيل كحيل وثلاثة من الانكليز والفرنسويين

فلحضرة توفيق افندي اسكاروس موَّلف هذا الكتاب جزيل الشكر لما جمع فيهِ من الحقائق التاريخية



فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الحجز على الاطيان

ميت غمر. الخواجه ابرهيم جبران غبريال. هل يجوز الحجز على جميع املاك من يمتلك اكثر من خمسة افدنة او يحجز فقط على ما زاد عن خمسة افدنة

ج. يجوز الحجز عليها كلها

(٢) المشروبات المرطبة

اجا. دقهلية. لبيب افندي رمزي. تكرموا بوصف عمل بعض المشروبات المرطبة التي يمكن استعمالها

ج. خير المرطبات الليموناضة من عصير البرتقال او من عصير الليمون الحامض (المالح) والسكر والثلج مع قليل من ماء الزهر. وعملها معروف واذا لم يوجد البرتقال ولا الليمون الحامض امكن عمل الليموناضة من الحامض الشتريك (الليمونيك) والنقي منهُ يباع في الصيدليات وذلك بان يذاب درهم من الحامض الليمونيك في كوبتين من الماء ويضاف الى المذوب ما يكفي من السكر او شراب السكر لتحليتهِ ونقط من ماء الزهر

ومن المشروبات المبردة ايضاً شراب التوت والڤانلا والاناناس والبزور والبنفسج والورد والبابونج وعرق السوس وكلها تشترى من الصيدليات وتمزج بالماء وتبرَّد بالثلج

(٣) قوة غير عادية

بيبسان. عبد الغني عمار. عندنا شخص يبلغ من العمر خمساً وستين سنة يأكل في اليوم ثلاث مرات ويأكل اللحم في اثنتين

منها اي في الغذاء والعشاء ويشرب في اليوم ستين فنجان قهوة غير ما يشربهُ من الشاي وما اشبه وعند ما يريد النوم يشرب اربعة فناجين قهوة وينام كل يوم عشر ساعات على الاقل . ويصيبهُ امساك في بعض الاحيان وقد يستمر معهُ خمسة ايام وهو في تلك الحالة يأكل وينام كعادتهِ . فما السرفي ذلك . وهو لم يشرب الخمر قط ولكنهُ يدخن التبغ كثيراً

ج . الظاهر ان بنية الرجل جيدة جدًّا واعضاءَهُ كلها سليمة والنوم الكثير يريح جسمهُ ويساعدهُ على هضم ما يأكلهُ وما يشربهُ . ومتى تكرر على الجسم نوع من المعيشة زماناً طويلاً بانتظام الفهُ وصار يسهل عليهِ مقاومة ما فيهِ من الضرر اذا كان فيهِ ضرر . اما ما ذكرتموهُ عنهُ في خاتمة سؤَالكم ولم نشأ ان نسطرهُ هنا فالمرجح عندنا انهُ يضعف عقلهُ اخيراً ويعرضهُ للموت الفجائي

(٤) التعليم في المستقبل

مصر . س . ب . نجار . تعلمون ان المتخرجين من المدارس العالية آخذون في الازدياد المطرد وستكتفي الحكومة المصرية بما في مصالحها من المهندسين والاطباء والمعلمين فيحجم كثيرون من الطلبة عن دخول مدارسها لان آمال المصريين محصورة الى الآن في خدمة الحكومة . فما الذي ترونهُ موافقاً لتسير عليهِ نظارة المعارف في السنين المقبلة اتوافقون على وجوب انشاء مدارس اخرى جديدة كمدرسة للصناعة العليا او جعل اللغة الفرنسوية رسمية في مدارسها كالانكليزية حتى يستطيع نائلو شهادتها الثانوية دخول البنوك او مدرسة الحقوق الفرنسوية اسوة بتلاميذ الفرير

ج . لقد اعلنت الحكومة المصرية مراراً ان غرضها الاول من انشاء مدارسها انما هو اعداد من يلزم لخدمة الحكومة لانها لا تستطيع حتى الآن ان تنفق على تعميم التعليم ولا يتيسَّر لها ان تجد ما يستدعيهِ تعميم التعليم من المعلمين والمعلمات اذا وجد المال . اما المال اللازم لتعميم التعليم في القطر كلهِ فلا يقل عن اربعة ملايين او خمسة ملايين من الجنيهات في السنة اي قدر ضريبة اطيان القطر المصري . واما المعلمون والمعلمات فيجب ان يكون عددهم سبعين الفاً او اكثر ويجب ان يوكل تعليم الصغار كلهم الى المعلمات فيكون عددهنَّ اكثر من عدد المعلمين . لكن الحكومة في حالتها الحاضرة تستطيع ان تتعاون هي ومجالس المديريات على انشاء كثير من المدارس الزراعية العملية حتى يتعلَّم اكثر اولاد اصحاب الاطيان مبادئ الزراعة العملية . ومتى تعلموها علماً وعملاً واتقنوا زراعتهم فلا يبعد ان يتضاعف دخل القطر من الزراعة فتتوفر الاموال اللازمة لزيادة نشر التعليم . ولا بد من انشاء المدارس الصناعية او

الورش الصناعية مع المدارس الزراعية ولو انحصر التعليم فيها بالصنائع المحلية اللازمة كالبرادة والحدادة والنجارة والسكافة والحياكة والخياطة . واما تعلُّم اللغات والعلوم العالية اللازمة للاستخدام والتوظف والفنون العالية فهو من نصيب الذين يستطيعون ان ينفقوا على تعلمها وهؤُلاء لا يصعب عليهم ان يختاروا ما هو اصلح لهم . واذا وقع خلل في التوازن بين الموجود والمطلوب لم يطُل عليهِ الزمن حتى يصلح من نفسهِ فاذا زاد متعلمو الحقوق على طلب المحاكم والمحاماة كسدت هذه الصناعة وقلّ اقبال التلامذة عليها واذا كثر متعلمو العلوم اللازمة للتوظف في وظائف الحكومة قلّ الاقبال على هذه العلوم الى ان يعود التوازن وهلمّ جرًّا . ولا بدّ من ان يضر البعض في هذه الفترة ولكن هذا امر لا بدّ منهُ في كل الاعمال

(٥) عمل البيرة

بيت لحم الخواجه زخريا ابو لحيله . نرجو ان تذكروا لنا طريقة سهلة لعمل البيرة (الجعه) وتذكروا اسماء المواد التي تتركب منها بالافرنجية حتى تتم الفائدة

ج . يقسم عمل البيرة الى ثلاثة اقسام كبيرة الاول انبات الشعير حتى يتكوَّن منهُ ما يسمَّى بالانكليزية Malt (او الشعير النابت) والثاني تحضير نقاعتهُ وهي السائل الذي يحتوي على الدكسترين dextrine (صمغ النشا) والسكر . والثالث تخمير هذا السائل

والعمل الاول اي انبات الشعير يتضمن ثلاثة اعمال وهي نقع الشعير في الماء وتفريخهُ وتحميصهُ . فيبل الشعير اولاً بالماء في اناءٍ مائل ثم يغمر بالماء حتى يصير ارتفاعهُ فوقهُ عشرة سنتمترات الى ١٥ سنتمتراً وتنزع منهُ الحبوب الخفيفة التي تطفو على وجه الماء . وبعد قليل يتولد غاز الحامض الكربونيك في الماء فيصفر لونهُ وينتفخ الشعير ويزيد وزنهُ بما يمتصهُ من الماء . وبعد اربع وعشرين ساعة يزَل الماءُ ويبدل بماءٍ جديد ويكرر ذلك ثلاث مرات او اربع مرات حسب حرارة الهواء . ويتم العمل متى صارت حبوب الشعير تمرث بين الاصابع فتنمرث من غير ان يخرج منها عصار لبني

ومتى تم نقع الشعير على ما تقدم يزلْ الماءُ عنهُ ويبسط على البلاط حتى يكون سمكهُ ١٢ سنتيمتراً الى ٢٠ ويقلَّب كل خمس ساعات او ست حتى تبقى حرارتهُ منتظمة ويفرخ كلهُ ويجب ان لا تزيد حرارتهُ على ٦٠ درجة بميزان فارنهيت ومتى ظهرت الفروخ يجعل الشعير كوماً ارتفاع الكومة منها من ٢٠ الى ٣٥ سنتيمتراً فترتفع حرارتها الى الدرجة ٨٠ وينبت لكل حبة جذر وبرعم او سويقة . وحينئذٍ يبسط الشعير متفرقًا حتى يزيد تخلُّل الهواء بينهُ ويقلَّب كثيراً كل يوم ومتى صار الجذر اطول من الشعيرة مرة وربع مرة

وانعقف حتى اشتبكت الحبوب بعضها ببعض يزاد بسط الشعير حتى يجف فينقل الى الفرن وهو غرفة ارضها من النحاس فيها ثقوب لدخول الهواء السخن فيفرش الشعير فيها فيبطل نموهُ ويتحوَّل النشا الذي فيه الى دكسترين اي صمغ النشا. وتزاد الحرارة رويداً رويداً حتى تبلغ الدرجة ١٥٨ بميزان فارنهيت فتجف الجذور والسويقات وتصير قصفة فتنفصل عن حبوب الشعير وتنزع منها بمنخل من السلك ويفقد الشعير بانباتهِ وتحميصهِ ٨ في المئة من وزنهِ

العمل الثاني اي تحضير نقاعة الشعير. يطحن الشعير النابت المحمص طحناً خشناً في مطاحن خاصةٍ وينقع في الماء وبعد اربع ساعات الى ست يضاف اليهِ ماء سخن حتى تصير حرارتهُ ١٦٨ درجة بميزان فارنهيت وبعد ساعة الى ساعتين يزلُّ الماء عنهُ الى اناء مغطًّى ويغسل مراراً وتضاف غسالتهُ الى الماء الذي زُلَّ عنهُ ويغلى هذا الماء في آنية كبيرة مع حشيشة الدينار hop. وفي هذه الحشيشة مادة عفصية يرسب بها ما في ماء الشعير من الالبيومن والنشا الذي لم يتحول الى دكسترين وبعد ان يغلى عدة ساعات يبرَّد حالاً لمنع الاختمار ثم ينقل الى مكان الاختمار وتضاف اليهِ خميرة البيرة ويجب ان لا تزيد حرارتهُ حينئذٍ على ٥٩ بميزان فارنهيت فيظهر عليهِ زبد ابيض ثم يصفرُّ ويسمر ويتم تخميرهُ في خمسة ايام الى ثمانية حسب حرارة الهواء. ومتى صفا يزلُّ ويوضع في براميل ليحل بهِ اختمار آخر فيتم عمل البيرة

ولا يخفى ان لصنَّاع البيرة اساليب خصوصية مختلفة ولكن مدارها كلها على ما تقدم من الاعمال الجوهرية ولا نظن ان عمل البيرة يفلح في سورية الاَّ اذا عملت حيث يمكن ابتياع الشعير الجيد رخيصاً ويسهل نقل البيرة الى السفن لاصدارها الى حيث يكثر الطلب عليها. وقد صنع الآن نوع جديد من البيرة لا يزيد الالكحول فيهِ على ثلاثة في المئة فهو مغذٍ ولا خوف من انهُ يفعل فعل المسكرات الاَّ اذا اكثر الانسان منهُ

(٦) حمام الماء البارد

ومنهُ. كيف يجب ان يكون حمَّام الصباح بالماء البارد لمن اراد التعوُّد عليهِ وهل من الموافق استعمالهُ صيفاً وشتاء وما هي نتائجهُ الصحية

ج. يجب ان تكون مدتهُ قصيرة جداً فاذا لم يكن الانسان قد اعتادهُ وجب عليهِ ان يتدرَّج فيهِ تدرجاً من ماء حرارتهُ مثل حرارة بدنهِ الى ابرد فابرد يوماً بعد يوم ولكن ان كان الجسم لا يحتمل برد الماء ولا تعود حرارتهُ اليهِ حالاً فلا فائدة من الحمام البارد بل منهُ ضرر. واذا كان الجسم قويًّا لا يتعب من برد الماء بل يشعر بالدفء حالاً فلا بأس باستعمالهِ صيفاً وشتاء ولا ضرر منهُ حينئذٍ

وقد يكون منهُ نفع . ولكن اذا سافر المرء حينئذٍ او تعذر عليهِ الاستحمام بالماء البارد لسبب من الاسباب شعر بضيق كما يشعر كل من اعتاد شيئاً واضطرَّ ان يعدل عنهُ . ويظهر من المباحث الحديثة ان الذين يبردون اذا اغتسلوا بالماء البارد فمنهُ ضرر لهم لا نفع والذين لا يبردون يستفيدون ولكن الفائدة اقل مما كان يظن

(٧) الرياضة لتوسيع الصدر

ومنهُ . نرجو ان تذكروا لنا بعض انواع الرياضة التي يقوى بها الجهاز التنفسي ويتسع الصدر

ج . افعلها الجري السريع الى حد التعب وتكريرهُ كل يوم . والشهيق والزفير المتواليان . فيحسن بالمرء عند قيامهِ من النوم ان يقف امام شباك غرفتهِ بعد ان يفتحهُ ويشهق شهيقاً طويلاً وهو مقعنسس الى ان يملأ صدرهُ هواءً نقيًّا ويضغط على صدرهِ كمن يضغط على زق منفوخ ثم يكرر الشهيق والزفير مراراً كثيرة فاذا فعل ذلك اياماً متوالية وجد ان صدرهُ قد اتسع

(٨) عملية في القلب

مصر . الخواجه موريس زلحف . اكد لي بعض الايطاليين ان قريباً لهُ في ايطاليا أُجريت لهُ منذ سنتين عملية في قلبهِ واضطرَّ الاطباء الى قطع قلبهِ واستئصالهِ بالمرة وبقي للآن حياً يرزق وقد اتاهُ منهُ كتاب منذ عهد قريب ينبئهُ فيهِ انهُ متمتع بصحة جيدة ويستطيع ان يجري مسافة طويلة من غير ان يشعر بتعب ما فكيف تعللون ذلك وهل يقدر الانسان ان يعيش بغير قلب

ج . لا بدَّ ان مخبركم مخطئ في خبرهِ او التبس عليهِ القلب بعضو آخر كالكبد او الطحال او احدى الكليتين او احدى الرئتين اما القلب فغاية ما استطاعهُ الجراحون ان عملوا فيهِ عملية جراحية وبقي صاحبهُ حيًّا ولكنهُ بقي في محلهِ ويستحيل ان يعيش الانسان من غير قلب

(٩) شرب المسكرات

جديدة مرج عيون . قرأت مرة في احدى المجلات الانكليزية ان اسباب الكسل كثرة استعمال المسكرات ولكن الاختبار وشواهد الاحوال ينفيان ما قرأتهُ لان الاوربيين والاميركيين يشربون المسكرات اكثر من الاسيويين والشرقيين عموماً ومع ذلك نرى الآخرين اكسل من الاولين او اميل منهم الى الكسل فما سبب الكسل

ج . للكسل اسباب فسيولوجية فقد ينتج عن عدم كفاءة النوم او عدم كفاءة الغذاء او عدم كفاءة الهواء النقي او عدم كفاءة القوة العصبية او شدة الحرارة . ولا علاقة للمسكرات بالكسل الاَّ اذا اكثرت الفضول في الجسم او سبَّبت ما تقدم من الاسباب كقلة النوم وقلة الغذاء . راجعوا

مقالتين في هذا الموضوع نشرتا في مقتطف مايو سنة ١٩١١ ومقتطف مايو سنة ١٩١٢ ومقالة فلسفة التعب المدرجة في مقتطف ابريل سنة ١٩١٠

(١٠) اصطدام الشمس ومركز دورانها

الاستانة عبد الغني افندي ابو الجود

يقول الفلكيون ان الشمس تجري نحو سمت مجهول وتقطع في الثانية الواحدة عشرين كيلو متراً . افلا يجوز ان تصادف في طريقها كوكباً عظيماً ثابتاً كان او سياراً فيختل بهِ نظام حركتها مع توابعها أَوَلا يمكن ان تكون الشمس تابعة لكوكب اعظم منها تدور حولهُ كما تدور الارض حولها

ج . عن القسم الاول من سؤالكم هو انهُ يحتمل ان تصادف الشمس في طريقها كوكباً ويظن البعض ان ما هي فيهِ الآن من الجمو وانفصال السيارات عنها حدث اصلاً من التقائها بكوكب في طريقها ففعل بها فعلاً هيج حرارتها وفصل اجزاء منها صارت سيارات اما هو فظل سائراً في طريقهِ او انفصلت بعض اجزائهِ واجتمعت مع اجزاء الشمس . ولكن حدوث ذلك ثانية بعيد جدًّا حسب قواعد المرجحات لان الابعاد بين الاجرام السموية شاسعة جدًّا جدًّا بالنسبة اليها فاذا كانت ذبابة تطير في دائرة مركزها مصر ونصف قطرها يصل الى الاستانة وذبابة اخرى تطير في دائرة مركزها الاستانة ونصف قطرها يصل الى مصر فالتقاؤُهما اقرب حدوثاً من التقاء الشمس بنجم من نجوم السماء . وعن القسم الثاني نعم يحتمل او يرجح انها تدور حول نجم في الثريا كما يظهر من مراقبة سيرها واتجاههِ

باب الاخبار العلمية

اشعاع الشمس

هبط اشعاع الشمس في اواخر سنة ١٩١٢ نحو ٢٠ في المئة عن المعتاد وقد ظهر تأثير ذلك في جميع البلدان التي قيس فيها اشعاعها وعزي هذا الهبوط الى انتشار الهباء في الهواء بسبب ثوران بركان كتماي في الاسكا من اميركا الشمالية تلك السنة . وقد ذهب المستر همفريس في تعليل فعل الهباء هذا ان ذراتهِ اكبر من تموجات اشعاع الشمس واصغر من تموجات اشعاع الارض فتعكس الاولى وتفرق الثانية ويكون من وراء ذلك ان الحرارة تقل عند سطح الارض

لون الازهار ورائحتها

بحث بعض العلماء في ٤٢٠٠ نوع من الازهار فوجد ان اللون الذي يغلب عليها هو الابيض و يتلوهُ الاحمر والاصفر والازرق ثم البنفسجي والاخضر والبردقالي والاسمر. اما الازهار ذات الرائحة من كل من هذه الالوان فكما ترى في الجدول التالي

اللون	عدد الانواع الملونة بهِ	عدد الانواع ذات الرائحة
ابيض	١١٩٤	١٨٧
احمر	٩٣٣	٨٤
اصفر	٩٥٠	٧٧
ازرق	٥٩٤	٣١
بنفسجي	٣٠٨	١٣
اخضر	١٥٣	٢٤
بردقالي	٥٠	٣
اسمر	١٨	١
المجموع	٤٢٠٠	٤٢٠

ومن ذلك يرى ان الازهار ذات الرائحة هي عشر الازهار كلها وان ذوات الرائحة تكثر بين الازهار البيضاء ثم بين الازهار الحمراء والخضراء

مرض البلاغرا

عينت لجنة في اميركا للبحث في مرض البلاغرا وعدواهُ فقررت ان لا علاقة بين هذا الداء ونوع الطعام وان الاصابات بهِ تقل كثيراً في الاماكن التي فيها مجارٍ للاقذار والماء الوسخ وتكثر حيث لا مجاري من هذا النوع وان كثيرين من الذين يختلطون مع المصاب بهِ او تكون بيوتهم قريبة من بيتهِ يصابون بالداء ولكن لم يعرف بعد باي طريقة تصل العدوى من المصاب الى السليم. ورأت اللجنة ان الطرق التي يترجح انتقال عدواهُ بها هي تلوُّث الطعام بجراثيمهِ او انتقالها بواسطة الحشرات او اختلاط الاصحاء بالمريض واشارت بمتابعة البحث في هذه الطرق

وقال الدكتور نيلس في خطبة القاها في جمعية تقدم العلوم الاميركية ان اربعة اصناف من المصابين بالبلاغرا يستبعد شفاؤُهم وهم (١) الذين يزيد سنهم على خمسين سنة اذ يجتمع عليهم الشيخوخة وهذا الداء الذي يقرب فعلهُ من فعلها وقلما يقوون على احتمال الاثنين (٢) الذين يدمنون المسكرات (٣) الذين تختل عقولهم اختلالاً كبيراً بعد اصابتهم لان معنى هذا الاختلال ان بعض المراكز العصبية المهمة قد تلف (٤) السذج الذين لا يستطيعون لصغر عقولهم ان يسيروا على ما يرسمهُ لهم الطبيب شهوراً او سنين بل يأخذون يجربون ما يوصف لهم من الوصفات و ينقادون للدجالين. وهذا الصنف الرابع قلما ينجو منهُ احد. اما الذين لا يقعون تحت هذه الاصناف فيشفى اكثرهم اذا لجأُوا الى

طبيب زاول تطبيب هذا الداء وعملوا بارشادهِ · ومما قالهُ ايضاً ان لحالة المريض النفسية من الامل والانبساط تأثيراً كبيراً في شفائهِ

المعادن وايصال الكهربائية

اذا بردت قطعة المعدن كثيراً ازداد ايصالها للكهربائية وقد ذهب الاستاذ دين في تعليل ذلك انهُ اذا ذهبت الحرارة من المعدن اتخذت دقائقهُ اوضاعاً منتظمة فيسهل جريان الالكترونات بينها · واذا ارتفعت حرارتهُ اخذت الدقائق تتحرك وتختلط فتعوق سير الالكترونات

جفاف الارض

يرى بعض العلماء ان المطر قلَّ عما كان في العصور السالفة وانهُ سيقل ايضاً ويخالفهم غيرهم · وقد ألقى الاستاذ غريغوري في الجمعية الجغرافية الملكية في بلاد الانكليز خطبة في هذا الموضوع فذكر انهُ لم يحدث في عصر التاريخ تغير في مقدار المطر او الاحوال الجوية الاخرى يعم الارض كلها ولكن هذه التغيرات كانت كثيرة في العصور الجيولوجية المتأخرة · واذا نظرنا في مقدار المطر الذي يقع في بلاد معينة كفلسطين او مصر مثلاً وجدنا ان ما يقع فيها من المطر سنويًّا لم يقل عما كان في اقدم العصور التي يمكن معرفة شيء عن المطر فيها · واكثر اهل التحقيق على ذلك وان كان بعضهم يقول بضدهِ

ثم قال انهُ يؤْخذ من الادلة الجيولوجية ان حرارة الهواء أُخذت بالارتفاع التدريجي في جميع البلدان بعد انقضاء العصر الجليدي ورافق ارتفاع الحرارة زيادة المطر في بعضها وقلتهُ في البعض الآخر · والبلدان التي زاد وقوع المطر فيها هي اسوج ونروج والمانيا والمجر ورومانيا والاقسام الشرقية والجنوبية من اميركا الشمالية واقسام افريقية من النيجيريا الى مستعمرة رأس الرجاء الصالح . فاذا تحققنا ان المطر زاد في بعض البلدان فمن الطبيعي ان نتوقع نقصهُ في غيرها لتتكافأ الزيادة والنقص ولذلك كان بعض العلماء يميلون الى التصديق بان المطر يقلُّ في اواسط آسيا مع ان فيهم ايضاً من لا يقول بذلك · ولعل سبب هذا الاختلاف في الرأي هو ان الصحاري تزيد في بعض الجهات وتقل في غيرها

ويرى الاستاذ غريغوري ان قلة المطر في قلب القارات الكبيرة تأتت عن ارتفاع هذه القارات عن سطح البحر حتى صار المطر كلهُ يقع على سواحلها · ولكن هذا المطر سيذيب السواحل تدريجاً فيصل المطر الى الصحاري الا اذا ارتفعت هذه السواحل ثانية بعوامل جيولوجية

سكان مدينة نيويورك

بلغ سكان مدينة نيو يورك على ما قررتهُ مصلحة الاحصاء الاميركية ٥٣٣٣٥٣٧ نفساً وهم يزيدون كل سنة نحو ١٤٠٠٠٠ نفس وهذه الزيادة وحدها تعادل سكان مدينة كبيرة

عدد جنود الدول

	في السلم	في الحرب
اسبانيا	٠١٠٤٠٠٠	٠٥٠٠٠٠٠
اسوج	٠٠٦١٠٠٠	٠٥٢٠٠٠٠
المانيا	٠٦٢١٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠
ايطاليا	٠٢٨٤٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠
بريطانيا والهند	٠٤١٢٠٠٠	٠٥٨٨٠٠٠
بلجكا	٠٠٣٦٦٠٠	٠١٨٨٠٠٠
بلغاريا	٠٠٥٤٥٠٠	٠٣٧٥٠٠٠
تركيا	٣٨٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠
الدنمارك	٠٠١٣٧٥٠	٠٠٦٦٠٠٠
روسيا	١٤٠٠٠٠٠	٥٤٠٠٠٠٠
رومانيا	٠٠٧٥٠٠٠	٠٣٥٠٠٠٠
سويسرا	٠٠٢١٠٠٠	٠٢٧٠٠٠٠
فرنسا	٦٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠
النمسا	٠٣٨٦٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠
هولندا	٠٠٢١٠٠٠	٠١٧٥٠٠٠
اليابان	٠٢٢٥٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠
اليونان	٠٠٢٠٠٠٠	٠١٠٠٠٠٠

وتختلف ميزانية الحربية عند هذه الدول كثيراً كما ترى في هذا الجدول

بريطانيا والهند	٤٩	مليون جنيه
روسيا	٤٤	" "
المانيا	٣٧	" "
فرنسا	٣٢	" "
النمسا	٢٥	" "
ايطاليا	١١	" "
اليابان	٠٨	" "
تركيا	٠٦	" "
اسبانيا	٠٥	" "

ثم تقل عن ذلك كثيراً عند سائر الدول. اما الولايات المتحدة الاميركية فعدد جنودها وقت السلم نحو ٨٦ الف وهم كذلك وقت الحرب ولكن ميزانيتها الحربية ٢٥ مليون جنيه وميزانية بحريتها ٢٧ مليون جنيه ولا تفوقها في ذلك الاَّ بريطانيا التي ميزانيتها البحرية ٣٥ مليون جنيه

مقياس لنور النجوم

نشر الاستاذ بفند في مجلة الراديوم وصفاً لآلة جديدة اخترعها لقياس نور النجوم ولم يزل الى الآن يمتحنها ويعمل على اتقانها. وقد بلغ من دقة تأثرها بالنور ان الشمعة الموقدة على ثمانية اميال منها تميل ابرتها مليمتراً. وقد جرب قياس نور النجوم بها فامال نور النسر الواقع ابرتها ٧٫٥ مليمترات

والمشتري ٣ مليمترات والنسر الطائر مليمترين ويرى انهُ يمكن زيادة تأثرها اكثر من ذلك

الراديوم في الطب

القى المستر دواين الاميركي خطبة في استعمال محلولات الراديوم دواء للسرطان استهلها بالتنبيه الى الحقائق الآتية

اولاً · ان الراديوم لا ينفك يتحول الى غاز يسمى متصعدات الراديوم وان هذا الغاز نفسهُ يتحول ايضاً الى ما يعرف براديوم (ا) ثم الى راديوم (ب) ثم الى راديوم (ج) وهلمَّ جرًّا وهذه الاخيرة تعرف بقوة الراديوم الراسبة · وجميع هذه المواد التي تتولد من الراديوم تفعل فعل الراديوم نفسهِ

ثانياً · ان هذه المواد كلها تشع ثلاثة انواع من الاشعة هي اشعة الفا واشعة بيتا واشعة غما · وتذهب اشعة الفا وحدها بتسعين في المئة من قوة الاشعاع وهي اضعف من النوعين الباقيين في اختراق المواد

ثالثاً · ان الراديوم ومتصعداتهِ وراديوم الالف لا تشع الا اشعة الفا وان اشعت غيرها فبمقدار صغير لا يؤبهُ لهُ · وراديوم الباء يشع اشعة ضعيفة من نوع بيتا وغما اما راديوم الجيم فشديد الاشعاع تنبعث منهُ انواع الاشعة الثلاثة · وفي الطرق التي يسار عليها الآن في مداواة اورام السرطان بالراديوم لا تصل اشعة الفا الى الانسجة فيذهب تسعون في المئة من قوة الراديوم ضياعاً · ولا يصل الى الانسجة سوى اشعة بيتا وغما التي يبعثها راديوم الباء وراديوم الجيم اي ان الراديوم نفسهُ ومتصعداتهِ لا تفعل مباشرة

ثم ذكر بعد ذلك طريقة لهُ في جعل قوة الراديوم الراسبة ترسب على ملح الطعام ثم اذابتها في الماء والمداواة بها حقناً تحت الجلد · وعندهُ ان هذا المحلول اقوى من المحلولات المستعملة الآن بكثير اذ تصل اشعة الفا الى الانسجة

ومن مميزات هذا المحلول ايضاً ان فعلهُ يبطل في مدة قصيرة وانهُ لا يكلف كثيراً لان الراديوم لا يخسر شيئاً في احضار المحلول منهُ

واذا حقن بهِ انسان تحت جلدهِ بقي منهُ قليل في مكان الحقن وجرى اكثرهُ مع الدم فيظهر فيهِ في جميع اقسام الجسم في ثوانٍ قليلة · واذا فحصت اعضاء الجسم بعد الحقن بساعة او ساعة ونصف لم يظهر اشعاع كثير في الدماغ والرئتين بل يجتمع اكثر الراديوم في الكبد والطحال والكليتين

وقد فحص الدكتور تيزر تأثيرهُ في انسجة الجسم فوجد انهُ يتلف نخاع العظام وكريات الدم البيضاء · ولكن اذا حقن بهِ سرطان جرذ او ادخل في اوردة الجرذ المصاب بالسرطان اتلف الخلايا السرطانية

تكريم واصف بك غالي

ألّف حضرة الفاضل واصف بك غالي نجل المرحوم الوزير بطرس باشا غالي كتاباً نفيساً باللغة الفرنسوية عن الشعر العربي في الجاهلية والاسلام وما يستخلص منهُ عن تمدن العرب بنوع عام فكان لهُ وقع عظيم في فرنسا فقرظتهُ جرائدها احسن تقريظ ودعاهُ ادباؤُها وعلماؤُها لالقاء الخطب فيها في هذا الموضوع وعاد صدى ذلك الى بلدهِ مصر فتألفت لجنة من فضلائها وادبائها لتكريمهِ واسداء الشكر لهُ ودعت جمهوراً كبيراً من عظماء مصر واعيانها وفضلائها ونخبة كتابها وشعرائها لهذا الغرض فاجتمعوا في فندق شبرد في ٤ يونيو مساء يتقدمهم سعادة عثمان باشا مرتضى رئيس الديوان الخديوي مندوباً من قبل الجناب العالي الذي وضع هذه الحفلة تحت رعايتهِ واصحاب السعادة يوسف وهبه باشا ناظر المالية وعدلي يكن باشا ناظر الخارجية وعبد الخالق ثروت باشا ناظر الحقانية واسمعيل صدقي باشا ناظر الزراعة والسر يوسف سابا باشا واحمد حشمت باشا من النظار السابقين واحمد شفيق باشا ومن وكلاء النظارات اصحاب السعادة اسمعيل حسانين باشا ومحمد شكري باشا وجعفر والي بك . ولما استقر بالمحتفلين المقام ادير عليهم الطعام ووقف سعادة رئيس لجنة الاحتفال اسمعيل باشا صبري واستهل القسم الادبي من الحفلة بقصيدة بليغة . وتعاقب بعدهُ الشعراء والخطباء فنظموا عقود الجمان واتوا بالمعجز من سحر البيان وسننشر بعض ذلك في جزء تالٍ

مؤتمر زراعة الاقاليم الحارة

التأم هذا المؤتمر في مدينة لندن بين ٢٣ و٣٠ يونيو برئاسة الاستاذ وندهام دنستان وكان المقرَّر ان تجري الاعمال فيهِ على النظام التالي . يفتتحهُ رئيسهُ باح ٢٣ يونيو بخطبة الرئاسة وبعد الظهر يتكلم المستر ددجن من نظارة الزراعة المصرية والدكتور فرنسيس وطسن والمستر لين والمستر مكول وغيرهم على التعليم الصناعي في زراعة الاقاليم الحارة وتُتلى الخطب في الايام التالية في المواضيع الزراعية وما يتصل بها كالبنوك الزراعية وشركات التعاون الزراعي ويوم الاثنين في ٢٩ يونيو تعطى الرئاسة للورد كتشنر ويجري البحث في الطرق الموصلة الى تحسين القطن فيتكلم المستر ددجن والاستاذ طُد والمستر ارنوشمث والمستر مكول

هبة كارنجي لمعاشات الاساتذة

بلغت هذه الهبة الآن ٣٠٦٥٠٠٠ جنيه وبلغ ما انفق من ريعها في العام الماضي ١٣١٦٨٦ جنيهاً من ذلك مبلغ ١٠٣٨٨٨ جنيهاً اعطي معاشاً للاساتذة المتقاعدين

و ١٦١٥٠ جنيهاً اعطي معاشاً لارامل اساتذة متوفين . وعدد الاساتذة الذين يأخذون معاشاً الآن من ريع هذه الهبة ٤٠٣ فمتوسط ما ينال الواحد منهم ٣٤٠ جنيهاً في السنة . وقد بلغ مجموع المعاشات التي اعطوها من اول ما اعطي كارنجي هذه الهبة الى الآن ٥٨٧٣٨٥ جنيهاً وقد كانت الهبة اولاً مليوني جنيه ثم اضاف اليها مليون جنيه سنة ١٩٠٨ . وقد اضيف حديثاً الى هذا المال ٢٥٠٠٠٠ جنيه من جمعية كارنجي لترقية التعليم . ومقر هذه الجمعية في نيويورك وتبلغ اموالها المخصَّصة لترقية التعليم ونشر المعارف خمسة وعشرين مليون جنيه

معاشات الاساتذة في معهد ركفلر

وضع ركفلر قاعدة لمعاشات الاساتذة في معهدهِ الطبي من مقتضاها ان الاستاذ الذي يستعفي وعمره ٦٥ سنة بعد خمس عشرة سنة اقامها في المعهد يكون معاشهُ ثلثي الراتب الاخير الذي كان يتناولهُ ويستطيع ان يستعفي قبلما يبلغ الستين اذا كان قد مضى عليهِ ١٥ سنة او اكثر في المعهد فيأخذ معاشاً مساوياً لنصف راتبهِ الاخير وعشرة في المئة عن كل سنة قضاها فوق الخمس عشرة سنة ولا يزيد المعاش في اي حال على الفي جنيه في السنة

السرطان والراديوم

ظهر تقرير معهد الراديوم عن سنة ١٩١٣ وفيهِ انهُ عولج بالراديوم في غضون السنة ٨٦٠ مريضاً نصفهم مصابون بالسرطان وقد استفاد بعضهم من المعالجة بهِ كثيراً او قليلاً ولا يمكن بت الحكم حتى الآن في نتائج المعالجة ولكن يظهر ان الامل في شفاء سرطان الجلد قوي وفي شفاء سرطان اللسان والفم ضعيف والامل كبير في شفاء سرطان الرحم واقل منهُ في شفاء سرطان الثدي . وقد ظهر للراديوم فائدة في معالجة سرطان الامعاء وكذلك في معالجة سرطان العظام والغالب ان المعالجة تخفف الالم . والمعهد يعالج المصابين بملح الراديوم نفسهِ ويرسل متصعداتهِ وماءهُ الى الخارج للمعالجة بهما

نوء كهربائي بلندن

مرَّ نوء كهربائي بلندن في الرابع عشر من يونيو فجرى فيها كالنهر من الشرق الى الغرب مصحوباً بالصواعق ومشفوعاً بالبرَد والمطر الغزير وقد اصابت الصواعق ستة كانوا مستظلين تحت شجرتين فقتلتهم واصابت غيرهم ايضاً فآذتهم وصعقت بعض المباني وبلغ ارتفاع ما وقع من المطر في بعض الاماكن بوصة وثلث بوصة فتعاظم السيل وكثر التلف بسببهِ

جامعات اميركا

بلغ عدد المدارس الجامعة والكلية في الولايات المتحدة الاميركية ٨٠٧ وفيها من الطلبة ٣٣٠ ٨٣٢ اكثرهم في ولاية الينويز فان عدد مدارسها الجامعة والكلية ٤٠ وعدد طلبتها ٢٦٨٨٦ وثتلوها ولاية نيو يورك فان عدد مدارسها الجامعة والكلية ٣٢ وعدد طلبتها ٢٤٢١٤

قصيدة بابلية

عثر في نبور على اسطوانة صغيرة من الخزف عليها تسعة عشر سطراً من الكتابة نقشت عليها عموديًّا وقد حملت الى معرض المدرسة الجامعة في مدينة فيلادلفيا باميركا فقرئ ما امكن قراءتهُ من الكتابة التي عليها فاذا هي قصيدة باللغة السومرية تشير الى تأسيس بناء والى زوال وباء كان قد حلَّ في البلاد

حرارة الجسم وحركتهُ

تلا بعضهم خطبة في الجمعية الفلسفية الاميركية قال فيها ان في جسم الانسان جهازاً خاصًّا لتحويل القوة الكامنة فيهِ الى حرارة وحركة · والاقسام الرئيسة في هذا الجهاز هي الدماغ والغدة الدرقية والمحفظات التي فوق الكليتين والكبد والعضلات · فالدماغ يدير سائر اقسام هذا الجهاز والغدة الدرقية تبقي احوال الجسم ملائمة لتأكسد الانسجة والمحفظات التي فوق الكليتين تدير هذا التأكسد مباشرة والكبد يحول المواد الى سكر ويدّخرهُ والعضلات تكمل تحويل المواد الى حرارة وحركة · واذا تعطل احد هذه الاعضاء عن عملهِ ضعفت قوة الجسم على توليد الحرارة والحركة او زالت جملة واذا طرأ عليهِ تغير ظهر تأثيرهُ في سائر اعضاء هذا الجهاز · ثم قال في ختام خطبتهِ ان هذه الحقائق قد توصل الى طريقة تداوى بها الامراض المزمنة التي تنشأ عن كثرة تنبيه عضو من الاعضاء المختصة بهذا الجهاز

ارتفاع الامواج

قال ربان باخرة انهُ شاهد امواجاً ارتفاعها ٦٦ قدماً في الاوقيانوس الاتلنتيك وقد اشتد هيجان بحر المانش في السنة الماضية فقال قبطان الدارعة نارونغ انهُ شاهد فيهِ امواجاً ارتفاعها ٧٠ قدماً ولكن لم يذكر احد منهما الطريقة التي جرى عليها في قياس هذا الارتفاع لنعلم هل يمكن الاخذ بتقديرهما

البواخر التجارية

بلغ تفريغ البواخر التجارية الانكليزية ٧٩١ ٢٧٥ ٢٠ طنًّا والالمانية ٧٤٦ ٩٩٨ ٤ طنًّا والاميركية ٧٣٦ ٤٨٩ ٣ طنًّا والنروجية

٣٢٣ ٢٤٧٥ ٢ طنًّا والفرنسوية ٤ ٥ ٦ ٢٢٤ طنًّا واليابانية ٢٠٦٢ ٠ ١٧٠ طنًّا والايطالية ١٥٧١٧٦١ طنًّا وبواخر الانكليز وحدهم تزيد بواخر سائر الامم نحو الثلث

التلفون اللاسلكي

نشرت جريدة الماتن ان الكبتن كولن من ضباط البحرية الفرنسوية تمكن من ايصال الكلام بالتلفون اللاسلكي من باريس الى فنيستر في اسبانيا والمسافة بين المكانين نحو ٣٠٠ ميل . وقالت ايضاً انهُ تمكن من صنع آلة للتلفون اللاسلكي لها عمود علوهُ ٩٠ قدماً يمكن حملها في اوتوموبيل الى حيث يلزم استعمالها ويقتضي لانزالها من الاوتوموبيل ستة رجال يقومون بذلك في ٢١ دقيقة وتوصل الكلام الى بعد ٦٠ ميلاً الى ١٢٠ ميلاً

الضباب وجبال الجليد

في جزء يونيو من نشرة الظواهر الجوية التي تصدرها الحكومة الاميركية ان الخطر من الضباب في جوار جزيرة نيوفونلند ايام الصيف ثمانية اضعافهِ ايام الشتاء . وقد جاء في غيرهِ ان من اهم الاسباب في نشوء الضباب اختلاط الهواء الحار بالهواء البارد وهما رطبان والتقاء الهواء الرطب بجبال الجليد او مياه الشمال الباردة

قلة المواليد

سأل احد العلماء ٤٦١ من ارباب العائلات عن سبب قلة اولادهم فاستنتج من اجوبتهم ان ٢٨٥ منهم عملوا على تقليل نسلهم مختارين وان ١٧٦ لم يعملوا على ذلك . ومن الذين عملوا على تقليل نسلهم ١٣٣ اقدموا على ذلك لدواعٍ صحية و٩٨ هرباً من كثرة النفقات و٥٤ لدواعٍ اخرى

اخلاق الزنج

قال المستر دود الاميركي في خطبة لهُ في اخلاق زنوج افريقية ان الذين يسكنون الجهات الوعرة المخيفة منهم جبناء يؤْمنون بالسحر ويكثرون من الاصنام التي يعبدونها والذين يسكنون الاماكن التي تكثر فيها الاراضي الزراعية اقل جبناً واعتقاداً بالسحر والذين يعيشون بتربية المواشي على جانب من الشجاعة وتقل اصنامهم ويقل اعتقادهم بالسحر

تمثال كبير

في بلاد الصين تمثال لبوذا يبلغ ارتفاعهُ مئة قدم وقد نُحت هذا التمثال من الصخر الرملي في اكمة علوها مئتا قدم وحُفر فيها ايضاً هيا كل تحت التمثال وفوقهُ يقوم فيها الكهنة على احراق البخور وضرب الطبول ووجه التمثال مذهب يتألق في نور الشمس

فهرس الجزء الاول من المجلد الرابع والاربعين

صفحة



تشمبرلين واللوب الذي اغتنى بهِ



تشمبرلين عند اول دخولهِ مجلس النواب

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الخامس والاربعين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩١٤ — الموافق ٩ رمضان سنة ١٣٣٢

جوزف تشمبرلين

JOSEPH CHAMBERLAIN

لهذا الرجل مقام عظيم بين رجال المال والاعمال وبين رجال الادارة والسياسة وقد ترجمناهُ كرجل مالي سنة ١٩٠٣ قبيل انقطاعهِ عن السياسة ونحن موردون الآن ما قلناهُ فيهِ حينئذٍ ثم نشفعهُ بشيءٍ عن حياتهِ السياسية

« المشهور ان تشمبرلين من رجال السياسة لا من رجال المال ولا من رجال الاعمال . ولا شبهة في انهُ من اكبر ساسة العصر ولعلَّ مقامهُ السياسي الآن في انكلترا اعظم من مقام كل سياسي آخر لكنَّ مقامهُ المالي ليس دون مقامهِ السياسي والاول اساس الثاني ودعامتهُ

« ولد في اواسط سنة ١٨٣٦ ودرس في مدرسة لندن الكليَّة ولم يستطع ان يطلب العلم في مدرسة من مدارس الانكليز الجامعة كاكسفرد او كمبردج او ادنبرج لان هذه المدارس كانت تقفل ابوابها في وجوه الموحّدين وكان ابوهُ منهم وهم فئة من البرتستانت لا تعتقد بالوهيَّة المسيح . ومن المحتمل ان اقتصارهُ على الدرس القليل افادهُ ولم يضرَّ بهِ لانهُ لم يغرهِ بالايغال في العلم ومضايقهِ ولو فعل ذلك لصار من العلماء المتبحرين الذين يشار اليهم بالبنان ولكن نفعهُ لنفسهِ ولامتهِ لم يكن قدر ما هو الآن

« كان ابوهُ يبيع الاحذية بيع تاجر لا بيع صانع واشتهر بعلو الهمة وشدَّة الحزم مع شيءٍ من الدعة فورث منهُ مقاماً في التجارة ودراية في تعاطيها . ولما صار لهُ ١٦ سنة من العمر اطلعهُ ابوهُ على اسرار صناعتهِ وادخلهُ معمل الاحذية فتعلَّم صناعتها ونشأ اسكافاً من الاساكفة وتاجراً من التجار . وقد وقف خطيباً في جمعيَّة الاساكفة منذ بضع سنوات وقال « اني بقيت في مدينة لندن الى ان صار عمري ١٨ سنة وكان يمكنني ان اقول حينئذٍ ما لا يستطيع كثيرون

من اعضاء هذه الجمعيَّة ان يقولوهُ وهو ان ابي وجدي وابا جدي من الاساكفة الذين تعاطوا هذه الصناعة على التعاقب في بيت واحد مئة وعشرين سنة وفي هذا المكان وقفت مع ابي وانا فتًى وخطبت الخطبة الاولى»

«لكن تعلُّمهُ السكافة واتصالهُ بجمعيَّة الاساكفة لم يطولا الاَّ سنتين فان زوج عمتهِ واسمهُ نتلفورد كان يصنع لوالب الخشب واشترى امتيازاً بطريقة لعمل اللوالب من مخترعها واقنع ابا تشمبرلين أن يأتي الى مدينة برمنهام ويشاركهُ في هذا العمل فاشترك الاثنان ودأبا زماناً طويلاً الى ان تكللت اعمالهما بالنجاح وصار لهما معمل كبير لعمل اللوالب. وكان يُصنَع في برمنهام سنة ١٨٦٥ نحو ١٩ مليون لولب كل اسبوع ونحو ١٣ مليون لولب منها تصنع في معمل نتلفورد وتشمبرلين (واللولب يعمُّ ما يسمَّى في مصر بالفتيلة والالاووظ والبرمة وما يسمَّى في الشام بالبرغي)

«والشائع ان الآباء ينشئون الاعمال الكبيرة مبتدئين من اسسها واولادهم يرثونها قائمة الاركان مشيدة البنيان فيتولون ادارتها وهم يجهلون مبادئها فتضعف في ايديهم رويداً رويداً الى ان تزول اما صاحب الترجمة فشارك اباهُ وزوج عمتهِ في عمل اللوالب وكل ما يتعلَّق بها ولم يقتصر على ذلك بل عني بالقسم التجاري من العمل وهو القسم الاهم اي بيع اللوالب الى التجار وفتح الاسواق لها في اقطار المسكونة. وجرى ابن عمتهِ مجراهُ فتعلَّم صناعة عمل اللوالب مثلهُ وكان يشارك العمَّال في عملها

«ولم تكن اللوالب دقيقة من رؤُوسها كما هي الآن فكان النجار يضطرُّ ان يثقب لها ثقباً تدخل فيهِ واستنبط تشمبرلين طريقة تُصنَع بها دقيقة من اعلاها كما ترى في صورتهِ ونال امتيازاً بذلك فراجت لوالبهُ اكثر من كل اللوالب واتسع معملهُ حتى صار فيهِ اربعة آلاف عامل وجمع من ذلك ثروةً وافرةً جدًّا. ومصدر ثروتهِ اتقانهُ عمل اللوالب وابتياع المعامل الصغيرة وضمها كلها الى معمل واحد وترويج مصنوعاتهِ في المسكونة. وقد تعب في كل فرع من هذه الفروع وبذل اقصى الجهد لنيلهِ واعتمد على الاقيسة الفرنسوية في عمل اللوالب التي ترسل الى البلدان الفرنسوية وعلى لفها بالورق الازرق الذي اعتاد التجار ان يروها فيهِ. ولما صارت لهُ ثروة طائلة اعتزل العمل الصناعي والتجاري وعكف على السياسة وامرهُ في السياسة معلوم وهو الآن وزير المستعمرات البريطانية وصاحب الكلمة النافذة في سياسة الامبراطورية الانكليزية»

هذا ما كتبناهُ عن سيرتهِ الصناعية التجارية منذ احدى عشرة سنة قبيل استعفائهِ من الوزارة لكن سيرتهُ هذه لا تذكر في جنب سيرتهِ السياسية الامبراطورية مع ان الاولى اساس الثانية ولولم يثرِ ويكفَ مؤُونة الكدح في طلب الرزق لعاش ومات خامل الذكر

اما وقد جمع ثروة طائلة من الصناعة والتجارة في سنين قليلة فالتفت الى الاهتمام بما يبقي لهُ ذكراً بين عظماء الرجال مدفوعاً الى ذلك بميل فطري فيهِ الى حب الظهور ومقدرة طبيعية على الاحاطة بالمواضيع المختلفة والتعبير عنها بكلام يقنع او يفحم فانتظم في المجلس البلدي بمدينة برمنهام ورأس جمعية التعليم الوطني فيها وانتخب محافظاً لها فاجرى فيها وفي التعليم كثيراً من ضروب الاصلاح والَّف جمعيَّة من الاحرار المتطرفين وانحى باللوم والتعنيف على سياسة المحافظين ونعت رئيسهم الوزير دزرائيلي بانهُ الرجل الذي «لا يصدق الاَّ عَرَضاً» وترشح للانتخاب في مجلس النواب عن مدينة شفيلد سنة ١٨٧٤ ففشل فاعتزل اعمالهُ الصناعية والتجارية ولو حسب الظاهر وترشح ثانية سنة ١٨٧٦ بدل عضو مستعفٍ فانتُخب عن برمنهام بدلاً منهُ ودخل مجلس النواب كعضو من الاحرار المتطرفين. وللحال ظهرت قوة عارضتهِ في الخطابة والجدل ورأى فيهِ المتطرفون من الاحرار اقوى نصير لهم. وظلَّ على ذلك عشر سنوات دخل في غضونها وزارة الاحرار سنة ١٨٨٠ برئاسة غلادستون وجُعل رئيساً لمجلس التجارة فوضع قانون الافلاس واهتم بامور عامَّة الشعب واملاكهم. ولما اعيد الانتخاب سنة ١٨٨٦ اعيد الى الوزارة لكنهُ استعفى منها لما رأى رئيسهُ غلادستون عازماً على اعطاء الاستقلال الاداري لارلندا. وانحاز اليهِ جمهور من الاحرار اتحدوا مع المحافظين في مقاومة الاستقلال الاداري فأطلق عليهم اسم المتحدين. فاشتد حنق بقية الاحرار عليهِ ولقبوهُ بالمرتد والخائن. ثم انتظم في وزارة المحافظين برئاسة لورد سلسبري فجُعل ناظراً للمستعمرات وحملهُ البحث في امورها على وجوب الاهتمام بربطها كلها بالبلاد الانكليزية بربط محكمة ومن ثمَّ شاعت عند حزبهِ وعند اكثر الانكليز فكرة الاتحاد الامبراطوري والنظر الى المستعمرات كلها كاعضاء حية من جسم الامبراطورية البريطانية. وتدرَّج من ذلك الى انهُ يجب على الحكومة الانكليزية ان تضع رسوماً جمركية على كل ما يرد اليها من البضائع والسلع وتستثني من ذلك ما يرد اليها من مستعمراتها فتزيد دخلها وتقوي الزراعة والصناعة الوطنية وتحكم عرى الاتحاد بينها وبين مستعمراتها. لكن هذا الرأي لم يرق لسائر انصارهِ من الاحرار ولا لكثيرين من المحافظين لاسيما وان علماء الاقتصاد مختلفون فيهِ فاستخدمهُ خصومهُ سبباً لمقاومتهِ ومقاومة حزبهِ فافلحوا واضطر ان يعتزل الخطط السياسية سنة ١٩٠٣ ولكنهُ بقي يكتب ويخطب ويجادل ويناضل الى ان اشتدَّ عليهِ داء النقرس سنة ١٩٠٦ فمنعهُ عن حضور مجلس النواب بعد ذلك لكن انصارهُ ظلوا يرتشدون بارشادهِ ويستمدون من آرائهِ

قابلناهُ لما زار القطر المصري وحادثناهُ في بعض الشؤُون العمومية والخصوصية فرأيناهُ

صريحاً في التعبير عن افكارهِ راغباً في الوقوف على الحقائق شديد الاهتمام بما يعلي شأن قومهِ لا شيءَ فيهِ من الصلف والدعوى كما يكون كبار الساسة عادة . وقد عرفت المدارس الجامعة فضلهُ ولولم يدرس فيها فمنحتهُ جامعة اكسفرد وجامعة كمبردج لقب دكتور في الشرائع

وكانت وفاتهُ في ٢ يوليو الماضي بداء السكتة واحتفل بدفنهِ في السادس منهُ وأبَّنهُ وزراء الانكليز وصحفهم وصحف اوربا واميركا والمستعمرات وكتبوا فيهِ الفصول الطوال

الشفاء بلا دواء

كان للطبيب والكاهن والساحر مقام رفيع عند الاقدمين بل كان هؤُلاء الثلاثة واحداً فان الساحر كان كاهناً وطبيباً . اي قام في فجر التاريخ وقبلهُ اناس ادَّعوا ان لما يقع للانسان من صحة ومرض ولما يصيبهُ من فوز وفشل اسباباً غير منظورة وان الكاهن والساحر والطبيب يستطيعون الوصول اليها وجلبها او دفعها وقد يحتمل ان الذين ادعوا هذه الدعوى استنبطوها استنباطاً لاجل السيادة او الكسب ولكن الاقرب الى العقل انهم رأَوا الامور تنقاد اليهم احياناً فاذا سحروا رجلاً قصد نفعهِ او ضرهِ انتفع او انضرَّ واذا توسلوا الى معبود ولو حجراً او شجراً لكي ينفع رجلاً او يضرهُ نال ذلك الرجل ما طلبوهُ لهُ . واذا تفرَّسوا في رجل بدا لهم من ملامحهِ ما ينطوي عليهِ ضميرهُ كأَنهم قرأُوا في صفيحة وجههِ اسرار الغيب ولهذا كان للطبيب والكاهن والساحر شأن عظيم عند كل الامم لاعتقادهم ان لهم اتصالاً بعالم الغيب وسلطة على القوى التي لا ترى

ولا يخفى ان هذا الاعتقاد باقٍ الى الآن وانهُ يحدث من الحوادث كل يوم ما يعززهُ ولو قامت الادلة العلمية على فسادهِ لا لان الحوادث التي تحدث مكذوبة بل لان اسبابها غير ما يُظن

كنا اذا ذُكرت لنا حادثة من هذه الحوادث كأَن قيل ان فلاناً علَّق حجاباً او شرب ماء او زار ضريحاً فشفي من مرض اعتراهُ نفسّر ذلك إما بان المرض كان وهماً فزال بوهم مثلهِ او بانهُ كان خللاً في فعل بعض الاعصاب فأُصلح بفعل عصبي آخر ناتج عن الاعتقاد . واما المرض الفعلي المسبب عن آفة في جوهر الاعضاء لا عن خلل في وظيفتها فلا يزول بهذهِ الوسائل وامثالها . فاذا دخل ميكروب السل الرئتين وافسد جانباً كبيراً منهما فلم يبقَ منهما ما يكفي للتنفس وتطهير الدم واذا نما السرطان في المعدة واتلف بناءها حتى لم تعد تستطيع هضم الطعام واذا دخل ميكروب التيفويد الامعاء واكل جدارها وخرقهُ واذا مرَّت خردقة

في العين ففقأتها او وقع سيف على ذراع فقطعها فكل الاحجبة والاضرحة والمياه المقدسة لا تصلح رئة اكلها السل او معدة اتلفها السرطان اومعى خرقهُ التيفويد او عيناً فقأها الخردق او ذراعاً قطعها السيف

ولكن اذا تأثر العصب المعدي بمؤثر ما ولو موهوماً فشعرت المعدة كما تشعر حينما يدخلها جسم غريب وحاولت دفعهُ بالقيء فما يزيل ذلك التأثير من العصب يبطل القيء . والمؤثر الموهوم يفعل بالاعصاب كالمؤثر الحقيقي مثال ذلك انك اذا رأيت رجلاً هجم يقصد ضربك بعصاهُ على رأسك فانك تحاول استلقاءها بيدك ومنع وصولها الى رأسك وتفعل ذلك ولو علمت تمام العلم انهُ لا يقصد ايصال العصا اليك . فالخوف من العصا هنا وهمٌ ولكنهُ فعَل فعْل الحقيقة . ومعلوم ان جانباً كبيراً من الامراض حاصل من انحراف او خلل في وظائف اعضاء الجسم لا في جوهرها وهذا الانحراف وهذا الخلل يزولان من نفسها لاسباب نفسية او وهمية كما يحدثان لاسباب نفسية او وهمية . ومعلوم ايضاً ان نوع الانسان لم يبقَ الى الآن بعد ان انتابتهُ عوادي الادواء الوفاً كثيرة من السنين من غير ان تقرضهُ كما قرضت غيرهُ من انواع الحيوان الاَّ لأن فيهِ قوى داخلية قاومت هذه العوادي وتغلبت عليها . واخص هذه القوى خلايا الدم البيضاء فانها اذا رأت عدداً من الميكروبات الضارة دخل الجسم هجمت عليهِ حالاً واكلتهُ . وهي تزيد وتنقص وتقوى وتضعف تبعاً للمؤثرات النفسية هذا ناهيك عن ان كل اعضاء الجسم تعمل على وقايتهِ من تلقاء نفسها فاليد التي تحاول دفع السيف عن رأسك تفعل فعلها من غير ان تنتظر منك ان تأمرها بدفعهِ وجفن عينك الذي يرمش و ينطبق حالما ترى شيئاً مقبلاً عليها انما يفعل ذلك من نفسهِ . وقصبة الرئتين تضطرك الى السعال ونفث ما تخشى ان يدخلها و يؤذيهما ولو رغماً عنك . والكليتان تفرزان السموم الذائبة في الدم والرئتان تطهرانهِ من الغازات السامَّة . وقس على ذلك سائر الاعضاء فان لكل عضو منها عملاً خاصًّا لفائدة الجسم . وهي قد تسرع في عملها او تبطئ فيهِ وتحسنهُ او تسيئهُ تبعاً لحالة الاعصاب المتسلطة عليها او لحالة العقل الباطن الذي شرحنا فعلهُ غير مرة فلا عجب اذا كانت حالة الانسان العصبيَّة النفسيَّة تؤثر فيهِ تأثيراً يمرضهُ او يشفيهِ و يضعفهُ او يقويهِ

اصيب كاتب هذه السطور قُبَيْل كتابتها بقيءٍ واسهال شديدين إما من برد اصابهُ ليلاً ففسد الطعام في معدتهِ وامعائهِ فحاولت دفعهُ لئلاَّ يؤذيها وإما لان معدتهُ وامعاءهُ شعرت ان الطعام فيها فاسد فدفعتهُ ولو لم يكن كذلك . والعادة في مثل هذه الحال ان يُعطى المصابُ مسهلاً لكي يزيد تهيج معدتهِ وامعائهِ فتقذف كل ما فيها باسرع ما يمكن . اما نحن

فرأينا ان قناتنا الهضمية قائمة بما يُطلب منها من غير مهيج آخر وهي احوج الى المسكن منها الى المهيج فخالفنا شور الطبيب واكتفينا بشرب الماء البارد وبعد ساعتين من الزمان انقطع القيء وبعد نحو خمس عشرة ساعة انقطع الاسهال وزالت الحمّى الخفيفة التي صحبتهُ وعدنا الى الصحة التامّة اي ان اعضاء الجسم عالجت نفسها ممَّا اصابها بدفع ما خافت اذاهُ سواءٌ كان فيها شيءٌ مؤذٍ حقيقةً اولم يكن ·هذا شأننا كلما اصابنا توعُّك فاننا نترك اعضاء الجسم تطبب نفسها·

ولا شبهة ان كثيرين من الذين يشفون من غير دواء انما يكون شفاؤهم على هذا النمط

وقد نشر الآن كاتب انكليزي مشهور اسمهُ ايتون سنكلر مقالةً تدخل في هذا الباب موضوعها الشفاء بوضع الايدي قال فيها انهُ زار في الصيف الماضي احد اصدقائهِ في مدينة لندن واتفق ان زار هذا الصديق ايضاً حينئذٍ سيدة تدّعي انها تشفي المرضى بمعالجتهم معالجة عقلية من غير دواء وقد اشتهرت بذلك وكسبت مالاً طائلاً · وكان صاحب البيت معرَّضاً للصداع يصيبهُ من وقت الى آخر فيقيم يوماً او يومين وهو في اشد الالم وكان قد جرَّب كل انواع الادوية والعلاجات فلم تجدهِ نفعاً وكلما سمع بدواء جديد احضرهُ واستعملهُ على غير جدوى حتى امتلأ بيتهُ بالعقاقير الطبيَّة ·ثم بلغهُ خبر هذه الطبيبة فاستدعاها فوضعت يديها على رأسهِ ولم يكن الاَّ دقائق قليلة حتى زال الصداع منهُ · واصيبت زوجتهُ بسعال شديد انهك قواها فاستدعت هذه الطبيبة فاتتها وعالجتها بوضع يديها عليها فزال السعال منها· فقالت في نفسها لعلي انا ايضاً استطيع ذلك فلما عاود زوجها الصداع وضعت يديها على جبينهِ فزال الصداع منهُ فجربت ذلك في غيرهِ فوجدت انها تشفي المصابين باوجاع مختلفة على اسهل سبيل

قال الكاتب وكانت زوجتي معي في هذه الزيارة وهي مصابة بضعف عصبي شديد على اثر سقطة فذهبت الى هذه الطبيبة فعالجتها وعادت وهي تقول انها انتفعت منها كثيراً

والضيوف معرضون للتخمة لكثرة ما يقدَّم لهم من الطعام الشهي والتخمة تسبب الصداع ويتعذر على الضيف ان يداوي نفسهُ بالصوم · فاصابتني تخمة تبعها صداع شديد فذهبت الى هذه الطبيبة لاجرب فعلها بي فاجلستني على كرسي ووقفت ورائي ووضعت اصابعها على صدغي وامرتني ان لا افتكر بشيء بل اسلم نفسي لها واعتقد انها قادرة على شفائي وجعلت تقول لي ان فيَّ قوًى طبيعية قادرة على شفائي وهي تمسّد صدغي باصابعها وتتكلم بصوت رخيم ودامت على ذلك بضع دقائق ولكن الصداع بقي على شدتهِ ·والحق يقال اني لم افعل كما امرتني بل كنت افكر وهي تمسّد صدغيَّ بما يذاع عني اذا شفتني · فقلت لها ان جلدي سميك لا يؤَثر فيهِ علاج لطيف مثل هذا وعدت الى البيت وقد زاد الصداع شدةً · فقالت لي

زوجتي دعني امسّد رأسك كما مسَّدتهُ الطبيبة فقلت لها افعلي فمسدتهُ وزال الصداع حالاً

ومضت الايام واضطررت ان اشتغل شغلاً عقليًّا شاقًّا فاصبت بسوء الهضم والصداع فالارق ولما لم يتيسَّر لي ان انقطع عن الشغل كانت زوجتي تقول لي اجلس لاعالجك فاجلس وتمسّد رأسي فيزول الارق والصداع وسوء الهضم . ثم صارت هي تصاب بهذه الادواء كأَنها انتقلت مني اليها ولا خير في علاج ينقل الداء منك الى زوجتك فابطلنا هذا التداوي وتركت الشغل ولجأت الى الصوم . وبعد مدة كنا مسافرين بسكة الحديد سفراً طويلاً شاقًّا فشكت زوجتي من صداع اليم جدًّا وهي لا تشكو الاَّ اذا برَّح بها الالم . فذعرتُ وقلت لها هلمي اعالجك كما كنتِ تعالجينني واجلستها ووضعت يدي على جبينها وعزمت عزماً اكيداً على ان ازيل الالم منها فلم يكن الاَّ دقائق قليلة حتى نعست ونامت فتركتها وذهبت الى مركبة الطعام . واستيقظت في غيابي وعاودها الصداع وكان شديداً جدًّا حتى كادت تطرح نفسها من شباك المركبة كما اخبرتني بعدئذٍ . ولما عدت اليها حاولتُ معالجتها ثانية ولم يكن الاَّ خمس دقائق حتى زال الصداع تماماً

واصيبت بعد ذلك بالم في احد اضراسها واشتدَّ الالم عند نصف الليل حتى تعذَّر عليها احتمالهُ فذهبت بها الى طبيب الاسنان فقال ان لا بدَّ من قلع ذلك الضرس لانهُ متقرح ولا بدَّ من طبيب آخر معهُ لينشقها الغاز المنوم وكانت تخشى من استنشاق الغاز لضعف اعصابها فاحتملت الالم كل ذلك الليل وذهبنا الى لندن في اليوم التالي وكان يوم سبت فوصلناها متأَخرين والظاهر ان اطباء الاسنان يغادرونها حينئذٍ فاضطرَّت ان تتحمل الالم بقية ذلك اليوم ويوم الاحد وقد جلست في غرفة مظلمة تبكي من شدَّتهِ . واخيراً خطر ببالي ان اعالج ضرسها كما اعالج صداعها فوضعت يدي على المكان الذي فيهِ الضرس وعزمت عزماً اكيداً ان ازيل الالم منهُ فتستريح وتنام فلم يكن الاَّ قليل حتى نامت فتركتها وانسللت من الغرفة وبعد ساعة سمعتها تئن لانها استيقظت وقد عاودها الأَلم فعدت اليها وعالجتها ثانيةً وبعد قليل جلست منتصبة وقد ابرقت اسرتها وهي تقول زال الالم . وقد زال حقيقة ولم يعُد وفي اليوم التالي رأَيتها تعلك علكاً على ذلك الضرس عينهِ

وقد فسَّر الكاتب ذلك بان عقلهُ الباطن اثر في عقل زوجتهِ الباطن وهذا اثَّر في اعصابها فابطل شعورها بالالم فهو مثل البنج وسائر المنومات التي تزيل الشعور بالالم او مثل الاستهواء الذي يزيل الشعور كما لا يخفى ولكن هل زوال الشعور بالالم يزيل سبب الالم ايضاً . والظاهر من بعض المشاهدات ان سبب الالم قد يزول ايضاً

حلى اللاهون

من حين اكتشف المسيو ده مورجان الحلى البديعة في اهرام دهشور لم تكتشف حلَّى مصرية تماثلها الأ الآن فان النقابين الذين ينقبون من قبَل المدرسة البريطانية للعاديات المصرية برئاسة الدكتور بتري اكتشفوا في مدفن اميرة في هرم اللاهون عند مدخل الفيوم حلًى ذهبية تشبه حلى دهشور · ولا غرابة في ذلك لان الحلى التي وجدت في دهشور بعضها للملك اوسرتسن المدفون في هرم اللاهون · وقد نشأ هذا الملك قبل المسيح بنحو الفين واربع مئة سنة فيكون قد مضى على هذه الحلي مصنوعة ومدفونة نحو اربعة آلاف وثلثمئة سنة

واول شيء وجد من هذه الحلي نحو رطل من خرز الذهب الصغير ثم اكليل من الذهب عرضهُ نحو سنتيمترين ونصف وهو واسع يشمل الراس ولمَّة الشعر في مقدمهِ رأس صل اعقف مرصَّع وعلى دائرهِ خمس عشرة وردة مرصعة وفي موءخرهِ ريشتان من الذهب تمثلان ريش النعام ويتدلَّى منهُ شرائط من الذهب كالبنود وهو معروض الآن في المتحف المصري

ومِمَّا وجد من تلك الحلى قلادتان من الذهب المرصع مما يلبس على الصدر في كلٍ منهما صورة رجل راكع وعلى جانبيهِ صقران وصلاَّن وعلامتا الحياة · ومنها سواران من الذهب عرض كل سوار منهما بوصة ونصف · ومرآة من الفضة مقبضها من السبج المرصع بالذهب وطرفهُ الاعلى رأس الالهة هثهور من الذهب وحقق ومكاحل من السبج والذهب وكؤُوس من المرمر وعقود من الجمشت بينها مخالب اسد من الذهب وعقد خرزهُ من الذهب واللازورد والعقيق واليشب

وعلى احدى القلادتين المشار اليهما آنفًا اسم الملك اوسرتسن الثاني وعلى الثانية اسم الملك امنمهات الثالث الذي كان بعد اوسرتسن بست وستين سنة والظاهر ان الاميرة التي كانتا لها عاشت في عهد الملك الثاني ولكنها كانت من نسل الملك الاول او انها ورثت القلادة الاولى من امها

وتدلُّ هذه الحلى كما تدلُّ حلى دهشور على ان المصريين الاقدمين كانوا ماهرين في صوغ الذهب وترصيعهِ وصقل الحجارة الكريمة الى حد لم يفقهُ ابناؤُهم بعدهم

وقد ارسل اكثر هذه الحلى الى بلاد الانكليز وعرضت فيها في اوائل يوليو الماضي وترى صور بعضها وصورة الاكليل في الشكل المقابل



سوار من الذهب والعقيق والفيروز

اكليل من الذهب

قلادتان من الذهب والمينا

الخلل في التوازن

بين السكان والارزاق

وعدنا في النبذة السالفة ان نتم البحث في هذا الموضوع الخطير بالجواب على هذا السؤال وهو «هل ازدحام السكان حتى في دائرة الرزق الواحدة هو العلة الوحيدة للفقر والشقاء وبالتالي لصدقوة الميل الى التناسل ؟ او ان هناك اسباباً اخرى تقضي بذلك وانهُ اذا ازيلت هذه الاسباب قلّ الفقر وانتفى الشقاء وامكن ان تسع دائرة الرزق اكثر مما تسع الآن ؟ »

وهنا لا ارى بدًّا من الدخول في هذا البحث الاجتماعي من الوجهة الاقتصادية المحضة لان للعوامل الاقتصادية شأناً كبيراً في الاحوال الاجتماعية كما لا يخفى بل هي اساس الاجتماع

تفاوت الطبقات في الاعمال والارزاق — فالمسألة بسيطة واضحة لنظر من يفهم المسائل الاقتصادية ويزن الامور بميزان العدل والانصاف · فاذا نظرنا الى اية امة من الامم المتمدنة مثلاً وجدناها مؤلفة من طبقات تتفاوت تفاوتاً عظيماً في مقدار العمل اللازم لتحصيل الارزاق الكافية لمعيشة الامة كلها وتتفاوت ايضاً تفاوتاً اشد في تقاسم تلك الارزاق · والنسبة بين التفاوتين معكوسة اي ان اكبرها نصيباً اقلها تعباً

فاذا قسمت الامة الى عشرة اعشار والعمل اللازم لتحصيل الارزاق كلها الى مئة جزء امكننا ان نضع صورة تقريبية للنسبة المشار اليها · فاذا لم تنطبق هذه النسبة على الواقع تماماً او لم تكن مقاربة لهُ كل المقاربة فلا اقل من ان ترينا كيفية هذا التفاوت · وهاك صورة النسبة

اعشار الامة		عمل كل عشر	مجموع الاعمال	رزق كل عشر	مجموع الارزاق
		اجزاء في المئة	اجزاء في المئة	اجزاء في المئة	اجزاء في المئة
الاغنياء	١	٠٠	٠٠	٣٠	٣٠
المتوسطو الغنى	١	٥	٥	٢٠	٢٠
المتوسطون	٣	١٠	٣٠	١٠	٣٠
عمال متفاوتون	٢	١١	٢٢	٦	١٢
	١	١٣	١٣	٤	٤
	٢	١٥	٣٠	٢	٤
	١٠		١٠٠		١٠٠

ومعنى هذا الجدول ان العُشر الاول من الامة لا يعمل مطلقاً او ان بعضهُ يعمل اعمالاً لا تستحق الذكر او لا تفيد في تحصيل الرزق وبالوقت نفسهِ يتمتع بنحو الثلاثين في المئة من ارزاق الامة كلها . وهذا العشر هو قسم من المُلاَّك والمتمولين الكبار والمساهمين وغيرهم ممن لا تُعد اعمالهم كلها ضرورية لتحصيل الثروة العمومية

والعُشر الثاني الاغنياء المتوسطون الذين يشتغلون نصف شغل اي خمسة في المئة من اشغال الامة ويتمتعون بعشرين في المئة من ارزاقها

وبعدهم يأتي في الجدول ٣ اعشار الامة من الطبقة المتوسطة وهم اهل الفنون والصناع والمستخدمون والتجار الصغار الخ وهم يشتغلون نصيبهم من الشغل ويتمتعون بنصيبهم من الرزق

ثم يأتي عُشران يشتغلان زيادة عن نصيبهما من العمل واحداً في المئة ولا يتمتع كلٌّ منهما الاَّ بستة اعشار نصيبهِ من الرزق

ثم يأتي عُشرٌ يشتغل ٣ بالمئة زيادة على نصيبهِ من العمل ويتمتع باربعة اعشار نصيبهِ من الرزق

ثم يأتي عُشران يشتغلان خمسة في المئة زيادة على نصيبهما من العمل ولا يتمتع كلٌّ منهما الاَّ بعشري نصيبهِ من الرزق

والخمسة الاعشار الاخيرة هم طبقة العمال الذين يشتغلون الاشغال الشاقة التي يُعوَّل عليها في استخراج الثروة . وقد قطعنا النظر عن الاحداث والطلبة والعجزة لانهم عالة على اهلهم على كل حال

فاذا لم يكن هذا التعديل منطبقاً على الواقع في مملكةٍ من الممالك فهو على الاقل يرينا صورة قريبة ولو في واحدة منها لكيفية توزيع الاعمال والارزاق اذ لا مشاحة في ان جانباً من الناس يتمتع منتهى التمتع وقلما يتعب في عمل لمصلحة الهيئة الاجتماعية وجانباً يتعب منتهى التعب وقلما يتمتع . واذا افترضنا صحة هذا التعديل الآنف نجد عُشراً من الامة لا يعمل عملاً ولكنهُ يتمتع بخمسة عشر ضعف ما يتمتع بهِ الذي يشتغل زيادة عن الواجب عليهِ . وقد نجد بين ذلك العشر افراداً يتمتع كلٌّ منهم بمئة ضعف او الف ضعف ما يتمتع بهِ واحدٌ من العشر الاخير . الا تجد واحداً ينفق في عامهِ عشرة آلاف جنيه بينما تجد واحداً من عمال ارضهِ مثلاً لا ينفق الاَّ عشرة جنيهات . وبناء عليهِ فالجدول السابق شرحهُ غير بعيد كثيراً عن الواقع . ومن يرم زيادة التحقيق فليفحص اعمال شركةٍ كبيرة

كشركة الترامواي مثلاً ويقابل بين اعمال القائمين بها من المساهمين الى الكمسارية وبين ما يناله كل واحد من دخلها

فلو كان الكل يعملون على السواء كل حسب اهليته وطاقته ومواهبه وكانت الارزاق تقسم عليهم حسب الاهلية وقيمة العمل لما حرم نصف الامة ٣ ارباع حقهم من الارزاق وتمتع جانب منها باضعاف حقهم بعضهم بمئة ضعف وبعضهم بخمسين وبعضهم بعشرين الخ

فترى مما تقدم ان الامة تخسر قوة جانب من افرادها العُشر الذي لا يعمل والعشر الذي يعمل نصف عمل وهو الجانب الذي يعيش على حساب جانب آخر · ولو كان هذا الجانب يعمل كالبقية لزاد ثروة الامة وفتح مجالاً للمزيد من السكان

﴿ العيشة الراضية ﴾ — واذا كان جانب من الناس يقدرون ان يعيشوا بخمس نصيب من الرزق كالعشرين الاخيرين (في الجدول) فالذين يعيشون بخمسي نصيب اقل تعاسة منهم او احسن حالاً · والذين يعيشون بثلاثة اخماس نصيب يعدون في « عيشة راضية » بالنسبة اليهم · فاذا كان رزق الامة يوزَّع على الامة على معدل ٣ اخماس نصيب كانت الامة كلها تعيش « عيشة راضية » ويبقى من ارزاقها ما يكفي ثلثي عددها · فاذا كانت عشرة ملايين نسمة مثلاً امكنها ان تزداد سبعة ملايين اخرى من غير ان تنحط درجة المعيشة عن درجة « العيشة الراضية » ومن غير ان يزداد ضغط الازدحام على الدائرة · ولا تنحط درجة المعيشة الانحطاط الاخير قبل ان تصبح عشرين او ثلاثين مليوناً

فاذاً لا يمكن ان يكون ازدحام السكان في دائرة الارزاق السبب الوحيد لتعاسة الجانب الكبير من السكان ما دام هناك جانب يتمتع منتهى التمتع وجانب يتمتع فوق العدل · بل هناك سبب آخر لهذه التعاسة يسبق الازدحام وهو عدم توزع الارزاق حسب الاستحقاق · وهو سبب اهم واشد فاعليةً من ذاك · هذا اذا قطعنا النظر عما يتلفهُ بعض الافراد من ارزاق الامة عبثاً بفسادهم وعيثهم وعما يفقدهُ اهل الطبقات السفلى بسبب ضنكهم وفقرهم من اهليتهم ومواهبهم التي لو اتيح لهم استخدامها لاتت بالمزيد من الارزاق وخففت جانباً من الشقاء

﴿ بذخ الباذخين يثقل العبء على كاهل العمال ﴾ — والذين لا يعجبهم هذا الحساب يعترضون اعتراضات سخيفة منها قولهم ان الاموال التي يتمتع بها اهل الطبقة العليا الذين ينفقون الالوف في عامهم ليست ذاهبة ضياعاً بل تاول اخيراً الى الطبقات الاخرى فالسيدة التي تلبس « فستاناً » بمئة جنيه مثلاً وقد دفعت ثمنهُ نقوداً تفرقت على التاجر والناسج والغازل وعديد من العمال - فلو لم تلبس ذلك « الفستان » لما اشتغل هؤلاء العمال واسترزقوا ·

ولو لم نقتنِ المركبة والاوتوموبيل لما اشتغل الحوزي والسواق وصناع المركبات الاوتوموبيلات وهلمَّ جرًّا · فوجود الاغنياء المسرفين المبذرين يوجد حركة للعمل ومسترزقات جديدة

وهو قول صحيح بعض الصحة اذا لم يكن بدٌّ من بقاء الحالة على ما هي عليهِ من عدم الانصاف في توزيع الاعمال والارزاق ومن وجود اغنياء سعداء وفقراء بؤساء والأَّ فثبات هذا الاعتراض امام الحقيقة الراهنة كثبات الظلمة امام النور · ونقطة الضعف فيهِ هي في القول ان اموال الاغنياء تأول الى طبقات الفقراء · والحقيقة انهُ لا ياول شيءٌ منها الى الطبقات الاخرى بل بالعكس ان اتعاب هذه الطبقات تاول الى نعيم الطبقات العليا بلا بدل ولا مكافأة · وبيان ذلك ان هذه الاموال التي ينفقها الاغنياء ويبذرونها ليست صدقة منهم لانهم لا يدفعونها الاَّ وقد اخذوا شيئًا في مقابلها ليستهلكوهُ كفستان السيدة · وهذا الفستان لم يصر فستانًا الاَّ بعد ان بذل العمال جانبًا من قواهم في صنعهِ · فالسيدة كانت تستهلك جانبًا من قوى العمال لاجل ابهتها والرجل الذي ينفق الاموال في الحانات والولائم والملاعب والملاهي الخ يجري على هذا النحو ايضًا اي انهُ يستهلك قوى العمال كما تفعل ذات الفستان · فاذا لم يكن لهُ من عمل سوى الانفاق والتبذير فالاموال التي ينفقها انما هي نتيجة عمل العامل ايضًا فكأنهُ يختلسها منهُ ليبتاع بها ثمرة عملهِ ثانيةً

فبذخ الباذخين وبطر اهل النعمة واسرافهم على ابهتهم ولهوهم لا تزيد ارزاق الامة ولا تنمي ثروة البلاد وانما تزيد العبء على كاهل العامل · ولهذا لم نرَ رواج الاعمال بسبب بذل الاغنياء اموالهم يحسن حال العمال ويزيد دخلهم بل بالعكس نراهُ يزيد تعاستهم وتعبهم ويقلل من تمتعهم ولا يغرنَّك ما تراهُ احيانًا من ارتفاع الاجور بسبب رواج الاعمال لانها لا ترتفع الاَّ بعد ان ترتفع اسعار الحاجيات · فكأن الاجور لم ترتفع وانما النقود رخصت لوفرتها في السوق

ولو شئنا ان نتبسَّط في شرح بذخ اهل البذخ والبطر على لهوهم وابهتهم لظهر كالصبح ان اساليب معيشتهم متلفة لجانب من قوى الامة وارزاقها · فاندية القمار والحانات والملاهي الى غير ذلك مما لا يعد — كل هذه تستنفد جانبًا من ثروة الامة في سبيل البطالة واللهو · فحينما تكون طبقات العمال متهالكة في العمل والكد تكون طبقة عن الناس منغمسة في شهواتها تفسد آداب الامة وتعيث فيها

﴿ لا تكافؤ بين المزايا والمواهب والثروات ﴾ — يعترض البعض بقولهم انهُ مهما

ساو ينا بين الناس فلا بد ان يفوق ذوو المواهب والاهلية على سواهم . وليس للتفوق حد .
ولهذا فلا بدَّ ان يكون في كل امة اغنياء وفقراء . واصحاب الاموال احرار في التصرف
باموالهم فلهم ان ينفقوها على نعيمهم او ان يبذلوها جزافًا

اقول ان لاصحاب المواهب والمزايا وللمجتهدين كل الحق في انصبة من الرزق اوفر من انصبة غيرهم اي ان الانصبة يجب ان تكون مكافئة لقيمة العمل اللازم لاستخراج الرزق . ولهذا لا ينكر قط ان نصيب الذكي المجتهد يجب ان يكون اضعاف نصيب البليد الكسول

ولكن احقيقيٌّ ان ذوي المواهب والاذكياء والذين آلت اعمالهم ومواهبهم الى اسعاد الهيئة الاجتماعية هم الذين نالوا قسطهم من الارزاق واثروا الثروات الهائلة . والاَّ فمن هم

من اشتغل لاسعاد الهيئة الاجتماعية الاميركية اكثر؟ اديسون ام كارنجي؟ وايهما اكثر غنىً؟ ومن افاد العالم اكثر؟ باستور ام ركفلر وايهما جمع الثروة الهائلة؟ واذا جئنا نسرد امثلة على هذا النحو ملأنا هذا السفر . ولكنهُ غنيٌّ عن البيان ان معظم الاذكياء واهل العقول الثاقبة والمواهب السامية الذين رقيت الهيئة الاجتماعية على يدهم كانوا اقل حظًّا ونصيبًا من الارزاق من كثيرين غيرهم ممن لم يخدموا الهيئة الاجتماعية اقل خدمة

فاذاً الذكاء والمواهب السامية لا تضمن الثروة والغنى لاصحابها تحت نفوذ النظامات الحاضرة . واذا درست عدداً من الاشخاص الذين اثروا تجد تسعة اعشارهم من الطبقة الوسطى في المواهب والذكاء والمعرفة . فاذاً الاثراء الفردي لا يستلزم ذكاء فائقًا وعلمًا واسعًا . وانما إثراء الامة برمتها يستلزم ذلك . ولهذا كان يجب ان يكون حظ الذين يُسعدون الامة بذكائهم ومعرفتهم ومواهبهم اعظم من حظ غيرهم

وهب ان الاثراء يستلزم نبوغًا وتفوقًا في الذكاء والاجتهاد فهل الثروة التي حصلها المثرون الكبار مثل ركفلر وكارنجي ومورغان وروتشيلد وغيرهم تعادل نبوغهم الطبيعي وذكاءهم الفطري وعلمهم الاكتسابي ونشاطهم الشخصي؟

ولتبيان ذلك آتي على مثل ضربهُ لمثل هذه القضية المستر بريان وزير خارجية اميركا الحالي في خطاب سمعتهُ منهُ يوم كان ينازع المستر تفت رئاسة الجمهورية قال : —

« لا اظن ان في الولايات المتحدة الاميركية وظيفة او عملاً يستلزم نبوغًا وذكاء وهمة ونشاطًا كمنصب رئيس هذه الولايات لانهُ يدير شؤون مملكة عظيمة في عدد سكانها وفي مشاغلها وهو وحدهُ مسؤول عن ادارتها لدى مجلس الامة وما وزراؤهُ الاَّ كتبة اسرار لهُ . وهو يتقاضى في العام ٥٠ الف ريال (وصار الآن يتقاضى ١٠٠ الف ريال اي

٢٠ الف جنيه) · ولنفرض انهُ مغبون بهذا الراتب و يستحق ما يستحقهُ مديراً اكبر شركات السكك الحديدية قل ٢٠٠ الف ريال في العام · فلكي يجمع ثروة كثروة ركفلر التي تبلغ (على ما يقال) الف مليون ريال (٢٠٠ مليون جنيه) يجب ان يعيش خمسة آلاف سنة »

واذا كانت الثروة جزاء الذكاء والنشاط والهمة والاجتهاد وجب ان يكون ركفلر احدَّ ذكاءً واعلى همَّةً واشدَّ نشاطاً من رئيس الولايات المتحدة مئة ضعف على الاقل فهل يعقل ذلك ؟

فترى مما تقدَّم ان الثروة العظيمة ليست جزاء النبوغ والذكاء والهمة والنشاط فقط ولو كانت كذلك لكان الإثراء محدوداً لان هذه الصفات محدودة ولكان التفاوت بين الناس من حيث الغنى اقل جدًّا مما هو الآن لان تفاوت الناس في تلك الصفات اقل جدًّا من تفاوتهم في الثروات · وانما الثروة العظيمة نتيجة استخدام النبوغ في استلاب حقوق غير النابغين

و بحسب الناموس الاقتصادي الثابت لا يمكن تحصيل قيمة الريال ما لم يُبذل من القوى البدنية او العقلية والوقت في عمل لازم نافع ما يساوي الريال · وكل ريال من ريالات ركفلر وامثالهِ من الاغنياء لم يصر ريالاً الاَّ بعد ان بُذِلَ لقاءهُ من القوى في العمل ما يساوي الريال · فهل بذل كل غنيّ من المليونيين من قواهُ ما يساوي رياﻻتهِ ؟ لا يُعقَل انهُ فعل · واذا لم يكن هو الباذل القوى لتحصيل رياﻻتهِ فلا بد ان يكون كثيرون غيرهُ قد بذلوا قواهم في تحصيلها لان الاموال لا تاتي عفواً

فاذاً معظم اموال الاغنياء للمليونيين انما هي نتيجة اعمال سواهم بلا مشاحة · وهنا لا بد ان يسأل سائل كيف استطاع اولئك الاغنياء ان يحصلوا على اموالٍ تعبَ بها غيرهم والجواب بسيط وهو استطاعة القوي ان يستأثر بحق الضعيف بفضل النظامات الحاضرة

﴿ تنافي سنَّة التنازع ونظامات الاجتماع ﴾ — اذن لا يبقى من يعترض الاَّ المتشبث بسنة تنازع البقاء فيقول : هذه سنة طبيعية ازلية ابدية لا مناص منها فليستقوِ الضعيف و يتغلب على غيرهِ و ينازعهُ رزقهُ

وهو قول وجيهٌ لولا ان المدنية تتبجَّح بالشرائع والقوانين العادلة التي يقال انها تضع حدًّا للطمع وتزَع القوي عن الضعيف ولولا ان العلم يمتن الهيئة الاجتماعية بما منحها من النظامات التي يزعم انها تضع كل فرد في مقامهِ بحسب اهليتهِ ونشاطهِ واجتهادهِ وانها تحفظ لهُ حقوقهُ

فلا ادري كيف يمكن التوفيق بين سنة التنازع من جهة و بين النظامات والقوانين المنصفة من جهة اخرى · وكيف يمكن ان يبقى محل للتنازع اذا صحَّ ان الهيئة الاجتماعية مقيدة بنظامات

وقوانين عادلة . وما الفرق اذاً بين الهيئة الاجتماعية المتمدنة وبين الهمجية او الوحشية ان كان المجال لا يزال مجال تنازع فالافضل ان تُلغى القوانين ويترك كل فرد يفعل ما يستطيعهُ وثمَّ فالقويُّ بقواهُ . وان كان مجال قوانين ونظامات فلتكن هذه القوانين عادلة ومنصفة ووازعة للقوي عن الضعيف من كل وجه حتى لا يتسنى لمثل ركفلر ان يجمع في حياتهِ ثروة تستنفد قوى مليون نسمة في عام او عشرين الف نسمة في جيل . والاَّ فما دامت القوانين كما هي فما هي الاَّ عضد جديد لسنَّة التنازع لانها تسهّل للقوي ان يستحكم من الضعيف لكي يستلب منهُ معظم ثمرة عملهِ ولا يبقي لهُ الاَّ اقل ما يقوم بمعيشتهِ لكي يستطيع استئناف عملهِ لسواهُ

سنة التنازع ونظامات الهيئة الاجتماعية امران متنافيان متعاقبان اي انهُ كلما تقدَّمت النظامات ورسخت وكلما كانت القوانين عادلة ومنصفة قلَّ التنازع . ومتى استتمت النظامات تلاشى التنازع برمتهِ . وما دامت سنة التنازع عاملة فالمعنى ان النظامات غير قويمة ولا عادلة . وهذا هو سر التفاوت العظيم بين طبقات الناس في الغنى والفقر مع قلة تفاوتهم في الاهلية والكفاءة بالنسبة الى ذلك التفاوت

فلا يبقى اذاً الاَّ سؤَال واحد وهو ما هي الوسيلة الممكنة لتقويم النظامات وتعديلها لتكون عادلة ومنصفة بحيث يشترك كل افراد المجموع في الاعمال وينال كل واحد قسطهُ من ثمرتها حسب استحقاقهِ بالنسبة الى ذكائهِ واهليتهِ ونشاطهِ واجتهادهِ .

نقول ان البحث في هذا الموضوع يستلزم الخروج من موضوعنا والدخول في موضوع الاشتراكية وهو غير المراد من بحثنا . ومجمل ما نريد ان نقولهُ هنا ان ما نراهُ في دوائر الارزاق في كل بلاد متمدنة على الخصوص من الفقر المدقع والشقاء والتعاسة ليس سببهُ ازدحام السكان في دوائر الارزاق فقط بل نقص النظامات وعيوب القوانين التي تجيز للقوي ان يجمع ثروة من تعب الفقير حتى يصبح بعض الناس يعيشون متنعمين وهم لا يعملون (او يعملون قليلاً) على حساب اناس يتعبون اكثر من طاقتهم ويشقون وهم لا يكادون ينالون قوتهم

﴿ الخلاصة ﴾ — ومحصل ما تقدم في المقالات الثلاث المتتابعة بهذا الموضوع ان البسيطة لا تزال تحتمل المزيد من السكان وربما احتملت ضعفي ما فيها الآن او ثلاثة اضعافهم من غير ان تنحط المعيشة عن الدرجة الوسطى او درجة « المعيشة الراضية » للاعتبارات التالية

اولاً ان جانباً كبيراً من البسيطة لا يزال قليل العمران كافريقيا وجانباً من المعمور لا يزال قليل السكان كاميركا واوستراليا

ثانياً ان العلم لا يزال يفتح ابواب الرزق التي في الطبيعة ويرشد الانسان الى مصادره المخبوءة ليستخرجهُ

ثالثاً ان المدنية اذا اطّردت في سيرها الحالي فلا بد ان تتقوّم النظامات بحيث تتوزع الاعمال والارزاق حسب الاهلية والاستحقاق الامر الذي يزيل الشقاء ويوسع دوائر الارزاق ويعم التوازن بحيث تصبح البسيطة كلها اوقيانوساً للارزاق على مستوى واحد

نقولا الحداد

الدماغ والتعليم

اذا كان الانسان تاج الاحياء الارضية هو المكلَّف باعمال الحياة جليلها وحقيرها المسأول عن صلاحها وفسادها فلا غروَ اذا كان جهازهُ العصبيّ عموماً ودماغهُ خصوصاً اشرف ما فيهِ من الآلات واهمّ ما ينبغي صرف العناية الى وقايتهِ من الآفات وتقوية قواهُ المختلفة الوظائف مُذ يوضع في المهد الى ساعة ان يُوارى في اللحد

هذه الخويطات الدقيقة المنتشرة في الهيكل الانساني التي قد لا تزن اوقيةً من المادّة البدنيّة اذا اعتُبر ما ينشأ عنها من كل باهرٍ ماديّ وساحرٍ معنويّ في مشهد هذا الوجود تفوق كلَّ مثمَّن موجود على الاطلاق

والعجبُ كل العجب في شأن هذا الكنز الالهيّ المقدَّس الآثار ان صاحبهُ العاقل مع علمهِ بأنَّهُ مبعث سعادتهِ وشقائهِ ومجلبةُ دائهِ ودوائهِ بل مجلى عزّهِ وذلّهِ لا يزال على الجملة قليل الاكتراث لاستخدام قواهُ والانتفاع بجدواهُ بل كثيراً ما يحملهُ جهلهُ على توهينهِ حتى يوردهُ موارد التلف إمَّا باهمالٍ وضعفٍ او إعمالٍ مسرف

تقدَّم لنا كلامٌ تمهيديٌّ في عنوان هذه المقالة في مقتطف يوليو وقبل استيفاء ما اردناهُ من مطالبها رأينا ان ننقل اليوم شيئاً ممَّا وقفنا عليهِ لارباب النظر والتفكير في خطارة شأن الدماغ ومنزلتهِ من مقام الجنس برُمَّتهِ والاجتماع الانساني على اطلاقهِ استلفاتاً لانظار القراء الكرام من بادئ الامر حتى لا يسبق لواهمٍ ان الموضوع هو في جملة الابحاث الفلسفيَّة والفنون النظرية التي لا تلذُّ غير اهل الاخصاء او تنويعٌ لموضوعات المجلَّة يُقصد بهِ ارضاء المطالعين

كلاَّ فالبحث اصبح اليوم في ما رأينا غايةً من غايات علماء التهذيب العليا على ما يمرُّ بنا من تقرير حقائقهِ . فمما جاء لمفكرٍ كبير في علاقة الدماغ بمجموع الامة

« لقد اتّضح من تنازع جميع الامم على البقاء ان اكليل الفوز لا يناله منها الأ الامة التي ترقّت بها ادمغة افرادها الى اقصى ما يُستطاع من حدود الارتقاء ولا حرج علينا اذا قلنا على سبيل النبوءة ان في المستقبل القريب لا تعدّ المدرسة مدرسة حقيقيةً ولا الامة آخذةً في معارج الارتقاء الفكري الأ اذا كان فيهما العناية العظمى مبذولةً لدرس العضو الذي على اجراءِ وظائفهِ يتوقّف تقدُّم النوع البشري في سبيل المدنية والحضارة والعمران»

« ولا مبالغةَ اذا صرَّحنا بان مقياس مدنيتنا اليوم هو مقدار اجتهادنا في استجلاء حقائق الدماغ ووظائفهِ على قصد ترقية القوة المفكّرة في مجموع الجنس الى حدّها الاعظم » .

ثم قال هذا المفكّر الحرّ حتى في شأن بعض الجامعات الاميركانية وقلّة عنايتها بامر الدماغ ما نصّهُ

« لقد نُقش على ابواب بعض المدارس الاميركية رسم النّسر رمزاً الى روح القوة المهاجمة ولكنّا نرى — مع الاسف — انهُ نظراً لتقصيرنا في هذا الواجب يحسن بنا ان نستبدل هذا الرسم برسم طائر آخر يُغمض عينيهِ في وجه اعدائهِ ويخفي رأسهُ في رمال الصحراء — رمزاً الى الجبن والعجز عن لقاء الاعداء

واذا كان الدماغ هو القوة الوحيدة التي ينبغي ان نستخدمها في قتال الجهل فمن المعيب على المدارس ان تبقى على حال هذا الاهمال لدرس عدّة هذا القتال »

واذا تمهّد كل ذلك نتقدّم الى المُراد من مقصد البحث فنقول تلخيصاً

ان في الدماغ قوى عقلية مختلفة بيانها في الفلسفة العقلية . وجلّ ما يذكر منها الآن على سبيل التمثيل قوة الذكر والائتلاف وقوة الموازنة المعروفة بالحاكمة وقوة التمحيص والمقابلة والامتحان وهي التي تأبى التسليم بالمنقولات والجمود على التقليد . وقوة توجيه الفكر وصبّه على نقطةٍ واحدةٍ من الموضوعات . وقوة انفعال وجداني وهي التي تخضع لسلطان الارادة

وقد اثبت العلم ان لكلّ من هذه القوى العقلية مظهراً او اثراً لوظيفة مخصوصة من الجهاز العصبي وانهُ لا يتأتى تعيين درجاتها على وجه اليقين في كل شخص الأ بفحص احوالهِ الدماغية فحصاً علميًّا لا يستطيعهُ غير اهلهِ ممن احكموا درس الدماغ وطالت تجاربهم فيهِ كما هي الحال في فحص المعاتيهِ على اختلاف طبقاتهم وتفويض شؤون تدبيرهم العلاجي لارباب الاختصاص

وقد ضلّ من ظنّوا من قصار النظر انهُ لا حاجة لفحص اهل الاخصاء في بسائط الاختلال الدماغي الظاهر الآثار في مسالك الناس العادية وان لا مقتضى لمتولي شؤون التهذيب

الفكريّ وترقيتهِ الى الحد المطلوب ان يمتازوا بمعرفة خاصّة لبنية الدماغ ووظائفهِ المتنوعة . ولكن سيظهر لك في كل حكم من احكام هذه المقالة فساد هذا الزعم وضرورة الاضطلاع بالقدر الكافي من هذا العلم

والظاهر ان علماء الدماغ لم تنتهِ ازمان جهادهم وكفاحهم لاهل الغواية من ارباب السلطة الفلسفية والسياسية في ضرورة هذا البحث والانقطاع اليهِ والاخذ بايدي اربابهِ اعزازاً لشأنهِ وتمهيداً لسبيلهِ

ومع انهُ اصبح من المشهور حتى بين صغار الطلاب ان جميع الاحياء الحيوانية من ادناها الى ارقاها هي نتائج وظائف مخصوصة في الجهاز العصبيّ لا يزال بعض اسرى الجهل حتى من اهل هذا العصر ينكرون هذه الحقيقة انكاراً يضحك الثكلى

على ان شمول الوظائف الدماغية لكافة انواع الحيوان ظاهرٌ من ابسط اعمال الذاكرة ومبادئ الاختيار في ادنى هذه الانواع . وهناك سلسلةٌ لا تنقطع من نتائج القوى الدماغية تبتدئ من حركات الجنين وتنتهي في اعمال البالغين . غير ان اهل البحث لم يتهيأ لهم تقصي الاعمال الدماغية وآثارها الاَّ تدريجاً . فكان اول ما كشف لهم من هاتيك الاسرار الحقائق الناتجة عن ظهور الاورام السرطانية والخرّاجات المسبّبة عن آفات الفالج والصدمات والدمامل المعيَّنة المواضع . وكل ما كان من الاحوال الدماغية غير ظاهر الآثار الموضعية بقيت اسرارهُ محجوبة طي الخفاء لما في الدماغ من لطف البنية ودقة التركيب وسرعة تأثرهِ باقل مؤَثر حتى يتصل اذاهُ بحال صاحبهِ عموماً . وجملة ما يُقال في نتائج ابحاث الدماغ انها قد اجلت عن تمام المطابقة بينها وبين نتائج فيسيولوجيا المقابلة الدماغية

ومما ظهر من ذلك ان اعمال المجانين لا تختلف في صفاتها عن اعمال بعض العقلاء (الشاذَّة) في امورهم العاديَّة وان في اعمال الاولاد وبعض الشبان الغريبة الاطوار جراثيم لانواعٍ من الجنون — وما احسن مورد القول العربيّ هنا — الجنون فنون

وممّن يذكرهم العلماء تمثيلاً على فنون هذا الجنون اصحاب الغلوّ والتنطُّع الشديد في امورهم الدينية وابحاثهم السياسية وارباب المذاهب الفلسفية واهل الاحزاب المتطرفة وسائر من يلحق بهذه الطبقات الخارجة عن حدود الاعتدال

اما تقدُّم علم البسيكولوجيا هذا فهو تابع ابداً لتقدُّم العلم الطبيعي حذو القذَّة بالقذَّة . وما كان تأخر هذين العلمين الاَّ من اهمال ما كان يعدهُ بعضهم من زهيدات الامور مما عبَّر عنهُ الفيلسوف باكون « بمشاهدة الطبيعة من علُ » . وهو الذي حدا بكانت ان يقول

في آخر امرهِ ان « ترقي الانسان في عقلهِ وآدابهِ منوط بمسائل العلم الطبيعي »

وخلاصة القول في اهمية درس الدماغ والجهاز العصبي هي انهُ الطريقة الوحيدة الفعَّالة لتأسيس اساليب التعليم العقلي وان ذلك لا يتوقَّف على تسهيل اسباب التهذيب وتعميمهِ بل على تطبيق الاسلوب على حالة الفرد الدماغية . وان الناس اخذوا يتنبَّهون الى ان ما يسمَّى « بالتهذيب العالي » الخالي عن ناموس هذا التطبيق لا ينحصر ضررهُ في تقصيرهِ عن دفع الآلام البشرية بل ربما اصبح علةً وبيلةً في زيادة انحطاط النوع الانساني عقليًّا وبدنيًّا وان اعياء الدماغ والاخلال في موازنة قواهُ قد تعرّضان المرء لانحطاطٍ ادبيّ ذي شأن حتى قال بعضهم « ان اسعد ايام البشرية يومٌ فيهِ يوقن الناس ان الآداب الصحيحة لا تتوقف على طاعة الانسان العمياء لاقوال الفلاسفة وآباء الارواح قدر توقفها على اقوال الطبيب »

ولذلك اشار بعض الثقات بوجوب ادخال الهيجين العقلي الى كبار المدارس لاعطاء الارشادات الوافية للمعلمين والطلبة في شأن تربية قوى الدماغ والجهاز العصبي وبيان حدّ الاقتدار الشخصيّ فيهما على ما يعينهُ ذوو الاختصاص . وهكذا الى ان يتأتى تدريجًا اعداد المعلمين وتربيتهم على ذلك الفحص بحيث يمكنهم الحكم الصحيح في حال كل طالب وتطبيق الدروس على مقتضاهُ

قالوا ومن غرائب الغفلة في هذا الشأن الخطير ان الناس يوم يرومون الارتباط بشركة ضمان الحياة يهرعون الى استشارة الطبيب القانونية في احوال الاعضاء الرئيسة كالقلب والكبد والرئتين ولكنهم يُغفلون امر الدماغ وهو الطف الاعضاء وقد لا يقلُّ خطورة شأن عن البواقي فلا يمرُّ لهم ببال الاَّ يوم تضطرهم الحال الخطيرة بظهور داء من الادواء

وكذا قل في المدارس التي تمنع ضعاف القلب والرئتين مثلاً من الالعاب الرياضية ولا تعبأُ فعليًّا بمنع ذوي الضعف العصبي من تحمُّل اجهاد الدماغ اكرامًا (للتعليم العالي) بل لا تفتأُ تحرّض سواد الطلاَّب على دخول غمار ذاك الجهاد بلا تفريق حتى اذا قصَّر الضعيف الدماغ المسكين اصبح عرضةً لهزء الناس وشفقة المشفقين — هذا اذا لم يأتِ منكراً لاختلال عقلي او لم ينتهِ امرهُ بالانتحار . ومع بلوغ هذا الاغفال هاتهِ الغاية من الوبال فقد لا يذكر ارباب تعليم بسوء بل يندفع الجمهور على فضيحة المقصّر التاعس الجدّ بكل لسان وانزال العقاب الادبيّ بهِ لدى الجمهور فيحرم كنائسيًّا او يمنع دفنهُ في المقابر العمومية تحقيراً !

هذا ملخَّص ما اردناهُ من اقوال محدثي المفكرين في وجوب درس الدماغ واعتماد حقائقهِ في التدريس . ولما كان كثيرٌ من طرق المدارس الشائعة الى اليوم في امر التدريس العقليّ

وبيلة الاضرار للطلاَّب ظاهرة الآثار في مصلحة البلاد على العموم لم نرَ بدًّا من بيان خلاصة ما انتهى اليهِ اطلاعنا من ابحاث الباحثين في هذا الباب . ومرجع الكلام فيهِ اصلان كبيران ينشأ عنهما بعض الفروع . والاصلان هما حشو الدماغ بكثرة الدروس وطريقة التقليد

(١) لا يزال العدد الاوفر من المدارس يتمد التبجُّح والشهرة سباقاً في اعلاء قياس الطلب وتوسيع لوائح الدروس من اغراق اذهان الطلاَّب في بحر زاخر من المطالب كأَن المدرسة حانوت تاجر لا يرى باباً لتقدُّم تجارتهِ وزخامهِ الأَ بالاكثار من انواع السلع وشحن متجرهِ منها وتزيين جوانبهِ باشكالها حتى تأخذ بالابصار والافكار

وما فتئ شيطان الغرور يزيّن لهؤُلاء الغواة ان احراز قصب السبق في الدرس والتدريس انما يقوم بشحن الدماغ بالمعلومات الكثيرة غافلين او متغافلين عن غاية الغايات من التعليم . الا انها تقوية العقل وترويضهُ لا ضغطهُ وتمزيقهُ

وامر افعام الدماغ هذا اصبح اذاهُ من البدائه المشهورة عند الجاهل والعاقل حتى بحَّت الاصوات وحفيت الاقلام في نعي وبالتهِ وحتى بات قولهم (دسبيسيا الدماغ) من الامثال السائرة . ولكن الظاهر ان حبَّ المنافسة المدرسيَّة آخذٌ من افئدة تجار المدارس ما يأخذهُ عشق الازياء من قلوب ذوات الغرور . ولو كان هذا الضرر مقصوراً على تقصير الطالب واضاعة الوقت والمال لهان الخطب ولكنَّهُ يتعدى الى كراهة الطالب للدرس بتاتاً لما في ذلك الإفعام من إعجال العقل عن الاستيعاب وفقد لذَّة الرويَّة والادراك وهلاك قوة الاستقلال الفكريّ في الابتداع والاستنباط . وكثيراً ما يعاف الدارس الدرس والمدارس ويهجرها هجراً وبيلاً غابرَ العمر

ومعلوم ان ارتقاء اي البلاد في شؤُون الحضارة والعمران منوطٌ كلهُ بترقية قوة التفكير المستقل وتنمية ملكة الإبداع والاختراع وان ذلك كلهُ لا يتمُّ الاَّ بافساح مجال النظر وحصرهِ في نقاطٍ معينة من الابحاث هي مهوى افئدة الطلاب ومرتع لذة العقل . ومن ذكر ان بلوغ الرقيّ العلميّ والصناعيّ في مطلق مناحيهِ انما يتأتى بنبوغ النابغين وان هذا النبوغ ثمرة تربية القوة الدماغية على حبّ الفكر واطالة التأمُّل — من ذكر ذلك — يفقهُ ما يجرُّ اغفال هذه التقوية الفكرية في المدارس على البلاد من وخامة العاقبة وانحطاط الشأْن القوميّ على الاجمال

قل لي بعيشك ايها الذكيُّ كيف يتسنَّى لدماغ الطالب المسكين افساح مثل هذا المجال وفروض الدروس اليومية تنصبُّ عليهِ انصباب ماء السحاب وتنهال عليهِ انهيال النبال حتى

لا يكاد نظرهُ يمرّ على بحث حتى يُداهمهُ بحث ! وهل يُرجّى من امثال هذه الاذهان المنهوكة ضنىً ونصباً فكرٌ يعكف على موضوع واحد حتى يقتلهُ تفكيراً وتقليباً على مثال نيوتون الكبير او ينفق عليهِ الايام والاعوام ليجمع اطرافهُ ويحيط بجزئياتهِ كما فعل دارون !

(٢) من اوضح دلائل التقليد الفاضح ان يعتاد طلاّبُ المدارس التسليم الاعمى واتباع كل ناهق في اسواق المذاهب العلمية والآراء الفلسفية فيتوهمون ان كل رأي خطير ذكرهُ استاذ في حلقة التدريس او اشير اليهِ في رسالةٍ او كتاب هو المقرر الثابت بالاجماع والدليل كأن ليس لهم فكر ذاتي وكأن قول كل ذي مقام اذا ذاع امرٌ مُطاع وزيٌ حريٌ بالاتباع . وما اشدّ مصارع العقول وضحايا الحقائق التي قامت عليها اركان الاجماع البشريّ بفضل هذا التقليد الذريع الذي انما نبت في مقاعد التدريس فنمت جراثيمهُ مع الزمان وانتشرت سمومهُ في كل مكان

وما احسن ما جاء في جزء ايار من مقتطف هذا العام للنطاسي الفاضل الدكتور امين ابي خاطر في تعليلهِ احلام كثير من العلماء واوهامهم من ان كثيراً من الاوهام العصبيّة تتولى هؤلاء العلماء في احكامهم الباطلة الصبيانية وما هي الاَّ بنات الاوهام واضغاث احلام

فالحريّ بارباب التهذيب العقليّ ان يتّقوا الله في تنشئة العقول على الرويّة والتمحيص ولا يحملوا طالباً على التسليم بمذهب علميّ قبل ان يقوى على ادراكهِ والاقتناع بدليلهِ ان كان لهُ دليل والاَّ اتلفوا منهُ قوة الحكم على التدريج وحينئذٍ فإما ان يرعى مع الهمل او ينقاد كالانعام

روى بعضهم عن استاذ مفكر حكيم ان جماعة من الطلبة رغبوا اليهِ ان يلقي عليهم دروساً في فلسفة التاريخ . فلما كان « يعلم » من احوالهم الفكرية عن اختبارٍ ان تلك الرغبة كانت ناشئةً عن محض التأنق والتباهي بالاكثار من ضروب الدروس وانهم ليسوا على تمام الاستعداد لهضم تلك الحقائق الدسمة المعاني اجابهم بما لفظهُ « ايها الخواجات الشبان اني انصح العدد الاوفر منكم ان لا يحضروا درسي في هذا الموضوع الآن بل ارغب اليكم ان تستبدلوهُ بما يشغل نظركم المحسوس وتعوّدوهُ الملاحظة والمقابلة والتمييز بين صفات المرئيات . فخذوا بدرس الرسم والمواد الطبيعية واعتادوا الامعان فيها والحكم الذاتي في احوالها وحين تقوى فيكم ملكة النظر والرأي الشخصي في خصائص الموضوعات وعلائقها تروْنني اسرعت في ان القي اقوالي الخاصّة في مسائل التاريخ العليا » . ولعلّ كل استاذٍ طويل الاختبار رأى كثيرين من امثال هؤلاء الطلبة المتأنقين الاغرار

ومما يُعدُّ عائقاً كبيراً في سبيل تعويد الطلبة على الفكر الذاتي واعمال الدماغ في اثناء التدريس الخطأ الفاشي من تولي الاستاذ تقرير الدرس بجملتهِ دون ان يفسح مجالاً لطلبتهِ للتلقي والاحاطة والاستيعاب فضلاً عن التأمل والتفكير

ان هذه المسألة تدخل في باب (اسلوب التدريس) الخاص الأ انها لمَّا امست طريقةً ذميمةً وخطةً منكرة اقل اضرارها سلب الاستقلال الفكري وافناء القوة المختصة بالتفكير على الاجمال لم نرَ مندوحةً عن الاشارة اليها في عرض هذا البحث والتنبيه عليها لاهل الابصار . وقد ثبت لاهل الدربة من المدرسين فساد هذه الطريقة وصحة خطة التدريس الحقيقي من جعل الدرس موضوعاً للمذاكرة بين المدرّس والدارس على سبيل السؤال والجواب والاخذ والرد بحيث يكون الطالب مُشاركاً للاستاذ في تفهّم المسائل واستجلائها وبسطها في حلقةٍ من سلسلة النظام الفكري الى ان يصبح التلميذ والدرس قيد خاطرهِ وطوع بنانهِ

اما التدريس الخطابي معوّل بعض الجامعات الكبرى فهو من شأن من قطعوا المرحلة الاولى من تربية القوى ورسخت فيهم الملكات العقلية واصبح شانهم في تحصيل الفنون والمهن الصناعية مجرَّد الحرص على الذخر والجمع وتوفير الوقت . ولذلك قد اصاب صاحب الهلال الاغر في محضهِ النصح لنظار الجامعة المصرية الحديثة النشأة بان يعتمدوا في التعليم خطة التدريس بمعناها الوضعي الآنفة الذكر التي اعتمدتها المدرسة الكلية السورية منذ نشأتها الى اليوم وظهرت مزيّتها على الطريقة الخطابية في شؤُون خريجيها ظهوراً جليًّا لكل ذي عينين

ويُعجبنا هُنا قول بعضهم في طريقة التدريس الخطابي وتمثيلهُ المتعلّم بالخطاب « بمن يروم تمرين عضلاتهِ بمجرَّد مشاهدة اللاعبين في ساحات الالعاب »

ومما ينبغي ان يُساق هُنا من اوهام بعض المدرّسين والدارسين الخلط بين المكابرة العنادية وبين قوة الاستقلال والبحث الحرّ . فلكم سبق لاهل هذه الطبقة الجاهلة ان مجرَّد اطلاق العنان لحرية الفكر والقول والوقوف موقف المشاغبة والانسحاب على اذيال كبار المفكرين تقليداً وادعاء هو الدليل على قوة الاستنباط والابتداع وقد فاتهم ان مثل هذا الايهام تغرير بالنفس لا بدَّ ان ينتهي بالقوة الدماغية الى المكابرة الوبيلة المآل حتى ليعسر عليها ادراك البسائط وتأبى التسليم باوضح الحقائق ؟ وهي مهلكةٌ قلَّ ان ينجو منها مُكابر ولو حشر نفسهُ من اهل العلم بين الاكابر . وليس منشأ هذا الضرر الفكري الأ قوم من ملوك المدارس الذين يزيّنون لطلابهم ان النقد على اطلاقهِ مطلق لقيود العقول . ولو عقلوا

لقيّدوهم قبل هذا الاطلاق بقيود عقلية من علم النظر والبحث والاستدلال وراضوهم في هذا الميدان تدريباً وتجريباً الى ان تنضج فيهم ملكة النظر ويعتادوا الانشراح بالحق الواضح ولو كان في جانب العدو الألدّ والخصم الاشد

ومن مهلكات قوة الاستقلال الفكري تضييق دائرة النظر العقلي بحصرها في حدود المألوف من الاشخاص والمعلومات حتى يتقيّد الفكر باغلال من العصبيّة المكانيّة والقوميّة تتعاصى على كل اصلاح . ولا نريد بذلك الآن الالماع الى العواطف المذهبية او الجنسيّة فهي اشهر من ان تحتاج الى تشهير وقد صار الكلام فيها من قبيل تحصيل الحاصل بعد افتضاح امرها لدى الكبير والصغير. والظاهر انهُ لا يتكفّل بخضد شوكة هذا التعصّب الأ الزمان وانتشار انوار التهذيب الصحيح . وانما نريد هنا التعصب المدرسي الناشئ عن اعتلاق الطالب بمدرستهِ التي نشأ فيها اعتلاقاً يشبهُ ان يكون استعباداً يثبت لها العصمة والاعتلاء على كل ما سواها تحت قبة الفلك في امور العلم والتعليم

وقد افاض ارباب البحث في هذا الفرع من العصبية المدرسية ناعين على فريق من ارباب المدارس الجامعة والكلية وغيرها ما يلحق بالناشئة من ضيق دائرة الفكر وفناء قوة الاستقلال العقلي . وخلاصة ذلك ان الطالب المتعصّب لمدرستهِ قد يماثل المتعصّب لنحلتهِ الدينية بحيث يرى اساتذتها ودروسها ونظامها مقدسة منزّهة عن النقص حتى لقد يحرم الالتفات الى غيرها ولو على سبيل الاطلاع والمقابلة

وكان من حكم العقلاء في نتائج هذا الغلوّ الحزبيّ الشائن انهُ من اعظم لاضرار التي تهدد الرقيّ العقلي في ناشئة الطلاّب مناط آمال الاستقبال حتى يعمّ الانحطاط الفكريّ جميع البلاد . واحسن ما يُشير بهِ هؤلاء المفكّرون الاحرار في شأن هذه المدارس ان تحذو حذو اخواتها في كثير من المالك في حثّهم على السياحة والطواف على المدارس المختلفة في آراء مدرّسيها وانظمتها ولوائحها ومخالطة طلاّبها بغية انفساح مجال الحرية الفكرية واقتباس الصالح الاجنبيّ واطراح الفاسد الداخليّ كما هو شأن كل اختلاطٍ حكيم ينشد الحقيقة فيأخذها حيث يجدها

ولذلك اصبح من عادات بعض المدارس العليا النزيهة القصد ان ترسل على نفقتها الممتازين من متخرجيها الى مدرسة اجنبية زمناً غير يسير طلباً للاستكشاف والوقوف على المستحدث من الآراء العلمية وتوسيعاً لنطاق الدروس الخاصّة

قالوا فان كان مناط التقدّم والارتقاء في جميع شؤون البلاد المعاشية كالتجارة والصناعة

والزراعة هو مبدأُ المنافسة المبنيُّ على حب الاستطلاع وان كانت مدعاة التأخر والانحطاط هي الرضى بالموجود القريب والموروث الحاصل من طريق الاغترار والجمود فما احرى صناعة التربية الفكرية وهي منشأُ كل تقدمٍ وفلاحٍ في الارض بان تجري على هذا المبدإِ الشريف

قلنا ومن اعمل النظر في حال التعليم الشرقي من هذا الوجه تجلَّت لهُ نتائج هذه الحقيقة الرائعة ظهور الضحى فانهُ لم ينشأ ذلك الجمود العقليّ مع التعصب الفكريّ حتى بين اهل الاخلاص الاَّ من هذا التضييق العقليّ الناشئ على مقاعد التعليم حتى لا يرى الطالب الشرقيّ على اختلاف الملل والنحل لغير حزبهِ فضلاً ومزية فتجافت القلوب وتخاذلت الافكار وتشاكست الطباع حتى ادَّى نقص تلك التربية الفكرية الى ما يسيل الدموع ويذيب الضلوع ويُسجّل على الشرق ما تراهُ من فوادح البلاء

ولا يُردُّ على هذا بدخول علم المنطق في برنامج كل مدرسة عالية وهو في المشهور معيار العلوم ومحكُّ النظر وميزان العقول وانهُ حيث يكون هذا العلم فهناك الثقة بالمعلمين والمتعلمين فان مجرَّد تدريس علم المنطق صناعيًّا ولو صحبهُ علم النظر وآداب البحث قد لا يجدي المدارس مثقال ذرَّة مما نحن فيهِ . ذلك ان غالب الشائع في تعليمهِ استظهار قواعد القياس باشكالها وضروبها وامثلتها كما لو اكتفيت من تعليم الفنون الرياضية باستظهار القواعد واعرضت عن انشاء الملكة بادمان التمرين على حلّ المسائل والمشاكل . اي ان الجاري في تدريس المنطق انما هو الطريقة النظرية قصد التبجح بإعلاء البرنامج والاخذ بالظاهر المفروض حتى اذا بادهت طالبًا بحكم عقليّ نسيج المغالطة والسفسطة لم يحُرْ جوابًا في تحليل مقدَّماتهِ وعرضها على قواعد النقض والرد . فالمقلّد لا يزال رهن التقليد حتى في علم الاستدلال . ودليلهُ ما يقع لمعلومك على مرّ الساعات من سخافات المتناظرين المنشورة في كثير من الصحف والرسائل والمجلّدات مما يضحك ويبكي معًا . واكثر ما تجد ذلك بين من درسوا المنطق ذاك الدرس العقيم وباتوا فيهِ بها ليل معاتيه

وما احسن طريقة بعض الكليات وما تحتها في تعيين اوقات خاصَّة لاجراء المحاورات العقلية على اختلاف ابحاثها بين الطلاَّب بحيث يتسع مجال النظر في البحث اخذاً وردًّا مما احمدنا نتائجهُ المنشورة على صفحات مجلّدات المقتطف شيخ المجلاَّت منذ نشأتهِ الى اليوم

الاَّ ان ارباب البصيرة قد اشترطوا في هذه المباحثات الاَّ تكون ابنة ساعتها اي قبل ان يمُهل الذهن لاستيعاب الموضوع والاحاطة باطرافهِ وإعمال النظر فيهِ . والاَّ فان مجرَّد

انبعاث اللسان في الكلام قد يؤدي الى الخبط والهذيان فتفوت الغاية المقصودة بالذات من التفكير والتمحيص وان من قابل بين ثمار التدريب الفكري في اساليب المتخرجين على الطريقة الحديثة وبين نتائج اهل الطريقة البليدة مع ضخامة القابهم وفخامة نعوتهم يرى الفرق كفلق الصبح

ولا يرى المتبصّر علةً لهذه الادواء سوى نقص التمرين على فن البحث والنظر الفكري بحيث يجول فيهِ الطبع دون قيدٍ من المصطلحات الفنية مما يبعد المرمى ويزيد التشويش

وقد اشار بعضهم قبل انقطاع القوى العقلية لاعمالها المختلفة من الحصر والتفكير والملاحظة والانتاج بوجوب تربية المشاعر الظاهرة كحاسّة النظر والسمع وغيرهما على الملاحظة والتدقيق في التمييز والتفريق بين الاشياء الطبيعية بدرسها درساً قانونيًا اي ما سارَ فيهِ النظام والترتيب والتبويب في المراتب والصنوف والتباينات

وقد خصُّوا في ذلك درس فنون الرسم والنقش تقويةً لملكات الدقَّة المتناهية في الملاحظة والمقابلة بالالوان والاشكال مما برَّز فيهِ القدماء على المحدثين · قال فيهم احد الاعلام « ان عظمة اسلافنا العظام انما تأتَّت لهم بتقوية المشاعر من حدَّة النظر والتدقيق واحكام الملاحظة ودقة التفريق » · ومن ذلك استدلوا على نقص التربية العقلية الحديثة من قلة ما يُعرَض للطلاَّب من موضوعات النظر والسمع قلَّة تورثهم السأم والتبرُّم حتى يصحّ ان يقال فيهم « لهم عيون ولا ينظرون وآذان ولا يسمعون »

هذا ما اخترنا اقتطافهُ من ثمار اهل التحقيق في هذا المبحث الدقيق · ولم يبقَ منهُ الاَّ الاشارة الى علاقة الارادة والاخلاق بالدماغ · ولما كان اتباع الكلام في هذا الباب مما لا يسعهُ المقام نجتزئ بان نقول ان ارباب التشريح الدماغي وعلم النفس اجمعوا بعد تكرار البحث والامتحان ان اعمال الارادة انما هي مظاهر لقوى الدماغ · واما في امر الاخلاق فقالوا ان الحال فيها اظهر واشهر وحسبهم من ذلك ما هو معلوم لدى الخاص والعام · وهو ان سرور المرء وانقباض صدرهِ تابعان لحالتهِ الدماغية فاذا كانت هذه في حال النشاط والانتعاش طربت لهُ الدنيا ورقص لها واذا ما اعترى ذهنهُ وهن او انحطاط اصبح النور في عينيهِ ظلاماً وانقلبت افراحهُ اتراحاً · اما السجايا النفسيَّة مناط المسأولية الادبية وما هو حكمها في هذا الباب فلم نرَ لاهل مبحثنا تعرضاً لها ولعلها مستقلة عن مباحث الدماغ لدخولها في الفلسفة الادبية والدينية

متري قندلفت

المسكرات

واقوال العلماء فيها

يراد بالمسكرات كل الاشربة الروحية التي من نوع الخمر والبيرة والكنياك مما استعملهُ الناس من قديم الزمان الى الآن٠ وقد انتبه القدماء الى فعلها بالجسم من حيث الصحة والمرض ولخص الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابهِ القانون ما اختبروهُ الى عهدهِ من فعل الاشربة التي كانت معروفة حينئذٍ قال: «اجود الشراب العتيق الرقيق الصافي العنبي ويختلف تناولهُ بحسب الازمنة٠ والافضل ان يأخذ الانسان من الشراب بقدر معتدل اذ في اكثارهِ مضرة عظيمة والاولى للشباب عند شرب الشراب العتيق شرب الماء لتكسير سورة الشراب وعاديتهِ» ثم فصَّل افعال الشراب المختلفة فقال

«اعضاء الراس — يسكر ويُسبت ويزيل الحفظ ويخدر القوى النفسانية

«آلات المفاصل — ادمان شربهِ يضرُّ بالاعصاب ويورث الرعشة وادمان السكر في كل يوم يورث استرخاء العصب وضعفهُ واما الشراب المعسَّل فينفع من وجع المفاصل

«اعضاء العين — قال ابن ماسويه الشراب العتيق جدًّا يضرُّ بالبصر. وتعجن بهِ ادوية الظفرة ويحك السياف المعروف بقيصر وتكحل بهِ الظفرة المزمنة فانهُ ينفعها

«اعضاء الغذاء — سريع الانحدار والانهضام كثير الغذاء ويشهي الطعام عند الاعتدال من الشراب والاكثار منهُ يورث السدد في الكبد والكلى وتقليل الشراب ينفذ الغذاء ويجيد الهضم ويسرع استحالتهُ الى الدم»٠ انتهى كلام ابن سينا

وفي كل الاشربة الروحية مادة خفيفة سائلة تشتعل اذا أُشعلت وهي المسماة بروح الخمر او السبيرتو وقد اطلق عليها باراسلسس الكيماوي الالماني المتوفى سنة ١٥٤١ اسم الكحول لسبب غير معروف وقد ظن لغويو الاوربيين ان هذا الاسم عربي مركب من ال التعريف وكلمة كُحل التي كان الكيماويون الاقدمون يطلقونها على كل مسحوق ناعم٠ ومهما يكن من اصل هذه الكلمة فهي عند العلماء الطبيعيين اسم لروح الخمر او السبيرتو النقي الخالي من الماء وقد جار يناهم في استعمالها منذ اول انشاء المقتطف متابعين في ذلك استاذنا الدكتور فان ديك لانها صارت علمًا لهذا السائل

والفعل المسكر في الاشربة الروحية كلها متوقف على هذا السائل اي على الالكحول٠ ويختلف مقدارهُ فيها فاقلهُ في البيرة وهو فيها من ٣ ونصف الى ٨ ونصف في المئة واكثرهُ

في الكنياك والوسكي والروم وهو فيها من ٤٥ الى ٦٠ في المئة . ويختلف مقداره في الخمور من ٦ في المئة في الشمبانيا الى ٢٤ في المئة في المرسالا[1] فاذا بحث العلماء في الاشربة الروحية او المسكرات فانما يكون بحثهم في تأثير ما فيها من الالكحول

وقد وقفنا على مقالة مستفيضة في هذا الموضوع في مجلة منسي للدكتور بورتن هندريك فاقتطفنا منها ما يلي

كثر في هذه الآونة الاهتمام بمسألة يتجدد الاهتمام بها حيناً بعد آخر وهي مسألة تأثير المسكرات الفسيولوجي . ففي مجتمع العلماء الذي عقد حديثاً في ميلان القى الاستاذ مارشيا فافا طبيب البابا خطاباً ذكر فيهِ نتائج مباحثهِ في هذا الموضوع وبيّن ان إدمان المسكر يفضي الى تلف الصحة . ومما رواهُ ان اربعة من ملوك اوربا انتظموا في سلك جمعية الامتناع عن المسكرات وهم الفونسو ملك اسبانيا وفكتور عمانوئيل ملك ايطاليا وفرديناند ملك البلجيك وجوستاف ملك اسوج

واذا تحرَّينا آراء علماء الطب الحاليين في مسألة المسكرات وجدناها تختلف اختلافاً بيناً . وقد نجد بين كبار الاطباء كثيرين يتعاطون الاشربة الروحية

ومنذ عهد غير بعيد سألت « لجنة الخمسين » التي اشتهر امرها حينئذٍ عدداً كبيراً من الاطباء المعروفين في اميركا واوربا عن آرائهم في المسكرات فاعترف كثيرون منهم انهم يتعاطونها بمقادير قليلة ويصفونها احياناً لمرضاهم . وفي وسعنا ان نملأ مجلداً باقوال مشاهير الاطباء عن نفع المسكر كما نستطيع ان نملأ مجلداً اضخم باقوال اطباء آخرين يذمون تعاطي المسكرات . ومن هؤلاء السير فردريك ترفس طبيب الملك ادورد السابع فقد قال « ان المسكر سم ناقع ولهذا يجب ان تُحدَّد جرعتهُ كما تُحدَّد جرعةُ اي سم من السموم . فهو ليس منبهاً للشهية كما يزعم البعض بل ان القليل منهُ يفسد الهضم »

فلا موجب اذاً لسرد الاقوال الضافية في هذا الصدد . وقد اعتاد الاطباء ان يبنوا اقوالهم في هذا الموضوع على اختبارهم وملاحظاتهم في اثناء معالجة مرضاهم على ان هذه الاقوال لا تخلو من تأثير الاميال الشخصية والعادات والتحيُّزات . ولكنَّ المدققين يختبرون الامور اختباراً علمياً ولا يعبأون الاَّ بالحقائق الراهنة التي اثبتها الامتحان الدقيق فهؤلاء هم الذين يؤخذ باقوالهم

وقد مضى على الاطباء مئات من الاعوام وهم يقتصرون في الطب على معالجة المرضى

(١) انظر تفصيل ذلك في مقالة لنا في المسكرات والقول الفصل فيها نشرت في مقتطف ابريل سنة ١٩١٠

بالعقاقير والادوية التي يجهل العامة تركيبها · فما هم الذين رقوا الفن ولكن العلماء منهم ومن غيرهم اكتشفوا علم الميكروبات وعلوم اضداد السموم وموانع الاختمار وانواع المصل الى غير ذلك مما اصبح اساساً راسخاً للطب الحاضر · فالعلماء الذين يمتحنون الحقائق العلمية في المعامل الطبية والكيماوية لا يكترثون للنظريات الظنية ولا للمعارف التقليدية الموروثة بل يمحصون كل حقيقة علمية في معاملهم ويحققون كل ما يمكن تحقيقهُ بالمكرسكوب · والمؤسس الحقيقي للطب الحديث لويس باستور لم يكن طبيباً وانما كان كيماوياً

قال الدكتور رتشرد كابوت وهو من مشاهير الاطباء في بوسطن (اميركا) : « ما نحن الاَّ اقزام بالنسبة الى فطاحل العلم الذين ينظرون الى ما هو اقصى من المرض وابعد من سرير المريض ويدركون ادق الحقائق واخفاها »

والامر الغريب الآن هو ان الاطباء يختلفون في مسألة المسكرات كما يختلفون على امور كثيرة ولكن العلماء قلَّما يختلفون · والحقيقة ان جميع الذين امتحنوا المسكر (اي المادة المسكرة التي فيهِ المسماة الكحول) امتحاناً علمياً عملياً كان حكمهم بضررهِ قاطعاً · وهو في نظرهم ليس منبهاً ولا موقظاً لشهية الطعام ولا مساعداً للهضم ولا هو غذاء ولا هو منبه للقريحة او للقوى العقلية ولا يقوي الحركة العضلية

وبعبارة اخرى ان العلم الحديث المتأني المدقق يجحد كل دعاوي الشعراء والفلاسفة واهل الترف حتى الاطباء الذين كانوا يتغنون بمدائح الخمر منذ بدء المدنية الحاضرة الى الآن

وافضل ما أُجري لتحقيق فعل المسكرات امتحانات كلينتون هودج استاذ البيولوجيا في جامعة كلارك فهو لم يمتحن المسكرات في البشر بل في القطط والكلاب وكانت قططهُ قبل الامتحان في صحة تامة فكانت لعوبة مشاغبة للفئران تجزع من الكلاب كعادة القطط · واول ما اكتشفهُ هذا الاستاذ هو ان الهرَّة لا تميل الى المسكر · فجعل يمزج طعامها — اللبن — بمقدار قليل منهُ · ولما كانت تأبى ان تلغهُ كان يجرّعها اياهُ بانبوبة غصباً عنها · فيظهر تأثيرهُ فيها على الاثر · وفي برهة عشرة ايام انحطت قططهُ الى اردإ ما تكون عليهِ القطط · واعظم سكير من البشر في اقصى درجات يأسهِ لا يكون اسوأ حالاً منها · وتبدلت احوالها فبعد ان كانت وديعة لينة الجانب اصبحت وحشية ضارية · ولم يتغير مظهرها الطبيعي فقط بل فقدت قوتها العقلية ايضاً فاذا دحرجتَ امامها كرة او جررت ورقة او خيطاً فلا تتحفز لتثب عليها · وقد تمرُّ الفأرة من امامها فلا تدري في اي جهة تطاردها وقد يضع الكلب انفهُ في وجوهها فلا تجفل اجفالها المعتاد

ولم تعد تحسن المواء او ان تحتك برفيقاتها بل اصبحت عديمة النشاط بتاتاً كأن ادمغتها ازيلت من جماجمها

و بعد عشرة ايام انحطت هذه القطط انحطاطاً كلياً فمنع عنها المسكر لكي يتسنى لها ان تعود الى حالها الطبيعية الاصلية فصحت من السكر ولكن صحتها الاصلية لم تعد ولم يبقَ لها من نشاط الشباب الا آثارهُ

واختبارات الدكتور هودج في الكلاب مهدت السبيل لحل مسألة الوراثة التي هي موضوع جدال العلماء في هذا العصر . فقد اتخذ اربعة من اجود الكلاب الاسبانية مولودة في يوم واحد وسمى الكلبتين الاختين نيبسي وتبسي والكلبين الاخوين بوم ونج . وكان بوم وتبسي اقواها وانشطها فاختارهما لامتحان المسكرات وابقى الآخرين للمقابلة بين السكران والصاحي

والكلاب كالقطط تكرهُ المسكر ولذلك لجأ الى الوسيلة القهرية لتجريعها اياهُ فكان يُجرّع بوم وتبسي جرعات كبيرة بالنسبة الى جسميهما ولكنها اقل مما يتعاطاهُ السكيرون المدمنون الذين اعتادوا الاكثار فما لبثا ان سكرا . وفي اسابيع قليلة اصبح قفص هذه الكلاب معتركاً للقتال . اما تبسي وبوم السكرانين فكانا اسوأ خلقاً . واما الآخران اي نج ونيبسي فكانا اقل شراسةً واحياناً كانا دمثين . على ان المسكر اضعف قوة المقاومة في السكيرَين

وفي اثناء ذلك كان الدكتور هودج يمتحن قوة هذه الكلاب في محل الالعاب الرياضية التابع لجامعة كلارك حيناً بعد آخر فكان يرمي الكرات على بعد مئة قدم ويحمس الكلاب لكي تخاطفها وتعود بها اليهِ . وفي كل هذه الامتحانات لم يحرز الكلبان السكيران قصب السبق الاّ مرتين . ومع ان المسكر لم يُقلّل حسب الظاهر شيئاً من ذكاء الكلاب الغريزي جعل الكلبين السكيرين جفولين يهربان لاقل مفاجئ ويخافان من اقل صوت او حركة فكانا اذا هبت الريح او قرع الجرس يعويان وجلين . وعندما يشتد تأثير المسكر فيهما تنتابهما الاوهام فيرتعبان ويعويان لغير سبب ظاهر سوى ما يتراءى لهما من الاوهام

ثم وضع الدكتور هودج تبسي وبوم السكيرين في قفص واحد ليتناسلا . ووضع نيبسي ونج الصاحيين في قفص آخر . فولدت تبسي في الولادة الاولى سبعة اجراء كان اربعة منها في حالة طبيعية صحية حسب الظاهر واثنان ميتين . وكان لاثنين منها شفتان مشقوقتان كشفة الارنب . وفي الولادة الثانية ولدت ثلاثة اجراء مشوهة وجروين ميتين . وفي الولادة الثالثة ولدت احد عشر جرواً اثنان منها وُلدا ميتين وستة ماتت في اثناء الولادة وثلاثة كانت مشوّهة .

وفي الولادة الرابعة ولدت ثلاثة تامة الخلقة ولكنها ميتة · وفي هذه المرّة ماتت هي ايضاً فجملة ما ولد لهذه الام السكيرة ستة وعشرون جرواً لم يكن منها الأ اربعة في الحالة الطبيعية والبقية بعضها مات وبعضها ولد ميتاً وبعضها ولد مشوهاً · اما نج التي لم يجرعها مسكراً فولدت من نيبسي في تلك المدّة ٤٥ جرواً كان منها ٤١ صحيحة كابويها

وقد قال الدكتور هودج ان نتائج هذه الامتحانات قد تتوقف على نشاط الجسم وصحته فان كان الجسم قويًّا نشيطاً كان فعل المسكر فيهِ اظهر واوضح · وعليهِ فامتحاناتنا هذه انما هي برهان على ان المسكر اذا اعطي بمقادير قليلة كان معطلاً لبعض الاعمال الفسيولوجية في الجسم او مضعفاً لها · وذلك يؤيد قول الهيجينيين ان المسكر يجب ان يجتنب في الاعمال التي تستلزم قوة ونشاطاً وجلَداً ومواظبةً · واما من حيث الوجهة العقلية فقد رأينا القطط تنحط انحطاطاً فجائياً في الذكاء وفي الغرائز ايضاً غير ان الكلبين لم يفقدا ذكاءهما العمومي وانما تسلَّط عليهما الجبن وهو كل ما اصابهما من النقص العقلي · وذلك ينطبق ايضاً على مسألة السكر في البشر فان الخوف خاصّة من خواص التسمم المزمن بالمسكرات وخواص الجنون الناجم عن ادمانها · والسرسام الذي يصاب بهِ السكير احياناً هو افظع انواع الخوف

ومنذ بضع سنين ارتاح المدافعون عن المسكرات الى اعمال الاستاذ وليم آتووتر في جامعة وسلي وهو من كبار العلماء النوابغ · فقد اخترع جهازاً خاصًّا لقياس نتائج الطعام في الجسم وهذا الجهاز هو شبه صندوق يحبَس فيهِ الشخص وفيهِ مقاييس وعدد مختلفة · وقد استطاع بواسطة هذا الجهاز ان يعلم مقدار ما يأخذهُ الشخص الذي تحت الامتحان من الطعام وما يتحوَّل الطعام اليهِ وكم خزِن منهُ في الجسم الى المستقبل · وبعبارة اخرى استطاع ان يقدر نفع الانسان من الطعام الذي يتناولهُ مهما تعددت انواعهُ

والامر الذي شهر الاستاذ آتووتر واتباعهُ هو تحقيق فعل المسكرات الغذائي · وقد كان العلم في الخمسين سنة الفائتة مُقرًّا على ان الكحول طعام مغذٍ · والاستاذ آتووتر برهن على انهُ مُغَذٍ فعلاً · فاذا أُخذ باعتدال فالجسم ينتفع بنحو ٩٨ في المئة منهُ · اي ان الجسم لا ينبذهُ كما ينبذ سائر مواد الغذاء التي لا نفع لهُ منها بل يمتصهُ ويحلهُ جزءا منهُ ويحوّلهُ الى حرارة تُحوَّل في احوال خاصة لغرض فسيولوجي الى قوة عضلية

فاهل العلم لم يدهشوا لنتيجة هذا الامتحان غير ان مقاومي المسكرات قاموا لها وقعدوا · واجراء الاستاذ آتووتر امتحانهُ في جامعة تختص بطائفة المثودست التي تنهى عن المسكر وقع موضع الاستغراب عند الجمهور لاسيا وانهُ اعلن نتائج امتحانهِ بلغة توهم انهُ يزين للناس تعاطي

المسكرات . ولكن شرحهُ للحقيقة بعدئذٍ جاء مناقضاً لذلك فقولهُ ان الكحول غذاء لا يعني انهُ غذاء كالخبز واللحم والحبوب . ومتى قال احد العلماء ان المادة الفلانية غذاء فهو يعني انها تحتوي على بعض مركبات كيماوية مما يغتذي الجسم بهِ اي مما يكوّن عضلاتهِ او يتحوّل فيهِ الى القوة والحرارة

فالكحول يتحوّل الى حرارة . ولما كان لا يحتوي على مادة يمكن ان تفيد شيئاً في بناء الجسم فهو اذاً غذاء ناقص او كما وصفهُ آتووتر نفسهُ «غذاء من قبيل واحد فقط . فلا يمكن ان يشرب منهُ الانسان مقداراً كبيراً من غير ان يفعل بهِ فعل السم وهو على كل حال لا يصلح لبناء الجسم لانهُ خالٍ من المواد النيتروجينية والمواد المعدنية التي يتطلبها الجسم لبناء انسجتهِ ولاغراض اخرى عديدة . واذا اخذ كدواء بحيث لا تظهر اعراض التسمم بهِ فقد يضعف العمل العقلي او العضلي»

ومن رأي الاستاذ تشيتندن ان الكحول يعرقل اعمال الجسم ولو اخذ بمقادير معتدلة . فمن ذلك ان من وظيفة الكبد اتلاف المواد السامة التي تصل الى الجسم من الغذاء كالحامض البوليك ولكن المسكر يعرقل عمل الكبد هذا

ومما قالهُ تشيتندن ان الكحول قد يوقف عمل الاكسدة في الكبد . والارجح انهُ يوقف سائر الاعمال الاخرى التي تتم في الجسد فتدور في الجسم مع الدم مواد مؤذية لهُ كالحامض البوليك . وهذا ما يجعل الفرق عظيماً بين الكحول وبين المواد النيتروجينية

وبناء على ما تقدم لا يقدر الانسان ان يعيش على الكحول . ولكن أليست لهُ منافع اخرى . ألا يساعد الهضم . واذا كان يحترق ويتحوّل الى حرارة كما رأينا افلا يزيد قوة الحركة العضلية . افلا يمكن ان يحول شيء من شعاعهِ الى عقل ؟ ألا يقدّر الكاتب على ان يجيد والشاعر ان يحلّق في سماء الخيال والخطيب ان يتقد حماسةً الخ ؟ فقد روي ان الشاعر بيرون كان يجيد وهو بين الكاس والطاس . وان وبستر لم يكن الخطيب المصقع الأ وهو سكران . ولكن العلماء المحققين قد عارضوا عمر الخيام في ما ادعاهُ للخمر واظهروا ان هذا الشاعر المجيد كان واهماً عندما نظم رباعياتهِ المشهورة

ومن رأي الاستاذ ايضاً ان الكحول يقوي الهضم . فاذا شربت كاساً من الوسكي جعلت جدران معدتك تفرز العصارات الهاضمة وهذا عمل مفيد ولكن بعد دقائق يمتص الجسم الكحول ومن ثمَّ يبتدئ فعلهُ الضار . ففي بادئ الامر يساعد على الهضم وينبه الشهية كما يعتقد المقلّ من الخمر ولكنهُ لا يلبث ان يوقف عمل الهضم فتكون النتيجة كأن المرء لم

يتناولهُ لان الضرر الذي جاء بعد الفائدة محاها · وزد على ذلك ان هناك انواعاً من الاشربة كالنبيذ والشري تعيق الهضم حتماً

هذا من حيث تأثير الخمر في الهضم · واما من حيث تأثيرها في العمل العضلي ؟ فاكثر العضلات استعمالاً هي عضلات السبابة (الاصبع الثاني) في اليد اليمنى · وقد اخترع احد مشاهير الطليان انجلو موسو آلة لاختبار قوة هذا الاصبع تسمى ارغوغراف وهي تقبض على عضلات الذراع ورسغ اليد وتمنع تحركها وانما تبقي عضلات الاصبع المذكور حرَّة · ومن ثمَّ تختبر قوة الاصبع برفعها جسماً يزن كيلوغراماً واحداً الى علومتر مراراً متعددة · وكان غرض مخترع هذه الآلة ان يكتشف الى اي حد يمكن ان يزيد او ينقص شرب المقدار المعتدل من الكحول قوة الاصبع في هذه العملية وقد اسفرت الامتحانات العديدة عن ان شرب المقادير المعتدلة من الكحول ينقص قوة الاصبع · وقد امتحن انجلو موسو فعل التروبون[1] في القوة العضلية ليقابل بينهُ وبين الكحول فاطعم شخصاً مقداراً منهُ وامتحن قوة اصبعهِ · ثم سقاهُ جرعة معتدلة من الكحول يمكن ان تولد من القوة والحرارة قدر ما يولدهُ التروبون · ولو كان للكحول ما للتروبون من القيمة الغذائية اي لو كان غذاء فسيولوجيًّا لفعل بالاصبع ما فعلهُ التروبون · ولكن الشخص الذي أجري الامتحان فيهِ كان يستطيع وهو تحت فعل التروبون ان يرفع الكيلو مراراً لا يستطيع ان يرفعهُ مثلها وهو تحت فعل الكحول · ثم ما هي قيمة الكحول حين يتناول مع سائر الاغذية ؟ فقد اظهر الامتحان انهُ يولد قوة وحرارة يستفيد بهما الجسم وان كانا اقل قدراً مما يولدهُ منهما الطعام المعتاد · اذاً هل كاس الخمر التي تؤخذ يوميًّا مع الطعام تقضي الغرض الفسيولوجي المقصود حقيقةً وتجعل متعاطيها اقوى واقدر على العمل ؟

ان تحقيق هذه المسألة بالتجربة افضى الى نتيجة لا ينتظرها محبّذو شرب الخمور وهي ان الطعام العادي يقلُّ نفعهُ للجسم حين يؤخذ معهُ قليل من الخمر · فقد امتحن ذلك في رجل أُطعم الطعام اولاً من غير خمر فكان يرفع الكيلو عدداً معيناً من المرات في مواعيد معينة ايضاً · وبعد ان اكل الطعام نفسهُ وشرب معهُ قليلاً من الخمر لم يعد يستطيع ان يرفع الكيلو كما رفعهُ اولاً وسبب ذلك ان الجسم لا يستخدم الخمر كطعام حين يكون لديهِ طعام آخر انفع منهُ · وهكذا سقط الرأي الذي يعززهُ انصار الخمر وهو ان القليل منها مع الطعام لا يضرُّ اذا لم يفد

ولم يزل عندنا معتقد قديم بالخمر لا بد من نقضهِ وهو انها تنبه القرائح وتشحذ الاذهان ·

---

(١) التروبون Tropon طعام مغذٍّ جدًّا يشتمل على مواد زلالية ونباتية و يعطى للمرضى والناقهين

فقد تصدى لامتحان صحة هذا الاعتقاد الاستاذ كربلين وتلميذهُ كورز الالمانيان · ومن اسهل الامور ان تمتحن قوة المرء العقلية وذلك بأن تمتحن مقدرتهُ على جمع الارقام في مدة معينة · وبهذه الطريقة امتحن الاستاذ المذكور شخصاً في حالتهِ الطبيعية وتحقق قوتهُ العقلية ثم امتحنهُ بعد ان سقاهُ الخمر فوجد انها قد أَنقصت قوتهُ العقلية نقصاً بيناً حتى في عملية الجمع البسيطة · وزد على ذلك ان موهبة الشخص الحسابية اخذت تضعف تدريجاً يوماً بعد يوم اي ان تعاطي الخمر باعتدال اصبح كبير الضرر على التمادي

ثم اجرى الاستاذ كربلين طريقة اخرى لامتحان الامر في قوة عقلية ارقى « وهي قوة ائتلاف الافكار » مثال ذلك ان تفتكر باسم شيء من الاشياء — كبيت مثلاً — ثم تكتب في الحال كل ما تخطرهُ هذه اللفظة في بالك · كالعائلة · هرة البيت · الزواج · المأتم الخ · فاذا كان الذهن رائقاً صافياً امكنهُ ان يورد اسماء اشياء كثيرة متناسبة كأنها سلسلة متصلة وهي تتوارد عليهِ من طبعها بلا تردد · فاختبر هذه الطريقة في شخص لا يشرب مطلقاً ثم سقاهُ مقداراً قليلاً من الشمبانيا وبعد ١٢ ساعة امتحن الامر ثانية فيهِ · ثم اعاد الامتحانين مراراً متوالية للوقوف على معدلها المتوسط وذلك لان القوى العقلية قد تكون في يوم اقوى منها في آخر لاسباب مختلفة · فاذا استخرجت النتيجة من هذا الامتحان المتكرر وجدت الفرق عظيماً بين الحالتين اي ان الافكار في حالة الامتناع عن الشرب اشد تناسقاً واسرع ائتلافاً منها في حالة تعاطي الخمور حتى القليل منها

والخمور تؤَثر في القوى العقلية العالية اكثر مما تؤَثر في الواطئة · وقد اثبتت الاختبارات الاخرى ان العقل في حالة الامتناع عن الخمر اشد تذكُّراً للامور منهُ في حالة تعاطيها · وليس من الضروري ان يسكر الانسان كل يوم لكي يتلف ذاكرتهُ بل يكفي ان يشرب من الخمور القوية قليلاً كل يوم فيتلفها · وكلما طال امد تعاطي الخمور اشتد ضعف الذاكرة

ثم ان المسكرات تضعف قوة المقاومة للامراض المعدية · ولاثبات ذلك اقتبس قول اكبر ثقات العالم في موضوعي العدوى بالامراض والوقاية منها واعني بهِ الاستاذ متشنيكوف المتخرج من معهد باستور · فانهُ بيَّن ان الفاغوسيت اي كريات الدم البيضاء وظيفتها ابادة الميكروبات المرضية التي تهاجم الجسم · وعليهِ فالجيش الفعال من هذه الجراثيم المدافعة هو امنية كل جسم صحيح · فاذا لم يكن عندنا هذا الجيش المدافع وقعنا لا محالة فريسة لهذه الامراض القتالة المعدية · وقد اكد الاستاذ متشنيكوف ان المسكرات تضعف عمل الكريات البيضاء فضلاً عن انها تؤْذي الاعصاب وسائر اعضاء الجسم

النوم

لا بد من الراحة لكل عضو في جسم الانسان. وقد يظهر لاول وهلة ان بعض الاعضاء لا يستريح ابداً لانهُ لا ينقطع عن العمل ولكن اذا دققنا النظر في عملهِ وجدناهُ يتمتع بنوع من الراحة. فالقلب مثلاً ينبض دائماً ولكنهُ يقف قليلاً بين النبضة والاخرى اي انهُ يستريح من عملهِ. والخلايا التي تفرز السوائل والعصارات في غدد الجسم او تخزنها لا تظل سائرة في عملها على وتيرة واحدة بل يقل عملها في بعض الاحوال ثم يكثر. والنوم يريح الجهاز العصبي عموماً ويريح الدماغ والحبل الشوكي خصوصاً وتقف فيهِ اعضاء الحس عن العمل ويقل ورود الاحساس على المراكز العصبية الرئيسة فتتمكن هذه المراكز من التخلص من الفضلات ومن تجديد ما تلف منها في اثناء اليقظة. ولما كانت جميع اعمال الجسم مرتبطة بالجهاز العصبي كان كل عضو من اعضائهِ يتمتع بنصيب من راحة النوم

واكثر ما ينام الانسان في الليل ولا سبب فسيولوجي لذلك غير العادة وان السكينة تسود الليل اكثر من النهار. والذين يضطرون الى العمل في الليل والنوم في النهار يعتادون ذلك ولا يصيبهم ضرر منهُ اذا خصصوا للنوم وقتاً كافياً. على ان النوم من الضروريات التي لا بد منها واذا حرمهُ حيوان مات في ايام قليلة

وينام الانسان كل يوم نحو ثماني ساعات وللعادة والسن تأثير كبير في طول مدة النوم او قصرها فالطفل ينام ١٨ ساعة او اكثر والشيخ لا ينام الأ خمس ساعات او ستًّا. وبعض الاجسام لا تحتاج الى مثل ذلك فنابوليون مثلاً لم يكن ينام الأ ثلاث ساعات او اربعاً كل يوم

واذا احتاج الجسم الى النوم احس بالنعاس واهم مظاهرهِ احساس العينين كأن الرمل قد ذر فيهما وثقل الجفنين والراس وتعب الاطراف والتثاؤب. وفي حالة الاغفاء تغمض العينان وتنقطع حاسات النظر والشم واللمس ويخف السمع كثيراً وتقف حركة الفكر الوجدانية وترتخي العضلات. ويختلف النوم كثيراً بين الثقل والخفة فقد يغفي الواحد فلا يوقظهُ اطلاق المدفع وقد توقظهُ اقل حركة. وقد تستيقظ الام اذا تحرك طفلها ولا يوقظها ضرب الطبول ويستيقظ الطحَّان اذا انقطعت جعجعة رحاهُ والنائم في الباخرة اذا وقفت آلاتها عن العمل

ومن الناس من ينام على ان ينهض في ساعة معينة فيستيقظ فيها تماماً. على ان معظم

الاسباب التي تنبهنا من نومنا هي العادة والاسباب المنبهة من الخارج . فمن اعتاد ان ينام ثماني ساعات تماماً يستيقظ اذا انقضت عليهِ وهو نائم ومن اعتاد ان ينهض اذا دق جرس او اذا اشرقت الشمس او اذا سار الترام اوايقظتهُ هذه الاسباب

ولا تقف اعمال الجسم الحيوية في النوم . فلا ينفك جهاز الهضم عن هضم الطعام والتخلص من الفضلات . وقد ظهر ذلك جليًّا من تشريح جثث الذين يقتلون وهم نيام اذ ظهر انهُ كلما طالت المدة بين تناول الطعام وبين الموت كان هضم الطعام اتم وقد يعتمد على هذه الحقيقة في تعيين زمن الموت او القتل اذا كان غير معروف . واشتغال المعدة بالهضم من اكبر الاسباب التي تبعد الدم عن الدماغ وتسبب النعاس

وتظل غدد الجلد تفرز العرق بل ان الانسان يعرق في النوم اكثر مما يعرق في اليقظة ولعلَّ حرارة الفراش هي السبب الاكبر في ذلك . ولا تنقطع الكليتان عن عملها لكن يقال ان ما تفرزانهِ في النوم يختلف عما تفرزانهِ في اليقظة من بعض الوجوهِ وقد جرب المسيو بوشار حقن الحيوان بهما فوجد ان الاول يسبب تشنجاً والثاني يخدّر واذا مزجا سوية قل التسمم بهما

اما التنفس فيطرأ عليهِ بعض التغير واوضح ما يرى ذلك في الذين يغطُّون . وتطول مدة استنشاق الهواء عن المعتاد وتقصر مدة اخراجهِ ويزداد عمل الصدر ويقل عمل البطن والغالب ان التنفس يبطئ ويزداد انتظاماً . وقد حلل بعضهم الهواء الذي يخرج من الصدر بالتنفس في النوم فوجد غاز الحامض الكربونيك فيهِ اقل مما هو في الهواء الذي يخرج من الصدر في اليقظة ولعلَّ سبب ذلك انقطاع الدماغ والعضلات عن العمل . وقد ذهب دبيوى الى ان غاز الحامض الكربونيك يقل خروجهُ لانهُ يتزايد في الدم فيكون بمثابة مخدّر للجسم حتى اذا تجاوز مقدارهُ حداً مخصوصاً نبَّهَ المراكز التي تحدث اليقظة . وتنخفض حرارة الجسم وقد وجد بعض الباحثين انها تهبط الى الدرجة ٣٦,٥ في النائم شتاءً وقدَّر هلمهولتز الحرارة التي يولّدها جسم الانسان الذي يزن ٦٧ كيلوغراماً في نومهِ بنحو ٤٠ فيجاً (كلوريًا) في الساعة يقابلها ١١٢ فيجاً يولدها كل ساعة في اليقظة

ويقل عمل القلب وتضعف قوة انقباضهِ وتطول المدة بين ضربهِ وبين النبض في الاطراف ويقل ضغط الدم في الشرايين . ويرى بعضهم ان ضغط الدم يقل في الساعات الاولى من النوم ثم يأخذ يشتد ثانية الى حين اليقظة

ويزداد الدم في الاوعية الدموية التي في ظاهر البدن في اول النوم حتى الساعة الثانية

ثم يأخذ يقل . وكثرة الدم في ظاهر البدن هي التي تدفع النائم الى حل ثيابهِ وخلع قسم منها. ويقل الدم في الدماغ على ما اثبتهُ كثير من المحققين واول من نبه الى ذلك العالم بلومنباخ سنة ١٧٩٥ وذلك انهُ رأى شابًا في الثامنة عشرة كان قد سقط في حداثتهِ فانكسر عظم جبهتهِ وبقي مكان الكسر بلا عظم . وشاهد بلومنباخ مكان الكسر يتقعر اذا نام الشاب ويستوي مع الجبهة تقريباً اذا استيقظ وينتفخ اذا اجهد نفسهُ في العمل. ثم تيسر لغيرهِ من بعدهِ ان يثبتوا قلة الدم في اوردة الدماغ وفي شرايينهِ مدة النوم . ولكن برودمان قال ان الدماغ ينتفخ او يكبر بسرعة اذا نام الانسان ويصغر اذا استيقظ

وهذا التغير في ضغط الدم في الاطراف وفي الدماغ بعث البعض على تعليل النوم بقلة الدم في الدماغ ولكن كثيرين يقولون ان لا علاقة للدورة الدموية بالنوم او الاستيقاظ

ويقل الشعور ولكن لم يعرف هل سبب ذلك هو نوم اعضاء الحس ذاتها ام توقف المراكز العصبية عن العمل . وينطبق جفنا العينين ويضيق انساناهما ويقل الدمع فيهما وبقلتهِ يعلّل احساس عيني الناعس ان الرمل قد ذر فيهما

وترتخي العضلات ولكن النائم قد يتقلب ويتحرك . وكثيراً ما ينام الانسان على ظهر الفرس او الجمل وهما سائران . ومن غريب ما روي عن العالم غالين انهُ انكر ذلك كل الانكار عند ما سمع بهِ ثم اتفق لهُ بعد ذلك ان نام وهو يمشي وقطع ثمن ميل على هذه الحال وحلم حلماً . وتزداد الحركات المنعكسة اي التي يحدثها منبهٌ خارجي بدون ارادة الدماغ عند النعاس ثم تأخذ تقل في النوم

وحاول بعض العلماء قتل الحيوانات وهي نائمة ثم فحص الخلايا العصبية في مراكزها المهمة علهم يتوصلون الى رؤية فرق بينها وبين اعصاب الحيوانات التي تقتل وهي مستيقظة ويكشفون سر النوم فلم يفلحوا ولكن ظن بعضهم انهم رأوا فرقًا يعللون بهِ النوم. وقد ذهب دوقال ان الخلايا العصبية تمدد. وتتقلص وانها اذا تقلّصت انقطعت المواصلات بين المراكز العصبية فيحدث النوم. وهذا القول حدس مجرَّد لم يقم دليل على صحتهِ ولكنهُ مع ذلك اشتهر كثيراً لبساطتهِ

هذه اهم التغيرات الفسيولوجية التي تصحب النوم . ونأتي الآن الى بيان ماهيتهِ اي ما هو النوم ولماذا ننام . والبحث في ذلك صعب جدًّا وقد اشتغل بهِ العلماء كثيراً . واجمعُ كلام رأيناهُ في هذا الباب كلام للمسيو لجندر من خطبة لهُ القاها في باريس ولذلك رأينا ان نلخصها في ما يلي

ذهب بعض العلماء قديماً الى ان النوم يتوقف على تكاثر الدم في دماغ الانسان اذا استلقى وقد ظهر لنا فساد هذا الرأي اذ ثبت ان الدم يقل في الدماغ في حالة النوم . وفوق ذلك قد يستلقي الواحد منا ساعات ولا ينام . وذهب آخرون الى ان قلة الدم في الدماغ هي علة النوم لان الدماغ في هذه الحال لا يصل اليهِ الغذاء ولا تنزح منهُ الفضلات فتقف خلاياهُ عن العمل اما لنقص غذائها او لتخدرها بالفضلات . ولكن برودمان اثبت ان الدماغ ينتفخ بسرعة اي يزيد ضغط الدم فيهِ اول ما ينام الانسان. وجرَّب غيرهُ ان ينوّم الناس بتكثير ورود الدم الى ادمغتهم او بتقليلهِ فلم يفلح . واظهر ريشه بتجاربهِ في الحمام ان الفرق بين كثرة الدم في الدماغ في اليقظة وقلتهِ فيهِ في النوم لا يعادل ما يطرأ عليهِ من الكثرة والقلة بتغير وضعهِ

وارتأى البعض ان سبب النوم تغير في الدم او في اللمفا قائلين ان الدم يتخثر او يشتد فيصعب عند ذلك عمل الدماغ او تجف خلاياهُ او ان اللمفا تمتص الماء من الخلايا واوردوا دليلاً على صحة قولهم ان الوجه ينتفخ بعد النوم العميق الطويل ولكن التجارب اظهرت ان لا ارتباط بين النوم وتغير الدم واللمفا

وحاول آخرون تعليلهُ بتغير يطرأ على الاعصاب كانقطاع المواصلات بين المراكز العصبية المهمة لقيام عائق يعوقها او لانكماش الخلايا العصبية ولم يقم على صحة هذا القول دليل . ومثل ذلك يقال في المذهب القائل ان النوم ينتج من تأثر المراكز العصبية التي تدير حركة الدم في الاوعية ببعض العوامل الخارجية كالسكون ومنظر الفراش وغيرهما مما يجعلها تقلل ارسال الدم الى الدماغ

اما القول بان النوم نتيجة السكون او انتفاء المؤثرات الخارجية فلا يؤخذ بهِ ايضاً لان من الناس من ينام رغماً عن الجلبة والصراخ . وقد استند اصحاب هذا القول الى ان الذين يخدرون بالمخدرات ينامون حالما تسد آذانهم وتطبق عيونهم ولكن هذا الاستناد ضعيف لان هذا النوم غير النوم الطبيعي

ومن المذاهب ما يعلل النوم بالتغيرات الكيماوية ويشبّهُ الجسم بالقاطرة التي تقف اذا نفد وقودها او اذا كثر الرماد فيها اي اننا ننام لنفاد المواد التي لا بد منها للدماغ في عملهِ او لكثرة الفضلات . وقد عرف من المواد التي تفتقر اليها الاعصاب للقيام بوظائفها مادتان هما الاكسجين والكروماتوفيل . اما الاكسجين فتتناولهُ المراكز العصبية بمقادير كبيرة ويمكننا ان نعلل النوم بقلتهِ في الدماغ الذي يخزنهُ مدة النوم للانتفاع بهِ في اليقظة . اما الكروماتوفيل

فيكون في جميع الخلايا العصبية ويكثر في النوم ولا يظهر بعد التعب والعمل الكثير. واول من قال ان النوم يترتب على قلة الكروماتوفيل هو دادي وقد حداهُ الى ذلك مشاهدتهُ رجلاً لم يظهر اثر للكروماتوفيل في اعصابهِ لانهُ ارق مدة طويلة

ولكن الاعصاب تولّد في عملها فضلات اهمها غاز الحامض الكربونيك الذي ذهب البعض الى انهُ علة النوم وعلة اليقظة وذلك انهُ اذا كثر في الدم سبب النوم وبقي يزيد الى ان يصل الى حد يسبب الاستيقاظ. ومن فضلات الاعصاب ايضاً مواد اخرى لم تعرف تماماً وقد سميت بسموم التعب وقيل انها علة النوم ايضاً

وهذه المذاهب الكيماوية اي التي تقول ان سبب النوم هو نفاد بعض المواد او ازدياد الفضلات اقرب الى الصحة لانها تتفق مع مشاهداتنا واختباراتنا البسيطة من ان التعب على الاجمال ينعس وان القوى تتجدَّد في النوم وتسهل تعليل التعاقب بين النوم واليقظة. ولكن كلابارد اعترض عليها اعتراضات منها ان النوم والتعب ليسا متلازمين فينام الانسان وهو غير متعب واذا تعب كثيراً فقد يستعصي عليهِ النوم. وانهُ اذا صحت هذه المذاهب وجب ان يتعاقب النوم واليقظة في مدات اقصر من المدات التي يتعاقبان فيها. اي ان من ينام منتصف الليل مثلاً يجب ان ينهض بعد ذلك بربع ساعة لان الفضلات السامة التي في جسمهِ تكون قد قلت وعادت الى ما كانت عليهِ قبل ان نام بربع ساعة حينما لم تكن كافية لتنويمهِ ويستشهد ايضاً بالولدين الذين ولدا متصلين في سيام فان احدهما كان ينام ويظل الآخر ساهداً مع ان اوعية الواحد الدموية كانت متصلة باوعية الآخر ولو كانت علة النوم في الدم لوجب ان يناما معاً ويستيقظا معاً

ولكن كل الآراء التي اوردت في تعليل النوم لا تكشف الغطاء عن سر المظاهر النفسية التي ترافقهُ. وفي امكان الانسان ان ينام او يبقى مستيقظاً حسبما يريد او يعوّد نفسهُ ولا دخل للفسيولوجيا في ذلك وجميع الآراء المتقدمة فسيولوجية

اما كلابارد فقد ذهب في النوم مذهباً فسيولوجيًّا نفسيًّا فعدَّهُ عملاً من اعمال الجسم الضرورية لا حالة ينقطع فيها عن العمل. فالنوم عندهُ غريزة مثل الاكل والشرب تتطلب سد حاجة من حاجات الجسم قبل ان تصبح ماسّة كما ان الجوع يتطلب الاكل قبل ان تمس الحاجة الى الغذاء. فهو اذن ليس حاجة من حاجات الجسم الضرورية بل عمل من اعمالهِ التي تقبل التكيف والتغير. وتظهر هذه الغريزة كلما دعت الحاجة اليها مثل غيرها من الغرائز. واذا عارضتها بعض الغرائز الاخرى تغلبت الغريزة التي تكون الحاجة اليها امس وبذلك

يمكن تعليل الاحلام والنعاس والارق وكل ما يرافق النوم من المظاهر · فمذهب كلابارد يفضل غيرهُ في انهُ يفسح مجالاً لتعليل هذه المظاهر التي لا يمكن تعليلها بغيرهِ ولا ينافي الحقائق الفسيولوجية المقررة كعلاقة التعب بالنعاس مثلاً

وقد تعاونت انا وصديق لي هو المسيو بيرون على البحث في النوم مدة ست سنوات فمنعنا الكلاب من النوم فبقيت حرارتها على ما تكون عليهِ عادة ولم يظهر تغير في تنفسها ولا زاد غاز الحامض الكربونيك في دمها. وعليهِ فنقص الاكسجين وازدياد غاز الحامض الكربونيك ليسا من اسباب النوم · ولم يخسر الدماغ ولا الدم شيئاً من الماء الذي يكون فيهما عادة فالنوم اذاً لا يتأتى عن قلة الماء في قسم من اقسام الجسم · وكانت الكلاب اذا مضى عليها نحو عشرة ايام وهي مستيقظة لا تقدر ان تفتح عيونها وتنقبض مخالبها ويقل شعورها حتى لا تتأثر بالمنبهات الخارجية الأ اذا كانت قوية جداً · فاذا صارت الى هذه الحال ظهر اضطراب في خلاياها العصبية في مقدم ادمغتها ولم نستطع ان نحدث مثل هذا الاضطراب بوسيلة اخرى · واذا تركت بعد ذلك نامت نوماً ثقيلاً ثم استيقظت مستجمعة القوى لا اضطراب في ادمغتها كأنها لم تسهد

فامتناع النوم او الارق ينتج عنهُ اذن نعاس شديد او ميل ظاهر الى النوم واضطراب في مقدم الدماغ · فما سبب ذلك يا ترى اهو التعب ام التسمم بالفضلات

اذا كان سبب النوم هو تجمع الفضلات فنقل هذه الفضلات من حيوان قد حُرم النوم الى حيوان لم يحرمهُ يجب ان ينعس الثاني · وقد جربنا ذلك فحقنّا الكلاب بدم او مصل اخذناهُ من كلاب اخرى بعد ان حرمناها النوم اياماً فلم نفلح في اول الامر مع اننا رأينا هذه الحقن تؤثر بعض التأثير في الدماغ · فقلنا لعل سبب ذلك هو ان دم الحيوان يتغلب على هذه السموم فلا تؤثر فيهِ

فرأينا بعد ذلك ان نجرب السائل الذي يكون في المراكز العصبية ويحيط بها · فاستخرجناهُ من دماغ كلب ساهد وحقناهُ في دماغ كلب غير ناعس فلم يمضِ عليهِ الاَّ نصف ساعة حتى نعس · واعدنا العملية مراراً وكانت النتيجة واحدة تظهر فيها كل العوارض التي تظهر في الحيوان اذا منع من النوم · فسبب النوم اذاً مادة في الجسم او في السائل الذي يكون حول المراكز العصبيَّة ولكن ما هي هذه المادة ؟ ذلك سؤَال لا نقدر ان نجيب عنهُ حتى الآن

منافع الكيمياء الصناعية

كان القدماء يعتقدون ان الكيمياء علمٌ لعمل الذهب من النحاس وقد حقق المتأخرون هذا الاعتقاد لا بتحويلهم النحاس الى ذهب كما اعتقد الاقدمون بل باستخدامهم الكيمياء في اعمال كثيرة جاءت كلها بالنفع العميم والثروة الوافرة فصنعوا من التراب والماء والهواء مواد كبيرة النفع يباع منها في السنة ما ثمنهُ مئات الملايين من الجنيهات ويعيش بعملها مئات الالوف من الناس

مركَّبات النيتروجين

احدث الاعمال النافعة التي اتصل اليها علم الكيمياء القبض على النيتروجين احد عنصري الهواء بواسطة الكهربائية وجعلهُ يتحد بالحجارة الجيرية حتى يتكون من ذلك سماد نافع جدًّا للمزروعات · ومن ذلك نترات الجير السماد الذي تقصد الحكومة المصرية ان تنشئ معملاً لهُ عند خزان اصوان فتحول القوة الناتجة من انحدار ماء الخزان الى كهربائية تستخدم في عملهِ من الحجارة الكلسية

لما قام السر وليم كروكس منذ بضع عشرة سنة وانذر بقلة الاراضي الصالحة لزرع القمح وازدياد الناس الذين يعتمدون في طعامهم عليهِ سنة بعد سنة وان ذلك سيؤول الى قحط عام ومجاعة لا تقاس بها مجاعات الهند والصين القديمة اشار ان يلجأ الى الكيمياء لعمل سماد النيتروجين من الهواء بواسطة الكهربائية فتسمد بهِ الاراضي التي يزرع القمح فيها فتزيد غلتهُ · ولقد عمل الناس بقولهِ والمرجح انهُ بالغ في الانذار والتشاؤُم ولكن كان لانذارهِ فائدة كبيرة ولو لم يلجأ الى الكيمياء لعمل السماد النيتروجيني من الهواء لكان محصول القمح الآن اقل مما هو وسعرهُ اغلى · ومن المرجح ان كل فدان يسمد بسماد النيتروجين يزيد محصولهُ اردبين · ويصنع الآن من السياناميد وحدهُ وهو مركب من النيتروجين والجير والكربون اكثر من نصف مليون طن يسمد بها عشرة ملايين فدان فيزيد محصولها عشرين مليون اردب تساوي عشرين مليون جنيه على الاقل · فهذه عشرون مليون جنيه نتجت من الكيمياء بصناعة واحدة وهي صناعة السياناميد

التبريد الصناعي

ما من احد اقام في البلاد الحارة كما نحن مقيمون ومضى عليهِ صيف مثل صيفنا هذا الاَّ ودَّ ان تؤَلف لجنة تجمع الاكتتابات لنصب تمثال لمن استنبط آلات التبريد وعمل

الجليد · لكن التبريد الصناعي لا تقتصر فائدتهُ على عمل الجليد لتبريد الماء والشراب بل صارت لهُ الآن فائدة تجارية كبيرة لا يستغنى عنها في حفظ اللحوم على انواعها ونقلها من البلدان التي تكون فيها كثيرة رخيصة الى البلدان التي تكون فيها قليلة غالية · فاللحم ينقل الآن من اميركا واستراليا الى اوربا بل الى القطر المصري · والطيور والاسماك تنقل من الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال · توضع في السفن في غرف مبردة الى تحت درجة الجليد ثم تخزن في مخازن مبردة كذلك فتمضي عليها الايام والشهور والسنين وتظل سليمة لا عيب فيها

دخلنا مخازن التبريد في هذه العاصمة وانتقلنا من غرفة الى اخرى فرأينا فيها لحم البقر والغنم والطيور والاسماك على انواعها بعضها من استراليا وبعضها من شمالي اوربا وكلها محفوظة من الفساد بفعل البرد الشديد الذي يميت الميكروبات فيمنع وصولها الى اللحم او يقتلها حالاً اذا وقعت عليهِ · واكثر اللحوم التي تؤكل في فنادق القاهرة من هذه المخازن · وكان الفصل شتاء والهواء بارداً جدًّا لكن بردهُ لا يقاس ببرد المخازن فلما خرجنا منها شعرنا كأننا انتقلنا من القطب الشمالي الى قلب السودان اوكأننا دخلنا فرناً حامياً ومع ذلك كاد الدم يجمد في عروقنا

وكان التبريد اولاً بآلات النشادر فتهبط فيها الحرارة الى درجة ٢٠ تحت الصفر بميزان سنتغراد فابدلت بآلات يستعمل فيها الحامض الكبريتوس او الحامض الكربونيك لان التبريد يبلغ بها الدرجة ٤٠ تحت الصفر · ويرجى ان تزيد قوة هذه الآلات على التبريد باستعمال بعض المواد الكيماوية حتى تنحط بها درجة الحرارة الى ٨٠ درجة تحت الصفر

وتظهر فائدة التبريد في حفظ اللحم ونقلهِ من ان استراليا وحدها تصدر الآن في السنة من لحم الغنم المبرد ما ثمنهُ نحو مليون جنيه ومن لحم البقر المبرد ما ثمنهُ اكثر من مليون ونصف ومن الزبدة المبردة ما ثمنهُ اكثر من ثلاثة ملايين وثلث ومن الارانب المبردة ما ثمنهُ نحو نصف مليون · وكندا تصدر من لحوم المواشي والبانها في السنة ما ثمنهُ نحو عشرة ملايين من الجنيهات

والولايات المتحدة اصدرت في السنة الماضية من اللحوم والالبان ما ثمنهُ اكثر من ٣٠ مليون جنيه ومن السمك ما ثمنهُ نحو مليوني جنيه

والارجنتين وحدها وسكانها نحو سبعة ملايين نفس تصدر في السنة ما ثمنهُ نحو ٣٥ مليوناً من اللحم المبرَّد

ولا نبالغ اذا قلنا ان ثمن اللحوم التي تبرَّد كلَّ سنة الآن ويتاجر بها يبلغ مئتي مليون جنيه وهي لولا التبريد ما امكن نقلها الى البلاد التي تؤكل فيها ولا امكن بيعها بنصف الثمن

الذي تباع بهِ فكأَن هذه الصناعة صناعة التبريد افادت الناس حتى الآن ما يساوي مئة مليون جنيه في السنة فاين كيمياء المتقدمين من كيمياء المتأخرين

استعمال النفايات

الاعمال الصناعية كلها تقتضي طرح كثير من النفايات . فالاسكاف يطرح قصاصة الجلود . والحداد يطرح خبث الحديد ورماد الفحم والنجار يطرح نشارة الخشب ونجارتهُ . ولكل صناعة فضول لا بدَّ من طرحها حتى لقد تضيق بها الاماكن التي حول المصانع . كنا نشاهد في صبانا مصبنة يطرح اصحابها نفاية القلي والكلس فامتلأَت بهما كل الحفر والخنادق حتى خيف ان تحلَّب مياه المطر عنهما وتتلف الاراضي الزراعية التي تحتها . وقد ضاق اصحاب المعامل الكبيرة ذرعاً بهذه النفايات حتى جاءت الكيمياء وقبضت عليها واستخرجت منها مواد في غاية النفع اهمها ما صُنع من فضلات الفحم الحجري حين استخراج الغاز منهُ فان من ذلك كبريتات الامونيا المستعمل سماداً للمزروعات والاصباغ المختلفة المستخرجة من قطران الفحم التي نابت مناب النيل والفوة وكل الاصباغ النباتية والحيوانية

واشهر البلدان في استخراج الاصباغ الكيماوية من قطران الفحم المانيا وهي تصدر منها في السنة ما ثمنهُ ٣٥ مليون جنيه فوق ما تستعملهُ في بلادها . وكاد اهالي الهند يبطلون زرع النيلة لان النيل الصناعي قام مقامها . ولم يكتفِ صانعو هذه الاصباغ بعمل ما يماثل النيل والفوة والارجوان والقرمز وبعض الاصباغ النباتية والحيوانية والمعدنية بل صنعوا اصباغاً كثيرة تثبت حتى على القطن ونوَّعوها حتى صارت الوانها تعدُّ بالعشرات

انواع الفولاذ

كان القدماء يعرفون طريقة لتصليب النحاس حتى يصير كالفولاذ ثم اكتشفوا طريقة لعمل الفولاذ من الحديد . وكان الفولاذ منذ عهد غير بعيد غالياً جدًّا لما يقتضي عملهُ من النفقات ثم اهتدى العلماء الى طريقة قليلة النفقة لعملهِ وصنعوا انواعاً مختلفة منهُ بابدال الكربون الذي يقسّى بهِ الحديد بمعادن اخرى ومن ذلك فولاذ النكل وفولاذ الكروم وفولاذ السليكون وفولاذ المنغنيس والتنجستن والفناديوم والمولبدنوم . وهذه الامزجة من الحديد والمعادن الاخرى تمتاز على الحديد وعلى الفولاذ بمزايا كثيرة حتى كأَنها معادن جديدة وجدت لاغراض جديدة . ومنها نوع لا يمكن ثقبهُ بمثقاب ولا نسفهُ بالديناميت ولا صهرهُ بالبوري الاكسيهيدروجيني فاذا صُنعت خزانات الحديد منهُ تعذر على اللصوص فتحها بكل اساليبهم العملية المعروفة حتى الآن

المواد الكيماوية الصناعية

نريد بالمواد الكيماوية الصناعية ما يكثر استعمالهُ في الصناعة من المواد الكيماوية كالحامض الكبريتيك (زيت الزاج) والحامض النتريك (ماء الفضة) والحامض الهيدروكلوريك (روح الملح) فان هذه الحوامض وامثالها كانت غالية الثمن حينما كان استحضارها كثير النفقة لكن علماء الكيمياء اكتشفوا طرقاً قليلة النفقة لاستحضارها فرخص ثمنها جدًّا وكثر استعمالها . كان الدرهم من الحامض الكبريتيك يباع بغرش والآن يشترى الرطل منهُ بغرش وقس على ذلك الصودا والبوتاسا وكل المواد الكيماوية التي يكثر استعمالها في الصناعة

المعادن النادرة

للبعض من هذه المعادن فائدة كبيرة جدًّا ولندرتها اي لقلة مقدارها في المنجم الذي توجد فيهِ كانت نفقات استخلاصها كثيرة جدًّا . لكن الكيمياء مهدت الصعاب وقلت النفقات فرخص ثمنها وشاع استعمالها ومن ذلك معدن التنجستن الذي لا يصهر الاَّ اذا بلغت الحرارة الدرجة ٣١٠٠ بميزان فارنهيت فتصنع منهُ الآن الخيوط الدقيقة التي في قناديل النور الكهربائي

الجواهر الصناعية

دخلت الكيمياء معامل الصاغة فصنعت لهم الياقوت والصفير وغيرهما من الحجارة الكريمة وصنعت الماس ايضاً ولكنها لم تتمكن حتى الآن من عمل حجارة كبيرة منهُ تصلح للصياغة

الطيوب الصناعية

بحثت الكيمياء عن تركيب الطيوب الحيوانية والنباتية كالمسك والزباد والعنبر وعطر الورد وعطر البنفسج وعطر الياسمين فعرفت اصولها وصنعت ما يماثل العنبر منها والآن قلما ترى طيباً طبيعيًّا الاَّ وتجد طيباً صناعياً يماثلهُ

العاج الصناعي

لم يكد الناس يصيدون الفيل في العصور الغابرة حتى قطعوا نابيهِ وصنعوا منها ادوات العاج وقد وجد بعض هذه الادوات في الكهوف التي كانوا يلجأُون اليها في العصر الجليدي منذ الوف كثيرة من السنين ولا يزالون يصطادون الافيال لاجل عاجها الى يومنا هذا ولكن الكيمياء صنعت لهم عاجاً كالعاج الطبيعي وكان اولاً سريع الاشتعال فعالجتهُ حتى لم يعد يشتعل . وهو يستعمل الآن في كل ما يستعمل لهُ العاج الطبيعي

فوائد من اخبار القضاة

انتهينا في ما اقتطفناهُ من اخبار القضاة في الجزء السابق الى ابن خُذامر وقد طُبع اسمهُ ابن خذام خطأً . وولي القضاء بعدهُ يحيى بن ميمون الحضرمي من قبَل امير المؤمنين هشام وكانت ولايتهُ يوم الاحد لتسع بقين من شهر رمضان سنة خمس ومائة . قال المؤلف انهُ اول قاضٍ شُكي كتَّابهُ . ونقل عن قيس بن حملة الغافقي عن ياسين بن عبد الاحد عن فضالة بن المفضَّل عن ابيهِ قال كان كتَّاب يحيى بن ميمون لا يكتبون قضيَّة الأ برشوة فكلِّم يحيى في ذلك فلم ينكرهُ ثم كلِّم مرةً بعد مرة فلم يعزل منهم احداً

ومما رواهُ عن يحيى ايضاً ان يتيماً تظلَّم اليهِ بعد بلوغهِ من العريف الذي ردَّ امرهُ اليهِ فلم ينصفهُ منهُ واتى اليتيم ببينة من قومهِ فشهدوا انهُ مظلوم فلم يستمع يحيى منهم فكتب اليهِ اليتيم بابيات ابي شِمْر

ألا ابلغ ابا حسَّان عني   بانَّ الحكم ليس على هواكا

حكمتَ بباطلٍ لم تأتِ حقًّا   ولم يُسمع بحكم مثل ذاكا

ألم تعلم بانَّ الله حقٌّ   وانك حين تحكم قد يراكا

فبلغ يحيى بن ميمون ذلك فسجن اليتيم فرُفع امرهُ الى هشام فعظم ذلك عليهِ وكتب بصرفهِ . وكان في كتابهِ الى الوليد بن رفاعه : اصرف يحيى عمَّا يتولاهُ من القضاء مذموماً مدحوراً وتخيَّر لقضاء جندك رجلاً عفيفاً ورعاً نقيًّا سليماً من العيوب لا تأخذهُ في الله لومة لائم . فعزلهُ

ثم وليَ القضاء بها توْبة بن نمِر الحضرمي فدعا امرأتهُ عفيرة الاشجعية وقال لها يا ام محمد اي صاحب كنتُ لكِ قالت خير صاحب واكرمهُ . قال فاسمعي لا تعرضنَّ لي في شيءٍ من القضاء ولا تذكرني بخصم ولا تسأليني عن حكومة فان فعلتِ شيئاً من هذا فانتِ طالق فامَّا ان تقيمي مكرَّمةً واما ان تذهبي ذميمة

ومما ذكرهُ المؤلف من امر توبة هذا ان رجلاً وامرأتهُ اختصما عندهُ فطلقها فقال لهُ توبة متعها فقال لا افعل قال فسكت عنهُ لانهُ لم يرهُ لازماً لهُ . فاتاهُ الرجل الذي طلَّق امرأتهُ في شهادة فقال لهُ توبة لستُ قابلاً شهادتك قال ولمَ قال انك ابيتَ ان تكون من المحسنين وابيتَ ان تكون من المتقين ولم يقبل لهُ شهادة . وانهُ كان يقضي في الرجل

يفلّس بصداق امرأتهِ كاملاً فما بقي من مالهِ كان الغرماء اسوة · وكان لا يقبل شهادة الاشراف ولا شهادة مضري على يماني ولا يماني على مضري · وانهُ اول قاضٍ بمصر وضع يدهُ على الاحباس (الاوقاف) وذلك في زمن هشام وانما كانت الاحباس في ايدي اهلها وفي ايدي اوصيائهم · فلما كان توبة قال ما ارى مرجع هذه الصدقات الاّ الى الفقراء والمساكين فارى ان اضع يدي عليها حفظًا لها من التواء والتوارث فلم يمت توبة حتى صار الاحباس ديوانًا عظيمًا وكان ذلك سنة ثمان عشرة ومئة

وكان لا يملك شيئًا الاّ وهبهُ ووصل بهِ اخوانهُ وافضل بهِ عليهم· فلما ولي القضاء كان يرى ان يحجر على السفيه والمبذر فرُفع اليهِ غلام من حِميَر لا تحوي يدهُ شيئًا الاّ وهبهُ وبذرهُ فقال توبة ارى ان احجر عليك يا بنيّ قال فمن يحجر عليك ايها القاضي والله ما نبلغ في اموالنا عشر معشار من تبذيرك فسكت توبة ولم يحجر على سفيهٍ بعد · قال ربيعة وانشدني عمي غوث لتوبة

نشبي وما جمعتُ من صفَدِ   وحويت من مالٍ ومن لبَدِ
همٌ تقاذفت الهمومُ بها   فتنزعنَ من بلدٍ الى بلدِ
يا ربح من حسمت قناعتهُ   سبب المطامع من عدوّ عدي
مَن لم يكن بالله متّهماً   لم يمسِ محتاجًا الى احدِ

وقيل ان الابيات لرجل من حضرموت وبقي في القضاء الى ان مات في ربيع الاول سنة عشرين ومائة

وولي القضاء بعدهُ خَيْر بن نُعيم الحضرمي ومما ذكرهُ المؤلف عنهُ انهُ قضى في رجل هلك ولم يوصِ وعندهُ بضاعة لرجل وقبلَهُ شِرْك لرجل في متاع وعندهُ وديعة يتيم وعليهِ صداق لامرأتهِ فقضى ان ما كان قبلَهُ من شِرْك او بضاعة فانها ترد الى اصحابها وان صداق امرأتهِ والوديعة اذا لم توجد اسوة الغرماء · وكان يقضي في مَن اعترف لرجل بحق لهُ عليهِ ثم ادّعى انهُ قد قضاهُ اياهُ ولا بيّنة عندهُ انهُ يلزمهُ ما اعترف بهِ من ذلك · وكان يقول مَن اعترف عندنا بشيءٍ اخذناهُ بهِ · ويقضي بالشفعة للاشراك على حصصهم ثم يدفع الربع لمن لهُ الربع والثلث لمن لهُ الثلث · ويقضي بشهادة الصبيان في الجراح التي تكون بينهم ويجيز شهادة ذي الرحم لرحمهِ اذا كان معروفًا بالعدالة ويسجن المديون ثم يكشف عن امرهِ اذا ادّعى العدم فان شهد لهُ جيرانهُ بالعدم اطلقهُ من ساعتهِ · وكان يطلّق من المعدم امرأتهُ اذا خاصمتهُ في النفقة عليها وقال لا اجد ما أُنفق · وكان يقبل شهادة النصارى على النصارى

واليهود على اليهود ويسأل عن عدالتهم في اهل دينهم · وكان يقضي في المسجد بين المسلمين ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر على المعارج فيقضي بين النصاري

ثم قال المؤلف حدثني عبد الوهاب قال حدثنا احمد بن رشدين قال حدثنا زيد بن ابي بشر قال حدثني ابو ذوَّالة الصبَّاح الحضرمي عن شيخ من حضرموت يقال لهُ سُهيل بن علي قال كنت الازم خير بن نُعَيم واجالسهُ وانا يومئذٍ حديث السن وكنت اراهُ يتَّجر في الزيت فقلت لهُ وانت ايضاً تتجر فضرب بيدهِ على كتفي ثم قال انتظرْ حتى تجوع ببطن غيرك · قلت في نفسي وكيف يجوع انسان ببطن غيرهِ فلما ابتليتُ بالعيال اذا انا اجوع ببطونهم · فوليها خير بن نعيم من سنة عشرين ومائة الى سلخ سنة سبع وعشرين ومائة فلما قدِم حوثرة بن سُهَيل الباهلي مصر من قبل مروان بن محمد وقتل اشراف مصر عزل خير بن نُعَيم وولَّى عبد الرحمن بن سالم ثم ان ابا عون عبد الملك بن يزيد عزل عبد الرحمن بن سالم عن القضاء وولاهُ ديوان الجند لانهُ رأى فيهِ بعض خلل وقيل لهُ انهُ من اعلم الناس بامور الديوان

ثم قال المؤلف « حدثنا محمد بن موسى الحضرمي قال حدثنا ياسين عن يحيي بن بُكير قال : اهلُ ابي سالم الجيشاني يقولون انهم من معافر وفي ما وجدت في ديوان بني امية براءة زمن مروان بن محمد فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عيسي بن ابي عطاء الى خزان بيت المال فاعطوا عبد الرحمن بن سالم القاضي رزقهُ لشهر ربيع الاول وربيع الآخر سنة احدى وثلاثين ومائة عشرين ديناراً واكتبوا بذلك البراءة وكتب يوم الاربعاء لليلة خلت من ربيع الاول سنة احدى وثلاثين ومائة »

ومن غريب الاتفاق انهُ وجدت قراطيس مصرية قديمة في هذا القطر جمعها ارل كروفرد (والد وكيل المالية المصرية الحالي) واشترتها مسز ريلندس واهدتها الى مكتبة منشستر التي انشأتها وبينها قرطاس خطٌ فيهِ ما يأتي

« بسم الله الرحمن الرحيم من عيسى بن ابي عطاء الى صاحب بريد اشمون فاحمل مسلم رسولي على دابتين من البريد احداهما دابة الفرانق وكتبهُ محمد في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين ومائة »

فيكاد النص يكون واحداً في الرسالتين وهذا مما يثبت رواية كتاب القضاة

ويظهر من الرسالة الاولى ان رزق قاضي مصر كان عشرة دنانير في الشهر او نحو ستة جنيهات مصرية ولعلها كانت تعادل عشرين او ثلاثين جنيهاً بمعاملة هذه الايام لان قيمة

النقود على نسبة ما يشترى بها من الطعام والكساء او على نسبة اجرة العمال · و يظهر منها ايضاً ان رزق القاضي كان يعطاهُ مقدماً و يؤْخذ بهِ وصل منهُ

ثم ولي خير بن نعيم القضاء ثانية لمستهل رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائة فادخل اموال اليتامى بيت المال بكتاب ابي جعفر امير المؤْمنين وسجّل في كل مالٍ منها سجلاً بما يدخل منها وما يخرج

وسيأتي الكلام على بعض الفوائد الاخرى من كتاب القضاء وما يستنتج منها من ان قواعد القضاء الاسلامي لم تنشأ دفعةً واحدة بل نشأَت نشوءًا متدرجاً ككل امور البشر

ثم ولي القضاء غوث بن سليمان الحضرمي سنة خمس وثلاثين ومائة ولم يكن بالفقيه لكنهُ كان اعلم الناس بمعاني القضاء وسياستهِ فكان امرهُ من احسن شيء وكان يقضي بالشفعة اذا كان الباب والفناء واحداً · قال الليث وليس القضاء على ذلك · ولما خرج صالح بن علي الى الشام صحبهُ غوث الى فلسطين وكان خروجهُ في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين ومائة وعاد الى الفسطاط في النصف من جمادى الاولى سنة ثمان وثلاثين ومائة ولم يكن استخلف في هذه السفرة على القضاء آخر فعاد الى القضاء فوليها الى سنة اربعين ومائة · ثم ان صالح بن علي ولي على الصائفة فاخرج غوثاً معهُ الى الصائفة فاستخلف غوث يزيد بن عبد الله بن بلال الحضرمي · وكان يزيد يكتب القضايا باسم غوث ولم يثبت اسمهُ على شيء منها وكان والياً على اخميم فارسل اليهِ فاستقضي على مصر · وكان غوث اول من سأَل عن الشهود بمصر وكان الناس قبل ذلك يشهدون فمن عُرِف منهُ خيراً قبل ومَن عرف منهُ غير ذلك لم يقبل على ظاهر الامر حتى كثرت شهادة الزور وفشت في زمن غوث فسأَل عن الشهود في السر فمن عُدّل عندهُ قبلهُ · وهو اول من حكم في حبس مسكين وقسط السكنى على بنيهِ وامهات اولادهِ

وولي القضاء بعدهُ ابو خُزَيمة ابرهيم بن يزيد الرعيني الى ان مات في ذي القعدة سنة اربع وخمسين ومائة فكانت ولايتهُ عشر سنين · وولي القضاء بعدهُ عبد الله بن لهيعة مستهل سنة خمس وخمسين ومائة من قبل امير المؤْمنين ابي جعفر وهو اول قاضٍ ولي مصر من قبَل الخلفاء · قال المؤَلف ان وفد اهل مصر كانوا بالعراق وهم عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُدَيج وعيّاش بن عقبة بن كليب الحضرمي وغوث بن سليمان وهشام بن حميد وغيرهم فدخلوا على ابي جعفر المنصور يوماً فقال لهم اعظم الله اجركم في قاضيكم ابو خُزَيمة ثم التفت الى ربيع فقال انتخبنا لاهل مصر قاضياً · قال عبد الله بن عبد الرحمن بن حُدَيج ماذا

اردت بنا يا امير المؤمنين اردت تشهرنا في الامصار بان بلدنا ليس فيهِ من يصلح لقضائنا حتى تولي علينا من غيرنا . قال فسمّ رجلاً قال فذكر لهُ ابا معدان اليحصبي فقال انهُ لخيار ولكن بهِ صمم قال فعبد الله بن لهيعة قال فابن لهيعة . فولي القضاء وأُجري عليهِ ثلاثون ديناراً في كل شهر

وطلب الناس هلال شهر رمضان وابن لهيعة على القضاء فلم يرَ واتى رجلان فزعما انهما قد رأياهُ فبعث بهما الامير موسى بن عُليّ بن رباح الى ابن لهيعة فسألهُ عن عدالتهما فلم يُعرَفا واختلف الناس وشكُوا فلما كان في العام المقبل خرج عبد الله بن لهيعة في نفر من اهل المسجد تعرفوا بالصلاح فطلبوا الهلال فكانوا يطلبونهُ بالجيزة فهو اول القضاة حضر في طلب الهلال ثم تعدوا الجسر في زمن هاشم بن ابي بكر البكري . وطُلب الهلال في جنان بن ابي حبشي . قال ابو خيثمة ثم كانت القضاة على ذلك حتى كان ابن ابي الليث فطلبهُ في اصل المقطم . فوليها عبد الله بن لهيعة الى ان صرف عنها في ربيع الآخر سنة اربع وستين ومائة وليها عشر سنين

ثم ولي القضاء بها اسمعيل بن اليسع الكندي من قبل المهدي وكان اسمعيل كوفيًّا وهو اول من ولي قضاء مصر يقول بقول ابي حنيفة وكان مذهبهُ ابطال الاحباس فثقل على اهل مصر وشنئوهُ . وجاء الليث الى اسمعيل بن اليسع فجلس بين يديهِ فرفعهُ اسمعيل فقال انما جئت مخاصمًا لك قال في ماذا قال في ابطالك احباس المسلمين فقد حبس رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزُّبير فمن بقي بعد هؤلاء وقام وكتب الى المهدي فورد الكتاب بعزلهِ

وذكر المؤلف رواية اخرى في عزلهِ وهي ان اليسع كان رجلاً صالحاً وكان ابرهيم بن صالح بمصر اميراً ومسراج بن خالد على البريد فاراداهُ على الحكومة لهما بشيء فامتنع فاحتالا لهُ بعسَّامة بن عمرو فادخلهُ حمامهُ واطعمهُ سمكاً فمرض فكتب ابرهيم بن صالح ومسراج بن خالد الى المهدي يذكران انهُ فُلج فكتب بصرفهِ وردَّ الامر الى غوث. وورد الكتاب بولاية غوث (ثالثة) في جمادى الاولى سنة سبع وستين ومائة

ثم اورد المؤلف قصَّة عن غوث حرية بان تسطَّر في كل كتب القضاء وهي ان ام المهدي بنت يزيد الحميرية وقع بينها وبين زوجها الخليفة ابي جعفر المنصور خصومة فقالت لا ارضى الاَّ بحكم غوث ابن سليمان فحمل الى العراق حتى حكم بينهُ وبينها ورجع الى مصر وهذا ما نُقل عن غوث نفسهِ قال

بعث اليَّ امير المؤمنين ابو جعفر فحُملتُ اليهِ فقال لي : يا غوث انَّ صاحبتكم الحميرية خاصمتني اليك في شروطها · قلت : ايرضى امير المؤمنين ان يحكّمني عليهِ · قال : نعم · فقلت : انَّ الاحكام لها شروط أفيحتملها امير المؤمنين · قال نعم · قال يأمرها امير المؤمنين ان توكّل وكيلاً وتُشهد على وكالتهِ خادمين حرَّين يعدَّلها امير المؤمنين على نفسهِ · ففعل فوكّلت خادماً وبعثت معهُ كتاب صداقها وشهد الخادمان على وكالتها فقلت : قد تمت الوكالة فان رأى امير المؤمنين ان يساوي الخصم في مجلسهِ · قال : فانحطَّ عن فرشه وجلس مع الخصم ودفع اليَّ الوكيل كتاب الصداق فقرأتهُ عليهِ فقلت : يُقر امير المومنين بما فيهِ · قال : نعم · قلت : ارى في الكتاب شروطاً موكَّدةً بها تمَّ النكاح بينكما ارأيت يا امير المؤمنين لو خطبتَ اليهم ولم تشترط لهم هذا الشرط اكانوا يزوجونك · قال : لا · قال : قلتُ فبهذا الشرط تمَّ النكاح وانت احقُّ من وفى لها بشرطها · قال : علمت اذ اجلستني هذا المجلس انك ستحكم عليَّ · قال : قلت لهُ : اعظم جائزتي واطلق سبيلي · قال : بل جائزتك على من قضيتَ لهُ · ثم امر لي بخلعة وجائزة · ثم امر ابو جعفر باحتباس غوث ليحكم بين اهل الكوفة فقال لهُ غوث : يا امير المؤمنين ليس البلد بلدي ولا معرفة لي باهلها فاذا انا ناديت من لهُ حاجة بخصومة فلم يأتِ احد أتأذن لي يا امير المؤمنين في الرجوع الى بلدي · قال : نعم · فجلس غوث يحكم ثم نادى بعد ذلك فانقطعت عنهُ الخصوم وسار الى مصر · ووليها الى ان توفي بها في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين ومئة

ثم ولي القضاء المفضّل بن فضالة القتباني وكان اول القضاة طوّل السجلات ونسخ فيها كتب الوصايا والديون ولم يكن ذلك قبلهُ · وصُرف عن القضاء في شوّال سنة تسع وستين ومائة فكانت ولايتهُ سنة وثلاثة اشهر

وخلفهُ عليها ابو الطاهر عبد الملك بن محمد الحزمي الاعرج وكان مستضلعاً بمذاهب اهل المدينة حافظاً لها · وكان يتفقّد الاحباس بنفسهِ ثلاثة ايام في كل شهر يأمر برمتها واصلاحها وكنس ترابها ومعهُ طائفة من عمالهِ عليها فان رأى خللاً في شيء منها ضرب المتولي لها عشر جلدات · وشفع اليهِ الطائي صاحب البريد في خصمٍ فكتب اليهِ : ما انت والقضاء · عليك تدبُّر دوابّك وبراذعها وكنس زبولها · فكتب الى هرون يبغيهِ ويقول ان الناس قد شكوهُ · واتى كتاب هرون الى داوود بن يزيد بن حاتم وكان يومئذٍ والياً على مصر يأمرهُ ان يوقف الحزمي للناس فاقامهُ داوود فاثنى الناس عليهِ خيراً · فقال الحزميّ لداوود قد جاءتني فرجة فيها لباس العافية ممّا انا فيهِ ولست تصل رحمي بمثل اعفائي فلم يزل بهِ حتى اعفاهُ

اكبر المدرعات الحديثة

الدردنوط

تفرغ الدول البحرية جهدها الآن في التباري بانشاء المدرعات الكبيرة كانها اساس قوتها البحرية ومعلوم ان السبق في ذلك للانكليز لانهم احوج الامم الى هذه القوة لحماية مستعمراتهم الواسعة وتجارتهم الكبيرة فانشأوا سنة ١٩٠٥ بارجة ضخمة كبيرة المدافع سميكة الدرع اطلقوا عليها اسم دردنوط Dreadnought اي لا تخشى شيئاً وكان تفريغها ١٧٠٠٠ طن وسمك درعها ١١ بوصة وفيها ١٠ مدافع قطر فوهة كلٍ مدفع منها ١٢ بوصة وقوة آلاتها البخارية ٢٣٠٠٠ حصان واعظم سرعتها ٢١ ميلاً بحريًا في الساعة · ومزيتها على ما تقدمها من البوارج عظم سرعتها وكثرة مدافعها الكبيرة فان البوارج التي كانت قبلها كانت سرعتها اقل من عشرين ميلاً بحريًا وكان في الواحدة منها اربعة مدافع كبيرة فقط · وللحال جعلت الدول البحرية تجاري الانكليز في انشاء البوارج الكبيرة من هذا الطرز فصنع الانكليز انفسهم ثلاث بوارج من نوع الدردنوط بين سنة ١٩٠٥ و ١٩٠٦ وثلاثاً بين سنة ١٩٠٦ و ١٩٠٧ وثلاثاً بين سنة ١٩٠٧ و ١٩٠٨ واثنتين بين سنة ١٩٠٨ و ١٩٠٩ واثنتين بين سنة ١٩٠٩ و ١٩١٠ وصنعت لهم زيلندا الجديدة حينئذٍ بارجة من هذا النوع · وفي كلٍ من هذه البوارج ثمانية او عشرة من المدافع الكبيرة مما قطره ١٢ بوصة عدا ما فيها من المدافع الصغيرة · وسرعة ثلاث منها ٢٧ ميلاً بحريًا في الساعة · وصنع الالمان من سنة ١٩٠٧ الى سنة ١٩١١ احدى وعشرين بارجة من هذا النوع قطر فوهة مدافعها الكبيرة ١١ بوصة او ١٢ بوصة وتختلف سرعتها من ٢١ ميلاً بحريًا في الساعة الى ٢٨ ميلاً

وصنع الفرنسويون بارجتين فقط سنة ١٩١٠ وبارجتين اخريين سنة ١٩١١ وفي كلٍ منها ١٢ مدفعاً كبيراً قطر فوهته ١٢ بوصة و٣٢ مدفعاً صغيراً قطر فوهته خمس بوصات ونصف وسرعتها ٢١ ميلاً بحريًا او اكثر

وصنع الاميركيون ١٢ بارجة بين سنة ١٩٠٦ وسنة ١٩١٢ قطر فوهة المدفع من المدافع الكبيرة في ثمان منها ١٢ بوصة وفي الاربع الباقية ١٤ بوصة وسرعتها عشرون ميلاً الى ٢١

وصنع اليابانيون بارجتين مدافعها الكبيرة مما قطره ١٢ بوصة وسرعتها ٢٠ ميلاً وخمس بوارج مدافعها الكبيرة مما قطره ١٤ بوصة واربع منها سرعتها ٢٧ ميلاً بحريًا في الساعة

وقوة آلاتها البخارية ٨٦٠٠٠ حصان والخامسة لم تعرف سرعتها بعد

وصنع الايطاليون بين سنة ١٩٠٩ و١٩١٢ ست مدرعات من نوع الدردنوط سرعتها من ٢٣ ميلاً الى ٢٥ ومدافعها الكبيرة مما قطره ١٢ بوصة ومرادهم ان يصنعوا هذه السنة اربع مدرعات مدافعها الكبيرة مما قطره ١٥ بوصة وسرعتها ٢٥ ميلاً بحريًا وهذه المدافع الفائقة الحد في الكبر تقتضي بوارج أكبر واضخم من الدردنوط فسميت سبر دردنوط Super Dreadnaught اي فوق الدردنوط

وصنعت النمسا اربع بوارج من نوع الدردنوط سنة ١٩١٠ في كل منها ١٢ مدفعاً مما قطره ١٢ بوصة وسرعتها ٢٠ ميلاً بحريًا في الساعة

السبر دردنوط

وقد صنع الانكليز ٢١ بارجة من هذا النوع بين سنة ١٩٠٩ و١٩١٣ . المدافع الكبيرة في ١٦ بارجة منها مما قطره ١٣ بوصة ونصف وفي خمس مما قطره ١٥ بوصة . ومنها ما سرعته ٢١ ميلاً بحريًا في الساعة ومنها ما تبلغ سرعته ٢٨ ميلاً او ٣٠ ميلاً ويطلق عليه اسم الطراد لسرعته الفائقة اذ يراد به مطاردة العدو وادراكه والجاؤه الى القتال . وستتم هذه السنة خمس بوارج اخرى من هذا النوع

والمدفع الذي قطر فوهته ١٥ بوصة يطلق قنبلة ثقلها ١٩٥٠ رطلاً وثقل قنبلة المدفع الذي فوهته ١٤ بوصة ١٤٠٠ رطل

والبوارج التي من نوع السبر دردنوط كبيرة جدًّا فطول البارجة الانكليزية (الملكة اليصابات) ٦٥٠ قدماً وعرضها ٩٤ قدماً وسمك درعها ١٣ بوصة ونصف

اسطولا تركيا واليونان

وقد دخلت البلاد العثمانية وبلاد اليونان معترك الدول البحرية واستهدفتا للنفقات الطائلة فانهُ لما وضعت حرب البلقان اوزارها سعت حكومتا البلادين الى تعزيز قوتهما البحرية واستعانتا ببعض الخبيرين الاجانب لتنظيمها ثم اخذتا تتنافسان في انشاء البوارج والطرادات الحديثة وما يتبعها من السفن الصغيرة وتبحثان عن بوارج او طرادات مبنية اوكاد يتم بناؤها وتبذلان الاموال الطائلة لابتياعها لعلمهما ان الدولة التي يكون لها الاسطول الاكبر تكون لها السيادة في بحر ايجه مركز التجاذب والتدافع بينهما ويخشى منها على كيان الدولة الاخرى

الاسطول العثماني

وللدولة العلية الآن في دور الصنعة بانكلترا ثلاث بوارج من احدث البوارج في العالم

واكبرها واقواها وهي البارجة رشادية التي انزلت الى البحر في ٣ سبتمبر الماضي وتفريغها ٢٣ الف طن وسرعتها ٢١ ميلاً بحريًّا في الساعة وفيها ١٠ مدافع مما قطرهُ ١٣ بوصة ونصف والبارجة عثمان الاول وهي البارجة ريوجانيرو التي ابتاعتها الحكومة العثمانية من البرازيل وقد انزلت الى البحر في ٢٢ يناير من العام الماضي وتفريغها ٢٧٥٠٠ طن وسرعتها ٢٢ ميلاً بحريًّا في الساعة وفيها ١٤ مدفعاً مما قطرهُ ١٢ بوصة . وبارجة ثالثة وهي الفاتح اوصت الحكومة العثمانية محل فكرس بصنعها اخيراً . والبارجة الاولى يتم بناؤها وتسليمها الآن في بارو والثانية في الزويك وستسلمان الى الدولة العلية قبل آخر السنة الحاضرة

وقد اوصت الحكومة العثمانية محل ارمسترونغ وفكرس بصنع ست مدمرات وطرادين خفيفين (كشافين) يبنيان في نهر التين وتصنع آلاتهما وادواتهما في بارو . واوصت محل نورمان الفرنسوي بصنع اثنتي عشرة مدمرة يكون تفريغ كل منها ١٠٤٠ طنًّا وسرعتها ٣٢ ميلاً بحريًّا وسلاحها مؤلفاً من خمسة مدافع قطر فوهة المدفع منها ٤ بوصات وست انابيب طربيد قطر الانبوب منها ٢١ بوصة

هذا كل ما اوصت الحكومة العثمانية بصنعهِ او تمكنت من ابتياعهِ الى الآن . اما اسطولها الحالي فمؤلف من السفن الآتية وهي

خير الدين بربروس وطورغود ريس — وهما البارجتان اللتان ابتاعتهما الحكومة العثمانية من المانيا بعد الدستور وقد بنيتا في آن واحد وانزلتا الى البحر سنة ١٨٩١ . تفريغ كل منهما ٩٩٠١ طن وسرعتها ١٧ ميلاً بحريًّا وسلاحها مؤلف من ستة مدافع من التي قطر فوهتها ١١ بوصة و ٨ مدافع من التي قطرها ٤ بوصات وعشر البوصة و ٨ مدافع من التي قطرها ٣ بوصات واربعة اعشار البوصة

البارجة مسعودية — انزلت الى البحر سنة ١٨٧٤ واصلحت سنة ١٩٠٢ . تفريغها ٩١٢٠ طنًّا وسرعتها ١٧ ميلاً ونصف ميل بحري وسلاحها مؤلف من مدفعين من التي قطر فوهتها ٩ بوصات وعشر البوصة و ١٢ مدفعاً من التي قطرها ٦ بوصات

البارجة عصر توفيق — انزلت الى البحر سنة ١٨٨٦ . تفريغها ٤٦١٣ طنًّا وسرعتها ١٣ ميلاً بحريًّا وسلاحها مؤلف من مدفعين من التي قطر فوهتها ٩ بوصات وعشر البوصة و ٦ مدافع من التي قطرها ٦ بوصات

البارجة فتح بلند — انزلت الى البحر سنة ١٨٦٩ . تفريغها ٢٧٢ طنًّا وسرعتها ١٣

ميلاً بحريًّا وسلاحها مؤلف من اربعة مدافع من التي قطر فوهتها ٩ بوصات وبعض المدافع السريعة الانطلاق

حميدية ومجيدية — طرادان محميان انزلا الى البحر سنة ١٩٠٣ · تفريغ الاول منهما ٣٨٠٠ طن والثاني ٣٤٣٢ طنًّا وسرعة كل منهما ٢٢ ميلاً بحريًّا وعشر الميل وسلاحهُ مؤلف من مدفعين من التي قطر فوهتها ٦ بوصات و٨ مدافع من التي قطرها ٤ بوصات وسبعة اعشار البوصة

برقي سطوت وبيكي شوكت — مدفعيتان انزلتا الى البحر سنة ١٩٠٦ · تفريغ كل منهما ٧٤٠ طنًّا وسرعتها ٢٢ ميلاً بحريًّا وتسليحها مؤلف من مدفعين من التي قطر فوهتها ٤ بوصات وست انابيب طربيد من التي قطرها ٦ بوصات

جادي غياري ملت ومعاونتي ملت ومحبتي وطن ونجومي حميت — اربع مدمرات انزلت الى البحر سنة ١٩٠٩ · تفريغ كل منها ٦١٠ اطنان وسرعتها ٣٥ ميلاً بحريًّا وسلاحها مؤلف من مدفعين من التي قطر فوهتها ٣ بوصات واربعة اعشار البوصة ومدفعين آخرين من الطرز عينهِ

سمسون وبصره وتاسوس ويارحصار — اربع مدمرات انزلت الى البحر سنة ١٩٠٧—١٩٠٨ تفريغ كل منها ٢٨٠ طنًّا وسرعتها ٢٨ ميلاً بحريًّا وسلاحها مؤلف من انبوب طربيد من الذي قطرهُ ٩ بوصات و٦ انابيب من التي قطرها ٣ بوصات

وفي الاسطول العثماني غير ما تقدم اربع نسافات صغيرة تفريغ كل منها ١٦٧ طنًّا وسرعتها ٢٧ ميلاً بحريًّا واربع نسافات اصغر منها تفريغ كل منها ٩٧ طنًّا وسرعتها ٢٦ ميلاً · وقد انزلت هذه النسافات الثماني الى البحر سنة ١٩٠٦

الاسطول اليوناني

لحكومة اليونان الآن ثلاث بوارج او طرادات من طرز البوارج تبنى في اوربا وهي البارجة سلاميس التي اوصي ببنائها في دار صنعة فلكان بستتن بالمانيا في العام الماضي وتفريغها ١٩٥٠٠ وسرعتها ٢٣ ميلاً بحريًّا وفيها ٨ مدافع مما قطرهُ ١٤ بوصة · وبارجة ثانية اوصي ببنائها في دار الصنعة الفرنسوية في سان نزار ويقال انها ستكون من طرز البارجة لورين الفرنسوية التي تفريغها ٢٣٠٠٠ طن وسرعتها ٢١ ميلاً بحريًّا وفيها عشر مدافع مما قطرهُ ١٣ بوصة ونصف · وبارجة ثالثة ينتظر ان توصي ببنائها قريبًا في انكلترا

اما البارجتان اللتان ابتاعتها اليونان من الولايات المتحدة الاميركية فقد صنعتا سنة ١٩٠٤ وهما متماثلتان وتفريغ كلٍّ منهما ١٣٠٠٠ طن وسرعتها ١٧ ميلاً بحريًّا في الساعة وفيها اربع مدافع كبيرة قطر كل منها ١٢ بوصة وثمانية مدافع اصغر منها قليلاً قطر كل منها ٨ بوصات

ويشمل البيان البحري الذي اعتمدتهُ حكومة اليونان واجازهُ مجلس نوابها ايضاً اربعة طرادات سريعة . منها الطراد «في هنج» الذي كان يبنى لحكومة الصين في دار صنعة كمدن بالولايات المتحدة وابتاعتهُ منها وسمتهُ هلي ويقال انها اوصت بصنع الطراد الثاني منذ مدة قصيرة في بلاد الانكليز . اما الطرادان الآخران فلم توص بصنعها بعد . وهذه الطرادات من طرز الطراد «شتام» الانكليزي في بنائها وتسليحها وستكون سرعتها ٢٥ ميلاً بحريًّا في الساعة

ويشمل هذا البيان ايضاً ١٢ مدمرة منها اربع مدمرات اوصي بصنعها في المعامل الانكليزية وسرعة المدمرة منها ٣٥ ميلاً بحريًّا في الساعة والباقية لم يوصَ بها بعد . وست غواصات وعشر طيارات بحرية اوصي بصنع بعضها في فرنسا وانكلترا

اما اسطولها الحالي فيتألف من السفن الآتية وهي : —

افيروف — طراد مدرع انزل الى البحر سنة ١٩١٠ تفريغهُ ٩٩٥٦ طنًّا وسرعتهُ ٢٤ ميلاً بحريًّا في الساعة وهو مسلح باربعة مدافع من التي قطر فوهتها ٩ بوصات وعشر البوصة وثمانية مدافع من التي قطرها سبع بوصات ونصف بوصة

هيدرا وبسارا وسبتساي — ثلاث بوارج الاولى انزلت الى البحر سنة ١٨٨٩ والثانية سنة ١٨٩٠ والثالثة سنة ١٨٩٠ واصلحت في دار صنعة لاساين الفرنسوية بين سنة ١٨٩٧ وسنة ١٩٠٠ . تفريغ كل منها ٤٨٠٨ اطنان وسرعتها ١٦ ميلاً بحريًّا في الساعة وهي مسلحة بثلاثة مدافع من التي قطر فوهتها ١٠ بوصات ونصف بوصة وخمسة مدافع من التي قطرها ٥ بوصات وتسعة اعشار البوصة

ايتوس وليون وبردالوس وجاركس — اربع مدمرات انزلت الى البحر سنة ١٩١١ . تفريغ كل منها ٩٨٠ طنًّا وسرعتها ٣٢ ميلاً بحريًّا في الساعة وهي مسلحة باربعة انابيب طربيد من التي قطرها ٢١ بوصة واربعة مدافع من التي قطرها ٤ بوصات

تواكراتوسوا وثيالاً وسندوني ولونكي ونيكي واسبيس ودوكسا وفالوس — ثماني مدمرات

انزلت كلها الى البحر سنة ١٩٠٦ · تفريغ كل منها ٣٥٠ طنًّا وسرعتها ٣٠ ميلاً بحريًّا في الساعة وهي مسلحة بانبوبي طربيد قطر كل منهما ٢١ بوصة وانبوبين آخرين قطر كل منهما ١٢ بوصة واربعة انابيب من التي قطرها ٦ بوصات

كورفانوس ونياجينيا — مدمرتان انزلتا الى البحر سنة ١٩١٢ · تفريغ كل منهما ٧٥٠ طنًّا وسرعتها ٣٢ ميلاً ونصف ميل بحري في الساعة وهي مسلحة بانبوبي طربيدقطركل منهما ١٨ بوصة واربعة مدافع من التي قطرها ٣ بوصات واربعة اعشار البوصة

ست سفن طربيد لم تطلق عليها اسماء بعد — انزلت الى البحر في العام الماضي · تفريغ كل منها ١٢٥ طنًّا وسرعتها ٢٥ ميلاً بحريًّا في الساعة وهي مسلحة بانبوبي طربيد قطر كل منهما ٦ بوصات و ٣ انابيب اخرى اصغر منها

دلفن وزيفياس — غواصتان انزلتا الى البحر سنة ١٩١١ —١٩١٢ · تفريغ كل منهما ٤٠٠ طن وسرعتها ١٤ ميلاً بحريًّا في الساعة وهي مسلحة بخمسة انابيب طربيد

فجملة عدد السفن في الاسطول العثماني الحالي ٢٥ سفينة تفريغها كلها ٤٩٥٧٥ طنًّا يقابلها في الاسطول اليوناني ٢٦ سفينة (ما عدا البارجتين الاميركيتين اللتين ابتاعتها اليونان والطراد هلي) تفريغها كلها ٣٤٠٥٠ طنًّا ولكن معظم سفن الاسطول اليوناني احدث طرزاً وبناءً من سفن الاسطول العثماني كما يتضح من البيانات المذكورة آنفًا

اما الطراد « هلي » الجديد فمن الطرادات الصغيرة الخفيفة تفريغهُ نحو ٢٦٠٠ طن وسرعتهُ ٢٠ ميلاً بحريًّا في الساعة وهو مسلح بمدفعين من المدافع التي قطر فوهتها ٦ بوصات واربعة مدافع من التي قطرها ٤ بوصات وبعض المدافع الصغيرة

ثروة فرنسا ودين حكومتها

روى روتر في اوائل يوليو ان القرض الفرنسوي البالغ ٣٢ مليونًا من الجنيهات غطي اربعين مرة اي ان الفرنسويين الذين يرضون ان يستثمروا اموالهم بفائدة ٣½ في المئة وهم ليسوا الاَّ جانبًا من الامة عرضوا ان يدفعوا الفًا ومئتين وثمانين مليون جنيه واذا حول ذلك الى فرنكات كان المبلغ اثنين وثلاثين الف مليون فرنك

وغني عن البيان ان الحكومة الفرنسوية ستكتفي بالمبلغ الذي طلبتهُ وهو ٣٢ مليون جنيه ولكن في هذه الارقام عبرة عظيمة ودلالة واضحة على غنى الامة الفرنسوية وكثرة ما

تدخرهُ من الاموال مع كثرة ما لها من الديون الاجنبية وما اقرضتهُ من الاموال اخيراً لحكومات الشرق الادنى واخصها تركيا واليونان

وما بلغ الشعب الفرنسوي هذا الشأو البعيد والمنزلة المالية الرفيعة الاَّ بجد افرادهِ واجتهادهم ونشاطهم في اعمالهم ومحافظتهم على خلة الاقتصاد بحيث يدخر الواحد منهم شيئاً يتقي بهِ طوارق الحدثان ويستعين بهِ على غدر الزمان وقد عرف الشعب الفرنسوي بذلك واشتهر امرهُ

فهذه الاخلاق جعلت فرنسا سوق العالم المالية او بنكهُ الذي يلجأ اليهِ في ايام الضيق وساعات الحاجة والشدة

ولا يخفى ان الحكومة الفرنسوية مديونة لشعبها فالمال الذي اقترضتهُ منهُ بقي معظمهُ في فرنسا والفرنسويون يقبضون فوائدهُ وينفقونها في بلادهم او يستثمرونها في التجارة والصناعة والاعمال المالية بخلاف ما هو واقع في البلدان الشرقية فان ديون حكوماتها ومعظم ديون شعوبها للاجانب فارباح هذه الديون تؤْخذ من تلك البلدان وتنفق في اوربا

ولبيان ما على فرنسا من الديون لاهلها ننشر الجداول التالية منقولة من اوثق المصادر

كان دين حكومة فرنسا في اول سنة ١٩١٣ كما يأتي

نظارة المالية

	فرنك
الرنت بفائدة ٣ في المئة غير قابل للاستهلاك	٢١ ٩٢٢ ٢١٧ ٤٣٤
« « « قابل للاستهلاك	٣ ٣٨٨ ٣٤٥ ٠٠٠
دين الخزينة	٤٥٦ ٧٥٠ ٠٠٠
اقساط سكك الحديد	١ ١٧٢ ٥٢٠ ٤٤٨
الطرق ومباني التعليم	٢٤ ٦١٩ ٠٣٥
سندات خزينة لآجال قصيرة	٢١٤ ٣٠٠ ٠٠٠
لاسترداد امتيازات الترع	٣ ٨٥٥ ٨٠٣
اقساط رنت سنة ١٩٠١	٢٤٧ ٤٥١ ٠٧٨
اقساط « يوليو » ١٩٠٠	٥ ٧٨٤ ٨٨٢
المجموع	٢٧ ٤٣٥ ٨٤٣ ٦٨٠

نظارة المعارف

دين مباني التعليم	١٣٠٩٧٩٥٧

نظارة الاشغال العمومية

اقساط سنوية لسكك الحديد	٩٩٨٦١١٠٠٠
ديون اخرى على سكك الحديد	٣٠٠٨٢٠٣٠٠٠
شتى	٣٣٢٧٤٠٠
مجموع الدين العام	٣١٤٤٩٠٨٣٠٣٧
يضاف اليهِ الدين السائر	١٤٣٢٤١٢٨٠٠
المجموع العمومي فرنكات	٣٢٨٨١٤٩٥٨٣٧
« « جنيهات	١٣١٥٢٥٩٨٣٣

وهذا بيان الفوائد والاقساط التي تدفعها حكومة فرنسا عن دينها العام حسب ما هو وارد في ميزانية سنة ١٩١٤

	فرنك
الدين القنصليد	٦٥٥٨٣٢٢٧٦
عن استهلاك الدين القابل للاستهلاك وفوائدهِ	٣٢٠٩٥٣٨٦٥
الاقساط السنوية	٣٤١٥٣٨١٨٠
المجموع فرنكات	١٣١٨٣٢٤٣٢١
جنيهات	٥٢٧٣٢٩٧٢

اي ان الحكومة الفرنسوية مديونة بالف وثلاث مئة وخمسة عشر مليون جنيه تدفع عنها سنويًّا ٥٣ مليون جنيه لمال الاستهلاك والفائدة وهو مبلغ عظيم جدًّا يكاد يوازي ايرادات مملكة من الممالك الكبيرة ويربو على ايرادات الحكومة العثمانية والحكومة المصرية معًا

وقد حار نظار المالية في فرنسا في تدبير الطرق والاساليب لزيادة ايرادات الحكومة على كثرتها الآن سدًّا للنفقات الباهظة التي اقتضاها تعزيز الجيش والاسطول

وقد قدرت ايرادات الحكومة الفرنسوية في السنة المالية الحالية بمبلغ ٢١٤٩٤٠٧١٩ جنيهًا ومصروفاتها بمبلغ ٢١٤٩٣٣١٧٨ جنيهًا

افتئات المشرق على المقتطف

ودرس في الاخلاق

اذا كتب صاحب المشرق في المواضيع العلمية الطبيعية واخطأ فيها فهو معذور لان هذه المواضيع فوق طوره وقلما يسلم من الخطإ فيها من لم يدرسها الدرس المدقق · ولكنهُ اذا عُذر عن خطإ يرتكبهُ في موضوع كيماوي او فسيولوجي او بيولوجي فقلما يعذر اذا اخطأ في ما يعدُّ من تاريخ العلم كقوله في جزء يوليو من المشرق في مقالة موضوعها المقتطف والتوليد الذاتي « ان كل مساعي دارون وانصاره في اثبات التوليد الذاتي لم تجدهم نفعاً » فان دارون لم يسعَ هذا السعي مطلقاً ولا سعى انصارهُ في اثبات التوليد الذاتي بل سعوا في اثبات ضده كما هو معلوم من تجارب تندل وباستور التي شرحناها بالاسهاب في المقتطف منذ ٣٦ سنة · ولا يعذر ابداً اذا حرَّف الاقوال الصريحة ونسب الينا قولاً لم نقلهُ كقوله ان مجلَّة المقتطف متشبثة بهذا التعليم اي بالتولُّد الذاتي في عهدنا هذا بالعوامل الكيماوية · فاننا من حين ادعى باستيان وانصارهُ بالتولُّد الذاتي في الوقت الحاضر ونحن نقول انهم لم يؤيدوا دعواهم بالدليل · وها بعض ما كتبناهُ في هذا الصدد · قلنا في الصفحة ٢٥٨ من مقتطف مارس سنة ١٩٠٧ ما نصهُ

« كان القدماء يقولون بتولُّد الاحياء الواطئة كالديدان والضفادع من الطين مباشرة ولم يكن احد يقول انهم ملحدون او مخطئون · ثم وجد علماء الطبيعة منذ عهد غير بعيد ان تلك الاحياء انما تتولد من بيوض احياء مثلها فقالوا ان الحي لا يتولد الاَّ من حيٍّ مثلهِ فاتخذ علماء الاديان ذلك ذريعة الى تكفير من يقول بتولد الحي من غير الحي زاعمين ان القول بهذا التولد ينفي وجود الخالق ناسين ان اسلافهم من علماء الاديان كانوا يقولون بتولد الحي من غير الحي ولا يحسبون ذلك نافياً لوجود الخالق · ومهما يكن من ذلك فان بين علماء البيولوجيا عالماً مشهوراً اسمهُ الدكتور بستيان وهو من اكبر علماء الطب سنًّا واكثرهم بحثاً في هذا الموضوع وقد ادَّعى منذ عهد طويل ان الاحياء تولدت معهُ في سوائل لا اثر لبزور الاحياء فيها فافسد تندل وباستور وغيرهما من العلماء قولهُ بالامتحان واثبتوا ان تلك الاحياء انما تولدت من بزور دخلت الانابيب التي اجرى التجارب فيها مع الهواء · وقد اوضحنا ذلك منذ نحو ثلاثين سنة كما ترى في المجلد الثالث من المقتطف

« لكن الدكتور بستيان لم ينفك عن الامتحان والتجربة حاسباً ان الحيَّ تولَّد اولاً من غير

الحي وان ما امكن حدوثهُ منذ الوف من السنين يمكن ان يحدث الآن . ولهُ مقالات وكتب في هذا الموضوع . وقد خطب في اواخر شهر يناير الماضي في الجمعية الطبية الملكية بلاد الانكليز خطبة في هذا الموضوع اثبت فيها انهُ ولّد الحيَّ من غير الحي فاستحضر سائلاً فيهِ مقادير قليلة من سلكات الصودا وفصفات الامونيا وحامض فصفوريك مخفف بالماء المقطر . وسائلاً آخر فيهِ مذوب سلكات الصودا ومذوب برتترات الحديد ووضع السائلين في انابيب نظيفة من الزجاج وعرضها للنور المستطير حيث الحرارة ٦٠ درجة الى ٦٥ بميزان فارنهيت فتولَّدت فيها جراثيم حيَّة من نفسها وكانت هذه الاحياء تتولد فيها ايضاً اذا وضعت في مستفرخ مظلم درجة حرارتهِ ٩٥ بميزان فارنهيت

« وحذراً من دخول بزور الميكروبات الى السائل كان يضعهُ في الانابيب ويسدها سدًّا هرمسيًّا ثم يضعها في حمَّام من كلوريد الكلسيوم درجة حرارتهِ ٢٦٦ بميزان فارنهيت (١٣٠ سنتغراد) من عشر دقائق الى عشرين دقيقة فيرسب فيها راسب من السلكا وحدها او من السلكا والحديد . ثم يعرّض الانابيب للنور او يضعها في المستفرخ الذي حرارتهُ ٩٥ درجة من خمسة اسابيع الى اربعة اشهر فيتولد فيها جراثيم حيَّة توجد بين رواسب السلكا التي ترسب فيها . واذا كسر انبوب بعد احمائهِ وقبل ان يعرض للنور او يوضع في المستفرخ لم يوجد فيهِ شيءٌ من الجراثيم الحية على الاطلاق ولكن الانابيب التي تعرض للنور او لحرارة المستفرخ مدة طويلة توجد فيها الجراثيم الحيَّة بكثرة . وغنيٌّ عن البيان ان الميكروبات كلها تموت في حرارة الماء الغالي اي عند الدرجة ١٠٠ بميزان سنتغراد وبزور الميكروبات تموت عند الدرجة ١١٥ بميزان سنتغراد اذا عرضت لها دقيقة او دقيقتين فقط اما هذا السائل فعرض لحرارة ١٣٠ درجة سنتغراد من عشر دقائق الى عشرين دقيقة فلو كان فيهِ شيءٌ من الميكروبات او من بزورها لاماتتهُ الحرارة حتماً . وعند الدكتور بستيان ان هذه الاحياء تتولد في السائل كما تتولد البلورات في السوائل الملحية

« اما نحن فنظن ان بزور الميكروبات التي قاعدة بنائها الكربون تموت بالحرارة اذا بلغت الدرجة ١١٥ س واما بزور الميكروبات التي قاعدتها السلكا فلا تموت بهذه الحرارة ولا بما هو فوقها ولا تتولَّد الميكروبات منها الاَّ اذا عرضت للنور او للحرارة مدة طويلة وان المواد التي استعملها الدكتور بستيان كان فيها بزور ميكروبات قاعدتها السلكا فلم تمت بالحرارة التي استعملها ثم نمت بتعريضها للنور او للحرارة مدة طويلة . فان اصاب ظننا فتكون تجارب الدكتور بستيان الحديثة مثل تجاربهِ القديمة غير مثبتة لتولد الحيّ من غير الحي ولو كان

تولُّدهُ منهُ ليس مستحيلاً لذاته »

وبعد بضعة اشهر سألنا سائل من بيروت السؤال التالي قال قرأت في مجلَّة المشرق صفحة ١٠٥٥ ما يستفاد منهُ ان المقتطف شطَّ لما روى ان بعض العلماء كالدكتور بورك توصل الى تركيب جراثيم حيَّة من عناصر معدنية فهل ما رواهُ صحيح

فاجبناهُ « اننا نروي الاخبار العلميَّة كما تذكرها اشدُّ الجرائد العلميَّة تدقيقاً · وتولُّد الجراثيم الحيَّة من العناصر غير الحيَّة لم نروِ خبرهُ كامر ثبت بالامتحان ولم يبقَ فيهِ ريب · وقد نشرنا فصولاً كثيرة في هذا الموضوع كما ترون في المجلد الثلاثين والحادي والثلاثين من المقتطف · ومقالة المجلد الحادي والثلاثين مبنيَّة على تجارب الدكتور بورك بنوع خاص وهي في الصفحة ٦٥٧ وما بعدها طالعوها تجدوا فيها فوائد كثيرة وتجدوا اننا نقلنا ما ذكرهُ جلة العلماء الثقات بالاحتراس التام لا لان الاعتقاد بتولد الجسم الذي نسميهِ حيًّا من الجسم الذي نسميهِ جماداً مستحيل لذاتهِ بل لانهُ لم يثبت حتى الآن تولُّد الحي من الجماد بالامتحان · وآخر ما كتبناهُ في هذا الموضوع خبر مسهب في صدر باب الاخبار في الجزء الثالث من اجزاء هذه السنة حيث انتقدنا تجارب العلامة الدكتور بستيان بناءً على ان بزور الميكروبات التي قاعدة بنائها الكربون تموت بالحرارة اذا بلغت الدرجة ١١٥ س واما بزور الميكروبات التي قاعدتها السلكا فلا تموت بهذه الحرارة ولا بما هو فوقها ولا تتولَّد الميكروبات منها الاَّ اذا عرضت للنور او للحرارة مدة طويلة · الى ان قلنا « ان تجاربهُ الحديثة مثل تجاربهِ القديمة غير مثبتة لتولُّد الحي من غير الحي ولو كان تولُّدهُ منهُ غير مستحيل لذاتهِ » · واذا نظر الى المسألة من وجه ديني فلا يتعذَّر على الله ان يجعل الحي يتولَّد من الجماد كما لا يتعذَّر عليهِ ان يجعل الحي يتولَّد من الحي»

وكتبنا في مقتطف اغسطس سنة ١٩١٢ ما نصهُ

« يتذكر قراء المقتطف الجدال الذي قام بين العلماء في اصل الحياة والتولد الذاتي اي تولد الحي من غير الحي وكيف ثبت بالامتحان ان الاحياء التي ادَّعى بعض العلماء انها تولَّدت تولُّداً من مواد غير حية انما تولدت من بزور احياء مثلها وعليهِ حكموا ان الحي لا يتولد الاَّ من بيضة او من حي مثلهِ · لكن بقي من اولئك العلماء الذين خاضوا حومة الجدال عالم انكليزي اسمهُ باستيان يعتقد بالتولُّد الذاتي وهو استاذ الطب النظري والعملي في مدرسة لندن الجامعة ولهُ مؤلفات كثيرة بعضها طبي في الامراض العقلية والجهاز العصبي وبعضها في المواضيع البيولوجية وقد ذهب فيها الى تولد الاحياء تولداً ذاتيًّا من مواد غير حية مثل كتاب اصل الاحياء الدنيا ومبادئ الحياة واصل الحياة وتولدها واصل المادة الحية وحقيقتها

ونشوء الحياة بناها كلها على تجارب بهِ الكثيرة التي استدلَّ منها على ان بعض الاحياء يتولَّد لذاتهِ من مواد ليس فيها بزور اجسام حية ولا جراثيمها . وقد نشر الآن رسالة موضوعها اصل الحياة وصف فيها التجارب التي جرَّبها حديثًا فظهر لهُ منها ان بعض الاحياء تولد في سوائل ملحية بعد اغلائها ووضعها في انابيب من الزجاج وسدّها سدًّا هرمسيًّا اي لحم فتحاتها بالنار

« واذا نظرنا الى الاحياء نظرًا فلسفيًّا استحال علينا ان ننفي تولُّد الحي من غير الحي ولو لم نتمكن من رؤْية الاحياء تتولَّد من مواد غير حية لان هذا التولد ليس ممتنعًا لذاتهِ ولكن ان كنا قد عجزنا عن توليد الحي من غير الحي ولم نرَ حيًّا يتولَّد من غير حي وكل ما ظاهرهُ ان حيًّا تولد من غير حي ثبت بالامتحان انهُ تولد من بزور حي مثلهِ ترجح لنا ان الحي لا يتولد من غير الحي في احوالنا الحاضرة ويبقى هذا الحكم مرعيًّا الى ان تكرر تجارب باستيان مرارًا كثيرة وتبقى نتيجتها واحدة او تعاد على اسلوب كبير حتى يتكون بها مقدار كبير من الاحياء التي ادَّعى تولدها ولا يبقى محل للظن ان جراثيم تلك الاحياء والمواد التي تغتذي بها كانت موجودة في السوائل التي استعملها ولو بمقدار طفيف جدًّا »

فكيف يكون المقتطف متشبثًا بالتولد الذاتي في عهدنا هذا كما يدعي المشرق مع قولنا الصريح انهُ « ان كنا قد عجزنا عن توليد الحي من غير الحي ولم نرَ حيًّا يتولَّد من غير حي وكل ما ظاهرهُ ان حيًّا تولد من غير حي ثبت بالامتحان انهُ تولَّد من بزور حي مثلهِ ترجح لنا ان الحي لا يتولد من غير الحي في احوالنا الحاضرة » الخ . ولم نكتفِ بهذا القول بل خالفنا صديقنا الدكتور باستيان واعترضنا عليهِ وقلنا ان تجاربهُ لا تكفي للاقناع وعللنا الاحياء التي ظهرت معهُ بانها من بزور قاعدتها السلكا وهو تعليل لم نسبق اليهِ في ما نعلم . وبعد ذلك نشر الدكتور باستيان وصف تجارب حديثة اطلع العلماء عليها فترتب علينا من باب الانصاف وخدمة العلم ان نذكر تجاربهُ هذه فاشرنا اليها اولاً في مقتطف فبراير الماضي حيث قلنا

« يراد بالتولُّد الذاتي ان ينشأ من المواد الغير الحية جسمٌ حيٌّ حيوانًا كان او نباتًا . ولا يخفى ان الاحياء تولدت اولاً من اجسام غير حيَّة وكان المظنون ان الاحياء الدنيا وبعض الاحياء العليا لا تزال تتولد كذلك . ثم ظهر بالاستقراء ان الحي لا يتولَّد الآن الاَّ من حيّ مثلهِ فالنبات يتولد من النبات والحيوان من الحيوان كل نوع من نوعهِ . ولكن بعض العلماء وفي مقدمتهم الدكتور باستيان المشهور يقولون ان توليد الحي من غير الحي ممكن الآن وادَّعى الدكتور باستيان ان ذلك وقع لهُ فعلاً اي انهُ جمع مواد ليس فيها اثر للاحياء ولا لبزورها ودبَّر كل التدابير الممكنة لمنع وصول الاحياء اليها فتولَّدت فيها اجسام حيَّة متحركة مثل

الاجسام الحيَّة تماماً · وقد كتب الدكتور هيولت الآن الى جريدة ناتشر يقول انهُ اعاد التجارب التي جرَّبها الدكتور باستيان فوجد انها مانعة لدخول الاحياء وبزورها من الخارج وان ما تولَّد من تجارب باستيان هو اجسام آلية مماثلة للاجسام الحية تماماً وبعضها متحرك ايضاً · ونقل ما قالهُ الدكتور باستيان في ذلك في جريدة نانشر»

ثم ترجمنا مقالة نانشر في مقتطف مارس · نعم انهُ جاءت في آخرها هذه العبارة وهي « فاذا كانت المادة الحية نشأت من المادة غير الحية في الماضي بفعل العوامل الطبيعية فهذا دليل على انها تبقى تنشأُ اليوم ايضاً بفعل العوامل الطبيعية وتجاربنا تؤيد ذلك» فهذه العبارة لباستيان نفسهِ لا للمقتطف ولا يعقل ان صاحب المشرق يفهم منها نفي الخالق لانها بمثابة قولنا انبتت الارض نباتها واخرجت الاشجار اثمارها وولد ابرهيم اسحق ونصَّر اليسوعيون مئة الف من هنود اميركا فان هذه الاقوال التي يقولها اليسوعيون كما يقولها غيرهم لا تنفي العلة الاولى · والعلماء الطبيعيون لا يبحثون الاَّ عن العلل الثانوية التي يسمونها عللاً طبيعية وهذا يعلمهُ الاب شيخو كما يعلمهُ كل احد

اذا كان الامر كما تقدَّم اي اذا كنا قد قلنا دائماً ان التولد الذاتي الآن لم يثبت ثبوتاً ينفي كل ريب بل عدم ثبوتهِ ارجح من ثبوتهِ وان كنا نقول دائماً كما قال الاب شيخو الآن في حاشية مقالتهِ المشار اليها آنفاً وهو « ولا حاجة الى تنبيه القراء على ثبوت حقيقة وجود الخالق حتى ولو صحَّ المذهب الداروني لان التولد الذاتي اذا حدث انما يحدث بقوة الخالق علة كل المعلولات » ونزيد عليهِ ان القوى الطبيعية التي تدير الكواكب في افلاكها وتنمي النباتات من بزورها وتهدي الحيوانات في مسارحها انما هي مما اودعهُ الخالق القدير في المادة · فعلى مَ نرى من المشرق هذا الافتئات على المقتطف

اننا كنا من المعجبين بالمقالات التاريخية التي ينشرها المشرق من وقت الى آخر لما فيها من دلائل البحث والتحقيق عدا ما فيها من الكشف عن امور تاريخية نود الوقوف على حقيقتها · وقد ادعى غير واحد ان صاحب المشرق يقلب الحقائق التاريخية ويحرفها حتى توافق اهواءهُ فلم نحفل بدعواهم اما الآن فصرنا نخاف ان تكون دعواهم صحيحة · وقد لا يفعل صاحب المشرق ذلك عن قصد سيءٍ بل قد لا يشعر بما يفعلهُ من التحريف والتبديل لانهُ مدفوع اليهِ بعامل نفسي هو نصرة ما يعدهُ فرضاً عليهِ سواءٌ كانت نصرتهُ بالحق او بالباطل · ومما يرجح لنا ذلك افتئاتهُ المتواصل على المقتطف وبخسهُ حقهُ ونسبتهُ الى غيره · والى القراء الكرام قصة توضح ذلك

كتبنا في مقتطف مارس سنة ١٩١١ مقالة موضوعها واضعو علم النحو استدللنا فيها على

ان يوحنا الغراماطيقي هو غير يوحنا النحوي وان يوحنا النحوي هذا هو يوحنا المؤرخ اسقف نخو او نقيوس بلدة في مصر فخلط العرب بينهُ وبين يوحنا الغراماطيقي فاوهمهم هذا الخلط ان كلمة نحو مرادفة لكلمة غراماطيق فسموا علم قواعد العربية نحواً . ولما اطلع بعض المستشرقين على هذا التعليل والتفسير اعجبوا بهِ وكتب الينا صديقنا الاستاذ مرغوليوث يطلب منا ان نتحقق من عارفي اللغة القبطية كيف كان اسم مدينة نقيوس يكتب بالقبطية فسألنا اصدقاءنا الاقباط عن رجل عارف باللغة القبطية وآدابها فهدونا الى حضرة جرجس افندي فيلوتاووس من سكان طنطا فكتبنا اليهِ نسألهُ عمَّا جاء في الكتب القبطية عن كلمة نقيوس ونخو الخ فاجابنا برسالة نشرناها في باب المراسلة في مقتطف يونيو سنة ١٩١١ بدأها بقولهِ « قرأت ما جاء في المقتطف الاغر وما جاء في كتاب حضرتكم عن نخاوس ونخو ونقيوس وقد طلبتم ان اخبركم عما اذا كنت رأيت اسم نيقيوس مكتوباً بالخاء » الخ

وواضح من رسالتهِ هذه ان القول بان يوحنا الغراماطيقي هو غير يوحنا النحوي ليس لهُ بل هو لنا وانهُ انما اجابنا عن سؤال سألناهُ اياهُ بعد ما نشرنا مقالتنا بمدة طويلة والغرض منهُ كيف كان اسم مدينة نقيوس يكتب بالقبطية وواضح ايضاً من مقالتنا اننا نحن الذين قلنا وحققنا ان يوحنا الغراماطيقي هو غير يوحنا النحوي سواء اصبنا في قولنا وتحقيقنا او اخطأنا ومع ذلك اشار المشرق بعد ذلك الى هذا التحقيق في بعض اعدادهِ ونسبهُ الى جرجس افندي فيلوتاووس لا الينا ولو اعتقد انهُ خطأ لنسبهُ الينا وان كان القائل بهِ رجلاً من الصين . ايحتمل ان الغرض يعمي ويصم الى هذا الحد .

والمشرق يعامل كل علماء الانكليز وكل ما هو غير كاثوليكي هذه المعاملة . اذا حسب ان الامر سيئة نسبهُ اليهم صراحة كقوله في مقالتهِ المشار اليها آنفاً باستيان الانكليزي واذا حسب انهُ حسنة اغفل اسمهم ونسبهُ الى غيرهم كاغفالهِ اسم تندل في تجارب التولد الذاتي مع انهُ جرَّب اكثر من كل العلماء الذين جربوا لكي ينفي التولد الذاتي وصعد الى اعالي جبال الالب لهذه الغاية . افيحتمل ايضاً ان يكون كل ما كتبهُ المشرق على « النصرانية وآدابها في عرب الجاهلية » من هذا القبيل مملوءا بالتحريف والتبديل . ايحتمل ان كل ما كتبهُ في المواضيع الشرقية التي لها علاقة بالديانة المسيحية محرَّفاً ومبدَّلاً حتى يوافق غرضه

نسأل الله ان يقينا من الاستسلام للاهواء وان يعصم اقلامنا من الزلل ويري صاحب المشرق ان ضرر الشيء ممن ينصرهُ لا بطريقهِ اكثر من ضررهِ ممَّن يطعن فيهِ بطريقهِ كما قال الامام الغزالي

الارشيدوق فرنز فردينند

ولي عهد النمسا

بيت هبسبرغ في النمسا اعرق البيوت الاوربية في الملك لا يدانيهم في ذلك الاَّ آل عثمان. نشأ اول كونت منهم في القرن الحادي عشر للميلاد وتوج واحد منهم امبراطوراً على المانيا في القرن الثالث عشر وكبيرهم اليوم الامبراطور فرنسيس يوسف امبراطور النمسا كان لهُ ابن وحيد توفي سنة ١٨٨٩ فآلت ولاية العهد بموتهِ الى ابن عمهِ الارشيدوق فرنز فردينند صاحب الترجمة

والارشيدوق فرنز فردينند هو نجل الارشيدوق كارل لدوج اكبر اشقاء الامبراطور والبرنسس انتسياتا ابنة فردينندو الثاني آخر ملوك نابولي . ولد في ١٨ دسمبر سنة ١٨٦٣ فعمرهُ في يوم مصرعهِ ٥١ سنة. ظلَّ مجهولاً لا شهرة لهُ منذ نودي بهِ وليًّا للعهد حتى سنة ١٩٠٠ اذ تزوج بالكونتس صوفيا شوتك شتكوى وفوجنن زواجاً شرعيًّا (غير رسمي) لانها لم تكن من بيت مالك ولا من اكفاء ولي العهد بحسب سنة بيت الملك النمسوي فاستاء الامبراطور من ذلك وقام ساسة النمسا وقعدوا واختلف متشرعو البلاد في هذا الزواج ولهجت الصحف بهِ وتناقلتهُ الالسن فصار حديث الناس في انديتهم وسمرهم واشتهر اسم ولي العهد من ذلك الحين . ولكن زواجهُ هذا حرم اولادهُ ونسلهم من بعدهِ من كل حق بالملك وقد تنازل عن هذا الحق في حضرة الامبراطور ووزرائهِ وحاشية بلاطهِ وعاهد عمهُ وبلادهُ على ذلك

وظلت قرينتهُ مقصاة عن البلاط لا يسمح لها بحضور الحفلات الرسمية حتى انعم عليها الامبراطور بلقب دوقة هوهنبرغ ثم بلقب صاحبة السمو فصارت «صاحبة السمو دوقة هوهنبرج» وباتت تعد من طبقة الاميرات لها ما لهنَّ من الحقوق فتحضر الحفلات الرسمية وتصحب زوجها الى البلاط الى غير ذلك مما يطلب من نساء اولياء العهد عملهُ في هذه الايام. وقد زارت انكلترا معهُ في اواخر دسمبر الماضي وحضرت الولائم والحفلات التي اعدها جلالة الملك جورج الخامس اكراماً لها . ولهُ منها ثلاثة اولاد وهم البرنسس صوفي عمرها ١٢ سنة والبرنس مكسمليان شارل عمرهُ ١١ سنة والبرنس ارنست عمرهُ ٩ سنوات

وكان لهُ شأن كبير في سياسة بلادهِ ولاسيما في الشؤُون البحرية والحربية فهو موجد



امبراطور النمسا والمجر



الارشيدوق فرنز فردينند

بحرية النمسا الحديثة وقد حذا في ذلك حذو صديقهِ الحميم امبراطور المانيا وادرك مثلهُ انهُ لا يتسنى لبلادهِ ان تتبسَّط الاَّ باساطيلها وبوارجها · وقد بنت النمسا بمساعيهِ بارجتين من طرز الدردنوط و١١ من البوارج والطرادات من طرز سابق لطرز الدردنوط وهي تبني الآن بارجة من طرز سوبر دردنوط وستشرع في بناء اربع بوارج اخرى من هذا الطرز في العام القادم

وكان الآمر الناهي في الجيش وصاحب الكلمة المطلقة فيهِ · انشأ في النمسا حزباً عسكرياً غرضهُ على ما يقال حل المحالفة الثلاثية باعلان الحرب على ايطاليا وابدالها بمحالفة سواها بين النمسا والمانيا وروسيا وخط لذلك خطة حربية استنفد وسعهُ في تنفيذها فنقل الايات عديدة من جهات متفرقة في النمسا وحشدها على حدود ايطاليا في حين اشتد فيهِ البرد ولم يكن للجنود ثكنات يأوون اليها فاضطروا الى النوم في اكواخ زربية أقيمت لهم موقتاً · ولما تعاظمت الحال وثارت ريب حكومة رومية من ذلك واحتجت وزارة خارجيتها الى الكونت درانتال عرض الكونت الامر على الامبراطور واعترض على اعمال ولي العهد لانها تزعزع اركان السلم · والظاهر ان الامبراطور لم يكن عالماً بما جرى فلما بلغهُ الخبر اضطرب اضطراباً شديداً واستدعى ولي العهد اليهِ وناقشهُ الحساب فدافع هذا عن سياستهِ ودفع اليهِ تقارير كثيرة تتعلق بقوات ايطاليا وتسلحها وما قررتهُ من الزيادة فيها ولكن ذلك لم يجدهِ نفعاً لان الامبراطور يرغب في السلم ويؤيدهُ بكل قواهُ · فلما رأى ولي العهد منهُ ذلك اسرع الى برلين واختلى بصديقهِ الامبراطور ولهلم واسر اليهِ الامر وكلفهُ ان يشد ازرهُ عند عمهِ ولكن الامبراطور ولهلم كان قد بلغهُ من دوق هولشتين وشلزوج خبر حشد الجنود النمسوية على حدود ايطاليا فقابل ما اسرَّهُ اليهِ ولي العهد ببرود وفتور ونصحهُ ان ينصاع لاوامر عمهِ ويعمل بسياسة الكونت دارنتال

وطلب الكونت دارنتال من الامبراطور ان يعزل الجنرال البارون فون كونارد رئيس اركان الحرب ويد ولي العهد العاملة فاجابهُ الامبراطور الى طلبهِ وحاول ولي العهد ان يبقي البارون في منصبهِ فلم يفلح ولكنهُ تمكن بعد عناء كثير من الاحتفاظ بشيءٍ من سياستهِ الحربية وعينهُ الامبراطور مفتشاً عامًّا للجيش النمسوي في ١٨ اغسطس الماضي

ولم يقصر الارشيدوق همهُ على البحرية والجيش بل كان يساعد عمهُ ووزراءهُ في ادارة الشؤون الداخلية والخارجية فيحضر مجالسهم ويبحث معهم في كل ما يعلي منار بلادهِ ويرفع شأنها · وقد كان في مقدمة القائلين بضم البوسنه والهرسك الى النمسا سنة ١٩٠٨ واكثر

المؤيدين لسياسة خصمهِ السياسي الكونت دارنتال من هذا القبيل . واهتم بحرب البلقان اهتماماً شديداً وكان يرقب مجراها بعين نقادة وكثيراً ما كان يشير في اثنائها باتباع هذه السياسة واطراح تلك وخطأً في كثير من المواضع الكونت برخنولد وقد كان بودهِ لو تقتحم بلادهُ غمار الحرب لشد ازر الدولة العلية على التحالف البلقاني ولكن عمهُ والكونت برخنولد قاوماهُ في ذلك وفازا عليهِ . وقد قامت بعض صحف النمسا تخطئ سياسة حكومتها في البلقان وترميها بالعجز والتقصير وجواز حيلة فرنسا وروسيا عليها في ردعها عن الدخول فيها مع ان مصلحة بلادها وسلامتها من الخطر السلافي المقبل كانتا تقضيان عليها بالدخول فيها

وهو جندي باسل مولع بالصيد عالي الهمة يقدم مصلحة بلادهِ على مصلحتهِ الخاصة ولكن اهل بلادهِ لم يكونوا مجمعين كلهم على حبهِ ولاسيما اهل المجر بالضد من الامبراطور الذي يحبونهُ ويحترمونهُ الى حد يقرب من العبادة . واهل النمسا والمجر عناصر شتى يختلف بعضها عن بعض في اللغة والعادات والمطامع ولذلك يصعب ارضاؤهم جميعاً

ويظهر ان السربيين كانوا يعدونهُ عائقاً كبيراً في سبيل ما يرمون اليهِ من تأليف مملكة سربية كبيرة تضم تحت لوائها جميع الذين ينتمون الى العنصر السربي ومنهم جانب كبير في النمسا والمجر

وفي اواخر شهر يونيو الماضي اتى هو وقرينتهُ الى البوسنه حيث ناب عن عمهِ الامبراطور في شهود المناورات العسكرية التي أُقيمت هناك ثم رأى ان يزور مدينة بوسنه سراي عاصمة تلك المقاطعة ولما كان ذوو الشأن يزينون المدينة استعداداً لاستقبالهِ عمد كثير من السربيين الى نشر الاعلام السربية وعانى اولو الامر صعوبات جمة في انزالها وردعهم عن ذلك وفيما هو سائر في اوتوموبيلهِ الى دار البلدية فيها قذفت عليهِ قنبلة فرآها مقبلة عليهِ فتلقاها بيمناهُ فسقطت الى الارض وانفجرت بعد ان كان اوتوموبيلهُ قد ابعد عنها فجرحت جماعة منهم الكولونل مورتزي ياورهُ

ثم واصل الارشيدوق سيرهُ الى دار البلدية وعاد منها الى المستشفى ليعود ياورهُ وفيما هو في الطريق اطلق عليهِ سربي رصاص مسدسهِ فاصاب الارشيدوقة في بطنها والارشيدوق في عنقهِ فتوفي هو على اثر اصابتهِ بربع ساعة ولحقت هي بهِ بعد ذلك بقليل فهال مصرعهما كل من بلغهُ خبرهُ ممن يكرهون الاعتداء على حياة الانسان كما هال ملوك الارض وامراءها وعظماءها . وقد يرى الناس في مستقبل الايام ان آثار الاستبداد الماضي لا تزول الاّ بهذه الوسائل العدائية ولكن نحن عائشون في الحاضر لا في المستقبل وقد انالتنا الوسائل السلمية من الحقوق ما يعجز عنهُ العداء والاغتيال فمن الحماقة والتهور الالتجاء اليهما

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النباتات الاهلية وفوائدها الطبية

الحنظل A. Colocynth, F. Coloquinte, L. Citrullus Colocynthis نبات من الفصيلة اليقطينية يثمر بطيخة مستديرة بحجم البرتقانة بيضاء من الداخل ومغلفة من الظاهر باوراق حرشفية محمرة وهو شديد المرورة وافضل انواعهِ ما ينبت في حلب ويستعمل منهُ لب البطيخة وهو مسهل طارد حتى بالجرعات الصغيرة لان ٥٠ سنتكراماً من مسحوقهِ تسهل اسهالاً قويًّا ويحدث اسهالاً بمذوب من خلاصتهِ واذا اخذ بجرعة اكبر فعل فعل السموم الحريفة · واشهر استحضاراتهِ الخلاصة وجرعتها من ١٠ — ٢٠ سنتكراماً ممزوجة بسنتكرام او اثنين من الافيون لمنع المغص الشديد الذي يحصل منهُ · والدجالون في سورية يستعملون تحاميل منهُ ضد البواسير بقصد اماتتها بفعل العقار الكاوي فيحصل منها الم شديد لا يطاق اسهل منهُ الكي بالنار

الحنَّاء A. Henna, F. Henné, L. Lawsonia Inermis نبات من الفصيلة الحنائية ومنها شجرة الحناء ذات الخشب الصلب التي يعتنى بزرعها في مصر وسورية والبلاد العربية واكثر فائدتها للخضاب فيجفف ورقها ويسحق ويعمل منهُ معجون يخضب بهِ الشعر والاظافر وقد تهرس الاوراق الطرية وتضمد بها القروح والجروح تسهيلاً لالتحامها والتئامها ولزهرها رائحة قوية ويستخرج منهُ عطر

الحور A. Poplar, F. Peuplier, L. Populus Nigro شجر من الفصيلة الصفصافية ينمو في جهات كثيرة من سورية ويبلغ علوهُ عشرين متراً تحتوي براعمهُ على مادة راتينجية قوية الرائحة هي قاعدة مرهم الحور وتعطى نقيعاً من الباطن بنسبة ٨ — ١٦ جزءا في ٥٠٠ جزء ماء او خمراً في الامراض الرئوية المزمنة · ومغلي قشر الشجر يعطى في الحمى المتقطعة ويقوم احياناً مقام الكينا

الخبازي A. Mallow, F. Mauve, L. Malva نوع اعشاب من الفصيلة الخبازية ملطفة نافعة يستعمل ورقها ضماداً ملطفاً ومليناً في الالتهابات الخارجية ويستعمل زهرها نقيعاً في الزكام الرئوي وهو احد الازهار الاربعة الصدرية . ويستعمل الكيماويون نقيع الزهر بالكحول كاشفاً كيماوياً للتمييز بين الحامض والقلوي لانهُ يحمرُّ اذا لامس سيّالاً حامضاً ويزرق اذا لامس سيالاً قلوياً

الخس A. Lettuce, F. Laitue, L. Lactuca. من الفصيلة المركبة وهو صحي نافع مسهل الهضم ومبرد يستقطر من ورقهِ ماء ويحضر من اضلاعهِ بعد ان يبلغ حدهُ من النمو العقار المعروف بالترياق وتحضيرهُ يشبه تحضير الافيون من الخشخاش لان ضلع الخس البالغ النمو اذا قطع سال منهُ عصير ابيض يجتمع على الضلع ويتحول لونهُ الى اسمر ويكتسب رائحة ملعية اشبه برائحة الافيون . وهو من المسكنات اللطيفة يعطى لتسكين الآلام العصبية واليهِ ينسب فعل الخس المسكن . ويجدر باصحاب النيوراستنيا والمصابين بالارق ان يأكلوا خساً قبل النوم فيخفف التنبه العصبي ويزيل الأرق المزعج بدون ان يكون لهُ ما للافيون او الخشخاش من العواقب السيئة

الخراساني A. Worm seed, F. Semen Contra, L. Artemesia Contra. زهر نبات من الفصيلة المركبة يرد في التجارة من حلب واسكندرية يستخرج منهُ السنتونين المشهور استعمالهُ ضد الدود المعروف بالاسكروس المبروم وعند العامة بالدود ذي الراسين او الثعابين . يعطى مسحوقهُ بجرعة ٢ — ٤ كرام مجبولة بالعسل او السكر والسنتونين بجرعة ٢ — ١٠ سنتكرام بحسب العمر وللبالغين بجرعة ٢٥ سنتكرام

الخربق A. Hellebore, F. Ellebore, L. Helleborus نباتات من الفصيلة الشقيقية اشهرها استعمالاً الخربق الاسود يستعمل جذرهُ مبولاً وهو من مدرات البول الشديدة الفعل وجرعة مسحوقهِ من ٥٠ سنتكراماً الى ١٫٢٠ والخلاصة من ٠٫٦٠ — ٠٫٧٥ ونسب اليهِ القدماء خاصة شفاء الجنون ويجب ان لا يؤخذ الاَّ بمشورة الطبيب

الخردل A. Mustard, F. Moutarde, L. Sinapis Nigra عشبة من الفصيلة الصليبية بزورها صغيرة مستديرة حمراء مسودة تحتوي على زيت ثابت وآخر طيار حريف كاو . يستعمل مسحوقها بهاراً وفي العلاج لصقة محمرة للجلد . وفي التجارة نوعان من مسحوق الخردل احدهما اسمر والثاني اصفر اضعف فعلاً من الاسمر فلا يستعمل علاجاً الاَّ ان

المسحوق الاصفر الانكليزي شديد الفعل لانهُ يحضر من الخردل الاسود وتزال المادة السوداء منهُ بتكرار نخله بالمناخل الدقيقة

ومسحوق الخردل الابيض مقيّئ عديم الضرر يؤْخذ منهُ ملعقة او ملعقتان كبيرتان (١٥ — ٣٠ كرام) قبل الطعام او مساء قبل النوم فتحدث قيئاً من غير تعب يعقبهُ تنبهُ القابلية ويمكن الاستمرار عليهِ شهراً او ستة اسابيع بدون محذور

ويضاف مسحوق الخردل الى حمام الرجلين للتحويل والتعريق واما زيتهُ فيؤْخذ من الداخل بجرعة خمس نقط منبهاً للمعدة ويستعمل من الخارج محمراً

الخروب A. Carob, F. Caroub, L. Ceratonia Siliqua ثمر شجرة من الفصيلة القرنية تنمو في الشرق وجنوب اوربا طعمهُ حلو وفائدتهُ كفائدة العناب

الخشخاش A. Poppy, F. Pavot, L. Papaver عشب من فصيلة باسمهِ وهو نوعان الابيض وهو ما كان ابيض الزهر ويستخرج منهُ الافيون وتستعمل بزورهُ غذاء في ايطاليا واليونان والعجم ويزرع في مصر وسورية وازمير وجنوب فرانسا وغيرها ويحتوي افيونهُ على ٥ في المائة من المورفين او اكثر وتتوقف زيادة المورفين على وقت الجني فاذا اخذ الافيون من الروُوس قبل بلوغها كان مقدار المورفين فيهِ اكثر منهُ اذا اخذ بعد بلوغها . ويمتاز خشخاش ازمير على سواهُ بان افيونهُ يحتوي على ١٠ — ١٤ في المائة

والخشخاش الاسود هو ما كان زهرهُ احمر بنفسجيًّا الى صفرة مع بقعة قاتمة في قاعدتهِ ويحتوي افيونهُ على ١٣ — ١٦ في المائة من المورفين الاَّ ان مقدار الافيون فيهِ اقل مما هو في الابيض فلا يرغب في زرعهِ لقلة الربح منهُ . واما بزورهُ فتخرج زيتاً لا تخرجهُ بزور الابيض وزيتها يؤْكل مع الطعام لانهُ ليس مخدراً وكثيراً ما يغشون بهِ زيت الزيتون . ويسمونهُ بالزيت الابيض والزيت القرنفلي وهو منشف تضمد بهِ القروح والجروح لتجفيفها

تستعمل العامة معجون الخشخاش لتسكين مغص الاطفال ومساعدتهم على النوم وهي عادة سيئة تضعف بنية الطفل وتعودهُ على الافيون فتضطر طبيعتهُ الى طلبهِ كما يطلب المورفين المعتاد على السكر بهِ

واشتهر استعمال الخشخاش في الاستعمال الاهلي حقنة مسكنة بمغلي منهُ او ضماداً مسكّناً وحدهُ او ممزوجاً بضمادة بزر الكتان

الخطمية A. Marsh Mallow, F. Guimauve, L. Althœa نوع اعشاب من الفصيلة الخبازية كثيرة الاستعمال ملطفاً وللخطمية الاعتيادية جذر طويل ابيض ذو عصار

لزج يغلي ويستعمل من الباطن والظاهر لتلطيف الالتهابات وزهرهُ نافع في الزكام الرئوي وهو احد الزهور الاربعة الصدرية ويحضر منهُ معجون وشراب واقراص كثيرة الاستعمال والفائدة

الخل A. Vinegar, F. Vinaigre, L. Vineger يحصل من اختمار عصير العنب او من اختمار جديد يطرأ على الخمر او من اختمار الخشب بطرق كياوية خصوصية والاول اجود انواعهِ طعماً واكثرها فائدة وهو ما يستعمل مع الطعام واما خل الخشب فلتحضير الادوية

فائدتهُ مبرد يستعمل من الخارج ضماداً مخففاً بالماء لتخفيف الالتهابات ويدخل في كثير من التراكيب الدوائية كالخل العسلي والخل الوردي وكلها مفيدة وملطفة ومبردة

والحامض الخليك اشتقاق من الاختمار الخلي يكوّن مع القواعد القلوية املاحاً كثيرة باسمهِ كخلات البوتاس والصودا والامونيا والحديد الخ

الخلة A. & F. Ammi, L. Ammi Majus عشبة من الفصيلة الصيوانية بزورها مرة ذات رائحة خفيفة مقبولة يحسبونها في صف طاردات الريح والعامة تستعملها لادرار البول وتستعمل اضلاع صيوانها سواكاً

الخمر A. Wine, F. Vin, L. Vinum. هو عصير العنب بعد اختمارهِ الكحولي وفيهِ كل ما في عصير العنب من الاملاح كنيترات البوتاس وكبريتات البوتاس والصودا والكلس والشب وما عداها مواد ملونة غير متبلورة ومبادئ خصوصية تكسبهُ الرائحة والطعم الخاصين بهِ والفضلهُ استعمالاً ما كان قليل الكحول اي ما احتوى على ٢ — ٥ في المائة

والخمر الزبدي هو المعتق او المحضر بوضع عصير العنب في زجاجات محكمة السد قبل ابتداء الاختمار فيهِ

وغلب الاعتقاد ان الخمر من الاغذية التوفيرية كالقهوة والشاي وهو ليس كذلك الاَّ انهُ لا ضرر كبير من شربهِ اذا اخذ باعتدال وكان قليل الكحول وخالياً من الشوائب ولاسيما في الاماكن التي لا ماء سائغ فيها فيمزج بهِ ماء الشرب لتحسين طعمهِ وقتل جراثيم الفساد فيهِ

وهو منبه ومقوٍ ومساعد للهضم في ظروف كثيرة ويدخل في كثير من التراكيب الدوائية المقوية والمنبهة التي لا ينكر نفعها ولكن يجب ان يعلم انهُ دواء لا غذاء

الخوخ ويعرف في مصر بالبرقوق A. Plum, F. Prune, L. Prunus Domestica ثمر شجرة من الفصيلة الوردية يستعمل نقيع المجفف منهُ مسهلاً . ومن نوعهِ الاجاص

الدكتور امين ابو خاطر

الوقاية من العدوى

اهم الوسائل للوقاية من الامراض المحافظة على مناعة الجسم ومقاومتهِ لها بالاعتدال في العمل والراحة والغذاء والخروج الى الهواء الطلق والحرص على النظافة اذ يستحيل على الانسان ان يمنع المكروبات من الوصول اليهِ . ومن عاش عيشة تضعف جسمهُ وتعرضهُ للامراض مرض ولو كان معتزلاً الناس لم يصادف مريضاً كل حياتهِ لان المكروبات تصل اليهِ بطرق كثيرة يستحيل عليهِ ان يكتشفها ليحتاط لها . لا بل ان المحققين من الاطباء يقولون ان تحت اظفارنا وفي افواهنا شيئاً كثيراً من مكروبات الامراض

غير ان ذلك لا يقلل من اهمية الوسائل المنعية فقد يكون الرجل من اجود الناس عافية فيخالط مريضاً فيعدى منهُ لان المكروبات المرضية اذا انتقلت من المريض الى السليم مباشرة من غير ان تفقد شيئاً من قوَّتها كان من الصعب على الجسم ان يتغلب عليها . ولكن من الناس من يهلع اذا رأى مريضاً مصاباً بداء معدٍ ولا وجه لهذا الخوف الشديد لان العدوى لا تنبعث من المريض منتشرة منهُ في الهواء في جميع الجهات بل لا بد لها من وسيلة غير الهواء تنقلها . واذا كان المريض نفسهُ يحتاط الاحتياطات اللازمة كتطهير يديهِ وملابسهِ والقاء منديل على فمهِ وانفهِ ليمنع نفثهُ من الانتشار كلما عطس اذا كان من ذوي الامراض الصدرية فلا باس بمجالستهِ ومحادثتهِ بل ولا بمصافحتهِ وملامستهِ باليدين بشرط ان يغسلا بالماء والصابون بعد ذلك

واهم طرق العدوى ثلاث فاما ان نتناولها مع طعامنا وشرابنا واما ان تحملها الينا الحشرات واما ان تنقلها نحن عن المرضى او عمن خالطوهم

اما الطعام فيتطهر اكثرهُ في الطبخ . وكثيراً ما يأكل الناس لحوم حيوانات مريضة وهم لا يدرون ولكنهم لا يصابون باذى لان النار تكون قد طهّرتها ولكن الخطر في تلوث الطعام بالجراثيم بعد طبخهِ فيجب الاحتراز من ذلك . اما الاطعمة التي تؤكل من غير ان تطبخ فالغالب انها لا تؤكل الاَّ بعد غسلها او قشرها وبعد ان يمضي عليها زمن يكفي لقتل اكثر المكروبات التي تكون عليها

والماءُ من اكبر العوامل على نشر الامراض خصوصاً الوافدة منها كالكولرا وحمى التيفوئيد ولكن لا يصعب تطهيرهُ باغلائهِ او تقطيرهِ بقطارة من قطّارات باستور او بركفيلد او في الازيار والماءُ الجاري يتطهر بفعل الهواء ونور الشمس

واللبن بعد الماء اهميَّةً في نقل العدوى ونشر الامراض وكثيراً ما يحمل مكروبات السل والدفثيريا والتهاب اللوزتين . وفوق ذلك قد تضر مكروبات الفساد التي تكون فيهِ بالصغار اضراراً كبيرة . وهو اذا وقعت فيهِ المكروبات فالغالب ان لا يبطل نموها وتكاثرها ولذلك تجب معالجتهُ بما يكفل قتل المكروبات قبل تناولهِ وافضل الطرق لذلك اغلاؤُهُ

وقد يلوث الخدم او الطهاة الطعام بعد طبخهِ او يلوثون الصحون والملاعق والشوك بجراثيم امراض يحملونها اما من اختلاطهم بالمرضى او لان الجراثيم تعيش في ابدانهم وان كانت لا تضر بهم ضرراً ظاهراً . ومن اغرب الروايات التي رويت من هذا القبيل ان طاهية اميركية اعدت اهل البيت الذي كانت فيهِ بحمى التيفوئيد مع انها كانت سليمة ثم دخلت في خدمة بيت آخر فاعدت اهلهُ ايضاً وبقيت سائرة على ذلك الى ان اعدت ثماني عائلات ثم سجنتها الحكومة بناء على طلب مصلحة الصحة في مدينة نيو يورك

اما العدوى بواسطة الحشرات فقد قلَّت كثيراً حيث عمل على منعها . ومن اوضح الشواهد على ذلك خلو اوربا من الطاعون مع ان جراثيمهُ لا تزال في جرذانها وذلك لان الناس هناك حريصون على النظافة فتقل البراغيث عندهم ومثل ذلك يقال في حمى التيفوس او حمى السجون التي ينشر عدواها القمل

ولم يتوصل بعد الى طريقة تتلف الذبان او تكفي الناس شرهُ فخير وسيلة لدفع ضررهِ هي طمر مفرزات المرضى وكل ما يتلوث بجراثيم الامراض لئلا يقع الذبان عليها . وقد ناصبتهُ بعض مدن اميركا حرباً عواناً واغرت الاولاد بقتلهِ فقلت الامراض المَعِديّة وحمى التيفوئيد فيها . وانتقال عدوى الملاريا بواسطة الناموس امر مقرر لا شك فيهِ وخير وسيلة لاتقاء شرهِ هي تجفيف المستنقعات وصب البترول في البرك او تربية السمك فيها

اما طريقة العدوى الثالثة اي المخالطة او الملامسة فاهم هذه الطرق واكثر ما يكون انتشار الدفثيريا والسل بها ثم ان الجدري والحصبة والالتهاب السحائي الوافد والانفلونزا والنزلات والامراض الزهرية قلما تعدي بغير المخالطة . واكثر ما تأتينا جراثيم الامراض التي تعدي بالمخالطة من انوف الناس وافواههم وايديهم . ومن الصعب ان نعرف من ينقل جراثيم الداء لتحترس في اختلاطك معهُ . فقد يصاب ولد بالحصبة ويظن اهلهُ انهُ مصاب بالرشح لان اعراض الحصبة في بدئها تقرب من اعراض الرشح او يمرض بالدفثيريا وهم يحسبونهُ مصاباً بوجع طفيف في حلقهِ فلا يمنعونهُ عن مخالطة غيرهِ وتنقل العدوى اليهِ . وعندما تخف وطأة الشهقة عن ولد يطلق لهُ العنان فيلعب مع غيرهِ من الاولاد ويخالطهم فتنتقل الجراثيم منهُ اليهم

وقل ان تخلو اصابع انسان من آثار مفرزات فمهِ وانفهِ لانهُ لا ينفك يرفع يدهُ اليهما فاذا كان فيهما جراثيم لوَّث بها كل ما تلامسهُ يدهُ . وقد قال احد الاطباء اذا راقبت صديقاً عجبت لكثرة رفعهِ اصابعهُ الى شفتيهِ وانفهِ ولو ان للعاب لوناً لكانت الاصابع بذلك اللون دائماً فعلى الناس ان يعملوا على ابطال هذه العادة المضرة

و يترتب على المصابين بامراض معدية وان كانت خفيفة ان يحتاطوا لعدم نشرها في الناس و يترتب على الناقهين من الامراض جديداً ان يفعلوا مثل ذلك ايضاً . وليس من الضروري ان يبتعدوا عن الناس و يعتزلوا في بيوتهم لان جراثيم الداء لا تنبعث منهم انبعاثاً بل لا بد لها من واسطة تنقلها من المريض الى السليم كرشاش اللعاب من الفم اوكاس الشراب او المصافحة وما الى ذلك وكلها امور يسهل الاحتياط لها

والامر الجوهري هو ان يحترس من مفرزات المريض وما يتلوث بها من ثيابهِ وادواتهِ . فاذا عيّن للمريض صحنهُ وملعقتهُ وسكينهُ ومناديلهُ ومناشفهُ وفراشهُ ولم يمسها احد بعدهُ قبل اغلائها بالماء واذا كانت لهُ مغسلة خاصة بهِ واعتني الذين يلامسونهُ بغسل ايديهم وتطهيرها كلما لمسوهُ ولجأ هو وهم الى مضمضة افواههم ببعض مضادات الفساد الخفيفة من حين الى آخر فلا خطر منهُ على من حولهُ

وليس من وراء تطهير الهواء في غرف المرضى بالمواد الكيماوية فائدة تذكر لان العدوى تجيء بطريق الادوات التي يلمسها او التي تتلوث بمفرزاتهِ . وهذه اذا مضى عليها زمن بعد مسهِ لها مات ما عليها من الجراثيم وان بقي عليها شيء بعد ذلك زال بغسلها بالصابون و بعض مضادات الفساد

ومن الناس كثيرون ينقلون جراثيم الامراض وهم لا يدرون وقد لا يعرفون هم ذلك ولا يعرفهُ الناس فيجدر بكل انسان ان يتخذ بعض الوسائل العامة لوقاية نفسهِ كغسل يديهِ قبل تناول الطعام مثلاً

ماري باكرادي

المريض يتعلَّق بحبال الهواء يتداوى بكل دواء يوصف لهُ ويتجشَّم اشد المشاق في طلب الشفاء ولا يكون اهتمام ذويهِ بهِ اقل من اهتمامهِ بنفسهِ . وتزيد قيمة العلاج في النفس ببعدهِ عن المألوف واتصالهِ باشياء غريبة لا يستطيعها الاَّ الطبيب المداوي . فاذا اشرت على مريض ان يأكل خبزهُ فيشفى لم يؤثر ذلك فيهِ كما لو عزمت على الخبز واوهمت المريض

انك وضعت فيهِ قوة روحية شافية · ولذلك كان شفاء الامراض بقوة روحية غير منظورة من اخص المزايا التي امتاز بها الكهّان والسحرة والذين اجترحوا العجائب والمعجزات قديماً وحديثاً

ولعلَّ اشهر الذين قاموا في هذا العصر وادعوا شفاء الامراض بقوة روحية من غير دواء ومن غير علاج السيدة ماري باكر ادي الاميركية التي توفيت سنة ١٩١٠ · فانها ولدت سنة ١٨٢٢ ولما صار لها من العمر نحو ٤٥ سنة ادعت ان الانسان روح والمرض وهم يزول بالوسائل الروحية والَّفت كتباً في هذا الموضوع وصار لها اتباع كثيرون في اميركا واوربا ايضاً حتى صاروا فرقة دينيَّة كبيرة غنيَّة تداوي المرضى بالصلاة والوسائل الروحية ولقد كان لها ولاتباعها شأن كبير في تنبيه الاطباء الى ان الاكثار من العقاقير الطبية قد لا يفيد بل يضر وان المريض قد يشفى من غير دواء بالوهم او بالاستهواء

مدام كولت ايڤر

اسمها الحقيقي مدام هوزارد ولكنها اشتهرت في عالم الادب باسم كولت ايڤر · وهي سيدة فرنسوية لا تزال في ريعان الشباب ذات جد ونشاط كثيرة التفكير يلوح ذكاؤُها على عينيها البراقتين وتشف ملامحها وحركاتها عما انطوت عليهِ من العزم الثابت · ويقال انها قلما تجالس احداً الاَّ وتسأَلهُ « ماذا تعمل لنفع العالم »

وهي في نظر كثيرين اعظم كاتبة في المواضيع النسائية · وتُظهر المرأة العصرية في كتاباتها غير راضية عن حالتها معتدَّة بمواهبها العقلية تضحي مزاياها النسائية في سبيل الشهرة والظهور · وهي تأسف لهذا الميل الاخير في النساء وقد بنت احدى رواياتها على سيرة فتاة كبحت حبها لكي لا يكون عثرة في سبيل نجاحها في العمل الذي تفرغت لهُ

وقد صوَّرت ذلك ايضاً في روايتها اميرات العلم التي لهجت بها باريس واكسبتها الشهرة بانها كاتبة مفكرة وفيها تصف الفتاة التي تتعلم الطب في اثناء تلقي دروسها في المدرسة وفي تمرنها على التطبيب في المستشفيات ثم في اشتغالها بمهنتها وقد طبعت حتى الآن تسعاً واربعين مرة

واذا همَّت بكتابة رواية قضت نحو سنة تبحث عن كل ما لهُ علاقة بموضوعها حتى تلم بجميع اطرافهِ ثم قضت سنة اخرى في كتابتها وتهذيبها · وقد كانت طالبة في احدى مدارس الطب فساعدها ذلك على كتابة روايتها اميرات العلم ولما همت بكتابة روايتها التي



ماري باكرادي

مدام كولت ايڤر

المقتطف صفحة ١٧٨ مجلد ٤٥

سمتها سيدات القصر اخذت تتردد على الحاكم فتسمع الرجال والنساء يرافعون

وقد خرجت عن موضوعها النسائي في احدى رواياتها التي سمتها صنعة الملك فوصفت فيها مملكةً ساد فيها الاضطراب والفوضى ثم افضى امرها الى ثبوت الملكية فيها وتخييم السلم والسكينة فوق اهلها ولكن هذه الرواية لم تنل من الاستحسان ما نالتهُ سالفاتها. فكأن المولعين بقراءة كتاباتها اعتادوا ان يعجبوا بابحاثها النفسية في المرأة واظهار مكنونات نفسها فلا يرضون بخروجها عن ذلك

ومنذ ثلاث سنوات مات زوجها المسيو هوزارد فصارت تقضي اكثر اوقاتها بين مدينة روان حيث نشأت وبيت لها في ابعدية بتريل . وكان زوجها مستخدماً في شركة لنشر الكتب دُفعت اليهِ احدى رواياتها ليطلع عليها ويرى رأيهُ فيها فاعجب بالرواية وسعى الى التعرف بصاحبتها ثم اقترن بها

الجمال في الشيخوخة

كتبت السيدة لويز ديو تقول قرأت لبعضهم ان النساء في القرن الماضي كنَّ كالاشجار يزدن جمالاً بتقدمهنَّ في السن . ولا شبهة ان المحافظة على الجمال مع التقدم في السن صناعة يجب على المرأة ان لا تغفلها ولكن قليلات يستطعنها على ما يظهر ولاسيما في هذا العصر لان النساء صرن يهتممن بحسن الوجه اكثر مما يهتممن بجمال الجسم والطلعة كلها ولا شأن عندهنَّ للعنق والصدر ولاسيما بعد ان لبسن الاطواق العالية التي تغطي اعناقهنَّ

واهم ما يجب على المرأة المتقدمة في السن ان تلتفت اليهِ نزع التجعُّد من وجهها وعنقها ويتم لها ذلك بغسول مركب من صبغة البنزوين نصف اوقية طبية وماء الورد اثنتي عشرة اوقية وصبغة المر عشر نقط والغليسرين ١٥ نقطة يدهن بهِ الوجه مدة ربع ساعة كل يوم فلا يمضي اسبوعان حتى يزول التجعد منهُ ويصفو لونهُ ويظهر كان المرأة جدَّدت شبابها او صغرت خمس سنوات على الاقل

واذا ظهرت في الوجه والعنق واليدين بقع سمراء بسبب الشيخوخة فالغالب انها تزول بكلوريد الامونيوم يذاب درهم منهُ في خمسين درهماً من الماء المقطر ويوضع على الوجه والعنق واليدين قبل النوم . واذا لم تنزع البقع بهِ حسُن استعمال غسول مركب من درهم من كربونات المغنيسيا ودرهم من اكسيد الزنك وخمسين درهماً من ماء الورد يهز المذوب

جيداً وتدهن بهِ البقع صباحاً ومساء بخرقة نظيفة ناعمة . يصب قليل من السائل في صحفة وتبل الخرقة بهِ وتمسح البقع بها ولا بدَّ من الاستمرار على ذلك يوماً بعد يوم الى ان تزول البقع ومما ينعم الجلد ويزيل البقع منهُ الدهن باللبن فان الحامض اللبنيك يبيض الجلد

الارق وعلاجهُ

كثيراً ما يأرق الانسان لالم طفيف او لخفة غطائهِ او لبرد قدميهِ . وقد يأرق ايضاً اذا افرط في الأكل قبل نومهِ او اذا طرأ اختلال على عمل من اعمال جسمهِ ولو كان طفيفاً لا يشعر بهِ ولم يرافقهُ الم شديد . واذا قلّ ساعات نومهِ مدة واجهد عقلهُ او اشتد بهِ الحزن او الهم تولاهُ الارق الى ان يمسي عادة فيهِ يصعب عليهِ التخلص منها فيأوي الى فراشهِ ويحاول النوم على غير جدوى لان الدم يظل كثيراً في دماغهِ وعقلهُ لا ينقطع عن العمل

ومن اسباب الارق ايضاً كثرة السموم في الجسم من الحميات او النقرس او من الاكثار من المسكرات والتدخين . والمصابون بالنوراستينيا ينامون في الغالب اذا اووا الى فرشهم ولكن نومهم لا يكون عميقاً ثم يستيقظون بعد ساعة او ساعتين فلا يعاودهم النوم

ويعالج الارق على العموم بتغطيس الرجلين في الماء السخن قبل النوم والتروض في الهواء الطلق نهاراً وتوقيت مواعيد الاكل وتناول الغذاء الكافي من الاطعمة الخفيفة الهضم . ولا بد من مداواة اسبابهِ الخاصة الى ان تزول هذا اذا كان لهُ اسباب خاصة كالالم والتهيج والصداع واجهاد القوى وكثرة الهم وغير ذلك

ويجدر بكل احد ان ينسى اشغالهُ ويريح دماغهُ في المساء قبل النوم بمحادثة الناس او قراءة كتاب او مجلة فان ذلك يقلل الدم في اوعية دماغهِ الدموية . ومما يسلي الانسان اذا ارق ويساعدهُ على العود الى النوم ان يشغل عقلهُ بشغل غير متعب كان يستعيد قصيدة يعرفها غيباً او يتلو في فكرهِ قراءة قصيدة لا تتعبهُ استعادة كلماتها او يعد اغناماً يتصورها تصوراً الى غير ذلك من الامور التي يقدر الانسان ان يعملها ولو كان نصف نائم والتنويم المغناطيسي يزيل الارق اذا لم تنجح فيهِ الوسائل الاخرى . اما اذا كانت الاعصاب ضعيفة فيجب تقويتها . واذا نشأ الارق عن مرض او ما اليهِ كالنقرس والملاريا والاكثار من المسكرات فيعالج بمداواة علتهِ



خطبة اللورد كتشنر

عن الزراعة المصرية

خطب لورد كتشنر يوم ٢٩ يونيو في مؤتمر زراعة البلدان الحارة ومما جاء في خطبتهِ ان مصر نالت المقام الاول بين جميع البلدان التي يستغل القطن فيها سواءٌ كان في غلة الفدان الواحد او في جودة قطنها وعلو مرتبتهِ · وقد بدأت زراعة القطن في القطر المصري سنة ١٨٢١ برعاية الخديوي الاول محمد علي باشا وارتقت منذ ذلك الحين انواع القطن التي تصلح للزراعة في هذا القطر ولكن هذا الارتقاء لا يدوم لسوء الحظ بل يليهِ حتماً انحطاط في مرتبة تلك الانواع بعد انقضاء مدة من الزمان فلا بد من الانصراف الى الابحاث العلمية لتجديد مزايا الانواع التي طيرت سمعة القطن المصري في الآفاق وجعلتهُ في مقدمة اقطان العالم. وترقية زراعة واسعة كزراعة القطن المصري تقتضي عناية دائمة

وتتوقف ترقية هذه الزراعة وانجاحها في مصر على مراعاة الامور التالية وهي

(١) تجديد بذرة القطن باختيار تقاوي سليمة من الشوائب فان البذرة عرضة للانحطاط كل سبع سنوات

(٢) تحسين الري والصرف وتنظيمهما

(٣) العناية بحرث الارض وتسميدها وتعاقب الزراعات

(٤) مكافحة الآفات الحشرية بلا انقطاع

ويجب ان تفرغ الاساليب والطرق الزراعية العلمية التي تنشر وتذاع في بلد كالقطر المصري في ابسط القوالب لكي يستطيع الفلاحون فهمها وادراكها والعمل بها · ومما يبعث على الرضى والارتياح ان الطرق المستعملة الآن قد وفت بالمرام فاخذ الفلاحون ينبذون تمسكهم بالتقاليد القديمة ويطرحون الاهمال جانباً وازداد اهتمامهم بالمحافظة على المبادىء العلمية بعد الذي رأوهُ من فائدتها ونفعها

ثم استشهد بما حدث في بيلا للدلالة على ما يستطاع عملهُ في مصر من ضروب التحسين في التربة والزراعة فقال ان متوسط نفقة اعمال الري والصرف فيها بلغت عشرة جنيهات

للفدان ثم سلمت الارض الى الفلاحين واعطي كل منهم قطعة مساحتها خمسة افدنة ليزرعها. وغسلت الارض في السنة الماضية وزرعت ارزاً فصلحت تربتها وقد دهش الفلاحون اشد الدهشة بعد ما رأَوا ان الاصلاح الذي يقتضي ثلاث سنوات او اربعاً لاتمامهِ عادة بحسب الطرق الشائعة في مصر تم في سنة واحدة وظهر لهم ايضاً انهُ لولا المصارف الوافية لتعرضت التربة الى العودة الى سابق عهدها وقد اخذوا يزرعون القطن الآن في معظم تلك الارض ويرجى ان يجنوا من الفدان الواحد ١٥ جنيهاً الى ٢٠ جنيهاً

ومن الامور العظيمة الشأن ادخال زراعة القطن الى السودان فقد اسفرت التجارب التي جربت في الجزيرة ان القطن المصري يمكن زرعهُ واستغلالهُ في السودان في الفصل الذي تقل فيهِ حاجة مصر الى ماء الري والقطن يجنى في السودان في الوقت الذي يزرع فيهِ في القطر المصري . فللسودان مستقبل عظيم حالما تكمل اعمال الري التي تعمل في النيل الازرق فيتيسر بها اعداد مساحات واسعة من سهل الجزيرة لزراعة القطن . انتهى .

نتائج التجارب في زرع القطن

اجلت التجارب التي جربت تحت مراقبة مصلحة الزراعة في الدقهلية في زرع القطن وتسميدهِ عن النتائج التالية وهي مقتطفة من مقالة في المجلة الزراعية بقلم المستر ددجن وقد حرثت القطع التي جرت التجارب فيها ثلاث مرات ثم زحفت وخططت وجعل في كل قصبتين تسعة خطوط وجعل اتجاهها من الشرق الى الغرب وعولج البزر بالنفتالين والجبس قبل زرعهِ وجعل البعد بين كل جورتين اربعين سنتيمتراً

مساحات القطع واماكنها

والقطع ست وهي في البلدان والمراكز التالية

البلد	المركز	المساحة س	المساحة ط	نوع التربة	الصرف	اسم المالك
(١) صهرجت الكبرى	ميت غمر	٠٦	٢٣	سواد	بلا مصارف	عبد الله بك شريف
(٢) كفر لوندي	اجا	٣٠	٢٢	سواد طفالي	"	الكومدور واصف جرس
(٣) برقين	السمبلاوين	٠٠	٢٢	سواد ملحية	في الشوبك	سيد بك علي
(٤) فرسكور	فرسكور	٠٦	١٩	" "	ابو ادم	الخواجه دليونجي
(٥) محب والسيالة	"	١٨	١٦	" "	بلا صرف	علي بك زهني
(٦) دكرنس	دكرنس	٠٠٠	٢٣	سواد	في البشمور	الكونت عزيز جد

السماد

والقطعة الاولى لم تسمد والثانية سمدت بخمسين حمل جمل من السباخ البلدي والثالثة لم تسمد والرابعة سمدت بمئة وخمسة وعشرين حمل حمار من السباخ البلدي والخامسة بخمسين حمل حمار من السباخ البلدي والسادسة بمئة وعشرين حمل حمار

نوع التقاوي وزرعها

القطعة	نوع التقاوي	وقت الزرع	الترقيع	الخف
(١)	سكلار يدس	٢٧ فبراير	٢٤ مارس	٢٠ ابريل
(٢)	ينوفتش	٢٧ «	٢٥ «	١٩ «
(٣)	سكلار يدس	١١ مارس	٦ ابريل	٢٦ «
(٤)	ميت عفيف	٣١ «	١٦ «	١٨ مايو
(٥)	«	٢ ابريل	١٧ «	١١ ابريل
(٦)	سكلار يدس	٢٢ مارس	٧ «	٩ مايو

واعيد الترقيع مرتين في القطعة الاولى والثانية وكان الترقيع يتبع في كل حالة بعزقة خفيفة وعزقة مثلها بين كل ريتين

المحصول

وبلغ محصول هذه القطع بالقنطار من القطن ما تراهُ في هذا الجدول مع ما يقابلهُ من الاطيان المجاورة

القطعة	مساحتها		المحصول		محصول الفدان		محصول الفدان المجاور
	س	ط	ق	رطل	ق	رطل	
(١)	١٤	١٤	٤	١٤١	٧	٠٦٨	٥ قناطير الى ½٥
	١٦	٠٨	١	٠٧٩	٣	٢٧٧	
(٢)	٢٠	٢٢	٤	٣٠٨	٥	١٤٧	٥ «
(٣)	٠٠	٢٢	٤	١٨٧	٥	٠٣٧	٤ « و٦٥ رطلاً
(٤)	٠٦	١٩	٢	١٥٧	٣	٠٣٩	½٢ الى ٣ قناطير
(٥)	١٨	١٦	٣	٢٦٤	٥	١٥٧	٣ الى ٤
(٦)	٠٠	٢٣	٥	٢٢٥	٦	٠١٠	٥ قناطير و٢٠ رطلاً

وقد اصيب الجزء الصغير من القطعة الاولى بالندوة العسلية اصابة شديدة فقل محصولها . والقطعة الرابعة وكل الاطيان المجاورة لها في فرسكور اصيب بوقوع اللوز في الاسبوع الاول من سبتمبر واحمر ورق القطن وسقط اكثره وسبب ذلك تشقق الارض من العطش وقد بحثنا بحثاً علمياً فلم نجد لاحمرار الورق وسقوط اللوز سبباً آخر

واختلف مقدار ما جني من القطن في الجمعة الاولى والثانية ومقدار التصافي باختلاف هذه القطع كما ترى من الجدول التالي وقد ذكر مقدار ما جني في المئة

	الجنية الاولى	الجنية الثانية	تصافي الجنية الاولى	تصافي الثانية
(١)	١٠٠	٠٠	١٠٤ ½	٠٠٠
(٢)	٨٠	٢٠	١٠٦	١٠٥
(٣)	٧٣	٢٧	١٠٢	١٠٣
(٤)	٩٠	١٠	١١١	١٠٩
(٥)	٧٥	٢٥	١٠٨	١٠٣
(٦)	٧٧	٢٣	١٠٧	١٠٥

وتمت الجنية الاولى بين ٢١ سبتمبر و٢٧ منهُ والثانية بين ١٢ اكتوبر و٣١ منهُ

وقد اظهر الملاك رضاهم لان محصول الفدان زاد قنطاراً عن محصول ما يجاورهُ من الاطيان ما عدا القطعة الثانية التي اصيبت بالندوة العسلية اصابة شديدة

التجارب في ري القطن

جُرّب ري القطن في مركز دمنهور بالبحيرة في قطع زرعت وخدمت كلها على اسلوب واحد ولم يختلف فيها الاَّ ريها فروي اربع منها خمس ريات واربع ست ريات واربع سبع ريات واربع ثمان ريات واربع تسع ريات اي قسمت هذه القطع الى خمسة اقسام حسب عدد الريات الذي اصاب كل قسم منها وهاك نتيجة اختلاف الريات في مقدار المحصول بالقنطار

	الجنية الاولى	الثانية	الثالثة	محصول الفدان
القسم الاول	١,٨٣	٣,٢٦	٠,٦١	٥,٧٠
« الثاني	١,٩٥	٣,٣٩	٠,٨٢	٦,١٦
« الثالث	١,٨٩	٣,٦٣	١,٠١	٦,٥٣
« الرابع	٢,٠٣	٣,٨٦	٠,٨٢	٦,٧١
« الخامس	٢,٥١	٣,٦٨	٠,٨٦	٧,٠٥

وواضح من ذلك ان المحصول زاد بزيادة عدد الريات فكان في القطع الاولى خمسة قناطير وسبعة اعشار القنطار فصار في القطع الاخيرة التي رويت تسع ريات سبعة قناطير او اكثر قليلاً اي زاد المحصول اكثر من قنطار وثلث فاذا كان ذلك مطرداً في كل جهات القطر فتكون اطالة مدة المناوبات حتى لا يتيسر ري القطن الاَّ خمس ريات او ستاً مضيعاً لجانب كبير من محصول القطن المصري

زرع القطن في المنوفية

المنوفية مشهورة بجودة قطنها وبأن فلاحيها امهر الفلاحين في زرع القطن ومع ذلك فالحقول التي راقبت مصلحة الزراعة زرع القطن فيها زاد محصولها على محصول ما يجاورها من الاطيان زيادة كبيرة . وكانت الارض قبل القطن مزروعة برسيماً وقبلهُ ذرة ولكن رعي البرسيم مرةً واحدة ثم حرث قبل دسمبر وحرثت الارض ثلاث مرات بين اول يناير وآخر فبراير وبين كل حرثة واخرى ١٠ ايام الى ١٥ يوماً وكانت الحرثة الواحدة مقاطعة للحرثة التي قبلها وزُحفت بعد الحرثة الاخيرة وخططت بمعدل ٨ خطوط لكل قصبتين في الارض الجيدة وتسعة خطوط لكل قصبتين في الارض الضعيفة وسمدت كلها بالسباخ البلدي بمعدل عشرة امتار مكعبة لكل فدان وذلك قبل الحرثة الثالثة . وابتدأ زرع القطن في آخر فبراير ورويت الارض ريًّا خفيفًا في اوقات متفرقة ثم رويت ريًّا غزيراً في يونيو ويوليو كل ١٨ يوماً او عشرين يوماً حسب المناوبة ثم قلل ماء الري في اغسطس وسبتمبر وجعلت المدة بين الرية والاخرى عشرين يوماً الى ٢٥ يوماً . وعُزق القطن ثلاث عزقات بعد كل رية من الريات الثلاث الاولى . واكبر متوسط للفدان في المنوفية من خمسة قناطير ونصف الى ستة اما القطع التي جرت هذه التجارب فيها فبلغ محصولها ما تراهُ في هذا الجدول

القطعة	البلد	المساحة	اسم المالك	المحصول	متوسط محصول الارض المجاورة
(١)	منوف	فدان	عزيز افندي ميخائيل	١٠,٩٠	٦
(٢)	محلة صبح	«	ابرهيم بك سليم	٩,٧٣	٥,٥
(٣)	تلا	«	الشيخ محمد بوراي	٩,٤١	٤,٨
(٤)	منشاة صبر	«	الشيخ ابرهيم سلامه	٧,٤٨	٥,٥
(٥)	طمبيدي	«	رياض بك الجيابي	٦,٣٠	٥

وواضح من ذلك ان زيادة الاعتناء تنتج زيادة كبيرة في المحصول حتى في المنوفية من قنطار الى خمسة قناطير وقد نتجت نتائج مثل هذه في الشرقية والغربية

هذا وقد رأينا نحن ما هو مثل ذلك في مديرية الفيوم فان اطياننا التي اعتني في العام الماضي بتسميدها وحرثها وتزحيفها وتخطيطها وعزقها وريها بلغ محصول الفدان منها سبعة قناطير كبيرة او اكثر والاطيان المجاورة لها التي لم يعتنَ بها فلم تسمّد ولا حرثت جيداً ولا عزقت جيداً ولا زحفت ابداً لم يزد محصول الفدان منها على قنطارين او ثلاثة قناطير

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحدٍ فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الزائدة الدودية

جناب الدكتورين الفاضلين منشئي مجلة المقتطف

قرأت في صحيفة ٤٠٥ من مقتطف ابريل من هذا العام قولكم «نقلاً عن احدث دائرة انكليزية للمعارف» «ان الزائدة الدودية في الانسان لا تعلم لها فائدة حتى الآن» الخ

ولكوني من المولعين بالابحاث العلمية والشغفين بمراسلة المجلات والجرائد العربية وقد قضيت في ذلك اكثر من عشرة اعوام قرأت في غضونها بالانكليزية كثيراً عن الزائدة الدودية والتهابها اردت استلفات نظركم لما قالهُ في هذا الصدد بعض مشاهير الجراحين والاطباء لعل فيهِ اتماماً لفائدة القراء

قال الدكتور اندرو احد مشاهير جراحي شيكاغو سنة ١٩٠٦ ان الزائدة الدودية (او المعوية) جسم غددي يفرز مادة مخاطية لزجة وافرة تصب في القولون فتقي غشاءهُ المخاطي وذلك لانها ذات خواص زيتية تسهل مرور مواد الاطعمة في الامعاء فتمنع حدوث

الاحتكاك فيها ونقي غشاءها المخاطي من التآكل بفعل بقايا الطعام الغير المهضومة التي تمر من المعى الدقيق الى الغليظ اثناء عدة ساعات كل يوم وان لهذه المادة المخاطية خاصية قتل الجراثيم كما اوضح ذلك حديثاً احد مشاهير البكتيريولوجيين

وحيث ان القولون لا يخلو من جراثيم شتى تضر بالجسم وتحدث فيهِ الالتهابات والدمامل وغيرها من الامراض فان للزائدة الدودية عملاً عظيماً جداً وهو تقوية الخلايا الحية فتقي الجسم مما ينتابهُ من هذه الآفات وذلك بواسطة الافرازات المخاطية القتالة للجراثيم المسببة للامراض . وربما كان للزائدة الدودية وظائف اخرى لم يكشف العلم لنا القناع عنها بعد

وفي اواخر سنة ١٩١٣ الماضية قرأت في احدى المجلات العلمية الانكليزية شذرة ترجمتها ونشرتها في مجلة المحيط بعدد دسمبر سنة ١٩١٣ وهناك هي :—

ما برح الاطباء منذ زمن طويل يبحثون فيما اذا كانت الزائدة المعوية ذات منافع للجسم او عديمة النفع لهُ بالكلية فقدم الدكتور ادموث بريه احد مشاهير اطباء فرنسا تقريراً الى اكاديمية العلوم الفرنسوية جاء فيهِ : ان الزائدة المعوية تنبه همة الامعاء وتساعد في تأدية عملية الهضم والافراز ولذلك لا يجب استئصالها الاَّ في احوال ضرورية شديدة

وذلك انهُ جرب ذلك في اناس وحيوانات ازيلت منهم الزائدة المعوية فتحقق ان لافراز تلك الغدة تأثيراً شديداً على عضلات الامعاء . وقد احتج احتجاجاً عنيفاً على الاكاديمية السالفة الذكر وطلب اليها ان تقترح على الجراحين الفرنسويين الاقلاع عن اجراء العمليات الجراحية لازالة الزائدة المعوية الاَّ باسباب اضطرارية عوض جندي

بعزبة الزيتون بضواحي مصر

[المقتطف] قد تطلعون ايضاً على عشرات من الآراء في فائدة الزائدة الدودية ولكنها آراء افراد من الاطباء والذي يعوَّل عليهِ هو رأي الجمهور وجمهور الاطباء على ما ذكرنا في مقتطف ابريل . ولو كان لهذهِ الزائدة منافع كبيرة لوجب ان يخسرها من تستأصل زائدتهُ وان يرى ذلك الدكتور بريه وغيرهُ ايضاً ونحن نعرف اناساً استؤصلت زوائدهم ولم يطرأ عليهم تغير او انحطاط

انتقال الافكار

سيدي الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

لست ممن يصدقون بالاحلام او يعلقون عليها اهمية ولكن وقع لي منها ما حيَّرني وجعلني

الجأُ الى علمكم واختباركم علكم تكشفون الغطاء عما تعذَّر عليَّ حلهُ . سافرت الى مدينة مارنيون وهي على عشرين يوماً من محل اقامتي وذلك لاشغال تجارية وتركت في البيت ابن شقيقة لي اسمهُ يوسف كان قد اتى من الوطن حديثاً . ورأَيت في مارنيون اختاً لي هي غير ام يوسف المذكور فسألتني عنهُ وعما اذا كان اصابهُ شر لانها كانت قد رأَت امهُ في النوم لابسة حداداً . فاخبرتها انهُ متمتع بالعافية واريتها تلغرافاً كان قد اتاني منهُ ذلك اليوم فاطمأَن بالها . وبعد ايام رأَيت في النوم اني اعالج ذراعاً بشرية قد دب فيها الانحلال وامامي قطع لحم بشري وعند ذلك استيقظت فحاولت نزع هذه الاوهام من بالي بمطالعة جريدة المقطم . ولكن النعاس ما لبث ان غلبني فنمت ثانية وحلمت اني في بيتي ورأَيت تابوتاً عليهِ قماش اسود فاستعذت بالله من هذه الاحلام ونهضت من فراشي لكي اتخلص منها

وليلة سفري عائداً الى محل اقامتي ضاقت اخلاقي وصدت نفسي عن الطعام وكرهت محادثة الناس وانقبضت نفسي من كل ما حولي فصرت اراهُ اسود مخيفاً . وقد استلفت ذلك مني انظار الاصدقاء الذين جاؤُوا الباخرة لوداعي . وانقضت عليَّ تلك الليلة من غير ان تذوق عيناي طعم النوم . وثالث يوم لسفري بلغني ان ابن اختي توفي في تلك الليلة السوداء ولما وصلت الى البيت أُخبرت انهُ مات مسموماً ببعض الادوية وان تسممهُ نشأَ عن جهل الطبيب الذي كان يداويهِ وكان قد اصيب بشلل اليدين وقطع الاطباء الامل من شفائهِ قبل موتهِ بثلاثة ايام اي يوم رأَيت اني اعالج ذراعاً بشرية . فهل كل هذه اوهام لا تستحق الالتفات ؟ وان كان ذلك من قبيل انتقال الافكار فكيف تفسر رؤْيتي للتابوت قبل موت ابن اختي بثلاثة ايام ؟ فهل تتنبأ الارواح بالحوادث قبل وقوعها ؟ ويظهر ان الارواح لا تحسن التكلم كالناس او انها تأباهُ وتفضل الالغاز والصور كأَنها تقول انهُ متى رأَى الرجل التابوت واللحم البشري في بيتهِ فهم ان من تركهُ فيهِ قد مات . وكأَني بها تهتم ببعض الدقائق وتترك اموراً اهم منها ومن هذا القبيل انباؤُها لي بشلل يدي يوسف

ولعل وجه ذلك ان احد الاصدقاء علم من الطبيب ان يوسف مائت لا محالة فمرَّ في فكرهِ عمل التابوت وانحلال الجسم وفكَّر فيَّ عند ذلك فانتقل فكرهُ اليَّ . او لعل يوسف احسَّ بدنو اجلهِ وتصوَّر ما تصير اليهِ حالهُ بعد موتهِ ووجهَ افكارهُ حينئذٍ اليَّ وادَّ ان اكون بقربهِ

غراجاهو البرازيل — الياس الفرد خوري

[المقتطف] اذا كانت الحوادث التي ذكرتموها قد حدثت كما ذكرتم تماماً بتفاصيلها واوقاتها امكن تعليل بعضها بانتقال الافكار كما ذكرتم ولكن انتقال الافكار فرض لم يثبت حتى

الآن والاعتراضات عليهِ اقوى من الحوادث التي تؤيدهُ . اذا اخذتم كتاباً وجعلتم تقرأونهُ ووجدتم فيهِ كلمةً لا تعرفون معناها فانكم تفرضون لها معنىً يصح ان يكون لها في اول مكان تجدونها فيهِ ثم تجدون ان هذا المعنى يصح في المكان الثاني الذي ترونها فيهِ فيترجح لكم ان هذا هو معناها الحقيقي . ولكن اذا وجدتم ان هذا المعنى لا يصح في المكان الثالث والرابع اضطررتم الى تركهِ وفرض معنىً آخر يصح في الاماكن الاربعة ثم اذا وجدتم ان هذا المعنى الجديد او الفرض الجديد الذي يصح في الاماكن الاربعة لا يصح في المكان الخامس ولا السادس بل قرينتاهما تنقضانهِ اضطررتم الى تركهِ والتفتيش عن فرض آخر او معنى آخر وهلمَّ جرًّا . وهكذا انتقال الافكار فانهُ مجرَّد فرض تفسَّر بهِ بعض الحوادث ولا يفسَّر غيرها وتنقضهُ ملابسات كثيرة اخصها ان الافكار كثيرة واصحابها الوف الملايين فكيف لا ينتقل منها الاَّ فكر واحد من شخص واحد ولا ينتقل الاَّ الى شخص آخر مع انها يجب ان تكون كصوت الخطيب الذي يسمعهُ كل من يصل اليهِ امام الخطيب وحولهُ او كامواج الكهربائية من التلغراف اللاسلكي التي تشعر بها كل آلات التلغراف اللاسلكي الى ابعاد شاسعة

والتعليل الذي نراهُ اقرب الى العقل والادلة على صحتهِ كثيرة هو ان الاحلام والهواجس كثيرة واكثرها مشوش غير واضح والانسان ينساها غالباً ثم اذا حدث امامهُ حادث او سمع عن حادثة لها اقل علاقة بحلم حلمهُ او هاجس هجس بهِ ففي تلك اللحظة عينها تتكيف ذكرى الحلم او الهاجس في نفسهِ حتى تنطبق على الحادثة . فاذا كان في سفرٍ وحلم مثلاً انهُ رأى بيتهُ وابوابهُ مفتوحة واستيقظ وقد نسي ما حلم بهِ ثم عاد الى بيتهِ فوجد انهُ قد سرق اما في الليلة التي حلم بها الحلم او قبلها او بعدها فحالما يعلم بسرقة بيتهِ يتذكر الحلم لا كما حلمهُ بل يكيّفهُ وهمهُ على صورة تنطبق على الحادثة

ولهذا التعليل ادلة كثيرة . مدارها على ان اناساً حلموا احلاماً وقصُّوها على غيرهم ثم حدثت حوادث لها بعض المشابهة بتلك الاحلام فقام في ذهنهم ان الاحلام كانت مثل الحوادث التي حدثت ولكن الذين قصوها عليهم خالفوهم في ذلك وقالوا انها كانت على صورة لا تنطبق على الحوادث

وافضل محك يعرف بهِ انطباق الحلم على الحادثة ان يكتب الانسان ما حلم بهِ حال القيام من النوم ويكتب تاريخهُ بالضبط ثم يقابل بينهُ وبين ما يكون لهُ علاقة بهِ من الحوادث والمرجح عندنا انكم لو فعلتم ذلك لما رأيتم مشابهة بين حلمكم ووفاة بن اختكم بل لوجدتم ان افكار اليقظة اشد انطباقاً من احلام النوم على الحوادث التالية

التنويم المغنطيسي

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغر

اتانا من مدة الى طنطا منوم وامرأتهُ فادهشنا باعمالهِ . ومن اعمالهِ ان امرأتهُ اتت بطاولة صغيرة من الخشب (او من الكرتون) وطلبت منديلاً وضعتهُ عليها ووضعت يديها فوقهُ وصارت تعزم عليها و بعد قليل لزقت الطاولة بهما كانها معلقة بشيء فلم نصدق في بادىء الامر ولكن عند ما اتت الينا وارتنا بانها غير معلقة استغربنا كثيراً مع اني لا اصدق شيئاً مما يرو يهِ لنا الاصحاب من هذا القبيل ولم تكتفِ بذلك بل قلبتها وهي لازقة بالمنديل والمنديل لازق بيدها والمنديل هو منديل اخي وصارت تقذفها الى علو نصف متر ثلاث مرات واخيراً قلبتها كما كانت وهي لا تزال معلقة بيديها . وقالت ايضاً لاحدى الحضور بانها سترمل بعد قليل وفعلاً ترملت واعطاني زوجها ديلافونتين حجر الطاولة (زهر) وسألها عن الاعداد التي ستأتي بعدد رميهِ فقالت ثلاث وواحد وفعلاً كان كما قالت فما قولكم بذلك

توفيق انطون عريضه

[المقتطف] يقر المشعوذون انفسهم انهم يأتون ما يأتونهُ بخفة الايدي والتعمية على الناظرين بطرق كثيرة ليس فيها امر خارق للعادة او للنواميس الطبيعية . ولكنهم لا يجاهرون بهذا الاقرار دائماً حرصاً على مصلحتهم لئلا يعرض الناس عنهم اذا تحققوا ان ليس في اعمالهم ما يدعو الى الاستغراب . ولو كان لهم ما يدعونهُ من معرفة الغيب والتنبوء بما سيكون بعد حين لسيطروا على الناس جميعاً وكانوا ذوي ثروات طائلة لا يضطرون الى تجشم الاسفار سعياً وراء القوت كما تروتهم يفعلون

الانكليوستوما

سيدي الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

اطلعت في دائرة المعارف الشهرية التي تصدر في مدينة فلادلفيا باميركا على كلمة للدكتور كيث بخصوص الانكليوستوما فرأيت ان ابعث ملخصها الى مجلتكم لعل اطباءنا يستعينون بها على مكافحة هذا المرض الذي هو من اكبر آفات هذا القطر

بدأ الدكتور كيث بوصف المرض والعلاجات التي استعملت لهُ حتى الآن ثم ذكر نتيجة معالجتهِ لسبعين اصابة بهِ فقال ان للهيموغلوبين الذي يكون في الدم علاقة كبيرة بشفائهِ

فاذا كان الهيموغلوبين نحو ستين في المئة من الدم كان من السهل شفاء الانكليوستوما اما اذا كان من ٤٥ الى ٥٥ في المئة فشفاؤها اصعب جدًّا واصعب منهُ ايضاً شفاؤها اذا كان الهيموغلوبين دون ٤٠ في المئة وفي هذه الحال لا ينتظر شفاؤها الاَّ في شهور كثيرة

واول ما يجب الالتفات اليهِ غذاء العليل وراحتهُ اذ قد ثبت ان هذا الالتفات يقلل ديدان الانكليوستوما و يجعل العليل يشعر انهُ آخذ بالتحسن و ينقص عدد البويضات ايضاً ولكنها لا تتلاشى ولو ظهر ان العليل قد شفي ولا ينقص الهيموغلوبين عن ذي قبل . وقد ظهر لي انهُ بعد موت الديدان وخروجها من الجسم يبقى بعض البويضات لاصقاً بجوانب الامعاء ولا يبعد ان يبقى بعض شرانقها واجنتها ايضاً في الدم فلا يلبث ان يفاجئ الجسم مرة ثانية

ومما يصعّب معالجة الانكليوستوما في هذه الاحوال غلظ الغشاء المخاطي في الجزء الاعلى من الامعاء فانهُ يكون سدًّا يمنع الدواء من الوصول الى الديدان

ثم تطرق الدكتور المذكور الى ذكر العلاج الذي يراهُ انجع من غيرهِ فقال انهُ وجد بعد البحث والاختبار ان ثلاثين حبة من البتانفتول توُخذ صباحاً افضل من اليوكالبتوس والثيمول بكثير اما منع الطعام عن العليل مدة المعالجة فلا يوافق عليهِ لعدم ظهور فائدة منهُ ولان الجزء الاعلى من الامعاء يكون خالياً من مواد الطعام بعد تناول العشاء بخمس ساعات او ست فيمكن اعطاؤهُ الدواء في الصباح

ومن المقرر ان الجرعات الكبيرة من هذه الادوية اذا تكرر اعطاؤها احدثت تهيجاً في الغشاء المخاطي لكنهُ لا يرى ذلك سبباً كافياً لمنع وصفها

ثم ختم كلامهُ بقولهِ انهُ يلزم العمل على استئصال شأفتها وعدم الخوف من النتائج الوخيمة التي يظن انها تنتج عن الاكثار من اخذ الادوية المضادة لها

مصر　　سمعان نجار

تفسير الاحلام

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

منذ اربع سنوات حلمت اني قلعت اضراسي من جهة اليسار وان لثتي انقلعت معها ولم اشعر بالم وتكدرت كثيراً في حلمي لاني صرت بدون اضراس . ولما نهضت من نومي قصصت حلمي على معارفي فتشاءموا منهُ . وفي آخر النهار علمت ان احد عملائي الذين لي عليهم دين

قد افلس افلاساً احتياليًّا . ومنذ ذلك الحين لا تمضي عليَّ بضعة اشهر من غير ان احلم حلماً يشابهُ ذلك الحلم وكلما حلمت بقلع الاضراس حصل لي في اليوم التالي ما يكدرني

وبالامس حلمت اني قلعت نابي الايسر من الفك الاعلى واخذت اقلبهُ فوجدتهُ صحيحاً وقلت لا بد من ارجاعهِ الى مكانهِ ولما هممت بارجاعهِ رأَيتهُ متآكلاً فشققتهُ من اعلاهُ الى اسفلهِ بيدي وعجبت لاني لم اشعر بأَلم . ولما استيقظت قلت هذا الحلم كاذب لاني رايت فيهِ دماً والمتعارف عند الذين يصدقون بالاحلام ان الدم ينقض (يفسخ) الحلم . ولكنني تعبت كثيراً مع اني لم اقم بالاعمال التي اقوم بها عادةً وزاد كدري وقوي اعتقادي بصحة الاحلام فهل من تعليل تعللون بهِ هذه الاحلام غير ما قلتم في كلامكم على احتراق معرض كومو ومقتل امبراطور روسيا

سان باولو البرازيل بولس الخوري

[المقتطف] كلاَّ والمرءِ قلما يخلو من شيءٍ يكدرهُ فاذا توقع الكدر انتبه لهُ والاَّ فقد لا ينتبهُ لهُ . ونشير على كل من يريد البحث عن صحة الاحلام ان يكتب في الصباح ما يحلم بهِ وتاريخهُ بالتدقيق فانهُ اذا فعل ذلك فالمرجح عندنا انهُ لا يصح لهُ حلم الاَّ ما كان استنتاجاً عقليًّا



نقابات التعاون الزراعية

تأليف عبد الرحمن افندي الرافعي المحامي

موَلف هذا الكتاب من نوابغ كتَّاب العصر ومن اوسعهم اطلاعاً واذكاهم فوآداً وقد جاء هذا الكتاب في وقتهِ لان القطر المصري مهتم اشد الاهتمام بانشاء النقابات الزراعية . ولقد راقبنا هذهِ النقابات منذ اول نشأتها كما راقبها غيرنا وكان لنا مع المرحوم عمر بك لطفي واضع اركان النقابات الزراعية حديث طويل في هذا الموضوع فاننا كنا نخشى ان يقصد منشئوها الربح التجاري او التشويش السياسي لكن ما ظهر لنا من اعمال هذهِ النقابات حتى الآن يدل على انها كبيرة النفع خالية من الضرر . وعسى ان يكون موَلف هذا الكتاب مخطئاً حيث قال في مقدمتهِ ان القانون الجديد الذي وضعتهُ الحكومة وانتهت الجمعية التشريعية من

مناقشته «قواعده منافية لروح التعاون» فان كان المؤلف لا يستحسن النقابات التي تتبع قانون الحكومة و يطلب ان تؤلف نقابات اخرى مخالفة لها وغير جارية على قانون الحكومة ولا راضية بمراقبتها فهناك محل للظن انهُ يقصد بهذهِ النقابات مقاصد اخرى غير المقاصد الاقتصادية المحضة وعسى ان يكون هذا الظن بعيداً عن الحقيقة

والكتاب كبير يقع في نحو ٢٥٠ صفحة حافلة بما يفيد لا تقرأ فصلاً منهُ الاَّ وتجد فيهِ اموراً شتى تاريخية واقتصادية مما لهُ شأن في موضوعهِ حتى كأنهُ خزانة فوائد مجموعة ومنسقة احسن تنسيق . ولكن المؤلف ميال الى اسناد عيوب الحالة الحاضرة الى الحكومة ولومها عليها وفاتهُ ان حكومة القوم منهم . نعم ان في البلاد قوة اخرى اجنبيَّة ولولم تكن هذه القوة في البلاد اكانت حال البلاد الاقتصادية اصلح ممَّا هي الآن

وميل المؤلف الى لوم الحكومة جعلهُ يغضي عن حسناتها او يعدها مع السيئات فالبنك الزراعي ليس من الحسنات الخالية من كل شائبة ولكن تمكُّن الحكومة المصرية من جعل الاوربيين يسلفونهُ اموالهم بفائدة ثلاثة او اربعة في المئة حسنة من اكبر الحسنات لا تستطيعها تركيا ولا روسيا ولا انكلترا لشعبها . والفائدة التي يأخذها البنك العقاري وهي ستة في المئة اقل من الفائدة التي تأخذها البنوك في اميركا من الفلاحين الاميركيين

ولا شبهة عندنا ان تسهيل الدين على الفلاحين يضرُّ بهم وان الدين كلهُ ضرر وخير للانسان ان يأكل الخبز القفار او يبيت على الطوى ولا يستدين غرشاً . والحكومة غير مطالبة بخطإ الناس اذا استدانوا او استغرقوا في الدين ولكنها مطالبة بوقايتهم من المرابين . واقدر منها على ذلك جمعيات التعاون التي شرحها هذا الكتاب وتعليم الناس الاقتصاد في نفقاتهم ومد ارجلهم على قدر بساطهم . ويجب ان يبتدئ هذا التعليم في البيت والمدرسة و يتناول الصبيان والبنات وان يكتب فيهِ الكتَّاب و يخطب الخطباء فمتى ربي الناس على الاقتصاد في نفقاتهم الى حد التقتير صاروا يهربون من الدين كما يهربون من الافعى و يبذلون كل واسطة لتكثير ثروتهم

كتاب تشخيص الامراض الباطنية

اعاد سعادة العالم العامل الدكتور عيسى حمدي باشا طبع كتابهِ تشخيص الامراض الباطنية بعد ان اضاف اليهِ اضافات كثيرة وطبَّقهُ على حالة العلم الآن

والكتاب مسهب في بابهِ ملمٌّ بتفاصيل هذا العلم مزدان بمئة وواحد وسبعين شكلاً يقع

في اكثر من خمس مئة صفحة لم يدع موّلفهُ فائدة تتعلق بهِ الاَّ اضافها اليهِ ووضع مع اكثر الكلمات العلمية الصورة الفرنسوية التي تكتب بها

والواقف على هذا الكتاب يأسف لان تعليم الطب نقل من اللغة العربية الى الانكليزية او الفرنسوية في المدارس المصرية والسورية لانهُ اذا استطاع رجل مستقل ان يوسع كتابهُ ويطبعهُ مراراً على نفقتهِ فكيف تعجز الحكومات والمدارس الجامعة عن اعادة تنقيح الكتب الطبية وطبعها كل بضع سنوات . ولا يخفى ان تعلُّم الانسان للعلم بلغتهِ اسهل من تعلمهِ بلغة اجنبية هذا فضلاً من استفادة جمهور القراء من الكتب التي تنشر بلغتهم

جواهر البلاغة

في المعاني والبيان والبديع

لموّلفهِ احمد افندي الهاشمي مراقب مدارس فكتوريا الانكليزية بالقاهرة

هذه الطبعة الثالثة من هذا الكتاب واعادة طبعهِ ثلاثًا تدل على رغبة المدرسين فيهِ . ومن مزاياهُ كثرة التمارين التي لا تفهم القواعد جيداً ولا ترسخ في الذهن الاَّ بها فقد احسن موّلفهُ بذلك غاية الاحسان

الضوء المشرق

في علم المنطق

للشيخ الاستاذ ابرهيم الحوراني

وهو يشتمل على علم المنطق القديم والمنطق الحديث اي منطق ارسطوطاليس ومنطق هملتون وغيرهِ من المحدثين

وضع الاستاذ الحوراني كتاباً في المنطق منذ اكثر من ثلاثين سنة سماهُ شمس البرهان في علم الميزان كان يقرئهُ لتلامذتهِ في الكلية الاميركية في بيروت وقد صحت عزيمتهُ الآن اجابةً لطلب بعض الفضلاء على وضع هذا الكتاب فاخذ من كتابهِ الاول خير ما فيهِ وضمنهُ فوق منطق الاقدمين منطق المحدثين المعوَّل عليهِ في اوربا واميركا وغيرهما من البلاد التي نهجت نهجهما واتى فيهِ بكثير من مبتكرات البيان التي تظهر بها الاحكام للعيان ويستطيع بها اللبيب ان يتقن المنطق بلا استاذ احسن اتقان

والكتاب مقسم الى ابواب وفصول ختم كل فصل فيها باسئلة كثيرة لاجل التمرُّن وقد طبع في المطبعة الاميركية في بيروت وثمنهُ ١٢ غرشاً

التمريض المنزلي

للدكتور محمد عبد الحميد بك

الدكتور محمد بك عبد الحميد طبيب عالم عامل خدم علم الطب في هذا القطر وخدم القطر بهِ اجل خدمة بما الفهُ وترجمهُ من الكتب الطبية وآخر ما نشرهُ من هذه الكتب المفيدة كتاب التمريض المنزلي وكأَنهُ جمع فيهِ ما كان يلقيهِ على الممرضين في مستشفى قليوب الذي هو طبيبهُ والذي رأَينا فيهِ من ادلَّة الاعتناء بالمرضى ما لم نرَ اوفى منهُ في مستشفى آخر وقد قدَّم لهُ مقدمة وجيزة ابان فيها غرضهُ من وضعهِ حيث قال

يحدث المرض في البيت فيحدث القلق والشجو ، ويتساءَل افراد الاسرة عمن يقوم بتمريض المريض . والاصوب ان تقوم بالتمريض ممرضة قد درست هذا الفنَّ ، ومارستهُ زمناً طويلاً ، لكن ذلك لا يتيسر لاسباب كثيرة ، فقد يكون المرض يسيراً لا يحتاج لاستحضار ممرضة خاصة ، وقد يكون المريض بعيداً عن مكان الممرضات ، وقد لا توجد ممرضة خالية عن العمل اذا كان المرض منتشراً كما يكون في زمن الوباء ، وقد لا تسمح حالة الاسرة ، الى غير ذلك مما يضطر المرأَة احياناً الى تحمل مسؤُولية التمريض على غير استعداد منها . فلهذه المرأَة وضعتُ هذا الكتاب ارادةَ مساعدتها في ما عساهُ ان يضاف الى جدول اعمالها يوماً ما

فعسى ان يفي هذا الكتاب بالغاية التي وضع لاجلها

عكار

مجلة شهرية تصدر في بينو عكار وتبحث في كل المواضيع النافعة ما خلا الدين والسياسة وغايتها الاساسية ان تربط قلوب العثمانيين بمحبة الدولة والوطن وان تكون حلقة اتصال دائم بين الوطن والمهجر . وقد جاء فيها ان ربحها بعد نفقاتها مختص بمساعدة الفقراء

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) المسيحيون والعربية

مصر. محمد افندي سالم. هل ظهر منذ اول الاسلام بين نوابغ المسيحيين مَن يُعَدُّ قولهُ حجة في العربية

ج. نعم مثل الاخطل فانهُ شاعر مسيحي وقولهُ حجة. ويظهر لنا ان الاقدمين في اول عهد الاسلام كانوا حريصين على الاعتراف بفضل الفضلاء مهما كان دينهم. انظروا مرثاة الشريف الرضي في ابرهيم الصابي الكاتب الشهير وهو من الصابئة ومطلعها

اعلمتَ مَن حملوا على الاعوادِ
ارأيت كيف خبا ضياء النادي
جبَل هوى لو خرَّ في البحر اغتدى
من وقعهِ متتابع الازبادِ

الى ان قال

قد كنتُ اهوى ان اشاطرك الردى
لكن اراد الله غير مرادي
مَن للبلاغة والفصاحة ان همي
ذاك الغمام وغب ذاك الوادي
لا تطلبي يا نفس خلاًّ بعدهُ
فلمثلهُ اعيي على المرتادِ
لك في الحشى قبر وان لم تأوهِ
ومن الدموع روائح وغوادي

وهي طويلة تقع في ٨٢ بيتاً وكلها على هذا النسق. والشريف الرضي اشعر الهاشميين الذين هم افصح العرب وكان امام اللغة وقدوة البلاغة في عصرهِ

---

(٢) ضرر نزع الشعر

كولن بكندا. الخواجه عقل خليل الحداد. هل من ضرر من نزع الشعر من الوجه ومنع نموهِ ثانية بواسطة الابرة الكهربائية

ج. كلا اذا نزع الشعر بها رجل ماهر ولم يحرق الاَّ بصلاتهِ

(٣) اصل كلمة جبسي

ومنهُ. لماذا يسمون النوَر (النجر) جبسي باللغة الانكليزية

ج. الكلمة الانكليزية محرفة من كلمة اجبشيان اي مصري لاعتقاد الاوربيين في القرون الوسطى ان اصل هؤلاء الناس من مصر مع ان اصلهم من الهند

(٤) كيف استعمرت بريطانيا الهند

طنطا . احمد افندي محمد الحكيم . كيف استعمرت بريطانيا الهند وجعلتها مستعمرة خاضعة لها وفي اي سنة حصل ذلك

دخل الانكليز وغيرهم من الاوربيين بلاد الهند لاجل الاتجار في عهد دولة المغول وكان السبق لاهالي البرتغال فانهم وصلوا اليها سنة ١٤٩٨ حالما اكتشفوا الطريق اليها بحراً حول افريقية ثم تبعهم الهولنديون في القرن التالي اي سنة ١٥٩٦ والفوا شركة تجارية للهند الشرقية سنة ١٦٠٢ وكان الانكليز قد الفوا شركة تجارية في آخر يوم من سنة ١٦٠٠ باسم شركة تجار لندن المتجرين في الهند الشرقية ثم الفوا شركات اخرى مثلها فضمت هذه الشركات معاً وتغير نظامها فبعد ان كانت تجارية محضة صارت تقتني الاملاك وتفتح البلدان ثم صارت تنتصر لبعض ملوك الهند على البعض الآخر وكان لفرنسا شركة هندية ايضاً . فاشتدت المناظرة بين الشركتين تجاريًّا وسياسيًّا وكانت الغلبة للشركة الانكليزية فجعلت تضرب الضرائب على السكان وتحارب الملوك وتقهقرهم الى ان ثارت البلاد عليها فساعدتها الحكومة الانكليزية لان السلطة السياسية كانت قد صارت اليها ثم الغتها سنة ١٨٥٨ فصارت البلاد للدولة الانكليزية . وقد تيسر للشركة الانكليزية والحكومة الانكليزية الاستيلاء على بلاد الهند لانها كانت ممالك متخاذلة لا تعدل في الرعية ولا تحسن سياستها وكل من لا يسوس الملك ينزعهُ

(٥) سكان الشمس والقمر

ومنهُ . هل يوجد سكان في الشمس والقمر كما في المريخ

ج . لم يثبت ان المريخ مسكون وان كان مسكوناً فسكانهُ ليسوا مثل سكان الارض . اما الشمس والقمر فيبعد عن الاحتمال انهما صالحان لسكن الاحياء المادية لان الشمس حارَّة جدًّا تنحل فيها المركبات الآلية والقمر خالٍ من الهواء على ما يظهر

(٦) طرابلس الغرب والسوريون

زحلة . ادارة غرف القراءة . ما هو رأيكم في الاشغال التجارية في طرابلس الغرب وما هي البضائع التي يمكن رواجها فيها وهل تحتاج الحكومة الايطالية الى موظفين عارفين بالعربية والايطالية وما هي حال البلاد من جهة الهواء والاحوال الصحية . وهل يحسن بالسوريين ان يهاجروا اليها

ج . لقد فتحت ايطاليا طرابلس الغرب لتجعلها منتجعاً للايطاليين حتى يهاجروا اليها بدلاً من المهاجرة الى اميركا ونظن انهُ يصعب على امة اخرى ان تناظرهم في بلادهم . واذا نجحت التجارة الآن في طرابلس الغرب فيكون في الصادر منها الى اوربا لا في الوارد اليها من اوربا والبلدان الشرقية الاَّ في المنسوجات

والنيلة ولكن متى سهلت المواصلات في البلاد واستتبَّ الامن فيها واصلحت طرق زراعتها ففيها خيرات طبيعية كثيرة وحينئذٍ يكثر الصادر منها فتكثر النقود لدى اهلها وتزيد البضائع التي يستوردونها من الخارج · ولا نظن ان الحكومة الايطالية تحتاج الى كثيرين من الموظفين من غير الايطاليين والطرابلسيين · والبلاد من حيث الهواء من اجود البلدان · واذا هاجر السوريون اليها الآن فقد هاجر اليها اسلافهم قبلهم وانشأوا قربها مملكة عظيمة قاوت الرومان وتغلبت عليهم في عقر دارهم · واذا بقيت احوال سورية على ما هي عليهِ الآن والسوريون يأبون الضيم فلا يبعد ان يهجرها اكثر سكانها ولو اضطروا ان يسكنوا صحاري افريقية

(٧) القيام في الشمس

دمشق · احد القراء قرأت في مقتطف فبراير الماضي جوابكم على سؤال خليل بك مردم المعنون بالقعود في الشمس · وقد اجبتموهُ بما جعلنا نشكركم على بذل الهمة لاظهار الحقائق العلمية ولكن لم تذكروا فيهِ كيفية قعود الانسان في الشمس هل يجب ان يكون مجرداً من ثيابهِ او لابساً لها فاني اقعد في الشمس مجرداً من ثيابي كلها فارى بذلك نشاطاً وصحة حتى وصلت الى درجة اني اقعد في الشمس مجرداً من ثيابي من مطلعها الى مغربها في قمم الجبال فما رأيكم في ذلك وانا غير مشترك في مجلتكم ولكنني اطالعها والسؤال على ما ارى مفيد للجميع يحسن نشره

ج · ان السؤال كما قال السائل مفيد ولكنهُ لم يوقع اسمهُ «باحد القراء» كما ذكرنا بل وقعهُ باسم رجل معروف كأَنهُ يريد ان يصفهُ بالجنون فان صدق ظننا فيكون السائل قد ارتكب جريمة من اكبر الجرائم وادناها · اما قيام الانسان في الشمس عارياً بضع دقائق كل يوم فمفيد ويسميهِ علماء الصحة بالحمام الشمسي ولكن لا ينتظر من عاقل في هذا العصر ان يخلع ثيابهُ ويقيم على الجبال عارياً من مطلع الشمس الى مغربها · وغاية ما يمكن عملهُ اذا كان للواحد غرفة منفردة تدخلها الشمس من كوة ان يقيم فيها بضع دقائق عارياً كل يوم كما يقيم في الحمام فان الجسم يستحم بالشمس والهواء كما يستحم بالماء

(٨) المجلات العلمية الانكليزية

مصر · عبد الرحمن افندي جمجوم · نرجو من حضرتكم ان تفيدونا عن اسماء بعض المجلات الانجليزية العلمية المفيدة ولا بأس من ذكر قيمة اشتراك احداها

ج · في الانكليزية مجلات علمية كثيرة مختلفة فلكل من علوم الحيوان والنبات والفلك والكيمياء والعاديات والزراعة والبناء والطب والجراحة مجلات مخصوصة · فاذا اردتم مجلة علمية عامة فمجلة نانشر Nature تبحث في اكثر العلوم وهي اسبوعية وقيمة الاشتراك

فيها جنيه وعشرة شلنات وست بنسات وعنوانها Macmillan & Co. London

(٩) بيضة صغيرة

الموصل . ن . ع عندنا دجاجة مع ديكها كبيرة الحجم بقدر الاوز وقد جلبناها من كرمنشاه ببلاد العجم وهي نادرة الوجود في بلادنا وتبيض كل يوم بيضة بحجم بيض الاوز و بعد ان دامت على البيض اثني عشر يوماً باضت في اليوم الثالث عشر بيضة صغيرة قدر بيض الحمام وقد ارسلناها اليكم مع البريد وظاهر البيضة انها كاملة لا ينقصها شيء . ولا نعرف سبباً لهذا التغيُّر الفجائي غير تغير المكان . ومن بعدها عادت تبيض بيضاً كبيراً كعادتها فنرجو ان تعللوا لنا سبب ذلك

ج . وصلت البيضة والظاهر انكم ارسلتموها نيئة فانكسرت قشرتها في الطريق وفسدت فلم نستطع ان نرى ما فيها لشدة فسادها ونتانتها وحبذا لو سلقتموها جيداً قبل ارسالها فانها كانت تبقى سليمة ولو كسرت قشرتها في الطريق . والبيض الصغير كذلك نادر وسببهُ تكوُّن البيضة في القناة التي بين المبيض والمخرج فلا يكون فيها مح لان المح يكون في المبيض فتخرج صغيرة . ولو وصلت هذه البيضة سليمة لوجدنا انها بياض فقط لا محَّ فيهِ . والغالب ان يكون ذلك في آخر فصل البيض فتكون البيضة الصغيرة آخر بيضة تبيضها الدجاجة . والظاهر انهُ حدث سبب لدجاجتكم في اليوم الذي باضت فيهِ البيضة الصغيرة فلم يخرج مح من مبيضها فاجتمع البياض الذي كان في انتظارهِ وتجمَّع القشر عليهِ فخرج بيضة صغيرة . و يقول العامَّة ان هذه البيضة الصغيرة هي بيضة الديك والقول خطأ كما لا يخفى

(١٠) التربية الصالحة

حلب . عبد الوهاب افندي الزو يتيني . ما هو الطريق الاكيد لتربية نشء صالح يجدد للشرق حياتهُ وما يلزم الآن لتربية ذلك النشء التربية الصالحة حتى يكون عضواً في منتدى التسابق المدني في العصر الحاضر

ج . متى غرست الفضائل الصحيحة في نفوس اولادنا وتربوا ايضاً على الاجتهاد وحفظ الصحة وتعلموا من العلوم ما يلزم للنجاح في الاعمال التي يتعاطونها فالمرجح عندنا انهم يجددون للشرق حياتهُ . والفضائل معروفة اخصها الصدق والامانة وتجنُّب ضرر الغير . ونريد بحفظ الصحة خاصَّة الابتعاد عن كل ما يضعف الجسم والعقل كالسكر والشبق والسهر والتزام ما يقويهما كالرياضة البدنية ومطالعة الكتب المفيدة . ولكننا لا نعلم من يربي اولادنا هذه التربية فان مدارسنا قلما تصلح لها والوالدون يقل منهم الكفوء لذلك

(١١) الاخلاق

ومنهُ . هل تخلَّق الانسان بامهات

الفضائل فطري ام اكتسابي وهل اذا كان اكتسابيًّا يكون آتيًا من صلاح الوسط او من حسن التربية

ج · ان الاخلاق الفطرية الاولى لا يوافق اكثرها الآداب العصرية فان منها الكذب والاحتيال والسرقة وهذه كانت لازمة لاسلافنا الاولين ثم جاء العمران فرأى اهلهُ مثلاً ان الكذب الذي كان لازمًا للبدوي حتى يعيش صار يضرُّ الجمهور في حالة الحضارة فحُرِّم وحضَّ الناس على الصدق ولذلك فالاخلاق الرديئة ارسخ في النفس من الاخلاق الكريمة فتظهر هذه تارةً وتلك اخرى حسب قوانين الوراثة · فاذا اعتاد الوالدان واسلافهما الصدق فالغالب ان ولدهما يرث الصدق منهما ويكون اميل اليهِ بالطبع منهُ الى الكذب واذا اعتادا الكذب فالغالب ان ولدهما يكون مثلهما واذا لم يأتِ مثلهما من هذا القبيل بل جاء ميالاً الى الصدق فيكون ذلك لان بعض اجدادهِ كانوا كذلك فانتقل هذا الميل اليهِ ولم يظهر في والديهِ لان الصفات قد تكمن في بعض الآباء ثم تظهر في الاولاد · والتربية تفيد في تهذيب الاخلاق وكذلك الوسط

(١٢) ازالة المغنطيسية

المنشاة · فؤاد افندي ····· ساعة وضعت في دينامو كهربائي فتمغنطت فهل من طريقة لازالة المغنطيسية منها

ج · اذا فككت واحميت ادواتها الحديدية زالت المغنطيسية منها ولكن بعض هذه الادوات لا يعود يصلح · ولذلك طريقة اخرى وهي ان توضع الساعة كما هي في طريق المجرى الكهربائي بحيث يمرُّ عليها من اليمين الى اليسار مثلاً ثم يمرُّ مجرًى اخف منهُ من اليسار الى اليمين ثم اخف من هذا من اليمين الى اليسار وهلم جرًّا الى ان تصل الى مجرًى خفيف جدًّا · فالمجرى الثاني يزيل اكثر فعل الاول والثالث يزيل اكثر فعل الثاني والرابع يزيل اكثر فعل الثالث الى ان تزول المغنطيسية كلها تمامًا وقد يتم ذلك في وقت قصير جدًّا

(١٣) عدد سكان الممالك الكبيرة

غونوبا هي بالبرازيل · الخواجه حبيب ابو خلف · كم عدد السكان لكل مملكة من الممالك الكبيرة التي سكانها اكثر من ثلاثين مليونًا حسب الاحصاءات الاخيرة

ج	المملكة	ملحقاتها
الصين	٣١٦٨٥٠٠٠٠	٠٠٣٨٠٠٠٠٠
روسيا	١٧١٠٥٩٩٠٠	٠٠١٨٩٦٠٠٠
الولايات المتحدة	٩١٩٧٢٢٦٦	٠٠٨٠٠٠٠٠٠
المانيا	٦٤٩٢٥٩٩٣	٠١٢٠٠٠٠٠٠
اليابان	٥٢٩٨٥٤٢٨	٠٠٣٥١٢٦٠٧
النمسا والمجر	٤٩٢١١٤٢٧	٠٠١٩٦٢٤١١
انكلترا	٤٦٠٣٥٥٧٠	٣٧٨٦٣٩٥٩٠
فرانسا	٣٩٦٠١٥٠٩	٠٤٠٠٠٠٠٠٠
ايطاليا	٣٥٢٣٨٩٩٧	٠٠١٠٨١٠٠٠



وفاة صاحب الهلال

فُجع الفضل وذووهُ والعلم وطالبوهُ والادب ومحبوهُ بوفاة صديقنا العالم العامل جورج بك زيدان صاحب مجلة الهلال توفاهُ الله بغتةً يوم الثلاثاء مساء في ٢١ يوليو فكان لمنعاهُ رنة حزن في قلوب جميع اصدقائهِ وعارفي فضلهِ وسنأتي على ترجمتهِ في جزء تالٍ

اخطار التلغراف اللاسلكي

ما كاد الناس يستفيدون من التلغراف اللاسلكي حتى ظهرت منهُ محذورات كبيرة يخشى ان توازي اضرارها فوائدهُ فقد حدثت حوادث خطيرة استلفتت انظار اهل العلم والسياسة فاهتموا لها واخذوا يمعنون النظر للوقوف على كنهها واسرارها

لم يبرح من البال حادثة انفجار الدارعة يانا الفرنسوية وما كان لهُ من التأثير السيء في الاذهان لعدم التمكن من الوقوف على سبب الانفجار الذي بقي سرًّا غامضاً الى الآن. ولما تولت لجنة الفحص البحث عن سبب الانفجار اخبر احد عمال الكهرباء رئيس اللجنة ان آلات الدارعة الكهربائية اضطربت قبل الانفجار ببضع دقائق بتأثير التموجات الكهربائية التي صدرت من مركز التلغراف اللاسلكي في الاسطول الراسي وقتئذٍ هناك فاهتم رئيس اللجنة لهذا الخبر واستشار بعد عودتهِ الى باريس العالمين الكهربائيين الشهيرين برانلي ودوكريته فلم يستطيعا ان يجيباهُ جواباً شافياً. ثم حدثت حوادث شبيهة بحادثة الدارعة يانا ولكنها اقل منها ويلاً فقد انفجر في مدغسكر مخزن للبارود والقذائف وثبت ان الانفجار كان مسبباً من شرارة كهربائية فرجحوا ان تلك الشرارة صدرت من تموجات تلغراف لاسلكي

وفي ٧ فبراير سنة ١٩١٤ نسف الانكليز بالامواج اللاسلكية مركباً قديماً مهجوراً ويقول احد مهندسيهم انهُ قد يكون لذلك فائدة كبيرة فاذا وضع مدفع على الصخور التي يخشى منها على البواخر الضالة فالمدفع ينطلق من نفسهِ بشرارة تلغراف لاسلكي فينبّه الباخرة على الخطر الذي يترصدها وان من الممكن كذلك استخدام هذه التموجات لنسف مدرعات العدو التي تهاجم الشواطئ

وشاهدوا الشرارات الكهربائية في شارع كلود برنار في باريس حيث يوجد مركز

تلغراف لاسلكي تسير على انابيب الرصاص التي يجري فيها الغاز وعلى كل ما هو معدن او موصل للكهربائية

وتحققوا في باخرة من البواخر الكبيرة ان الشرارات الكهربائية تجري على حلقات سلسلة المرساة وهي راكزة على صفيحة من خشب · وان المصابيح الكهربائية التي توضع على رؤُوس السواري لا تصلح كل مدة استعمال التلغراف اللاسلكي اذا كان مركزهُ اسفلها وهذه المصابيح تنار وتطفأ على التعاقب وتستعمل للاشارات فلا تعود انارتها ممكنة الاَّ بعد توقف التلغراف عن العمل

فهذه الحوادث وان قلّت وكانت المعرفة بها لا تزال قاصرة قد نبهت افكار رجال البحر والعلم والسياسة الى درسها ودرء اخطارها فتألفت لجنة وزارية في الولايات المتحدة وقررت منع التلغراف اللاسلكي من البواخر التي تحمل مواد ملتهبة وقابلة للانفجار كالبترول والغازولين والبارود الخ وقرروا في المانيا استبدال الالومينيوم بالخشب في بناء البالونات المسيرة ولم يقرروا ذلك الاَّ لان الالومينيوم موصل للكهربائية ويخشى ان تتصل بهِ التموجات اللاسلكية فتهلك البلون · ويقول مهندس فرنساوي ان اشد الخطر يكون في مركز التصدير لان جهاز التلغراف يولد قوة عظيمة جدًّا يصدر منها مجرى قوي وشرارات تكون شديدة الخطر على الاساطين والاسلاك التي تسير فيها تلك القوة الهائلة واما في مركز القبول فلا خطر لان المجرى يتبدد قسم كبير منهُ فيصل اليهِ ضعيفًا وعليهِ فتلافي الخطر ممكن بالطرق الفنية

وعلى كل حال لا يجوز ان تنسب كل الحرائق الى هذه التموجات · الاَّ انهُ اصبح من الواجب ان يحسب لها حساب لان القوة التي وقت حياة كثيرين من الغرق يخشى ان تميت بقدر ما تحيي

صغر الجواهر ومقدارها

قال السر ارنست رذرفورد انهُ اذا اقمنا مئة مليون رجل على عد الجواهر التي في السنتيمتر المكعب من غاز الهليوم وعدَّ كل منهم اربعة جواهر في الثانية من الزمان واستمرُّوا يعدون نهاراً وليلاً صيفًا وشتاء سنة بعد اخرى من غير انقطاع لم يتموا عد هذه الجواهر في اقل من الفي سنة · ومع ذلك فقد صنع هو والاستاذ جيجر آلة تتأثر بهذه الجواهر وتبقي اثراً لكل جوهر منها على خط يرسم فيها فكانها آلة لاظهار الجواهر الفردة وعدها

هبات سيدة اميركية

في السابع عشر من شهر يونيو توفيت مسز موريس كتشم جسب من فضليات

السيدات الاميركيات وقد وزعت من الهبات في وصيتها ما يربي على مليون ونصف من الجنيهات . فاوصت لمتحف التاريخ الطبيعي في مدينة نيو يورك بمليون جنيه وكان زوجها الذي توفي سنة ١٩٠٨ قد وهبهُ مئتي الف جنيه في حياتهِ ثم اضاف اليها مثلها في وصيتهِ. وقد كان رئيساً لدائرة امناء المدرسة الكلية الاميركية التي في بيروت و بعد موتهِ انتخبت هي عضواً في الدائرة المذكورة وهاك بعض هباتها التي اوصت بها للمعاهد العمومية من مدارس وغيرها

الكلية الاميركية في بيروت	٨٠٠٠٠	جنيه
جامعة يايل	٦٠٠٠٠	«
مدرسة يونيون اللاهوتية	٦٠٠٠٠	«
جمعية اتحاد الشبان المسيحيين	٥٠٠٠٠	«
مستشفى ولاية نيويورك النسائي	٣٠٠٠٠	«
كلية وليمس	٣٠٠٠٠	«
متحف الفنون المتروبوليتن	٢٠٠٠٠	«
المستشفى المشيخي	٢٠٠٠٠	«
معهد هامبتون	١٠٠٠٠	«
معهد تسكجي	١٠٠٠٠	«
مدرسة نورثفيلد	٠٥٠٠٠	«
مدرسة جبل حرمون	٠٥٠٠٠	«
جمعية علم الحيوان النيويوركية	٠٥٠٠٠	«
حديقة النبات في نيو يورك	٠٥٠٠٠	«
مستشفى ممور يال للسرطان	٠٢٠٠٠	«
مستشفى سنت لوك	٠٢٠٠٠	«

قوارب النجاة في الاكويتانيا

بين قوارب النجاة المعدة للطوارئ في الباخرة الكبيرة اكويتانيا قاربان في كل منهما محرّك يسيرهُ وجهاز للتلغراف اللاسلكي يبعث الرسائل الى بعد ١٠٠ ميل او ١٥٠ ميلاً وملاءات واغطية ومعدات طبية واقوات الى غير ذلك مما يحتاج اليهِ الذين ينكبون في البحر فتغرق الباخرة التي هم فيها ويلجأون الى القوارب . وقد دعا الى اعداد هذين القاربين ان الذين يلجأون الى قوارب النجاة تأخذ الامواج والارياح تتلاعب بهم فيتفرقون ويصعب على البواخر التي تأتي لانقاذهم ان تجدهم

وقاية النظر من النور

اذا التقى اوتوموبيل بآخر في الليل فقد يقع النور من المصباح الذي في مقدم احد الاوتوموبيلين على عيني سائق الاوتوموبيل الآخر فيبهرهما وعند ذلك لا يدري السائق كيف يتجه ويترتب على ذلك اخطار كثيرة وقد اخذ بعضهم يصنع نظارات خصوصية من نوع التي يلبسها السواق والطيارون معظم زجاجها بلون الكهرباء ولكن القسم الاعلى منها كهربائي قاتم فاذا وقع على عيني السائق نور يبهرهما فما عليهِ الاَّ ان يحني رأسهُ قليلاً لكي لا يقع النور على عينيهِ الاَّ بعد مرورهِ

بالقسم القاتم من الزجاج فيرى من خلالهِ ولا تبهر عيناهُ

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يلتئم مجمع تقدُّم العلوم البريطاني في استراليا في خلال هذا الشهر وقد سافر اعضاؤُهُ اليها من جهات مختلفة وسيلقى معظم خطبهِ في ادليد وسدني وبرسباين . اما رئيسهُ فالاستاذ باتسون وسيخطب في مذهب النشوء وتأثير الاكتشافات المندلية الحديثة فيهِ وتطبيق التحليل المندلي على الانسان وسيأتي ايضاً على ذكر الحياة والموت وماهيتها . ومن الخطب التي ينتظر ان تتلى فيهِ النجوم وحركاتها للاستاذ ادنجتون وفعل القلب الكهربائي للدكتور ولر . والاثير والفضاء للسر اوليفر لدج . والانسان الاول للاستاذ اليوت سمث والجواهر والالكترونات للسر ارنست رذرفورد . ومواد الحياة للاستاذ ارمسترنج . والتلغراف اللاسلكي للاستاذ هو . ومقام الفسيولوجيا في التعليم العمومي للسر ارنست شفر . وتتلى ايضاً خطب عمومية في الارض ونور الشمس للاستاذ مور . وعمل المدافع الكبيرة للدكتور روزنهين . وذوات الاذناب للاستاذ ترنر والساعات الدقاقة للسر كونجهام . والشعوب القديمة وبقاياها في العصر الحاضر للدكتور سولاس . والاحياء البحرية للاستاذ هردمان

نول لحياكة السجاجيد

نشرت جريدة السينتفك امركان وصف نول اخترعهُ ارمني من نزلاء نيويورك لحياكة السجاجيد العجمية ويدار هذا النول بالقوة البخارية ولا تفرق السجاجيد التي يحيكها عن السجاجيد التي يحيكها الحاكة بايديهم في شيء ولا ينقصها شيء من المتانة والرونق

منع الخطر من التريخينا

التريخينا حملة معروفة بشكل الدود تكون في لحم الخنزير فاذا اكل الانسان لحم خنزير موبوء بها دخلت في جسمهِ واهلكتهُ . وقد حقق بعض العلماء انها تموت اذا احميت الى ما بين الدرجتين ٥٣ و ٥٥ بميزان سنتكراد وقلما يطبخ اللحم الأ وترتفع حرارتهُ عن هذا القدر . ولكن الحرارة في قلب قطع اللحم لا ترتفع بسرعة مثل حرارة ظاهرها فاذا طبخت بتأنٍ حتى تستوي حرارتها داخلاً وخارجاً مات ما فيها من التريخينا

سيار ابعد من نبتون

نشر المسيو لو ابحاثاً لهُ في اعتسافات اورانوس ونبتون في جريدة علم الفلك قال فيها انهُ لا يبعد ان يكون وراء نبتون سياران او اكثر وانهُ لم يرَ في ابحاثهِ كلها حقيقة تناقض هذا القول او لا تنطبق عليهِ

محسنة مصرية

اشتهر الشرقيون بالكرم ولكن كرمهم كان يذهب في وجوهٍ لم تبقَ اليها حاجة في المدنية الحاضرة . وخير ما تبرع لهُ متبرع في عصرنا الحاضر معاهد التعليم والاحسان والمستشفيات وما اليها

وقد احسنت السيدة الفاضلة خديجة بهية هانم كريمة المرحوم علي باشا برهان اذ وقفت على الجمعية الخيرية الاسلامية قصراً فخماً ومنازل ريعها السنوي نحو مئتي جنيه وستمائة جنيه كل سنة من ايراد اوقاف اخرى . والجمعية المذكورة تعتني بتعليم الاولاد مجاناً وقد كان عندها في السنة الماضية نحو الف وسبعمائة تلميذ

من هبات كارنجي وروكفلر

تبرع المستر كارنجي المثري الاميركي المشهور باربعمائة الف جنيه لمعهد كارنجي في مدينة بتسبرغ ولمدرسة الصناعة فيها . وقد بلغ جملة ما تبرع بهِ لهذين المعهدين حتى الآن خمسة ملايين وثمانمائة الف جنيه

وتبرع المستر روكفلر بمبلغ ٥١٠٠٠٠ جنيه لمعهد روكفلر المختص بالبحث الطبي . وجملة ما تبرع بهِ لهذا المعهد حتى الآن تربي على ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه

تيارات البحار

القى الكوماندر هبورث خطبة في الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز قال فيها ان السبب الاكبر لمجاري الماء في البحار هو الرياح التي تضرب وجه الماء فتدفعهُ فانها اذا بقيت تهب زمناً طويلاً في جهة واحدة نشأ عنها مجرى . ومن الاسباب الاخرى اختلاف حرارة الماء وثقلهِ النوعي باختلاف الامكنة واختلاف مستوى سطحهِ لزيادة التبخر في بعض الامكنة عما يكون في غيرها ولانصباب ماء الانهار ودوران الارض على محورها

غدة قرد في عنق الانسان

استأصل الدكتور فورنوف المعروف في هذا القطر الغدة الدرقية من عنق ولد ابله في الرابعة عشرة من العمر بمدينة نيس واعاضهُ منها غدة درقية منتزعة من عنق قرد فعاشت غدة القرد في عنق الولد وشفي من البله ومن اعراض اخرى

زيت الطماطم

يستخرج الايطاليون زيتاً من بزر الطماطم يصلح للطعام ولاغراض اخرى . وقد جرب كيماوي اميركي استخراج هذا الزيت وفحصهُ فحصاً مدققاً ثم قال في الجمعية الكيماوية الاميركية انهُ من الزيوت التي تسهل تصفيتها ويظهر ان لا محذور من استعمالهِ في الطعام

الغدة الدرقية

بحث احدهم في محتويات الغدة الدرقية فقال انها لا تبقى على حالة واحدة بل تتغير بتغير الفصول وانهُ اذا زاد اليود فيها قل الفصفور واذا قل اليود زاد الفصفور · اما ثقل هذه الغدة فيتغير بتغيّر الفصول ايضاً في البقر والغنم ولا يتغير في الخنزير

نكبات البحر

اعظم نكبات البحر التي حدثت منذ سنة ١٨٥٠ حتى الآن هي نكبة التيتانك التي غرق فيها ١٥٩٥ نفساً ويتلوها غرق الباخرة امبراطورة ارلندة التي غرق فيها اكثر من ١٠٢٤ نفساً ثم غرق الباخرة كيشا مارو بالقرب من اليابان سنة ١٩١٢ واحتراق الباخرة جنرال سلوكم في ايست رفر بنيويورك سنة ١٩٠٤ وقد هلك مع كل منهما ١٠٠٠ نفس ثم غرق الباخرة نورج في الاتلنتيك سنة ١٨٩٤ وقد غرق معها ٦٠٠ نفس ثم غرق الدارعة ميكاسا اليابانية سنة ١٩٠٥ وقد غرق معها ٥٩٩ نفساً ثم الباخرة غريت كوينزلند ذهبت في عرض الباسيفيك سنة ١٨٧٦ وكانت مشحونة باروداً ولم يوقف لها بعد ذلك على اثر ولذلك ترجح ان البارود الذي كان فيها انفجر فنزلت الى قاع البحر هي و ٥٦٩ نفساً كانوا فيها

افراز غاز الحامض الكربونيك

بحث احدهم في ما يفرزهُ جسم الانسان من غاز الحامض الكربونيك فوجد ان كثرة الدهن المخزون في الجسم تقللهُ وان الرشح واختلال الهضم يزيدانهِ

نشوء العصب في الحيوان

يذهب الاستاذ باركر الاميركي الى ان العضل ظهر في الحيوان قبل العصب ويستشهد على ذلك بتجارب اجراها في بعض انواع الاسفنج فان عضلاتهِ لا تتحرك الاَّ بعد طروء المؤثر الخارجي عليها بدقائق وعندهُ ان سبب هذا التأخر في الحركة هو ان الاسفنج لهُ عضل يتأثر بالمؤثرات الخارجية مباشرة وليس لهُ عصب

الاطفال الضعفاء وصحة الامة

من المشهور عن الاسبارطيين انهم كانوا يعرّضون اطفالهم لعوامل الطبيعة لكي يموت الضعيف ولا يعيش الاَّ القوي ليكون جندياً قادراً على الذود عن الوطن وقد بحث بعض العلماء في هل يؤثر موت الاطفال في قوة افراد الامة فوجد ان لا تأثير لذلك فان البلدان التي تكثر وفيات الاطفال فيها ليست جنودها اقوى بنيةً من جنود البلدان التي تقل فيها وفيات الاطفال

ما هو السرطان

يرى المستر كرسول ان الموت بالسرطان هو الموت الطبيعي فاذا نجا الانسان من كل مرض آخر مات بهِ . وعندهُ ان سبب هذا الداء هو الشيخوخة فاذا اصيب بهِ انسان حديث السن فذلك لان قسماً من جسمهِ قد شاخ قبل اوان شيخوختهِ . ويرى ايضاً انهُ عبارة عن اختلال في الخلايا يجعلها تتناول من الاكسجين اكثر مما يلزم لها وانهُ يصيب الذين تقضي عليهم اشغالهم ان يقضوا اكثر اوقاتهم في الغرف التي يقل تجدد هوائها اكثر مما يصيب الذين يقضون اوقاتهم في الهواء الطلق وان الذين يدمنون شرب المسكرات يتعرضون لهُ لان الكحول يهيج الخلايا لتناول الاكسجين

السلكا في رئتي الانسان

من المعلوم ان الذين يشتغلون ببعض الصنائع التي يكثر فيها غبار السلكا كصناعة الخزف او التعدين يصابون بالامراض الرئوية اكثر من غيرهم . وقد بحث طبيب في رئات المعدنين في بعض المناجم بجنوب افريقية فوجد ان السلكا في رئة كل واحد من هؤلاء المعدنين تبلغ ٢,٨ الغرام الى ٩,٦ من الغرام وهي لا تزيد في رئة الانسان عادة على ٠,٥٥ من الغرام

رحلة القطب الجنوبي

عزم السر ارنست شكلتون على الذهاب الى القطب الجنوبي والقطع منهُ الى الجهة المقابلة حتى لا يعود في الطريق الذي ذهب فيهِ واعوزهُ جانب من المال لهذه الرحلة فتبرع لهُ السر جمس كيرد باربعة وعشرين الف جنيه

التزاوج بين الاقرباء

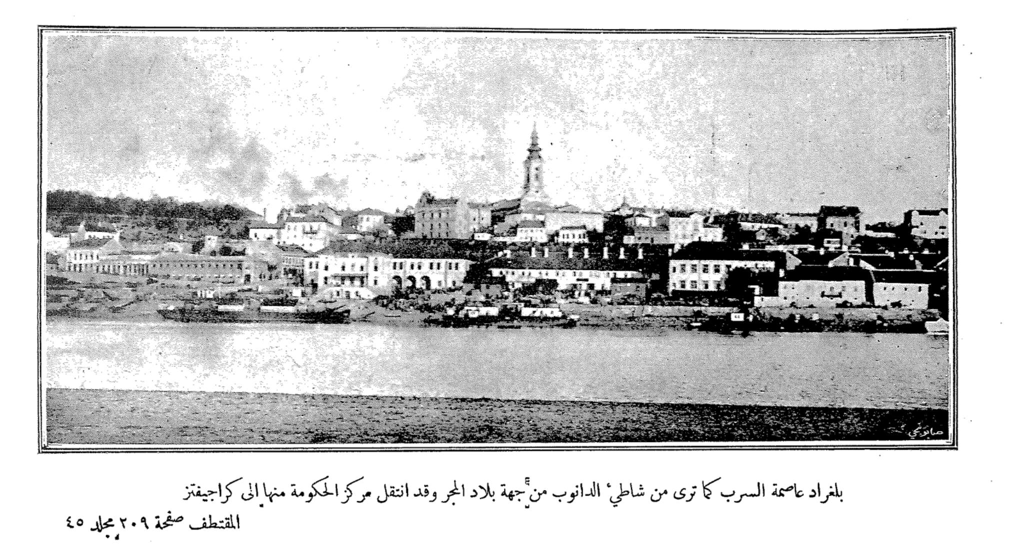
بحث الدكتور باست في نتائج تزاوج الجرذان البيضاء التي من سلالة واحدة فوجد ان وزن ادمغتها ينقص من سبعة الى عشرة في المئة في النسل الرابع وانها تخسر ثلاثين في المئة من قوتها على اكتساب العادات وفي ما عدا ذلك لا يظهر عليها انحطاط او تغير حتى النسل العاشر

ترعة بناما

في الثامن من شهر يونيو عبرت الباخرة اليانس في ترعة بناما وهي اول باخرة من البواخر الكبيرة التي تمخر عباب الاوقيانوس عبرت في هذه الترعة . وتدرجت في الاحواض الثلاثة من جهة الاتلنتيك الى بحيرة غاتون في ساعتين و٤٥ دقيقة وكانت قواطر الترعة تجرها من حوض الى آخر وبعد ذلك سارت بقوة آلاتها الى الاوقيانوس الباسيفيكي وقد كان عبورها على سبيل التجربة لان الترعة لم تفتح رسمياً لمرور البواخر بعد

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخامس والاربعين

صفحة



بلغراد عاصمة السرب كما ترى من شاطئ الدانوب من جهة بلاد المجر وقد انتقل مركز الحكومة منها الى كراجيفتز

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الخامس والاربعين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩١٤ — الموافق ١١ شوال سنة ١٣٣٢

الحرب الاوربية الكبرى

تمهيد

من حين نشأ ابن ادم على وجه البسيطة الى الآن لم تقع بين شعوبهِ حرب كالحرب الحاضرة في اتساع نطاقها وعظم الاستعداد لها وما ستجرهُ من الويلات على نوع الانسان ثم ما قد يترتب عليها من التغيير في تقسيم الممالك والبلدان

الممالك الاوربية الخمس الكبرى روسيا والمانيا والنمسا وفرنسا وانكلترا وثلاث من الممالك الصغرى السرب والبلجيك والجبل الاسود كل هذه الممالك اشتركت في هذه الحرب الطاحنة فعلاً وخاضت غمارها في البر والبحر والهواء . وقضت الحال ان تشاركها اليابان في اقصى المشرق و بلادنا المصرية الآمنة ولو كان اشتراكها بالاسم فقط

ولقد بدأت الممالك المحاربة بالتأهب لهذا اليوم العصيب منذ سنين كثيرة وهي تؤخرهُ جهدها كما يؤخر المريض عملية جراحية كبيرة قد تودي بحياتهِ آملاً ان يشفى بدونها . ولكن التأهب نفسهُ انهك قواها وهيَّج اعصابها حتى صارت تتأثر لاقل مؤثر ولذلك لم يكد شاب سربي يطلق مسدسهُ على ولي عهد النمسا وزوجتهِ حتى ارسل امبراطور النمسا مذكرتهُ الى ملك السرب وارسل معها بلاغهُ الاخير واتبعها بالسيف والمدفع وهو الامبراطور الشيخ الذي عرك الدهر وخبر نوائبهُ ولسان الحال يقول لهُ ولكل عاهل مثلهِ ما قالهُ فيلسوف شعراء العرب زهير بن ابي سلمى المزني

وما الحرب الاَّ ما علمتم وذقتمُ	وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً	وتضرَ اذا ضريتموها فتضرمِ
فتعرككُم عركَ الرحى بثفالها	وتلقح كشافاً ثم تحمل فتتئمِ
فتنتج لكم غلمان اشأم كلهم	كاحمر عادٍ ثم ترضع فتفطمِ

اسباب هذه الحرب

للحرب الاوربية الدائرة رحاها الآن اسباب مهيئة واسباب مباشرة. اما الاسباب المهيئة فمنشأها التنافس والتزاحم بين الدول العظمى على النفوذ السياسي والفوز التجاري والاقتصادي والتناظر في احراز الثروة بزيادة الاملاك والمستعمرات والتوسع في بسط رواق السلطة والنفوذ . وقد كادت هذه الحرب تشب غير مرة بين الدول لهذه الاسباب ولكن الدول نفسها كانت تحجم عن خوض غمارها خوفاً من عواقبها الوخيمة وفراراً من الدمار الذي تجرهُ وراءها ومع ذلك كلهِ لم تفتأ توالي الاستعداد لها بزيادة الجيوش وتعزيز الاساطيل واقامة الاستحكامات والحصون وترقية فن الطيران وبالاجمال تقوية جميع معدات الهلاك والدمار

فام اوربا كانت في الحقيقة واقفة على شفا جرفٍ هارٍ لا يحول دون سقوطها في الهوة التي تحتهُ سوى توازن سريع الاختلال . وكانت تتبادل عبارات المودة والسلام والمحبة والوئام وترفع عقيرتها بها لتخفي صوت شحذ السيوف التي كانت تصقل سرًّا استعداداً ليوم الصدام

اما السبب المباشر للحرب الحالية فاعلان النمسا الحرب على سربيا بتهمة اشتراكها في مقتل ولي عهد الامبراطور فرنز جوزف وانتشار السربيين الداعين الى الجامعة السربية والصقلبية في املاك النمسا والمجر ودسهم الدسائس لهذا الغرض

وقد اتفق جمهور الباحثين على ان النمسا جارت على سربيا في التهم وشددت عليها في المطالب من غير ان تتوخى اثبات التهم التي الصقتها بها ومن غير ان تدع للتوسط مجالاً تجمل بهِ سربيا على الاذعان لمطالب النمسا المشروعة بحسب المتعارف بين الدول

ولا يسع من يقرأ بلاغ النمسا الاول الى سربيا (وسننشر اكثرهُ في آخر هذه المقالة) الاَّ الحكم بان النمسا لم ترسلهُ وعندها شيء من الرجاء بقبولهِ لما تضمنهُ من المطالب فبعثتهُ عالمة انهُ رائد الحرب ومقدمة القتال اذ لا يعقل ان امة مستقلة مهما صغر شأنها وضعفت قوتها تصبر على هذا الضيم وتنام على هذه الاهانات فكان من ذلك الحرب الاولى بين النمسا وسربيا

كيف دخلت روسيا

تعترف الامم الصقلبية في البلقان وغير البلقان ان روسيا امها وحاميتها ولها عليها دالَّة الاولاد على الوالدة وهذا امر مشهور في اوربا حتى انهُ ليعد من اوليات السياسة فيها وقد حاولت الدول فصل الامم الصقلبية عن روسيا فكانت تفلح ثم تخبط في مساعيها والروسيون يرون كل اهانة توجه الى شعب صقلبي موجهة اليهم والى حكومتهم. فالنمسا لما اعلنت الحرب

على سربيا كانت تعلم حق العلم ان روسيا مضطرة الى الانتصار لهذه المملكة الصقلبية وان الشعب الروسي يرغم حكومتهُ على هذا الانتصار اذا ترددت فيهِ فراراً من اضرام نار حرب اوربية لان اكثره من الصقالبة كما سيجيء

اما روسيا فقد حاولت في اول الامر اجتناب الحرب لعدم تأهبها لها ولصعوبة تعبئة جيوشها ونقلها الى الحدود الغربية على مسافات شاسعة وابعاد مترامية وكانت تفضل حتماً حل العقدة بالمفاوضات السياسية فلم تفز بطائل من هذا القبيل لان المانيا كانت عالمة بما يدور وقد سبقت فاطلعت على بلاغ النمسا لسربيا كما اثبت السير ادورد جراي ذلك في خطبتهِ التي خطبها في مجلس النواب (وسنأتي على ترجمتها) ووافقت عليهِ . اي انها ايدت النمسا في ما كانت ترمي اليهِ وهي عالمة ان روسيا لا تصبر على اذلال سربيا وانها جاهرت بذلك صريحاً

ولا عبرة حقيقة في هذه الاحوال اية دولة من الدولتين تبادئ الاخرى باعلان الحرب ما دامت الحرب واقعة بينهما ولا مناص منها وانما يهم ذلك فقط لاعتبارات سياسية نظرية كاعتبار ايطاليا نفسها في حل من نصوص المحالفة الثلاثية لان النمسا لم تطلعها على ما كانت تنويهِ ولا اخذت رأيها في البلاغ السربي قبل ارسالهِ

فروسيا دخلت دائرة النزاع انتصاراً لسربيا وقد كانت النمسا والمانيا تعلمان بان دخول روسيا محتم عليها عند ما اقرتا البلاغ الذي أُرسل الى سربيا فكأنما ذلك البلاغ الى الدولة الصغيرة كان ايضاً بلاغاً الى الدولة العظيمة وبلاغاً الى دولة فرنسا حليفتها وعدوة المانيا القديمة

ومن غريب ما يذكر في هذا المقام ان الحرب اعلنت بين المانيا وروسيا قبل ان تعلن بين النمسا وروسيا

كيف دخلت فرنسا الحرب

فرنسا حليفة روسيا والد اعداء المانيا لها عليها ثارات قديمة ترجع الى حرب ١٨٧٠ حينما تغلبت المانيا على فرنسا ودخلت جيوشها باريس واقتطعت منها ولايتي الالزاس واللورين وفرضت عليها اعظم غرامة حربية وهي مئتا مليون من الجنيهات

فلما اعلنت الحرب بين المانيا وروسيا اضطرت فرنسا الى دخولها بداعي ما بينهما من التحالف اولاً وحرصاً على سلامتها ثانياً اذ لو ظفرت المانيا والنمسا بروسيا وقهرتا جيوشها لما قام لفرنسا قائمة بعد ذلك اذ المعروف والمشهور ان فرنسا لا تقوى على محاربة تينك الدولتين وقد لا تقوى على محاربة المانيا وحدها لتفوُّق المانيا عليها في عدد الجنود وكثرة الاساطيل

ان المحالفة بين فرنسا وروسيا مكتومة قال السر ادورد جراي ان انكلترا نفسها لا

تعرف نصوصها وهي صديقة الدولتين الحميمة ولكن المعروف ان الدولتين تحالفتا دفعاً للخطر الالماني فمحاربة المانيا لاحداهما تقضي على الاخرى بالانتصار لحليفتها دفعاً لذلك الخطر

دخول انكلترا الحرب

كان الانكليز اصدقاء الالمان وحلفاءهم في عهد نبوليون وقد حاربت جنودهم جنباً الى جنب في اكثر من معركة وانتصرت على نبوليون في معركة وترلو الشهيرة وظلت الصداقة مستحكمة بين الدولتين الى ما بعد حرب السبعين

فلما عظم شأن المانيا بعد الاتحاد الجرماني وتأسيس الامبراطورية الالمانية وارتقت الصناعة في المانيا وزادت الثروة فيها وقويت روح الوطنية والجامعة الالمانية شرعت المانيا في بسط نفوذها الاقتصادي في الاقطار واخذت ترسل مصنوعاتها الى اسواق العالم القريبة منها والبعيدة عنها وفي جملتها انكلترا نفسها ورأت ان تجارتها لا تروج الرواج الكافي الاَّ اذا كان لها مستعمرات واملاك تباع المصنوعات الالمانية في اسواقها وترسل حاصلاتها الى مصانع المانيا ولكنها رأت ايضاً ان معظم الاملاك في افريقية واستراليا وآسيا وجزر البحر بات في قبضة الانكليز والفرنسويين والهولنديين والروسيين والبرتغاليين وان لا سبيل لها الى امتلاك الاملاك الاَّ اذا انتزعت بعضها من اصحابها

فجدت اولاً في توسيع نطاق تجارتها واخذت ترسل البواخر الى شاسع الاقطار حاملة متاجرها ومصنوعاتها ولما كانت التجارة البحرية لا تنمو ولا تقوم لها قائمة من غير اسطول يحميها شرعت في تعزيز سفنها الحربية فادركت شأواً بعيداً حتى صارت الدولة البحرية الثانية في اوربا وتقدمت على فرنسا وايطاليا ولم يعدلها ند سوى انكلترا سيدة البحار ومالكة الاقطار وصاحبة المتاجر الواسعة العظيمة

كل ذلك يجري والانكليز يحاولون تخفيف عبء التسليح باقناع المانيا بوضع حد لما تنشئهُ الدولتان من المدرعات الجديدة مع حفظ نسبة معينة بينهما حتى لقد اقترح المستر تشرشل ناظر بحرية انكلترا ان تستريح الدولتان سنة كاملة فلا تبنيا فيها مدرعة واحدة ولكن المانيا رفضت هذا الاقتراح ساخرة بهِ وبمقترحهِ واجابت بلسان صحفها انها لا تسمح لاحد بالتعرض لامورها الداخلية

واخيراً رأت انكلترا ان السبيل الوحيد لحفظ السلم بينها وبين المانيا والمحافظة على مقامها البحري والتجاري انما يكون بتعزيز اسطولها تعزيزاً يجعلهُ من القوة بمكان تحاماهُ المانيا

ولا يخفى ان السلم كان في مصلحة انكلترا فهي الغنية بالمال والمستعمرات والاملاك

والمتاجر والمصانع ومن كان هذا شأنهُ يكرهُ الحرب و يطلب السلم بكل قواهُ لان بالسلم نفعاً لهُ وبالحرب خسارة عظيمة عليهِ

فمزاحمة المانيا لانكلترا على نحو ما تقدم اوقعت الجفاء بين الامتين وغرست بزور الكره والبغضاء بينهما فبات التنافس على التجارة والمستعمرات والاملاك تنازعاً بينهما للبقاء

لم تكن انكلترا مقيدة مع فرنسا بمحالفة تجبرها على الانتصار لفرنسا اذا اشتبكت في حرب مع المانيا ولا يبعد ان المانيا فطنت الى هذا الامر وحسبت ان اعلان الحرب على فرنسا لا يكفي لجر انكلترا الى القتال فعمدت الى خرق حرمة حياد البلجيك واستقلالها وهي تعلم انها هي وانكلترا مقيدتان بمعاهدة رسمية بانهما تحافظان على استقلال البلجيك وسلامة املاكها كما بيَّن السر ادوارد جراي ذلك في خطبتهِ المشار اليها آنفاً فاغارت بجيوشها على البلجيك ونقضت المعاهدة التي امضتها مع انكلترا وسواها وابت ان تلبي طلب انكلترا باحترام حياد البلجيك كما فعلت فرنسا

ومن امهات المبادئ الحربية والسياسية عند الانكليز وجوب بقاء البلجيك وهولندا مستقلتين حرصاً على سلامة انكلترا نفسها ولا يزال الانكليز يرددون قول نبوليون « ان من يملك انفرس (في البلجيك) كمن يصوب طبنجة الى رأس انكلترا »

فالعلة المباشرة لدخول انكلترا في الحرب الحالية اغارة الالمانيين على البلجيك وهم عالمون انهم بعملهم هذا يضطرون بريطانيا العظمى الى محاربتهم . وسواء فعلوا ذلك عمداً كما يظن الانكليز او اتفاقاً ظنًّا منهم ان البلجيك تذعن لمشيئتهم فتسمح لجيوشهم باجتياز ارضها الى فرنسا و بذلك تسقط حجة انكلترا عليهم فان اقتحامهم ارض البلجيك كان السبب المباشر الذي حمل انكلترا على اعلان الحرب على المانيا فاشتد ساعد فرنسا وروسيا بها وتقوت عزائمها

ثم ان جريدة التيمس تعد لسان حال الحكومة الانكليزية والشعب الانكليزي وقد انشأت في ٣١ يوليو الماضي مقالة بسطت فيها الاسباب التي تضطر انكلترا الى خوض غمار الحرب الاوربية وقد اقتطفنا منها ما يلي

استهلت التيمس مقالتها بقولها « اذا عظمت الخطوب والنوازل واشتدت البلايا والرزايا فعلى الامم ان تسلم قيادها الى اقوى سليقة فطر البشر عليها وهي سليقة الدفاع عن الحياة وحفظها كما يفعل الافراد حين تحيق المخاطر بهم »

« ان الركن الاكبر في سياسة بريطانيا العظمى الخارجية هو الاعتراف بان انكلترا جزء من اوربا ولو كانت جزيرة يفصلها البحر عن تلك القارة . وكثيراً ما ادى اغفال هذه الحقيقة

الى عواقب وخيمة . خذ مثالاً لذلك حرب السبعين حينما تخلت انكلترا عن فرنسا وتركت المانيا تظفر بها وتجزئها فان انكلترا دفعت ثمن تخليها هذا غالياً جداً بما انفقتهُ على التسليح وتعزيز الاساطيل بعد تلك الحرب . وهنالك ايضاً شاهد آخر في حرب البوير فقد كانت سياسة اللورد سلسبري الخارجية قائمة على مبدإ «العزلة التامة» فلما نزلت بنا النوازل في جنوب افريقية بتنا ولا صديق لنا في اوربا فلم ننج من خطر اعتداء امها علينا وتألبهم لمهاجمتنا الاَّ لان امبراطور روسيا ابى الموافقة على محاربتنا ولان مسألة الالزاس واللورين كانت تحول بين اتفاق المانيا وفرنسا علينا

«ظهر لنا بعد ذلك ان سياسة «العزلة التامة» صارت من المستحيلات السياسية والحربية الاَّ اذا ابلغنا جيشنا واساطيلنا من القوة منزلة نستطيع بها وحدها درء هجوم دولة او بضع دول علينا براً وبحراً

«وقد تجلت هذه الحقيقة للملك ادورد فسعى بمشورة نظاره لانقاص عدد من يحتمل ان يكون عدواً لنا من شعوب اوربا ولم يخطر بباله ولا ببال اللورد لنسدون (ناظر خارجية انكلترا السابق) ان يستعينا بصداقة بعض الامم في اوربا لاجل الاعتداء على امم اخرى»

ثم اشارت التيمس الى ابرام المحالفة بين بريطانيا واليابان وعقد الاتفاق الودي بين انكلترا وفرنسا واضطرارها الى مساعدة الفرنسويين والاَّ دارت الدائرة عليها وقالت اخيراً

«ان من اوليات حفظ بقائنا وجوب المحافظة على سلامة البحار الضيقة التي تحيط ببلادنا وهذه السلامة اثمن ما نقتنيهِ ففرنسا لا تهدد سلامتنا ولكن فوز المانيا على فرنسا يوقعنا في خطر لا مفر منهُ . وهب ان الاساطيل الالمانية ظلت واقفة لا تتحرك فاحتلال الجيوش الالمانية للبلجيك وشمال فرنسا ضربة قاضية على سلامة بريطانيا العظمى لاننا نضطر حينئذٍ ان نتحمل عبءَ اسطول اقوى جداً من الاسطول الالماني وجيش يكافئهُ قوة ونبيت وحدنا مجردين عن الاعوان والحلفاء والاصدقاء وهو عبءٌ يؤدي الى خرابنا . فغريزة حفظ البقاء تضطرنا ان نرفع ساعدنا ونضرب اشد ضربة نستطيعها دفاعاً عن سلامتنا وسلامة اصدقائنا» انتهى

دخول الدول الصغيرة

اما الدولتان الصغيرتان السرب والبلجيك فاسباب دخولها في الحرب ظاهرة مما تقدم واما الجبل الاسود فليس لهُ شأن كبير لصغرهِ وقلة جيشهِ ولكن سكانهُ من السربيين اصلاً واذا تغلبت النمسا على السرب ونزعت استقلالها قضت عليهِ فلا بدَّ له من الانتصار للسرب حفظاً لكيانهِ

بلاغ النمسا النهائي

تعترف سربيا انهُ لم يكن في ما حدث في البوسنه (من اعلان ضمها الى النمسا والمجر) شيء من التعدي على حقوقها وانها تجري بحسب القرار الذي تقر الدول العظمى عليهِ طبقاً للمادة ٢٥ من معاهدة برلين

وعلاوة على انصياع سربيا الى مشورة الدول العظمى فانها تعد بالكف عن خطة الاحتجاج والمعارضة التي اتبعتها منذ شهر اكتوبر الماضي وتعد ايضاً بتعديل منهجها السياسي ازاء النمسا والمجر فتعيش معهما في المستقبل على خير شروط الصداقة والجوار

ولكن تاريخ السنوات الاخيرة ولا سيما الحوادث المؤلمة التي حدثت في ٢٨ يونيو الماضي دل على وجود حركة في سربيا الغرض منها فصل بعض مقاطعات من النمسا والمجر عنهما

وظهر جليًّا من اعتراف الجناة في جناية ٢٨ يونيو (اي مقتل الارشدوق ولي العهد) ان تلك الجناية دبرت في بلغراد وان الجناة تلقوا السلاح والقنابل من ضباط وموظفين ينتمون الى جمعية نارودنا ابرانا السربية وان ولاة الامور على الحدود السربية هم الذين سهلوا ارسال الجناة ونقل السلاح الى البوسنه

فبعد هذه النتائج التي اسفر التحقيق عنها لا يسع حكومة النمسا والمجر ان تظل ملازمة خطة الصبر وطول الاناة التي جرت عليها منذ بضع سنوات ازاء حركات من بلغراد امتدت الى املاك النمسا والمجر

فهذه النتائج تضطر حكومة النمسا الى وضع حد للحركات والمساعي التي تهدد راحة المملكة وسكينتها ولهذا الغرض ترى الحكومة انها مجبرة على ان تطلب من حكومة سربيا عهداً رسميًّا قاطعاً بانها تكبح جماح هذه الحركة الكثيرة الخطر الموجهة الى النمسا والمجر وتقمع المساعي المبذولة لانتزاع جانب من املاك النمسا والمجر وان تعد بقمع هذه الدعوة الجنائية الارهابية بجميع ما لديها من الوسائل

وعلى الحكومة السربية ان تنشر في جريدتها الرسمية التي تصدر في ٢٦ يوليو البلاغ التالي ليصطبغ عهدها بالصبغة الرسمية وهو

« ان الحكومة السربية تستهجن الحركة الموجهة الى النمسا اي المساعي المبذولة لانتزاع جانب من املاكها وتأسف اشد الاسف لما ادت اليهِ هذه النزعة الجنائية من العواقب الوخيمة

« ان الحكومة السربية تأسف لان بعض الضباط والموظفين السربيين اشتركوا في هذه الدعوة فعرضوا بعملهم هذا للخطر علاقات الجوار الحسنة التي وعدت سربيا براعاتها في

بلاغها المؤرخ في ٣١ مارس سنة ٩ ١٩

«ان الحكومة السربية تعارض وتستهجن كل مسعى يقصد بهِ تحكيمها في مصير الشعوب الخاضعة للنمسا والمجر في اية جهة من جهاتها وترى من الواجب عليها ان تنبه الضباط والموظفين وسكان سربيا باسرها تنبيهاً شديداً الى انها تعامل بالشدة المتناهية كل من يسعى هذا المسعى او يقوم بحركة من هذه الحركات وانها تبذل جميع ما لديها من القوى في قمع هذه الحركات ومنعها»

و ينشر هذا البلاغ في الوقت عينهِ على الجيش في امر عسكري يمضيهِ جلالة ملك سربيا و ينشر في الغازتة العسكرية ايضاً

وعلاوة على ما تقدم يجب على الحكومة السربية ان تعد وعداً قاطعاً بأن

(١) تضبط كل مطبوع او منشور يثير الاحتقار او الحقد على النمسا والمجر و يكون الغرض منهُ الحث على الاعتداء على سلامة املاكها

(٢) تحل في الحال جمعية نارودنا ابرانا وتحول دون جميع ما عندها من وسائل نشر دعوتها وتفعل مثل ذلك بسائر الجمعيات التي جعلت ديدنها اثارة الخواطر على النمسا والمجر وتتخذ الحكومة السربية التدابير الوافية لمنع الجمعيات التي تحلها من استئناف عملها باسماء او صور واشكال اخرى

(٣) تزيل من المدارس كل ما يؤدي الى انتشار الدعوة المتقدمة سواء كان ذلك في المعلمين او في طرق التعليم

(٤) تعزل من الجيش والادارة جميع الضباط والموظفين الذين يثبت عليهم نشر الدعوة على النمسا وتحفظ النمسا لنفسها الحق بارسال اسمائهم الى الحكومة السربية

(٥) تقبل الاستعانة باعوان حكومة النمسا لقمع الحركة الموجهة الى النمسا

(٦) تشرع في تحقيق قضائي مع انصار مؤامرة ٢٨ يونيو الذين يقيمون في بلاد سربيا و يشترك في هذا التحقيق مندوبون من قبل حكومة النمسا للبحث عنهم

(٧) تقبض في الحال على القومندان فو ياتنكوستش والمدعو ميلان سيجانوفتش الموظف في الحكومة السربية وقد اسفر تحقيق جناية سرايفو عن اتهامهما بالاشتراك في المؤامرة

(٨) تمنع بالطرق الوافية اشتراك الموظفين السربيين في تهريب السلاح والمفرقعات الى ما وراء الحدود وتعاقب باشد العقاب الموظفين القائمين باعمال الحدود في شابتز ولوزرنكا والمتهمين بمساعدة جناة سرايفو بتسهيلهم لهم اجتياز الحدود

الاحسان الاجتماعي (١)

ايها السادة

يجب عليَّ ان ابدأ كلماتي بالاسف لتخلُّف الاستاذ الكبير الدكتور فارس نمر عن موقفهِ هذا الذي كان معدًّا لهُ وآسف اكثر من ذلك لانهُ لم يخلفهُ في منصب الخطابة غيري وما اشد الضرورة عليَّ وعليكم في الحالتين جميعاً

ان الاستاذ حين ينتصب للخطابة و يقف لها تلك الوقفة المشهورة لا يكون رجلاً يخطب ولا خطيباً تعرفونهُ بصناعة القياس والبرهان ولكنهُ جيل يتكلم عن حوادث التاريخ وقضايا السياسة وآيات الحكمة بلسان رجلٍ هو في الحقيقة خلاصة جيل من ارقى اجيال الشرق وهو الدكتور فارس نمر

غير ان المصادفة الغريبة التي قضت بحرمان هذا الحَفْل ان يحضرهُ ذلك الرجل الحكيم هي نفسها التي جاءتنا الآن بالرجل العظيم صاحب العطوفة محب باشا فكأن كل شيء يأبى الا ان يكون محسناً في جمعية الاحسان حتى المصادفة التي تأبى على كل شيء . ولقد كانت دعوتي الى هذه الخطابة مصادفةً ايضاً فما بين دُعيتُ وما أجبت الا كما بين السؤال وجوابهِ الحاضر كلمةٌ تجتذب كلمةً وكلمةٌ اخرى تنهض متكلماً وها انا الآن بين ايديكم وما ادري الى هذه اللحظة في اي غرضٍ أُرسل الكلام ولا من اي ناحية اتناولهُ . غير اني سأُلقي عليكم ما استمليهِ منكم وسيكون خطابي كالمدّ والجزر فالماء الذي ينحسر هو الماء الذي يمدّ وبالجملة سأَجعل كلامي في هذه الجمعية من الجمعية نفسها

ايها السادة . انا اعجب اشد العجب من امرٍ واحدٍ هو في الحقيقة الامر كلهُ . ذلك هو فشل الجمعيات الخيرية في بلادنا . ولا ادلَّ على هذا الفشل من قلتها ولا دليل على هذه القلة كانفراد الجمعية التي نحن اليوم في احتفالها وذهابها بمجد التأسيس بين السور بين . وان السابقة في الخير والاتحاد والثبات والاحسان واخلاص النية انما هي لها وحدها

ووجه العجب اننا اما ان نكون قد تجرَّدنا من حب الخير فلا نجتمع و إمَّا ان نكون لا نحسّ عمل الخير فلا نجتمع عليهِ . لا مناص البتة من احدى الخصلتين او من كلتيهما . وقد

---

(١) من خطبة ارتجلها حضرة مصطفى افندي صادق الرافعي في الحفلة السنوية لجمعية الاتحاد والاحسان السورية في طنطا يوم ٢٦ ابريل سنة ١٩١٤ . وكان الدكتور فارس نمر قد دعي للخطابة الا انهُ الم بعضهِ انحراف اضطرهُ الى الاعتذار تلغرافياً يوم الاحتفال فانتدبت الجمعية مصطفى افندي للخطابة بدلاً منهُ

نعلم ان قوام كل عمل بنظامهِ وتصريفهِ على اصولهِ الطبيعية التي من شأنهِ ان يتصرف فيها فاذا كان جمع المال يجري على اصول اقتصادية محضة فان انفاقهُ كذلك يجري على فعل هذه الاصول وما يجمع المرء الاّ ما يفضل عما ينفقهُ · والاحسان انما هو وجه من وجوه الانفاق وليس كالشرقي رجل مفطور على حب الاحسان لان تاريخهُ في كل ارض مملوء بالنكبات والجوائح التي تعلمهُ كيف يُحسن · ودينهُ في كل صبغة مملوء بالعظات والآداب السامية التي تعلمهُ ما هو اسمى واشرف من الاحسان وهو كيف يتأدب في احسانهِ · فاذا كان كل ذلك وكان ذلك كلهُ صحيحاً لا ريب فيهِ كما هو الواقع فما الذي يمنعنا نحن الشرقيين من ان نكون محسنين بالمعنى الحق حتى تظهر ثمرة الاحسان فتُشبَع بطون خاوية وتُكسَى اجساد عارية وتصلح عقول بالية وتشفى جراح في جسم الانسانية دامية · ويكون كل شيء عاملاً في تكوين الامة تكويناً صحيحاً حتى هذا الذي يقال انهُ اصل الرذائل كلها ويقال فيهِ ما قيل فيها جميعاً ويقال لهُ الفقر

ليس يذهب باحساننا ضعفهُ وقلّتهُ فالقليل لو اجتمع صار كثيراً ولا يُخفي ثمرتهُ انهُ هو نفسهُ غير ظاهر فان كل شيء يؤتي نتائجهُ الطبيعية ظهر او خفيَ وما الاحسان الاّ ضرب من ضروب الاصلاح الاجتماعي · ولكن الذي جعل الصحيح فاسداً والموجود ضائعاً والمثمر مُنقطعاً وجعل كل امر في ايدينا يكاد يكون عبثاً من العبث انما هو شيء واحد وهو جهلنا كيفية الاحسان

لا ريبَ اننا اليوم امة واننا نتبع الاصول الاجتماعية في كل امورنا العامة واننا نرى باعيننا تسخير الطبيعة ونستخدمها لانفسنا ولا ريب اننا مجتمع من المجتمعات المتمدنة ولنا وصف طويل في علم الشعوب وان بلادنا ذات لون واضح في خريطة الارض ولكن مع كل هذا لانزال في طريقة احساننا كأننا في منقطع العالم او في رؤُوس الجبال وكأننا لا نزال في معركة الاجتماع الطبيعي التي يكون الانسان فيها جيشاً والحيوان جيشاً يقابلهُ

نحسن احساناً طبيعيًّا صرفًا من الفرد للفرد كيف اتفق وحيث اتفق · نعطي الدرهم بكسلٍ لمن يأخذهُ لا لكي يعمل بهِ ولكن ليكون ثمرة من ثمار كسلهِ · في العصور الطبيعية تخرج الارض اثمارها بعد ان تكون العناصر كلها قد اجتمعت على انضاجها وعملت فيها اعمالاً كثيرة فيأتي الانسان ليمد يدهُ ولا يعمل عملاً اكثر من ان يمدها · وعندنا تخرج ايدي المحسنين دراهمها فيأتي بعض الناس ليمد يدهُ ولا يعمل كذلك عملاً اكثر من ان يمدها · نحسن مثل هذا الاحسان الذي يذهب بهِ وقتهُ فلا ننتفع بهِ في اصلاح الامة ولا ينتفع بهِ

الفقير نفسهُ لانهُ في الاكثر يفسدهُ ولا يصلحهُ · ولا يوجد اليوم في ايدي الناس درهم من دراهم الخرافات يصلح ان يكون رأس مال ولا في خبزهم رغيف من رغفان المعجزات التي تشبع الجماعة الكثيرة · والفقير متى اكل بالدرهم الذي يُحسَن بهِ اليهِ فقد شبع من جوع وتهيأ لجوع جديد فيذهب الاحسان والدرهم كما هما و يبقى الفقير والجوع كما هما ايضاً

من اجل ذلك وما يتصل بهِ فشلنا وذهبت ريحنا وركدنا والناس طائرون · ومن اجل ذلك اراني احب هذه الجمعية المباركة واكرم رجالها والقائمين بها وامدحهم واعتدهم من العظماء

فالجمعية صندوق اموال وهي نفسها صدر يخفق فيهِ قلب الانسانية · والجمعية سبب من امتن اسباب الاحسان وهي نفسها طريقة من افضل طرق التربية الاجتماعية · واكبر فضلها انها من هذه الامة كالظل في الرمضاء والرقعة المخصبة في الجدب العريض وانها مجتمع صحيح في امة متبددة يمزقها كل شيء حتى الاديان التي تعلّم ان الناس اخوة من اب واحد · وحتى السياسة التي تجعل افراد كل امة اعضاء من اسرة واحدة · وحتى الادب الذي يضرب مثل الانسان للانسان بمَثل اليدين تغسل احداها الاخرى

مجتمع صحيح في هذه الامة العجيبة التي بهرتها الامم بمعجزات الوطنية والاتحاد والانسانية والعلم والادب والاختراع واعجزت هي الامم كلها في قاعدة حسابية غريبة وهي انها افراد ولكن ليس لها مجموع في (الحساب)

ليست العظمة ايها السادة بظهور المرء كما يظهر الممثل امام المتفرجين في خلقةٍ مزورةٍ من رأسهِ الى قدمهِ ولا في هذه الاخيلة الذهبية التي تملأ رؤوس الاغنياء كأنها ارواح الذهب ولا في نحو ذلك من السخافات (العظيمة) التي ملأت الشرق كلهُ · ولكن العظمة احد شيئين : علم منتج او عمل مثمر · العظمة خلق انساني يوجدهُ العلم او يوجد هو العمل الانساني العظيم · فان لم يكن علم صحيح ولا عمل صحيح فاجمع بين الماء والنار قبل ان تجمع بين النفس والعظمة . قد ارى الرجل من عظمائنا وهو من تعاظمهِ لغناهُ او لمنصبهِ او لجاههِ او لحسبهِ كأن رأسهُ صندوق من صناديق الموسيقى وكأن كل حركاتهِ وكلماتهِ انما توقع توقيعاً منتظماً مع (النفخة) التي تخرج من هذا الصندوق ومع ذلك فلا اكرمهُ ولا اجد لهُ في نفسي من المنزلة ولا احفل بتلك العناصر الاربعة التي انشأت عظمة من الغنى او المنصب والجاه والحسب الا كما يكون في نفسي لبعض قطع من الخشب والحديد والمعدن والنحاس وهي العناصر التي تصنع منها الادوات الموسيقية

العظيم ايها السادة ذاتٌ مبنية على مبدإٍ وما دام كذلك فهو عظيم في خلقهِ وفي عملهِ ولا يسلب هذه العظمة منهُ الاَّ الموت . على ان التاريخ يَقْوى على الموت فيستلبها منهُ ويحفظها لصاحبها العظيم ثم ينفض عليها صبغةَ الخلود فاذا هي حياةٌ ثانيةٌ لاسمٍ من الاسماء الخالدة التي لا تموت الاَّ حين يموت الموت . واذا كانت الذات مبنيةً على مبدإٍ فيستحيل ان يسقط الرجل العظيم وذاتهُ قائمة

وعلى هذه الجهة اتفاءل بمستقبل جمعية الاتحاد المباركة لانها مظهرٌ من مظاهر الاخلاق الفاضلة في نفوس القائمين بها . فهي بناء من الابنية الراسخة ولكن انظروا الى احجارها الخالدة فان كل حجر انما هو المعنى الانساني الذي تنطوي عليهِ نفس الرجل العظيم

ايها السادة . عندنا رجال كثيرون ولكن ليس عندنا مبادئ ثابتة . فالذي ينقصنا انما هو المبدأُ . والرجل اذا لم يكن على مبدإٍ فهو من يوم يولد الى يوم يموت انما يتسكع في طريق الاقدار ليقطع مسافة ما بين مهدهِ ولحدهِ . وقد تكون هذه المسافة طويلة او قصيرة ولكنها على كل حال ليست الاَّ طريقاً من طرق الموت . ثم يذهب من الدنيا وكل ما بقي لهُ فيها حجر من الاحجار اذا وُجد من ينظر فيهِ وُجد من يعرف انهُ كان في هذه الدنيا رجل اسمهُ فلان وهذا قبرهُ

الحياة شيءٌ اسمي من قطع العمر كلهِ في إيجاد قبرٍ من القبور يكون لهُ اسم ولقب وتاريخ . كلٌ منا حين يَعتزي يقول عن نفسهِ كذباً انهُ سوري او مصري فما الذي صنع هذا القائل لمصر اوسوريا ؟ ألا إن البلاد لا تعرف الناس باسمائهم . وطبيعة الاقليم لاتميز بين اناسها وحيواناتها . فمن الحمير والبغال وصنوف الحيوان ما يقال فيهِ سوري ومصري ايضاً . ولكن الاوطان تعرف اهلها باعمالهم وطبقة الفرق بين الانسان والحيوان انما هي طبقة تاريخهِ لا غير

قولوا في الشرقي على العموم انهُ من بني آدم فقط . ومتى وجدتم رجل المبدإ الذي يظهر مبداهُ في عملهِ والذي لا يعمل الاَّ ليتم تاريخ امة وليكون صفحةً من كتاب مستقبلها والذي لا يخرج من الدنيا حتى يترك من فضائلهِ المنسوبة اليهِ شخصاً معنوياً يسمى باسمهِ ويلقب بلقبهِ ويؤَرخ بتاريخهِ — متى وجدتم هذا الرجل فقولوا فيهِ حينئذٍ بل دعوا بلادهُ تقول انهُ سوري او مصري . من اكبر عيوبنا اننا لا نعرف الخُلُق العامَّ الذي يجانس بين افراد كل امةٍ ولا نجدهُ الاَّ في افراد قليلين منا وهو الذي تقوم عليهِ الوطنية . ومن اجل ذلك ليست لنا امة اجتماعية ومن اجل ذلك لا تحد . فقدنا الخلق العام او المبدأ الاجتماعي الذي يرمي

لانشاء المستقبل وترقية الحاضر وحفظ الماضي فصارت الصلة بين الفرد والفرد من الامة الواحدة صلة لفظية لا معنى لها . او لستم ترون اننا (كما هو مشهور عنا) يرائي بعضنا بعضاً حتى في الحق ويجامل بعضنا بعضاً حتى في الواجب وليس منا من يقدر ان يقول دائماً للباطل (لا وللحق (نعم)؟ اقول «دائماً» ولا اريد معناها الصحيح لان قيمة كل شيء تعلو وتنزل عندنا بحسب الاحوال حتى الكلمات التي لا تعلو ولا تنزل . فان شئتم فاعتبروا معنى قولي «دائماً» غالباً او بعض الاحيان لان الشرقي قد فقد الخلق الثابت فلا ثبات لهُ على شيء ولا ثبات بشيء معهُ ولولا ان اسماء الفضائل من اللغة وان هذه اللغة ثابتة في كتبها التي تحفظها لكانت اكثر اسماء الفضائل اليوم عندنا هي نفس اسماء الرذائل

انظروا ايها السادة الى الرجل الانكليزي الذي هو نتيجة التاريخ الحاضر انهُ لا يثق بثلاثة ارباع الارض التي تملكها دولتهُ كما يثق بقدر انملة في باطنهِ . فالارض كلها وهي تدور على محورها وتنقلب بالتاريخ اجيالاً ودولاً ليست في عين الانكليزي اكبر من قلبهِ الذي يخفق بين جنبيهِ . الارض لا تحفظ لهُ فضيلة ولكن فضيلتهُ تحفظ لهُ الارض

كل انكليزي قد يراهُ الناس مصبوباً من معادن بلادهِ حتى الفحم الاسود . ولكنهُ يرى نفسهُ انكليزياً ولا يبالي ما وراء ذلك . ترونهُ كالحديد المصمت لا ينبعث لهُ صدى لانهُ للعمل والحمل والثبات والاستمرار . واذا كان الشرقي حديداً ايضاً ... فهو كالجرس سواء كان في الاعلى ام في الاسفل ليس الا ان يهتز ويصيح بالاصوات الرنانة من جوفهِ الفارغ . .. يعمل الواحد منا عملاً ضئيلاً او عملاً لا قيمة لهُ فيملأ الدنيا كلاماً ويملأ ماضغيهِ فخراً ويملأ رأسهُ بهذا النوع الذي يسمونهُ جنون العظمة . وما ذلك من جهلنا لقيمة كل عملٍ ولكن من عجزنا عن اكثر الاعمال النافعة ومن مجازفتنا بالاوصاف رياء ومجاملة . وقد ذكر الروّاد الذين ضربوا في مجاهل الارض انهم رأوا قبيلة من قبائل الزنوج كان اجمل وسام تسطع عليهِ الشمس في صدر ملكها علبة فارغة من علب السردين

هي علبة من علب السردين الفارغة التي يطرحها افقر الناس في الطرقات وهي قطعة من الصفيح قد لا تكون لها قيمة ولكن ذلك لا يمنعها ان تكون وساماً في صدر الملك الزنجي ومتى قلنا (الملك الزنجي) فكأننا قلنا الزنجيّ فقط لان اوصاف المتوحشين متوحشة ايضاً فلفظ الزنجي يأكل لفظ الملك وكذلك اوصاف الضعفاء . وكذلك اعمال الشرقيين

لا تظنوا ايها السادة اني انتقص الشرق واهلهُ وتاريخهُ . كلا ولكني اصف عيوباً لا يجعلها من المحاسن انها عيوبنا . ولو سُئل افضل رجل شرقي عن احسن فضيلة فيهِ لقال

انها شرقية . ولو سئل ارذل رجل شرقي عن اقبح رذيلة فيهِ لقال ايضاً انها شرقية فهذا الشرق الذي هو مهد التاريخ هو كذلك مهد الاديان ومبعث الفضائل . لكن اهلهُ قد اضاعوا انفسهم واضاعوهُ . فاذا رأوا الفضيلة قالوا غربية واذا رأوا الرذيلة قالوا شرقية واحالوا بكل ذنب على الشرق كأن الارض تنبت الرجال وتهيئ لهم العمل وتوحي اليهم المخترعات وكأننا نزيد ان تكون هذه الارض مثلنا في التقليد . فالبحر يهز امواجهُ ويجب على الارض ان تهز اهلها ليخبطوا على ساحل الحياة

ما تقدم الغربيُّ وجرى مسرعاً لان ارضهُ من المطاط ولا تأخر الشرقي وجرى متعثراً لان ارضهُ من الصمغ . ولكن أكبر رذائلنا اننا لا نتحد لاننا نجهل التربية الاجتماعية وقد تخلقنا بالاخلاق الفردية فصار الالف منّا واكثر من الالف لا يحسنون عمل اثنين متحدين الجبل تصعد عليهِ مائة الف قدم شديدة الوطأة فلا تؤثر فيهِ ما تؤثر النحلة وتتناولهُ مائة الف ساعد قوي فتزيلهُ عن مكانهِ لان طبيعة الاقدام غير طبيعة الايدي . فان لم نجتمع ونأخذ انفسنا باصول التربية الاجتماعية فلا تنتظروا من الشرقي ان يعمل عملاً

العقل والدماغ

لم يميز الفلاسفة القدماء بين العقل والنفس فجعلوهما واحداً وقالوا ان العقل نفخة الهيَّة ونسمة غير هيولية فتشوش عليهم البحث وتاهوا في مجاهلهِ ولم يصر البحث في فلسفة العقل علميًّا مستنداً الى اركان مكينة الاَّ بعد اتساع المعارف في علم الطبيعيات والكيميا والتشريح والفيسيولوجيا التي اتسع بها نطاق المعارف

ويسير الفلاسفة الآن في بحثهم على طريقة تخالف طريقة الاقدمين ولا تبعد كثيراً عن حدود العلم وهي طريقة القياس فيقرئون الشخص المطلوب معرفة قوة ذاكرتهِ وبالتدقيق معرفة هيئة من هيئات ذاكرتهِ نظرية فلسفية او شذرة من كتاب او جريدة ويطلبون منهُ ان يعيدها على قدر ما يستطيع من قربها الى الاصل او يكلفونهُ بان يميز الاثقال والاصوات والالوان القريبة بعضها من بعض فيحكمون على دقة حسهِ او لمسهِ او سمعهِ او بصرهِ . وهي طريقة لا تفي بالغرض تماماً ولا تصدق الاَّ في حدود معلومة وربما لا تصدق على كل انواع الحس لانهُ يصعب غالباً قياس حس في شخص واحد ومقابلتهُ بالدقة مع مثلهِ في آخر ووضع نسبة عددية بينهما عدا عن ان البحث فيها يقتصر على الظواهر الخارجية بدون التفات الى

منشإِ هذه الظواهر ومصدرها وكيفية تولدها وامكان تنوعها . فهي طريقة لبيان الصفات العقلية وليس لتعليلها فاذا اردنا الوصول الى ذلك وجب ان يخطو العلم بنا خطوة اخرى لنقف على العلاقة بين تلك الظواهر والآلات التي تولدها

حصلنا من علم التشريح ومن التجارب الطبية على معارف كثيرة صارت اركاناً مهمة للفلسفة العقلية فاجتمع العلمان وتولد من اجتماعهما علم حديث نشيط هو البسيكولوجيا الفيسيولوجية اي الفلسفة العقلية المبنية على معرفة الوظائف العضوية . فتوغل هذا العلم الحديث في درس العقل اكثر من كل علم سبقهُ و بدأ بهذا المظهر الجديد من عهد بروكا الذي اكتشف مركز النطق في الدماغ واخذت الاكتشافات بعدهُ يتبع بعضها بعضاً واخذت العقد تنحل الواحدة تلو الاخرى فعرفت حدود الدماغ وعينت وظيفة كل نقطة منهُ بحيث يستطاع الآن رسم خريطة لهُ تُحدد فيها مناطقهُ وتعين فيها وظائفهُ . ولهذا لا نرى بدًّا من الكلام على تركيب الدماغ لكي يستطيع القارئ ان يتبين من اوضاعهِ كيفية تولد الظواهر العقلية فيهِ

تركيب الدماغ

الدماغ جسم نخاعي في تجويف الجمجمة . والحبل الشوكي قسم مستطيل منهُ يمتد من الثقب العظيم في قاعدة الجمجمة الى الحافة السفلى من الفقرة القطنية ويطلق عليهما وعلى مجموع اقسامهما اسم الجهاز الدماغي الشوكي وهو المركز العام للاعمال العصبية الفيسيولوجية والعقلية

اذا قطعنا الدماغ قطعاً مستعرضاً وجدنا انهُ يتكون من جوهرين متميزين احدهما لبي ابيض كثيف هو الجوهر الليفي العصبي الذي يتكون منهُ الجزء الاكبر من الدماغ ويتكون منهُ جانب عظيم من المراكز العصبية وهو الجزء الرئيسي من الاعصاب التي تصل المراكز الدماغية بالانسجة . والثاني سطحي رقيق سنجابي اللون مائل الى الحمرة وهو الجوهر الحويصلي العصبي وفيهِ مراكز الحس وقوى العقل .

يتيسر لكل انسان ان يرى الدماغ لان دماغ الخروف يشبه دماغ الانسان ولا يختلف عنهُ الاَّ بالتفاصيل الجزئية التي يستطيع القارئ ان يفهمها من سياق الكلام فهو يشبه قطعة ملفوفة من حبال المعكرونة اي تظهر على سطحهِ ارتفاعات معقدة يقال لها تلافيف تنفصل بعضها عن بعض بفرجات مختلفة طولاً وغوراً ويُغلَّف وجهها الظاهر وجوانبها بالجوهر السنجابي فتزيد كميتهُ بذلك زيادة كبيرة بحيث تبلغ ضعفي سطح الدماغ الظاهر

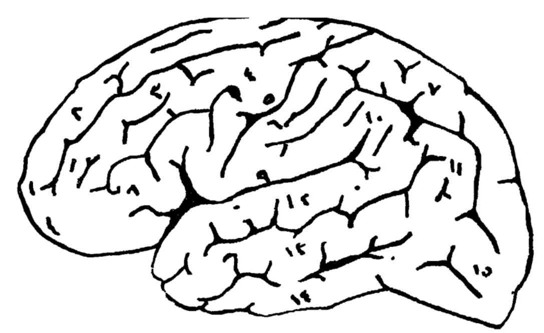
فيتسع بها نطاق القوى العاقلة . وهذه التلافيف في الانسان اوضح منها في الحيوان وبها يمتاز الانسان بقوة عقلهِ وادراكهِ وتزيد وضوحاً في النوابغ واصحاب العقول الراقية . وقد ثبت الآن ان قوة العقل لا تتوقف على حجم الدماغ بل على نوع تركيبهِ اي على صفتهِ وزيادة الجوهر السنجابي فيهِ

ثم ان الدماغ ينقسم الى نصفين بفرجة طويلة تمتد من الامام الى الخلف وتغور الى قرب قاعدتهِ وينقسم كل نصف منهما الى خمسة فصوص رئيسية وهي الفص الجبهي الى الامام والمركزي في الوسط والجداري الى الاعلى والمؤخري الى الخلف والصدغي الى الاسفل . وكل منها ينقسم الى اقسام صغيرة هي التلافيف واهمها في الجبهي التلفيف الثالث وفي الصدغي والجداري الاول والثاني والثالث وفي المركزي التلفيف الجبهي الصاعد والتلفيف الجداري الصاعد وفي المؤخري التلفيف السطحي العلوي . فهذه اهم التلافيف التي تعمل عملاً مهمًّا في الوظائف العقلية ولا يصعب على القارئ تعيين مواقعها كما يتضح من الرسم المقابل

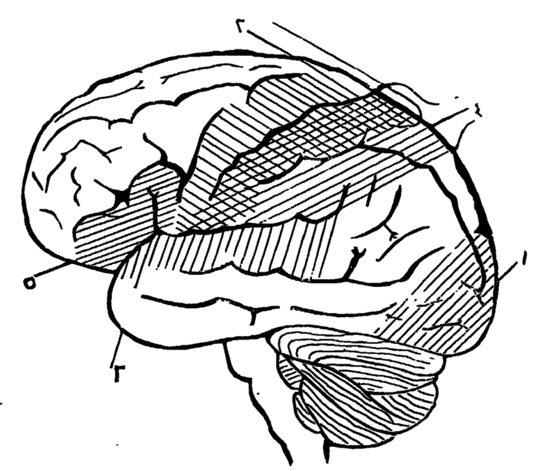
اما الحبل الشوكي فلا يعمل في توليد القوى العقلية لان ما يرد اليهِ من التأثيرات الخارجية لا يحدث اثراً فيهِ . ويسمى ما يصدر عنهُ من العمل العصبي بالفعل المنعكس خلافاً لما يحصل في الدماغ لان المؤثرات الخارجية ترتسم آثارها فيهِ وتبقى مخزونة الى ان تؤثر فيهِ تأثيرات جديدة من نوعها فتعود الى الظهور وتختلف مدة خزنها وحفظها بحسب قوة التأثير والاستعداد الشخصي

وتنقل التأثيرات الى الدماغ والحبل الشوكي بواسطة الاعصاب وهي حبال الانصال التي تصل المراكز العصبية بعضها ببعض وتتوزع في اقسام الجسم المختلفة فتحمل القوة العصبية من المركز الى هذه الاقسام او تنقل التأثيرات منها الى المركز . فوظيفتها اذاً مزدوجة وفيها نوعان من الالياف الاول الالياف الموردة وهي اعصاب الحس التي تنقل التأثيرات من المحيط الى المركز والثاني المصدرة وهي التي تنقل التأثيرات من المركز الى المحيط وهي في عملها هذا لا قوة لها في توليد المجرى العصبي بل لا بد لها من منبهٍ لكي تقوم بوظيفتها. فاعصاب الحس تتنبه عادة بواسطة الاجسام الخارجية التي تفعل باطرافها واعصاب المركز تتنبه بواسطة الارادة او قوة اخرى تتولد في المراكز العصبية

وعليهِ فالحويصلات الدماغية لا تدخل في العمل الاَّ اذا نبهتها قوة من الخارج ولكل منها مجال من الوظيفة سعتهُ بنسبة عدد الالياف العصبية التي تصلها باعضاء الجسم وتصلها بعضها ببعض . فنمو الدماغ التدريجي ومعرفة اوضاعهِ وتحديد وظيفة كل



١ الفص الجبهي ٢ التلفيف الجبهي الاول ٣ التلفيف الجبهي الثاني ٤ التلفيف الجبهي الصاعد ٥ فرجة رولاند ٦ التلفيف الجداري الصاعد ٧ الفرجة بين الجداريين ٨ التلفيف الجبهي الثالث ٩ فرجة سلفيوس ١٠ التلفيف السطحي المتوسط ١١ التلفيف السطحي المنعكف ١٢ التلفيف الصدغي الاول ١٣ التلفيف الصدغي الثاني ١٤ التلفيف الصدغي الثالث ١٥ الفص المؤخري



صورة النصف الايسر من الدماغ فحيث الرقم ١ في مؤخر الدماغ فوق المخيخ مركز النظر وحيث الرقم ٢ مركز السمع وحيث الرقم ٣ في اعالي الدماغ مركز الحركة وحيث الرقم ٤ مركز اللمس وحيث الرقم ٥ او تحته قليلاً مركز الشم والذوق

من اجزائهِ مكنتنا من اكتشاف حقائق علمية لم يبقَ محل للريب فيها وصار في استطاعتنا ان نعرف من الظواهر الخارجية ما هو واقع في الباطن من العمل القانوني او الشاذ كما يعرف الكيماوي بواسطة التحليل مادة مجهولة يُطلَب منهُ كشفها وكما يعرف الفلكي موقع كوكب غير منظور بالطرق الحسابية

ان اجزاء الدماغ في الطفل المولود حديثاً كاملة التكوين الاَّ انها ناقصة الوظيفة لان الفرجات والاثلام والثنيات والتلافيف يختلف لونها كل الاختلاف عن اللون الذي تكتسبهُ بعد نموهِ وتقدمهِ في السن . فعدم تأثر الطفل بالمؤثرات الخارجية عائد الى نقص الجوهر السنجابي في دماغهِ ولهذا لا تظهر للامراض الدماغية فيهِ اعراض خصوصية ويعسر على الطبيب تشخيصها . واما بعد الولادة فيأخذ الدماغ ينمو ويطبق جمجمةُ على تجويف القحف الذي يعيهِ ويقيهِ فتنمو فيهِ اولاً مناطق الحركة اي المناطق المستعدة للحركات الخاضعة للارادة وهي التي تتصل اعصابها بالحبل الشوكي وبجمعهِ في الدماغ وتَعَدُّ كل منطقة بهذا النمو لوظيفة معلومة من وظائف الحس او الحركة

وقد عُرفت مزايا الدماغ الخصوصية بالمراقبة الطبية والابحاث الفيسيولوجية والتشريح المرضي وعلم الامراض العقلية وعرفت وظيفة كل جزء وكل نقطة منهُ واصبح ذلك من الحقائق الثابتة التي لا يخامرها ريب ولا اثر فيها للوهم

اذا أُصيب انسان بعلة خارجية معروفة بالفحص الطبي كالشلل او فقد الذاكرة او البله الخ ظهر بتشريح جثتهِ بعد الموت نقطة معتلة من دماغهِ كاللين الاحمر او الاصفر او الابيض او البقع الصفراء ويتفق وجود هذه العلل دائماً مع وجود العلة الخارجية الظاهرة ويستنتج من هذا الاتفاق نتيجة واضحة لا ريب فيها وهي ان اعتلال تلك النقطة من الدماغ يقابلهُ ظهور تلك العلة في الجسم ويزيد ذلك ثبوتاً ووضوحاً بالامتحانات الفيسيولوجية وهي اكثر من ان تعد وتحصى نذكر بعضاً منها قياساً لسواهُ

ساد الاعتقاد قديماً ان نمو الفص الجبهي يدل على قوة العقل فيقال عن الذكي الممتاز انهُ واسع الجبين وعالي الجبهة وقد اتضح الآن فساد هذا الزعم لان جمجمة ديكارت المحفوظة في متحف اللوفر ضيقة الجبهة واطئتها وديكارت من انبغ النوابغ بلا جدال . وقد ثبت من التجارب التي جربت في الحيوانات ان الفص الجبهي هو محل الارادة والانتباه فقد استؤصل هذا الفص من الكلاب ففقدت من صفاتها العقلية الارادة والانتباه ولم تعد تكترث بما يجري حولها . وظهر في امتحانات اخرى انهُ اذا اصيب هذا الفص بآفة نتج عنها انحراف في

الصفات والاخلاق. فالكلاب التي إيف فيها ذلك الفص تحولت من خلق الهدو والدعة الى الشراسة والاعتداء. والفص الجبهي في الانسان انمى مما هو في سائر الحيوانات حتى في ارقى القرود ونموهُ هو السبب في نمو صفة الانتباه فيهِ وقد ساعدتهُ هذه الصفة على الرقي المدني. وعللهُ وآفاتهُ تحدث خللاً كالذي بدا بالتجارب على الحيوانات ومن امثلة ذلك ان معدنًا عمرهُ ٢٥ سنة كان يسدُّ ثقباً في منجم بقضيب من الحديد فحدث انفجار فجائي دفع القضيب فدخل في جبينهِ واخترقهُ الى دماغهِ وعاش بعد الآفة عصبيًّا سريع الانفعال وقحاً عنيداً لا يقبل مشورة ولا يذعن لنصيحةٍ اي تغيرت اخلاقهُ من اللين الى الشكاسة كما شهد بذلك رفاقهُ الذين يعرفونهُ. ومن امثلتها ما حصل لرجل كسر عظمهُ الجبهي فإيف جزء من التلفيف الاول الجبهي الذي في الجهة الحجاجية عند قاعدة الدماغ من اليمين ومن اليسار وإيف التلفيف الثاني الجبهي من اليمين فانقلبت فيهِ صفات البشاشة واللطف والنظافة الى الغلظة والفظاظة والشقاق والقذارة الاَّ ان عقلهُ لم يختل بل بقي سليماً

ومن المشاهدات الغريبة ان ولداً عمرهُ ١٦ سنة كان سيئ الخلق اطلق على نفسهِ رصاصة اخترقت جبينهُ واستقرت في الفص الجبهي من دماغهِ فاستخرجت الرصاصة وخرج باستخراجها كمية كبيرة من الجوهر الدماغي فشفي الولد وبدلت اخلاقهُ فاصبح بشوشاً انيساً حسن العشرة ويرجح انهُ كان مصاباً بورم في دماغهِ فزال الورم بواسطة العملية اذ قد ثبت ان بعض انواع الجنون التي يرافقها ميل الى الهزء والسخرية يكون سببها ورم في الفص الجبهي

اما الفص الجداري فلهُ اهمية عظيمة في اعمال العقل الكبرى لاننا اذا قابلنا بين الفصين الجداريين في القرود والزنوج والشعوب المنحطة وبينها في اصحاب العقول المتوسطة ثم في العلماء والكتَّاب على درجاتهم المتفاوتة رأينا فرقاً كبيراً وتحققنا ان الفص الجداري يكون صغيراً في الزنوج والطوائف المنحطة في السلم الانساني ونامياً في البيض وكبيراً جدًّا في اصحاب العقول العالية. عدا عن ان الفرجات تستطيل وتتشعب في بعض اقسامها واذا كانت ملتوية ومنحنية كما هي في القرود استقامت واتجهت اتجاهاً يطابق نموها فتزيد بذلك كمية الجوهر السنجابي وقد ظهر هذا التنويع في دماغ ليبغ وغيرهِ من النوابغ

فعقل الانسان ودماغهُ يشبهان رقعة من القرطاس خُطَّ عليها بالهيروغليف كل ما يختص بها وقد بسطت امامنا لفك رموزها ففككناها واحدة فواحدة وعلمنا منها ان قرائح الكتاب ومدارك الفلاسفة واعمال البشر واقوالهم هي نتيجة حالة الجهاز العصبي التشريحية والفيسيولوجية

وان الكتابة والافعال والاقوال لا تتولد من الداخل بل هي انعكاسات لازمة لما يقابلها من الخارج كانعكاس الاشباح بالماء

وظائف المناطق الدماغية

علمنا مما سبق ان لكل منطقة وقسم من الدماغ وظيفة خصوصية اي عملاً خاصًّا من اعمال العقل وقد رأينا ان نجمعها هنا ليقف المطالع على ارتباط القوى العقلية بالمادة العصبية وهي كما يأتي

وظيفة الفصين الجبهيين

الكتابة — ومركزها رجل التلفيف الثاني الايسر وهي الثنية التي تصل التلفيف الجبهي الثاني بالثلث العلوي من التلفيف الجبهي الصاعد

الكلام — (مركز بروكا) ومركزهُ الجسان الخلفيان من التلفيف الجبهي الثالث الايسر على عاز ثلاثة سنتيمترات او اربعة وهو يربط التلفيف الجبهي الثالث بالقسم السفلي من التلفيف الجبهي الصاعد ويحتويان عدا ذلك على وظيفة المعارضة وعلى مراكز الحس والحركة

وظيفة منطقة رولاند

تتألف منطقة رولاند من الفصين الجبهيين والفصين الجداريين ووظيفتها الحكم على حركة الاطراف

حركة الطرفين السفليين — ومركزها الفص المركزي والربع العلوي من التلافيف الصاعدة الجبهية والجدارية

حركة الطرفين العلويين — ومركزها الربعان المتوسطان من التلافيف الصاعدة

حركة اللسان والحنجرة — ومركزها القرن الجبهي والربع السفلي من التلفيف الجبهي الصاعد وقرن رولاند

حركة الوجه — ومركزها قرن رولاند والربع السفلي من التلفيف الجداري الصاعد

وهذه المراكز في النصف الكروي من الدماغ المخالف لجهة الجسم الواقعة اقسامهُ تحت حكمها ويصل فعلهُ اليها بواسطة الاعصاب المتصالبة في الهرمين اللذين في اعلى الحبل الشوكي

وظيفة الفصين الجداريين

الكتابة — (مركز سمولت) ومركزها الثنية المنحنية التي تربط التلفيف الجداري الثاني بالتلفيف الصدغي الثالث

و يحتو يان كذلك على مراكز اللمس والحس العضلي والشعور بالالم وهي في التلفيفين الجداريين الاول والثاني

وظيفة الفصين الخلفيين

البصر العام — اي كل المراكز المختصة بالنظر ما عدا نظر الكتابة فانهُ يختص بالفص الجداري

وظيفة الفصين الصدغيين

السمع العام — اي كل المراكز المختصة بالسمع ما عدا سماع الكلام

سماع الكلام — (مركز وارنيك) ومركزهُ التلفيف الصدغي الاول والتلفيف الصدغي المستعرض والثنية التي تربط التلفيف الصدغي الاول بالتلافيف الجدارية على اليسار

وظيفة الفص المركزي

الشم — ومركزهُ القرن الكبشي الاصغر والقرن الكبشي الاكبر والتلفيف الثاني في الفص المركزي

تكوُّن الصور في الدماغ

اذا تدبرنا ما تقدم امكننا ان نفهم كيفية حصول المدركات وانطباع رسومها في الدماغ . فالدماغ كما ذكرنا آنفاً يكون عند الولادة عديم الاكتراث بالمؤَثرات الخارجية لضعف الجوهر السنجابي فيهِ واما بعد الولادة فتأْخذ حويصلات الحس والحركة تنمو ويشرع بالتدرب على العمل بتثقيف طبيعي فيأْخذ بالادراك شيئاً فشيئاً اي يصبح بناؤُهُ مستعداً لقبول صور المدركات التي ترد اليهِ من الخارج حتى اذا كمل بناؤُهُ ووصل الى درجة من التكوين المادي تؤَهلهُ للعمل صار كالصفيحة الفوتوغرافية التي تُحضَّر وتُعدّ لاخذ الصور فاذا اثر فيهِ مؤَثر تناول رسمهُ وحفظهُ في نسيجهِ . وبيان ذلك ان تموج المؤَثرات الخارجية يقع على الحواس الخمس فينقل بحبالها العصبية الى الدماغ فينتهي فيهِ وينطبع رسمهُ على الطبقة السنجابية ويتحول بفعل الحويصلات الى تموج خاص بكل نوع من مدركات الحواس فما ينقل بالعين يتحول الى تموج بصري وما ينقل بالاذن الى تموج سمعي الخ فيقف اذ ذاك العمل الاول اي عمل التموج المنقول بالحبال العصبية وتكمن قوتهُ في الرسم المنقول عنهُ فتبقى في الرسم على حالة من البطء والكمون وتكون على استعداد دائم لاسترجاع قوتها بتأْثير محسوسات جديدة خارجية مباشرة او غير مباشرة . وعلى ذلك يكون في الطبقة السطحية

من الرسوم بقدر ما يرد اليها من التأثيرات وهي رسوم لمس وسمع و بصر وذوق وشم

ولا تقتصر الحويصلات على خزن رسوم الحس بل تخزن ايضاً رسوم الحركة التي تتكون من التموجات التي تصدر من حركة العضلات والمفاصل والاطراف والمشي والكتابة والخياطة الخ بحيث ان كل الرسوم المخزونة تكون نتيجة تموج خارجي محسوس يتحول الى نوعين حاس ومحرك ويطلق على المخزن الذي تخزن فيهِ اسم المفكرة او الذاكرة وهما اسمان مترادفان يستعملان لمعنى واحد هو تنبيه صورة محفوظة في الحويصلة الدماغية اذا انتبهت بفعل منبه خارجي جديد تحولت الى قوة فاعلة وحصل ما يسمى تصوراً اي ان التصور هو انتباه صورة من صور المفكرة كما يتضح من المثال الآتي

اذا اومض برق وعقبهُ رعد اثَّر البرق في العين والرعد في الاذن اي ان جهاز القبول البصري يقبل التموجات الخارجية بواسطة العصب البصري و يسجلها في مفكرتهِ اي في حويصلة او عدة حويصلات دماغية معينة ومخصصة لقبول هذا التأثير . وجهاز القبول السمعي يقبل التموجات بواسطة العصب السمعي ويحفظها في الحويصلات المخصصة لقبولهِ فاذا طرق الاذن فجاءة هزيم رعد جديد فاهتزازهُ يوقظ مباشرةً الصورة السمعية وهذا هو تصور الرعد وغير مباشرةٍ وهو تصوُّر البرق . فيحصل في آنٍ واحد انتباهان منفصلان لصورتين منفصلتين وتصوران متميزان هما الرعد والبرق . فالتصور هنا يتعلق بذكر واحد اي بصورة واحدة وليس بصور كثيرة والرعد والبرق لا ينكشفان الاَّ باهتزاز واحد خارجي محسوس وليس لهما الاَّ صورة واحدة وذكر واحد اي للرعد الصوت وللبرق النور . واما ارتباط التصور السمعي بالتصور البصري فناتج من ارتباط المركزين بالالياف العصبية التي تجعلها يشتركان في مجموع من الاعمال وقد المعنا الى هذا الارتباط في الكلام على تركيب الدماغ

الذاكرة

بعدما تصل التأثيرات الخارجية بواسطة الاهتزازات العصبية الى الدماغ تؤخذ صورها فيهِ وترسم في حويصلاتهِ ويحصل ذلك بسرعة وسهولة او ببطء وصعوبة ويكون الرسم جليًّا واضحًا او ضعيفًا مشوشاً و يثبت مدة طويلة او يكون سريع الزوال كل ذلك بالنسبة الى بناء الحويصلات الخاص واستعدادها الفيسيولوجي لانها اذا كانت نامية ونشيطة ارتسمت الصور فيها بسرعة وكانت جلية طويلة البقاء واذا كانت ضعيفة البناء قليلة النمو أخذت

الرسوم ببطء وكانت قليلة الوضوح قصيرة العمر فهي من هذا القبيل كالصفيحة الفوتوغرافية التي تختلف صورها رونقاً وصفاء واتقاناً وسرعة نقل باختلاف حالة جهاز التصوير وصفة آلاته وحساسة الصفيحة وقوة النور ومدة العرض في الجهاز

والحاصل من اخذ الرسوم الدماغية ومن تنبيهها وعودها الى الظهور هو ما يسمَّى بالذاكرة . وعليهِ تكون الذاكرة مجموع الحاصل من رسوم متعددة ومن استصدارها فهي ليست وظيفة واحدة دماغية مستقلة لها محل خاص محدود في الدماغ على ما هو الاعتقاد الغالب وانما اطلق عليها لفظ المفرد لتحديد عمل مشترك بين مجموع من الذاكرات . ولا يمكن ان توجد ذاكرة واحدة لانهُ لا يوجد حاصل واحد لصور التذكارات المتعددة واستصدارها بل ذاكرات كثيرة تتفرق حدودها في حويصلات السمع والبصر والشم والذوق واللمس ويصح ان يخصص اسم لكل منها كالسمعية والبصرية والحركية الخ وهي تختلف في الاشخاص كثيراً تبعاً لاستعداد الحويصلات الدماغية ونموها الطبيعي وانمائها بالتربية والتثقيف لان هذا الاستعداد في الحويصلات يميز الافراد بذاكراتهم فيجعل اذن الواحد مثلاً موسيقية تنقل الانغام بسرعة وسهولة وتجعل اذن الآخر غير موسيقية لا يستطيع ان يميز بها بين مقامات الانغام وضروبها فلا يستطيع ان يكون موسيقياً ولو طرق الفن من كل ابوابهِ وحاول امتلاكهُ بكل جهدهِ . فالمشابهة اذاً بين الحويصلات الدماغية والصفائح الفوتوغرافية صحيحة اذ تجتمع في الحويصلة الواحدة الصورة (الرسم المخزون) والتصور (الرسم المصدر) والذاكرة (الحاصل من حفظ الرسم واصدارهِ)

وامراض الذاكرة والتصور ترجع الى مرض او انحراف في الحويصلات العصبية الدماغية او في الالياف التي تربطها بعضها ببعض وما يحصل في تلك الحويصلات من الانحراف سواء كان في كمية العمل او كيفيتهِ يظهر في الوظيفة المتعلقة بها اي في الذاكرة والتصور وينتج من ذلك ان الصور الدماغية وما يصدر عنها من التصورات هي اكتسابية ولا يمكن ان تكون غير ذلك وحيث لا ذاكرة ذاتية لا تصوُّر ذاتي وكلاهما مكتسبان

ظهر مما تقدم ان كل ما يقع تحت الحواس يصل الى حويصلات الطبقة السطحية للدماغ بتموجات عصبية متنوعة ويؤثر فيها تأثيرات مختلفة تتحول الى رسوم او تذكارات كامنة تعود الى الظهور بمؤثرات جديدة . ولنأخذ العود من آلات الطرب مثالاً للايضاح فان منظرهُ وشكلهُ يولدان فينا صورة بصرية والمواد التي يتألف منها تولد صورة لمسية ونغمهُ يولد صورة سمعية فتحفظ هذه الصور في الدماغ وتبقى كامنة فيهِ الى ان يحدث ما ينبهها فيتولد من تنبيهها

تصورات متميزة بالنظر واللمس والسمع بحيث اذا ورد حديث عن العود وقيل لنا هل تذكرون صوت ذلك العود الرخيم اجبنا نعم ومعنى ذلك ان هذا السؤال يوقظ في دماغنا (الفص الصدغي) صورة السمع التي حدثت عن ذلك العود وحفظت في الحويصلات الدماغية

وكل هذه الصور المتميزة للعود اي السمعية والبصرية واللمسية يتكون منها صورة واحدة كاملة باجتماعها في مركز التصور الحسي الذي له علاقة بكل صورة منها بواسطة الارتباطات العصبية الا ان تأثيرها فيه ليس واحداً فهو يتأثر من الواحدة اكثر مما يتأثر من الاخرى تبعاً لاستعداد الحويصلة الخاص بكل شخص وتبعاً لنموها وتثقيفها. وكما انهُ يمكن ايقاظ تلك الصور والتذكارات الكامنة يمكن لمراكز التصور عند ما تصير فاعلة ومولدة ان توقظ كل التصورات المتميزة فتوءَان من اجزائها كلاً لانها ترتبط بعضها ببعض بالالياف تجعلها تشترك في العمل بتأثير التموجات الخارجية المحسوسة ويطلق على هذا العمل المشترك اسم الادراك

الادراك

فالادراك هو مجموع كل الوظائف الطبيعية التي تتعلق بالالياف العصبية التي تربط صور الذاكرة بعضها ببعض والالياف التي تربط الصور بمراكز التصور والالياف التي تربط هذه المراكز بعضها ببعض . واذا عرفنا ذلك عرفنا سبب التباين في المدارك الانسانية ووجود الخصوصيات او الاختصاصات في الافراد حتى تفرق بينهم فوارق كبيرة بين نوابغ وبلهاء واذكياء وبلداء لان ذلك يتوقف على تكوين الدماغ وقوتهِ الطبيعية وعلى مساعدة نموهِ بالتربية والتهذيب

التصور وكيفية اصدارهِ الى الخارج

يمتاز الانسان بالنطق او بخاصة التفاهم مع امثالهِ برموز خصوصية يستعملها لاظهار تصوراتهِ وافكارهِ وينقلها من دماغهِ الى دماغ رفيقهِ بوسائل كثيرة كحركات الاعضاء والرموز المتعارفة بالكلام والكتابة

فالحركات تمثل بها التصورات الدماغية التي يصدرها المتكلم وينقلها المخاطب جرياً على ناموس التطبيق لوجود الاتحاد والارتباط بين الحويصلات التي ترسم فيها صور الحس والحويصلات التي ترسم فيها صور الحركة

فاذا اردنا ان ننبه في شخص صورة دائرة او ان نوصل الى دماغهِ تصوراً لها بدون كلام او كتابة نرسم حركة بالذراع تجعلهُ يذكر او يفهم صورة الدائرة فيحصل في هذا العمل تطبيق التصور الحساس فينا على التصور المحرك وتطبيق التصور المحرك في المخاطب على التصور

الحساس . فاذا حصلت علة في المركز المحرك الدماغي (وهو الربعان المتوسطان للتلافيف الصاعدة بمنطقة رولاند) فالذراع يشلّ ويمتنع اذ ذاك اصدار صورة الدائرة بانقطاع الارتباط بين الحويصلة الحساسة والحويصلة المحركة

اما الكلام والكتابة وما يمثلها من الرموز المادية فهي الوسائل المهمة والمعوَّل عليها لاصدار التصورات الدماغية وهي تجري كما تجري الحركة على ناموس التطبيق فتطبق على التصور ويطبق التصور عليها ولهذا التبادل درجات ثلاث ممتازة بعضها عن بعض هي القبول بالمشاعر الخمس وانطباع الصور واصدار الصور . وليست هذه المطابقة بين الوظيفة والمادة من قبيل الظن والوهم بل هي حقيقة علمية مؤيدة بالتشريح المرضي والمشاهدة الطبية لان من الناس من يفقد خاصة الكلام او الكتابة او السمع كليًّا او جزئيًّا بعد جرح او آفةٍ بدون ان يشلّ اللسان والشفتان والحنجرة واليد والذراع وبدون عمى او بكم ويعرف بالفحص ان خسارة تلك الخاصة ترجع الى علة معينة ومحدودة في الحويصلات العصبية الدماغية تسمى في الطب افازيا وتظهر للقاري من الامثلة الآتية

الافازيا البصرية — يفقد المصاب بها معرفة الحروف بواسطة البصر ويسمى ذلك عمى الاحرف او عمي الكلام المكتوب فهو يراها جيداً ولكنهُ لا يستطيع ان يقرأها لان التموج الخارجي الحساس الجديد (الكلمة المكتوبة) الفاعل بالبصر وان انتقل بالحبال العصبية الى الرسم المحفوظ في الحويصلة لا ينبههُ ولا يوقظهُ من كمونهِ اي ان عمل الكلمة المكتوبة ناقص في المصاب بهذا النوع من المرض . واذا بحثنا عن سبب هذا النقص وجدناهُ في جزء معين ومحدود في الجوهر السنجابي وهو الثنية المنحنية وعرفنا ان تلك الثنية قد خسرت باختلال بنائها ذاكرة الكلام المكتوب فاصبح المريض بذلك لا يستطيع القراءة ولو ابصر وقد فقدت منهُ خاصة التفاهم مع امثالهِ بالكتابة ومعنى ذلك ان الكلام المكتوب قد فقد علاقتهُ بالتصورات الدماغية . ومن انواع هذه الافازيا العمى اللوني

الافازيا السمعية — يخسر المصاب بها القوة على فهم معاني الكلام فهو ليس باصم بل يسمع ولا يفهم فكل لفظ يسمعهُ يحسبهُ لغطاً حتى اذا تكلم هو نفسهُ لم يفهم معنى كلامهِ . وسبب ذلك اعتلال قسم محدود في الجوهر السنجابي وهو التلفيف الصدغي الايسر اي ان الكلام المسموع قد فقد علاقتهُ بالتصورات الدماغية والمصاب خسر خاصة التفاهم مع امثالهِ بواسطة السمع . ولهذا النوع من الافازيا تباينات كثيرة تعادل الرموز الكثيرة التي تمثل بها التصورات كالافازيا العددية وافازيا الاصوات الموسيقية وغيرها

الافازيا اللفظية — من الناس من يكون التصور فيهِ جليًا الاَّ انهُ لا يستطيع ان يطبقهُ على الالفاظ التي ينطق بها فاذا تصور معنى واراد تأديتهُ بلفظهِ اتى بكلمة بعيدة عنهُ فيسمعها من نفسهِ ويدرك انها غير ما يريدهُ فيبدلها بثانية وثالثة ولا يبلغ مرادهُ فيتأفف ويتأوّهُ الى ان يتيسر لاحد سامعيهِ لفظ الكلمة المطلوبة فيظهر رضاهُ واقتناعهُ . مثال ذلك اذا اراد كاس ماء طلب عصي او كرسيًّا واذا قال احد سامعيهِ أتريد ماءً اجاب بالايجاب . وتعليل ذلك ان التصور المخزون في الدماغ لا يصدر الى الخارج الاَّ ان تفعل الياف ارتباطاتهِ في تنبيه المركز الذي تحفظ فيهِ الرسوم المحركة لمقاطع الالفاظ فاذا كان ذلك المركز معتلاً بقي صامتاً فلا ينتبه ولا يصدر اوامر التصورات الى الخارج وهذا ما يحصل في هذه العلة في التلفيف الجبهي الثالث الايسر المشهور بتلفيف بروكا في الخمسين العلوبين منهُ على علو ٣ — ٤ سنتيمترات فتفقد بذلك ذاكرة حركة مقاطع الالفاظ وخاصة التعبير عن التصورات بواسطة الكلام ويخسر المصاب بهذه العلة خاصة التفاهم مع امثالهِ بهذه الواسطة . ويمتاز الانسان بنمو هذا التلفيف وهو اثري في القرود

افازيا الكتابة — تمتاز عن الانواع السابقة بكون صاحبها يرى ويسمع ويقرأ ويفهم ولكنهُ لا يستطيع ان يكتب وعلتها التشريحية في الجوهر السنجابي في رجل التلفيف الجبهي الثاني الايسر فيخسر المصاب خاصة اصدار التصورات بواسطة الكتابة ويحرم من التفاهم مع امثالهِ بهذه الواسطة

ان المراكز الاربعة المذكورة مستقلة باعمالها ووظائفها الاَّ ان ارتباطها بعضها ببعض بالالياف العصبية يجعل عمل الواحد يؤثر في عمل الاخر سواء كان ذلك في الصحة او في المرض فاذا اعتل مركز امتد تأثير اعتلالهِ الى مركز اخر لان الصور الفكرية تصدر الى الخارج بافعال واقعة تحت حكم نقط معلومة ومحدودة في الجوهر السنجابي للدماغ ويمثل صدورها برموز واشارات مخصوصة خاضعة لسلطة المراكز الاربعة المذكورة فاذا تعطلت وظيفة احدها لعلة طرأت عليهِ تعطلت وظيفة المركز الذي يجاورهُ ويرتبط بهِ كما اتضح من الامثلة السابقة . وقد يتعدى التعطيل الطبقة السطحية فيسير الخلل على خطوط الالياف الموصلة ويسمى ذلك افازيا الايصال ومن امثلتها ان انساناً يسمع ويقرأ ويتكلم ويكتب ولكنهُ يتعذر عليهِ ان يكتب كلمة يطلب منهُ كتابتها . فاذا لفظت امامهُ كلمة باب مثلاً وقيل لهُ اكتبها فانهُ يسمع الكلمة ويفهمها ولكنهُ يستحيل عليهِ ان يكتبها وذلك لان الالياف التي تربط مركز سماع اللفظ بمركز الكتابة قد اعتلت في نقطة منها فانقطع بذلك الاتصال بين هذين المركزين . ومن

امثلتها ان بعض الناس يفهم معاني الكلام بالقراءة ولا يفهمها بالسماع لان حبال الاتصال بين مركز السمع ومركز القراءة معتلة في نقطة منها فينقطع بسببها الوصل بين المركزين

مراكز الحس والحركة

يؤْخذ مما سبق بيانهُ ان كل ما يجري في حياة الانسان الاجتماعية من تصور وحركة ونطق وقراءة وكتابة ينشأ في دماغهِ ويسير على نظام سديد وبموافقة بين مراكز الحس ومراكز الحركة لان كل مادة محسوسة يرسم لها في الدماغ اربعة رسوم متميزة يتألف من مجموعها رمز واحد يرمز بهِ الى تلك المادة. ولنأْخذ الجرس مثالاً لذلك فان لهُ في الدماغ اربع صور متميزة صورة لمسية هي رسم الاحساس بالمعدن وصورة بصرية هي رسم شكلهِ وصورة سمعية هي رسم صوتهِ وهذه الصور الثلاث تجتمع في مركز معين الحدود في الجوهر السنجابي ويتألف من مجموعها كلمة الجرس فاذا نطق بها سمعت بانتباه الصورة السمعية وقرئت بانتباه الصورة البصرية ونطق بها بانتباه الصورة المحركة وكتبت بانتباه الصورة الكتابية فالكلمة لا تكمل الأ باجتماع الصور في مركز من الجوهر السنجابي فيتألف من اجزائها كلٌّ وهذا الكل هو الكلمة التي يرمز بها الى الجرس الأ انها لا تصدر الأ بفعل مركز الحركة وهذا الفعل لا يتم الأ بموافقة مركز الحس اي ان صدور كلمة جرس يجري في مركز متحد مع مركز الحس ومتفق معهُ على اتمام العمل وحسن سيرهِ وسدادهِ

يؤْخذ من كل ما تقدم ان الانسان بدماغهِ. وان كل ما فيهِ من الصفات الممتازة والقوى النفسانية الشريفة التي يمتاز بها امتيازاً كبيراً عن الحيوان هو من ظواهر الاعمال الدماغية التي لكل منها موضع معروف بحدودهِ فاذا استؤْصل الدماغ وبقي المخيخ والحبل الشوكي ومجمعهُ العصبي قد يبقى الانسان حيًّا ويعيش بهذا الباقي من المجموع الدماغي الشوكي الأ انهُ يخسر كل صفات الانسانية وتصير حياتهُ اشبه بحياة النبات مما هي بحياة الحيوان لان الذاكرة والتصور والادراك والتعقل والحس العام والحس الخاص والقراءة والكتابة هي من اعمال الدماغ الخاصة التي يولدها بناؤُهُ وتركيب مادتهِ الخصوصي وهي تجري فيهِ على نوعين اخذ ورد" او قبول واصدار وتنمو بالتربية والتثقيف والقدوة وما يقال خلاف ذلك لا يستند الى علم صحيح ولا تؤَيدهُ الاكتشافات الفيسيولوجية

الدكتور
امين ابو خاطر

المآخذ الشعرية

(تابع ما قبلهُ)

وقال مهيار الديلمي في طبيب كحَّال

أفنى وأعمى ذا الطبيب بطبهِ ... وبكحلهِ الأحياء والبصراء
فاذا نظرتَ رأيتَ من عميانهِ ... أمماً على أمواتهِ مرَّاء

فاخذ الزغاري المعنى بقولهِ

اعمى الورى بكحلهِ ... والموتُ من وُصفاتهِ
فكثير(١) من عميانهِ ... يقرا على امواتهِ

وقال الامير محمد المنجكي من ابياتٍ

وروضة انسٍ بات فيها ابن ايكةٍ ... يغرّدُ والنايُ الرخيمُ يشنّفُ
وقد ضمّنا فيها من الليل سابغًا ... رداءٌ باكناف الغمام مسجَّفُ
فظلت عرانين الاباريق بالطلى ... الى ان بدت كافورة الصبح ترعفُ

قال الخفاجي في الريحانة «وهذا معنىً تصرَّف فيهِ وابدع . وادار منهُ على المسامع كاس ادبٍ مترع . وممن اجاد فيهِ ابن مرج الكحل الاندلسيّ في قولهِ

ولا عجبٌ ان يمسك الصبح عبرتي ... فلم يزلِ الكافور للدم ممسكا

وقد قلت انا (صاحب الريحانة) في هذا المعنى ايضاً

وساقٍ لي السرور غدا طبيباً ... لهُ طرف يشير الى التصابي
رأى في الكاس صبَّ دم الحميَّا ... فذرَّ عليهِ كافور الحبابِ»

انتهى كلام صاحب الريحانة

وقال الشيخ عبد الباقي العمري البغدادي من شعراء القرن التاسع عشر الماضي :

لما رأيتُ الليل يرعف أنفهُ ... من شمّ كافور الصباح بعندمِ
ارغمتُ مارن مدّعٍ في قولهِ ... «من عادة الكافور إمساك الدمِ»

---

(١) ترك التنوين ضرورة ولو قال : (فالحيُّ من عميانهِ) لتخلص من هذه الضرورة وتمت له التورية

وروى الخفاجي في الريحانة ايضاً : قوله في رثاء والده وخاله من مرثية :

كأن الليالي غالطتني ولم اكن أقدّر أن اغترّ بالمكر والحيَلْ
فقالت اذا أعطيتك الامن عاجلاً من الرزء هل ترضى فقلت لها أجلْ
فجاءت بفقدي للذين احبهم وقالت لهذا كنت اعني فلا تسلْ
لأني لا أخشى مصاباً بُعَيْدذا فلله ريب الحادثات وما فعلْ

ثم قال (الخفاجي) : وهذا معنى مشهور في كلام فصحاء العرب ولكنني تصرَّفتُ فيهِ مع تسمية النوع تصرُّفًا يعرف حسنهُ من ذاق حلاوة الأدب . وفي هذا المعنى يقول الصولي :

كنتَ السوادَ لمقلتي يبكي عليك الناظرُ
من شاء بعدك فليمت فعليك كنتُ أحاذرُ

وفي معناهُ قول الآخر :

فكل ما كنتُ أخشى قد أصبتُ بهِ فليس من بعدهم من فائتٍ جزَعُ

وقال آخر :

اعتضتُ باليأس منهُ صبراً واعتدل الحزن والسرورُ
فلستُ ارجو ولستُ أخشى ما أحدثت بعدهُ الدهورُ
فليجهد الدهرُ في مُصابي فما عسى جهدهُ يضيرُ

وقال اشجع :

فما أنا من رزء وان جلّ جازعٌ ولا بسرور بعد موتك فارحُ

وقال غيرهُ :

لعمري لئن كنّا فقدناك سيدًا يحق لنا طول التحزُّن والهلَعْ
لقد جرّ نفعاً فقدنا لك أننا أمنّا على كل الرزايا من الجزع

واجتمع محمد الفشتالي والخفاجي صاحب الريحانة فانشدهُ هذا قول ناصح الدين الأرجاني :

واذا رأيتَ العبد يهرب ثم لم يُطلَب فمولى العبد منهُ هاربُ

فقال لهُ الفشتالي : من اي معنى أخذ هذا ؟ قال الخفاجي : لا أدري . فقال هو من قول المتنبي :

اذا ترحّلتَ عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون همُ

فأبدأ وأبدع . وأعلم أنهُ من الأدب بمرأى ومسمع . ومنهُ اخذ القائل :

ليس ارتحالك ترتاد الغنى سفراً بل المقام على بؤسٍ هو السفرُ

والمتنبي اخذهُ من قول الطائي :

وما القفر بالبيد الفضاء بل التي نبت بي وفيها ساكنوها هي القفرُ

واجتمع محمد بن ابرهيم الفاسي بالخفاجي هذا . فأنشدهُ الفاسي قولهُ :

حكيتَ ابليس خنًا وصورةً من عوَره
يا سائلي عن العمى عنديَ نصفُ خبَرِه

فقال لهُ الخفاجي : قد سبقك الى هذا الباخرزي في قولهِ :

فلا تحسبوا ابليسَ علّمني الخنا فاني منهُ بالفضائح أبصرُ
وكيف يرى ابليس معشار ما أرى وقد فتحت عيناي لي وهو أعورُ

وبمعناهُ قول الآخر :

رأيتُ اعمى مرةً قائلاً يا قوم ما اصعب فقد البصر
أجابهُ أعورُ من خلفهِ عنديَ من ذلك نصف الخبرْ

وقال ابن الرومي :

يا لائمي في الراح غير مقصّرٍ ما زال ظنُّك سيئًا في الراحِ
فأقلّ ما في تركِ مثلك شربها توفيرها وطهارة الاقداحِ

فأخذهُ محمد بن ابرهيم الفاسي وقال :

يا تاركاً شربًا لقهوتنا التي تجلو صدى القلب الكئيب العاني
في ترك مثلك شربها لي راحةٌ توفيرها وطهارة الفنجانِ

وقال الأرّجاني :

أعد نظراً فما في الخدِ نبتٌ حماهُ الله من ريب المنونِ
ولكن راق ماء الخدّ حتى أراك خيال اهداب الجفونِ

وأخذ المعنى محمد بن ابرهيم الفاسي فقال :

يا سالب الغصن لين القدِ والمَيَلِ ومُلبس الشمس ثوب الحزن من خجلِ
ما شانَ خدّك نبتٌ بل صفا فتراءت في سناهُ ظلال الهدب والمُقَلِ

وقال الخفاجي في ريحانته : ومما يحسن ايرادهُ هنا قول احمد المعرّي :

قل للرئيس ابي محمدٍ الرضيْ قولَ امرىءٍ ابلاهُ حسن بلاء
من حول بركتك البهيّة سادةٌ العلماء والفضلاء والرؤساء
لو انصفوك وهم قيام اشبهت اشخاصهم امثالها في الماء

ومنهُ اخذ الأرّجانيّ قولهُ :

هذا الزمان على ما فيهِ من كدرٍ يحكي انقلاب لياليهِ باهليهِ
غديرُ ماءٍ تراءى في اسافلهِ خيالُ قومٍ تمشّوا في نواحيهِ
فالرِّجل تُنظر مرفوعاً اسافلهـا والرأس يُنظر منكوساً أعاليـهِ

وقولهُ : « على ما فيهِ من كدر » حشو اللوزينج[1] . اما ترى قول المعرّي :

والخلُّ كالماء يُبدي لي ضمائرهُ مع الصفاء ويخفيها مع الكدرِ

واحسن من هذا كلّهِ قولي :

خليليَّ ذي الدنيا الدنيّة لم تزل تعادي فتًى حرًّا شريف المناقبِ
اسافلها تعلو أعاليَها كما يراهُ لبيبٌ عارف بالعواقبِ
اذا صُوّرت للناس معكوسةً بدت فلا تعجبنْ والدهر بحر العجائبِ

انتهى كلام الخفاجي

وقال ابن سنان الخفاجي الحلبي (وهو غير الاول) :

طويتُ اليك الباخلين كأنني سريتُ الى شمس الضحى في الغياهبِ

فاخذهُ ابو القاسم مادحاً من اجابهُ واجازهُ :

لفظتُ ملوك الارض حين لقيتهُ فكنت كمن شقّ الظلام الى الصبح

وقال الصنوبريُّ :

احمد الله قد الاحت بروقٌ منك بالودّ لا تزال مليحه
حسنُ قولٍ وسوءُ فعلٍ كما سمّى المسمّي في وقت ذبح الذبيحه

فاخذ ابن الوردي منهُ قولهُ :

قد بلينا بامـيرٍ ظلم الناس وسبّحْ

---

(١) حشو اللوزينج كناية عن الكلام الذي يستغنى عنهُ . وقد صنف الثعالبي كتاباً سماهُ (حشو اللوزينج) ضمنهُ الاقوال التي جاء فيها مثل ذلك مما يستحسن او يستهجن

فهو كالجزّار فينا يذكر الله ويذبحْ

وقال المتنبي :

ولو قلمٌ أُلقيتُ في شقِّ رأسهِ من السقم ما غيَّرتُ من خطِّ كاتبِ

وقال ايضاً :

كفى بجسمي نحولاً انني رجلٌ لولا مخاطبتي ايَّاك لم ترَني

وبمعناهُ قول الصنوبريّ :

ذبتُ حتى ما يستدلُّ على انني حيٌّ الاَّ ببعض كلامي

وقول ابن الفارض :

كهلال الشكّ لولا انهُ أنَّ عيني عينهُ لم تتأيْ

وقال الاعشى :

وكأْس شربتُ على لذَّةٍ وأُخرى تداويتُ منها بها

وقال ابو نواس :

دع عنك لومي فان اللوم اغراءُ وداوني بالتي كانت هي الداءُ

وقال عنترة العبسيّ :

وترى الذباب بها يغنّي سادراً هَزِجاً كفعل الشارب المترنمِ

ابداً يحكُّ ذراعهُ بذراعهِ فعل المُكِبِّ على الزنادِ الاجذمِ

وكان الجاحظ يقول : نظرنا في الشعر القديم والمحدث فوجدنا المعنى يقلب ويؤْخذ بعضهُ من بعض غير قول عنترة في الاوائل وازاد قولهُ في هذين البيتين . وقال الحصري : وقد تعلق ابن الروميّ بذيل قول عنترة وزاد معنى آخر عليهِ في قولهِ هذا :

وغرَّد ربعيُّ الذباب خلالهُ كما حثَّت النشوان صهباءُ مترعا

فكانت ارانين الذباب هناكمُ على شدوات الطير ضرباً موقَّعا

وتلطَّف بعضهم باخذهِ هذا المعنى وسبكهِ بهذا القالب اذ قال :

فعلُ الاريب اذا خلا بهمومهِ فعل الذبابِ يرنُّ عند فراغهِ

فتراهُ يفرك راحتيهِ ندامةً منهُ ويُتبعها بلطم دماغهِ

وقال المتنبي :

بعثوا الرعب في قلوب الاعادي فكأَن القتال قبل التلاقي
وتكاد الظبى لما عوَّدوها تنتضي نفسها الى الاعناقِ

وقال ابو العلاء المعري :

تكاد سيوفهُ من غير سلٍّ تجدُّ الى رقابهم انسلالا

وقال احد الشعراء :

كم وردةٍ تحكي بسبق الورد طليعةً تسرَّعت عن جندِ
قد ضمها في الغصن قرس البَرْدِ ضمَّ فمٍ لقبلةٍ من بُعْدِ

فاخذهُ مجير الدين ابن تميم بقولهِ :

سبقت اليك من الحدائق وردةٌ وأَتتك قبل اوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأَتك فجمَّعت فمها اليك كطالبٍ تقبيلا

وقال ابن الرومي لمن لم يعطهِ جائزة على مدحهِ اياهُ :

ان كنتَ من جهل حقي غير معتذرٍ او كنتَ من ردّ مدحي غير منثلبِ
فأَعطني ثمن الطرس الذي كتبت فيهِ القصيدة او كفَّارة الذَنبِ

فاخذهُ ابن مليك اخذاً ظاهراً بقولهِ :

مدحتكم طمعًا في ما اؤَملهُ فلم انل غير حمل الاثم والتعبِ
ان لم تكن صلة منكم لذي ادبٍ فاجرة الخطّ او كفَّارة الذنبِ

وقال آخر من نوع التفريق البديعي :

من قاس جدواكَ يوماً بالسحب اخطأَ مدحكْ
السحب تعطي وتبكي وانت تعطي وتضحكْ

وقال ابن هند بمعناهُ :

من قاس جدواك بالغمام فما انصف في الحكم بين شيئينِ
انت اذا جدت ضاحك ابدًا وهو اذا جاد باكيَ العينِ

وقال المتنبي :

وقد اخذ التمام البدر فيهم واعطاني من السقم المحاقا

فتابعهُ ابو الفتح الببّغاء بقولهِ :

أَوليس من احدى العجائب انني فارقتهُ وحييتُ بعد فراقهِ
يا من يحاكي البدر عند تمامهِ ارحم فتًى يحكيهِ عند محاقهِ

وقال المتنبي :

لبسنَ الوشيَ لا متجمّلاتٍ ولكن كي يصنَّ بهِ الجمالا

فأخذهُ الصاحب وقال :

لبسن برود الوشي لا لتجمُّلٍ ولكن لصون الحسن بين بُرُودِ

وقال الشريف الرضيّ :

وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي مواقع اللثم في داجٍ من الظُلَمِ

فتابعهُ الوأواء الدمشقي بقولهِ :

يُقمنَ لنا برق الثغور ادلَّةً اذا ما ضللنا في ظلام الذوائبِ

وقال بعضهم :

شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناي حتى يوأْذنا بذهابِ
لم يقضيا المعشار من حقيهما شرخ الشباب وفرقة الاحبابِ

فاخذهُ ابو منصور الطاهري بقولهِ :

شيئان لو انَّ ليثًا يبتلى بهما في غيلهِ مات من همٍّ ومن كمدِ
فقد الشباب الذي ما ان لهُ عوضٌ والبعد بالرغم عن اهلٍ وعن بلدِ

وقال ابن الرومي :

ووارِدٍ فاحمٍ يقبّل محشاهُ اذا اختال مشية عذره

فاخذهُ ابو محمد المطرانيّ وزاد فيهِ وحسَّنهُ بقولهِ من قصيدة :

ظباءٌ اعارتها المهى حسن مشيها كما قد أَعارتها العيونَ الجآذرُ
فمن حسن ذاك المشي جاءَت فقبّلت مواطئَ من اقدامهنَّ الضفائرُ

عيسى اسكندر معلوف

شواذ الخلائق البشرية

كتب الدكتور ارثر كيث احد اساتذة كلية الجراحة الملكية بانكلترا فصلاً في هذا الموضوع وصف فيهِ الشواذ البشرية التي في المتحف الهنتري. وفي هذا المتحف مجموعة كبيرة لانواع الشواذ التي تطرأ على الخلائق البشرية وكلها محفوظة ومصونة من البلى بالطرق الطبية المعروفة الآن. وقد شرحها هذا الاستاذ كلها شرحاً كافياً وعللها تعليلاً علميًّا وافياً وردَّ جميع اسباب المسوخ البشرية الى اتصال التوأمين في اوائل عهد تكوين جنينيهما وتوقف نمو احدهما كما انهُ ردَّ ايضاً اسباب جميع العاهات الى سبب واحد وهو توقف بعض الاعضاء عن النمو منذ عهد نمو الجنين قال

في هذه المجموعة نموذجان لخمسة اطفال من بطن واحد في ولادة واحدة. وكلهم تامو الخلقة ولكنهم صغار البدن. اما ولادة ثلاثة اطفال من بطن واحد فليست امراً نادراً جدًّا فقد اثبتت الاحصاءات ان نسبة الولادات الثلاثية الى سائر الولادات كنسبة واحد الى سبعة آلاف. واما ولادة التوأمين فأمر مألوف جدًّا. ففي ارلندا يُولد توءمان في واحدة من كل ٧٢ ولادة. وفي انكلترا في واحدة من كل ٧٥ وفي فرنسا واحدة من كل مئة ولادة

اما في اشباه الانسان كالغورلا والشمبانزي والاوران اوتان وفي القردة عموماً فتندر ولادة التوأمين ولهذا تعد شذوذاً. وسترى فيما يلي ان جميع المسوخ البشرية انما هي نتيجة انتاج توأمين غير تام

من امثلة هذا المتحف ما يحقق وجود صنفين من التوائم. ففي الصنف الواحد يُرَى كلٌّ من الجنينين مغلفاً بغلافهِ الخاص ولهُ حبل سري خاص يجري فيهِ الدم بينهُ وبين المشيمة وفي الصنف الآخر يكون الجنينان مغلفين معاً بغلاف واحد ولكل منهما حبل سري ولكن الحبلين ينتهيان في مشيمة واحدة

والذي نعتقدهُ ان هذين الصنفين من التوائم ينشآن على طريقتين مختلفتين. فالصنف الاول يتكوَّن من بويضتين تلقحت كلٌّ منهما وحدها. والصنف الثاني يتكون من بويضة واحدة تحوَّلت في اول عهدها الى جنينين. ففي الحالة الاولى يمكن ان يكون الجنينان ذكراً وانثى ولا يتشابهان اكثر من تشابه الاخوين. وفي الحالة الثانية يكونان اما ذكرين او انثيين ولكنهما يتشابهان كل التشابه حتى ان مرضعها تكاد لا تميز احدهما من الآخر

والمسوخ البشرية انما تنشأ من تكوُّن الجنينين المتشابهين كل التشابه. فاذا فحصنا بيضة

الدجاجة التي اعدت اعداداً خاصًا لمشاهدة الجنين بعد حضانة ٢٤ ساعة استطعنا ان نفهم كيفية حدوث ذلك . فجنين الدجاجة ينشأ اولاً على شكل صحيفة منتشرة على المح . وتحت المكرسكوب يُرى الطرف الخلفي من هذا الجنين آخذاً بالانقسام الى اثنين ولكن طرف الرأس يرى انهُ رأس جنين واحد فقط

وهنا نموذج آخر كذلك يظهر فيهِ انقسام كل من الطرفين او تضاعفهما الامر الذي يدل على نشوء فرخين توأمين متصلي البدن . ومما تقدم يمكننا ان نفهم كيفية تكوُّن المسوخ البشرية التي في مجموعة المتحف الهنتري

فالنماذج التي في القسم الاول من هذا المتحف تدل على الشذوذ في داخل الجسم كانقلاب ترتيب الاعضاء الحيوية الداخلية من اليمين الى اليسار وبالعكس كأنك ترى داخل الجسم في مرآة . ومع ان هذا الشذوذ غير قليل الحوادث فان ما قيل في تعليلهِ حتى الآن لا يكفي للاقناع

اما سلسلة النماذج التي تلي ما تقدم وصفهُ فانما هي مجموعة مواليد بشرية لا يستطيع ان يعرف انها اطفال الا الخبير لانها تتراءى كصرَّة ملفوفة في جلد بشري متجعّد . فهي ابدان بلا رؤُوس وانما فيها فروع تمثل الايدي والارجل . وقد شُقَّ بعضها فظهر محتوياً على السلسلة الفقارية وعلى معدة وكبد وامعاء ولكن ليس فيها ادمغة . والقلب الذي فيها غير تامّ فلا يستطيع دفع الدم . وقد تحققنا ان جميع هذه الاجنَّة لم تولد وحدها بل كان كلٌّ منها احد توأمين ثانيهما طفل كامل . وكانا منفصلين تقريباً ولم يكن بينهما اتصال الا باوعيتهما في المشيمة . فاحدهما كان عالة على الآخر اي ان اضعفهما لم يكن يعتمد على دورتهِ الدموية بل على الدم الذي كان يدور في جسم الجنين الآخر القوي ولهذا اصبح قلب الجنين الضعيف عديم الحركة عاجزاً عن العمل فلما ولد التوأمان وانقطع الحبل السري انقطع الدم عن الجنين الضعيف فلم يعش بعد الولادة

والمسوخ التي تُرى في سلسلة النماذج التالية كما تقدم وصفهُ انما هي نتيجة انفصال التوأمين غير التام . ففي بعضها ترى اعلى التوأم جسماً واحداً واسفلهُ جسمين اي ان لهُ رأساً واحداً واربع ارجل . وفي البعض الآخر ترى العكس اي ان القسم الاعلى منهُ مزدوج والاسفل مفرد فهو ذو رأسين واربع ايدٍ ورجلين فقط . وفي بعض آخر ترى الانفصال تامًّا تقريباً وانما يتصل البدنان في احدى النقط . وفي بعض المسوخ كالتوأمين السياميين يتّصل التوأمان تحت عظم القص في اسفل الصدر . والتوأمان المتصلان هكذا يمكن ان يعيشا معاً ويمكن ان

يعيش احدهما ويموت الآخر . وفي هذه الحالة يستطيع الجرّاح الماهر ان يقطع الصلة بينهما ولكن النجاح غير مضمون

وقد وصف الدكتور بالانتين في كتابهِ باثولوجيا الجنين حادثة حدثت في سكوتلاندا في عهد الملك جمس الرابع اي منذ اربع مئة سنة فاكثر وهي انهُ ولد توءَمان منفصلان من الصدر فما فوق ظهراً لظهر ومتحدان من تحتهِ كانهما شخص واحد . وعاش هذان التوأمان وبرعا في الموسيقى وكانا يتكلمان لغات كثيرة وقد عاشا ٢٨ سنة . ولما مات احدهما عزّوا الآخر فقال : « كيف اتعزّى وقد اصبح نصفي حملاً على ظهري وكان شريكي في الغناء والعزف . فاسأل الله ان ينقذني من هذه الحياة المرّة » . ولا شبهة في انهُ لم يعش طويلاً بعد ذلك

وفي التاريخ رواية ترجع الى ١٢ قرناً وهي ان اختين وُلدتا في « كنت » متصلتين من صدرهما الى اسفل جنباً الى جنب . وفي المتحف المنتري نماذج تشابه ذينك الاخوين وهاتين الاختين فضلاً عن نماذج اخرى لحالات اخرى . فقد يتصل التوأمان جنباً الى جنب او وجهاً الى وجه . ونقطة الاتصال اما في الرأس او في الاقسام السفلى . وانواع الاتصال تتراوح بين اتصال سطحي وبين امتزاج تام بحيث يصبح الاثنان واحداً عند مكان الاتصال . وهناك نموذج واحد يتصل فيهِ الوجهان معاً فيتراءيان كانهما وجهان متصلان ولكن عند التحقيق ترى انهما ممتزجان فايمنها للشخص الواحد وايسرها للشخص الآخر ولما كان النصفان متشابهين تمام التشابه تراهما كانهما وجه واحد لشخص واحد والحقيقة انهما نصفا وجهين لشخصين

فكل من المسوخ المار ذكرها انما هو توأمان متساويان في الحجم تمام المساواة . وهنا سلسلة نماذج اخرى غريبة في بابها ويصعب تعليلها لان احد التوأمين المتصلين قزم كانهُ ملحق بالتوأم الآخر التام الخلقة والمستوفي النمو . ومن امثلة ذلك الشخص الصيني المعروف ولهُ شكل يشبههُ في هذا المتحف فترى تحت عظمة القص منهُ اي فوق البطن جسماً ذا جذع ورجلين وشيئين متدليين منهُ كالذراعين . وليس مكان الرأس الأ اثر طفيف

ولو ان احد التوأمين السياميين توقفت عن النمو وهو جنين في اوائل عهد تكوُّنهِ وبقي متكلاً على التوأم الآخر في دورتهِ الدموية لولد ملحقاً للآخر كما رأينا في ملحق التوأم الصيني المارّ ذكرهُ . ومنذ نحو عامين رأى المؤلف هندياً على هذا الشكل . وكانت اطراف البدن الملحق بهِ بلا حركة ولا احساس

وقد يكون القسم السفلي من الجنين منقسماً ولكل قسم منهُ رجلان . وفي كثير من هذه

الاحوال ينمو احد القسمين و يبقى الآخر بلا نمو حتى متى بلغ الشخص كانت لهُ رجلان صغيرتان زائدتان من ورائهِ . وفي بعض الاحوال تنمو احدى الزائدتين فيتراءى كانهُ ذو ثلاث ارجل. وفي حالة انقسام القسم الاسفل يمكن ان يكون المستقيم مزدوجاً

وفي الشخص الصيني المذكور آنفاً لم ينمُ الرأس فلم يكن لهُ الاَّ اثر. ولكن في النموذج الذي عندنا الممثل « الغلام البنغالي » نرى الامر على عكس ذلك اي ان الرأس ظاهر والجسم مختفٍ وقد عاش الغلام عدة سنين . وكان الرأس الملحق غائصاً في بدنهِ من قحفهِ وعيناهُ تتحركان

والى جانب هذا النموذج نموذج آخر يمثل تماماً طبيعة الرأس الاضافي في الغلام البنغالي . فترى فيهِ توأمين تكوَّنا تكوُّناً تامًّا غير ان رأسيهما اتحدا عند اعلاهما . ومن ذلك يُفهَم انهُ لو انقطعت الدورة الدموية عن احد الجنينين لبقي الدم يرد الى رأسهِ من اوعية رأس الجنين الآخر وهكذا يستمر الرأس ينمو في حين ان البدن يضمر و يضمحل

و يستدلُّ من ذلك ان الجسم البشري يكون ليناً جداً في مدة الحمل ويحتمل ان يتكيَّف على صور مختلفة . فيمكن انتاج مسوخ الفراخ بنقف البيوض في درجة حرارة اعلى من الدرجة المعتادة لنقفها. واذا وضعت بيوض توتيا البحر (الرتسا) او سمك السلمون في محاول بعض الاملاح نقفت عن مسوخ مختلفة . واما الاعتقاد السائر وهو ان المسوخ هي نتيجة تأثير عقلي في الحامل زمن الحمل كالخوف ونحوهِ فلم يستطع علماء الطب الوقوف على دليل يؤيدهُ . ولا ندري كيف يمكن ان يبلغ هذا التأثير العقلي الى جنين قد تكوَّنت كل اعضائهِ . ثم اننا نرى ان الحمى وبعض الطوارئ التي تغيّر حالة دم الام او حالة الرحم يمكن ان تؤثر في النمو الطبيعي وتسبب انتاج المسوخ. وتكثر الشذوذ الخلقية في بعض العيال ولاسيما العيال العصبية المزاج

والآن ننتقل الى وصف نموذجين كانا حديث الناس حين ظهرا منذ نحو قرن وهما متشابهان تمام التشابه ولهذا نجتزئ بوصف احدهما . وهو ان فتى مات في السادسة عشرة من عمرهِ بسبب انتفاخ كان في اعلى بطنهِ. وشرَّح الاطباء جسدهُ فوجدوا في تجويف ذلك الانتفاخ طفلاً يشبه بالشكل والحجم الطفل الملحق بصدر الشخص الصيني المار ذكرهُ اي انهُ بدن ذو رجلين و يدين ولكن بلا رأس . فهو اذاً احد توأمين ولكنهُ كان في اول عهد نموهما غائصاً في بطن الآخر ولهذا تعرقل سير نموهِ وكان ذلك علة موت الآخر

وهناك نماذج اخرى تمثل حالات مختلفة من نوع هذه الحالة غير انها تختلف عنها كثيراً . وهي انتفاخات او بالحري اكياس فارغة يستخرجها الجراحون ويمكن ان توجد في كل جزء

من الجسم تقريباً . ولكنها توجد على الغالب في الخصيتين . وهذه الاكياس مبطَّنة من الداخل بمثل الجلد ولهذا تسمَّى الانتفاخات او الاكياس الجلدية ويغلب ان تشتمل على زغب او كتل شعر ولا يندر ان يوجد فيها احياناً شبه فك وعليهِ الاسنان مرصوصة على اختلاف انواعها . فليس من السهل تعليل نشوء هذه الاكياس الغريبة ولكن يحتمل انها نشأت في الاصل من جرثومة تناسلية وهذه الجرثومة لوكانت في حالة طبيعية لامكن ان تكون بيضة . ومعلوم ان بيوض الحيوانات غير الفقارية كالتوتيا يمكن ان تنقسم الى جنينين ببعض المحلولات الكيماوية فيحتمل اذاً ان تلك الاكياس الجلدية تنشأ من جراثيم تناسلية توجد في احوال غير طبيعية وتكون تحت تأثير عوامل شاذة

وقد اثبت علماء الاجنة ان الحويصلات التي يتولد منها نسل الجنين تكون مستقلة ومنفصلة عن الحويصلات التي يتكوَّن منها الجنين نفسهُ لاول عهد تكوُّنهِ . وبعضها لا يدخل الى خصيتي الجنين الذكر او مبيضي الجنين الانثى بل يبقى متفرقاً في انسجة جسمهِ . فيمكن ان تكون «الاكياس الجلدية» قد نشأت من هذه الحويصلات . ولكن لا برهان قاطع على ذلك حتى الآن

وفي قسم آخر من المتحف المنتري عدة نماذج لانواع الشواذ الاخرى التي لا تهمُّنا كثيراً كالسحن القبيحة التي بعضها يشابه سحنة الضفدع والرؤُوس التي تفلطحت جماجمها والظهور التي ظهر فيها الحبل الشوكي كانهُ قدَّة ملصوقة بالظهر . وانما بين تلك النماذج اثنان عجيبان يلذ وصفهما للقارئ احدهما ذو عين واحدة في اسفل منتصف الجبهة نشأت عن اندغام العينين معاً . ولكي يفهم تعليل شذوذها يجب الالتفات الى سلسلة نماذج اخرى اتحدت في كل منها الرجلان حتى اصبحتا رجلاً واحدة . وفي الاجنة ترى الساقين ممتزجين في مؤَخرها مدة حياة الجنين فانهما تظهران في اول الامر كبرعمتين مسطحتين في ذيل الجسم الجنيني . فلو حدث ما اوقف نمو مؤَخر الجنين لظهرت برعمتا الرجلين متحاذيتين في مكانهما الاصلي . وقد يمكن ان يتوقف النمو في مقدم الجنين . واقصى هذا المقدَّم هو حيث تنفصل العينان ويتكون الانف . فاذا توقف النمو في الوجه لا تنفصل برعمتا العينين بل تندغمان في اوائل عهد نمو الجنين وتستمران متحدتين . وقد يتحد مقدَّما نصفي الدماغ الى درجة معينة ولهذا نرى ان مقدم الجسم الجنيني ومؤَخرهُ يتوقفان عن النمو فتتحد العينان في الحالة الاولى والساقان في الحالة الثانية

في حالة اتحاد العينين ينشأ على الغالب فوق العين المزدوجة نتوء يشبه خرطوم الفيل

بعض الشبه وهو يمثل آثار الاجزاء التي كان يجب ان يتكوَّن منها الانف[1] . فلا نقدر ان نفترض ان هذه الحالة كانت طبيعية في اجداد الجنس البشري

اما الحالة الثانية التي نلفت اليها نظر القارئ فتختص بالذقن اي بالفك الاسفل . فقد نرى وجهاً بشرياً مشوَّهاً بسبب عدم نمو الفك الاسفل حتى ان ما تحت الشفة السفلى ينحدر بسطح مستقيم تقريباً الى العنق كأَن لا ذقن هناك

وفي المتحف الهنتري نماذج شديدة الوضوح لهذا التشوه ويصل التشوه فيها الى الاذنين فترى اسفلها منجذباً نحو العنق ايضاً وذلك لتوقف النمو في القسم الاسفل من الوجه كلّهِ . ويحتمل ان تكون هذه الحالة من نوع التقهقر لان الفك الاسفل في الاسماك الاولية هو من هذا النوع . ومما هو جدير بالملاحظة ان هذا التشوه يحدث في بعض الحيوانات الداجنة ولاسيما الخراف

ومن العاهات ما يشوّه البدن منذ الولادة . ان الاطراف اي (الرجلين واليدين) تظهر كنتوات زائدة في جوانب الجذع في آخر الاسبوع الثالث من تكوُّن الجنين حينما يكون حجمهُ نحو عُشر البوصة . وبعد اسبوع تشرع تنفصل عقد تلك الاطراف اي اجزاء العضدين والساعدين والكتفين والفخذين والساقين والقدمين . ولكن براعم الرجلين واليدين تتشابهان كل التشابه في اول الامر . فاصابع اليدين والرجلين غائصة في نسيج كنسيج اكف الاوز والبط ويغلب ان يطول امد هذا النسيج وفي هذه الحالة يمكن ان لا تتكوَّن بعض عقد الاصابع . وهذه الشواذ قد تكون وراثية فتظهر حيناً بعد حين في مواليد السلالة الواحدة

وقد يمكن ان يتوقف نمو بعض الاطراف في عهد نمو الجنين وجل ما يظهر منها بعد ذلك نواتئ في الجلد . ومن حسن الحظ ان هذه العاهات نادرة جدًّا

ومن جملة الشواذ ظهور اصبع سادسة في جانب الخنصر او الابهام في اليد او القدم (وهو المعروف بالعنش) . والمحتمل ان نشوء اصابع سادسة وراثي يظهر حيناً بعد آخر في السلالة . واذا صح هذا الاحتمال فان هذه الحالة تدل على تاريخ قديم جدًّا في تكيف رقي الاكف والاقدام لان جميع الحيوانات الفقارية لا يزيد عدد اصابعها عن الخمسة . والاغلب احتمالاً ان الاصبع السادسة في الانسان ناجمة عن انقسام برعمة الخنصر او الابهام الى اثنتين في اوائل عهد تكونهما . وقد رأينا في ما تقدم امكان انقسام جانب من الجنين (مقدَّمهِ او

(١) [المقتطف] ولدت طفلة كذلك في هذه العاصمة فصورناها ووصفناها في المقتطف

موءخرهِ) بحيث ينمو وهو كأنهُ شخصان من جانب وشخص واحد فقط من جانب آخر فلا غرابة اذا كانت الاصبع تنقسم الى اثنتين على هذا النحو

وقبل ان نختم هذا الفصل نلتفت الى نوع من الشذوذ الخلقي الذي يمثل لنا هذه الحقيقة وهي انهُ حينما يطرأُ على الانسان تقهقر في رقيهِ يدل هذا التقهقر على درجة قديمة جدًّا من درجات الرقي. وهذا الشذوذ الذي نلفت اليهِ نظر القارئ على الخصوص انما هو بروز عظمي في العضد على بعد قليل من المرفق وهو في واحدٍ من خمسين ممن فحصهم المشرّحون . وقد اتضح لهم ان شريان العضو الاصلي وعصبةُ يمران تحت ذلك البروز العظمي . وهذا البروز تراهُ في اسلاف الحيوانات اللبونة الحالية . وهو كثيرٌ في الزحافات وبعض انواع الكركدن وكثير من الضواري . ولكنهُ لا يوجد في الحيوانات العليا الاَّ نادراً فكثرة وجوده في الانسان تدلُّ على انهُ بقي في بعض افراد الانسان كل مدة ارتقائهِ

فوائد من اخبار القضاة

ان الذين اطلعوا على ما اقتطفناهُ من اخبار القضاة رأَوا فيهِ كيف ابتدأَ وضع القوانين القضائية وما دخل محاكم القضاء من الحسنات والسيئات ورغبوا الينا في الاستمرار على ذلك لانهُ بمثابة تاريخ حقيقي لنشوء القوانين القضائية ففعلنا وقد احتفظنا بلغة المؤَلف على قدر الامكان

اعيد المفضَّل الى القضاء سنة ١٧٤ بعد ان صُرِف عنهُ سنة ١٦٩ وكان متهماً بانهُ لا يقضي بالعدل وقد هجاهُ بعضهم بقولهِ

خفِ الله وارفُد واتَّئدْ يا مفضَّلُ ... فانك عن فصل القضاء ستُسأَلُ
وانك موقوف بهِ ومحاسبٌ ... فدونك فانظر كيف في الحكم تفعلُ
افي العدل ان أُقصى وأُخرَج متعباً ... وتدني بفضلٍ منك خصمي ويدخلُ
وتقبل منهُ في مغيبي شهودهُ ... وبيِّنتي ليست اذا غاب تقبَلُ

ولقيهُ رجل بعد ان عُزِل فقال حسبك الله قضيتَ عليَّ بالباطل وفعلتَ وفعلتَ فقال لهُ المفضل لكن الذي قضينا لهُ يطيِّب الثناء . فلما اعيد الى القضاء جعل كاتبهُ فُلَيح بن القمري فتحدث الناس انهُ كان يرتشي من اقوام ليذكرهم بالعدالة فان المفضل رسم اقواماً بالشهادة فكانوا عشرة رجال فرأَى الناس ان قد أَتي امراً عظيماً فقال فيهِ بعضهم

سننتَ لنا الجور في حكمنا وصيّرت قوماً لصوصاً عدولا

اي انهُ اقام للشهادة اناساً يشهدون للخصوم او عليهم كما يرى في بعض المحاكم الآن فهذه الخلة قديمة مضى عليها الآن اكثر من الف ومئة سنة · ويقال انهُ لم يكن احد من القضاة اقوم منهُ بامور اليتامى وسُمع مرةً يقول وليّ اليتيم كابيهِ ويُروى انهُ كان يجبر اذا جاءهُ رجل قد انكسرت يدهُ جبرها لهُ وصُرف عن القضاء سنة ١٧٧

وولي بعدهُ محمد بن مسروق الكندي وكان اعور فاظهر تجبُّراً عظيماً وباعد الخصوم وكان ولاة مصر يَحضرون القضاة الى مجالسهم كما يَحضر الفقهاء اليوم فلما قدِم ابن مسروق ارسل اليهِ الامير عبدالله بن المسيَّب يأمرهُ بحضور مجلسهِ فابى وبعث اليهِ يشتمهُ فانقطع ذلك عن القضاة من يومئذٍ

وكانت اموال اليتامى والاوقاف(1) والغُيَّب ترد الى بيت المال منذ زمن المنصور الى ايام الرشيد فلما ولي محمد بن مسروق تحامل على اهل مصر فاساؤوا عليهِ الثناء والذكر واشاعوا عليهِ انهُ عزم على حمل ما في بيت المال من هذه الاموال الى هرون (الرشيد) فقام ابو اسحق الحوفي وكان مقرياً فنادى في المسجد الجامع ودعا على ابن مسروق فاحضرهُ ابن مسروق ونالهُ بمكروه فزاد اهل مصر في مقت ابن مسروق · ولما اكثر اهل المسجد من ذمهِ وقف على باب المقصورة ونادى باعلى صوتهِ اين اصحاب الاكسية العسلية اين بنو البغايا لمَ لا يتكلم متكلم بما شاء حتى يرى ويسمع · فما تكلم احد بكلمة · وهو اول من ادخل النصارى المسجد الجامع في خصوماتهم · ولم يكن للقضاة قِمَطْر (2) في ما مضى انما كان كاتب القاضي يحضر ومعهُ الكتب في منديل فاوَّل من جعل لهُ القمطر بمصر ابن مسروق فكان يختمها فتودع فاذا جلس احضرت · وخلفهُ على القضاء اسحق بن الفرات سنة ١٨٤ وهو اول مولًى (3) ولي القضاء بها وهو من اكابر اصحاب مالك وكان قد لقي ابا يوسف واخذ عنهُ · ثم صُرف عن القضاء سنة ١٨٥ وخلفهُ عبد الرحمن بن عبدالله العمري فركب طريق ابن مسروق باتخاذ الشهود وجعل اسماءهم في كتاب وهو اول من فعل ذلك واسقط سائر الناس · ثم فعلت ذلك القضاة من بعدهِ · وكان من اشد الناس لعمارة الاحباس كان يقف عليها بنفسهِ ويجلس مع البنائين اكثر نهارهِ ولكنهُ كان متَّهماً بانهُ اغنى اصحابهُ وفيهِ يقول يحيى الخولاني

(1) هذه اول مرة وردت فيها كلمة اوقاف ويظهر من القرينة انهُ يراد بها الاموال الموقوفة حتى يعلم لمن تصرف · اما الاوقاف بمعناها الحالي فكانت تسمى احباساً كما تسمى الآن في تونس والجزائر

(2) خزانة الكتب (3) المولى هنا العبد او المعتق او مَن كان من احلاف العرب وليس منهم

تُصيَّر اموال اليتامى جوائزاً لاصحابهِ حتى استقلوا واتربوا

ولهُ قصة طويلة في اناس من القبط ادعوا انهم عرب فايَّد دعواهم . وقد هجاهُ يحيى الخولاني لانهُ كان يحب الغناء ولم يكن في مصر مستمعة الأ ركب اليها ليسمع غناءها وربما قوَّم ما انكسر من غنائها قال يحيى الخولاني

أَلا قُمْ فاندبِ العربا وَبكِّ الدين والحسبا
ولا تنفكَّ تنعي العد لَ لمَّا بان فاغتربا
لقد احدث قاضي السوء في فسطاطنا عجبا
يظلُّ نهارهُ يقضي بعين العدل منتصبا
ويسهر ليلهُ لسما عِ القينات والطربا
ويشربها معتقةً عُقاراً تشبه الذهبا
ويعجبهُ سماع العود والمزمار يا عجبا
فيا للناس من قاضٍ يحب اللهو واللعبا

والظاهر انهُ كان يعاقر الخمرة ويستحل اموال الايتام فقد قال المؤَلف « حدثنا محمد ابن يوسف قال حدثني ابو سلمة قال حدثني ابي عن ابيهِ قال اتيت العمري بعد قيامهِ من مجلس حكمهِ فاستأذنت عليهِ فاذن لي فدخلت وهو مضطجع وقد ترجَّل وصفَّر يديهِ وكحَّل عينيهِ واتَّشح بازار معصفر وادَّهن بملاب وهو يضرب باصابع يديهِ بعضها على بعض ويقول

كأني من تذكُّر امّ عمروٍ سَرَت بي قرقفٍ صرْفٌ مدامُ

وقال ايضاً « حدثنا محمد بن يوسف قال حدثني قيس بن حملة الغافقي قال حدثنا ياسين عن ابيهِ ان العمري جعل اموال الايتام الى يحيى بن عبد الله ابن بُكَير فكان بيدهِ منها مال عظيم فاشترى بهِ الرباع والنخيل واقبل يستغلها و يدفع الى الايتام من تلك الغلَّة ما يستنفقونهُ ويحسب عليهم بالذي يدفعهُ اليهم من اصل المال فلما صارت اليهم رؤُوس اموالهم ادَّعى يحيى الاصول وقال هي لي فخوصم عند العمري فقال لا اراهُ ظلمكم بشيء هي اموالكم استهلكتموها . فلما قدم البكري (القاضي الذي خلفهُ) خوصم يحيى اليهِ فامر بهِ فرُبط على العمود المقابل لباب اسرائيل ونودي عليهِ هذا جزاءُ كل خائن . فاقام اياماً يُحلُّ رباطهُ وقت كل صلاة »

والعمري اول من عمل تابوت (صندوق) القضاة الذي كان في بيت المال وكانت تجمع فيهِ اموال اليتامى ومال مَن لا وارث لهُ وكان مودع القضاة بمصر . وصرف عن القضاء سنة ١٩٤ وخلفهُ هاشم بن ابي بكر البكري من قبل محمد الامين وكان من اهل الكوفة يذهب

بمذهب ابي حنيفة فتتبع اصحاب العمري كلهم وسجنهم وسجن العمري وقيده وطالبهُ بما صار اليهِ من اموال الاوقاف وغيرها . وزعم اهل مصر ان العمري اكتسب مائة الف فطالبهُ البكري بها وعرّفهُ وجوهها ثم هرب العمري من السجن ليلاً فلم يدرك فقال يحيى الخولاني

هرب الخائن ليلاً فجنح واتى امراً قبيحاً فافتضح
هاربٌ تحملهُ ناجية يصل الادلاج عدواً بالرَّوَح

واسقط البكري انساب القبط الذين ادعوا انهم عرب . وقد اهتمَّ المؤلف بذلك اكثر ممَّا اهتم بكثير من امهات المسائل القضائية وذكر اقوال الشعراء فيهِ ويظهر منها ان العرب كانوا يحتقرون القبط حينئذٍ احتقاراً شديداً كأنهم ليسوا من سلالة ادم ولا من نسل الفراعنة مشيدي الاهرام والهيا كل وكل ما يدل على عظمة مصر وكونها مهد الحضارة فقد قال شاعر ذلك العصر يحيى الخولاني في هجو العمري

انهُ قد كان يقضي بالهوى ويبيع الحكم جوراً ويهب
واذا يخلو حساها مُزَّةً مثل عين الديك من ماء العنب
ما كفتهُ رشوة ظاهرة وقضايا الجور كم فيها عجب
أن اتى اعظم ما يأتي بهِ احدٌ ان صيَّر القبط عرَب

والظاهر ان البكري لم يكن من عداة الخمر فقد قال المؤلف «حدثنا محمد بن يوسف قال حدثني عبد الوهاب بن سعد قال حدثني محمد بن عمرو بن خالد قال حدثني ابي قال كان هاشم ابن ابي بكر لا يجلس الى القضاء حتى يتغدَّى ويشرب ثلاثة اقداح نبيذاً» . اقام على قضاء مصر سنة ونصفاً وتوفي وولي القضاء بعدهُ رجل من اصحاب الامير جابر بن الاشعث يقال لهُ ابرهيم ابن البكاء ثم وثب الجند بالامير جابر فخلعوهُ فصُرف ابن البكاء عن القضاء ووليهُ لهيعة بن عيسى الحضرمي ثم عزل بعد ان اقام على القضاء من سنة ١٩٦ الى سنة ١٩٨ وخلفهُ الفضل بن غانم وكان كبير اللحية جدًّا فكان يجعل في لحيتهِ عوذةً خوفاً من عين لهيعة كان يفعل ذلك يوم الجمعة اذا خطب . لحية كبيرة وعقل صغير ومع ذلك اجرى عليهِ الوالي ١٦٨ ديناراً كل شهر او نحو ١٣٣٠ جنيهاً في السنة اي اكثر من راتب مستشاري الاستئناف الآن ولكنهُ لم يقم في القضاء الاَّ سنة او نحوها واعيد لهيعة بن عيسى الى القضاء سنة ١٩٩ وجعل في مسائلهِ سعيد بن تليد وامرهُ ان يجدد السوٴال عن الشهود والموسومين بالشهادة في كل ستة اشهر فمن حدثت لهُ جُرحة اوقفهُ . وممَّا يذكر لهُ انهُ قضى في احباس مصر كلها فلم يبقِ منها حُبْساً حتى حكم فيهِ اما ببينة ثبتت عندهُ واما باقرار اهل الحبس وجدد ما كان في

ايادي القضاة منها وما كان في ايدي اهلها · واقام في القضاء الى ان مات سنة ٢٠٤

ومن غريب ما خصهُ المؤلف بالذكر ونبه الافكار لهُ ان تسعة من قضاة مصر كانوا حضارمة اي من اهل حضرموت · وولي قضاء برقة جمع من حضرموت وكان منهم قضاة في الاندلس وفلسطين وحمص ودمشق وفي ذلك يقول يزيد بن مقسم الصدفي

يا حضرموت هنيئاً ما خصصت بهِ من الحكومة بين العجم والعربِ
في الجاهلية والاسلام يعرفهُ اهل الرواية والتفتيش والطَلَبِ

وقال ان معاوية كتب الى مسلمة بن مخلّد وهو على مصر لا تولِّ عملك الأ ازديًّا او حضرميًّا فانهم اهل الامانة

ثم ولي القضاء ابرهيم بن اسحق القاري من قبَل السري بن الحكم والي مصر وجمع لهُ القضاء والقصص · واختصم اليهِ رجلان في شيء فامر على احد الرجلين فشفع الرجل بابن ابي عون الى السري فامرهُ السري ان يتوقف في الحكم فان اصطلحا والأ حكم بينهما فجلس ابرهيم في منزلهِ فركب اليهِ السري وسألهُ الرجوع فقال لا اعود الى ذلك المجلس ابداً ليس في الحكم شفاعة فولَّى السري ابرهيم بن الجراح

ذكر المؤلف انهُ لما ولي عبد الله بن طاهر امر باحضار اهل مصر فحضر الناس فقال لم ان جمعي لكم لترتادوا لانفسكم قاضياً فتكلم يحيي بن عبدالله بن بكير وقال ايها الامير ولِّ قضاءها من رأيت وجنبنا رجلين لا تولِّ قضاءنا غريباً ولا زرّاعاً يعني بالغريب ابرهيم بن الجرّاح وبالزرّاع عيسى بن فُلَيح · فنهض ابرهيم بن الجرّاح وكان حاضراً فقال اصلح الله الامير رجلٌ من ابناء الدولة قديم الحرمة فلم يستمع ابن طاهر الى كلامهِ ثم تكلم ابو ضمرة الزهري فقال اصلح الله الامير اصبغُ بن الفرج الفقيه العالم واصبغ حاضر المجلس · فعارض ابا ضمرة سعيد بن كثير بن عفير · فقال اصلح الله الامير ما بال ابناء الصباغين والمقامصة يذكرون في المواضع التي لم يجعلهم الله عزَّ وجلَّ لها اهلاً · فقام اصبغ فاخذ بمجامع ثوب سعيد بن عفير وقال لهُ انت شيطان ومن اين علمت اني من ابناء الصباغين · وارتفع الامر بينهما حتى كادت تكون فتنة · فذكر عبدالله بن عبد الحكم عيسى بن المنكدر فاثنى عليهِ بخير فقلدهُ ابن طاهر القضاء

وفي رواية اخرى نقلها المؤلف ان سعيد بن عفير قال لعبد الله بن عبد الحكم في اصبغ ليس هذا الرجل كما وصفت هذا رجل بذي طويل اللسان · وسجع في وصفهِ · فقام اصبغ فقال ان الامير امر ان يحضر في مجلسهِ الفقهاء واهل العلم لا الشعراء ولا الكهنة

ولما ولي ابن المنكدر القضاء قال ابن عبد الحكم للوالي انهُ مقلّ (فقير) فاجرى عليهِ سبعة دنانير كل يوم فجرت في القضاء الى اليوم (اي الى زمن المؤلف) او اربعة آلاف درهم في الشهر وهو اول قاضٍ اجري عليهِ ذلك وهي نحو ١٥٠٠ جنيه في السنة واجازهُ بالف دينار

ولقد كان الناس يدعون قبل ذلك لتقلُّد القضاء فيهربون منهُ ويحسبون انهم هالكون بهِ فصاروا حينئذٍ يتهافتون عليهِ تهافتاً لكثرة ريعهِ

ويظهر من القصة التالية ان ابن المنكدر اول مَن عاقب المحكوم عليهِ في الامور المدنية. قال المؤلف «حدثنا محمد بن يوسف قال حدثني ابو مسعود عمرو بن حفص قال حدثني ابي قال خاصمت الى عيسى بن المنكدر فصال على خصمي ثم قال لي ابصق في وجههِ. فتوقفت فقال والله لاحكمت لك او تبصق في وجههِ. قال ففعلت. فقال لهُ اذلك الحق قم فادفع اليهِ حقهُ» فلم يكتفِ بالحكم على المدين بدفع حق الدائن بل اهانهُ اهانة تقرب من حبسهِ

ودخل الامام الشافعي مصر في زمن عيسى ابن المنكدر قال المؤلف في ذلك «حدثنا محمد بن يوسف قال اخبرني ابن قُدَيد عن يحيى بن عثمان ان عيسى بن المنكدر كان دخولهُ الى مصر قديماً قال يحيى فاخبرني احمد بن عبد الرحمن بن وهب قال سمعت ابن المنكدر يصيح بالشافعي والشافعي يسمع يا كذا دخلت هذه البلدة وامرنا واحد ورأينا واحد ففرّقت بيننا والقيت بيننا الشر فرّق الله بين روحك وجسمك» وفي التلخيص وفي رفع الاصر ان ذلك لمخالفة متبعيهِ مالكاً فان الناس في مصر قبل الشافعي لا يعرفون الأ رأي مالك

وذُكر اسم الصوفية اول مرة في خبر ابن المنكدر هذا. قال المؤلف انهُ كان لابن المنكدر طائفة قد احاطت بهِ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وانهم قالوا لهُ ان امير المؤمنين المأمون قد ولّى ابا اسحق بن الرشيد مصر فاكتب لنا كتاباً الى المأمون بانك لا ترضى بولايتهِ ثم قال بعد ذلك ان اصحابهُ الصوفية كلموهُ لما علموا ان ابن طاهر قد صرف عن مصر وصار الامر الى ابي اسحق ليكتب الى المأمون بكراهية ولاية ابي اسحق

ولا تتذكر ان اسم الصوفية ذُكر قبل ذلك التاريخ وهو سنة ٢١٤ للهجرة. ثم ان ابا اسحق صرف ابن المنكدر عن قضاء مصر تلك السنة وامر باخراجهِ الى العراق فسجنهُ هنالك فتوفي وبقيت مصر بلا قاضٍ. وجاء الخليفة المأمون الى مصر حينئذٍ وامر يحيى بن اكثم بالجلوس في المسجد للقضاء فجلس وقضى بين الناس لكن المأمون تشاغل بحربهِ وخرج من مصر ولم يولِّ عليها قاضياً وبقيت كذلك الى ان تولى القضاء هرون بن عبد الله من قبل المأمون في رمضان سنة ٢١٧

ترعة بناما

لما استولى الاتراك العثمانيون على مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣ انسدت على الاوربيين طريق تجارة الهند فاخذوا يبحثون عن طريق آخر يصلون بهِ اليها فآل بهم البحث الى اكتشاف الطريق البحرية حول رأس الرجاء الصالح واكتشاف اميركا وبعد ان اكتشفوا اميركا بقوا زمناً طويلاً يبحثون عن منفذ فيها ينفذون منهُ الى الاوقيانوس الباسيفيكي فلم يهتدوا الا الى مضيق مجلان في اقصى الجنوب ثم طريق آخر في اقصى الشمال وكلاهما طويل الشقة كثير المخاطر فضلاً عن انهُ يتعذر سير السفن فيهِ قسماً كبيراً من السنة بسبب الجليد

واتجهت الافكار بعد ذلك الى شق ترعة في اواسط القارة الاميركية حيث يدنو الاوقيانوسان الواحد من الآخر ولا يفصلها الا سلسلة ضيقة من الجبال . ويقال ان كارلُس الخامس ملك اسبانيا فكّر في ذلك منذ سنة ١٥٢٠ ولكن ابنهُ منعهُ منهُ خوفاً من ان تصبح الترعة مفتاحاً لاملاكهم في اميركا يسهّل انتزاعها منهم

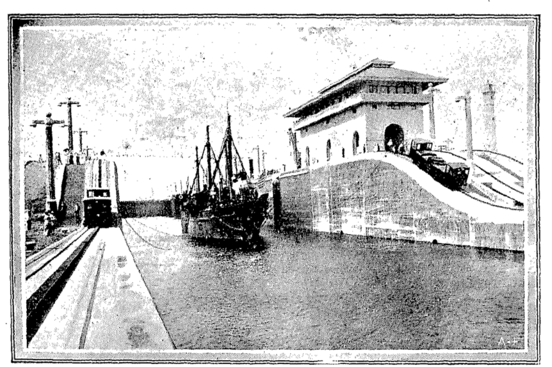
وتألفت في اوربا شركات كثيرة تسعى الى شق هذه الترعة في اميركا الوسطى وارتأى رجل اميركي انشاء سكة حديدية تحمل البواخر من الاوقيانوس الواحد وتنقلها الى الاوقيانوس الآخر وقد شرحنا اسلوبهُ في المقتطف ولكن سعيهُ ذهب عبثاً كما ذهب سعي الشركات الاخرى

ثم تألفت سنة ١٨٧٥ شركة افرنسية تسعى الى شق هذه الترعة في برزخ بناما ودعت فردينان دلسبس الى رئاستها والاشراف على العمل فلبى دعوتها وكانت ثقة الناس بهِ شديدة لتوفقهِ الى شق ترعة السويس قبل ذلك بقليل فانهال عليها المال من جميع انحاء فرنسا واخذ الاغنياء والفقراء يتسابقون الى شراء اسهمها لثقتهم بالربح الكثير . وبدأت الشركة بالحفر سنة ١٨٨٠ ولكن سير عملها كان بطيئاً جدًّا لشدة فتك الحميات بالعملة وللخلل في ادارة العمل فقلت ثقة الناس بها ولم تأتِ سنة ١٨٨٨ الا وامسكوا عن امدادها بالمال وكثر الانتقاد عليها وعلى دلسبس

وبعد ذلك تألفت شركة فرنسوية اخرى حلت محل الاولى واخذت تعمل ببطء ويقال انها لم تكن تطمع باكمال الترعة بل جل ما كانت ترمي اليهِ من حين تألفت هو ان تحافظ على حقوقها في بناما الى ان يتيسّر لها بيعها الى الولايات المتحدة الاميركية وقد تم لها ذلك سنة ١٩٠٤ بعد ان استقلت بناما عن كولومبيا كما سيجيء . وجملة ما انفقتهُ الشركتان الفرنسويتان

احواض غاتون
بحيرة غاتون
خليج بناما
بناما

الاتلنتيكي
سطح الماء في الترعة
الباسيفيكي
بوابات الاحواض
بوابات الاحواض



ترعة بناما وكيفية جر البواخر في الاحواض

على حفر ترعة بناما نحو ٦٠٠٠٠٠٠٠ جنيه ولم ينتفع الاميركيون من كل ما عملتاهُ سوى بما قيمتهُ ٥٠٠٠٠٠٠ جنيه . اما نفقات الاميركيين على اكمالها فلم تزد عن ٧٥٠٠٠٠٠٠ جنيه وقد اشتغلوا بها عشر سنوات

وكانت جمهورية كولومبيا تعرقل مساعي الشركة الفرنسوية وتقف سدًّا في سبيل بيعها حقوقها في الترعة الى الحكومة الاميركية فاخذ اصحاب المصالح يدسون لها الدسائس واثاروا اهل بناما لطلب الاستقلال . فلما ثاروا سنة ١٩٠٣ منعت حكومة الولايات المتحدة جنود كولومبيا من اخضاعهم واعترفت باستقلالهم وعقدت معهم معاهدة تخولها الحق في بناء كل ترعة او سكة حديدية تصل الاوقيانوسين في بلادهم وان تمتلك الارض اللازمة لذلك وتقيم من التحصينات ما يعن لها ان تقيمهُ وتعمل ما تراهُ لازماً لاقرار الامن اذا رأت ذلك لازماً لتأمين مصالحها . وقد ضمنت لهم استقلالهم مقابل ذلك وتقدتهم ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه وتكفلت ان تدفع لحكومتهم الجمهورية ٥٠٠٠٠ جنيه كل عام ابتداء من سنة ١٩١٣ ومنحتهم امتيازات اخرى

واول ما وجّه اليهِ الاميركيون هممهم تطهير بناما من الحمى الصفراء والحمى الملارية والحميات الاخرى وساعدهم على ذلك اكتشاف الطرق التي تنتقل بها عدوى هذه الامراض ولولا ذلك لفشلوا كما فشل الفرنسويون قبلهم . ولما بدأوا بالعمل وكانت البلاد بعدُ بوءرة لهذه الحميات كانت شؤونهم في اختلال وسير العمل بطيئاً

وكانت الولايات المتحدة في اول الامر تنوي ان تصل الاوقيانوسين بحفر ثغرة في الارض التي تفصلهما الى ان يلتقي الماء بالماء كما في ترعة السويس ولكنها ما لبثت ان تحققت صعوبة ذلك فعدلت عنهُ الى جعل الترعة عالية عن سطح البحر ذات احواضٍ ترفع الباخرة في الطرف الواحد وتنقلها من حوض الى آخر الى ان تصل الى الطرف الثاني . والارض هناك ليست سهلاً يسهل حفرهُ كما بين السويس وبورسعيد بل جبلية صعبة تعترضها الانهار والاودية

وقدّر المهندسون في اول الامر ان كل ما يلزم حفرهُ وافراغهُ من التراب والصخر لا يزيد على ١٠٣٠٠٠٠٠٠ من اليردات المكعبة ولكنهم ما كادوا ينتهون من حفر شق كولبرا الأ واخذت الارض على جانبيهِ تسوخ اليهِ فيضطرون الى احتفارها الى ان بلغ جملة ما احتفروهُ ٢٣٢٠٠٠٠٠٠ يرداً مكعباً ولو كوّم ذلك اهراماً بحجم الهرم الكبير في الجيزة لكان منهُ ستون هرماً او اكثر

والترعة آخذة في الطول من الاتلنتيكي شمالاً الى الباسيفيكي جنوباً وليست ممتدة من

الشرق الى الغرب كما يتبادر الى ذهن من لا يتأمل خريطة تلك البلاد بالتدقيق . وطولها ٥٠ ميلاً اي نصف قناة السويس تقريباً ومنها سبعة اميال في الشمال مساوية للاتلنتيكي يدخلها ماؤُهُ وثمانية اميال في الجنوب مساوية للباسيفيكي يدخلها ماؤُهُ ايضاً وباقيها وهو نحو ٣٥ ميلاً اكثرهُ على ٨٥ قدماً فوق سطح البحر وماؤُهُ عذب يأتي من نهر تشاغرس وبعض الاودية الاخرى . واهم اقسامها العالية بحيرة غاتون وشق كولبرا . وتشغل مساحة البحيرة ٢٨٨ فداناً ويخزن فيها ماء الانهار لينتفع بهِ في الاحواض وتسع ٢٠٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠ قدم مكعب من الماء اما شق كولبرا فطولهُ ٩ اميال ولا يقل عرضهُ في اضيق اقسامهِ عن ٣٠٠ قدم . ومتوسط ارتفاع جانبيهِ ١٢٠ قدماً و يبلغ ارتفاعها في بعض المواضع ٥٠٠

وعدد الاحواض ١٢ نصفها في جهة الاتلنتيكي ونصفها الآخر في جهة الباسيفيكي وكل حوضين منها متحاذيان يمكن استعمالها في وقت واحد وليس على الباخرة التي تريد العبور ان تمر الاَّ في ستة منها . وطول كل حوض نحو ١٠٠٠ قدم وعرضهُ ١١٠ اقدام

فاذا شاءت باخرة ان تعبر الترعة من جهة الاتلنتيكي دخلت الاميال السبعة الاولى التي يدخلها ماء الاوقيانوس فتصل الى الحوض الاول وتقف هناك . فتأتي قاطرة كهربائية على جانب الترعة فتجرها اليهِ ثم يسد وراءها و يبدأ بملئهِ بالماء وكلما ارتفع الماء حمل الباخرة وهو يرتفع قدمين في الدقيقة الى ان يستوي مع الحوض الثاني . فتجر الباخرة عند ذلك الى الحوض الثاني وترفع فيهِ كما رفعت في الاول باجراء الماء اليهِ ثم تجر الى الحوض الثالث حيث ترفع الى مساواة بحيرة غاتون فتجر اليها وتترك فتسير بقوة آلاتها في البحيرة ثم في شق كولبرا على علو ٨٥ قدماً عن سطح البحر الى ان تأتي الى الاحواض في الجانب الآخر فتحط فيها الى مساواة البحر بنزح الماء من تحتها ثم تقطع الاميال الثمانية التي يدخلها ماء الباسيفيكي وتخرج الى عرض البحر

وتكفي الترعة لان يجتاز بها ٤٨ باخرة كل يوم و يقال ان الماء الذي يصبهُ نهر تشاغرس والنهيرات الاخرى في بحيرة غاتون يزيد على حاجتها . وقد اتخذ كل احتياط لفيضان النهر وطغيان السيول . و يقال ان لا خطر عليها من الزلازل لان بناءها متين ولان كل الدلائل تدل على انهُ لم يحدث زلزال كبير في بناما منذ عهد بعيد وعدم حدوث ذلك في الماضي يرجح عدم حدوثهِ في المستقبل . وقد كانت كثرة الزلازل في نيكاراغوا السبب الاكبر الذي جعل الاميركيين يعدلون عن حفر الترعة فيها وكان الراجح في اول الامر انهم ينشئونها فيها لا في بناما

ويحاذي الترعة سكة حديد تصل شاطىء الاتلنتيكي بشاطئ الباسيفيكي وهي من جملة ما اشترتهُ الولايات المتحدة من الفرنسو يين . وتملك الولايات المتحدة الارض على جانبي الترعة على مدى خمسة اميال ويسمي الاميركيون هذه الارض منطقة القناة . وتدير شؤُونها حكومة وشنطون مباشرة فتعين حاكمها العام وعمالها . وقد اقامت فيها المدارس ونظمت مدنها وقراها . وضمن هذه المنطقة مدينتا بناما وكولون لكنهما استثنيتا من حكم الولايات المتحدة وبقيتا تابعتين لجمهورية بناما . والمدينة الاولى عاصمة هذه الجمهورية وهي على شاطئ الباسيفيكي اما الثانية فعلى شاطىء الاتلنتيكي

اما العملة الذين كانوا يعملون في الترعة فكانوا جيشاً كبيراً لا يقل عن اربعين الفاً اكثرهُ زنوج من جزر الهند الغربية

وقد رأس العمل مهندس من مهندسي الجيش في الولايات المتحدة وهو الكولونل غويتالس فاظهر من الدربة والدراية في سياسة العمال والاشراف على الاعمال الهندسية في هذا العمل الهندسي الكبير الذي هو اكبر عمل من نوعهِ قام بهِ الانسان في هذا العصر ما رفعهُ الى مصاف عظماء العالم. وهو لم يتولَّ العمل بهِ منذ البدء بل تولاهُ قبلهُ غيرهُ من رجال اميركا المعدودين واضطروا الى الاستعفاء

والاسباب التي حدت بالولايات المتحدة الى انشاء هذه الترعة منها حربية ومنها تجارية. والولايات المتحدة من اغنى ممالك الارض وارقاها ولها تجارة واسعة واسطول ضخم يعد الآن الثالث بين اساطيل الدول . وهي مترامية الاطراف واقعة بين الاوقيانوسين الاتلنتيكي والباسيفيكي ولا تخشى مهاجمة دولة قوية لها في البر اذ لا يتاخمها الاَّ المكسيك الى الجنوب وهي ضعيفة لا يخشى لها صولة واملاك الانكليز الى الشمال وليس فيها جيش كبير. اما اذا هاجمتها دولة في البحر على حين غرة فقد يضطر اسطولها الى الدوران حول اميركا الجنوبية لمحاربة العدو وذلك يقتضي اسابيع يتمكن العدو في خلالها ان يخرب كل ما يعن لهُ تخريبهُ . اما الآن فقد قربت ترعة بناما المسافة بين شاطئيها الشرقي والغربي وصار في امكانها ان تعبئ اسطولها في الاتلنتيكي او الباسيفيكي في مدة قصيرة وقد حصنت هذه الترعة تحصيناً منيعاً يكاد يستحيل معهُ ان يستولي عليها عدو سواء هاجمها من البر او من البحر

ولا شك في انهُ سيكون لها شأن كبير في تجارة المسكونة فقد قربت المسافة بين نيويورك وسان فرنسيسكو وهي فرضة بحرية في غربي الولايات المتحدة نحو ٧٨٧٣ ميلاً . وقربت نيويورك الى فالباريسو في شيلي ٣٧٤٧ ميلاً والى ملبورن في استراليا ٢٤٦٠ ميلاً. وقربت

مدينة لفربول الى سان فرنسيسكو ٢٦٦٦ ميلاً والى فالباريسو ١٥٤٠ ميلاً والى ملبورن ٤٥٩ ميلاً . والمسافة بها بين مدينة لفربول ومدينة ملبورن اقصر من طريق السويس بالف وثلاثمائة ميل . ومن اقطار الشرق الاقصى ما يتساوى بعدهُ عن غربي اوربا في كلا الطريقين ولذلك ستتبارى الترعتان في تجارتهِ وتسعى كل منهما الى تحويلها نحوها وستنتعش بها تجارة البلاد المجاورة لها كسواحل المكسيك والسواحل الجنوبية من الولايات المتحدة والسواحل الغربية لاميركا الجنوبية

وقد قدّر محمول البواخر التي ستمر فيها في اول سنة لافتتاحها بنحو ١٠٠٠٠٠٠٠ طن وانهُ سيزيد سنة ١٩٢٥ الى ١٧٠٠٠٠٠٠ طن وسنة ١٩٣٥ الى ٢٧٠٠٠٠٠٠ طن. ولا تأتي سنة ١٩٧٥ الاّ ويصبح ٨٠٠٠٠٠٠٠ طن وحينئذٍ تبنى لها احواض جديدة لكي تحتمل المزيد. ومتوسط محمول البواخر التي تعبر قناة السويس كل سنة ٢١٠٠٠٠٠٠ طن

وقد عيّن المستر تافت رئيس الولايات المتحدة السابق الرسم الذي يؤْخذ من البواخر التي تجتازها وهو ريال وخمس اي نحو ٢٤ قرشاً عن كل طن ولكنهُ اعفى البواخر التي تحمل التجارة بين موانئ الولايات المتحدة من هذا الرسم فاحتج الانكليز على ذلك فالغي هذا الاعفاء في عهد المستر ولسون رئيس الولايات المتحدة الحالي فلكل بواخر العالم الآن ان تنتفع بها على السواء . اما تعيين محمول البواخر فيكون بقياس تفريغها وتعد كل مئة قدم مكعبة من التفريغ طنًّا . وستفتح رسميًّا في اوائل سنة ١٩١٥ فيجتازها اسطول من البوارج فيهِ بارجة لكل دولة ترى ان تشترك في افتتاحها ثم يسير الى مدينة سان فرنسيسكو حيث يقام معرض فخم احتفاء بافتتاحها

وترعة السويس تعادل ترعة بناما في الاهمية التجارية وتقريب الابعاد وربط البلدان بعضها ببعض ولكن في ولاية مشغان من الولايات المتحدة الاميركية ترعة تفوق الثنتين في كثرة ما يجتازها من البواخر وهي ترعة سولت سنت ماري التي تصل بحيرة سوبيريربحيرة هورن فمحمول البواخر التي تجتازها كل سنة ٦٠٠٠٠٠٠٠ طن ولا يزيد طولها عن ميل ونصف ميل كثيراً . ومن الترع المهمة ايضاً ترعة كيال في المانيا وقد انشئت لاغراض حربية ولكنها افادت التجارة كثيراً . ومتوسط محمول البواخر التي تجتازها كل سنة ٧٠٠٠٠٠٠ طن وهي تصل خليج كيال في جهة بحر البلطيك بمصب نهر البا في جهة البحر الشمالي فتغني البواخر عن الدوران حول الدنمارك وتقرب المسافة عليها ٤٢٩ ميلاً وطولها ٦١ ميلاً

مريم وحسّان

زارت وقد هوّم ندماني رومية من غيد بغدان[1]
في الجانب الشرقي من دجلة غربيها اهلي وجيراني
اقسم رائيها بها ما رأت مثالها في الناس عينان
وقال إنْ تصدق ظنوني بها فإنها من حور رضوان
فهي ملاك قد تجلّت لنا انوارهُ في شكل انسان
وافت وسيف الفجر شق الدجى فسال منهُ دمهُ القاني
فقلت بشرى معجزٌ باهرٌ ليل به يطلع فجران
واقبلت ترفل في ريطةٍ إرقال شجعانٍ بميدان
تجرّ ذيلاً ماحياً إثرها مخافة النمام والشاني
وتنثني من خطرات الصبا كما انثنى غصن من البان
لطفها الظرف وقد هزّها للدلّ والخمرة سكران
وسلّمت بالرأس ثم انثنت فصافحتني دون اخداني
وقد حنا الصحب لها اروءساً حنوّ مملوكٍ لسلطان
حتى اذا النادي بها ازدان وال بشر علا أوجه ندماني
غنّت على ضرب (البيانو) فمنْ إسحق في ضربٍ وألحان
واتجه الفكر اليها . فلم يشغلهُ عنها شاغل ثان
وودت الاجسام ان لو غدت جميعها موضع آذان
وبينما نحن على حالة قد طاب فيها عيشنا الفاني
من وارف الظلّ لنا كلّةٌ وفرْشنا روضة بستان
إذ دهمتنا عصبة ما بها غير شقيٍّ عبد شيطان
من كل إنسانٍ قسا قلبهُ هان عليهِ ذبح انسان
فاختطفوا مريم من بيننا وابتدر الصحب لخذلاني
وفرّ خلاّني الاّ فتى من أسرتي قد ظلّ يرعاني
فاستصرخت مريم اين الاولى بهم أرجّي دفع عدواني

(1) احد اسماء بغداد

اين ذوو الاعراض والنخوة ال قعساء من شيبٍ وشبّان
فقمت استنجد ذاك الفتى والكلّ منا ينجد الثاني
فصابني مع صاحبي فجأةً ما بين جنبينا شهابان
فخرّ كل صعقاً جسمهُ مزمّل في دمهِ القاني
وارسلت مريم من لحظها نظرة مأسورٍ وحيران
وجرّها بالعنف اعداؤُها وهي تنادي اين فتياني
وجاء جنديٌّ على غرّةٍ مسلّحٌ من جند عثمان
يخفر تلك الارض في زعمهِ ويحفظ القاصيَ والداني
فاملّت منهُ خلاصاً لها لمّا رأتهُ قاصد العاني
خاطبها من لؤمهِ بالخنى وقال صبراً بعد سلوان
فاجفلت مذ سمعت قولهُ إجفال غزلانٍ وظلمان
وارتعدت من فرط ما نالها رعدة مفلوجٍ وولهان
وسال دمع العين من قلبها في الخدّ يجري جري غدران
ومذ رأت ليس لها راحم من مسلمٍ برٍّ ونصراني
مدّت الى الربّ يديها معاً داعيةً لله ذي الشان
والنفس في رقدة إغمائها قد اشبهت حالة نشوان
وبينما كانت على حالةٍ يرثي لها الصاحب والشاني
اذ هيأ الله لها منجداً يعرف في القوم بحسان
العفو والرحمة في قلبهِ والرفق بالبائس والعاني
فانقضّ كالباز على صعوةٍ او نيزكٍ من رأس بركان
وحلّ فيهم اسدٌ مشبلٌ قد حلّ في مسرحٍ من الضان
وخلّصَ البكر التي صانها عفافها عن وصمة الزاني
واوثق القوم كتافاً وقد البسهم اثواب نسوان
وساقهم من بعد ما اطلق ال جنديَّ للقاضي كحملان
فاستنطق الجنديَّ قاضي الورى يسألهُ عن صدق تبيان
فقال يا قاضي القضاة الذي يقضي على شرعٍ وقرآن
اسمع سمعتَ الخير يا سيدي والصدق والعفة من شاني

انا شجاع الحرب يوم الوغى الفٌ فرسانًا بفرسان
أَسرت ذي العصبة مع شيخهم هذا الذي في الحرب اعياني
وقدتهُ قود الذلول الذي اطاعني من بعد عصيان
وصفوة القول الذي لم يُشَبْ بالكذب هذا الرجل الجاني
فزجهّ الحاكم في جانبي سجن عليهِ شرُّ سجان
وبات في محبسهِ ليلةً في سهرٍ دامَ واشجان
ثم قضى في صبحها نحبهُ والموت فوزٍ الواجد العاني
فشيّع النعش ذوو رحمةٍ من طالبي أَجرٍ وغفران
وعند ما ساروا بتشييعهِ وقد مشوا مشية عجْلان
لاقتهم مريمُ من خلفها جمع محامين وأَعوان
قاصدة قاضي القضاة الذي يحكم في ظلم وعدوان
فأَوْجستْ لمّا رأَت نعشهُ ملقى على اكتاف غلمان
ثم انثنت نحو فتًى خلفهُ تسأَل عن نعش الفتى الفاني
فقال والدمعة من عينهِ ساكبة ذا نعش حسّان
خلص بالامس فتاةً من ال سبي فعدّوهُ الفتى الجاني
ومات ذي الساعة يا سوء ما يجزى بهِ صاحب إِحسان
فصعقتْ مريم من شجوها وكم قضى صريع اشجان
فمُضَّ كل الناس من امرها واطلقوا الدمع كعقيان
وارسلوا خلف ذويها لكي يأْتوا بنعش وبأَكفان
فجاء شيخٌ وعجوزٌ معًا وطفلتانِ ثم طفلان
يبكون للجلّى ومن خلفهم قد حمل النعش فتاتان
وشيّعوا النعشين في حالةٍ يبكي عليها كل غيران
ودفنوا الميتين في حفرةٍ في روضةٍ في وسط بستان
وخطّ بالتبر على لوحها هذان ميتانِ شهيدان
مريم ماتت في سبيل الوفا ومات حسان باحسان
عليهما صلى اله الورى برحمة منهُ ورضوان

بغداد كاظم الدجيلي

حقائق عن الدول المتحاربة

تمهيد

اقتصرنا في السطور التالية على ما لهُ علاقة شديدة بالحرب الناشبة بين هذه الدول فذكرنا مساحات بلدانها وعدد سكانها وجيوشها وقوة اساطيلها ومقدار دخلها وخرجها ومواقع مستعمراتها ونحو ذلك مما لهُ مساس بقوتها الحربية ·

ولا يخفى ان الدول المتحاربة مقسومة الى قسمين كبيرين الاول المانيا والنمسا مع المجر اما ايطاليا وهي الدولة الثالثة من دول المحالفة الثلاثية فاعلنت انها باقية على الحياد · والقسم الثاني روسيا وفرنسا وانكلترا اي دول الاتفاق الثلاثي وتضاف اليها السرب اصل هذا النزاع والبلجيك التي ارادت المانيا ان تجتازها عنوة لتصل منها الى شرق فرنسا وهولندا التي شرعت تدخلها لهذه الغاية واليابان في اقصى المشرق حليفة بريطانيا ومصر لوجود الجنود البريطانية فيها · ويبعد عن الظن ان مصر واليابان تدخلان في الحرب فعلاً ولو اضطرتا الى اعمال لا تعملها الدول المحايدة كالسماح لجنود الدول التي انضمتا اليها بالبقاء فيها

المانيا

تشمل امبراطورية المانيا مملكة بروسيا وهي اكبر اقسامها فان عدد سكانها اربعون مليونًا وممالك باڤاريا وسكسونيا وورتمبرج وامارات اخرى كثيرة · وتبلغ مساحتها كلها ٢٠٨٧٨٠ ميلاً مربعًا وعدد سكانها ٦٤٩٢٥٩٩٣ حسب احصاء سنة ١٩١٠ فهو الآن نحو ٦٨ مليونًا · ولها مستعمرات في افريقية مساحتها نحو مليون ميل مربع وعدد سكانها نحو اثني عشر مليونًا ونصف مليون وفي جزائر الاوقيانوس الباسيفيكي مساحتها نحو ٩٦ الف ميل مربع وعدد سكانها نحو ٦٣٤ الف نفس ولها في الصين فرضة كياوشو مساحتها مئتا ميل مربع وعدد سكانها نحو ١٦٩ الفًا ومجموع سكان مستعمراتها اكثر من ثلاثة عشر مليونًا من النفوس · فسكان الامبراطورية الالمانية وسكان مستعمراتها نحو ٨١ مليونًا

امبراطورها

السلطة العليا في المانيا للامبراطور ولهلم الثاني ملك بروسيا وهو كهل ولد سنة ١٨٥٩ وخلف اباهُ في ١٥ يونيو سنة ١٨٨٨ واشتهر بمضاء العزيمة وبذل الهمة الشماء في جعل المانيا من اقوى الدول البحرية كما هي من اقوى الدول البرية حاسبًا ان تفوقها في الثروة ينتج



الارشدوق فردرك النمساوي القائد العام للجيوش النمسوية



امبراطور المانيا مع اركان حربهِ ترى الامبراطور في وسط الصورة




البارون فون ملتكي رئيس اركان الحرب في الجيش الالماني

عن تفوقها في الصناعة والتجارة ولا تتفوق فيها ما لم يكن لها اسطول منيع يحمي متاجرها وتتسع بواسطتهِ مستعمراتها • فلا يفوقها من الدول البحرية الآن الاَّ انكلترا وتتلوها اميركا وفرنسا واليابان وروسيا وايطاليا والنمسا فان كل بوارجها الكبيرة التي من نوع الدردنوط والسابقة للدردنوط بنيت في عهدهِ وبسعيهِ ولم تكن بحريتها قبلهُ شيئاً مذكوراً بالنسبة الى غيرها من الدول البحرية

مذاهب اهلها

واكثر سكان الامبراطورية الالمانية من البروتستانت فقد كانوا في احصاء سنة ١٩١٠ نحو اربعين مليوناً او ٦١ وستة اعشار في المئة من مجموع السكان ويتلوهم الكاثوليك اللاتين وكانوا نحو ٢٤ مليوناً او نحو ٣٦ وسبعة اعشار في المئة من السكان

دخل حكومتها ونفقاتها

وقد قدر دخل الحكومة الالمانية لهذه السنة ١٧٨٨٦٩٩٣٥ جنيهاً ومثلهُ نفقاتها وكانت نفقاتها كذلك في العام الماضي ولكنها كانت ١٣٧٥٨٣١٠٠ جنيه فقط سنة ١٩١٢ فزيدت اربعين مليوناً في سنة واحدة واكثر هذه الزيادة لاجل النفقات الحربية البرية والبحرية فقد كانت ميزانية الحربية والبحرية في السنوات الثلاث الماضية كما ترى في هذا الجدول

السنة	الحربية	البحرية
سنة ١٩١١	الحربية ٤٠٨١٤٩٨٥	البحرية ٢٢٩٠١٦٨٥
« ١٩١٢	« ٤٧٢٦٣٤٣٥	« ٢٣٥٢١٨٣٥
« ١٩١٣	« ٧٣٨٣٣٢٦٥	« ٢٤٠١٢٦٩٥

هذه هي النفقات العادية اما غير العادية فقد زادت بها نفقات الحربية زيادة كبيرة جدًّا في السنة الماضية

تخومها

وتخوم المانيا طويلة لتعرجها طولها ٤٥٧٠ ميلاً فمن الشمال يتاخمها البحر الشمالي بطول ٢٩٣ ميلاً والدنمارك بطول ٤٧ ميلاً وبحر بلطيك بطول ٩٢٧ ميلاً ومن الجنوب بحيرة كنستانس والجبال الفاصلة بينها وبين النمسا بطول ١٠٤٣ ميلاً وسويسرا بطول ٢٥٦ ميلاً ومن الشرق روسيا بطول ٨٤٣ ميلاً ومن الغرب فرنسا بطول ٢٤٢ ميلاً ولكسمبرج بطول ١١١ ميلاً وبلجكا بطول ٧٠ ميلاً وهولندا بطول ٣٧٧ ميلاً وهي مع ذلك محصنة اتم تحصين كأَنها على اهبة الحرب دائماً

حربيتها

عدد الجيش الالماني وقت السلم ٧٩٠٩٨٥ والخدمة الحربية اجبارية وعمومية من سن ١٧ الى سن ٤٥ ولكن الخدمة الفعلية تبتدئ من سن ٢ ومدة الخدمة في الصف الاول او الجيش العامل سبع سنوات اثنتان منها في الصنوف وخمس في الاحتياطي اما في الخيالة والمدفعية الراكبة فالخدمة فيها ثلاث سنوات في الصنوف واربع في الاحتياطي ويعد كل جندي في المدة التي يكون فيها في الاحتياطي تابعاً للفيلق الذي يكون قد خدم فيهِ فاذا عبئ الجيش وجب عليهِ ان ينضم الى فيلقهِ حالاً . وهو يدعى مرتين في اثناء مدتهِ الاحتياطية لينضم الى اورطتهِ ليتمرن فيها على الحركات العسكرية من اربعة اسابيع الى ثمانية في كل مرة

ومتى انتهى من الخدمة في الصف الاول احيل الى النصف الاول من الصف الثاني او الرديف والخدمة فيهِ خمس سنوات يدعى في اثنائها مرتين للتمرن من ثمانية ايام الى اربعة عشر يوماً في كل مرة . ثم يحال الى النصف الثاني من الصف الثاني ويبقى فيهِ الى ان يتم التاسعة والثلاثين ولكنهُ لا يدعى الى التمرن في هذه المدة . ثم يحال الى الصف الثالث او المستحفظ فيظل فيهِ الى ان يتم الخامسة والاربعين . وجنود هذا الصف يؤلفون الجيش المحلي المدافع

والتطوع جائز في الجيش الالماني وعلى المتطوع ان يخدم سنة على الاقل ويقوم بجميع نفقاتهِ . ويؤلف من هؤلاء المتطوعين قسم من ضباط النصفين الاول والثاني من الصف الثاني واحتياطييهما وهم يكونون عادة من الشبان الاغنياء المتعلمين

ولكل اورطة في الجيش الالماني نحو ١١٠٠ جندي احتياطي ولكن معظمهم يؤخذون لتأليف الصفوف الاحتياطية العامة في زمن التعبئة فيكون منهم صف متوسط بين الصف الاول والصف الثاني والباقون يتركون في المستودعات لتسد بهم الخسارة التي تقع في صفوف المحاربين

ويزاد عدد الاحتياطي الذي في المستودعات بما يضاف اليهِ من الجنود الذين يقع الاقتراع عليهم كل عام واذا دعت الحال الى اكثر من ذلك انجد بفريق من الشبان الذين بلغوا سن الاقتراع وصاروا مطالبين بالخدمة العسكرية

وفي الجيش الالماني صف ثالث من الاحتياطي اسمهُ احتياطي ارساتز وهو يؤلف من الشبان الاصحاء الذين بلغوا العشرين ويكونون زائدين عن العدد الذي يتطلبهُ الجيش من المقترعين في كل عام . وهم يعلمون الحركات العسكرية ثلاث مرات فيدربون ١٠ اسابيع في

المرة الاولى وستة في الثانية واربعة في الثالثة واذا عبيء الجيش وضعوا في المستودعات حيث يتم تدريبهم و يكون ثلثهم عادة مدرباً اتم تدريب والثلثان الباقيان مدربين بعض التدريب

والاورطة في الجيش الالماني تؤلف عادة من ٦٢٥ جندياً وست اورط تؤلف الآي والآيان لواء ولواءان فرقة وفرقتان فيلقاً وعندهم عشر فرق تتألف كل منها من ثلاثة الوية اي ان هذه الفرق تزيد عن العدد المقرر عشرة الوية او ٧٥ الف جندي

ولا يزال تقسيم الاحتياطي في الجيش الالماني سرًّا مكتوماً ولكنهُ يرجح ان يكون لمعظم الفرق التي تؤلف من لوائين لواء احتياطي وان يكون كل فيلق مؤلفاً من ستة الوية او ٣٦ اورطة وان يوزع احتياطي المدفعية على اسلحتها على هذه النسبة

وفي كل فرقة من المشاة لواء مدفعي مؤلف من ١٢ بطارية والاي من الفرسان مؤلف من اربع اورط · وفي كل فيلق اربع بطاريات من مدافع هوتزر واورطة من حملة البنادق واورطة من المهندسين · والبطرية من بطاريات الميدان او المدفعية الراكبة تتألف من ستة مدافع

اما فرقة الميدان الكاملة المؤلفة من لوائين فيكون فيها نحو ١٤ الف جندي عدا الجنود الاحتياطية والفيلق المؤلف من فرقتين من هذه الفرق ٣٠ الف جندي اما الفرقة المؤلفة من ثلاثة الوية فيكون فيها ٢١ الف جندي والفيلق المؤلف من ستة الوية ٤٣ الف جندي · وفي المانيا كلها الآن ٢٥ فيلقاً منها ٢٠ فيلقاً يؤلف كل منها من ٣٠ الف جندي و ٥ فيالق يؤلف كل منها من ٤٣ الف جندي

وفي الجيش الالماني فرقة من الفرسان وهي الحرس الوطني · وقد يبلغ الفرسان في زمن الحرب ثماني فرق · والفرقة تتألف عادة من ثلاثة الوية وكل لواء من آلايين في كل منهما بطاريتان او ثلاث من المدفعية الراكبة وجملة ذلك ٢٤ اورطة ومن ١٢ مدفعاً الى ١٨

وعلى كل من ممالك الاتحاد الالماني واماراتهِ ان تقدم عدداً معيناً من الجنود للجيش الامبراطوري العام فمملكة بروسيا وامارتا بادن وهس تقدم ١٦ فيلقاً كاملاً وفرقتين او ثلاثاً من جنود الصف الثاني (الرديف) وما يتبعها من الفرسان والحامية والمدفعية وفي بروسيا فيلق الحرس ايضاً وهو مجموع من كل الممالك والامارات الالمانية على السواء · وتقدم سكسونيا فيلقين وورتمبرج فيلقاً وريشسلند (الالزاس واللورين) فيلقين وبافاريا ثلاثة فيالق

وقد بلغ عدد الجيش في اول هذا العام ٨١٤ الف جندي

اما في زمن الحرب فيتألف الجيش من ٢٥ فيلقاً كاملاً واحتياطيها وعدد جنودها

١٢٢٠٠٠٠ يضاف اليها جنود الرديف من الصف الثاني وعددها ٦٠٠٠٠٠ فتكون جملة الجنود المعبأة ١٨٢٠٠٠٠ · تعضدها ١٥٠٠٠٠٠ من الجنود المدربة تدريباً تامًّا او بعض التدريب · وجملة ذلك ٣٣٢٠٠٠٠ عدا جنود الحاميات وجنود الصف الثالث اي المستحفظ وتقدر بنحو ١٨٣٠٠٠٠ جندي فيكون مجموع الجيش الالماني كلهِ في زمن الحرب ٥١٥٠٠٠٠ جندي ولكن الثقات الحربيين لا يظنون ان المانيا تستطيع رصد هذا العدد من الجنود للحرب ويرجحون انها لا تقوى على رصد اكثر من ٤١٥٠٠٠٠ الى ٤٥٠٠٠٠٠ جندي على اكبر تقدير

وفي الجيش الالماني الآن نحو اربعة آلاف مدفع و ١٣٠٠٠٠ الف حصان

وسلاح المشاة بندقية موزر ذات الخزنة وهي من طرز سنة ١٨٩٨ وعيارها ٣١١ من الالف من البوصة

وسلاح الفرسان بندقية موزر من ذات الخزنة ايضاً والحربة

اما مدافع الميدان ومدافع الفرسان فكلها من صنع كروب وهي من طرز سنة ١٨٩٦ ووزن كل قنبلة من قنابلها ١٥ رطلاً انكليزيًّا ولكن مركبات هذه المدافع من احدث طرز

وقد انشئَ جيش جديد بحسب قانون ١٩١٣ للطيران وكان المنظور ان هذا الجيش يولف من خمس اورط فيها ١٧ بلوكاً · وقد كان لدى نظارة حربية المانيا في العام الماضي ٢٤ بالونًا مسيراً

وبلغت نفقات الجيش الالماني في العام الماضي ٣٤٦٢٧١٦٣ جنيهاً منها ٣٤٤٤٧٢٣٠ جنيهاً نفقات اعتيادية والباقي نفقات غير اعتيادية

ويقول الثقات العسكريون الذين شهدوا مناورات الجيش الالماني ان الفنون الحربية والحركات العسكرية المتبعة فيهِ صارت قديمة وان رجال المدفعية في الجيش الفرنسوي امهر في الرماية منهم في الجيش الالماني ولكن كلا الجيشين متساويان في سرعة التعبئة فان الجيش الالماني يعبأُ كلهُ في تسعة ايام ويوضع على حدود روسيا او على حدود فرنسا

بحريتها

قلنا سابقاً ان اسطول المانيا يعد الاول الآن بعد اسطول انكلترا وهاك اسماء بوارجهِ التي لم يمضِ عليها عشرون سنة وتفريغ كلٍ منها وسرعتها وما فيها من المدافع الكبيرة وسمك درعها وسنة بنائها

الدردنوطات

الاسم	سنة البناء	التفريغ بالطن	الدرع بالبوصة	المدافع الكبيرة	قطرها بالبوصة	المدافع الصغيرة	قطرها	الانابيب الطربيد	السرعة اميالاً بحرية	آلاتها البخارية بالاحصنة
وستفالن	١٩٠٧	١٨٥٠٠	٩ ٣/٤	١٢	١١	١٢	٦	٠٦		٣٠٠٠٠
ناسو	١٩٠٧	١٨٥٠٠	٩ ٣/٤	١٢	١١	١٢	٦	٠٦		٣٠٠٠٠
ريتلند	١٩٠٧	١٨٥٠٠	٩ ٣/٤	١٢	١١	١٢	٦	٠٦		٣٠٠٠٠
بوزن	١٩٠٧	١٨٥٠٠	٩ ٣/٤	١٢	١١	١٢	٦	٦		٣٠٠ ٠
فودرتن	١٩٠٧	١٩٠٠٠	٦	٠٨	١١	١٠	٦	٠٤	٢٨	٨٠٠٠٠
ثورنجن	١٩٠٨	٢٠٥٠٠	١٠	١٠	١٣	١٤	٦	٠٦	٢٠و٥	٣٢٠٠٠
أستفرسلتد	١٩٠٨	٢٠٥٠٠	١٠	١٠	١٣	١٤	٦	٠٦	٢٠و٥	٣٢٠٠٠
ملغولند	١٩٠٨	٢٠٥٠٠	١٠	١٠	١٣	١٤	٦	٠٦	٢٠و٥	٣٢٠٠٠
ألد انبرج	١٩٠٩	٢٠٥٠٠	١٠	١٠	١٣	١٤	٦	٠٦	٢٠و٥	٣٢٠٠٠
ملتكي	١٩٠٩	٢٣٠٠٠	٨	١٠	١١	١٢	٦	٠٤	٢٨	
غوبن	١٩٠٩	٢٣٠٠٠	٨	١٠	١١	١٢	٦	٠٤	٢٨	
قيصر	١٩٠٩	٢٤٧٠٠	١٤	١٠	١٣	١٤	٦	١٠	٢١	٣٥٠٠٠
فردرك الكبير	١٩٠٩	٢٤٧٠٠	١٤	١٠	١٣	١٤	٦	١٠	٢١	٣٥٠٠٠
قيصرين	١٩١٠	٢٤٧٠٠	١٤	١٠	١٣	١٤	٦	١٠	٢١	٣٥٠٠٠
كونيج البرخت	١٩١٠	٢٤٧٠٠	١٤	١٠	١٣	١٤	٦	١٠	٢١	٣٥٠٠٠
البرنس رجنت لويتبولد	١٩١٠	٢٥٠٠٠	١١	١٠	١١	١٣	٦	٠٤	٢٦و٥	٦٣٠٠٠
سيدلتز	١٩١٠	٢٥٠٠٠	١١	١٠	١١	١٣	٦	٠٤	٢٦و٥	٦٣٠٠٠
كونيج	١٩١١	٢٤٧٠٠	١٤	١٠	١٣	١٤	٦	٠٥		٥٥٠٠٠
غرسر كرفرست	١٩١١	٢٤٧٠٠	١٤	١٠	١٣	١٤	٦	٠٥		٥٥٠٠٠
مركغراف	١٩١١	٢٤٧٠٠	١٤	١٠	١٣	١٤	٦	٠٥		٥٥٠٠٠
كرونبرنز	١٩١٢	٢٤٧٠٠	١٤	١٠	١٣	١٤	٦	٠٥		٥٥٠٠٠
درفلنجر	١٩،١			٠٨	١٢	١٢	٦			
لتزو	١٩١٢	٢٨٠٠٠								
ارستاز هرثا	١٩١٣	٢٨٠٠٠								
ارستازورث	١٩١٣	٣٠٠٠٠		٠٨	١٥	١٦	٦			
T	١٩١٣	٣٠٠٠٠		٠٨	١٥	١٦	٦			
فردرك الثالث	١٩١٤	٣٠٠٠٠		٠٨	١٥	١٦	٦			

والبوارج السابقة للدردنوط ٢٣ بارجة بنيت بين سنة ١٨٨٩ و١٩٠٥ تفريغ الواحدة

منها نحو ١٢ الف طن وقطر مدافعها الكبرى بين ٩ بوصات و١١ بوصة ولا تزيد سرعة اسرعها على ١٨ ميلاً بحريًّا ولا قوة آلاتها البخارية على ١٦٠٠٠ حصان

وعندها من البوارج التي لحماية السواحل سبع تفريغ الواحدة منها نحو ٤٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية نحو ٥٥٠٠ حصان وسرعتها نحو ١٥ ميلاً بحريًّا وهي مبنية بين سنة ١٨٨٨ و١٨٩٢

ومن الطرادات المدرعة تسعة بنيت بين سنة ١٨٩٦ وسنة ١٩٠٦ تبلغ سرعة ثلاثة منها ٢٥ ميلاً بحريًّا في الساعة · ومن الطرادات المحمية ٤٦ بنيت بين سنة ١٨٩٢ وسنة ١٩١٤ تختلف سرعتها بين ١٨ ميلاً بحريًّا و٢٨ ميلاً · والبطيء منها قوة آلاتهِ البخارية نحو ٨٠٠٠ حصان والسريع ٣٠٠٠٠ حصان ومدافعها كلها صغيرة مما قطرهُ اربع بوصات فقط الاَّ خمسة من القديمة في كل منها مدفعان مما قطر فوهتهِ ٨ بوصات

وتستعمل المانيا بواخر تجارها وقت الحرب وهي كثيرة وبعضها كبير جدًّا وسريع ايضاً وعدد البحارة في سفنها الحربية ٧٣٠٠٠ ويضاف اليهم الاحتياطي وعددهُ ١١٠٠٠٠

مالية البلاد

وكان في بنك المانيا في اواخر فبراير الماضي من الذهب ما يساوي نحو ٦٧ مليون جنيه ومن الفضة ما يساوي نحو ١٦ مليون جنيه · وبلغ ما صكتهُ المانيا من نقود الذهب من سنة ١٨٧١ الى آخر مارس سنة ١٩١٣ نحو ٢٥٠ مليون جنيه · وفيها من سكك الحديد ما قيمتهُ نحو الف مليون جنيه

النمسا والمجر

امبراطورية ومملكة على عرشها فرنسيس يوسف الاول امبراطور النمسا وملك المجر ولد في ١٨ اغسطس سنة ١٨٣٠ · والبلادان مستقلتان الواحدة عن الاخرى ولكلٍ منهما دستور خاص بها وقوة تشريعية واجرائية ولكنهما مشتركتان في كون ملكها واحداً وفي بعض المصالح العمومية كالامور الخارجية والحربية والبحرية والمالية المتعلقة بالادارات المشتركة والجمارك والنقود والموازين والمكاييل ولذلك فناظر الخارجية واحد للبلادين وكذلك ناظر الحربية وناظر المالية

النمسا

مساحة النمسا وحدها ١١٥٨٨٢ ميلاً مربعاً وعدد سكانها ٢٨٥٧١٩٣٤ حسب

احصاء سنة ١٩١٠ وهم من امم مختلفة كما ترى في هذا الجدول

المان	٩ ٩٥٠ ٢٦٦
بوهيميون ومورافيون وسلوفاك	٦ ٤٣٥ ٩٨٣
بولنديون	٤ ٩٦٧ ٩٨٤
روثينيون	٣ ٥١٨ ٨٥٤
سلوفينيون	١ ٢٥٢ ٩٤٠
صرب وكرواتيون	٧٨٣ ٣٣٤
ايطاليون ولادين	٠ ٧٦٨ ٤٢٢
رومانيون	٠ ٢٧٥ ١١٥
مجر	٠ ٠١٠ ٩٧٤

واكثر السكان من الكاثوليك اللاتين كما ترى في هذا الجدول

الكاثوليك اللاتين	٢٢ ٥٣٠ ٠٠٠
الروم الكاثوليك	٠٣ ٤١٧ ٠٠٠
الارمن الكاثوليك	٠٠ ٠٠٢ ٠٠٠
الكاثوليك القدم	٠٠ ٠٢١ ٠٠٠
الروم الشرقيون	٠٠ ٦٦٦ ٠٠٠
الارمن الشرقيون	٠٠ ٠٠١ ٠٠٠
البروتستانت	٠٠ ٥٨٩ ٠٠
طوائف اخرى مسيحية	٠٠ ٠٠٧ ٠٠٠
يهود	٠١ ٣١٤ ٠٠٠
من اديان اخرى	٠٠ ٠٢٥ ٠٠٠

ودخل حكومة النمسا وحدها نحو ١٣٠ مليون جنيه ونفقاتها كذلك

المجر

بلاد المجر الى الشرق من بلاد النمسا مساحتها ١٢٥ ٦٠٩ من الاميال المربعة وكان عدد سكانها ٢٠ ٨٨٦ ٤٨٧ نفساً سنة ١٩١٠ وهم من اجناس مختلفة كما ترى في هذا الجدول

مجر	١٠ ٠٥٠ ٥٧٥
المان	٠٢ ٠٣٧ ٤٣٥

سلوفاك	٠١٩٦٧٩٧٠
رومانيون	٠٢٩٤٩٠٣٢
روثينيون	٠٠٤٧٢٥٨٧
كراوتيون	٠١٨٣٣١٦٢
سرب	٠١١٠٦٤٧١
من امم اخرى	٠٠٤٦٩٢٥٥

واكثر من نصف السكان من الكاثوليك اللاتين فانهم ١٠٨٨٨١٣٨ ويتلوهم في العدد البروتستانت فانهم ٣٩٦١٤٧٢ فالروم الشرقيون وهم ٢٩٨٧١٦٣ فالروم الكاثوليك وهم ٢٠٢٥٥٠٨ فاليهود وهم ٩٣٢٤٥٨

ودخل حكومة المجر وحدها نحو ٨٦ مليون جنيه ونفقاتها كذلك

البوسنه والهرسك

وقد سلّمت البوسنه والهرسك لحكومة النمسا والمجر بمعاهدة برلين سنة ١٨٧٣ لتتولى ادارتهما ففعلت واحسنت ثم اعلنت في ٥ اكتوبر سنة ١٩٠٨ انها ضمتهما اليها ومساحة هاتين الولايتين ١٩٧٦٨ ميلاً مربعاً وكان عدد سكانهما ١٨٩٨٠٤٤ سنة ١٩١٠ المسلمون منهم ٦٢٦٦٤٩ والسرب الارثوذكس ٨٥٦١٥٨ والكاثوليك اللاتين ٤٥١٦٨٦ والبروتستانت ٦٧٣٤ والروم الكاثوليك ٨٦٠٥ واليهود ١٢٧٩٨ . ويقدر دخل حكومة البوسنة والهرسك بثلاثة ملايين ونصف من الجنيهات

وتتألف قوات النمسا والمجر العسكرية من ثلاثة جيوش مستقلة الواحد عن الآخر وهي الجيش العام اي المشترك بين المملكتين وجيش النمسا الخاص ويسمونهُ لندفهر وجيش المجر (هنغاريا) الخاص ويسمونهُ هونفد . وعندها علاوة على هذه الجيوش الثلاثة احتياطي من الكهول ولبعض انحاء الامبراطورية قواعد للتجنيد خاصة بها كالتيرول وبوسنه والهرسك

وقد كانت جيوش النمسا والمجر اقل مما يقتضيهِ عدد سكانها ومقامها السياسي والاقتصادي وكان الجيش هدفاً للنزاع السياسي بين الاحزاب المختلفة فلم يتيسر لهُ المحافظة على منزلتهِ الأ بحسن الادارة والحذق في التجنيد وانفاق الاموال وكان عدد المتجندين في كل سنة اقل مما يلزم للجيش في ايام السلم . واخيراً اصدر الامبراطور في يوليو سنة ١٩١٢ بضعة قرارات وقوانين لاصلاح الجيش اصلاحاً وافياً وجاءت حرب البلقان فحملت ولاة الامور النمسويين على التعجيل في تطبيق القوانين الجديدة استعداداً للطوارىء واهم قواعد الاصلاح الجديد

جعل مدة الخدمة العسكرية سنتين بدلاً من ثلاث سنوات على شرط ان يزيد عدد المتجندين في كل سنة حتى يبلغ ١٥٩٥٠٠ ويزيد عدد المتجندين في جيش النمسا الخاص من ٢٠٧١٥ الى ٢٦٩٩٦ وفي جيش هنغاريا الخاص من ١٧٥٠٠ الى ٢٥٠٠٠

وفي الجيوش النمسوية المجرية ١٦ فيلقاً تتألف من ثماني فرق من الفرسان و ٣٣ فرقة من المشاة في الجيش العامل ويلحق بها فرقة من كل من جيشي النمسا والمجر الخاصين ويقدم جيش المجر فرقتين اخريين من الفرسان ابان الحرب

وعدد اورط المشاة ٤٦٧ اورطة وعدد اورط الفرسان ٢٥٢ اورطة وفي المدفعية او الطبجية ٢١٠ بطاريات من بطاريات الميدان و ٥٦ بطارية ميدان من نوع الهاون و ٢٤ بطارية راكبة و٦٢ بطارية جبلية و ٣٠ بطارية جبلية من نوع الهاون و٥٤ بطارية في القلاع والحصون وسواها

وهذا بيان عدد جنود الجيوش الثلاثة في ايام السلم

الجيش العام المشترك	٣٣٩ ٣٦٦
جيش النمسا الخاص	٥٠٥٤٤
جيش المجر الخاص	٣٨٥٢٩
جنود البوسنه والهرسك	٦٦١٨
المجموع	٤٣٥ ٠٥٧

وهذا بيان عدد الجيوش الثلاثة في ايام الحرب

الجيش العام المشترك	١ ٣٦٠ ٠٠٠
جيش النمسا الخاص	٢٤٠ ٠٠٠
جيش المجر الخاص	٢٢٠ ٠٠٠
المجموع	١ ٨٢٠ ٠٠٠

ويظن ان النمسا تستطيع ان ترسل الى ساحات القتال نحو ٣٥٠٠٠٠٠ جندي من الجنود المدربين وغير المدربين

البحرية

عند حكومة النمسا من البوارج والطرادات ما ترى في هذا الجدول ومعها ما يلزم لها من سفن وقوارب التربيد والنسافات والغواصات

المدرعات

الاسم	التفريغ	سمك الدرع بالبوصة	المدافع الكبيرة	سعة فوهتها	المدافع الصغيرة	سعة فوهتها	انابيب التربيد	قوة الآلات البخارية	السرعة	سنة بنائها
فريبوس اونيس	٢٠٣٠٠	١١	١٢	١٢	١٢	٦	٣	٢٥٠٠٠	٢٠	١٩١٠
تجيتوف	٢٠٣٠٠	١١	١٢	١٢	١٢	٦	٣	٢٥٠٠٠	٢٠	١٩١٠
برنس اوجين	٢٠٣٠٠	١١	١٢	١٢	١٢	٦	٣	٢٥٠٠٠	٢٠	١٩١٠
سانت استفن	٢٠٣٠٠	١١	١٢	١٢	١٢	٦	٣	٢٥٠٠٠	٢٠	١٩١٠
هبسبرج	٨٣٠٠	٨¾	٣	٩٫٤	١٢	٦	٢	١٥٠٠٠	١٩	١٨٩٩
ارباد	٨٣٠٠	٨¾	٣	٩٫٤	١٢	٦	٢	١٥٠٠٠	١٩	١٨٩٩
بابنبرج	٨٣٠٠	٨¾	٣	٩٫٤	١٢	٦	٢	١٥٠٠٠	١٩	١٨٩٩
ارزهرزوغ كارل	١٠٦٠٠	٨	٤	٩٫٤	١٢	٧٫٦	٢	١٨٠٠	٢٠	١٩٠١
" فردرك	١٠٦٠٠	٨	"	"	"	"	"	"	"	"
" فرديناند مكس	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"
" فرنس فردينند	١٤٥٠٠	٩	٤	١٢	٨	٩٫٤	٣	٢٠٠٠	٢٠	١٩٠٧
رادتسكي	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"
زريني	"	"	"	"	"	"	"	"	"	"

الطرادات المدرعة

الاسم	التفريغ	سمك الدرع بالبوصة	المدافع الكبيرة	سعة فوهتها	المدافع الصغيرة	سعة فوهتها	انابيب التربيد	قوة الآلات البخارية	السرعة	سنة بنائها
ماريا تريزا	٥٢٠٠	٤½	٢	٧٫٦	٨	٦	٤	٠٩٠٠٠	١٩	١٨٩٠
القيصر كارل ٦	٦٣٠٠	٩	٢	٩٫٤	٨	٦	٤	١٢٣٠٠	٢٠	١٨٩٦
سنت جورج	٧٣٠٠	٨	٢	٩٫٤	٥	٧٫٦	٢	١٥٠٠٠	٢٢	١٩٠١

الطرادات المحمية

الاسم	التفريغ	سمك الدرع بالبوصة	المدافع الكبيرة	سعة فوهتها	المدافع الصغيرة	سعة فوهتها	انابيب التربيد	قوة الآلات البخارية	السرعة	سنة بنائها
زنتا	٢٤٠٠				٨	٤٫٧	٢	٠٧٢٠٠	٢٠	١٨٩٦
اسبرن	"				"	"	"	"	"	"
سزيجوار	"				"	"	"	"	"	"
ادمرال سبون	٣٥٠٠				٧	٤٫١		٢٠٠٠٠	٢٦	١٩٠٨
سيدا	"				٩	"		٢٥٠٠٠	٢٧	١٩١١
هلغولند	"				"	"		"	"	"
نوفارا	"				"	"		"	"	"

وقد بلغت ميزانية البحرية ٠٥١ ٠٩٤ ٣ من الجنيهات سنة ١٩١٣ وهي تبني الآن اربع مدرعات كبيرة من نوع الدردنوط ثم في آخر هذه السنة

روسيا

روسيا اوسع الممالك الاوربية واكثرها سكاناً تبلغ مساحتها ٨٤١٧١١٨ ميلاً مربعاً وكان عدد سكانها سنة ١٩١٢ في اوربا واسيا ١٧١٠٥٩٩٠٠ واكثرهم في اوربا كما ترى في هذا الجدول

في روسيا اوربا	١٢٢٥٥٠٧٠٠
في بولندا التابعة لروسيا	٠١٢٧٧٦١٠٠
في القوقاس	٠١٢٢٨٨١٠٠
في سيبيريا	٠٠٩٥٧٧٩٠٠
في ولايات اواسط اسيا	٠١٠٧٢٧٠٠٠
في فنلندا	٠٠٣١٤٠١٠٠
والمجموع	١٧١٠٥٩٩٠٠

وهم يزيدون نحو مليونين كل سنة. واكثر السكان من الروم الارثوذكس فلما كان عدد السكان نحو ١٢٦ مليوناً فقط كان عدد الروم الارثوذكس ٨٧ مليوناً وعدد المسلمين ١٤ مليوناً وعدد الكاثوليك اللاتين ١١ مليوناً ونصف مليون وعدد اليهود خمسة ملايين

وقد قُدّر دخل الحكومة للسنة الماضية من عادي وغير عادي ٣٤٠ مليون جنيه ولهذه السنة ٣٧٤ مليون جنيه ونفقاتها كذلك وقدرت ميزانية الحربية العادية لهذه السنة ٥٩٩ مليون روبل او نحو ٦٣ مليون جنيه وغير العادية ١٢٦ مليون روبل او نحو ١٣ مليون جنيه والجملة ٧٦ مليون جنيه وميزانية البحرية ٢٥١ مليون روبل او نحو ٢٦ مليون جنيه

وتخوم روسيا واسعة جداً براً وبحراً وفيها حصون كثيرة مقسومة حسب درجاتها من المنعة الى ثلاث درجات وحصون سفاستوبول والقارص وباطوم من الدرجة الثالثة منها اي من اضعفها فما قولك بسائر حصونها

الجيش الروسي

الخدمة العسكرية في روسيا اجبارية عامة وتبتدئ من سن العشرين وتنتهي في سن الثالثة والاربعين . ومدة الخدمة في الصف الاول او الجيش العامل ثلاث سنوات للشاة والمدفعية واربع سنوات في سائر الاسلحة . وينقل الجندي بعدها الى الصف الثاني او الاحتياطي فيخدم فيهِ ١٤ سنة او ١٥ ويطلب منهُ ان يتمرن على الحركات العسكرية مرتين

و يكون التمرن في كل مرة ستة اسابيع · ثم ينقل الى الصف الثالث او الجيش المحلي فيخدم فيهِ خمس سنوات و بذلك تنتهي مدة خدمتهِ العسكرية

والقوزاق الذين يسكنون القسم الجنوبي الغربي من روسيا يملكون اراضيهم بحسب نظام الاقطاعات العسكري فهم مطالبون لذلك بالخدمة العسكرية طول حياتهم وهم من اشهر فرسان العالم ان لم يكونوا اشهرهم كلهم · وعلى كل قوزاق ان يقدم جوادهُ وعدتهُ · و يبتدئ التمرن العسكري عندهم من سن التاسعة عشرة فيتعلمون الفروسية والحركات العسكرية مدة سنتين في بيوتهم ثم ينتظمون في سلك الالاي الذي يكون في مقاطعتهم وهو من الصف الاول فيخدمون فيهِ اربع سنوات · وهذه الالايات تكون دائمًا تامة العدد والعدة و يطلب منها الخدمة في جميع انحاء الامبراطورية · و ينقلون بعد ذلك الى الايات الصف الثاني فيخدمون فيها اربع سنوات اخرى ثم الى الايات الصف الثالث فيخدمون فيها اربع سنوات ايضًا · والقوزاق الذين في الايات الصف الثاني يعيشون في منازلهم ولكن عليهم ان يبقوا جيادهم وعددها عندهم الى ان يتموا خدمتهم فيهِ فاذا نقلوا الى الايات الصف الثالث جاز لهم بيع خيولهم ولكن عليهم ان يبقوا عددها عندهم وان يتمرنوا على الحركات العسكرية مرة في كل سنة وتكون مدة التمرين ثلاثة اسابيع في كل مرة · ومتى انتهوا من خدمتهم في الصف الثالث نقلوا الى الاحتياطي الذي تعوض منهُ الخسارة التي تقع في صفوف القوزاق الذين في الجيش العامل في اثناء الحرب · وعلى كل قوزاق مهما كان عمرهُ ان يخدم بلادهُ في اوقات الشدة والطوارىء

و يقسم الجيش المحلي الى قسمين كبيرين فالقسم الاول يتألف من جميع الجنود المتدربين الذين يكونون قد قضوا مدة خدمتهم في الصف الاول والاحتياطي والشبان المقترعين الذين يزيدون عن العدد المقرر للجيش في كل عام وعليهم كلهم ان ينتظموا في الجيش ابان الحرب فيؤلفون احتياطيًا ملحقًا · وقد سن قانون جديد هذا العام بانشاء وحدات جديدة تتألف من ٤٠ فرقة في كل فرقة منها ١٦ اورطة و بطاريتان والاي من الفرسان مؤلف من اربع اورط لحماية البلاد من الداخل · والقسم الثاني يتألف من جميع المعفين من الخدمة العسكرية كالتلاميذ والمعينين والمعيلين وسواهم ومن المقترعين الذين اعفوا من الانتظام في الخدمة العاملة اما لقصر قاماتهم او لاسباب جسدية اخرى ومن الصفوف القديمة الزائدة عن العدد المعين للجيش في كل عام وهؤلاء يكونون متمرنين بعض التمرن على الحركات العسكرية

والتطوع جائز في الجيش الروسي ويكون لسنة ولكنهُ يجدد بعدها ويؤخذ من المتطوعين معظم ضباط الاحتياطي حين التعبئة

وتؤلف الفرقة في الجيش الروسي من لوائين وكل لواء من الايين وكل الاي من اربع اورط . ويلحق بكل فرقة لواء من المدفعية فيهِ ست بطاريات او ثمان وصف من رجال الذخيرة واورطة من المهندسين واورطتان او ثلاث من الفرسان القوزاق

اما الفيلق العادي فيؤلف من فرقتين وفرقة من مدفعية الحصار واورطة من واضعي الالغام وفرقة من الفرسان

وتؤلف فرقة الفرسان من لوائين في كل لواء منهما الايان (الاي من الرماحة والفرسان المطاردين والاي من الدراغون والقوزاق) ومن بطاريتين من المدافع

وفي كل بطارية من بطاريات الميدان ثمانية مدافع عدا البطاريات التي تحمل على الخيول فان في كل بطارية منها ستة مدافع

وفي كل فيلق من الفيالق الروسية ٣٦ الف جندي اذا اسقطنا منهُ فرقة الفرسان و٤٠ الف جندي اذا عددناها فيهِ

وفي الجيش الروسي عدا جنود الفيالق سلاح يدعى رجالهُ حملة البنادق واكبر وحدة لهم هي اللواء وهو يتألف من اربعة الايات والالاي من اورطتين . وهؤلاء الجنود لا يلحقون بالفيالق بل يعدون جيشاً خاصاً والمقترعون لهذا السلاح افضل من المقترعين لسائر اسلحة الجيش من كل الوجوه

ويقسم الجيش الروسي نظراً الى عظم الامبراطورية الروسية وسعة بسطتها الى ثلاثة اقسام كبيرة وهي الجيش الاوربي والجيش القوقاسي والجيش الاسيوي

اما الجيش الاوربي فيشمل الجيش الذي في روسيا وفنلندا وهو يتألف من ٢٧ فيلقاً وهي فيلق الحرس وفيلق الجرنادير و٢٥ فيلقاً من الصفوف . وفيهِ عدا ذلك فرقتان ولواء من الحرس الفرسان و١٥ فرقة من فرسان الصفوف وفرقتان اخريان من الفرسان وثلاثة الوية من الفرسان المستقلة وجملة ذلك ٢٠ فرقة ١٥ منها ملحقة بالفيالق و٤ يؤلف منها فيلقان على حدتهما والفرقة الباقية مستقلة بنفسها . وفيهِ ايضاً سلاح خاص بالطيران وهو مؤلف من ٣ اورط و١١ بلوكاً مستقلاً ومدرسة خاصة لتعلم الطيران . وجملة ذلك كلهِ ١٠٣٨ اورطة من المشاة و٦٤٢ اورطة من الفرسان و٤٩٧ بطارية من المدافع

ويتألف جيش القوقاس من ثلاثة فيالق في كل فيلق منها فرقتان واربع اورط من

الفرسان ٠ ومن ثلاث فرق من القوزاق القوقاسيين ولواء من القوزاق فيهِ ست اورط ولواءان من حملة البنادق القوقاسيين في كل لواء منهما ٤ اورط

والجيش الاسيوي مؤلف معظمهُ من الروسيين ولكن فيهِ بعض الفرسان الباشبوزق من التركمان٠ وفي اواسط روسيا بأسيا وغربها خمسة الوية من البنادق في كل لواء منها اربع اورط في زمن السلم وثمانٍ في زمن الحرب وفرقة من قوزاق تركستان ولواءٌ من قوزاق عبر بحر قزبين ٠ والالوية الخمسة الاولى تعبأ في فيلقين يلحق بالفيلق الاول منهما لواءٌ من المدفعية فيهِ ٦ بطاريات وبالثاني لواءٌ فيهِ ٩ بطريات

غير ان معظم الجيش الاسيوي موزع في شرق سيبيريا وهو يتألف هناك من ١١ فرقة في كل فرقة منها لواءٌ من المدفعية فيهِ اربع بطاريات وفي كل بطارية ثمانية مدافع ومن ٣٦ اورطة من الفرسان في زمن السلم واكثر من تسعين اورطة في زمن الحرب وبطاريتين تحملها الخيول ولكنهما تزادان في زمن الحرب الى اربع بطاريات ٠ ويقسم كل هذا الجيش في زمن التعبئة الى خمسة فيالق معها من فرقتين الى اربع فرق من الفرسان القوزاق

وقوة الجيش الرومي في اوربا والقوقاس في زمن السلم ١٦٠٠٠٠٠ جندي يضاف اليها الجيش الاسيوي وعددهُ ٣٠٠٠٠٠ جندي فيبلغ بها ١٩٠٠٠٠٠ جندي ٠ اما قوتهُ في زمن الحرب فلا حد لها وانما يقال انها تبلغ نحو سبعة ملايين ونصف مليون جندي فهو اضخم جيوش الارض واكبرها كلها

وتعبئة الجيش الرومي من اشق الامور واصعبها نظراً الى سعة البلاد وقلة سبل المواصلات وهي ابطأ جداً من تعبئة الجيش الفرنسوي او الجيش الالماني فهي تستغرق نحو ثلاثة اسابيع مقابل ثمانية ايام ونصف للجيش الفرنسوي وتسعة ايام للجيش الالماني

وسلاح المشاة في الجيش الرومي بندقية لها خزنة من طرز سنة ١٨٩١ عيارها ٢٩٩ر٠ من البوصة وتسع خزينتها خمس رصاصات دفعة واحدة ٠ وبندقية الفرسان والقوزاق من ذلك الطرز ايضاً ولكن حديدها اقصر من بندقية المشاة ببوصتين وثلاثة ارباع البوصة

اما المدافع فسريعة الانطلاق من طرز سنة ١٩٠٢ وفيها اتراس تقي رماتها وتطلق قنابل زنة القنبلة منها ١٣ رطلاً انكليزيًّا ونصف

وبلغت ميزانية الجيش في العام الماضي ٧٧٧٨٠٠٠٠ جنيه منها ٩٥٣٠٠٠٠ جنيه نفقات غير عادية

وموضع الضعف في الجيش الرومي هو في تعبئتهِ كما ابنا آنفًا وفي ضباطهِ فانهم غير بارعين في

الفنون الحربية وتنقصهم قوة الابتكار. اما جنودهُ فمن اصبر جنود العالم على احتمال المشقات شجعان بالطبع غير هيابين فلا ينقصهم الاَّ حسن القيادة والتدريب على الفنون العسكرية البحرية

تضطر روسيا ان تحفظ اربعة اساطيل من السفن الحربية في اربعة اماكن متفرقة في بحر بلطيق والبحر الاسود وبحر قزبين والشرق الاقصي واهمها اسطولها في بحر بلطيق واسطولها في البحر الاسود والاول موَّلف من اربع بوارج تفريغ كل بارجة منها ٢٣٣٠٠ طن وسرعتها ٢٣ ميلاً بحريًّا في الساعة وقوة آلاتها البخارية ٤٢٠٠٠ حصان وسمك درعها ١١ بوصة وفيها ٢٠ مدفعاً مما قطر فوهتهِ ١٢ بوصة و ١٦ مدفعاً مما قطر فوهتهِ ٤٫٧ البوصة وفيها اربع انابيب للتربيد وهي مما رسم سنة ١٩٠٨ وينتظر الفراغ منها الآن. وعندها ايضاً اربع بوارج اخرى اقوى منها رسمت سنة ١٩١٢ سرعة كلٍ منها ٢٦ ميلاً بحريًّا ونصف ميل وقوة آلاتها البخارية ٦٦٠٠٠ حصان مع ان تفريغها ٢٨٠٠٠ حصان فقط وفيها ٩ مدافع مما قطر فوهتهِ ١٤ بوصة و ٢٠ مدفعاً مما قطر فوهتهِ ٥ بوصات وعشر وينتظر اتمامها في اواخر السنة القادمة

وعندها اربع بوارج اصغر منها سرعة كلٍ منها ١٨ ميلاً بحريًّا وفيها ٤ مدافع مما قطرهُ ١٢ بوصة و١٢ مدفعاً مما قطرهُ ٦ بوصات. و٢ طراداً تختلف سرعة الطراد منها بين ١٨ ميلاً ونصف ميل و٢٣ ميلاً . وهي تبني الآن ست طرادات سرعة اربعة منها ٣٠ ميلاً بحريًّا وسرعة الطرادين الآخرين ٢٧ ميلاً ونصف ميل

واسطول البحر الاسود موَّلف من ثلاث بوارج كبيرة تفريغ كلٍ منها ٢٢٥٠٠ طن وسرعتها ٢١ ميلاً بحريًّا وفيها ١٢ مدفعاً مما قطرهُ ١٢ بوصة و ٢٠ مدفعاً مما قطرهُ ٥ بوصات وقوة آلاتها البخارية ٢٥٠٠٠ حصان وفيها اربع انابيب للتربيد وقد بنيت هذه البوارج في البحر الاسود من مواد روسية بناها العمال الروسيون بادارة مهندسين من الانكليز وقد شرع في بنائها سنة ١٩١١ ولم تتم تماماً حتى الآن على ما يظهر ولكن لها في البحر الاسود ست بوارج مما سرعتهُ من ١٦ ميلاً الى ١٧ ميلاً ونصف ميل ومدافعها الكبيرة مما قطرهُ ١٢ بوصة . وهي تبني هناك طرادين سرعة كلٍ منها ٢٣ ميلاً بحريًّا وطرادين آخرين سرعة كلٍ منها ٣٠ ميلاً . وقد اقرَّ مجلس الدوما الروسي سنة ١٩١٢ على انفاق خمسين مليون جنيه لاجل بناء البوارج والطرادات وغيرها من السفن الحربية

اما اسطول بحر قزبين واسطول الشرق الاقصي فليس لها شأن كبير

انكلترا والحرب الاوربية

وهي خطبة السر ادورد جراي القاها في مجلس النواب في ٣ اغسطس

قلت في الاسبوع الماضي اننا نسعى للسلم لا في انكلترا وحدها بل في اوربا باسرها ولكن الحوادث اليوم تمر و يتلو بعضها بعضاً بسرعة عظيمة بحيث يتعذر وصف حقيقة الحال ولكن المقرر الجلي ان سلم اوربا تداعت اركانهُ فقد اعلنت روسيا والمانيا الحرب كل منهما على الاخرى . وقبل ان اصف لكم موقف الحكومة الانكليزية امهد السبيل لهذا الوصف حتى يتيسر للمجلس عند ابداء حكمهِ ان يدرك تماماً ما عليهِ وعلى الوزارة من العهود والواجبات

واسمحوا لي ان اقول بالاختصار اننا ثابرنا بهمة ونشاط و بذلنا قصارى جهدنا في حفظ السلم (هتاف) فليهدأ بال المجلس من هذا القبيل . لما بدت ازمة البلقان الى الوجود سعينا للسلم ففزنا بمعونة الدول العظمى نعم ان بعض الدول لقيت عناء عظيماً في تعديل خطتها فاقتضى اتفاق جانب عظيم من الوقت والتعب والمناقشة لفض ما بينها من الخلاف ولكن السلم توطدت اركانهُ لان السلم كان غرض تلك الدول الاعظم ولانها كانت مستعدة لبذل الوقت والتعب في سبيلهِ مفضلة ذلك على توسيع مسافات الخلف والشقاق

اما في الازمة الحالية فلم يكن في الامكان لسوء الحظ صيانة سلم اوربا لضيق الوقت من جهة وميل بعض الدول الى التوصل الى نتيجة ولو حاق الخطر العظيم بالسلم فكانت النتيجة ان سياسة السلم عند الدول العظمى بالاجمال اسفرت عن الفشل . ولست اتولى بسط الكلام في هذا الشأن ولا أُحاول تعيين موقع اللوم لاني اريد ان ينظر المجلس في الازمة من وجهة المصلحة البريطانية والشرف البريطاني (هتاف شديد) والعهود البريطانية (هتاف آخر) بالعين المجردة عن الهوى (هتاف) اما سبب نقض السلم فسننشر بياناً وافياً بأسرع ما يستطاع عما حدث في الاسبوع الماضي حينما كنا نسعى لتأييد السلم ومتى نشر هذا البيان ظهر باجلى وضوح مبلغ مساعينا من الجد والنشاط والاخلاص (هتاف) وتيسر للجمهور الحكم في العوامل التي عملت على نقض السلم

واتولى الكلام الآن على العهود والواجبات البريطانية فقد سبقت فاكدت لهذا المجلس واكد لهُ رئيس النظار انهُ اذا وقعت ازمة فالوزارة تقف امام مجلس النواب وتترك لهُ الحكم في الخطة التي يجب على بريطانيا العظمى اتباعها (هتاف) بعد ما يعلم اننا لا نتقيد بعهد او ميثاق سري

لقد كان في اوربا طائفتان من الدول المحالفة الثلاثية والاتفاق الثلاثي وهذا الاتفاق ليس محالفة بل هو عبارة عن طائفة من الدول تجمعها جامعة سياسية ويذكر المجلس الازمة التي بدت في سنة ١٩٠٨ على اثر ضم البوسنه والهرسك الى النمسا فقد حدث اذ ذاك ان ناظر روسيا قدم لندن فاخبرتهُ صريحًا ان المسألة منحصرة في البلقان فلا اظن ان الرأي العام يسوغ لنا ان نعد باكثر من ذلك ولم يطلب مني اكثر مما ذكرت اما انا فلم اعط اكثر ولا وعدت باكثر واقول اننا حتى يوم امس لم نعد بشيء سوى المعونة السياسية

اني اريد ان ابسط مسألة الواجب والعهود بسطًا شافيًا للمجلس فاعود الى ازمة المغرب الاقصى سنة ١٩٠٦ اي عند اجتماع موتمر الجزيرة وقد كانت الوزارة اذ ذاك محفوفة بالصعوبات بسبب الانتخابات العامة فسئلت حينئذٍ هل اعد بمساعدة فرنسا مساعدة عسكرية اذا ادت الازمة الى نشوب حرب بين فرنسا والمانيا فكان جوابي اني لا اعد دولة اجنبية بشيء الاَّ اذا ايدني الرأي العام في هذا المجلس تأييداً تامًّا متى اقتضت الحال (هتاف من انصار الوزارة) وقلت ايضًا اذا اجبرت فرنسا على خوض غمار حرب بسبب مسألة المغرب الاقصى التي اتفقت انكلترا وفرنسا عليها فالرأي العام في بريطانيا العظمى ينشط لتأييد فرنسا وعضدها (هتاف)

فلم اعد وعداً ما ولا فهت بوعيد بل اكتفيت بالاعراب عن هذا الرأي فاكتفت الوزارة الفرنسوية بذلك ولكنها قالت لي «اذا كنت تظن ان الرأي العام في بريطانيا العظمى يسوغ لك مساعدة فرنسا بالقوة عند حدوث ازمة ولكنك لا تستطيع ان تعد بهذه المساعدة سلفًا الاَّ اذا دارت المفاوضات بين ذوي الخبرة من رجال الجيش والاسطول فقد لا تستطيع مد يد المساعدة الينا حين الاقتضاء ولو شئت ذلك» وهو كلام وجيه وافقت عليهِ واذنت في اجراء تلك المفاوضات ولكني اشترطت ان الحكومة (البريطانية) لا تتقيد نهائيًّا بما يدور بين ذوي الخبرة

ثم جاءت ازمة الغدير فوقفت فيها موقفي في سنة ١٩٠٦ و ١٩١٢ وقر القرار على ان يكون بيننا اتفاق مكتوب بان المفاوضات لا تقيد احدى الحكومتين بقيد نهائي ففي ٢٣ نوفمبر سنة ١٩١٢ كتبت كتابًا الى السفير الفرنسوي واخذت جوابهُ عليهِ وسيطلع الجمهور على هذا الكتاب ويرى ان كل ما دار بين ذوي الخبرة لم يكن ليقيد احدى الدولتين

على ان حالة الازمة الحاضرة لا تنطبق تمامًا على ازمة المغرب الاقصى فبيت القصيد في ازمة المغرب الاقصى نزاع خاص بفرنسا او نزاع اجبرت عليهِ بسبب اتفاق بيننا وبينها

تعهدنا بهِ ان نؤيد فرنسا تأييداً سياسيًّا فلم تتقيد بشيء سوى التأييد السياسي ولكننا كنا مقيدين باتفاق معين مشهور ومنشور اما الازمة الحالية فمنشأها مخالف لمنشإ تلك فلم تنشأ بسبب المغرب الاقصى او بسبب امر آخر بيننا وبين فرنسا اتفاق خاص عليهِ ولا بسبب امر يتعلق بفرنسا وحدها

ان الازمة الحالية نشأت عن نزاع بين النمسا وسربيا وليس بين الحكومات والبلدان واحدة تكره الدخول في نزاع بين النمسا وسربيا كالحكومة الفرنسوية والبلاد الفرنسوية (هتاف شديد · ولكن فرنسا دخلت في النزاع لانها مرتبطة برباط الشرف والواجب (هتاف) مع روسيا بمحالفة صريحة اما نحن فليس علينا من هذا الواجب ما عليها اذ لا علاقة لنا بالمحالفة الفرنسوية الروسية حتى اننا لم نطلع على نصوص هذه المحالفة

انقضت عدة سنوات على صداقتنا المتينة مع فرنسا (هتاف) ولا ازال اذكر ما شمل الناس عند عقد الاتفاق بيننا من السرور والحبور لان هاتين الامتين محتا ما كان بينهما من الخلاف ووثقتا عرى الصداقة فاذا شئتم ان تعرفوا ما يترتب على هذه الصداقة من الواجبات وعلى مبلغ رسوخها في قلوب الامتين (هتاف) فليفحص كل واحد ضميرهُ ولينظر في عواطفهِ واميالهِ فيرى لنفسهِ مقدار هذا الواجب (هتاف)

اما انا فاقول ان الاسطول الفرنسوي في البحر المتوسط الآن وليس لسواحل فرنسا الشمالية والغربية من يحميها على الاطلاق فبوجود الاسطول الفرنسوي في البحر المتوسط تغيرت الحال عما كانت عليهِ قبل توثيق عرى الصداقة التي جعلت الفرنسويين آمنين (على سواحلهم الشمالية) ورأيي انهُ اذا اراد اسطول اجنبي محاربة فرنسا حربًا لم تكن فرنسا الساعية اليها ولا المعتدية فيها واجتاز هذا الاسطول بحر المانش وضرب بقنابلهِ السواحل الفرنسوية غير المحمية ودمرها فلا يسعنا والقنابل تطلق امام عيوننا ان نقف ساكتين (هتاف شديد طويل) مكتوفي الايدي كمن لا يعنيهِ الامر واعتقد ان البلاد بأسرها تشاركني في هذا الشعور (هتاف عال)

فقد يخيل الى الواحد في بعض الاحيان بحكم عواطفهِ ان ما يشعر بهِ اذا حدث حادث معين ينتقل الى سواهُ بقوة لا ترد · ولكني احب ان انظر في المسألة غير محمول على جناح الاهواء والاميال بل من وجهة المصالح البريطانية وهذه هي القاعدة التي اتخذتها اساسًا لما سأقولهُ للمجلس واجيزهُ لنفسي فاذا لم نقل شيئًا الآن فماذا تفعل فرنسا باسطولها في البحر المتوسط

انها تتركهُ في ذلك البحر من غير ان نقف على ما سنفعل وترى سواحلها الشمالية والغربية متروكة من غير مدافع تحت رحمة اسطول الماني يجتاز بحر المانش ليفعل ما يشاء في حرب قد يكون فيها الحياة والموت لفرنسا فهب اننا سكتنا واسترجعت فرنسا اسطولها من البحر المتوسط ونحن امام نار اوربية عظيمة فهل من يستطيع وضع حد للعواقب التي تنشأ عن ذلك . افرضوا اليوم اننا تنحينا والتزمنا الحياد قائلين لا نستطيع ان نعين احد الفريقين في هذه الحرب وافرضوا ان الاسطول الفرنسوي سحب من البحر المتوسط

ولنفرض ان ذلك ادى الى عواقب غير منظورة تضطرنا فجأة الى المحاربة دفاعاً عن مصالح بريطانيا الجوهرية ولنفرض ان ايطاليا الواقفة على الحياد الآن رأت ان تنكب عن حيادها حرصاً على مصالحها المشروعة حينما نضطر نحن الى الحرب فكيف تكون الحال في البحر المتوسط . فهذه الفروض قد تقع في ساعة حرجة فيها تكون طرق التجارة بالبحر المتوسط ضرورية لحياة هذه البلاد (هتاف) فماذا تكون حالنا ونحن لا ندري اية طرق التجارة ستكون جوهرية لنا في اثناء الاسابيع القليلة القادمة

ليس لنا في البحر المتوسط اسطول يعادل مجموع الاساطيل الاخرى فيهِ وقد يقع ما اشرت اليهِ آنفاً في الساعة التي لا نستطيع فيها ان نرسل بوارج اخرى الى البحر المتوسط فتستهدف بلادنا باجمانا الآن لاعظم المخاطر واشد الاهوال (هتاف)

فاذا نظرنا الى المسألة من وجهة المصالح البريطانية الفينا انهُ يحق لفرنسا ان تعلم حالاً (هتاف) هل يمكنها التعويل على معونة انكلترا اذا هاجم مهاجم سواحلها الشمالية والغربية الخالية من وسائل الدفاع . قلت امس للسفير الفرنسوي ما نصهُ

« ولقد اذن لي في ان اؤكد لكم انهُ اذا جاء الاسطول الالماني الى بحر المانش او اجتاز البحر الشمالي لضرب سواحل فرنسا او الاعتداء على بواخرها فالاسطول البريطاني يحميها بكل قوتهِ (هتاف عال) وهذا الوعد مشروط فيهِ موافقة البرلمان ولا يعد مقيداً للحكومة (البريطانية) الاَّ متى شرع الاسطول الالماني في الحرب »

ان الحوادث تمر سراعاً فلا استطيع ان اسرد عليكم ما يأتي بالطريق الرسمي ولكني علمت ان الحكومة الالمانية تعد بان اسطولها لا يهاجم سواحل فرنسا الشمالية اذا اعطيناها عهداً بحيادنا وقد بلغني ذلك قبل وصولي الى المجلس بقليل ولكنهُ عهد شديد التقيد في نظري (هتاف عال) فهناك اعتبارات اخرى عظيمة الشأن تزداد خطراً كل ساعة كمسألة حياد البلجيك (هتاف) فان العامل فيها هو معاهدة سنة ١٨٣٩ . وفي سنة ١٨٧٠ قطع بسمرك

عهداً بحياد البلجيك فكان ذلك اعترافاً ثميناً من المانيا بالحقوق المقدسة الناشئة عن المعاهدات

فالمعاهدة قديمة ولكن شرفنا ومصلحتنا فيها لا يزالان كما كانا في سنة ١٨٧٠ ولا يسعنا ان نقل في اهتمامنا بواجباتنا عن وزارة غلادستن سنة ١٨٧٠ . لما بدئ بالتعبئة في الاسبوع الماضي علمت ان هذه المسألة ستكون اهم نقطة في سياستنا فارسلت بالتلغراف الى باريس وبرلين وقلت انهُ من الضروري لنا ان نعرف هل تتعهد حكومتا فرنسا والمانيا باحترام حياد « البلجيك » فاجابت فرنسا انها مصممة على احترام ذلك الحياد فلا تخرق حرمتهُ الأ اذا اضطرت الى ذلك بخرق دولة اخرى لهُ اما المانيا فاجابت ان ناظر خارجيتها لا يستطيع ان يرد جواباً قبل ان يستشير الامبراطور ووزير الامبراطورية وارسل سفيرنا السر وليم جوشن يقول ان الجواب لا يتأخر كثيراً ثم ابلغ ناظر خارجية المانيا سفيرنا انهُ يرتاب في استطاعتهِ ارسال جواب لانهُ اذا شبت الحرب فجوابهُ قد يفضح خطة القتال ويحدث تأثيراً سيئاً (ضحك) فارسلت تلغرافاً الى بروكسل واتاني الرد عليهِ من ناظر خارجية البلجيك وفيهِ ان حكومتهُ لا تدخر جهداً في المحافظة على حيادها وان الحكومة البلجيكية تعتقد انها تستطيع الدفاع عن حياد بلادها اذا خرق احد حرمة تلك البلاد (هتاف) ولكن وردت الاخبار الآن بان المانيا ارسلت بلاغاً نهائيًا الى البلجيك مؤداهُ حفظ علاقات الصداقة بين الدولتين اذا سهلت البلجيك اجتياز الجنود الالمانية لبلادها . وكانت المانيا قد سبرت غورنا في الاسبوع الماضي لتعلم هل نكتفي اذا ضمنت لنا سلامة البلجيك بعد انتهاء الحرب فاجبناها اننا نأبى ان نساوم في ما علينا من الواجبات وما لنا من المصالح في حياد البلجيك (هتاف) . وقد تلقى الملك جورج التلغراف التالي من ملك البلجيك وهو « ان البراهين العديدة على صداقة جلالتكم وجلالة سلفكم وخطة انكلترا الحبية لبلادي في سنة ١٨٧٠ وبرهان الصداقة الذي اظهرتهُ اخيراً تحملني على ان استجير بكم لحمل حكومتكم على التوسط بالطرق السياسية لصيانة استقلال البلجيك وسلامتها » . (هتاف) وبالفعل توسطنا بالطرق السياسية في الاسبوع الماضي ولكن ماذا ينفع التوسط السياسي في هذه الايام . ان لنا مصلحة عظيمة جوهرية في المحافظة على استقلال البلجيك وسلامتها وكل ما تطلبهُ الدول الصغيرة في تلك الجهة (اي البلجيك وهولندا والدنمرك) هو ان نترك وشأنها (هتاف) فاذا حدث في الحرب الاوربية هذه ان حياد احدى تلك الدول الصغيرة خرق فدخلتها جنود احدى الدول المحاربة فان الدولة الصغيرة التي خرقت حرمة حيادها لا تنسى ذلك بعد انتهاء الحرب . ومهما قيل عن رد املاكها اليها فان استقلالها يكون قد انتزع منها (هتاف) فاذا صحَّ ان هنالك

بلاغاً نهائياً للبلجيك يطلب بهِ منها ان تخرق حيادها او تعرضهُ للخطر فاستقلالها ضائع واذا ضاع ضاع معهُ استقلال هولندا فانا اسأل هذا المجلس ان ينظر في الامر بعين المصلحة البريطانية ويتحقق الخطر العظيم (هتاف) · رب قائل يقول لنتنحَّ الآن ونستجمع قوانا ثم نتوسط في النهاية بقوة وسلطة ونصلح ما افسدوهُ · فاذا كنا في ازمة كهذه نهرب (هتاف طويل عال) ونفر من واجبات الشرف والمصلحة ازاء البلجيك فلست اظن ان كل القوة المادية التي قد تكون لنا في النهاية تفيد فائدة تذكر في جنب ما نضيعهُ من الاحترام

اننا باساطيلنا القوية لا نخسر في الحرب اكثر كثيراً مما نخسر اذا لزمنا جانب السكون وسنقاسي اشد العناء في هذه الحرب سواء خضنا غمارها او لم نخض فالتجارة الاجنبية ستقف لا لسد الطرق التجارية بل لعدم وجود متاجر في الجهات الاخرى · فاذا كانت الحقيقة عن البلجيك كما بلغنا فقد وضح الحق بان على هذه البلاد واجباً يقضي عليها ببذل اقصى طاقتها لمنع العواقب التي ستعقب هذه الحقيقة اذا لم تكذبها المانيا (هتاف) · اننا لم نعد بارسال جيش الى خارج البلاد ولكن الاسطول عبئ (هتاف) والجيش يعبأ (هتاف) ولكننا لم نرتبط بشيء قاطع لاني اعتقد انهُ اذا حدثت حرب اوربية مثل هذه لم يسبق لها نظير فعلينا ان ننعم النظر بعناية واهتمام في امر ارسال جيش الى خارج البلاد حتى نعرف مركزنا تماماً وذلك بالنظر الى ما علينا من التبعة في الهند وسواها من انحاء الامبراطورية وبسبب العوامل المجهولة · وليس في هذه الظلمة الدامسة سوى باب ضوء واحد يبعث على الارتياح وهو ارلندا (هتاف عال) فالشعور عام في ارلندا وهذا ما احب ان يفهمهُ الناس في البلدان الاجنبية (هتاف عال طويل) ان ارلندا تدفن مشاكلها في الحالة الحاضرة (هتاف)

ان بريطانيا لا تجاهر بالحياد المطلق من كل قيد فقد ارتبطنا مع فرنسا بما يحول دون ذلك وعلينا ان نذكر البلجيك التي تحول دون حياد مطلق من كل شرط ونحن مجبرون ان لا نحجم عن استخدام كل قوتنا (هتاف) · ولا اخفي عليكم انهُ يجب علينا ان نكون مستعدين واقول اننا مستعدون متأهبون (هتاف عال) للعواقب التي تعقب استعمال ما عندنا من القوى في اية ساعة · ولسنا نعلم في اية ساعة نضطر الى الدفاع عن انفسنا والقيام بنصيبنا من العمل ولم اجاهر بقرار نهائي الا بعد عرض المسألة علينا في هذا المجلس

ان المستر اسكويث (ناظر الحربية) والمستر تشرشل (ناظر البحرية) يؤكدان استعداد قواتنا وتأهبها التام وكفاءتها ويقولان انها لم تبلغ من الكفاءة في زمن ما بلغتهُ الآن (هتاف) ولم يمر على بريطانيا العظمى زمن كانت الحكومة احق بالثقة منها

الآن لحماية متاجرنا وسواحلنا من الضنك والشقاء اللذين تجرهما الحرب واللذين لن تنجو بلاد اوربية منها · فالحياد لا ينقذنا والضرر الذي تلحقهُ بوارج الاعداء بتجارتنا لا يكاد يذكر في جنب الضرر الذي ينشأ عن الاحوال الاقتصادية بسبب الحرب فنحن الآن احرار في حل عقدة يجب بسط عواقبها فقد نشأ عن الحرب بين النمسا وسربيا مشاكل تضحك الثكلى وتوالت الحوادث بسرعة مدهشة بحيث يتعذر وصف ما حدث ولكن جل قصدي كان ان اظهر المكتوم الخفي للعيون لعلاقتهِ بسياستنا وتأثيرهِ فيها وقد بسطت الحقائق الكبرى امام المجلس فاذا اضطررنا بسرعة الى الدخول في الحرب وهو المرجح فاني اعتقد ان البلاد تدرك الامور المرهونة بالحالة الحاضرة ووجوه الخلاف ومبلغ الخطر الذي نتوقعهُ والذي حاولت بسطهُ لكم واعتقد ان الوزارة لا تنال عضد مجلس النواب فقط بل ان البلاد باسرها تؤيدها بالعزم والحزم والشجاعة والصبر (هتاف عال) · انتهى باختصار كثير

جرجي بك زيدان

رزئت العربية وابناؤُها بفقد كاتب من نخبة كتابها عالم بحث في خزائن كتبها وما كتبهُ الافرنج عنها بحثاً مستفيضاً واستخلص من ذلك كتباً ممتعة في آدابها تشهد لهُ بسعة الاطلاع واصالة الرأي والبراعة في التبويب والتنسيق فكان لهذه الكتب شأن كبير شرقاً وغرباً وتُرجم بعضها الى كثير من اللغات الشرقية والغربية· وبحث في تواريخ دول الاسلام والف فيها كتاباً جليلاً وبنى على نوادرها سلسلة من الروايات التاريخية الفكاهية جمع فيها زبدة تواريخ تلك الدول على اسلوب لا يملهُ القارئ فكان لهذه الروايات وقع عظيم لدى الامم الشرقية لانها مبنيَّة على ما الفوهُ من اسماء الاعلام وما لهُ اشد علاقة بتاريخ اسلافهم الذي يفاخرون بهِ فترجمت هذه الروايات ايضاً الى بعض اللغات الشرقية ·هذا عدا اشتغالهُ بانشاء مجلة الهلال التي مرَّ عليها الآن اثنتان وعشرون سنة وهي تبحث في المواضيع التاريخية والاجتماعية والعلمية والادبية والصحية وعدا التاريخ الذي الفهُ لهذا القطر وهو باكورة مؤلفاتهِ التاريخية

ولد بمدينة بيروت سنة ١٨٦١ وطلب علم الطب في المدرسة الكلية الاميركية ونحن من اساتذتها فتوسمنا فيهِ سمات النجابة وعلو الهمَّة وحدث في المدرسة حادث افضى الى خروج كثيرين من تلامذة الطب منها وهو في بداءة السنة الثانية فخرج مع الذين خرجوا واتم دروس تلك السنة على بعض الاساتذة مقتصراً على ما يلزم منها لصناعة الصيدلة كالتحليل الكيماوي والاقراباذين· وجاء بعد ذلك الى القطر المصري ورافق الحملة النيلية الى السودان

سنة ١٨٨٤ فسار معها مترجماً في قلم المخابرات وقضى هناك عشرة اشهر . وفي السنة التالية عاد الى بيروت ودرس العبرانية والسريانية هو وصديقهُ الاستاذ جبر ضومط وألَّف كتاباً في الفلسفة اللغوية مبنياً على مباحث علماء اللغات من الافرنج . وذهب الى البلاد الانكليزية سنة ١٨٨٦ وعاد منها الى القطر المصري فسلمناهُ ادارة اشغالنا سنة وبعض سنة[1] ثم استقال وانقطع للتأليف فألَّف تاريخ مصر الحديث وانشأ الهلال وجعل يؤلف الروايات والكتب التاريخية والادبية كتاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ آداب اللغة العربية . ورواياتهُ التاريخية الاسلامية ثماني عشرة ولهُ اربع روايات اخرى ادبية تاريخية وكان عضواً في المجمع العلمي الشرقي وفي الجمعية الاسيوية الملكية بانكلترا والمجمع الاسيوي الفرنسوي والمجمع الاسيوي الايطالي

ولا شبهة في انهُ كان من النوادر بين ابناء العربية عمل في ربع قرن ما يعجز عنهُ ثلاثة او اربعة من المنقطعين للتحرير والتحبير . ولعلَّ اشتغالهُ الكثير انهك قواهُ وعجَّل في اجلهِ فتوفي فجأَة في ٢٢ يوليو الماضي قبيل نصف الليل بعد ان كتب آخر كلمة من المجلد الثاني والعشرين من الهلال واتم آخر جزء من تاريخ آداب اللغة العربية الملحق بهِ توفي بين الدفاتر والمحابر . ثم صدر الهلال وقد الحق بهِ جماعة من ارباب الاقلام ما عبَّروا بهِ عن اسفهم على الراحل الكريم واملهم بنجلهِ ان يقتفي خطوات والدهِ . وما احسن ما قالهُ احدهم خليل افندي مطران « من اكبر مآثرهِ (اي مآثر الفقيد) انهُ اعدَّ لمستقبل الهلال عدة قربى بكر ولديهِ هيأَهُ لذلك المقام الناصب تعليماً في المدارس ثم تدريباً على يديهِ في العمل »

ولقد اطلعنا على مقالات نجل الفقيد في الهلال فسررنا بها وهنأْناهُ بهِ ونحن نرجو الآن ان يقتفي خطوات والدهِ ويبني على الاساس المتين الذي وضعهُ لهُ

وكان الفقيد ربعة ممتلئ البدن اسمر اللون انيس المحضر واسع الرواية حسن المحاضرة متفانياً في الاعتناء بذويهِ والاهتمام بامورهم ترك زوجة فاضلة وابنة وابنين فرزؤهم بهِ ورزءُ والدتهِ واخوتهِ وكل معارفهِ ومحبيهِ اكبر الارزاء لكن لم من العزاء انهُ ابقى من المآثر والآثار ما يخلد ذكرهُ

وقبل ان نتم كتابة هذه السطور جاءتنا الابيات التالية عن لسانهِ بقلم صديقهِ الفاضل اسعد افندي داغر

---

(١) رأَينا في ترجمتهِ المنشورة في آخر الجزء الرابع من تاريخ آداب اللغة العربية ان ادارة المقتطف طلبت اليهِ سنة ١٨٨٦ « ان يتولى ادارة اشغالها والمساعدة في تحريرها ففعل » وقد رأَينا اظهاراً للحقيقة ان نعيد هنا ما ذكرناهُ في الصفحة ٣٢٥ من مقتطف مايو سنة ١٨٩٦ في الكلام على تاريخ المقتطف وهذا نصهُ « ان كل ما لم ينسب الى غيرنا هو من قلمنا ولا يستثنى من ذلك الاَّ خاتمة السنة الحادية عشرة وهي نصف صفحة كتبها صديقنا جرجي افندي زيدان لما كان في ادارتنا واضطرتنا الحال ان نسافر الى القطر الشامي بغتة »

بلاغ راحل

بلسان فقيد الشرق المأسوف عليهِ العلامة المرحوم جرجي بك زيدان

جدَّ بيني فبي قفوا يا رفاقي — تقضِ فرض الوداع قبل الفراقِ
لا تقولوا «ياجورج مهلاً» وداعي ال — موتِ يعدو اليَّ عدو البراقِ
أنظروهُ مفاجئاً لي واني — شاعرٌ ببلوغ روحي التراقي
ليس في طاقتي التخلُّص منهُ — بعدما غلَّني وشدَّ وثاقي
جاءني مزهقاً لروحي فتغدو — عن قليل في قبضة الإزهاقِ
أدركوني وأحدقوا بيَ وأصغوا — لبلاغي الاخير قبل انطلاقي
اين اهلي ؟ فتشت عنهم لألقى — واحداً منهمُ ولستُ بلاقِ
لست القى من سامعٍ لندائي — منقذٍ لي من الردى او واقِ
اين ايديهمِ تمدُّ سريعاً — وبعنقي تحيط كالأطواقِ
اين امي تقول «ها انا يا ابني» — وتلبّيني عند لف الساقِ
اين عِرسي تقول «تفديك نفسي — يا رفيق الحياة خير الرفاقِ»
اين اسما ترى اباها عليهِ — اطبق الموت ايّما إطباقِ
اين باقي الاولادِ يا قوم والاخو — ةِ والاقرباء اين الباقي ؟
كلهم غائبون عني ومنهم — لا أرى واحداً على الإطلاقِ
بعضهم سمّهم سقامٌ فأمّوا — طود لبنان لابتغا الترياقِ
ودّعوني وهم يرجون مثلي — عن قريب يتلو الفراقَ تلاقِ
خاب منّا هذا الرجا والمساعي — في التلاقي صارت الى إخفاقِ
فافترقنا وما دروا قطُّ اني — سوف اقضي من لوعة الافتراقِ
ما دروا انهم صلوني سعيرا — من نواهم فكان فيها احتراقي

ذبتُ من لوعتي وشدة وجدي — وحنيني اليكمُ واشتياقي
وسيدوي منعايَ فيكمُ منقو — لاً بسلك الإرعاد والابراقِ
وسيغدو عليَّ فرط اساكم — مضرباً للامثال في الآفاقِ
وستبكونني بدمع غوادي ال — سحب تروي عنهُ حديث المآقي

وتعاطون من أكفِّ الرزايا صابَ بيني بكأس بثٍّ دهاقِ
وسيرثي الراثون فقدي وإمّا ينصفوا يأتوا ما به استحقاقي
يذكروا خدمتي الجليلة للعلم وعزمي الماضي وجدّي الراقي
يذكروا همّتي التي ما درت في ال صعب معنًى للبهظ والإرهاق
يذكروا انني جعلت حياتي وقف أمّ اللغى بلا إغراق
يذكروا نهضتي لها واجتهادي في بلوغي بها لاعلى المراقي
خُضتُ منها عباب بحرٍ خضمٍّ غُصتُ فيهِ حتى الى الاعماقِ
وبأغلى جمانها زِنتُ كُتْبي مالئًا بكنوزها أوراقي
لم ادع مجهلاً من البحث الأ رُدْتُ أقصاهُ مبدعًا في السياق
فاحصاً عن اوضاعها والمباني باحثًا في التصريف والاشتقاق
فاتحًا في آدابها باب بحث كان من قبلُ محكم الإغلاقِ
وبتاريخ اهلها حزت سبقًا لم يحزْهُ سواي يوم سباقِ
وبنو مصر والحجاز شهودي كبني الشام مع اهالي العراقِ

كلهم يذكرون فضلي بإجما عٍ ويطرون خدمتي باتّفاقِ
يذكروني ما لاح نور هلالي في سما الشرق ساطع الإشراقِ
منذ ما هل صار بدراً وهذا ال بدر باقٍ ما شابهُ من محاقِ
وسيبقى بعدي كما كان تُجلى بسناهُ بقية الاغساقِ
ذا رجائي يا ابني اميلُ فعدني حافظًا في تحقيقهِ ميثاقي
صُنْهُ بعدي وارمقهُ دوماً بعين ال حرص والاعتناء والإشفاقِ
هذه خطتي لديك اتبعها وتعمَّد في ذا السبيل لحاقي
وتأسلني في العلا وترسَّمْ خطواتي ممثّلاً اخلاقي
وانحُ نحوي في ما تخطُّ ووافق فيهِ بين الاميال والاذواقِ
واجعلنْ الهلال مطلع انوا رِ اتحادٍ وألفةٍ ووفاقِ
لا تُجزْ نشر كلمةٍ فيهِ تُغري قارئيها بنفرة او شقاقِ
وسلامٌ اليك مني فإني عنك ماضٍ سبحان ربي الباقي

سوق الغرب اسعد داغر

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النباتات الاهلية وفوائدها الطبية

الخيار A. Cumcumber, F. Concombre, L. Cucumis Sativus. نوع نبات من الفصيلة اليقطينية اصلهُ من الشرق ثمرهُ قليل المادة الغذائية وبزرهُ من البزور الاربعة المبردة عند القدماء يحضر منها مستحلب او شراب مبرد وملطف ومن تنوعاتهِ الخيار الاخضر الصغير الذي يكبس بالخل والبهار ويستعمل مقبلاً · ويحضر من عصيرهِ مرهم الخيار وهو من مطريات الجلد

الخيار شنبر A. Cassia, F. Casse, L. Cassia Fistula ثمر شجرة من الفصيلة القرنية يرد من جزائر الانتيل في اميركا اسطواني الشكل يبلغ طول القرن منهُ قدمين ويحتوي على بزور كبيرة صلبة مفصولة بحواجز افقية ومغلفة بلب اسمر محمر يفصل عن البزور ويعالج بطرق مخصوصة للاستعمال الطبي · وخواصهُ مسهل لطيف يؤْخذ بكمية ٦٠ كراماً محلولة بالماء او بمصل الحليب او ٣٠ — ٥٠ كراماً من خلاصتهِ قبل النوم لانهُ لا يفعل الاَّ بعد اخذهِ بمدة طويلة

الدبس A. Molasses, F. Mélasse. شراب يحضر من عصير العنب بالغلي او من بقايا عصير البنجر او قصب السكر بعد تبلور السكر ومن غير ذلك ايضاً والاول افضلها طعماً واجملها لوناً يؤْكل طعاماً ويستعمل ملطفاً ومبرداً مخففاً بالماء ومبرداً بالثلج في ايام الحر

الدخان · انظر تبغ

الدراقن A. Peach tree, F. Pêcher, L. Amygdalus Persica. شجرة من الفصيلة الوردية اصلها من العجم ثمرها فاكهة لذيذة مغذية وملينة واوراقها وزهورها مسهلة ومضادة للدود ويحضر من زهرها شراب يعطي مسهلاً للاطفال بجرعة ١٥ — ١٦ كراماً

الذرة A Maize, F. Maïs, L. Zea Mays حبوب نبات سنوي من الفصيلة النجيلية يزرع كثيراً في سورية ومصر يعمل من دقيقهِ شربة مفيدة جدًّا للناقهين والمصابين بالامراض

المزمنة في القناة الهضمية وتغتذي بخبزهِ الطبقة الفقيرة وخبزهُ لا يرفح لخلوهِ من الغلوتين وهو اقل غذاء من خبز القمح وشعر العرنوس من مدرات البول اللطيفة يؤخذ نقيعاً او مغلياً ويفيد فائدة كبيرة في التهاب عنق المثانة ويستخرج منهُ خلاصة تستعمل لهذه الغاية

وتكثر الاصابات بمرض البلاغرا في الطبقة التي تغتذي بخبز الذرة ويعزوهُ بعضهم الى اكلها وهو بالحقيقة مسبب عن فطريعيش على جسم النبات فيخالط الدقيق ويحدث المرض المذكور

الراوند A. Rhubarb, F. Rhubarbe, L. Rheum. جذر نبات من الفصيلة الزواوية كثير الاستعمال والفائدة وهو مقوٍ بالجرعات الصغيرة وملين بالمعتدلة ومسهل بالكبيرة ومن فوائدهِ ادرار الصفراء فيفيد في اليرقان والاحتقان الكبدي· واهم استحضاراتهِ مسحوق الراوند المركب المعروف بالمسحوق المعدي يعطى ملينا ومقويا للمعدة ومضاداً لزكامها بجرعة كرام ثلاث مرات بالنهار · وشراب الراوند المركب المعروف بشراب الشيكوريا يعطى للاطفال مسهلاً بجرعة ١٠ كرامات فاكثر حسب العمر ويفيدهم في الالتهاب المعوي المصحوب باسهال اخضر ويؤخذ المسحوق مقوياً بكمية ٢٠ — ٥٠ سنتكراماً ومسهلاً بكمية ٤ كرامات ويعوض عنهُ باقراصٍ تخفي طعمهُ

رجل المهر A. Colt's foot, F. Tussilage, L. Tussilago عشبة من الفصيلة المركبة زهورها مفيدة في الزكامات الصدرية وتشبه بخواصها الزهور الصدرية وجذرها من حريف يستعمل معرقاً ومنبهاً للقابلية

الرجلة · انظر بقلة

الرمان A. Pomegranate, F. Grenade, L. Punica Granatum. ثمر شجرة من الفصيلة الآسية قشرهُ قابض يستعمل لتوقيف الانزفة وحبهُ مبرد يحضر منهُ شراب · والزهر قابض مفيد في توقيف الانزفة وقشر الجذر يفيد كثيراً في طرد الدود خصوصاً الدود القرعي وكيفية استعمالهِ ان يؤخذ ٦٠ كراماً من قشر الجذر الطري وتغلى على نار خفيفة في ٧٥٠ كرام ماء الى ان يبقى ٥٠٠ كرام تؤخذ ثلاث دفعات بين كل دفعة واخرى نصف ساعة

الريبس A. Gooseberry or Currant, F. Groseille, L. Ribes ثمر نبات من الفصيلة السكسفراجية طعمهُ حامض مقبول وخواصهُ تشبه خواص كبوش العليق او الفرامبواز

يحضر منهُ شراب يستعمل مبرداً وملطفاً

اما الريباس المعروف في سورية فهو غير هذا و يستعملون منهُ جذع النبات فيأكلونهُ بعد نزع القشرة منهُ وهو حامض مقبول و يحضرون من عصيرهِ شراباً مبرداً يفيد كثيراً في اسهال الاطفال الاخضر

الريحان · انظر آس وحبق

الزبيب · انظر عنب

الزعفران A. Saffron, F. Safran, L. Crocus Sativa هو زهر نبات من الفصيلة الزنبقية يرد من اسيا وقد شاع زرعهُ الآن في فرنسا واسبانيا وافضلهُ المعروف بالزعفران الشعري وهو مدر للطمث يستعمل نقيعاً بنسبة ٣٠ — ١٢٠ سنتكراماً منهُ في ٥٠٠ كرام ماء و يحضر منهُ صبغة وشراب ولا يجوز للحامل استعمالهُ فقد يسبب اجهاضاً

الزعرور · انظر الورد البري

الزنبق A. Lily, F. Lis, L. Lilium نبات عطري من الفصيلة الزنبقية يستقطر من زهرهِ ماءٌ عطري الرائحة يفيد مسكناً ومضاداً للتشنج وتشوى بصلتهُ بالرماد السخن وتستعمل ضماداً لانضاج الخراريج

زنبق الماء الاصفر A. Nymphoea, F. Nénuphare, L Nymphoea ذو زهور بيضاء او صفراء يزعمون انها مسكنة ومنومة وجذورها مجففة للعرق

الزنجبيل A. Ginger, F. Gingembre, L. Zingiber نبات عطري معمر من الفصيلة الزنجبيلية ينمو طبيعيًّا في الهند وجذرهُ حار ورائحتهُ قوية عطرية تحدث عطاساً وتطيب بهِ المربيات والحلويات وخواصهُ منبه ومقوٍ للمعدة ومن الخارج محمر وجرعة مسحوقهِ من ١ — ٢ كرام والصبغة من ٢ — ١٠ كرام

الزوفا A. Hyssop or Wild Thyme, F. Hysope, L. Hyssopus Officinalis شجرة صغيرة من الفصيلة الشفوية روؤسها المزهرة منبهة ومقوية للمعدة وطاردة للريح ومنفثة تفيد بنوع خصوصي في التهاب الشعب المزمن اما نقيعاً بنسبة ١٠ — ١٠٠ او شراباً بجرعة ٣٠ — ٦٠ كراماً

الزيزفون A. Linden, F. Tilleul, L. Tilia Europoea. شجرة جميلة زهورها عطرية معرقة ومضادة خفيفة للتشنج وتدخل في كثير من الادوية وخصوصاً في الادوية الصدرية

الزيتون A & F. Olive, L. Oliva ثمر شجرة من فصيلة باسمهِ يستعمل غذاء وزيتهُ يفيد في تذويب الرمل الكبدي وطردهِ يوْخذ قدح منهُ صباحاً قبل الطعام واذا احدث دواراً اولم تحتملهُ المعدة يوْخذ ١٥ — ٣٠ كراماً ثلاث مرات كل يوم قبل الطعام . وورق الشجر يغلى ويوْخذ لقطع الحمى المتقطعة فيقوم احياناً مقام الكينا وهو ما عدا ذلك مقوٍ للمعدة .

السرو A. Cypress-tree, F. Cyprès, L. Cupressus Sempervirens. شجرة من الفصيلة الصنوبرية أكوازها الطرية قابضة جدًّا وتفقد هذه الخاصة بعد ما تجف . ومثلهُ الشربين وهو نوع منهُ

السفرجل A. Quince, F. Coing, L. Cydonia ثمر شجرة من الفصيلة الوردية يستحضر من بزرهِ مستحلب يفيد قطرة ملطفة ويستعمل لادرار اللعاب وتلطيف الفم والحلق ولتخفيف الامهال ويحضر منهُ شراب تحلى بهِ الادوية المقوية التي توصف في الاسهال المزمن

السماق A. Sumach, F. Sumac, L. Rhus شجرة من الفصيلة البطمية يستعمل ورقها قابضاً ومضاداً للحمى وبزورها حامضة وقابضة

السنامكي او السنا A. Senna, F. Féné, L. Senna نوع اعشاب من الفصيلة القرنية ورقها مسهل كثير الاستعمال يوْخذ عادة مع المن او الراوند او الاملاح المتعادلة ومسحوقهُ ومستحضراتهُ كالخلاصة والصبغة والشراب غير مستعملة واكثر استعمالهِ نقيعاً بنسبة ٨ — ١٦ كراماً ويجوز ان يزاد للبالغين الى ٣٢ كراماً تنقع بماء بارد او على حرارة خفيفة وكثيراً ما تغش اوراق السنا في التجارة فيجب ان ينتبه الى فصل اوراق الغش منها . ومنهُ نوع يجيءُ من جمايكا الى انكلترا يشبه الشاي طعماً ولا يحدث غثياناً ولا مغصاً فيوافق استعمالهُ للاطفال

السنديان A. Oak, F. Chêne, L. Quercus انواع شجر من الفصيلة الكويسية يتولد على جذوعها واغصانها العفص وقشرها قابض طعماً وفعلاً ويستعمل في الصناعة لدباغة الجلد وفي الطب لتنبيه القروح البليدة وقد استعمل قديماً لمضادة الدود واشتهر مسحوق منهُ باسم الكينا الفرنساوية لمعالجة الحميات المتقطعة وهو مركب من مسحوق قشر السنديان ومسحوق جذر الجنطيانا ومسحوق البابونج

الدكتور امين ابو خاطر

التعب العقلي وتأثيره في الجسم

التعب عقليًّا كان او بدنيًّا اذا زاد اضر فاذا احسَّ الانسان بهِ فعليهِ ان يطلب الراحة قليلاً لتتجدد قواهُ قبل ان يستأنف عملهُ ثانية · واذا فعل ذلك وجد في آخر يومهِ ان ما اتمهُ من الاعمال لا يقل عمَّا يتمهُ اذا واصل الانكباب عليها كل ساعات النهار من غير انقطاع وامن فوق ذلك السقطات التي يتعرض لها من يعمل وهو متعب · وهو ضروري للعقل والبدن لا يتقوَّيان الاَّ بهِ ولكنهُ اذا زاد كان لهُ مضار جمة قد تتمكن من الجسم فتلازمهُ .

وقد بحث العلماء كثيراً في تأثير التعب العقلي في الجسم فاثبت بعضهم ان طلبة الجامعات يقل تناولهم للطعام و ينقص وزنهم زمن الامتحانات واذا طال الامتحان كان لهُ في اجهزتهم العصبية تأثير يشبه اعراض النوراستينيا المزمنة

و بحث عالم رومي يقال لهُ اغناتيف في ٢٤٢ تلميذاً بين العاشرة والسادسة عشرة من العمر في احدى مدارس موسكو العسكرية فوزنهم ثلاث مرات المرة الاولى قبل ان يبدأُوا بالاستعداد للامتحانات والمرة الثانية بعد ان فرغوا منها والمرة الثالثة بعد ان عادوا من عطلة الصيف · وكان الفرق بين المرة الثانية والمرة الاولى ان ٧٩ في المئة من التلاميذ نقص وزنهم و ١١ في المئة بقوا على ما كانوا عليهِ و ١٠ في المئة زادوا وكان يجب ان يزيد وزن الجميع لانهم احداث في زمن النمو وزاد وزن ٩ في المئة منهم بعد العطلة ونقص وزن ٤و٦ في المئة فقط وكان فيهم ١٣ تلميذاً لم تكفهم العطلة لتعويض كل ما خسروهُ في الامتحانات · وقد قال اغناتيف ان مثل هذا التأثير الظاهر في البدن لابد وان يتناول الدماغ ايضاً

و بحث غيرهُ في مقدار الطعام الذي يتناولهُ التلاميذ في المدرسة فوجد انهُ يقل كل شهر عما كان في الشهر الذي قبلهُ · ويرى كثيرون ان سبب ذلك هو تأثير التعب العقلي المباشر في اعمال الهضم والاغتذاء لانهُ يعطلها بعض التعطيل وقال البعض ان لهُ سببين آخرين ايضاً اولهما قلة تأكسد الدم وقلة افراز غاز الحامض الكربونيك منهُ لقلة عمل التنفس عند الانكباب على العمل العقلي وثانيهما تجمع الفضلات التي تنشأ عن العمل في الدم وتأثيرها فيهِ تأثيراً كيماويًّا

وقد بحث بعضهم في ١٨ طالباً من طلبة الجامعات و١٧ ولداً بين العاشرة والثانية عشرة قبل ان يبدأُوا بالاستعداد للامتحانات و بعد ان فرغوا منها فكان كل مرَّة يقدّر عدد الكريات الحمراء في دمهم ومقدار الهيموغلوبين فيهِ ومقاومة الكريات الحمراء · فلم يظهر لهُ تغير في عدد الكريات ولكن الهيموغلوبين نقص ١٠ في المئة بعد الامتحانات في طلبة

الجامعات ونقص نقصاً يقرب من ذلك في الاولاد وضعفت مقاومة الكريات الحمراء ضعفاً يقابل الضعف الذي يطرأ عليها اذا تناول الانسان بعض السموم واستنتج هذا العالم من ابحاثهِ هذه ان التعب العقلي يولد في الجسم سمًّا يضعف الدم . ثم بحث ابحاثاً اخرى استنتج منها ان سبب الانيميا في اولاد المدارس هو تجمع سموم التعب في اجسامهم . وقد وجد هلوج ان التعب العقلي يقلل تجدد الكريات الحمراء في الدم وان ذلك يتوقف على صعوبة العمل وطول مدتهِ وفترات الراحة التي تتخللها ومقدار الرياضة او الحركة البدنية والهواء النقي

ولكن بورشمان الروسي اثبت ان الكريات الحمراء يزيد عددها في طلبة المدارس اذا خرجوا للنزهة في العطلات المدرسية وتقل اذا عادوا الى المدرسة واكبوا على دروسهم . وانهُ اذا نُقل الاولاد من مدرسة مسقوفة الى مدرسة تعلمهم وهم في الهواء الطلق ظهر هذا الفرق في دمهم ايضاً

وللجلوس تأثير كبير في التنفس فانهُ يقل في القسم العلوي من الصدر في اثناء الانحناء للكتابة . وقد بحث احدهم في تنفس تلامذة المدارس وهم جلوس فوجد ان ما يتنفسونهُ من الهواء في ثلاث دقائق يقل ٨ في المئة عما يتنفسونهُ في مثلها وهم وقوف واذا طالت المدة ايضاً زاد الفرق

والطلبة الذين ينقطعون لتحصيل العلوم اللغوية والرياضية وغيرها مما لا يقتضي حركة بدنية تكثر اصاباتهم بالامراض اكثر من الطلبة الذين يدرسون الكيمياء والحيوان والطبيعيات ويجرون التجارب والابحاث فيها . وسبب ذلك ان هؤُلاء يذهبون ويجيئون في اثناء اعمالهم اما اولئك فيكبون على الكتب وقلما ينهضون من كراسيهم . وتزيد الامراض بين التلاميذ في اواخر السنة المدرسية وفي زمن الامتحانات وصحة الذين يتعلمون قبل الظهر فقط اجود من صحة الذين يتعلمون قبل الظهر وبعدهُ

وتجنب هذه المضار سهل جدًّا وذلك بان يلتفت صاحب العمل العقلي الى بدنهِ قليلاً ويعطيهُ قسطاً من الراحة والرياضة اليومية التي لا تقتضي بذل قوة كثيرة والخروج في الهواء الطلق . ومن راعى هذه الاعتبارات بقيت لهُ عافيتهُ وامكنهُ القيام باعباء الاعمال الكبيرة

التطهير لمنع العدوى

يراد بالتطهير تنظيف كل ما يتلوث بجراثيم المرض لكي يمتنع امتداد العدوى منهُ . وافضل مطهر النور والهواء فنور الشمس يقتل اكثر جراثيم الامراض اذا تعرضت لهُ نحو

ساعة من الزمن في الهواء الطلق وهو أكبر العوامل التي تعوق تفشي الاوبئة كالطاعون وحمى السجون

الحرارة — اذا اغلي ما يراد تطهيرهُ من خمس دقائق الى عشر في الماء مات ما عليهِ من المكروبات ولكن ذلك قد لا يكفي لقتل كل بزور المكروبات ايضاً فاذا اريد المبالغة في التطهير فلا بد من اتباع طريقة كوخ وهي ان يغلى الشيء مرة كل يوم على مدى ثلاثة ايام فان البزور التي تنجو من الموت في اليوم الاول تفقس في اليوم الثاني فتقتلها حرارة الغليان . واذا كان الشيءُ المراد تطهيرهُ مما يضر بهِ التغطيس في الماء فيمكن تطهيرهُ باطلاق البخار عليهِ مدة عشرين دقيقة في اناء مسدود فيهِ منفذ يخرج منهُ البخار اما ما لا يجوز ان تصل اليهِ الرطوبة فيطهر في اجهزة مخصوصة يحمى فيها الى درجة ٢٥٠ بميزان فارنهيت ويبقى على هذه الحرارة نحو ساعة

الغازات المطهرة — اعمها استعمالاً الحامض الكبريتوس وهو الدخان الذي يتصاعد من الكبريت اذا اشتعل والرطل المصري من الكبريت يكفي لتطهير غرفة تسع الف قدم مكعبة من الهواء . ويجب اشعال الكبريت على صفيحة او في صحن يرفع في الماء منعاً لخطر الحريق ثم تسد نوافذ الغرفة وتغلق شبابيكها وابوابها وتترك على هذه الحال ست ساعات . ويباع غاز الحامض الكبريتوس ايضاً في انابيب يفلت منها في الغرف لتطهيرها

ومن الغازات المطهرة الفورمالين ويولّد من اقراص خصوصية توضع على قطعة صفيح او ما يشبهها فوق قنديل وهذا الغاز لا يضر اثاث البيوت على الاطلاق . ومنها ايضاً الاوزون ويولد بمزج ثلاثة اجزاء من الحامض الكبريتيك القوي بجزئين من برمنغنات البوتاسا

السوائل المطهرة — اهمها السليماني المحلول في الماء جزء منهُ الى ما بين الف جزء وعشرة آلاف جزء من الماء . وهو يجمد السوائل التي تكون في جسم الحيوان كالدم وغيرهِ ويمنع فعلهُ هذا باضافة قليل من الحامض الهيدروكلوريك الى محلولهِ . وبعض مصالح الحكومة الانكليزية ترى ان افضل محلول لهُ هو ما ركب من نصف اوقية من السليماني واوقية من الحامض الهيدروكلوريك و٥ قمحات من صبغة الانيلين الزرقاء القابلة للذوبان و٣ جالونات من الماء وهذا المحلول لا يقتضي نفقة كبيرة ويجوز استعمالهُ لاغراض كثيرة

ومن هذه السوائل ايضاً الحامض الكربوليك يحل جزء منهُ في عشرين جزء من الماء والكريزول يحل جزء منهُ في ٤٠ من الماء ويستعملان في الاغراض التي يستعمل لها محلول

السليماني . ومنها ايضاً الفورمالين يحل منهُ ما بين جزئين وعشرة اجزاء في مئة من الماء وهذا المحلول يفضل على غيرهِ في رش الجدران والهواء والاستار وغير ذلك وهو من المطهرات القوية ولا يضر بالاثاث والورق الذي تغطى بهِ الجدران

طرق التطهير

تطهير البدن — يجب تطهير البدن كلهِ بعد البرء من الامراض المعدية خصوصاً الامراض التي تشتد وطأتها وتنتهي في مدة قصيرة اما بموت العليل او تماثلهِ الى الشفاء كالحمى القرمزية والجدري ويجب تطهير اقسام الجسم التي تلامس العليل او تتعرض لجراثيم الامراض على اي وجه كان ذلك . وخير طريقة لتطهير البدن كلهِ الاستحمام في مغطس من محلول برمنغنات البوتاسا . واذا كان الجلد لا يزال متنفطاً متقشراً بعد الحمى القرمزية فيدهن بالفازلين المعالج بالحامض الكربوليك او بالشحم المعالج بالايثر الاوزونيك . اما افضل طريقة لتطهير اليدين فهي غسلها بالصابون والماء السخن الكثير ويمكن بعد ذلك دهنهما باسفنجة مبلولة في الايثر او تغطيسهما خمس دقائق في محلول الحامض الكربوليك (١ : ٤٠) او محلول السليماني (١ : ٢٠٠٠) او محلول برمنغنات البوتاسا يضاف اليهِ الماء الى ان يصير لونهُ قرنفليًّا خفيفاً وهذا المحلول الاخير يجوز استعمالهُ ايضاً لتطهير الفم

تطهير الغرف — يجب تطهير الغرف اذا نام فيها ذو مرضٍ معدٍ ولا يجوز كنسها ما دام العليل مقيماً فيها بل تنظف ارضها وجدرانها واثاثها بمسحها بخرقة مبلولة وتنزع منها كل ادوات الزينة وما يمكن الاستغناء عنهُ ويعلق على بابها ستار يبل في محلول الحامض الكربوليك (جزء منهُ الى عشرين من الماء) ويعاد بلهُ كلما قارب ان يجف . واذا خرج العليل من الغرفة واريد تطهيرها يلف ما فيها من البسط ويدهن كل ما فيها من معدن لامع بالفازلين لكي لا تؤثر فيهِ ابخرة المواد المطهرة ثم تطهر بعد ذلك بالحامض الكبريتوس او ترش بالفورمالين لكي يتطهر هواؤها وجدرانها . ثم تنزع منها البسط والبرادي والاستار وكل ما يلزم لهُ تطهير انجع من التطهير السطحي بالرش والتدخين وتمسح ارضها جيداً بمحلول الحامض الكربوليك (١ : ٢٠) او محلول السليماني (١ : ١٠٠٠)

تطهير الثياب والاثاث وما اشبه — كل ما ليس لهُ قيمة كبيرة من الخرق والكتب والاوراق وغير ذلك يحرق اما ما يمكن غسلهُ كالاستار وثياب القطن والفلانلا فيغطس في ماء بارد فيهِ خمسة في المئة من الحامض الكربوليك ليزول منهُ كل ما علق بهِ من مفرزات العليل ثم يغلى عشر دقائق وبعد ذلك يجوز غسلهُ مع غيرهِ . اما الفرش والبسط والاستار

وثياب الصوف وما اليها فتطهر اما باحمائها وهي ناشفة او باطلاق البخار عليها او باغلائها في الماء كما تقدم الكلام . وتطهر الكتب التي لا يمكن الاستغناء عنها بتبخيرها بالفورمالين

تطهير المفرزات — تزال مفرزات المريض كبصاقهِ ومبرزاتهِ عن ثيابهِ بتغطيسها مدة قصيرة في محلول الحامض الكربوليك كما تقدم اما المفرزات نفسها فتمزج بمثل حجمها من محلول الحامض الكربوليك القوي (١ : ٥) او محلول الليزول (١ : ٢٠) او غير ذلك من المطهرات قبل ان ترمى في الكنف او المجاري

العناية بالصوت

جلاء الصوت وطيبهُ وجهورتهُ من النعم لانها تزيد وقع الكلام في نفس السامع في الحديث والخطابة وتحبب من اتصف بها الى الناس اذا كان ممن يحسنون الغناء وقد تؤثر كثيراً في نجاح ذوي المهن الكلامية كالمحامين والوعاظ والمعلمين . واكثر ما تكون في الانسان خلقةً ولكن يمكن اكتسابها او تحسينها بالرياضة والعناية . فالصوت مثل غيرهِ من الاعمال التي يقوم بها الجسم يقوى بالاستعمال و يضعف بالاهمال

واول شروط العناية بالصوت توسيع الصدر بالرياضة كأن يخرج من يريد ذلك في الهواء الطلق فيسير على مهل ثماني خطوات وهو يستنشق الهواء من غير عنف الى ان يتسع صدرهُ بقدر الامكان ثم يعود فيخرجهُ على مهل ايضاً في ثماني خطوات اخرى وهلمَّ جرًّا . و يكفيهِ ان يتنفس مرات قليلة على هذا النحو كل يوم ويجب ان يداوم على هذه الرياضة والأَ لم يستفد منها . واذا لم يتمكن من ذلك فيمكنهُ ان يقف منتصباً امام نافذة في غرفتهِ ويرفع يديهِ على مهل الى فوق رأسهِ وهما ممدودتان مالئاً صدرهُ من الهواء ثم يحطها مخرجاً الهواء

وتجب المبادرة الى مداواة كل انحراف يصيب الحنجرة او البلعوم ولو كان طفيفاً ووجع البلعوم العادي او التهابهُ الخفيف يداوى بتنشق كلوريد الامونيوم او الغرغرة بكلورات البوتاس او مذوب ملح الطعام ملعقتان صغيرتان منهُ في كاس ماء بارد او غليسرين الحامض الكربوليك او بالدهن بصبغة اليود او غليسرين التنين . فاذا امتد الالتهاب ايضاً وجب الالتجاء الى الطبيب . واذا كان الالتهاب شديداً وجب الامتناع عن الكلام قطعيًّا وتغيير الهواء في جهة ذات هواء نقي معتدل الحرارة والرطوبة كسواحل البحر الابيض المتوسط



نصائح لابادة دودة اللوز

منشور وزعتهُ نظارة الزراعة في ٣ اغسطس

ان جزءاً كبيراً من ربح محصول القطن يضيع على المزارعين كل عام هباءً منثوراً بسبب دودة اللوز والدودة القرنفلية وما تحدثهُ هاتان الدودتان من التلف العظيم مع ان المزارعين اذا تعاونوا وعقدوا النية على اتباع ارشاداتنا بالدقة فان الدود لا يتعاظم خطرهُ ولا يحدث بمحصولاتهم ضرراً يذكر

ان هذه التعليمات مبنية على الخبرة بحياة هاتين الدودتين فاذا اتبعت فلا ريب في نجاحها ومصلحة كل فرد تقضي عليهِ بان لا يكتفي أن يعتني هو وحدهُ بابادة الآفة بل ان يحث جارهُ ايضاً على ابادتها . فان الفائدة لا تكون عظيمة الاَّ اذا كان كل المزارعين على السواء يعملون على محاربة الدود

واعلموا ان دود اللوز الذي اصاب قطنكم هذه السنة انما هو سلالة الدود الذي اصاب قطنكم السنة الماضية فانكم بعد ان جنيتم آخر جنية بقي على الحطب لوز لم يفتح وهذا اللوز كان في داخلهِ عدد كبير من دود اللوز ومن الدودة القرنفلية ولو اعدم هذا اللوز في العام الماضي لكانت الاصابة بدودة اللوز هذا العام اقل بكثير مما شاهدتم . وهذه السنة يجبركم القانون على ان تنزعوا جميع اللوز الذي لم يفتح بعد الجنية الثالثة ان فعلتم هذا تخف الاصابة بدودة اللوز في السنة المقبلة كثيراً

ان الدود الذي يبقى في اللوز في شهر سبتمبر يتحوَّل الى شرانق ثم يفقس في السنة التالية لكي يتلف قطنكم وفي يونيه و يوليه تجدون دود اللوز متعلقاً بفروخ الشجر اي الفروع النهائية لهُ و يمكن العثور عليهِ بسهولة لان الفرع المصاب يذبل فتجد بجوار الجزء الذابل ثقباً تخرج منهُ مادة رطبة تشبه نشارة الخشب واذ ذاك يجب عليكم ان تضعوا الفرع المصاب بين اصابعكم وتضغطوا عليهِ بشدَّة لتقتلوا الدودة التي في داخلهِ و بعد ذلك الاوان بقليل اعني حوالي شهر يوليه او شهر اغسطس تلاحظون لاول مرة ان الاصابة بلغت اللوز وتلاحظون ان في اللوز المصاب بدودة اللوز ثقباً كبيراً فيهِ مادة رطبة تشبه نشارة الخشب وهو افراز

الدود . اما المواضع المصابة بالدودة القرنفلية فتجدون بها ثقوباً صغيرة جدًّا ويمكنكم اذا جمعتم هذا اللوز وجففتموهُ في فرن كما تفعلون في القطن المبرومة ان تحصلوا منهُ على كمية من القطن .

واعلموا انكم كلما عجلتم بنزع اللوز غير المفتح وابادة ما بهِ من الدود كان ذلك خيراً لكم ولمحصولكم لانكم ان تركتم دودتين تتحولان بحالة تشرنق فان الشرنقة الانثى تبيض والبيض يفقس فينتج مائتي دودة اخرى تفتك بقطنكم من جديد . ولما كان دود اللوز والدودة القرنفلية تنتج ست سلالات في العام اي انها تبيض والبيض يفقس ثم يبيض الفقس والبيض الجديد يفقس وهكذا ست مرات في السنة الواحدة ينتج انكم كلما قتلتم دودة واحدة في يونيه تتلافون ضرر مائة دودة في يوليه وضرر خمسة آلاف دودة في اغسطس وضرر خمسمائة الف في سبتمبر وضرر خمسين مليون دودة في اكتوبر وضرر خمسة آلاف مليون دودة في نوفمبر

وهناك طريقة حسنة اتبعها كثير من المزارعين فنجحوا نجاحاً تامًّا وهي انهم تركوا الماعز والخرفان ترعى في الغيط بعد الجنية الثالثة فاكلت ما على شجر القطن من اللوز والورق . واعدام دودة واحدة في يوليه ينتج عنهُ ان عدد دود اللوز في اغسطس ينقص بمقدار خمسمائة الف دودة وقتل دودة واحدة في اغسطس ينتج عنهُ نقص عدد اللوز في اكتوبر بخمسة آلاف وقتل دودة واحدة في سبتمبر ينتج عنهُ نقص في عدد الدود في اكتوبر بمائة دودة

فيتضح من ذلك جليًّا انكم كلما بكرتكم بقتل الدود كان ذلك خيراً للمحصول . واعلموا ان الحكومة لما امرتكم باعدام جميع اللوز الذي يفتح في ديسمبر انما راعت مصلحتكم لان هذا الاوان هو الاوان الذي يكون قتل الدودة الواحدة فيهِ معادلاً لاعدام خمسة آلاف مليون دودة في اكتوبر من السنة المقبلة فان أبقيتم اللوز المصاب على الشجر فانكم تربون الدود وهو عدوكم اللدود وفضلاً عن ذلك فان القطن الذي تجنونهُ من اللوز المصاب قطن رديء . والافضل ان تنزعوا جميع اللوز المصاب عند اكتشافكم لهُ ثم تحمونهُ في الافران واذا اتبعتم هذه الطريقة تجنون قطناً من اللوز من جهة وتعدمون الدود من جهة اخرى فتمنعون كل ضرر منهُ

واعلموا ان من اهمل منكم في اعدام اللوز الذي لم يفتح ومن لا يتخذ الطرق اللازمة لاعدام دود اللوز في اثناء وجود القطن في الغيط فانهُ يضر نفسهُ ويضر عشيرتهُ ويضر البلاد كلها ويستحق العقاب من الله والناس

والواجب عليكم ان تبلغوا عمدة قريتكم اذا رأيتم جيرانكم يهملون في هذه الامور او لا يعتنون بها حق العناية . انتهى

موسم القطن المصري

سلم القطن من كل الآفات الطبيعية حتى الآن وقد اضرَّ بهِ العطش في بعض الاماكن على اثر التصريح بري الشراقي فانقطعت عنهُ المياه ثلاثين يوماً او اكثر واما اكثر القطن فقد روي ريّاً كافياً وهو الآن على غاية الجودة · ولكن كيف يكون سعرهُ متى جني ومن يشتري بهِ منا هاتان مسألتان غامضتان فيليق بنا ان نجمع كل ما يمكن من الحقائق المتعلقة بهما

بلغ ثمن ما اصدرناهُ في العام الماضي من القطن ٩٣٧ ٧٠٥ ٢٥ جنيهاً وفي العام الذي قبلهُ ٩٩٠ ٦٩٥ ٢٧ · وما اصدرناهُ من البزرة في العام الماضي ٥٢٠ ٢٩٧ ٤ جنيهاً وفي العام الذي قبلهُ ٨٢٦ ٣٤٦ ٥ وما اصدرناهُ من الكسب في العام الماضي ٧٩٦ ٢٩٥ وفي العام الذي قبلهُ ٥٥٦ ٣٦٣ · وثمن كل ما اصدرناهُ في العام الماضي من القطن وبزرتهِ وكسبهِ حسب تقدير الجمارك المصرية ٢٥٣ ٢٩٩ ٣٠ جنيهاً وفي العام الذي قبلهُ ٣٧٢ ٤٠٦ ٣٣ وهاك جدول البلدان المتحاربة التي تشتري منا القطن وبزرتهُ وكسبهُ وثمن ما اشترتهُ كلٌّ منها بالجنيهات المصرية سنة ١٩١٢ وسنة ١٩١٣

سنة ١٩١٢

	انكلترا	المانيا	فرنسا	روسيا	النمسا
القطن	١٢٦٧٨٦٠٦	٢٢١٣٩٨٩	٢٢٨٤٨٣١	٢٠٣٥٦٠٣	١١٨٢٦١٨
البزرة	٢٣٤٩١٠٢	١٥٢٠٣٤٢	٠١٩٤٥٣٧	٣	٠٠١٣٩٣٧
الكسب	٠٣٦٢٥٣٠	...	٩٧١	...	...
الجملة	١٥٣٩٠٢٣٨	٣٧٣٤٣٣١	٢٤٨٠٣٣٩	٢٠٣٥٦٠٦	١١٩٦٥٥٥

سنة ١٩١٣

	انكلترا	المانيا	فرنسا	روسيا	النمسا
القطن	١١١٢٣٢٩٨	٢٤٣٣٧٤٦	٢٤١٤٢٧٤	٢١٩٠٦٢٤	١٥٧٨٥١٧
البزرة	١٦٩٨٧٣١	١٤٨٠٧٠٤	٠١٠٨٥٧٩	١٢	٠٠٠٥٧١١
الكسب	٠٢٩٣٧٨٣	...	٠٠٠٢٠٠٨	...	...
المجموع	١٣١١٥٨١٢	٣٩١٤٤٥٠	٢٥٢٤٨٦١	٣١٩٠٦٣٦	١٥٨٤٢٢٨

ولم نذكر بلجكا من الدول المتحاربة لان ما تأخذهُ من القطن المصري قليل يبلغ ثمنهُ

نحو ثمانين الف جنيه . وسائر القطن يرسل الى الولايات المتحدة وسويسرا وايطاليا واليابان وهولندا فيرسل منهُ الى الولايات المتحدة ما ثمنهُ من مليونين ونصف الى اربعة ملايين من الجنيهات والى سويسرا ما ثمنهُ مليون جنيه والى ايطاليا ما ثمنهُ نحو تسع مئة الف جنيه والى اليابان ما ثمنهُ نحو ستمائة الف جنيه والى هولندا ما ثمنهُ نحو مئة الف جنيه

فانكلترا لا تحجم عن اخذ كفافها من القطن المصري ولو استمرَّت الحرب شهرين او ثلاثة او اكثر لان طريق التجارة مفتوحة اليها وقد تأخذ ايضاً نصيب المانيا كلهُ او بعضهُ . وفرنسا وروسيا تستطيعان ان تأخذا ما اعتادتا اخذهُ من القطن المصري وكذلك اليابان وسويسرا ولا يبقى الاَّ النمسا وما تأخذهُ من القطن المصري قليل يبلغ ثمنهُ مليونًا وربع مليون الى مليون ونصف مليون من الجنيهات واذا اضفنا اليهِ نصف ما تأخذهُ المانيا بلغ ما يمكن ان يقع من العجز في ثمن ما تشتريهِ منا هذه البلدان نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات لا غير

اذا كان الامر كما تقدم (وهذه الارقام صحيحة كلها لانها منقولة عن تقرير الجمارك المصرية) فلا موجب لهبوط ثمن القطن بداعي الحرب . نعم اذا جاء موسم اميركا كبيراً جدًّا فكبرهُ يسبب هبوط سعرهِ حتماً ويترتب عليهِ انخفاض سعر القطن المصري

ولكن اصحاب معامل الغزل والنسج تجَّار ويحاولون بكل جهدهم خفض اسعار القطن لكي يزيد ربحهم ولكي يأمنوا الخسارة اذا حدثت اسباب تدعو الى كساد التجارة . فلا بدَّ لاصحاب القطن من ان يبذلوا جهدهم في رفع اسعار قطنهم لان التجارة حرب كما لا يخفى البائع يغالي ببضاعتهِ والشاري يكسّد فيها الى ان يصلا الى حد اوسط يبقي ربحاً معتدلاً للبائع والشاري

وقد علمنا من بعض تجار القطن في منشستر ان غلاء ثمن القطن لا يقلل ربح اصحاب معامل الغزل والنسج بل يزيدهُ ولكنهم مع ذلك يحاولون ان يشتروا القطن رخيصاً ولا يقبلون بالثمن الغالي الاَّ رغماً عنهم وحينئذٍ يجدون مسوغاً عادلاً لرفع اسعار مغزولاتهم ومنسوجاتهم فيزيد ربحهم

فعلى الحكومة المصرية والحالة هذه وعلى كل اصحاب الشأن في هذا القطر ان يبذلوا كل جهدهم في رفع سعر القطن ومنعهِ من الهبوط . وهم اذا فعلوا ذلك افادوا القطر فائدة مالية كبيرة جدًّا تقدَّر بالملايين من الجنيهات ولم يضروا اصحاب معامل الغزل والنسج بل افادوهم وزادوا ربحهم

مرض لوز القطن
ANTHRACNOSE

يعتري لوز القطن مرض فطري فتظهر عليهِ نقط سوداء ثم يذبل اللوز ويقع. ولا نتذكر اننا رأينا هذا المرض في القطر المصري ولكن لا يبعد ان يوجد فيهِ او يأتيهِ من اميركا اذا تمكَّن البعض من جلب بزر القطن السي ايلند ليجربوا زرعهُ فيهِ فان جراثيم هذا المرض الفطري تكون في بزر القطن نفسهِ فاذا زرع البزر نمت في قلب النبات ووصلت الى لوزهِ وتكاثرت فيهِ فاتلفتهُ

وقد جرَّب اثنان من العلماء وضع بزر القطن في الماء السخن فوجدا ان ما فيهِ من جراثيم هذا المرض يموت ولو لم تكن الحرارة كافية لاماتة بزر القطن ومنع نموهِ فقد وجدا بالاختبار انهُ اذا كانت حرارة الماء على ٧٠ درجة بميزان فارنهيت و بقي بزر القطن فيهِ ١٥ دقيقة لم يقع ضرر بالبزر لانهُ ينمو بعد ذلك كما ينمو غيرهُ ولا يكون فيهِ شيءٌ من المرض الفطري مع ان البزور التي لا توضع في الماء السخن يظهر المرض الفطري في ٢٢ في المئة من نباتها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. و يشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) صدق الاحلام

مصر. احد القراء. اصبحت اليوم وزوجتي تقص عليَّ هذا الحلم الذي رأتهُ قبيل صحوها وقد روتهُ لي على الاثر قالت رأيت الخواجه ... (وعائلتهُ صديقة لعائلة زوجتي) منهمكاً باعداد حفلة جنازة لاخيهِ فلان. والآن تلقيت المقطم وقرأت فيهِ نعي الاخ الثالث لهذين الاخوين فدهشت لصحة الحلم في بعض تفاصيلهِ فان الاخ الذي رأتهُ زوجتي في حلمها فجع باخيهِ ولكن ليس بالاخ الذي رأت زوجتي انهُ هو المتوفى ولم يكن عندنا اقل علم بالحادث سوى ان احد الاخوين الحيين مريض وقد سافر الى سوريا ومن الغريب انها رأت هذا الاخ حيًّا وهو

الذي حلمت انهُ توفي وكانت تستغرب في نومها كيف يحتفَل بجنازتهِ وهو حي فهل تعللون ذلك بانهُ من قبيل الصدف

ج . لا غرابة في انها حلمت بوفاة رجل وهي تعلم انهُ مريض ولكن الغرابة في انها حلمت بوفاتهِ وقتما توفي اخوهُ . ومن المحتمل انها سمعت بوفاة المتوفى في المساء ولم تستوعب الخبر فارتسم في ذهنها بعض ما سمعتهُ وهي لا تدري اي ارتسم في الذهن الباطن فلما استراح ذهنها قبل استيقاظها جمع الوفاة واسم العائلة واسم الرجل الذي كانت تعلم انهُ مريض واسم اخيهِ الآخر والَّف من ذلك حكاية الجنازة على ما روتها لكم

(٢) ازالة الصراصير

الاسكندرية . الخواجه موريس يهودا كوهن هل من علاج يزيل الصراصير

ج . رأينا بالاختبار ان العلاج الاكيد لها هو التفتيش عنها يوميًّا في كل مكان في المطبخ وما جاورهُ ووراء الخزائن والرفوف وما اشبه وقتل كل ما يوجد منها ومن بزورها معسًا او بالماء الغالي وسد كل الثقوب التي يمكن ان تصل بها الى البيت او وضع الصيفونات فيها . فاذا واظب خدم البيت على ذلك مدة انقطعت الصراصير منهُ

(٣) دواء النمش

ومنهُ . هل من دواء يزيل النمش تمامًا

ج . كلاَّ ولكن اذا قلَّ تعرُّض المنموش للشمس وحسنت صحتهُ اختفى النمش منهُ او قلَّ ظهورهُ فيهِ

(٤) ما يراهُ الناظر من الارض

. . . جرجس افندي شخاتيري . اذا وقف المرء على شيء في وسط البحر فكم يرى من مساحة الكرة الارضية بالنسبة اليها

ج . ان ذلك يتوقف على علو الشيء والقاعدة العامة لذلك ان ارتفاع عين الناظر عن سطح البحر اقدامًا يعدل ثلثي مربع بعد ما يراهُ من سطح البحر اميالاً . فاذا كان ارتفاع عينيهِ عن سطح البحر ٢٤ قدمًا فهو يرى الى بعد ستة اميال من كل جهة لان ٦ × ٦ = ٣٦ وثلثا ٣٦ = ٢٤ . والسطح الذي قطرهُ ١٢ ميلاً تعدل مساحتهُ نحو ١١٢ ميلاً مربعًا ومساحة سطح الارض نحو ٢٠٠ مليون ميل مربع فهو يرى نحو جزء من مليوني جزء من سطح الارض . ولا ندري ما هي فائدتكم من حل مسألة عويصة مثل هذه

(٥) قوس قزح دائرة تامة

ومنهُ . اذا فرضنا ان انسانًا صعد ببلون الى علو شاهق وصدف ان الشمس كانت مشرقة والمطر واقعًا فهل يرى دائرة قوس قزح كاملة

ج . نعم وقد رأيناها نحن دائرة كاملة وكنا على اكمة في سويسرا على ما نتذكر الآن ولم تكن كثيرة الارتفاع

(٦) العناصر الكياوية

دمشق . ح . ح كم يبلغ عدد العناصر التي اكتشفت الى الآن وما هي اسماؤُها وما هي المعادن منها وما هو ثقلها النوعي والجوهري وما هي درجات ذوبانها وغليانها وعلى اي درجة تكون جامدة ومقدار انبساطها بالحرارة وتقلصها بالبرودة

ج ان الاجابة على هذه المسائل مهلة بترجمة كتاب في الكيمياء وطبعهِ في المقتطف واسهل منها ان تشتروا كتاباً في الكيمياء وتطالعوهُ

(٧) دائرة المعارف العربية

ومنهُ . هل تمت دائرة المعارف وكم بلغ عدد مجلداتها وما ثمن كل مجلد منها متى انتهت

ج . نرجح انكم تريدون دائرة المعارف العربية التي وضعها البستاني فان كان الامر كذلك فقد صدر منها احد عشر جزءا وآخر جزء منها صدر سنة ١٩٠٠ اي منذ اربع عشرة سنة وهو ينتهي في كلمة عثمانية ولو تمت الى آخر حرف الياء لوجب ان تبلغ اجزاؤُها نحو عشرين جزءا اما الثمن فكان اصلاً ليرة عثمانية لكل جزء وليس لها الآن ثمن معين

(٨) مجلدات المقتطف الاولى

ومنهُ . هل اعدتم طبع المجلدات الاولى من المقتطف على ورق مثل الورق الذي تطبعونهُ عليهِ الآن وكم ثمن كل مجلد

ج . اعدناهُ على ورق رقيق وثمن المجلد من الخمسة الاولى خمسون غرشاً

(٩) انشاء انسيكلوبيذيا عربية

ومنهُ . اقترح عليكم البعض انشاء موسوعة تكون اكبر من دائرة المعارف فاعتذرتم بضيق وقتكم فعلى من تقترحون ذلك

ج . على الحكومة المصرية من حيث ارصاد المال اللازم لهذا العمل . ونقترح ان تكون الدائرة متوسطة لا مسهبة كثيراً ولا مختصرة كثيراً حتى تقع في عشرة اجزاء كبيرة وتكون موضحة بالصور . ولا بدَّ من الاعتماد على الترجمة كأَن تؤْخذ سكلوبيذيا مثل سكلوبيذيا تشمبرس الانكليزية وتترجم ويختصر منها ما هو خاص بالبلاد الانكليزية ونحوها من البلدان الاوربية والاميركية ويتوسع في كل ما هو شرقي وما لهُ علاقة خاصة بالشعوب العربية . ويختار لهذا العمل عشرة من العلماء العارفين باللغة الانكليزية او الفرنسوية او بكلتيهما معرفة تامة مع المعرفة التامة بالعربية والمقدرة على الانشاء فيها ومعرفة العلوم الرياضية والطبيعية كلها علماً وعملاً ويختار لهم مدير او مديران من اكبر العلماء واقدرهم على ادارة هذا العمل . فتجمع اولاً المواد التي يراد ادخالها في هذا الكتاب وترتب على حروف الهجاء وتعين الحصة اللازمة لكل مادة منها من بضعة اسطر الى بضع صفحات وتهيأ الصور اللازمة لها والمظان التي يترجم او يلخص منها او يعتمد عليها في

التأليف ثم توزع المواضيع على العلماء العشرة ولا يصعب على كلٍ منهم ان يكتب ما يملأ مجلداً كاملاً في سنة فيتم عمل الترجمة والتحرير في سنة ثم يتم طبع الاجزاء العشرة في سنة أُخرى على عشر مطابع تشتغل في وقت واحد فتصدر وهي حاوية خلاصة المعارف الى السنة التي صدرت فيها كما صدرت الانسكلوبيذيا البريطانية منذ ثلاث سنوات والمال اللازم لانشاء هذه الدائرة على هذه الصورة لا يقل عن اثني عشر الف جنيه والمال اللازم لطبعها لا يقل عن اثني عشر الف جنيه اخرى اذا طبع منها عشرة آلاف نسخة ويلزم لتجليدها تجليداً بسيطاً متيناً نحو ستة آلاف جنيه فيكون مجموع النفقات ثلاثين الف جنيه ولا يتعذر بيع كل مجموعة منها اي كل عشرة مجلدات بخمسة جنيهات فيبلغ ثمن العشرة الآلاف خمسين الف جنيه يخرج منها جعل الكتبية فيبقى ما يفي بالنفقات ويزيد عليها وتكون الحكومة قد افادت شعبها فائدة علمية وادبية . ويجب ان تعدَّ هذه النفقات من قبيل الاتفاق على المعارف العمومية

وبعد عشر سنوات او حواليها تستعد البلاد لانشاء دائرة اوسع يكون فيها عشرون مجلداً او اكثر ولا يكون انشاؤُها حينئذٍ اصعب من انشاء هذه الآن

ومما يحسن ذكرهُ هنا ان الطبعة الاخيرة من الانسكلوبيذيا البريطانية اشتغل في انشائها اكثر من الف واربع مئة من العلماء الذين يختص كلٌّ منهم بالموضوع الذي كتب فيهِ

(١٠) زرع جوز الهند والنجو

الزقازيق . الخواجه زكي رزق . نرجو الافادة عن مواعيد زرع جوز الهند والنجو وهل تختلف هذه المواعيد باختلاف انواع البزور لانهُ جاءَنا في هذه الآونة بعض منها من الزنجبار

ج اما جوز الهند فيجب ان يختار من شجرة فتية ويترك حتى ينضج جيداً على الشجرة ويقطف حينئذٍ قبلما يجف ويترك بعد قطفهِ شهراً قبل زرعهِ لكي يمتص بعض الرطوبة وتصير قشرتهُ الظاهرة مانعة لدخول الماء ثم يزرع في المنابت ويجب ان تكون في مكان موقي من عصف الرياح وتكون ارضها محلولة وتمزق الى عمق قدمين وتنزع منها كل الجذور وتشق فيها خطوط عمقها نصف قدم ويوضع الجوز فيها على جنبهِ والطرف الذي ينتظر ان يظهر الفرخ منهُ مرتفعاً قليلاً ويترك بين الجوزة والاخرى مسافة قدم ويطمر الجوز بالتراب الأ نحو بوصتين من اعلى الجوزة ثم يغطى الجوز كلهُ بالتبن الى علو نصف قدم ويروى ولا سيما اذا كان الطقس جافاً والغالب ان نحو نصف الجوز لا ينبت او ينبت منهُ نبات ضعيف لا يصلح

للزرع · ولا بد من ري الجوز من وقت الى آخر حتى تبقى ارضهُ ندية ومن نزع كل الاعشاب التي تنبت فيها · وبعد خمسة اشهر الى ثمانية يصير النبات صالحاً لان ينقل الى حيث يراد زرعهُ

فالزمن الذي يزرع فيهِ جوز الهند هو بعد تمام نضجهِ بشهر من الزمان كما تقدم

واما المنجو فيجب ان يزرع بزرهُ حال اخراجهِ من الثمر الناضج لانهُ اذا ترك مدةً جفَّ ولم يعد ينبت · وهو يزرع في الآنية الخزفية التي تزرع فيها الازهار في اغسطس او سبتمبر اي وقتما يخرج من الثمر ويمضي عليهِ شهر مزروعاً قبلما ينبت وحينما يصير عمر النبات نحو سنة ونصف ينقل الى المنبتة في شهر فبراير ويزرع فيها ويجعل البعد بين كل نبتة والتي تليها ٧٥ سنتمتراً ويجب ان تكون ارض المنبتة مسمدة جيداً · وبعد سنة ينقل النبات الى حيث يراد زرعهُ ويزرع والبعد بين الغرس والآخر نحو ستة امتار

(١١) صحراء يسوخ فيها الناس

··· ميخائيل افندي فتح الله جهامي · يقول البعض ان في بعض جهات السودان قطعاً من الارض ترى جافَّة في كل فصول السنة ولكنها بمجرَّد مرور انسان او حيوان عليها تغور بهِ وتظل تبتلعهُ الى ان يختفي فيها وحينما تنزل رجل انسان او حيوان في تلك الارض يتعذر عليهِ سحبها فيقف جامداً الى ان يغوص في باطن الارض · فما هو السبب في ذلك وما هي طبيعة تلك الارض والخاصية التي تجعلها جافَّة ثم تغور بمجرَّد المرور عليها

ج · لماذا تسأَلون عن طبيعة تلك الارض والخاصية التي تجعلها جافَّة ثم تغور بمجرَّد المرور عليها قبلما تسأَلون عن صحة الرواية فالرواية من مخترعات مؤَلفي القصص الفكاهية ونتذكر اننا قرأنا رواية من هذا القبيل عن فيل ساخ بهِ الرمل في وادٍ من اودية جبال حمالايا ولكن مؤَلف الرواية · جعل الارض هناك ندية قريبة من بحيرة فجعل لسوخانها سبباً معقولاً وهو رطوبتها · ومن ذلك قول العرب بطحاء سوَّاخي وهي التي تسوخ فيها الاقدام والسوَّاخي طين كثر ماؤُهُ

(١٢) شروط القروض الدولية

جوندباهي بالبرازيل · الخواجه حسيب ابو خلف · ما هي اهم الشروط التي يطلبها المتمولون حينما يقرضون احدى الدول عدا معدل الربا

ج · ضمان ربا اموالهم اما بجمارك الدولة او بدخل بعض بلادها فبعض الدين المصري كان مضموناً باطيان الدائرة السنية وقد بيعت الآن واوفي هذا الدين وبعضهُ كان مضموناً باطيان الدومين فاوفي من ريعها ومما بيع منها وبعضهُ وهو الاكثر مضمون باموال اكثر مديريات القطر المصري

(١٣) الاسمرار بسبب الاستحمام

مصر . الخواجه عزيز كريديان . لاحظت انهُ اذا استحمَّ الانسان بماء البحر او ماء النهر اسمرَّ لون بشرتهِ وقد يكون الاسمرار من الاستحمام بماء البحر اشد منهُ بماء النهر فهل للنور الخفي فعل في ذلك

ج . ان صحَّ ما ذكرتم فيكون من التعرض لنور الشمس سواءٌ كان خفيًّا او ظاهراً لانهُ يؤَثر في البشرة

(١٤) قص الاظافر

ومنهُ . اصبحت عادة عند بعض الناس لا بل مودة دارجة ان يعتنوا بالاظافر فلا يقصونها بل يتركون جزءا منها نافراً ثم يقصون اللحم حول الاظافر بالمقراض ويستعملون الادوية المختلفة لازالة بعض البياض الذي يظهر على الاظافر وجعلها حمراء براقة فهل هذا العمل صحي

ج . ان تنظيف الاظافر حتى لا يتجمع عليها ولا تحتها شيء عمل صحي ولكن ترك جانب منها طويلاً يعرضها لتجمع الاوساخ تحتها والانسان يحتاج الى اظافرهِ فلا بأس بتركها طويلة قليلاً حتى تساوي سطح الانملة وتكون مستديرة باستدارتها فتبقى قوية . واما اذا دققت من رأسها حتى صارت كمخالب النسر ضعفت وزالت الفائدة من طولها ولا بدَّ على كل حال من بقائها نظيفة هي وما تحتها واما الادوية التي تحمرها فمن اساليب التأنق وقد تضرُّ بها ولا نرى لها فائدة



سكان الولايات المتحدة

قدَّر ديوان الاحصاء في الولايات المتحدة ان عدد سكانها بلغ ٣٢٤ ٧٨١ ٩٨ نفساً في اول يوليو هذه السنة وعدد سكانها وسكان البلاد التابعة لها ٩٩٢ ٠٢١ ١٠٩ وفي ١٥ ابريل سنة ١٩١٠ كان عدد سكانها ٢٦٦ ٩٧٢ ٩١ وعدد سكانها مع سكان البلاد التابعة لها ٢٦٩ ٧٤٨ ١٠١ فزاد عدد سكانها سبعة ملايين في اربع سنوات . وفيها الآن ثلاث من المدن في كل منها اكثر من مليون نفس واولاها نيو يورك وعدد السكان في اقسامها الخمسة ٥٣٧ ٣٣٣ ٥ ومنها قسم واحد وهو نيو يورك الاصلية اومنهتان عدد سكانهِ ٧١٦ ٥٣٦ ٢ وقسم بروكلن عدد سكانهِ ٦٩٦ ٨٣٣ ١

والثانيـة شيكاغو وعدد سكانهـا ٢٣٩٣٣٢٥ ٠ والثالثة فيلادلفيا وعدد سكانها ١٦٥٧٨١٠ ٠ وفيها ست مدن سكان كلٍّ منها اكثر من خمس مئة الف نفس وهي

سنت لويس	وسكانها	٧٣٤ ٦٦٧
بوستن	«	٧٣٣ ٨٠٢
كلفلند	«	٦٣٩ ٤٣١
بلطيمور	«	٥٧٩ ٥٩٠
بتسبرغ	«	٥٦٤ ٨٧٨
دترويت	«	٥٣٧ ٦٥٠

اولاد الذئاب

قلما نجد لغة الاَّ وفيها قصة او قصص عن اطفال تُركوا في غاب فحنَّت عليهم ذئبة وارضعتهم فعاشوا ونشأُوا كالبهائم : ولا دليل على صحة شيء من ذلك ٠ وقد جاء الآن من تيني تال ببلاد الهند انهُ وُجدت في غياضها ابنة عمرها نحو تسع سنوات لاتأكل الاَّ العشب لها شعر غزير على رأسها وجانبي وجهها وظهرها وفي بدنها علامات تدل على انها طُعّمت وهي طفلة للوقاية من الجدري والظاهر انها تركت في الغاب صغيرةً فعاشت فيهِ كالبهائم

قِدَم التحنيط

كان المظنون ان المصريين القدماء لم يشرعوا في تحنيط موتاهم الاَّ من عصر الدولة السابعة عشرة ولكن وجدت الآن اجسام مصرية محنطة تدلُّ على ان التحنيط قديم جدًّا في هذا القطر من زمن الدولة الخامسة او اقدم منها وان تحنيط الموتى بقي مستعملاً في هذا القطر الى زمن الفتح الاسلامي في القرن السابع

ذهب فيلبين

استخرج الاميركيون من معادن فيلبين سنة ١٩١٢ ما ثمنهُ ١٢٠ ٣٥٦ جنيهاً منها ٢٧٥٨٢ اوقية من الذهب تساوي ١١٨٧٩٤ جنيهاً

خلاصة البحث عن السرطان

التأم رجال المعهد الملكي الانكليزي الذي يبحث عن السرطان في ٢١ يوليو الماضي برئاسة دوق بدفورد وحضر اجتماعهم كثيرون من كبار الاطباء مثل السر دغلس بُول والسر توماس بارلو والسر ركان غودلي والسر وليم تشرتش والسر وطسن تشين والسر جون تويدي والاستاذ سمس ودهد ٠ فتلا الدكتور باشفورد تقريراً عن اعمال المعهد في العام الماضي ذكر فيهِ خلاصة ما تمَّ حتى الآن من البحث عن حقيقة السرطان وعلاجهِ وكل ما يتعلَّق بهِ فقال

اولاً ان الاورام السرطانية التي جُرّب نقلها من حيوان الى آخر على نوعين

مختلفين النوع الواحد وهو اقلها لا تتولد منهُ مواد تقاوم نموهُ فهذا ينمو ويزيد . والنوع الثاني وهو اكثرها يولّد في الجسم اشياء تقاوم نموهُ وتكاثرهُ وهذا يضعف رويداً رويداً ويزول . والظاهر ان التجارب التي جربها بعض الاطباء في الفيران وقالوا ان الاورام السرطانية التي نقلت اليها شفيت من نفسها كانت الاورام التي جربت فيها من هذا النوع الاخير ولو جربوا اوراماً من النوع الاول لوجدوا انها لا تشفى

وثانياً تقدّمت التجارب لمعرفة حقيقة المقاومة المشار اليها آنفاً ولتوليدها في الحيوانات حتى توقى من السرطان

وثالثاً ادعى ابدرهلدن ان مصل المصابين بالسرطان اذا وضع في انبوب زجاجي مع نسيج سرطاني حلّ النسيج السرطاني او هضمهُ ومصل الاصحاء لا يفعل ذلك. وقال باستعمال هذه الطريقة ككاشف عن وجود السرطان في الجسم ولكن لا دليل على صحة هذا الكاشف للاعتماد عليهِ

ورابعاً ان الوفيات بالسرطان آخذة بالازدياد فقد كانت ٥٠٠ من كل مليون من النساء سنة ١٨٦ وبلغت منذ ثلاث سنوات ١٠٨٨ من كل مليون منهنَّ وكانت ٢٠٠ من كل مليون من الرجال فبلغت ٨٩١ . والنساء اللواتي بلغن سن الحادية والثلاثين كان يموت منهنَّ بالسرطان سنة ١٨٨٩ واحدة من كل ١٢ وقد مات منهنَّ بالسرطان اثنتان من كل ١٥ امرأة سنة ١٩١١

وخامساً انهُ لم يقم دليل حتى الآن على ان السرطان يأتي بالوراثة نعم انهُ حدث في الفيران ان ميلها الى السرطان يزيد اذا كان احد اسلافها مصاباً بهِ ولكن بشرط ان لا يتعدَّى الجدَّة

وسادساً ادَّعى البعض ان من البيوت ما يعرّض سكانهُ للاصابة بالسرطان فجرى البحث المدقق في ذلك وظهر منهُ ان لا صحة لهذه الدعوى وكذلك لا صحة للقول بان اقفاص بعض الحيوانات والطيور تكون سبباً للعدوى بالسرطان . ولم يثبت ايضاً ان الاتصال بالمصابين بالسرطان يعرض الانسان او الحيوان للاصابة بهِ

مذنب دافان

اكتشف هذا المذنب في شهر دسمبر الماضي وقد جعل نور الشمس يخفيهِ منذ ابريل وسيبلغ نقطة الراس اي معظم قربهِ من الشمس في ٢٦ اكتوبر وهو يرى الآن في الجو قرب الصباح مثل نجم بين القدر الخامس والسادس وشكلهُ مستدير والمرجح ان اشراقهُ يزيد في هذا الشهر والشهر التالي (سبتمبر واكتوبر) حتى يظهر جليًّا لعين الرائي قُبيل الفجر . وكان في السماء مذنب

آخر مرَّ في نقطة الراس في ١١ فبراير الماضي ولكنهُ ضعيف النور جدًّا ولا يرى الآن الاَّ بالنظارات الكبيرة

قوة الزنابير على الرفع

راقب بعضهم الزنابير وهي تحمل قطعاً من الحجارة وتطير بها فوجد ان الزنبور الذي ثقلهُ ٧٦ من الف من الغرام يحمل حجراً ثقلهُ ٣٤٧ من الف من الغرام اي انهُ يحمل ما ثقلهُ ثقل اربعة زنابير ونصف وهذا ما لا يقدر عليهِ اقوى الطيور

السر غاستون مسبرو

استعفى السر غاستون مسبرو من ادارة مصلحة الآثار المصرية بعد ان اقام في هذا المنصب سنين كثيرة وعمل فيهِ اعمالاً جليلة والَّف كتباً كثيرة في الآثار المصرية وما يتعلق بها خلَّدت اسمهُ بين علماء العاديات وقد عرض منصبهُ على المسيو لاكو مدير مدرسة العاديات الفرنسوية في القاهرة

مدافن مصرية قديمة

اكتشف الاستاذ هوتمور والمستر ويتريط مدافن من عهد الدولة الثامنة عشرة قرب سوهاج ووجد لورد كارنرفون والمستر هورد كارتر مدفن الملك امنهتب الاول في المكان المسمى ذراع ابو النجا وكان علماء الآثار المصرية يعتقدون وجودهُ هناك

الكسوف الجزئي

وقع كسوف الشمس في ٢١ اغسطس كما اوردنا عنهُ في مقتطف يونيو الماضي في باب الاخبار وكانت السماء خالية من الغيوم فراقبناهُ من بداءتهِ الى قرب نهايتهِ ولما بلغ معظمهُ قلَّ النور كما يقلُّ اذا دنت الشمس من المغيب واكثر ممَّا يقل اذا احتجبت بالغيوم

اشعال القنابل عن بعد

قالت جريدة السينتفك امريكان نقلاً عن جريدة ايطالية ان مهندساً ايطاليًّا يقال لهُ جوليو اوليفي اكتشف طريقة يشعل بها القنابل عن بعد بالنور الخفي الذي يقع فوق البنفسجي في الطيف الشمسي . وقالت ايضاً انهُ جرب ذلك بحضور جم غفير من الناس في مدينة فلورنسا فاشعل اربع قنابل القيت طافية في النهر وهو في جبل هناك على عشرة اميال ونصف ميل منها . ويقول اوليفي انهُ يستطيع نسف القلاع والبوارج والمخازن اذا كان فيها مواد قابلة للانفجار فان صح هذا الاكتشاف فسيكون لهُ شأن كبير في الحروب

منشفة هوائية

حظرت اكثر الولايات المتحدة في اميركا على المطاعم والحمامات وغيرها استعمال مناشف عمومية ينشف بها انسان بعد آخر

منعاً لنشر الامراض . فانبرى بعضهم لاكتشاف ما يقوم مقام المنشفة ولا يترتب على استعمالهِ محذور . ومن جملة ما اخترع لذلك منشفة هوائية هي عبارة عن صندوق لهُ جهاز كهربائي يدفئ الهواء ويدفعهُ في الصندوق . فاذا اراد انسان تنشيف يديهِ فليس عليهِ سوى ان يدخلها في هذا الصندوق ويضغط برجلهِ على خشبة مخصوصة فتنشفان في نصف دقيقة

رحلة امير موناكو العلمية

خرج امير موناكو في رحلة بحرية علمية من ٢٢ يوليو الى ١٠ اكتوبر من سنة ١٩١٣ فجال في الاوقيانوس الاتلنتيكي بين اوربا واميركا الشمالية باحثاً عن الحيوانات البحرية . وقد دقق البحث في نوع تحقق انهُ يعيش في قاع البحر على عمق ٣٠٠٠ قدم ويصعد ليلاً الى ان يصبح على ٣٠٠ قدم فقط تحت سطح الماء . والغريب في هذا الحيوان احتمالهُ للفرق بين الضغط في قاع البحر والضغط قرب سطح الماء

مقياس لعكر السوائل

صنع اميركي يقال لهُ المسترولز مقياساً لعكر السوائل يوجه بهِ شعاع نور الى السائل المراد قياس عكرهِ ثم يحرف بموشور الى آلة تقيس قوتهُ ويقدر مبلغ السائل من العكر بالفرق بين النور الاصلي والنور المحروف

قمر تاسع للمشتري

اكتشف المستر نكلسن جسماً صغيراً قريباً من المشتري في مرصد لك بكليفورنيا وهو يظن انهُ قمر من اقمار المشتري لم يكشف قبلاً لصغرهِ فان قطرهُ نحو ٤٠ ميلاً فقط فهو اصغر من القمر الثامن

نبات متحرك

في بستان النبات (رجنت بارك) ببلاد الانكليز نبات اسمهُ العلمي Desmodium gyram من فصيلة الفول في كل ورقة من اوراقهِ ثلاث وريقات الوسطى منها ثابتة لا تتحرك والجانبيتان تتحركان دائماً الى اعلى والى اسفل . وقد وجد الاستاذ روس ان هذه الحركة ذاتية مثل حركة القلب في الحيوان

نور النجوم

قال الدكتور ديزون في خطبة تلاها في المعهد العلمي بمدينة لندن انهُ يظهر من مقابلة ابعاد النجوم بمقدار اشراقها او النور الواصل منها الينا ان في الفلك بيننا وبين ما بعدهُ عنا مئة برسك[1] نجوماً يختلف عددها واشراقها حسب ما ترى في الجدول التالي

(١) البرسك parsec يعدل مئتي الف مرة بعد الارض عن الشمس

٢٤ نجماً اشراق كل منها مثل ١٠٠ شمس
٣٤٠ " " " " " " ٥٠ شمساً
١٣٥٠ " " " " " " ٢٥ "
٤٨٤٠ " " " " " " ١٠ شموس
٢٣٢٠٠ " " " " " " شمس واحدة
٩٣٣٠٠ " " " " " " $\frac{1}{10}$ شمس

فنجم القطب من النوع الاول لان بعده عنا عشرون برسكاً اي اربعة ملايين مرة بعد الشمس عن الارض فلو كان بعده عنا مثل بعد الشمس فقط لظهر لنا مشرقاً كمئة شمس مثل شمسنا وهو الآن من القدر الثاني

وفي السماء نجوم ابعد من نجم القطب واشد منهُ اشراقاً من ذلك ٢٦٩ من النجوم الحمراء اللون بعدها عنا نحو الف برسك اي مئتا مليون مرة بعد الشمس عن الارض فلو كانت الشمس بعيدة عنا كذلك لظهرت لنا مثل نجم بين القدر الخامس عشر والسادس عشر ولكن هذه النجوم بين القدر ٩½ والقدر ١١ ولذلك فاشراقها اشد من اشراق الشمس ٢٥٠ مرة الى ٦٣ مرة

وتختلف كثافة النجوم باختلاف بعدها عنا فاذا حسبنا كثافة التي على مئة برسك منا واحداً فالتي على خمسين برسكاً كثافتها ١,٣٠ والتي على ٢٠٠ برسك كثافتها ٠,٧٠ والتي على ٣٠٠ برسك كثافتها ٠,٤٨ والتي على اربع مئة برسك كثافتها ٠,٣٢ والتي على ٥٠٠ برسك كثافتها ٠,٢١

والنجوم الصفراء اللون هي اقرب النجوم الينا غالباً وعشرها بعده عنا اقل من مئة برسك وعشرها بعده عنا اكثر من ٥٠٠ برسك والثمانية الاعشار الباقية بين بين

واذا تقدمنا من النجوم التي لونها اصفر الى النجوم التي لونها ازرق او برتقالي رأيناها تزيد بعداً عنا · و ٩٠ الى ٩٥ في المئة من النجوم اشد اشراقاً من الشمس

الراديوم في الزراعة

ان النفايات التي تفضل بعد استخراج الراديوم يبقى فيها شيء قليل منهُ يتعذر استخراجهُ منها فتباع بثمن بخس وقد ظن البعض انها تفيد في انماء المزروعات فجربها ووجد انها تزيد نموها

النتروجين والكلور في ماء المطر

بحث احدهم في ما يحتويهِ ماء المطر من النتروجين والكلور فوجد في كل الف جزء منهُ ٠,٩٣١ من الجزء من الامونيا و ١,١٣ من الجزء من الامونيا الالبومينويد و ٠,٠٠١٨ من النتريت و ٠,١٥ من النترات و ٤,٨ من الكلور · ووجد في كل الف جزء من الثلج ٣,٣٥ من الامونيا و ٣,٨٤ من الامونيا الالبومينويد و ٠,٠٠٢١ من النتريت و ٠,١٩ من النترات و ٤,٧ من الكلور

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخامس والاربعين

صفحة

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الخامس والاربعين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩١٤ — الموافق ١١ ذي القعدة سنة ١٣٣٢

الوراثة

من خطبة الاستاذ باتسون رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني

(استهل خطبتهُ بمقدمة وجيزة شكر فيها الذين سهّلوا انعقاد المجمع في استراليا واشار الى موت السر دافيد جل الفلكي المشهور واحد الذين رأسوا المجمع سابقاً ثم قال :—)

قد اخترت الوراثة موضوعاً لكلامي وساجرب ان آتي على خلاصة الاكتشافات التي ادّى اليها البحث على طريقة مندل والطريقة التحليلية ثم اترك لكم التفكير في استنتاج ما يمكن استنتاجهُ من هذه الحقائق الفسيولوجية اذا طُبّق عليها مذهب النشوء عموماً وتاريخ الانسان الطبيعي خصوصاً

لم يُنتبه لاهمية الوراثة الاَّ منذ زمن قريب ولم يكن لكلمة «الوراثة» معنى علمي قبل هربرت سبنسر

يتكوَّن الحيوان والنبات من جزء حي ينفصل من حيوان او نبات مثلهِ وتكون قواهما وصفاتهما موجودة بالقوة في اصلها الفسيولوجي · وكل منهما نتيجة عمل توليدي لم يعتنَ بالبحث فيهِ بحثاً علميًّا منظماً الاَّ من عهد حديث · وقد كان ما في الطبيعيين من الميل الى الاطلاع على حقائق الامور يستلفت انظارهم الى هذه المسألة دائماً ولكنهم لم يتحققوا ان معرفة القوانين التي يسير عليها تكوُّن الاجنة ضرورية جدًّا لمعرفة طبائع الاحياء الاَّ حديثاً · اما عامة الناس فقلَّ منهم من يعرف شيئاً عن ذلك

يتباحث علماء التاريخ في ماضي نوع الانسان وينظم رجال السياسة حاضرهُ ويدَّعون تسيير مستقبلهِ كأن الحيوان المعروف بالانسان على ما بين افرادهِ من كثرة الاختلاف في القوى هو مادة متماثلة في جميع اجزائها يمكن سبكها كما يسبك الرصاص من غير ان يطرأ عليها تغير ما

وسبب هذا الاهمال هو التغاضي عمَّا بين افراد الانسان من التباين والخطأُ في فهم معناهُ. ولا يظهر ما للوراثة من الاهمية في كل مذهب من المذاهب التي يقول بها العلماء في النشوء الأ متى علم اختلاف الناس في الصفات التي تولد معهم وما لهذا الاختلاف من الاهمية

انَّا مدينون لداروِن بمعرفة اهمية التباين لانهُ اول من ادركها حق الادراك. والقائلون بالنشوء اليوم يعرفون اكثر من علماء القرن الماضي انهُ قام كثيرون من الذين فكَّروا في النشوء وقالوا بهِ قبل ان ظهر كتاب اصل الانواع. وقد عرفنا ايضاً ان الانتخاب الطبيعي لا يمكن ان يكون العامل الاكبر الذي ميَّز انواع الحيوان والنبات حتى اصبحت على ما هي عليهِ اليوم فزدنا شكًّا في ان تغير احوال المعيشة يعقبهُ تكيف الحي مباشرة وكان داروِن يعير ذلك اهمية كبيرة. ولكن لا يستطيع احد ان ينكر ان داروِن كان اول من جمع حقائق كثيرة تبيّن ان الاحياء قابلة للتغير

وقد جُمعت بعض الحقائق الدالة على ذلك قبل داروِن واخص من عُني بجمعها طائفة من العلماء الفرنسويين على الخصوص غودرون. ومما يجب ان يذكر في هذا المقام بحث ولاستون الذي يكاد يكون منسيًّا. ولكن كتابات هؤُلاء ليست الأ نتفاً في جنب ما عملهُ داروِن. وقد اعتقد داروِن ان قابلية التغير طبيعية في الاحياء وعلينا ان نحقق هل لهذا الاعتقاد اساس راهن ام لا ولكننا نرجئ النظر في ذلك الآن ونقول ان معرفة شيوع التباين في الطبيعة على وجه عام بدأَت بداروِن

اذا كان جماعة من الناس غير متماثلين بل يختلف بعضهم عن بعض كثيراً فكيف تتوزع صفاتهم في نسلهم. هذه هي المسأَلة التي يسعى الباحثون في الوراثة الى حلها. وكان يظن ان طرق الوراثة يمكن معرفتها بمراقبة نمو الحي وهو جنين الى ان يتم خلقهُ اي مراقبة تكوّن الحي من حي آخر. وقد اوصل البحث في هذا السبيل الى معرفة حقائق لا يستهان بها. فرأَى العلماء كل ما يمكن رؤْيتهُ بالوسائل التي لدينا الآن ولكننا لم نخطُ نحو حل المسأَلة الاصلية (اي كيفية توزع الصفات) الأ قليلاً او لم نخطُ على الاطلاق. ولا نرى شيئًا نقدر ان نحللهُ اكثر مما حللناهُ حتى الآن اي لا نرى شيئًا نقدر ان نفسرهُ بما يقرب من الفهم اكثر من الاعمال الفسيولوجية نفسها. فالامبريولوجيا (علم الاجنة) لم تساعدنا في ذلك مباشرة والسيتولوجيا (علم الخلايا) قد فشلت ايضاً على ما ارى. فقد تختلف هنات الكروموسوم (Chromosomes) كل الاختلاف في عددها وحجمها وشكلها بين مخلوقين يقربان الواحد من الآخر كثيراً. وليس سوى شاهد واحد يقوي الرجاء القديم بان توجد علاقة بين صفات

الجسم الظاهرة وبين صفات هنات الكروموسوم واعني بهِ الهنة الزائدة التي تمتاز بها الجُمع [1] الذكرية (spermatozoa) التي ينشأ منها اناث لدي التلقيح في كثير من الحيوانات . وهذه ايضاً لا يمكن القول بانها سبب الانوثة والذكورة اذ قد تكون مزدوجة في اشكال تقرب كثيراً من اشكال اخرى تكون فيها غير مزدوجة او زائدة . ثم انها قد توجد وقد لا توجد مثل غيرها من الصفات الجنسية العرضية . وما دمنا لا نقدر ان نفرق الصفات السيتولوجية في النسيج الواحد من الجسم عن الصفات التي تقابلها في نسيج آخر فالامل بان نرى فرقاً بين جُمَع الانواع المختلفة ضعيف

وقد غيّرنا هذه الخطط التي كنا نسير عليها في البحث وجأنا الى خطة اخرى يظهر لاول وهلة انها لا تمكننا من التشوف الى الاكتشافات الكبيرة وذلك لان مجالها اضيق على الراجح اما مساسها بالموضوع فليس اقل من مساس تلك. اذا كنا لا نقدران نرى كيف يولَّد الدجاج من بيضهِ واللوبياء من بزرها ففي امكاننا على الاقل ان نرى كيف تتوزع صفات الانواع المختلفة من الدجاج واللوبياء في نسلهما . واذا قسمنا المسألة الى اجزائها على هذه الطريقة هان علينا كشف الحقائق . وقد سمي هذا النوع من البحث بالبحث المندلي نسبة الى مندل لانهُ كان اول من اشتغل بهِ . ولكن مندل لم يطرق المسألة لاغراض مثل التي ذكرتها فقد كان غرضهُ ان يتحقق المميزات التي تميز الاجناس بعضها عن بعض في حال تكونها ولم يذكر الوراثة في كتاباتهِ ولكن يتضح من كلامهِ انهُ كان ينوي مدَّ ابحاثهِ اليها . وقد لقح تباينات النوع الواحد بعضها من بعض فجمع صفاتها في نتاجها ثم اخذ يبحث في ظهور هذه الصفات في انسال هذا النتاج . ولم يجرب احد قبل مندل ان يحل هذه المسائل ولا خامر ذهن احد ان للتسلسل قانوناً يسير عليهِ . والصفات التي تميز افراد البشر بعضهم عن بعض كثيرة لا تجري على قاعدة حسب الظاهر وقد تمسَّك الاقدمون بذلك واتخذوهُ شاهداً على الوراثة عموماً

وقد كان للتعبير عن الاصل بكلمة « الدم » شأن كبير في تضليل الافكار من هذا القبيل (وهذا التعبير كثير الاستعمال في اللغات الافرنجية) فنقول هذا دمهُ خالص (يريدون انهُ اصيل) وهذا نصف دم . والدم سائل يمكن تغيير كمهِ وكيفهِ بمزجهِ بسوائل اخرى كما يمزج الشراب بالماء . ولما كان الدم في عرف الفسيولوجيا القديمة مقر الحياة وقوامها فمن الطبيعي ان يتدرج الناس من الاعتقاد بامتزاج الدماء واجتماع الصفات بواسطة امتزاجها الى الاعتقاد

(1) الجمع جمع جمعة ترجمنا بها كلمة gamete الافرنجية التي معناها نطفة الذكر ونطفة الانثى اللتان تتجامعان . انظر ما كتبناهُ عن الوراثة في المجلد ٣٣ صفحة ٦٦٦ من المقتطف

بان اجزاء المزيج اذا امتزجت لا يمكن فصلها بعضها عن بعض وانهُ يمكن مزجها بالمقادير التي يريدها المازج . اي ان مسألة الوراثة مسألة قياس لكميات تمتزج بعضها ببعض . وتعبير العبرانيين عن الاصل بالبذار تلابسهُ صور عقلية اقرب الى الحقيقة من الصور التي تلابس تعبيرنا . فاذا قلنا ان فلاناً من الدم الملكي خطر على بالنا حالاً دم السوقة الذي يمازجهُ واخذنا نفكر في مقدار الدم الملكي في عروقهِ . ولكن اذا قلنا فلان من بذار ابرهيم شعرنا نوعاً من الشعور بابدية تلك الجرثومة التي يمكن قسمتها وتوزيعها على جميع الشعوب وتظل آثارها ظاهرة في ملامح البشر واخلاقهم بعد مرور اربعة آلاف سنة

اعرف رجلاً من مربي الحيوانات كان يقتني صندوقاً فيهِ زجاجات مملوءة سوائل ملونة يشير بها الى ما عندهُ من اصناف الكلاب فيمزج هذه السوائل بعضها ببعض على نسب مختلفة للدلالة على ما يحويهِ كل كلب من كلابهِ من دم غيرهِ من الكلاب التي يتصل بها نسبهُ . وقد غلط غالتون مثل هذا الغلط حين وضع نظامهُ للوراثة ولكن الابحاث الحديثة قد جلت كل ذلك . فالصفات التي يرثها النسل من سلفهِ لا تتوقف على صبغة تنتقل من هذا الى ذاك بل على انقسام الخلايا في الحي في اول اطوار حياتهِ حينما تنبذ بعض الاصول التي تقابل بعض الصفات ويبقى غيرها . اما ما هي هذه الاصول فلا ندري . ولا شك في انها تأتي من مادة الجُمَع الانثوية والذكرية ولكن يبعد ان تكون اجساماً مادية كما نتصور المادة . ولعل صفاتها تتوقف على الاوضاع التي تتخذها . ومهما كان من امرها فالتأصيل التحليلي يبين ان صفات النسل تتوقف على توزعها . وعلى العلماء الذين يبحثون في تكوين الاحياء ان يحققوا عددها وتأثير بعضها في بعض وبعد ذلك يقدمون على تحليل انواع الاحياء فشجرات النسب كالحجج التي تعطى للحيوانات الاهلية لاثبات اصلها وانتماء الافراد الى اسلافهم لا تفيد شيئاً . وهذه الوسائل كلها لا تبين ما يراد تبيينهُ منها اي كون «الدم» خالصاً لاننا صرنا الآن نعرف معنى هذا التعبير من الوجهة الفسيولوجية . فالحي يكون اصيلاً اذا نشأ من اتحاد خليتين من الخلايا الجرثومية وكانت الاصول التي تنشأ منها الصفات في الخلية الواحدة مثلها في الاخرى تماماً . ولما كانت اصول الصفات المختلفة مستقلة بعضها عن بعض كان لا بد من النظر في كل صفة على حدة ليعرف هل النسل اصيل فيها ام لا . فقد يكون الرجل اصيلاً في مواهبهِ الموسيقية وغير اصيل في لون عينيهِ وشكل فيهِ . ولا نعرف شيئاً عن كنهِ هذه الاصول ولكننا مع ذلك نعرف كثيراً عن فعلها . فعليها يتوقف طول الانسان ولونهُ وشكلهُ وغرائزهُ وقواهُ العقلية والبدنية وكثير من صفات الحيوان والنبات حتى انهُ

يحق لنا ان نتوقع ان البحث على طريقة التحليل سيظهر ان هذه الاصول هي سبب كل الفروق بين افراد النوع الواحد . ولا اقول انها سبب الفروق الكبيرة التي تميز نوعاً من الاحياء عن نوع آخر مستقل عنهُ على ان الحقائق التي لدينا تقوي الظن بانها تميز الانواع وهذه الحقائق التي قدمتها صارت من المقررات التي يفهمها كل ارباب العلم وقد كثر شرحها وايضاحها فلا ارى لزوماً لسرد الشواهد عليها في هذا المقام ولكنني مورد هنا خلاصة ما عرف من هذا القبيل لافادة الذين لا يتابعون هذه الابحاث عادةً

لما كانت الاصول التكوينية اشياء محدودة موجودة في الخلايا الجرثومية او غير موجودة فيها فالحي الناتج من اتحاد خليتين جرثوميتين فيهما اصل مخصوص يكون اصيلاً في الصفة التي تقابل هذا الاصل والحي المتولد من خليتين ليس فيهما هذا الاصل يكون اصيلاً ايضاً في خلوهِ من هذه الصفة . فاذا جاء الحي اصيلاً على هذه الطريقة فكل الجراثيم التي يولدها تكون متماثلة لانها جميعها اجزاء من الجرثومتين اللتين اتحدتا اولاً لتكوينهِ . وهذا يوصلنا الى قانون مهم وهو ان الحي لا يقدر ان يورث نسلهُ صفة لم يكتسبها هو عند ما تلقحت جرثومتهُ . وعليهِ فالزوجان اللذان ينقصهما صفة مخصوصة يولدان نسلاً تنقصهُ تلك الصفة والزوجان الاصيلان في صفة مخصوصة يولدان نسلاً فيهِ تلك الصفة . وجراثيم الحي الاصيل كلها متشابهة ولكن جراثيم الحي غير الاصيل اي الذي ينشأ من اتحاد جرثومتين مختلفتين الواحدة عن الاخرى تأتي مختلفة بعضها عن بعض . وينفصل كل اصل من الاصول الايجابية عن الاصل السلبي الذي يقابلهُ فتأتي كل جرثومة اما محتوية على ذلك الاصل او خالية منهُ . واذا عُرفت هذه الاصول بواسطة ما يرى من مظاهرها امكن الانباء بصفات الانسال المتولدة من تزاوج احياء معروفة على وجه عام

ولا يعرف اهمية هذه القوانين البسيطة الاَّ الذين شاهدوا صدقها واطرادها . فنحن ننظر الى ما وراء صورة الجسم الظاهرة ونجرب ان نرجع صفاتهِ المختلفة الى الاصول التكوينية التي نشأ من اتحادها . واذا عبرنا عن اكتشافاتنا في هذا السبيل بعبارات كليَّة فقد تظهر بعيدة عما نشاهدهُ ونختبرهُ ولكن اذا الفها العقل تغير نظر الانسان في الكون . تأمَّل تأثير الانفصال في الاحياء التي تشاهدها — في النبات والطير والكلاب والخيل وهذا الخليط من الناس الذي نسميهِ الشعب الانكليزي واولاد اصدقائك واولادك وفي نفسك ومهما بالغت بعد ذلك في التضييق على مخيلتك وتقييدها بالحقائق التي قامت الادلة على صحتها لا يمكنك الاَّ ان تشعر بانك وقفت على شيء من سر الطبيعة هو ما بدأنا نقف عليهِ بواسطة البحث على طريقة

مندل . ولكن أليس في الوراثة عوامل غير العوامل التي اثبتتها قوانين مندل ? هذا السؤال يردَّد كثيراً وقد كنت اتوقع ان يكتشف شيءٌ من ذلك ولكن حتى الآن لم يكتشف شيء ثابت . نعم لا نعرف كيف ان بعض الاشكال اذا تولد منها خلاسيات بينها وبين غيرها لم تعد تظهر هي في النسل — ومن هذه الاشكال غنم المارينوس والحمام المروحي الذنب ولكن يمكن تعليل هذه الشذوذ باعتراض عوارض مختلفة وهو تعليل وجيه يصعب دحضهُ ولكن يظهر لي ايضاً انهُ يمكننا القول بان سبب ذلك هو ان انفصال الاصول لم يجيء تامًّا . اما توارث الصفات التي تقع تحت الكم فلا نعرف شيئًا عنهُ حتى الآن فهو لا يزال سرًّا غامضاً مثل كثير غيرهِ من المسائل . وقد اكتشف بور ورنكلر ان الطبقة السفلى من قشرة النبات وهي الطبقة التي تتولد فيها الخلايا الجرثومية قد لا يكون فيها سوى صفات قسم من بدن النبات وذلك يستلفت النظر الى وجود اختلاطات غريبة و يبعث على الظن ان العلاقة بين الجسم والجمع قد تكون ابسط مما نظن بكثير. ولكن على العموم لا نرى مانعاً يمنع من ان تكون الصفات التي تقع تحت الكيف تتوارث في الحيوان والنبات على طرق تتفق مع القول بان للصفات اصولاً تقابلها

والشواهد التي جمعت بهذه الطريقة التحليلية قد اصبحت كثيرة جدًّا وهي لا تزال آخذة بالازدياد سريعاً بهمة الباحثين الكثيرين. و يضيق بي المقام اذا جئت اسرد التفاصيل فاكتفي بالقول ان تقدمنا لم يقتصر على البرهان ان انفصال الاصول يؤَثر في صفات كثيرة بل قد اتينا في خلال بحثنا التحليلي على حقائق كثيرة لم نكن نتوقعها. و بعض هذه الحقائق كان مما لا يمكن تصورهُ قبل هذا الاوان بعشرين سنة . من ذلك ان اعضاء التناسل في النبات الواحد قد تختلف فيكون لنسل الاعضاء الذكرية صفات تخالف صفات نسل الاعضاء الانثوية . وفي بعض الحيوانات تظهر بعض الصفات في الاناث فقط او في الذكور فقط مع ان لا علاقة لها باعضاء التناسل. وفي انواع اخرى قد تجيء الذكور مثل اسلافها وتشذ الاناث فتجيء خلاسية تبيض بيوضاً بعضها ينشأ منهُ حيوانات خلاسية مثلها و بعضها يختلف عنها . وقد تجتمع في حيوان واحد صفات لا علاقة لبعضها بالبعض الآخر فيرثها منهُ اكثر نسلهِ وتظهر مجتمعةً في العدد الاكبر من احفادهِ — وهذا الاكتشاف يوقفنا عند مظهر جديد من مظاهر نمو الاحياء في جهات مخصوصة .

نعرف تمام المعرفة ان للبيضة الملقحة جهات مخصوصة متميزة بعضها عن بعض فلها مقدم ومؤَخر مثلاً ولكن تزيد الى معارفنا الآن انها هي او الخلايا الجرثومية الاولية التي تتكون

منها يمكن ان يكون لها وضع مخصوص يظهر في تجمع الاصول الوالدية فِرَقًا فِرَقًا . واني اشك في صحة القول ان انفصال الاصول يقع عند بلوغ الخلايا الجرثومية فقط وأميل في الوقت الحاضر الى الاعتقاد انهُ لا يقع دفعة واحدة بل في اوقات مختلفة على غير نظام مرافقاً لانشقاق الخلايا . واشك ايضاً في ان ظهور الصفات الوراثية بحالة منتظمة في النسل الثاني من القطاني مثلاً هو نتيجة انفصال جاء متأخراً جدًّا فعدم انتظامهِ في نباتات اخرى قد يؤْخذ منهُ انهُ قد يقع قبل هذا الحد

ووراثة العمى اللوني وغيرهِ من الصفات التي يرثها احد الجنسين دون الآخر كانت تعد من شواذ الطبيعة التي لا يضبطها ضابط ولكن قد عرف نظام توارثها الآن معرفة تقريبية وصرنا نعرف شيئاً عن الطريقة او الطرق التي يصير بها الجنين ذكراً او انثى في بعض الاحياء ولكني ابادر فاستدرك على قولي هذا اننا لا نعرف حتى الآن وسيلة يمكن ان تؤَثر في جعل الجنين ذكراً او انثى . وواضح ان لهذه الاكتشافات علاقة بالمسائل الحيوانية والنباتية نظريةً كانت او عملية وثبات مقومات الشكل او تغيُّرها وبلوغ الشكل حد الكمال وخلوص الاصل او امتزاجهُ ونشوء الشعوب وتتابع الاشكال هذه كلها ليست كما كانت تعابير ليس لها معنى محدود بل صار لها معانٍ فسيولوجية محددة تحديداً يكاد يكون تامًّا في دقائقهِ . ولهذه الامور عند الطبيعيين — وكلامي اليوم موجه اليهم خصوصاً — اهمية كبيرة في تاريخ الاحياء اي في مذهب النشوء كما يسميهِ علماء العصر . ولها ايضاً علاقة بسير الاجتماع البشري كما سأُبين في خطبتي الثانية التي سأُلقيها في مدينة سدني

اظن ان كل احد يعرف رأي داروين في اصل الانواع معرفة عامة . فقد كثرت الكتابات مدة الخمسين سنة الاخيرة في الانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح شرحاً وتوسعاً في البحث . ولا شك في ان الصالح من الاحياء يقدر ان يحل محل غيرهِ . هذه القضية صحيحة ولكننا نشك في تأْثيرها في سير النشوء وقد ارجئَ الجدال في هذه المسألة الآن . واننا نعتمد على داروين في الحقائق التي جمعها وهي تؤَلف مجموعة فريدة في بابها ونود لو امكننا الاقتداء بهِ في تبحرهِ وتوسعهِ ومقدرتهِ على ايضاح المسائل ولكن لم يبقَ لكلامهِ سلطة فلسفية علينا بل صرنا نقرأُ رأْيهُ في كيفية حدوث النشوء كما نقرأُ آراء لقريطيوس ولمارك التي تروق لنا بساطتها وجرأَة اصحابها . فالبحث العملي في التباين والوراثة لم يقتصر على فتح مجال جديد بل غيَّر نظرنا وجاء ببحث جديد واقيسة جديدة لنقد الآراء . وقد ترى طبيعيًّا في هذه الايام يعلّل النشوء بانهُ وسيلة لغاية ولكن الذين يسلمون بذلك قليلون . والباحثون في تكوُّن

الاحياء متحققون ان وقت استنتاج الاحكام النظرية العامة لم يحن بعد ولذلك يوجهون هممهم الى مستنبت البذور ومفرخ البيض

ولا بد لنا تجاه ما تحققناهُ من اتساع نطاق التباين في الطبيعة ان نقلل من الاهمية التي تعلق على الانتخاب الطبيعي في تمييز الانواع وتثبيتها . ولا ينكر ما لناموس بقاء الاصلح من التأثير في الحي على وجه العموم ولكن القول بتأثيرهِ في اعضاء الجسم واعمالهِ كل على حدة والاستناد الى العلم في القول بان كل شيء يلتئم مع محيطهِ من قبيل اعتقاد العلماء في القرن الثامن عشر ان كل شيء في الطبيعة على افضل ما يمكن ان يكون عليهِ . ولكن رغماً عن ذلك قد كانت الامور الجزئية والاختلافات الجزئية كالبقع في ذنب الطاووس والوان النبات المعروف بالسحلب وما اشبه اهم ما استُند اليهِ في تحقيق فعل الانتخاب الطبيعي والاستشهاد على صحتهِ . واذا جرد القول ببقاء الاصلح عن هذه الدعاوى كان من المسلمات التي لا تساعد كثيراً على تعليل تعدد الانواع من حيوان ونبات . بل ان القول بان الطبيعة متسامحة وقد افسحت مجالاً لجميع الاحياء يكفي لهذا التعليل مثل القول ببقاء الاصلح والتسليم بما قدمت يزيل آخر اثر من آثار ما كان الفلاسفة في القرن الماضي يلبسونهُ لمذهب النشوء من الكلام الطنان المبني على القصد (اي على ان كل حي وكل عضو من اعضائهِ يتكون حسب الغاية التي وجد لاجلها) . اما الذين يدعون ان ليس في الكون الاَّ ما هو صالح فيحسن بهم ان يعترفوا ان دعواهم مبنية على الوهم ولا سند لها في الحقائق الطبيعية

قال سلفي السنة الماضية ان هذا العصر يبشر بتقدم سريع وشك اساسي في ما يختص بعلم الفلسفة الطبيعية وذلك يصدق على علم الحياة ايضاً . ومن خصائص المفكرين في النشوء من علماء هذا العصر الاقرار بالعجز والضعف تجاه المسائل الحيوية الخطيرة . وكل مذهب في النشوء يجب ان يوافق الحقائق الكيماوية والطبيعية المقررة ولم يكن اسلافنا يعتدون بهذا الشرط الاولي كثيراً . كانوا ينظرون الى عالم المجهولات نظرهم الى منجم غنيّ بالممكنات يتناولون منهُ ما شاؤُوا اما نحن فننظر اليهِ كصخر صلد لا يمكن اختراقهُ ولا استخراج الحقائق منهُ الاَّ كِسَراً صغيرة متفرقة . ومعارفنا في كيمياء الحياة وطبيعياتها تقرب من العدم فان خصائص الاشياء الحية محصورة في خواص المواد الغروية وتتوقف بالاكثر على قوى الخمائر الكيماوية ولكن درس هذه الانواع من المواد لم يزل في بدايتهِ فان اقل نظر الى المواد الحية يرينا ان فيها قوى لم نكن نحلم بها ومن يعلم ما يمكن ان يكون وراء ذلك

ستأتي البقية

الشعوب الصقلبية

العناصر الاوربية الكبيرة ثلاثة العنصر الصقلبي والعنصر التوتوني والعنصر اللاتيني. والاول اكثرها عدداً واوسعها بسطةً في اوربا ولكنهُ لم يبلغ شأو الاخيرين في الرقي والمعارف والغنى ومنهُ الروس والبولونيون والبوهيميون والسلوفينيون والسرب والبلغار . والثاني اي العنصر التوتوني اعلاها كعباً وارقاها على العموم ومنهُ الالمان واكثر النمسويين والانكليز واهل اسوج ونروج ودنمارك وهولندة وجانب كبير من اهل البلجيك وسويسرة . ومن الثالث اي العنصر اللاتيني اهل فرنسا وايطاليا واسبانيا والبرتوغال ومعظم اهل البلجيك ورومانيا

واسم الصقالبة في لغاتهم سلوفيني ولكن اليونان والرومان زادوا كافاً بين اول الاسم وثانيهِ ويظهر ان العرب تابعوا اليونان في هذه الزيادة فسموهم صقالبة . واكثر ما تدعوهم الجرائد العربية بالسلاف نقلاً عن الافرنسية او الانكليزية

نشأ الصقالبة في اواسط اوربا وتميّزوا عن الشعوب الاخرى تميّزاً تدريجيًّا في اللغة والعادات والاخلاق . ولم يكن لهم في اول الامر مميزات خاصة في شكل قحوفهم وسحنهم ونقاطيع وجوههم كما يظهر من قياس جماجمهم الباقية في القبور ومن وصف المؤرخين لهم بل كانوا يختلفون بعضهم عن بعض من هذا القبيل

هذا مبدأ هذه الشعوب التي تسعى روسيا الى رفع شأنها وجمع كلمتها حتى انها لم تحجم عن خوض الحرب الآن انتصاراً لاحدها وهو الشعب السربي . وقد رأينا ان نصفها وصفاً جغرافيًّا اجماليًّا يبين انتشارها في اوربا وحال كل منها في عصرنا الحاضر واكثر اعتمادنا في كلامنا على فصل للاستاذ لوبر نيدرل من الجامعة البوهيمية في براغ بالنمسا

لم يكن الصقالبة عند اول ظهورهم في التاريخ شعباً واحداً بل اقواماً تختلف بعضها عن بعض . وكان مهدهم على ضفاف نهري الاودر والدنيبر ومنهُ انتشروا قبل عصر التاريخ بين نهر البا وشواطئ البحر الاسود وانشقوا الى ثلاثة فروع . اولها فرع الالبا الى الغرب ومنهُ البومرانيون والبولونيون والبوهيميون والسلوفاك وثانيها الفرع الذي استوطن البلقان ومنهُ السلوفينيون والسرب والبلغار . وثالثها واهمها انتشر الى الشمال حتى فنلندا والى الشرق حتى الدون والفولغا والى الجنوب حتى البحر الاسود والطونه فكان منهُ الشعب الروسي . واهم الشعوب الصقلبية الروس والبولونيون والبوهيميون والسلوفينيون والسرب والبلغار واليك الكلام على كل منها على حدة

الروس — وهم اكبر الشعوب الصقلبية واهمها · ولا يعرف مبدأ امرهم ولكن أُطلق عليهم اسم الروس في القرن العاشر للميلاد كما يظهر من بعض الادلة التاريخية وكانوا حتى ذلك العهد قبائل عديدة متقاطعة مستقلة بعضها عن بعض ولم يكونوا قد امتدوا الى بلاد روسيا الشرقية بل كان فيها اقوام غيرهم · اما في جهة الغرب والجنوب الغربي فمنع البولونيون تبسطهم وفي الجنوب اعترضتهم الشعوب الكثيرة التي اجتاحت البلاد فقد اجتاحها القوط والهرول والهن والبلغار والافار والخزر والمجر كل في دورهِ ولكن اكثر هذه الشعوب اجتازها اجتيازاً ولم يخلف فيها اثراً يذكر

وفي القرن العاشر بدأ الروس يمتدون الى شواطئ البحر الاسود ولكنهم لم يلبثوا ان اعترضهم الترك وبعض الشعوب الاسيوية الاخرى فكانت لهم معهم حروب كثيرة · وفي القرن الثالث عشر انقضَّ عليهم التتر في جوار البحر الاسود فخربوا بلادهم وتركوا اكثرها قفراً بلقعاً لكثرة من قتلوا وسبوا · وكان من وراء ذلك ان تيار الاستعمار الرومي تحوَّل الى الشمال والشمال الغربي · ثم تقربت القبائل الروسية بعضها من بعض تدريجاً فكان منها الشعب الروسي كما هو الآن ولكنهُ لا يزال يختلف بعض اجزائهِ عن البعض الآخر في الاخلاق والعادات واللغة · واخذ الروس منذ القرن الخامس عشر يتوسعون في امتلاك البلاد التي شرقيهم وجنوبيهم وزاد توسعهم فيها في ايام بطرس الاكبر في اوائل القرن الثامن عشر · وما زالوا يستولون على املاك خانيات التتر التي كانت في جنوب بلادهم شيئاً فشيئاً الى ان اتوا عليها كلها سنة ١٧٨٣ باستيلائهم على شبه جزيرة القرم · اما استعمارهم لسيبيريا فبدأ في القرن السادس عشر واكثر من اربعة اخماس السيبيريين الآن من الروس

ويبلغ عدد الروس الصقالبة الآن ٨٥ مليوناً وسكان المملكة الروسية مع املاكها في اسيا نحو ١٧٠ مليون من النفوس · ونسبة الاناث فيهم الى الذكور كنسبة ١٠٣،٤ الى ١٠٠ فهم مثل غيرهم من الشعوب الاوربية من هذا القبيل · والمواليد فيهم كثيرة اذ يولد ٤٨ مولوداً لكل الف نفس منهم في السنة ولكن الوفيات كثيرة ايضاً تبلغ ٣٤ وفاة لكل الف · واكثر البلاد الروسية سكاناً المقاطعات التي الى الشرق من بولونيا واقلها عمارة الاقسام الشمالية وسيبيريا · وهم في الغالب مفلطحو الرؤُوس اما سحناتهم فتختلف كثيراً

البولونيون — واسمهم في الاصل لياشوفي اولياشي وكانوا قبائل عديدة تعرف احداها بالبولاني تغلبت على القبائل الاخرى في اوائل القرن الحادي عشر فغلب اسمها عليهم جميعاً منذ ذلك الحين · اما مواطنهم فكانت منذ البدء حيث هي الآن اي بين نهر الاودر غرباً

وبحر البلطيك شمالاً وجبال كرباثيا جنوباً فهم لم ينزحوا مثل باقي الشعوب الصقلبية

وكانت لهم حروب كثيرة مع الالمان لان بلاد هؤلاء كانت تضيق بهم فيحاولون الاستيلاء على بلاد جيرانهم · وفي القرن الثالث عشر اكتسح التتر بلادهم وفلوا قوتهم فكاد الالمان يذهبون بملكهم وارضهم ولكنهم استجمعوا قواهم ثانية وصدوا التيار الالماني في القرن الخامس عشر وتمكنوا من المحافظة على ما بقي لهم ولكن لم يستطيعوا ان يستعيدوا ما اخذهُ الالمان منهم · واضطروا عند ذلك الى الاستيلاء على المقاطعات الروسية شرقيهم فوقعت بينهم و بين الروس حروب دامت قروناً واشتركت روسيا مع بروسيا والنمسا في اقتسام بولونيا سنة ١٧٧٢ ثم سنة ١٧٩٣ ثم سنة ١٧٩٥ واستولت على قاعدة ملكهم مدينة وارسو (او فرسوفيا)

ولكن البولونيين لم يذهبوا بذهاب ملكهم فهم لا يزالون شعباً اوربياً متميزاً بلغتهِ ومدنيتهِ رغماً عن مساعي روسيا والمانيا والنمسا · وكل من هذه المالك تحاول نشر لغتها ومدنيتها في ما استولت عليهِ من بولونيا · وعددهم نحو ١٩٠٠٠٠٠٠ منهم نحو ٨٥٠٠٠٠٠ في روسيا ونحو ٤٢٥٠٠٠٠ في المانيا ونحو ٣٤٠٠٠٠٠ في النمسا · و يشبهون في سحناتهم واشكال رؤُوسهم بعض فروع الشعب الرومي

البوهيميون والسلوفاك — ومنشأهم بين بولونيا ونهر البا ولا يعرف في اي عهد اتوا بلاد النمسا التي يقطنونها الآن ولا كيف كان ذلك · وكانوا في القرن السابع منتشرين من بفاريا الى الطونه ومعظمهم في بلاد المجر وكانوا قبائل عديدة اهمها قبيلة التشك التي ما زال اسمها يطلق عليهم جميعاً حتى اليوم

وكاد البوهيميون في اول امرهم يفقدون قوميتهم ولغتهم و يندغمون في العنصر الالماني ولكنهم انتبهوا لذلك في القرن الرابع عشر فتذرعوا بكل وسيلة لمنعهِ وساعدتهم مناعة بلادهم الطبيعية · وهم اليوم من ارقى الشعوب الاوربية في سلم المدنية و بلادهم زاهرة بالمدارس والمصانع وعددهم في بوهيميا نحو ٧٠٠٠٠٠٠ و يبلغ السلوفاك الذين في المجر نحو ٢٠٠٠٠٠٠ والبوهيميون اكثر تهذيباً من كل امة اخرى في اوربا اما السلوفاك الذين في المجر فيكثر الاميون بينهم واكثر ما يتعيشون بالزراعة والصناعة · وهم طوال القامة مفلطحو الرؤُوس في الغالب ولكن تفريغ جماجمهم كبير · و يختلفون كثيراً في اللون ولكن السمرة اغلب عليهم

السلوفينيون — هم فرع من الصقالبة انتشر في القرن السابع في الجهات الجنوبية الغربية من النمسا ولكنهم امتزجوا بالالمان ولم يبقَ منهم الآن الاَّ قليل وعددهم لا يزيد على المليون كثيراً

السرب والكرواتيون — من صقالبة الجنوب اي اصلهم واصل البلغار والسلوفينيين واحد . وكانوا قبائل عديدة ارتحلت جنوباً الى بلاد البلقان واستوطنتها ثم تميزت على تمادي الايام الى فرعين الكرواتيين والسرب . وبقي الكرواتيون مستقلين في شؤُونهم الى ان ضمتهم المجر الى املاكها سنة ١١٠٢ ولما اتحدت المجر مع النمسا سنة ١٥٢٦ صاروا قسماً من امبراطورية النمسا والمجر . اما القبائل السربية فلم تجتمع كلمتها الاَّ بين القرنين العاشر والحادي عشر وبقوا مستقلين حتى سنة ١٣٨٩ حين كسرهم العثمانيون في واقعة قوصوه والحقوا بلادهم بالاملاك العثمانية وعلى اثر ذلك نزح كثير منهم ومن الكرواتيين الى المجر والمقاطعات النمسوية الجنوبية ولم يستقلوا ثانية الاَّ في اوائل القرن التاسع عشر

ومن الكرواتيين اهل كرواتيا وجانب من اهل ايستريا ودلماطيا والبوسنه وجنوب المجر وسلافونيا . اما السربيون فمعظمهم في مملكة السرب والجبل الاسود ومنهم كثيرون منتشرون في البوسنه ودلماطيا وسلافونيا وجنوب المجر . ولا يعرف عدد السرب والكرواتيين تماماً ولكنهم يقدرون بنحو ٩٠٠٠٠٠٠ منهم نحو ٢٠٠٠٠٠٠ في البوسنه والهرسك ونحو ٣٥٠٠٠٠٠ في باقي اقسام النمسا والمجر ونحو ٤٠٠٠٠٠٠ في مملكة السرب والجبل الاسود . واكثر ما يحترفون الزراعة فالذين يتعاطونها منهم يزيدون على ٨٠ في المئة وهم في الغالب مفلطحو الرؤُوس

البلغار — نشأُوا في الشمال الشرقي من النمسا ثم نزحوا الى بلاد البلقان واستوطنوها وبقوا قبائل متقاطعة الى ان غلبتهم قبيلة البلغار التركية الاصل في اواخر القرن السابع وجمعت كلمتهم وامتزجت بهم واقتبست لغتهم ودينهم ومنذ ذلك الحين عرفوا بالبلغار

وامتد سلطانهم كثيراً في القرنين التاسع والعاشر حتى كاد يعم بلاد البلقان كلها ولكن الاتراك العثمانيين اخضعوهم في آخر القرن الرابع عشر والحقوا بلادهم بالاملاك العثمانية فبقوا خاضعين للترك حتى سنة ١٨٧٨ حين استقلوا ثانية بمعونة روسيا . وسنة ١٨٨٥ استولوا على الروملي الشرقية ولم يعترف الباب العالي باستقلالهم الاَّ سنة ١٩٠٨

والبلغار نحو ٥٠٠٠٠٠٠ وليس منهم خارج البلقان الاَّ قليل جدًّا . ومعظمهم في مملكة البلغار ومنهم جانب في رومانيا واملاك السرب واليونان . وهم مربوعو القوام يكثر فيهم السمر وغالبهم مستديرو الرؤُوس . والصقالبة الذين في مكدونيا التي استولى عليها اليونان والسرب بين البلغار والسرب في لهجاتهم التي يتكلمونها ولذلك يصعب الفصل في هل يعدون بلغاراً او سرباً

حقائق عن الدول المتحاربة

(تابع ما قبله)

فرنسا

فرنسا الجمهورية الوحيدة بين الدول المتحاربة اوصلها الى جمهوريتها الحاضرة حربها مع المانيا سنة ١٨٧٠ بعد ان كانت امبراطورية فهل تقلب هذه الحرب صورتها الجمهورية وتردها امبراطورية او ملكية اسوة لها بحليفاتها روسيا وانكلترا والبلجيك والسرب

وقد بلغ عدد سكانها ٣٩٦٠١٥٠٩ في احصاء سنة ١٩١١ وكانوا مثل ذلك تقريباً سنة ١٩٠٦ لان عدد المواليد قلما يزيد على عدد الوفيات لا لكثرة الوفيات بل لقلة المواليد

العاصمة باريس وقد بلغ عدد سكانها ٢٨٨٨١١٠ في احصاء سنة ١٩١١ وتتلوها مرسيليا فليون وفي كلٍّ منهما اكثر من نصف مليون قليلاً ثم بوردو وليل في كلٍّ منهما نحو ربع مليون

وقد قدرت ميزانية الحكومة لسنة ١٩١٤ هذه ٥٣٧٣٥١٧٩٨٤ فرنكاً او ٢١٤٩٤٠٧١٩ جنيهاً هذه ميزانية الدخل واما ميزانية المصروفات فقدرت ٥٣٧٣٣٢٩٤٤٩ فرنكاً او ٢١٤٩٣٣١٧٨ جنيهاً يخص نظارة الحربية من ذلك ١٤٣٦٤٩١٥٥٤ فرنكاً او نحو ٥٧ مليون جنيه ونظارة البحرية ٥٨٥١٥٧٦٩١ فرنكاً او نحو ٢٣ مليون جنيه ونصف مليون ويبلغ دين الحكومة الفرنسوية ١٤٣٢ مليون جنيه

ويبلغ طول سواحل فرنسا على الاوقيانوس الاتلنتيكي ١٣٠٤ اميال وعلى بحر الروم ٤٥٦ ميلاً ويبلغ طول تخومها المجاورة لبلجكا والمانيا وسويسرا وايطاليا ١١٥٦ ميلاً وطول تخومها المجاورة لاسبانيا ٤١٩ ميلاً

واكبر حصونها مدينة باريس فانها مكتنفة بسور يبرز منهُ ٩٧ طابية وفيهِ ١٧ حصناً قديماً ووراءهُ ٢٨ حصناً جديداً ببطارياتها يتكون منها معسكران في سان لوي وفرساليا

والمدن المحصنة كثيرة فعلى التخوم الالمانية فردين وتول وابينال وبلفور في الخط المقدم وموبوج ولافر ورمس ولانجر وديجون وبزانسون في الخط الثاني · وعلى التخوم الايطالية بريانسون وغرنوبل في الخط المقدم وليون في المؤخر · وفيها حصون اخرى متفرقة في اماكن مختلفة في نانسي ولنثيل ورمسون ونيس · وحصونها على السواحل في طولون ورشفور ولوريان وبرست وشربورج وكلها مرافئ محصنة

الجيش الفرنسوي

الخدمة في الجيش الفرنسوي اجبارية عامة ولا يعفى منها الاَّ الذين لا يليقون لها من الوجهة الصحية والجسدية . وتبتدئ الخدمة الآن من سن العشرين (وكانت تبتدئ من سن الحادية والعشرين سابقاً) وتنتهي في الخامسة والاربعين فيقضي الجندي ثلاث سنوات (وكان يقضي سنتين) في الخدمة العاملة ثم ينقل منها الى الاحتياطي فيقضي فيهِ ١١ سنة وينقل منهُ الى الجيش المحلي فيقضي فيهِ ست سنوات وينقل منهُ الى الاحتياطي الوطني فيقضي فيهِ ست سنوات وبها يتم خدمتهُ العسكرية . ويطلب من الجنود الذين في احتياطي الخدمة العاملة ان يتمرنوا على الحركات العسكرية ويقوموا بالمناورات مرتين وتكون مدة التمرين اربعة اسابيع في كل مرة ويطلب منهم ذلك مرة واحدة وهم في الجيش المحلي لمدة اسبوعين ويعفون منهُ في الاحتياطي للجيش المحلي

ويجوز التطوع في الجيش الفرنسوي ولكن لمدة اكثر من سنة واحدة والحكومة تشجع المتطوعين على الارتباط بالخدمة من ثلاث سنوات فاكثر الى خمس سنوات

ولما كانت المدة التي يقضيها الجندي الفرنسوي في احتياطي الخدمة العاملة طويلة فعدد الجنود الاحتياطية الذي يصيب كل اورطة كثير جدًّا قد يزيد على الفي جندي . فاذا عبئَ الجيش فهذا الاحتياطي يزيد عن ايصال كل اورطة الى قوتها الحربية اللازمة فيؤلف احتياطيًّا آخر لكل اورطة والاي ويزيد عنهما ايضاً فيؤلف قسماً من احتياطي المستودعات

ويتألف الفيلق في الجيش الفرنسوي من فرقتين والفرقة من لوائين واللواء من الايين والالاي من ست اورط ولكنهُ قد يؤلف من سبع اورط او ثمان ايضاً . وفي الفيلق حين تعبئتهِ ٣٣ الف جندي . والجيش كلهُ مؤلف من ٢٣ فيلقاً و ٤١ لواء من الفرسان او نحو ٧٣٠٠٠٠ جندي

ولكل فرقة من المشاة الاي من مدفعية الميدان والآلاي يتألف عادة من تسع بطاريات في كل منها اربعة مدافع ولكل فيلق علاوة على بطاريات الفرقتين اللتين يتألف منهما تسع بطاريات ميدان واربع بطاريات هوتزر وست «بطاريات ممدة» وجملة ذلك ٣٦ بطارية او ١٤٤ مدفعاً . ثم ان للجيش كلهِ ٤٦ بطارية من المدافع الكبيرة في كل منها مدفعان اي ٩٢ مدفعاً للكل فاذا قسمت على ٢٣ فيلقاً اصاب الفيلق منها اربعة مدافع علاوة على العدد الآنف الذكر فيكون مجموع ما يصيبهُ ١٤٨ مدفعاً . ويلحق بكل فيلق ايضاً في ساحة

الحرب لواء من الفرسان موءلف من الايين واورطة من الجنود المطاردة وبضعة بلوكات من المهندسين

وتوءلف فرقة الفرسان من ثلاثة الوية واللواء من الايين والالاي من اربع اورط تلحق بها فرقة من المدفعية الراكبة فيها بطاريتان في كل منهما ستة مدافع . ويكون في فرقة الفرسان عادة ٤٧٠٠ فارس . وفي الجيش كلهِ دائماً ثماني فرق تزاد في زمن التعبئة الى عشر فرق

ويقسم الجيش الفرنسوي الى قسمين كبيرين وهما الجيش المحلي او المتروبولتان وجيش المستعمرات وكل منهما ينقسم الى قسمين فرعيين وهما الجيش الموضعي وجيش المقاطعات

وفرنسا مقسومة مع الجزائر الى ٢٣ قسماً عسكرياً وعلى كل قسم ما عدا الجزائر ان يجيش فيلقاً كاملاً وعدداً معيناً من الجنود للفرسان والمهندسين والمدفعية الحامية وسواها من اسلحة الجيش

وتقسم الجنود الاحتياطية للخدمة العاملة الى فرق بنسبة عدد فرق الجيش العامل . وفي فرنسا ٣٦ فرقة من الاحتياطي موءلفة من العدد والمعدات التي تتألف منها فرق الجيش العامل تماماً . ولكل قسم من الاقسام العسكرية في فرنسا احتياطي خاص بهِ فيوءلف منهُ ومن رجال المدفعية المشاة والمهندسين حامية الحصون

وفي الجيش المحلي ٣٦ فرقة ايضاً وما يلزم من الجنود لحاميات البلاد . اما الجيش الجزائري فلهُ احتياطي خاص بهِ واحتياطي محلي ايضاً لعشر اورط من الزواف و٦ اورط من الفرسان المطاردين الافريقيين و ٩ اورط من مدافع الميدان الى غير ذلك مما يلزم لسائر الاسلحة

اما الجنود التي تزيد من احتياطي الخدمة العاملة واحتياطي الجيش المحلي فتوضع في المستودعات بعد اتمام التعبئة لتسد بها الخسارة التي تقع في صفوف المحاربين

وفي الجيش الفرنسوي فيلق للجمارك موءلف من ٣٨ اورطة . وفيهِ ايضاً عدد كبير من حراس الغابات والحراج وهم يجندون عادة من الذين ينقلون من احتياطي الخدمة العاملة الى الجيش المحلي فيحسن استخدامهم في حاميات البلاد

ويلحق بالجيش قوة الجندرمة وهي كناية عن بوليس عسكري يوءخذ رجالهُ من الجيش وفي كل قسم من اقسام فرنسا العسكرية لجيون او اكثر من الجندرمة ومجموع ما في الاقسام كلها ٢١٧٠٠ نفر نصفهم فرسان والنصف الآخر مشاة

اما الحرس الجمهوري وكلهُ في باريس فيتألف من ثلاثة آلاف جندي ثماني مئة منهم من الفرسان

وفي فرنسا نفسها جيش استعماري دائم يؤَلف في زمن السلم من ١٢ الايًا من المشاة في كل منها ثلاث اورط ومن ثلاثة الايات من المدفعية فيها ١٢ بطارية نصفها من مدافع الميدان والنصف الآخر من مدافع الحصون

اما في المستعمرات فيتألف الجيش الاستعماري من ٣ اورط من الجيبون اترانجه (في الهند الصينية) و ١٣ اورطة من المشاة و ٤ اورط من الفرسان و ٣٢ بطارية من مدافع الميدان والحصار واورطة من الفرسان الوطنيين و ٣ بلوكات من جنود التحصين الوطنيين و٤٩ اورطة من المشاة الوطنيين (وهي ١٢ اورطة من الجنود السنغاليين المطاردين و ٣ اورط من جنود الصحراء الكبيرة و١٢ من جنود تونكين و ٩ من الجنود الملقية و ٤ من جنود انام المطاردة و٣ من جنود غرب افريقية و ٦ اورط من جنود الكونغو الفرنسوية)

ويبلغ عدد الجيش الفرنسوي في زمن الحرب نحو اربعة ملايين جندي وفيهِ نحو ثلاثة آلاف مدفع

والجندي الفرنسوي مشهور باقدامهِ وكرهِ وحماستهِ وشجاعتهِ ومقدرتهِ على تحمل المشاق وقوة الابتكار الفائقة ورجال المدفعية الفرنسويون احسن رجال المدفعيات في العالم في الرماية وهم متمرنون عليها ولاسيما على اطلاق المدافع السريعة تمرنًا لا مثيل لهُ في الجيوش الاوربية

وموضع الضعف في الجيش الفرنسوي هو في مدفعيتهِ الكبيرة

وتتم تعبئة الجيش الفرنسوي في ثمانية ايام و ١٢ ساعة اي انهُ يعبأ اسرع من الجيش الالماني باثنتي عشرة ساعة

وسلاح الجنود بندقية لبل من عيار ٣١" وهي من طرز قديم قليلاً ولكنها احدث من بندقية موزر المستعملة في الجيش الالماني . اما مدافع الميدان فمن التي قطر فوهتها ثلاث بوصات وهي احدث من مدافع الميدان في الجيش الالماني ايضًا

الاساطيل الفرنسوية

كان لفرنسا في ٣١ اكتوبر الماضي من السفن الحربية المبنيَّة والتي كانت تبنى او رسمت لتبنى ما تراهُ في هذا الجدول

	مبنية	تبنى	رسمت لتبني
بوارج	٢٣	٧	٣
طرادات مدرعة	٢٠	—	—
حاميات السواحل	٤	—	—
طرادات محمية من الطبقة الاولى	٥		
« « « الثانية	٤	—	٣
« « « الثالثة	٥	—	—
سفن تربيد	٤	—	—
مدمرات	٧٣	١١	—
قوارب تربيد	١٦٦	—	—
غواصات	٠٧٣	١٧	٨

والبوارج مختلفة اربع منها من نوع الدردنوط بنيت حسب بيان سنة ١٩١٠ و ١٩١١ تفريغ كلٍ منها ٢٣٤٠٠ طن وسمك درعها على جانبيها ١٠¾ بوصة وعلى ابراج مدافعها ١٢ بوصة وفيها ١٢ مدفعاً مما قطر فوهتهِ ١٢ بوصة و ٢٢ مدفعاً مما قطر فوهتهِ ٥,٥ بوصة واربعة انابيب تربيد وقوة آلتها البخارية ٢٦٠٠٠ والبوارج الباقية سابقة للدردنوط بنيت منذ عشرين سنة او اقل سرعتها ١٨ ميلاً في الساعة ومدافعها الكبيرة مما قطرهُ ١٢ بوصة والصغيرة مما قطرهُ ست بوصات الى عشر وسمك درعها ١١ بوصة او ١٢ بوصة

والطرادات تختلف سرعتها بين ٢٤ ميلاً بحرياً و١٩ ميلاً وقوة آلاتها البخارية بين ٤٠٠٠٠ حصان و ٢٠٠٠٠ حصان واكثرها سريع تزيد سرعتهُ على ٢٠ ميلاً بحرياً . وسمك درعها ست بوصات او اكثر والمحميَّة سريعة ايضاً مثلها وقطر مدافعها من تسع بوصات الى ست بوصات

ولفرنسا من المستعمرات والبلدان التابعة لها ما مساحتهُ اربعة ملايين من الاميال المربعة ويقدر عدد سكانهِ بواحد واربعين مليوناً فسكانها وسكان مستعمراتها اكثر من ثمانين مليوناً . وقد صار بعض مستعمراتها كالجزائر جزءاً منها . فلها في اسيا جانب صغير من بلاد الهند مساحتهُ ١٩٦ ميلاً وعدد سكانهِ ٢٧٣٠٠٠ نفس ولها بلاد انام وكمبوديا وكوشين صين والتنكين ولاوس ومساحتها كلها ٣٠٩٩٨٠ ميلاً وعدد سكانها ١٤٥٠٠٠٠٠ ولها في افريقية بلاد الجزائر وسكانها نحو خمسة ملايين ونصف وتونس وسكانها نحو مليونين والصحراء وسكانها نحو ثمانمئة الف والكنجو الفرنسوي وسكانهُ نحو اربعة ملايين وجزيرة مدغسكر

وسكانها ثلاثة ملايين وربع · وسكان كل املاكها ومستعمراتها في افريقية ٢٥ مليونًا و ٦٨١ الفًا · ولها بلاد قليلة في اميركا وجزائر البحر

انكلترا

انكلترا سيدة البحار بلادها صغيرة ولكن البلدان الخاضعة لها يبلغ سكانها اكثر من ربع بني آدم · فان مساحة الجزائر البريطانية اي انكلترا واسكتلندا وارلندا ١٢١ ٦٣٣ ميلاً مربعًا وكان عدد سكانها في العام الماضي ٤٦ ٠٣٥ ٥٧٠ ومساحتها مع مساحة البلدان التابعة لها ١١ ٤٢٠ ٠٧٨ وعدد سكانها ٤٢٤ ٧٧٥ ١٦٠ وهاك بعض التفاصيل الاحصائية عنها وعن البلاد التابعة لها من حيث المساحة بالاميال المربعة وعدد السكان ودخل الحكومة ونفقاتها بالجنيهات وقيمة واردات البلاد وصادراتها بالجنيهات ايضًا وطول سككها الحديدية بالميل ومحمول سفنها التجارية والشراعية بالطن

	انكلترا واسكتلندا وارلندا	جبل طارق ومالطة	الهند	اسيا ما عدا الهند	استراليا وجزائر الباسيفيكي	افريقيا	اميركا	المجموع
المساحة بالاميال	١٢١ ٦٣٣	١٢٠	١ ٨٠٣ ٦٥٧	١٦٦ ٨٣٤	٣ ١٩١ ٧٧٣	٣ ١٣٥ ١٤٧	٤ ٠١٠ ٩١٤	١١ ٤٢٩ ٠٧٨
عدد السكان	٤٦ ٠٣٥ ٥٧٠	٢٣٥ ٠٦٣	٣١٥ ١٥٦ ٣٩٦	٨٧٠٩ ٥٣٣	٦ ٥٥١ ٥١٣	٣٧ ٩٩٠ ٢٢٢	١٠ ٠٩٦ ٨٦٣	٤٢٤ ٧٧٥ ١٦٠
دخل الحكومة	١٨٨ ٨٠١ ٩٩٩	٥٤٧ ٧٧٣	٨٧ ٠٥٢ ٤٠٠	١٣ ١٦٥ ٤١٣	٧٠ ٨٨٤ ١٩١	٢٥ ٦١٣ ٧٢٠	٣٩ ٣٦٨ ٠٣٨	٤٣٤ ٤٣٣ ٥٣٤
نفقاتها	١٨٨ ٦٢١ ٩٣٠	٥٠٩ ١٩٤	٨٣ ٦٥٨ ٧٠٠	٩ ٧٥٧ ٨٧٩	٧٧ ٣٢٣ ٥٣٣	٢٥ ٦٠٣ ١٣٤	٣٧ ٧٩٣ ٨٩٧	٤١٣ ٣٦٦ ٣٦٧
دينها	٧١٦ ٢٨٨ ٤٣١	٧٩ ٠٨٠	٣٠٣ ٦٨٠ ٨٠٠	١٤ ٨٣٨ ٧٠٩	٣٨٣ ٠٣٩ ٩٣٦	١٣١ ٨٢٣ ٩٣٣	١١٣ ١١١ ٠٢٥	١ ٦٦٠ ٨٥٠ ٩ ٤
قيمة وارداتها	٨١٣ ٠٦٣ ٥٥٧	٢٦٦١ ٠٩٦	١٥٩ ٢٠٨ ٧٠٤	٨٠ ٤٥٠ ٢٠٣	١٠٣ ٢٤٩ ٤٨٩	٦٢ ١٤٩ ٩٦٧	١٥٩ ٦٧٢ ٦٩٧	١ ٤٠٩ ٤٥٤ ٧١٣
" صادراتها	٦٩٧ ٢٥٩ ١٧٢	١ ٠٩٢ ٥٩٨	١٧٧ ٥٦٩ ٣٤٥	٨٣ ٤٤٣ ٢٥٦	٠٩٨ ٦٨٤ ٠٥٢	٨٥ ٠٥٤ ٧٤٣	٠٩٦ ٩٨٠ ٥٢٦	١ ٢٣٩ ٠٨٣ ٦٩١
طول سككها الحديدية	٢٣ ٤٤١	٨	٣٣ ٤٨٤	١ ٥٢٩	٢١ ٦١٠	١٣ ١٠٢	٣٠ ٥١٢	١٢٣ ٦٨٦
محمول سفنها التجارية	١٠ ٩٩٣ ٠٧٣	٣ ٢٠٧	٩٤ ٨٣١	٧٠ ٦٣٧	٤٣٣ ٧٠٨	١٦ ٧٨٣	٤١٨ ٣٥٧	١٣ ٠٣٩ ٤٩٦
محمول سفنها الشراعية	٩٣ ٧١٨	٤ ٥٢١	١٠ ٥٠٥	٧٥ ٤٣٦	١٦٤ ٤٠٣	٧ ٦٨٠	٦٥٣ ٧٢١	١ ٨١٧ ٩٩٣

والجيش الانكليزي قليل جداً اذا قوبل بجيوش الدول الكبيرة يبلغ مجموعهُ نحو ٨٠٠ الف الجند النظامي منهُ ٢٥٤ الفاً والرديف ١٤٠ الفاً والرديف الخاص ٩٠ الفاً وجيش الاقاليم ٣١٦ الفاً والجملة ٨٠٠ الف ٣٥٢ الفاً منها في الهند والباقي في بلاد الانكليز والمستعمرات . والمرجح ان الجيش النظامي او العامل سيزاد في زمن هذه الحرب وبعدها الى ٥٠٠ الف او ٦٠٠ الف

وهو على قلتهِ كثير النفقات جداً لان الجنود لا يؤْخذون بالقرعة الاجبارية بل يستأْجرون للخدمة استئجاراً فكأَن الجندية عمل من الاعمال التي يتعطاها الانسان لاجل المعيشة . يقول الرجل الانكليزي انا مثل غيري من ابناء وطني فلا يطلب مني ان ادافع عن التاجر عفواً كما لا يُطلَب من التاجر ان يقدم لي ثيابي وثياب اولادي وطعامي وطعام اولادي عفواً بلا ثمن . ومن رأي كبار القواد الانكليز مثل المرشال لورد روبرتس ان الانتظام في الجيش يجب ان يكون كالانتظام في خدمة الحكومة فيحسب الجندي مستخدماً براتب كافٍ لمعيشتهِ ومعيشة عيالهِ ويعطى معاش تقاعد مثل غيرهِ من مستخدمي الحكومة

وما ينقص الانكليز من القوة البرية يستعاض بالقوة البحرية فان عدد سفنهم الحربية التي كانت تامةً في آخر سنة ١٩١٣ والتي كان ينتظر ان تتم في آخر سنة ١٩١٤ وفي آخر سنة ١٩١٥ مذكور في الجدول التالي

نوع السفينة الحربية	١٩١٣	١٩١٤	١٩١٥
بوارج من نوع سبر دردنوط	١١	١٦	٢١
« « الدردنوط	١٥	١٥	١٥
« سابقة للدردنوط	٤٠	٤٠	٤٠
طرادات مدرعة	٥٠	٥٠	٥٠
« خفيفة	٦٨	٧٦	٨٤
سفن تربيد	١٨	١٨	١٨
سفن اخرى من نوعها	١٧	٢٣	٢٣
نسّافات	٢٢٨	٢٤٨	٢٦٢
سفن تربيد قديمة	١٠٠	١٠٠	—
غواصات	٧٧	٨٥	—

والبوارج من نوع السبر دردنوط تمتاز على الدردنوط بكبر مدافعها فالمدفع الكبير في الدردنوط قطر فوهتهِ ١٢ بوصة واما في السبر دردنوط فقطر فوهتهِ ١٣ ½ بوصة فاكثر

وعند الانكليز الآن ١٦ بارجة من هذا النوع وكلها حديثة واليك بيانها

الاسم	التفريغ	عدد المدافع	قطرها	قوة آلاتها البخارية	سرعتها
اوريون	٢٢٥٠٠ طن	١٠	١٣ ١/٢ بوصة	٢٧٠٠٠ حصان	٢١ ميلاً بحرياً
ثندرر	«	«	«	« «	« «
مونارك	«	«	«	« «	« «
كنكرر	«	«	«	« «	« «
ليون	٢٦٣٥٠	٨	«	٧٠٠٠٠ «	٣٠ «
برنس رويال	«	«	«	« «	« «
كنج جورج	٢٤٨٠٠	١٠	«	٣١٠٠٠ «	٢١ «
سنتوريون	«	«	«	« «	« «
اجاكس	«	«	«	« «	« «
اوداسيوس	«	«	«	« «	« «
كوين ماري	٢٨٨٥٠	٨	«	٧٨٠٠٠ «	٢٨ «
بنبو	٢٥٠٠٠	١٠	«	٣٠٠٠٠ «	٢١ «
امبراطور الهند	«	«	«	« «	« «
ايرن ديوك	«	«	«	« «	« «
مارلبرو	«	«	«	« «	« «
تيجر	٣٩٠٠٠	٨	«	٧٨٠٠٠ «	٢٨ «

البوارج التي من نوع الدردنوط

الاسم	التفريغ	المدافع الكبيرة	قطرها	قوة الآتها البخارية	سرعتها
دردنوط	١٧٠٠٠	١٠	١٢ بوصة	٢٣٠٠٠ حصان	٢١ ميلاً بحرياً
انفنسبل	١٧٢٥٠	٨	«	٤٣٠٠٠ «	٢٧ « «
اندوميتابل	«	«	«	« «	« « «
انفلكسبل	«	«	«	« «	« « «
بلروفن	١٨٦٠٠	١٠	«	٢٣٠٠٠ «	٢١ ١/٢ « «
تمرر	«	«	«	« «	« « «
سبرب	«	«	«	« «	« « «

SCOTLAND

25 BRITISH ARMOURED CRUISERS

٢٥ طرادا مدرعا

40 PRE-DREADNOUGHT BRITISH BATTLESHIPS

٤٠ بارجة انكليزية

ENGLAND

BRITISH STRENGTH in DREAD-NOUGHTS 31

٣١ دردنوط انكليزية

انكلترا

NORWAY

SKAGER RACK

CATTEGAT

6 GERMAN ARMOURED CRUISERS

٦ طرادات مدرعة

الدنمارك DENMARK

ZEALAND

20 PRE-DREADNOUGHT GERMAN BATTLESHIPS

٢٠ بارجة المانية

BALTIC SEA

بحر بلطيك

GERMANY

ELBE

GERMAN STRENGTH in DREADNOUGHTS 17

١٧ دردنوط المانية

المانيا

HOLLAND

هولندا

صورة خيالية تمثل البوارج الانكليزية والالمانية التي يمكن اجتماعها في البحر الشمالي

الاسم	التفريغ	المدافع الكبيرة	قطرها	قوة آلاتها البخارية	سرعتها
سنت فنسنت	١٩٢٥٠	١٠	١٢ بوصة	٢٤٥٠٠ حصان	٢٢ ميلاً بحريًّا
كولنجود	«	«	«	« «	« « «
فان غارد	«	«	«	« «	« « «
نبتون	١٩٩٠٠	«	«	٢٥٠٠٠ «	٢١ « «
اندفاتيغابل	١٨٧٥٠	٨	«	٤٣٠٠٠ «	٢٧ « «
هرقل	٢٠٠٠٠	١٠	«	٢٥٠٠٠ «	٢١ « «
كولوسس	«	«	«	« «	« « «
نيوزيلند	١٨٨٠٠	٨	«	٤٤٠٠٠ «	٢٧ « «

والسابقة للدردنوط اربعون كما تقدم تختلف سرعتها من ١٦ ميلاً بحريًّا الى عشرين ميلاً ومسرعة اكثرها بين ١٨ ميلاً وعشرين. ومدافعها الكبيرة من عيار ١٢ بوصة وهي اربعة في كل بارجة والصغيرة ١٢ مدفعاً في كل بارجة اكثرها من عيار ٦ بوصات وبعضها من عيار ٩ بوصات او عشر بوصات وقد بنيت كلها بين سنة ١٨٩٣ وسنة ١٩٠٥ والدردنوط بنيت بعدها. والطرادات كثيرة كما تقدم وبعضها سريع تبلغ سرعتهُ ٢٥ ميلاً او اكثر الى ٣٠ ميلاً

واذا قيست قوة انكلترا البحرية بقوة غيرها من الدول زادت على قوة اقرب دولتين اليها فتزيد مثلاً على قوة المانيا وفرنسا معاً او على قوة المانيا واميركا ويظهر لنا انهُ يمكن ترتيب الدول البحرية الآن على هذه النسبة التقريبية

انكلترا	١٠٠
المانيا	٠٥٥
اميركا	٠٤٠
فرنسا	٠٣٧
اليابان	٠٢٠
روسيا	٠٢٠
ايطاليا	٠١٧
النمسا	٠١٥

ويبقى فرق كبير بين هذه الدول في مهارة بحارتها وضباطهم وفي توزيع اساطيلها وسهولة وضع الفحم فيها ونحو ذلك من الامور الفنية

بلجكا

سيكون لهذه المملكة الصغيرة شأن في تاريخ اوربا لانها اخَّرت زحف الجيش الالماني على فرنسا الى ان عبأت فرنسا ما تستطيع تعبئتهُ من جيوشها ولولا ذلك لرأينا الالمان في باريس ولتغيرت نتيجة هذه الحرب

وبلاد البلجيك صغيرة المساحة ولكنها كثيرة السكان بالنسبة الى مساحتها فانها ١١٣٧٣ ميلاً مربعاً فقط ولكن عدد سكانها كان منذ اربع سنوات اكثر من سبعة ملايين ونصف مليون فيخص الميل الواحد منها نحو ٥٨٩ نفساً والسكان في بعض ولاياتها اكثر ازدحاماً من ذلك كما ترى في هذا الجدول

اسم الولاية	مساحتها	عدد سكانها	في الميل المربع
انفرس	١٠٩٣	٠٩٨٩ ٣٤٠	٧٤٩
برابانت	١٢٦٨	١ ٠٠٥ ٢١٤	٩٩٥
الفلمنك الغربية	١٢٤٩	٨٨١ ٠٣٣	٦٤٤
« الشرقية	١١٥٨	١ ١٢٣ ٧٥٥	٨٩١
هينو	١٤٣٧	١ ٢٤٠ ٠٢٥	٧٩٥
ليج	١١١٧	٠٨٩٩ ٤٢٣	٧٣٤
لمبورج	٠٩٣١	٠٢٢٧ ٥٣٢	٢٥٨
لكسمبرج	١٧٠٦	٠٢٣٤ ٢٥٢	١٢٨
نامور	١٤١٤	٠٣٦٥ ٦٠٦	٢٤٥
الجملة	١١٣٧٣	٧ ٥١٦ ٧٣٠	٥٨٩

فهي اكثر ازدحاماً بالسكان من كل ممالك اوربا وسكانها يزيدون زيادة كبيرة فقد كان عددهم ٦٦٩٣٥٤٨ سنة ١٩٠٠ فزادوا في عشر سنوات ٨٢٣ ١٨٢ نفساً اي ان الزيادة السنوية اكثر من ٨٢ الفاً او نحو واحد وربع في المئة في السنة وهي ناتجة من كثرة زيادة المواليد على الوفيات

كانت بلاد البلجيك قديماً جزءا من الامبراطورية الرومانية ثم لما انحلت تلك

الامبراطورية صارت البلجيك من املاك الفرنك اي الفرنسويين وانقسمت الى امارات عديدة في زمن الحكم الاقطاعي واستولى عليها ملوك برغندي من سنة ١٣٨٥ الى ان دالت دولتهم بالملك كارلس الجسور سنة ١٤٧٧ فانتقلت هي وهولندا بواسطة ابنتهِ الى بيت هبسبرج ملوك اسبانيا الى ان عقد صلح اترخت سنة ١٧١٣ فانتقلت هي وحدها الى النمسا . ثم ضمت الى فرنسا في زمن بونابرت واعيدت الى هولندا بعد سقوطهِ وذلك في ٣١ مايو سنة ١٨١٥ وكانت حينئذٍ ميدان الحروب الاوربية وفيها جرت موقعة ووترلو الشهيرة (على ١١ ميلاً من مدينة بروكسل) في ١٨ يونيو سنة ١٨١٥ اي منذ تسع وتسعين وسنة فهل يحتمل ان تقع فيها المعركة الفاصلة الآن كما وقعت فيها معركة ووترلو حينئذٍ

ولكن اتحاد بلجكا مع هولندا لم يدم لاختلاف سكان البلادين في المذهب والطباع لاسيما وان اهالي هولندا كانوا مستأثرين بكل المناصب العالية في الحكومة . فلما حدثت الثورة الثانية في فرنسا سنة ١٨٣٠ اقتدت البلجيك بها وثارت طالبة الانفصال عن هولندا . وحاولت حكومة هولندا قمع الثورة بالقوة فلم تفلح وجاء البرنس فردرك ابن ملكها بجيش جرار واحتل بروكسل فحاربهُ السكان واضطروهُ الى الخروج منها والالتجاء الى انفرس . وفي الرابع من اكتوبر تلك السنة اعلنت البلجيك انها استقلت عن هولندا وانشأَت حكومة موقتة . واسرع الاسطول الهولندي ورمى انفرس بالمدافع فزاد غيظ البلجيكيين حتى صار عودهم الى هولندا ضرباً من المحال . واجتمع حينئذٍ مؤتمر في لندن حضرهُ نواب فرنسا والنمسا وبروسيا وروسيا وانكلترا فرأَى بعد مداولات طويلة ان انفصال البلجيك عن هولندا صار امراً مقضيًّا لامرد لهُ . وفي السنة التالية اختير البرنس ليوبولد الساكسكوبرجي ملكاً عليها فدخل بروكسل في ٢١ يوليو سنة ١٨٣١ واقترن بابنة لويس فيليب ملك فرنسا فاشتد بهِ ازرهُ . ولم تقبل هولندا بما اقرَّ عليهِ مؤتمر لندن فشهرت الحرب على بلجكا لكن فرنسا وانكلترا انتصرتا لها فقهرت هولندا . وطلبت هولندا ان تحمل بلجكا نصيبها من الدين الوطني وبعد تقلبات كثيرة اعترفت هولندا باستقلال البلجيك وتحملت البلجيك خمسة ملايين فلورين او نحو عشرة ملايين فرنك في السنة ربا ما خصها من دين هولندا

والبلجيك من اغنى بلدان اوربا في الزراعة والصناعة والمعادن . يزرع فيها القمح والشعير والشوفان والقطاني على انواعها والقنب والكتان والتبغ وحشيشة الدينار ونجر السكر والكرم وانواع الفاكهة فتبلغ مساحة بساتين الفاكهة فيها ١٣٠٠٠٠ فدان . وحكومتها تنفق

على اربع مدارس زراعية وتسعة حقول للتجارب الزراعية ٠ وهي مشهورة بخيلها وفيها نحو ٢٦٠ الفاً من الخيل ونحو مليونين من البقر

ويتلو غناها الزراعي غناها المعدني ففيها النحاس والرصاص والزنك والشب والرخام والمرمر والحديد والفحم الحجري ٠ واهم معادنها الحديد والفحم الحجري فهي تتلو انكلترا فيها فان فيها ٢١٩ منجماً من مناجم الفحم يستخرج منها في السنة ٢٣ مليون طن ويستخرج من مناجم الحديد ١٦٠٠٠٠٠ طن وفيها اكثر من خمس مئة معمل للآلات الحديدية تصنع في السنة ما ثمنهُ سبعة ملايين من الجنيهات

وفيها معامل لنسج الكتان والصوف والقطن والحرير والخرج ولدبغ الجلود وعمل المصنوعات الجلدية وفيها مسابك كبيرة للمدافع في لياج وانفرس ومعامل لياج من اشهر المعامل لعمل الاسلحة ٠ والمعامل المعدنية منتشرة في كل مدنها وتبلغ قيمة صادراتها وارداتها في السنة نحو خمس مئة مليون جنيه او نحو عشرة اضعاف تجارة القطر المصري ٠ وميزانية حكومتها في السنة ٢٨ مليون جنيه وعليها دين يبلغ ١٤٧ مليون جنيه انفق كلهُ او اكثرهُ لاجل المنافع العمومية رباهُ السنوي نحو خمسة ملايين من الجنيهات يوفى من دخل سكك الحديد

اعظم حصونها في انفرس وهي من احصن حصون الدنيا ويقال انها تكفي لتحصين الجيش البلجيكي كلهِ ٠ ومن حصونها المنيعة ايضاً حصون لياج وهوي ونامور لكن مدافع الالمان الكبيرة قويت عليها وخربتها وجيشها في زمن السلم نحو خمسين الفاً وفي زمن الحرب ١٨٠ الفاً ثمانون الفاً منها لحفظ الحصون ومئة الف لمنازلة العدو وتستطيع ايضاً ان تستخدم الحرس المدني وعددهُ نحو ٤٧ الفاً فيزيد جيشها وقت الحرب على مئتي الف

هذه خلاصة حال البلجيك في الماضي والحاضر الى حين اجتاحها الالمان في هجومهم على فرنسا اما حالها في المستقبل فتتوقف على كيف تنتهي هذه الحرب فان انتهت بفوز المانيا فالغالب انها تضمها اليها ثم تضم هولندا وتتوالى الثورات الداخلية الى ان تزهق النفوس وتتداعى صروح العمران ٠ وان انتهت بفوز فرنسا وانكلترا وروسيا حفظ لها استقلالها وقد يضاف اليها بعض البلاد المجاورة او تعدَّل حدودها تعديلاً يزيدها بسطةً وعمراناً

وقد اظهر البلجيكيون من البسالة في الدفاع عن ذمارهم ما سيبقى ذكرهُ مسطوراً في تاريخ الدهور مقروناً بالمدح والاعجاب

الحرية الشخصية وارتقاء الدولة (١)

لقد خبط الناس في فهم معنى الحرية فذهبوا الى انها تقتضي التمكن من اي عمل يدور في خلد طالبهِ . وهذا الوهم يرجع سببهُ الى مغالاة الحاكمين في التحكم بافراد الرعية وتطرف المستبدين في استعمال سلطتهم الشرعية لمحض منافعهم الشخصية متغاضين عن مصلحة غيرهم فحصلت تلك الردَّة ونجم عن الغلو في استبداد الحاكم غلوٌ من جهة المحكوم في طلب الحرية فافضى بهِ الغلو الى اخراج الحرية عن معناها الاصلي الطبيعي . وذهب جميع هؤُلاء المغالين الى ان الحاكمية لا تجتمع مع الحرية فقالوا ان الحاكمية تقتضي وجود حاكم اعلى في كل دولة تطيعهُ افراد الرعية فيسن لهم القوانين و يأمرهم باتباعها و يقتص منهم اذا اخلوا بنص من نصوصها وان سلطة هذا الحاكم الاعلى سلطة لاحد لها من الوجهة الشرعية وان المحكوم لا يمكنهُ ان يقف في وجه الحاكم فيسوقهُ الحاكم الى الحرب ويجبي منهُ الضريبة اثر الضريبة فكيف اذن توجد الحرية بوجود هذه الحالة السياسية

اعترض اصحاب هذه الحرية الخيالية على وجود الحاكمية في الدولة لان وجودها يمنع افراد الرعية من التمتع بهذه الحرية المطلقة فهم يطلبون ان يكون لكلٍ الحرية التامة في اجراء ما يريدهُ ولا يجوز لاحد ان يعارضهُ في الحصول على رغائبهِ — وهذه الحرية التي ينشدونها تشبهُ الحرية التي يدعو اليها دعاة الفوضى اي الذين ينكرون وجود السلطة الحاكمة القاهرة وتشبهُ ايضاً الحرية التي قال بها اصحاب مذهب « العقد الاجتماعي » . قال اصحاب هذا الرأي ان الناس كانوا قبلما وجدت الحكومات والدول متمتعين بالحرية المطلقة ثم تنازلوا للحاكم الاعلى عن بعض حريتهم في نظير محافظتهِ على حقوقهم ومنع الغير من الاعتداء عليهم . والذي دعا الى انتشار هذا الرأي هو مغالاة حكام القرنين السابع عشر والثامن عشر في الاستئثار بالسلطة والاستبداد بالرعية فقام العلماءُ في وجوههم وذهبوا الى ان قوة الحاكم مستمدة من الشعب على حد الرأي السابق

والذي يظهر من البحث ان الحرية الخيالية يستحيل وجودها او تصورها الاَّ لشخص

(١) استعنت في كتابة هذه المقالة بكتاب مبادىء العلم السياسي تأليف الاستاذ ليكوت مدرس العلوم السياسية في مدرسة مجل بولاية مونتريال في اميركا

يفترض انهُ ذو قوة مطلقة يستطيع ان ينال بها كل ما يطلبهُ . اما اصحاب هذا الرأي فيقولون ان الحرية تكسب كل شخص حقًّا مطلقًا في نيل كل ما تتوق نفسهُ اليهِ . فكيف يمكن تصور هذه الحرية اذا اتحد المطلوب وتعدد الطلاب فقد يوجد شيء محبوب يتوق اليهِ عدد كبير من الناس في وقت واحد فاذا رام كل منهم نيلهُ لا يتسنى ذلك لجميعهم فينتهي بهم الامر الى الخصومة وينالهُ في آخر الامر اقواهم

وغاية ما يمكن لكل فرد ان ينالهُ من الحرية في افعالهِ بوجه الحق هو ان يكون حرًّا مطلقًا في جميع الافعال التي لا تمس حرية غيرهِ . وليس في هذه الحرية مخالفة لحرية الغير وقد عرفها الثوريون الفرنسيون في منشورهم الذي اصدروهُ عام ١٨٧٩ كما يأتي « الحرية هي القوة التي تمكن صاحبها من مباشرة اي فعل لا يضر الغير » وعرفها سبنسر بقولهِ ان « كل امرىءٍ حرٌّ ان يباشر اي فعل يريد مباشرتهُ على شرط ان لا يتعدى بذلك على حرية اي امرىءٍ اخر » . هذه الحرية الشرعية لا تنافي الحاكمية بل لا يمكن تصورها او وجودها الاَّ مع الحاكمية ولا توجد الاَّ اذا ايدها الحاكم الاعلى فانها ما دامت تخول صاحبها التمتع بحقوق معروفة معينة بشرط ان لا ينافي تمتعهُ بها حقوق غيرهِ فلا بد من وجود سلطة عالية تحدد حقوق كل شخص وتتولى المحافظة على بقاء تلك الحدود فتمنع كل احد من التعرض لحقوق غيرهِ في اثناء تمتعهِ بحقوقهِ وبذلك توجد الحرية الشرعية بين الافراد بفعل الحكومة او بفعل الوازع . وقد اطلقوا على هذا النوع من الحرية اسم « الحرية المدنية »

ينتج من هذا ان من اهم وظائف الحكومة ضمان الحرية الشخصية ومنع الافراد من التعرض لحرية غيرهم على انهُ لا يلزمها قصر سلطتها على ذلك المنع

وقد ذهب كثير من الكتاب الى ان وظيفة الحكومة يجب ان تكون مقصورة على ذلك وانهُ لا يجوز لها ان تتعرض لحرية الفرد بل تقصر عملها على منع تعرض الواحد لحرية غيرهِ وهم يخطئون الحكومة مثلاً في اكراهها الفرد على تعليم ابنائهِ وزرع ارضهِ بطريقة مخصوصة تعينها لهُ ووضع قواعد تحتم اتباعها على اصحاب المعامل في استخدامهم العمال والزامهم اياهم بمكافأة العامل الذي يفقد عضواً من اعضائهِ في اثناء العمل . وقد قالوا ان الحكومة يجب ان تصرف همها الى المحافظة على حرية الفرد وتعمل كل ما يلزم لذلك . فهم يبررون وجود الجيش واقامة الحصون وبناء الاساطيل لمنع تعرض الاجنبي لحريتهِ الوطني ويبررون ايضاً وجود البوليس والمحاكم الجنائية والمدنية على انواعها . ومنهم من يتوسع فيبرر الحكومة في اي

عمل تعمله وان كان فيهِ اخلال بمبدإ الحرية اذا كانت ترى في عملها نفعاً للفرد او للشعب

وعند الكتّاب السياسيين نوع من الحرية غير الحرية الخيالية والحرية المدنية وهو الحرية الوطنية اي استقلال الامة فاذا قيل مثلاً ان اليونان نالوا حريتهم الوطنية في حرب ١٨٢١ فالمقصود انهم اصبحوا من ذلك الحين دولة مستقلة تحكم نفسها بنفسها وبناء عليهِ يقال ان الشعب اليوناني فقد حريتهُ لانهُ فقد استقلالهُ . ونوع آخر وهو « الحرية الدستورية » اي ان يحكم الشعب حكومة ينتخبها الشعب وتكون مسؤولة لديهِ كما هي الحالة في الولايات المتحدة وفرنسا وانكلترا

ويجدر بنا في هذا المقام ان نذكر الفرق بين الدولة والحكومة فالدولة هي مجموع من الناس يقطنون بقعة معينة من الارض تحكمهم الاكثرية منهم او يحكمهم شخص واحد او عدد من الاشخاص وتكون ارادة هؤلاء متغلبة على سائر المجموع بما يملكونهُ من القوة الحاكية . فقوام الدولة اذن امران هما الامر والطاعة بحيث يوجد قوة تأمر وقوم يطيع توجد الدولة. اما الحكومة فهي كناية عن الشخص او الاشخاص الذين ولُّوا القوة الحاكمة . وبناء على ما تقدم فكل فرد من الشعب يعتبر عضواً من الدولة ولا يعتبر عضواً من الحكومة

ثبت مما تقدم ان الحكومة هي المسؤولة عن المحافظة على الحرية المدنية بما تسنهُ من الشرائع فاذا كانت الحكومة شخصاً مستبداً ظالماً فقد يعبث بحرية الافراد وحقوقهم على حسب هواهُ . اما الحكومات الدستورية فيختلف فيها ضمان الحرية الشخصية باختلاف نوع الدستور الذي يعين نوع الحكومة ويوزّع اعمالها على هيئاتها التنفيذية والتشريعية والقضائية . واحسن البلاد ضماناً للحرية الشخصية هي البلاد التي يكون فيها تعديل الدستور صعباً لان ضمان الحرية الشخصية من مقتضيات الدستور فاذا كان تعديلهُ مهلاً سهل العبث بحقوق الافراد . واصعب الدساتير تعديلاً دستور الولايات المتحدة اذ يجب ان يطلب التعديل ثلثا الولايات او ثلثا مجلس النواب ليجوز النظر فيهِ . اما في بلاد الانكليز مثلاً فللبرلمان ان يعدّل الدستور في اي اجتماع من اجتماعاتهِ القانونية

فبناء على ذلك يكون نظام الحكومة في اميركا ابعث على ضمان الحرية الشخصية وسائر مبادئ الدستور من نظام سائر الحكومات . وقد انتشرت الحرية في تلك البلاد انتشاراً عظيماً لا تضارعها فيهِ بلاد اخرى من بلاد الله

ولا بد من معرفة العلاقة بين الفرد والدولة او الهيئة العمومية لمعرفة السيطرة التي

يسوغ للحكومة ان تباشرها مع افراد الامة — فقد ذهب القائلون « بالعقد الاجتماعي » ان الفرد يشغل في الهيئة العمومية مركزاً مستقلاً وان جميع الافراد تعاقدوا على تسليم امرهم الى الحاكم مقابل محافظتهِ على حريتهم بمنع تعدي الفرد على اخيهِ وبذلك تكون سيطرة الحكومة مقصورة على هذا العمل اي منع التعدي . وهذا المذهب كان لهُ شأن عند علماء القرن الثامن عشر ولكن بطل القول بهِ بعد ذلك . وذهب بعض الكتاب السياسيين الى ان العلاقة بين الفرد والدولة علاقة طبيعية متينة وشبهوها بعلاقة اعضاء الجسم بالجسم فكما انهُ لا يمكن وجود اليد منفصلة عن الجسم فكذلك لا يمكن ان يعيش الفرد منفصلاً عن الدولة وان الدولة وان تكن قد ترقى نظامها مع مرور الزمان فقد وجدت منذ وجود الانسان بصورة احط من صورتها الحاضرة . فقد اعتبروا القبيلة والعشيرة دولة في اول نشوئها لان قوام الدولة وهو الامر والطاعة وجد في القبيلة فكانت الحاكمية محصورة في زعيم يأمر ويطاع وقالوا ان الدولة والفرد شيء واحد لا يمكن فصلها مطلقاً وسموا هذا المذهب مذهب الدولة العضوي . وعلى مقتضى هذا المذهب تنمو الدولة نمواً متواصلاً كما ينمو الجسم الحي وهذا النمو المتواصل يؤدي الى ترقي النظام الاجتماعي . والذي ارادهُ اصحاب هذا القول هو مجرد التمثيل بين الدولة والحي لا ان الدولة تشبهُ الحيَّ من جميع الوجوه لان الجسم الحي ينمو نمواً اضطرارياً والدولة تنمو نمواً اختيارياً اي ان لإرادة الافراد تأثيراً في ترقية الدولة فتنمو بمحض ارادة الافراد المكونة منهم . واما النبات والحيوان فينموان نمواً كرهيًّا طبيعيًّا ولا يد لهما فيهِ ومهما يكن من امر هذا المذهب فانهُ اعان على اضعاف مذهب العقد الاجتماعي الذي يجعل الفرد مستقلاً عن الدولة ويحصر سلطة الحكومة ويحددها فيمنع نمو الدولة وزيادة قوتها وصوَّر الدولة والافراد جسماً حيًّا متضامناً مرتبطاً يعمل للنفع العام . وهذا التمثيل وان كان ناقصاً من بعض الوجوه كما تقدم فانهُ تمثيل مفيد يدل على ان الفرد قد تحتم عليهِ المصلحة العامة تحمل الخسارة الشخصية كما ان اليد قد تفنى في سبيل المدافعة عن الرأس او عن القلب . واذا اعتقد الافراد بهذا المذهب سهل عليهم طاعة القوانين التي يسنها الحاكم الاعلى ويظهر انها منافية لحرية الفرد لانهم يرون عند ذلك ان القانون انما يعمل للعموم لا للفرد وان المصلحة الخاصة يجب ان يتغاضى عنها اذا اعترضت المصلحة العامة . واما اذا تقوى مذهب الاستقلال الفردي في النفوس فيؤدي الى عدم احترام السلطة وفقدان الوطنية ووقوف الدولة المؤلفة من الافراد عن النمو . ثم اذا ضعفت الدولة ضعف الفرد وهذا حال الدول الضعيفة لا هي سعيدة

ولا الفرد فيها سعيد وان الاحوال المشاهدة تميل بنا كل الميل الى قبول المذهب العضوي وبثهِ في نفوس اهل الوطن — كل هذا يدل على ان الجهل في حب الذات يؤدي الى ضرر عظيم وما اشد سريان هذا الجهل في الشرق الذي نسي اهلهُ انفسهم وتكالبوا على حبها فذهب تكالبهم ادراج الرياح وضرب عليهم وعلى دولهم المذلة والمسكنة الى ان يتغيروا عن هذه الحالة المشؤومة

ومن المحال وجود جمعية في الدنيا يكون اساسها مذهب الاستقلال الفردي . وكل جمعية تشاء النجاح في نيل غرضها ينبغي لاعضائها ان يندغموا فيها وينسوا اشخاصهم النسيان الذي تقتضيهِ اغراض الجمعية فاذا عرض احدهم مطلباً وجب ان يؤيدهُ بالمغانم العامَّة التي تنجم عنهُ ويتجرد عن الهوى النفسي كل التجرد . بهذه الطريقة تنجح الجمعيات سواءٌ كانت سياسية او اجتماعية ولا تقوم قائمة لجمعية بشرية اذا جعلت الانانية اساساً لها لانهُ يستحيل ان تتفق مطالب الافراد الشخصية ولذلك نرى البلاد التي فشا فيها مذهب الاستقلال الفردي بسبب عدم الثقة بالحكومات لا ينجح فيها عمل مشترك . فكم من جمعية نشأت والتحمس منبث في صدور اعضائها في اول الامر ثم ما عتمت ان تضاربت اراؤهم وتصادمت مصالحهم ولا مصلحة عامَّة تجمعهم فانحلت جمعيتهم وذهبت مساعي افاضلهم هباءً منثوراً

نزل الشرق المسكين اكثر من كل بلد غيرهِ في هذه المهواة فضاعت آثار الوطنية فيهِ وماتت المصالح العامَّة ويئس الناس من القيام باية حركة عمومية في دفع مغرم او جر مغنم . كل هذا ناجم عن تعاقب الظالمين الغاشمين على امرهِ والسعي وراء منافعهم الخاصَّة وقتل الوطنية وابادة الوحدة فكلما قامت حركة عامَّة اخمدوا انفاسها واطفأُوا نارها خوفاً على مصالحهم الذاتية فرسخ في اذهان الناس على تمادي الاجيال ان لا فائدة من اية وحدة عامَّة يقصد بها النفع العام وقد امسوا في حالة لا يفهمون معها معنى الفاظ الوطنية والقومية والمصلحة العامَّة الاَّ بما يشاهدونهُ من آثارها في بلاد الغرب الراقية وحتى ان بعضهم ضعفوا عن مقاومة دولهم المنحطة فترى بعض الدول الشرقية تستبد وتتحكم برعاياها المستضعفين وهم مكتوفو الايدي يقبلون ظلمها صاغرين ولو اوتوا شيئاً من الروح الوطنية لامكنهم تقويض دعائم حكامهم ونهج حياة جديدة في هذه الدنيا تقلل من بؤسهم وتزيد من سعادتهم . ولعل امة اليابان تكون مثالاً لامم الشرق فينهجوا نهجها ويسيروا في ميدان الحياة بعد هذا الهجوع الطويل

خليل يعقوب الخوري

المآخذ الشعرية

(تابع ما قبلهُ)

قال عبد الله بن سليمان لابي العباس : اعذرني فاني مشغول . فقال لهُ ابو العباس :

ولا تعتذر بالشغل عنا فانما تنال بك الآمالُ ما اتصل الشغلُ

فاخذهُ ابو الحسن علي بن هرون الشيباني بقولهِ من ابيات :

لا تعتلل بالشغل انك انما ترجى لانك دائماً مشغولُ
واذا فرغت ولا فرغت فغيرك المقصود للحاجات والمأمولُ

وقال عبد الله بن المعتز العباسي :

وكأن السقاة بين الندامى أَلفاتٌ بين السطور قيامُ

فاخذهُ رجاء بن الوليد الاصبهاني بقولهِ :

هذي المدام وهذه التُحَفُ والكأْس بين الشَّرب تختلفُ
فكأَنهم وكأَن ساقيهم سين تُرَى قدامها الفُ

وقال ابو عيينة :

ابوك لنا غيث نعيش بظلّهِ وانت جرادٌ لست تُبقي ولا تَذَرْ

فقال ابو بكر الخوارزمي بمعناهُ :

أَتحصد ايديكم ويزرع غيركم فانتم جرادٌ والملوك السحائبُ

وقال ابو سعيد الرستمي من قصيدة واخذ معناهُ من قول ابي تمام : «عوَّذهُ الحاسد بخلاً بهِ» :

يوسعهُ ان رآهُ حاسدهُ مدحاً ويثني عليهِ جاذبهُ

وقال ابن المعتز العباسي :

وكأَنَّ الربيع يجلو عروساً وكأَنَّا من قطرهِ في نثارِ

فاخذهُ الصاحب بن عباد بقولهِ :

اقبل الجوّ في غلائل نورٍ وتهادى بلؤلؤٍ منثورِ
فكأَن السماء صاهرت الارض فصار النثار من كافورِ

وقال بعض الشعراء :

غنَّت فلم يبقَ فيَّ جارحةٌ إلاَّ تمنَّت بانها أُذُنُ

فاخذهُ ابو سعيد الرستمي وزاد عليهِ بقولهِ :

غنى فجلَّى الظلام غرَّتهُ عنا وغصت بشدوهِ الأُفُقُ
فودَّتِ العين انها اذنٌ تسمعُ والأُذن انها حَدَقُ

وقال بعضهم :

ارابك دمعي اذ جرى فحملتني من الضرّ والبلوى على مركبٍ صعبِ
فلا تنكرنْ تلك الدموع فانما ببيّضها تصعيدها من دم القلبِ

وتابعهُ ابو الحسن البديهي بقولهِ من قصيدة :

ولم أرَ لي يوم الرحيل مساعداً على الوجد حتى اقبل الدمع مسعدا
وكان دماً فايضً منهُ احمرارهُ بنار التصابي حين فاض مصعَّدا

وقال ابو طاهر بن ابي الربيع من قصيدة :

والنبت ريَّان المهزَّة مائلٌ شرق المحاجر زهرهُ بالماء
مسحت باجنحة الصبا اعرافهُ وجلت مداوسها متون إضاء
فترى الظباء اذا وردنَ حيالها ككواكبٍ قابلنهنَّ مرائي

وأخذهُ من قول ابن المعتز :

وترى الرياح اذا مسحن غديرهُ صقَّلنهُ ونفينَ كلَّ قذاةِ
ما ان يزال عليهِ ظبيٌ كارعٌ كتطلُّع الحسناء في المرآةِ

وقال ابن نباتة السعدي من قصيدة :

ما بال طعم العيش عند معاشرٍ حلوٌ وعند معاشرٍ كالعلقمِ
من لي بعيش الاغبياء فانَّهُ لا عيش الأَّ عيش من لم يعلمِ

ومن احسن ما قيل في هذا المعنى قول ابن المعتزّ :

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لمن عقلا

وقال ابو الصلت الاشبيلي :

ومهفهف شربت محاسن وجههِ ما مجَّهُ في الكأس من ابريقهِ

ففعالها من مقلتيهِ ولونها من وجنتيهِ وطعمها من ريقهِ

فاخذهُ ابن حيُّوس وقصَّر عنهُ في قولهِ :

ومهفهف يغني بلحظ جفونهِ عن كأسهِ الملأى وعن ابريقهِ
فعل المدام ولونها ومذاقها في مقلتيهِ ووجنتيهِ وريقهِ

وقال ابو الصلت ايضاً في ثقيل وقد اجاد :

لي جليس عجبتُ كيف استطاعت هذه الارض والجبال نقلَّهْ
أنا أرعاهُ مكرهاً وبقلبي منهُ ما يقلق الجبال اقلُّهْ
فهو مثل المشيب اكرهُ مرآهُ ولكن أصونهُ واجلُّهْ

فاخذهُ من قول ابي الحسن جعفر بن الحاج الميورقي وهما متعاصران :

لي صاحبٌ عميت عليَّ شؤُونهُ حركاتهُ مجهولة وسكونهُ
يرتاب بالامر الجلي توهماً فاذا تيقَّن نازعتهُ ظنونهُ
اني لأهواهُ على شرَقي بهِ كالشيب تكرههُ وانت تصونهُ

وقال مطرف الغرناطي :

وفي فروع الايك وُرْقٌ اذا بلَّ الندى اعطافها تسجعُ
او هزَّها نفح نسيم الصبا شاقك منها غُرَّدٌ شُرَّعُ
كأنما ريطتها منبرٌ وهي خطيبٌ فوقهُ مصقعُ
انَّ شبهًا في طرَفٍ لوعةٌ جرى لها في طرَفٍ مدمعُ

فاخذهُ من قول عبد الوهاب بن علي المالقي الخطيب :

كأن فؤَادي وطرفي معاً هما طرفا غُصُنٍ أخضرِ
اذا اشتعل النار في جانبٍ جرى الماء في الجانب الآخرِ

وقال آخر بهذا المعنى :

القلب من فرقة الخلاَّن يحترقُ والدمعُ كالدرّ في الخدَّين يستبقُ
ان فاض ماء عيوني لم يكن عجبٌ العودُ يقطر ماء وهو يحترقُ

وقال بعضهم :

لا تحسبوا ان رقصي بينكم طرباً فالطير يرقص مذبوحاً من الألمِ

وكتب ابو فراس الحمداني الى سيف الدولة بن حمدان من قصيدة :

اذا لم اجد من خلّةٍ ما أُريدُهُ فعندي لأُخرى عزمةٌ وركابُ
وليس فراق ما استطعتُ فان يكن فراق على حالٍ فليس إيابُ

وهو مأخوذ من قول اوس بن حجر :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد اليهِ بوجهٍ آخر الدهر تقبلُ

وقال الحمداني من هذه القصيدة ايضاً :

وافعالهُ للراغبين كريمةٌ واموالهُ للطالبين نِهابُ
ولكن نبا منهُ بكفيَّ صارمٌ واظلم في عينيَّ منهُ شهابُ

وهومن قول البحتري :

سحابٌ عداني جودُهُ وهو ريّقٌ وبحرٌ خطاني فيضهُ وهو مفعمُ
وبدرٌ أضاء الارض شرقاً ومغرباً وموضع رجلي منهُ اسود مظلمُ

وقال المتنبي :

تركتُ السرى خلفي لمن قلَّ مالهُ وانعلتُ افراسي بنعماك عسجدا
وقيدتُ نفسي في هواك محبّةً ومن وجد الاحسان قيداً تقيّدا

والمَّ فيهِ بقول ابي تمام :

همي معلقة عليك رقابها مغلولة ان الوفاء إسارُ

وكرَّر المتنبي هذا المعنى فزاد عليهِ حتى كاد يفسدهُ بقولهِ :

يا من يقتّل من اراد بسيفهِ اصبحتُ من قتلاك بالاحسانِ

وقال المتنبي :

وانا الذي اجتلب المنية طرفهُ فمن المطالب والقتيل القاتلُ

وهو من قول دعبل :

لا تطّلب بظلامتي احداً طرفي وقلبي في دمي اشتركا

وقال المتنبي في السفر :

وان نهاري ليلة مدلهمةٌ على مقلة من فقدكم في غياهبِ

بعيدة ما بين الجفون كأنما عقدتم اعالي كل هدب بحاجبِ

فقال ابن جني انهُ مثل قول بشار بن برد :

جفت عيني عن التغميض حتى كأنَّ جفونها عنها قصارُ

وذكر القاضي انهُ مأخوذ من قول الطرمي في رطاناتهِ :

ورأسيَ مرفوع الى النجم انمَّا قفاي الى صلبي بخيطٍ مخيَّطُ

وقال ابو القاسم الزاهي :

سفرنَ بدوراً وانتقبنَ اهلَّةً ومسنَ غصوناً والتفتنَ جآذرا

واطلعنَ في الاجياد بالدرّ انجماً جعلنَ لحبّات القلوب ضرائرا

وقد اخذ البيت الاول من المتنبي القائل :

بدت قمراً ومالت غصن بانٍ وفاحت عنبراً ورنت غزالا

وقال المتنبي :

قد استشفيت من داءٍ بداءٍ واقتل ما اعلَّك ما شفاكا

فاخذهُ من قول حميد بن ثور : «وحسبك داءً ان تصحَّ وتسلما» . وقيل من قول النبيّ : «كفى بالسلامة داء»

وقال الزاهي :

احصي على دهري الذنوب بمقلةٍ لدموعها لا املك الاحصاء

وهو من قول ديك الجنّ :

انا احصي فيك النجوم ولكن لذنوب الزمان لستُ بمحصي

وقال المتنبي بمعناهُ :

اقلّب فيهِ اجفاني كأني اعدُّ بهِ على الدهر الذنوبا

وقال الوأواء الدمشقي من ابيات :

فقلت لم ودمع العين يجري على خدّي لهُ درٌّ نثيرُ

متى ارعى بروض الحسن منهُ وعيني قد تضمَّنها غديرُ

وكأنهُ من قول ابن المعتز :

وان تك في خديك للحسن روضة ٌ   فان على خديَّ غديراً من الدمعِ

وقال سعيد بن محمد بن العاص المرواني في الهلال :

والبدر في جوّ السماء قد انطوى   طرفاهُ حتى عاد مثل الزورقِ
وتراهُ من تحت المحاق كأنما   غرق الكثير وبعضهُ لم يغرقِ

وهو من قول بن المعتز ايضاً :

فانظر اليهِ كزورقٍ من فضةٍ   قد اثقلتهُ حمولةٌ من عنبرِ

وقال شمس المعالي

وفي السماء نجوم ما لها عددٌ   وليس يكسف الاَّ الشمس والقمرُ

وهو من قول الطائي

ان الرياح اذا ما استعصفت قصفت   عيدان نجدٍ فلم يعبأن بالرتمِ
بنات نعش ونعش لا كسوف لها   والشمس والبدر منها الدهر في الرقمِ

وقال ابو العتاهية

الحمد لله فهو أهمني الحمد على الحمد والمزيد لديهِ
كم زمان بكيت فيهِ فلما   صرتُ في غيرهِ بكيتُ عليهِ

وهذا المعنى تداولهُ الشعراء فقال ابرهيم بن العباس

كذاك ايامنا لا شك نندبها   اذا تقضّت ونحن اليوم نشكرها

وقال آخر

وما مرَّ يوم ارتجي فيهِ راحةً   فافقدهُ الاَّ بكيتُ على امسِ

وقال ابو تمام الطائي

لولا التخوف للعواقب لم تزل   للحاسد النعمى على المحسودِ
واذا اراد الله نشر فضيلةٍ   طويت اتاح لها لسان حسودِ
لولا اشتعال النار في ما جاورت   ما كان يعرف طيب عرف العودِ

اخذهُ البحتري فقال

ولن تستبين الدهر موضع نعمةٍ   اذا أنت لم تدلل عليها بحاسدِ

وكأَنهما اخذاهُ من قول معن بن زائدة :

انّي حُسِدتُ فزاد اللهُ في حسدي لا عاش من عاش يوماً غير محسودِ
ما يُحسد المرء الاَّ من فضائلهِ بالعلم والظرف او بالبأْس والجودِ

وقال ابو حية النميري :

فالقت قناعاً دونهُ الشمس واتَّقت باحسن موصولين كفٍ ومعصمِ

واصلهُ مأخوذ من قول النابغة :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطهُ فتناولتهُ واتقتنا باليدِ

وانشد الثوري :

ترى الدرَّ منثوراً اذا ما تكلَّمت وكالدرّ منظوماً اذا لم تكلَّمِ

وهو من قول البحتري :

فمن لؤلؤٍ تجلوهُ عند ابتسامها ومن لؤلؤٍ عند الحديث تساقطهُ

وقال ابرهيم بن العبّاس :

لفضل بن سهلٍ يد تقاصر عنها المثَلْ
فباطنها للندى وظاهرها للقُبَلْ
وبسطتها للغنى وسطوتها للأَجلْ

فاخذهُ ابن الروميّ وقال لابرهيم بن المدبّر :

اصبحت بين ضراعةٍ وتجمُّلٍ والمرء بينهما يموت هزيلا
فامدد اليّ يداً تعوّد بطنها بذل النوال وظهرها التقبيلا

وقال ابو الفتح كشاجم الرمليّ في جواد :

ضحك الجبين على سواد اديمهِ وكذا الظلام تنيرُ فيهِ الأَنجمُ
فكأَنهُ ببنات نعشَ ملبَّبٌ وكأَنما هو بالثريا ملجمُ

وهو من قول ابن المعتزّ :

أَلا فاسقياني والظلام مقوَّضٌ ونجم الدجى تحت المغارب يركضُ
كأَن الثريَّا في اواخر ليلها تفتّح نور او لجام مفضَّضُ

وقال ابن الرومي :

وقضيف من الرجال نحيفٌ راجح الوزن عند وزن الرجال

في أناس أوتوا حلوم العصافير فلم تغنهم جسوم البغالِ

أخذهُ من قول حسان بن ثابت الانصاري . وقال لهُ بنو الديان الحارثيون : قد كنا ونحن نطول باجسامنا على العرب حتى قلت :

دعوا التخاجؤ وامشوا مشية سجحا ان الرجال ذوو قدٍّ وتذكيرِ

لا بأس بالقوم من طول ومن عظمٍ جسم البغال واحلام العصافيرِ

وقال الآخر ولم يخرج عن هذا المعنى :

ولا خير في كبر الجسوم وطولها اذا لم يزن طول الجسوم عقولُ

وقال زهير بن ابي سلمى المزني :

تراهُ اذا ما جئتهُ متهللاً كأنك تعطيهِ الذي أنت سائلهُ

فتناولهُ مروان بن ابي حفصة بقولهِ :

نفحت مكافئاً عن جود معنٍ لنا فيما يجود بهِ سجالا

فعجّلت العطية يا ابن يحيي لنادبهِ ولم تردِ المطالا

فكافأ عن صدى معنٍ جوادٌ بأجود راحةٍ بذلت نوالا

بنى لك خالدٌ وابوك يحيي بناءً في المكارم لن ينالا

كأنَّ البرمكيَّ لكل مالٍ تجود بهِ يداهُ يفادُ مالا

وقال اعرابي :

لا والذي انا عبدٌ في عبادتهِ لولا شماتة اعداءٍ ذوي إحَنِ

ما سرَّني أنَّ ابلي في مباركها وأن امراً قضاهُ الله لم يكنِ

فاخذهُ بعض المحدثين وقال :

لولا شماتة اعداءٍ ذوي حسدٍ وأن أنال بنصفي من يرجّيني

لما خطبت الى الدنيا مطالبها ولا بذلتُ لها عرضي ولا ديني

عيسى اسكندر المعلوف

فوائد من اخبار القضاة

وصلنا في الجزء الماضي من اخبار القضاة الى هرون بن عبد الله الذي ولاهُ المأمون قضاء مصر سنة ٢١٧ للهجرة . وقد نقل موءلف كتاب القضاة ان هرون هذا جعل مجلسهُ في الشتاء في مقدم المسجد واستدبر القبلة واسند ظهرهُ بجدار المسجد ومنع المصلين ان يقربوا منهُ وباعد كتَّابهُ عنهُ وباعد الخصوم وكان اول مَن فعل ذلك . واتخذ مجلساً للصيف في صحن المسجد واسند ظهرهُ للحائط الغربي . وعليهِ فالمحكمة كانت في المسجد ولم يكن لها بناءٌ خاص بها . وفي عهدهِ امر الخليفة المأمون بالمحنة اي باشهاد القضاة وغيرهم من العدول ورجال العلم ان القرآن مخلوق فكان هرون بن عبدالله اذا شهد عندهُ شاهدان سألهما عن القرآن فان اقرَّا انهُ مخلوق قبلها والاَّ اوقف شهادتهما . وكانت هذه المحنة من سنة ثماني عشرة الى ان قام المتوكل سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . اما هرون فلم يزل على القضاء الى سنة ست وعشرين ومائتين . وخلفهُ محمد بن ابي الليث الخوارزمي وكان قبل دخولهِ مصر ورَّاقاً على باب الواقدي وكان فقيهاً بمذهب الكوفيين فكان من امرهِ لما ولي القضاء ان حاسب هرون بن عبد الله على ما كان في بيت المال وامر بحبسهِ وكشفهِ ومما فعلهُ ايضاً ان سعيد بن زياد الملقب بابن القطاس كان من اهل الديانة والفضل وقد شهد عند لهيعة بن عيسى وابرهيم بن الجراح وابن المنكدر وهرون وكانت لهُ حلقة في المسجد الاَّ انهُ كان يتكلم مع جلسائهِ بسب ابن ابي الليث والدعاء عليهِ فاوقفهُ ابن ابي الليث واتى رجل من الازد فادعى رقبتهُ (اي انهُ عبد لهُ) واتى بالشهود يشهدون لهُ على ذلك فحبسهُ القاضي خمسة ايام ثم حكم بشهادتهم وامر بهِ فنودي عليهِ فبلغ ديناراً فاشتراهُ محمد بن ابي الليث واعتقهُ

ثم لما قام الخليفة المتوكل رُفع اليهِ امر ابن ابي الليث فبعث قوصرة [1] لينظر في امرهِ فكتب اليهِ قوصرة بما صحَّ عندهُ من امرهِ فاتى كتاب المتوكل بحبسهِ واستصفاء اموالهِ فحبسهُ قوصرة هو وولدهُ واصحابهُ واعوانهُ واستصفيت اموالهم كلهم . ثم ورد كتاب المتوكل بلعن ابن ابي الليث على المنبر فلعنهُ مكرم بن حاجب الامام على المنبر ولعنتهُ العامَّة

وتلا ذلك الافراج عنهُ والايقاع بخصومهِ واستصفاء اموالهم ثم الايقاع بهِ ثانية وحلق رأسهِ ولحيتهِ وضربهُ بالسوط وحملهُ على حمار بإكاف وتطوافهُ الفسطاط . ويظهر من ذلك ان القضاة كانوا يطلقون شعور روءوسهم كما يطلقون لحاهم

(١) هو يعقوب بن ابرهيم الذي جعل والياً على بريد مصر

ومما ذكرهُ المؤلف ايضاً ان زي اهل مصر وجمال شيوخهم واهل الفقه والعدالة (الشهود) منهم كان لباس القلانس الطوال كانوا يبالغون فيها فامرهم القاضي ابن ابي الليث بتركها ومنعهم لباسها وان يشبهوا بلباس القاضي وزيهِ فلم ينتهوا فجلس في مجلس حكمهِ في المسجد واجتمع اولئك الشيوخ عليهم القلانس فاقبل اثنان فضربا رؤُسهم حتى القوا قلانسهم فتناولها الصبيان والرعاع يلعبون بها وفي ذلك يقول شاعرهم

واخفتَ ايام الطوال واهلها فرموا بكل طويلة لم تقصرِ
ما زلتَ تأخذهم بطرح طوالهم والمشي نحوك بالرؤُوس الحسّرِ
حتى تركتهم يرون لباسها بعد الجمال خطيَّة لم تغفرِ
لبسوا الطوال لكل يوم شهادة ولقوا القضاة بمشية وتبختر
ما لي اراهم مطرقين كأنما دمغت رؤُوسهم بحمى خيبرِ

وولي القضاء بعدهُ الحارث بن مسكين قال محمد ابن ابي الحديد «انا وليتُ الحارث بن مسكين القضاء كنت عند المتوكل فذكر رجلاً يوليهِ قضاء مصر فقال اكتبوا الى عيسى بن لهيعة فقلت الله الله يا امير المؤمنين في المسلمين ان عيسى بن لهيعة مستهتر بالشطرنج قال فمن ترى قلت بها رجل يعرفهُ امير المؤمنين وهو الحارث بن مسكين فقال صدقت اكتبوا لهُ».

فاتاهُ كتاب القضاء وهو بالاسكندرية ففض الكتاب فلما قرأهُ امتنع من الولاية فجبرهُ على قبولها اخوانهُ وقالوا نحن نقوم بين يديك . فقدم الفسطاط وجلس للحكم . وحملهُ اصحابهُ على كشف ابن ابي الليث والتقضي عليهِ بمثل ما تقضَّى بهِ على هرون بن عبد الله من رفع حساب بيت المال وما كان فيهِ فكان ابن ابي الليث يُوقف كل يوم بين يدي الحارث فيُضرَب عشرين سوطاً ليخرج مما وجب عليهِ من الاموال التي كانت تحت يدهِ

وكان الحارث هذا مقعداً من رجليهِ فكان يُحمل في محفَّة في المسجد الجامع وكان يركب حماراً متربعاً . وطُلب اليهِ في لباس السواد فامتنع فخوَّفهُ اصحابهُ سطوة السلطان بهِ وقالوا يقال انك من موالي بني امية فاجابهم الى لباس كساء اسود من صوف . وامر باخراج اصحاب ابي حنيفة من المسجد واصحاب الشافعي وامر بنزع حصرهم ومنع عامة المؤذنين من الاذان ومنع قريشاً والانصار ان يدفع اليهم من طعمة رمضان شيء وامر بعمارة المسجد الجامع وحفر خليج الاسكندرية ونهى عن تقييد المصايد فابيحت للناس ومنع من النداء على الجنائز وضرب فيهِ ومنع القرَّاء الذين في مسجد محمود وغيرهِ الذين يقرأُون القرآن بالالحان وترك تلقي الولاة والسلام عليهم وامر بضرب عنق رجلين نصرانيين شهد عندهُ انهما ساحران

وحضر الحارث بن مسكين و يونس بن عبد الاعلى جنازة فاخذ يونس في كلام الزهاد والحكاية عن الصالحين فبكى بعض اهل المجلس وخاف الحارث بن مسكين بذلك فالتفت الى يونس برفق فقال لهُ انت تحسن هذا كلهُ وانت تصنع ما تصنع . فقال لهُ يونس انت قاضٍ وقال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم من جُعِل قاضياً فقد ذُبح بغير سكين

قيل شهد رجل عند الحارث بن مسكين فقال لهُ الحارث ما اسمك قال جبريل قال لهُ الحارث لقد ضاقت عليك اسماء بني آدم حتى سميت باسماء الملائكة فقال لهُ الرجل كما ضاقت عليك الاسماء حتى سميت باسم الشيطان فان اسمهُ حارث . وصُرف الحارث ابن مسكين عن القضاء سنة ٢٤٥ وليهُ سبع سنين واحد عشر شهراً . وخلفهُ بكار بن قتيبة من قبل المتوكل

وانتهى هنا ما كتبهُ المؤلف ابو عمر محمد بن يوسف الكندي فذيلهُ ابو الحسن احمد ابن عبد الرحمن بن برد ولكن شتان بين ما كتبهُ هو وما كتبهُ الكندي لانهُ ذكر سطوراً قليلة من اخبار كل قاضٍ ولم يذكر فيها شيئاً يستحق النقل او تستفاد منهُ فائدة ما

وقد الحقت بالكتاب فصول من كتاب رفع الإِصْر عن قضاة مصر وكتاب النجوم الزاهرة بتلخيص اخبار قضاة مصر والقاهرة والكلام فيها كثير الفوائد والنكت ولكنهُ ليس مسنداً كالكلام في اخبار القضاة . ومما جاء فيها عن الحارث بن مسكين انهُ لما اتى المأمون مصر طلب وزيرهُ الفضلُ بن مروان الحارث بن مسكين ليوليهُ القضاء وسألهُ ما تقول في ابن اسباط وابن تميم فقال ظالمين غاشمين فقال ليس لهذا احضرناك فاضطرب اهل المسجد وقام الفضل ودخل على المأمون وقال لقد خشيت على نفسي من ثوران الناس مع الحارث فارسل المأمون الى الحارث فحضر فاعاد عليهِ المسألة فقال ظالمين غاشمين فقال لهُ المأمون هل ظلماك في شيء قال لا قال فعاملتهما قال لا قال كيف شهدت عليهما فقال كما اشهد انك امير المؤمنين ولم ارك قط الا الساعة وكما اشهد انك غزوت ولم احضر غزوك . فقال اخرج من هذه البلاد فليست بلادك وبع قليلك وكثيرك فانك لا تبقى فيها ابداً وحبسهُ في قبة هرثمة في رأس الجبل في خيمة ثم انحدر المأمون واحدرهُ معهُ فلما فتح البلاد التي قصدها احضر الحارث فلما دخل عليهِ سألهُ عن المسألة بعينها فاعاد الجواب بعينهِ ثم قال لهُ ما تقول في خروجنا هذا فقال اخبرني عبد الرحمن بن القاسم بن مالك ان الرشيد كتب اليهِ يسألهُ عن قتال اهل دهلك فقال ان كان خروجهم من ظلم من السلطان فلا يحل قتالهم وان كانوا انما شقوا العصا فقتالهم حلال . فأجابهُ المأمون بجواب قبيح سبهُ فيهِ وسبَّ مالكاً وقال للحارث ارحل عن مصر فقال يا امير المؤمنين الى الثغر قال لا الحق بمدينة السلام فرحل اليها واقام فيها من سنة ٢١٧ الى سنة ٢٣٢ وكان ذلك قبلما وُلّي القضاء على ما تقدم

كيف تنجو البلاد من الضيق

للسعة والنجاة من الضيق سبيلان وهما زيادة الدخل والاقتصاد في النفقة. وتقوم زيادة الدخل لاناس مثل سكان هذا القطر بان يزيدوا حاصلاتهم الزراعية ويجتهدوا حتى تقوم بما يحتاجون اليهِ من طعام وشراب وكساء وان يصدروا منها شيئاً كثيراً يبيعونهُ باغلى ما يمكن من الثمن. وذلك كلهُ ليس من موضوعنا الآن لاننا قد بحثنا فيهِ مراراً وسنعود اليهِ كلما سنحت الفرص

ويقوم الاقتصاد في النفقات بالاكتفاء بما يلزم وعدم التبذير والاسراف في شيء ولاسيما اذا كان مما يجلب من الخارج. وقد يستغرب القارئ اذا قيل لهُ ان ثمن ما يرد الى القطر المصري في السنة من اوربا وغيرها نحو ٢٧ مليون جنيه وان ما ثمنهُ اكثر من عشرين مليون جنيه منها مما يمكن الاقتصاد فيهِ كثيراً وقد يمكن الاستغناء عن اكثرهِ كما ترى في هذا الجدول

ثمن منسوجات مختلفة من قطن وصوف وكتان وحرير	٧٠٠٠٠٠٠ جنيه
« طحين وقمح وذرة وقطاني وبطاطس	٤٠٠٠٠٠٠ «
« معادن ومصنوعات معدنية	٣٠٠٠٠٠٠ «
« لعب ومصابيح وبرانيط وآلات وادوات الخ	٢٠٠٠٠٠٠ «
« سكر وبن وشاي ومربيات	١٢٠٠٠٠٠ «
« خيل وغنم وبقر وسمك وزبدة وجبن الخ	١٠٠٠٠٠٠ «
« خمر وبيرا واشربة روحية ومياه معدنية	٠٩٠٠٠٠٠ «
« رخام وجير وجبس وسمنت وقرميد	٠٦٠٠٠٠٠ «
« صابون وطيوب مختلفة	٠٤٠٠٠٠٠ «
« جلود ومصنوعات جلدية	٠٣٨٠٠٠٠ «
« اصباغ مختلفة	٠٢٦٠٠٠٠ «
« اثاث خشب	٠٢٠٠٠٠٠ «
والجملة	٢٠٨٤٠٠٠٠ «

ويظهر لنا ان القطر يستطيع ان يستغني في السنة التالية عما ثمنهُ عشرة ملايين من الجنيهات كما ترى في الجدول التالي ولاسيما اذا اكثر من زرع الحبوب واقتصد في النفقات العادية

من ثمن المنسوجات على انواعها	٢٥٠٠٠٠٠ جنيه
« الطحين والقمح والذرة والقطاني الخ	٣٠٠٠٠٠٠ «
« المعادن والمصنوعات المعدنية	١٥٠٠٠٠٠ «
« اللعب والمصابيح والبرانيط الخ	١٠٠٠٠٠٠ «
« السكر والبن والشاي والمربيات	٠٥٠٠٠٠٠ «
« الخيل والغنم والبقر والسمك الخ	٠٣٠٠٠٠٠ «
« الخمر والبيرا والاشربة الروحية الخ	٠٥٠٠٠٠٠ «
« الرخام والجير والسمنت	٠٢٠٠٠٠٠ «
« الصابون والطيوب	٠٢٠٠٠٠٠ «
« الجلود والمصنوعات الجلدية	٠١٠٠٠٠٠ «
« الاصباغ المختلفة	٠١٠٠٠٠٠ «
« الاثاث ونحوهِ	٠١٠٠٠٠٠ «
والجملة	١٠٠٠٠٠٠٠ «

فهذه عشرة ملايين من الجنيهات تتوفر للقطر في سنة واحدة من غير ان يضام اذا اكثر من زرع الحبوب حتى تكاد تكفيهِ وتغنيهِ عن غيرهِ · ومن المحتمل ان مَن يقتصد في نفقاتهِ ويرى ان الاقتصاد لم يضرَّهُ بل نفعهُ يجري عليهِ في السنين التالية وحينئذٍ تكون المحنة التي اصابتنا هذه السنة نعمةً في ثياب نقمة

ولكن كيف يقوم الناس بهذا الاقتصاد هل يحملون عليهِ بوضع اللوائح وسن القوانين ؟ كلاَّ فكل امرئٍ حرٌّ ان يأْكل ما يشاءُ ويلبس ما يشاءُ لا تصل اليهِ قوانين الحكومة الوضعية من هذا القبيل ولكن للمعايش قوانين اخرى لا تسهل مخالفتها فالرجل الذي كان دخلهُ يسمح لهُ بركوب الدرجة الاولى في سكة الحديد يبقى يركبها الى ان يقل دخلهُ فيركب الدرجة الثانية واذا قلَّ ايضاً ركب الدرجة الثالثة · والمرأَة التي كانت تشتري فسطانها بعشرين جنيهاً تكتفي اذا اضطرت بفسطان ثمنهُ عشرة جنيهات او خمسة او جنيه واحد او اقل · وبين ما ينفقهُ الغني في سنتهِ وما ينفقهُ الفقير الذي يماثلهُ صحةً وراحةً بون شاسع جدًّا ودرجات كثيرة · الفقير يكتفي في مأْكلهِ ومشربهِ وملبسهِ بخمسة جنيهات او ستة في السنة والغني لا يكتفي بخمسة آلاف او ستة آلاف من الجنيهات · وبينهما الوف من الدرجات يسهل التدرُّج فيها وقد تجد بين اصحابها كلها اناساً متساوين في الراحة

والتعب والقوة والضعف . وما ركفلر بملايينه الكثيرة باوفر راحة او اجود صحةً من راعي الضأن الذي يمشي حافياً و يأكل خبزهُ قفاراً

فالحاجة هي التي ستجبر الناس على تقليل نفقاتهم. ولا بدَّ من ان ينتبه التجار لذلك و يقللوا ما يجلبونهُ من البضائع وسيضطرهم الضيق المالي لذلك لان معامل اوربا لا ترسل اليهم البضائع في هذه الحال ما لم يدفعوا ثمنها نقداً لاسيما وان معامل المانيا التي كانت كثيرة التساهل مع التجار لا تستطيع ارسال شيء من بضائعها الى القطر المصري في زمن الحرب ولذلك فالمعاملة بالنقد ستضطر التجار الى تقليل البضائع والمشترين الى تقليل ما يشترونهُ منها ولو كانت المعاملات التجارية كلها نقداً لجاءتنا هذه الازمة وعند اكثر السكان من المال ما يكفيهم السنة والسنتين

بلغ ثمن كل ما ورد الى القطر المصري في العام الماضي نحو ٢٨ مليوناً من الجنيهات وثمن كل ما اصدرهُ اقل من ٣٢ مليوناً فالفرق بين ثمن الصادر وثمن الوارد وهو اربعة ملايين من الجنيهات لم يكفِ لايفاء فائدة دين الحكومة وديون الاهالي ولذلك اضطرَّ القطر ان يصدر من الذهب الذي كان فيهِ اكثر مما ورد اليهِ منهُ وبقي مديوناً. فاذا استطاع ان يقلل ثمن وارداتهِ في العام المقبل حتى تصير ١٨ مليوناً من الجنيهات فقط استطاع ان يوفي ثمنها وفوائد دين الحكومة وديون الاهالي ولو هبط ثمن قنطار القطن جنيهاً اولو بقي ثمنهُ على حالهِ ونقص ما يباع مليوني قنطار الى ثلاثة . فالاقتصاد في النفقات ضربة لازب في الاحوال الحاضرة لنجاة البلاد من الافلاس

وجد الباحثون في انواع الطعام وما فيها من الغذاء للانسان انهُ اذا عُلف الثور حبوباً لكي يذبح و يؤكل لحمهُ ضاع من الحبوب حتى تصير لحماً ٩٧ في المئة فاذا كانت الحبوب من الفول والذرة وما اشبه تكفي لتغذية مئة رجل ثم اكلها الثور وصارت لحماً ودهناً في جسمهِ فهذا اللحم والدهن اللذان تولدا من تلك الحبوب يكفيان لتغذية ثلاثة رجال فقط . نعم ان اللحم اطيب من الذرة والفول ولكن الحصول عليهِ باطعام الحبوب للمواشي اسراف لا يستطيعهُ الاَّ الاغنياء . وقد حسب بعضهم ان موسم الذرة في الولايات المتحدة يكفي ٢٣٠ مليوناً من السكان اذا عاشوا كما يعيش الصينيون والهنود ولكن سكان الولايات المتحدة يستهلكونهُ كلهُ تقريباً و يستهلكون فوقهُ ما يعادلهُ من سائر الحبوب والبطاطس وهم اقل من مئة مليون لا لانهم يكثرون من اكل الحبوب بل لانهم يحولون اكثرها الى لحم واشربة روحية تلذذاً بالمعيشة. وواضح من ذلك ان نفقات الحاجيات غير كثيرة وانما الكثير نفقات الكماليات فاذا اضطر الانسان الى الاقتصاد في كمالياتهِ اقتصد كثيراً وقس على ذلك ما يقال في الاكسية على انواعها

اسباب الحرب ونتائجها

يسهل البحث عن اسباب هذه الحرب ويصعب التكهُّن بنتائجها لانها حتى كتابة هذه السطور لا تزال سجالاً . دوَّخ الالمان بلاد البلجيك وانتشروا في جانب كبير من فرنسا ودنوا من باريس ودخل خصومهم الروس بلادهم وبلاد النمسا حليفتهم ودوخوا جانباً كبيراً منها والمستقبل غيب . وقد ذكرنا في مقتطف سبتمبر ما بدا لنا من اسباب هذه الحرب ونتائجها ورأينا الآن مقالة في هذا الموضوع لكاتب خبير وهو السر هري جنستن في مجلة القرن التاسع عشر التي صدرت في اول سبتمبر فاقتطفنا منها ما يأتي

ان بزور هذه الحرب زرعت سنة ١٨٨٤ فان المانيا عزمت حينئذٍ ان تصير من دول الاستعمار الكبيرة لما رأت من تغلُّب بلجكا على بلاد الكنجو وبسط انكلترا لسيادتها التجارية على بلاد النيجر وعمل فرنسا في غرب افريقية ومدغسكر حاسبة انها ان لم تستولِ هي على جانب كبير من بلدان الام لتتناول منهُ المواد التي تستعمل في الصناعة وتبيع فيهِ مصنوعاتها صارت صناعتها عبدة ذليلة لاميركا وانكلترا وفرنسا لاسيما وان اميركا وفرنسا ضربتا المكوس الباهظة على ما يرد اليهما من البضائع ولا يبعد ان تقتفي انكلترا خطواتهما فلا يبقى لالمانيا مورد تستورد منهُ المواد اللازمة لصناعتها فيتعذر عليها مباراة هذه البلدان صناعةً وتجارةً

ولما حاولت المانيا الاستيلاء على بعض البلدان الافريقية راب الانكليز امرها لكنهم لم يروا وجهاً للاعتراض عليها فاستولت في افريقية وجزائر البحر بحق او بغير حق على بلاد مساحتها ١١٣٥٠٠٠ ميل مربع وكان نصيبها من افريقية كبيراً جدًّا . وقد ندم الانكليز على جانب كبير من غربي افريقية عرضهُ اصحابهُ عليهم فلم يقبلوهُ لانهم حسبوهُ صحاري قاحلة لا خير فيها فاخذتهُ المانيا واذا هو من اغنى البلدان بخيراتهِ فيهِ الماس والنحاس ومهاد النوانو وما اشبه

لكن المانيا لم تقنع بما ملكتهُ من هذه البلدان وبما تتوقع امتلاكهُ من غيرها بل قصدت ان تصير من الدول البحرية الكبيرة وتمسك بذراعيها البحر الشمالي وبحر بلطيق من الشمال والغرب وبحر الادر ياتيك من الجنوب والشرق وبلغت الادر ياتيك باتفاقها مع النمسا حتى صار اتصالها بها اشد من اتصالها بفاريا احدى ممالكها . ثم اذا وصلت النمسا الى بحر اجيا (الارخبيل) وامتدت سلطتها الى كورفو سهل على المانيا الوصول الى بر الاناضول والعراق رأت انكلترا منها ذلك ولم تمانعها بل حسبت ان اتساعها وتوسعها امر مقضي لا بدَّ منهُ

ولكنها راقبت بعين الحذر ما رأتهُ من ازدياد اسطولها فاوجست من ذلك شرًّا لان امبراطورها لم يخفِ ما في نفسهِ بل كاشف بهِ وزراءهُ وغيرهم وهو ان تبسَّط المانيا في افريقية وما يتوقع ان يستولي عليهِ من املاك تركيا لا يغنيهِ عن الاستيلاء على اسوج والدنمارك وهولندا وبلجكا فتمتد سلطتهُ حينئذٍ من اسوج شمالاً الى تريستا فكرفو فسلانيك فالاستانة فبغداد فخليج العجم جنوبًا و يبقي الهند الى ان تحين الفرص لتدويخها

وقد بدأ الآن في العمل بما ينو يهِ فهاجم بلجكا وفرنسا واضطر انكلترا الى الدفاع عنها ولا بدَّ من ان يوقع بهما وبانكلترا ضرراً كبيراً و يحملها خسائر فاحشة ولكنهُ استهدف وعرَّض بلادهُ لفقدان كل ما تملكهُ من المستعمرات وما لها من الامتيازات والنفوذ في البلاد العثمانية وما كانت تنتظر امتلاكهُ في افريقية من املاك البرتغال والبلجيك . واذا تابع الحرب الى النهاية كما يقول فاما ان يُغلَب فتتجزأ بلادهُ الى ممالك وامارات صغيرة لا يخشى شرها في المستقبل واما ان يَغلِب فتخرج بلادهُ من الحرب وقد هلك اكثر جيشها وضرب الافلاس فيها اطنابهُ بعد ان تكون قد خربت انكلترا واخلت فرنسا من سكانها . و يتسع المجال حينئذٍ لروسيا والولايات المتحدة وكندا وجنوب افريقية واستراليا وزيلندا الجديدة واليابان حتى تمتلك المسكونة صناعة وتجارة وتخرج المانيا منها . و يحتمل ايضاً ان تقوم حينئذٍ الشعوب السوداء والسمراء والصفراء وتخلع نير الاوربيين وتنازعهم السيادة فلا تقوم لالمانيا قائمة بعد ذلك ولو كان الفوز لها في هذه الحرب

والمانيا لا تسمع نصح الناصحين فلم يبقَ لانكلترا الاَّ ان تبذل كل ما في وسعها لتفوز عليها باسرع ما يمكن فتنجيها من الاضمحلال وتنجي نفسها ايضاً من الخراب . والظاهر مما كتبتهُ الجرائد الالمانية الموعز اليها ان هذه النتائج لا بدَّ منها فقد قالت عند ابتداء الحرب ان المانيا لا ترحم المغلوب ولقد جاءت فعال الالمان في الغرباء الذين كانوا في بلادهم وفعال جيوشهم في البلدان التي دخلوها مؤيدة لذلك فدعت الى توثيق عرى الاتحاد بين خصومهم وتألبهم على مقاومتهم لدفع شرهم عنهم ولا بدَّ من ان يعاملوهم بعد الفوز عليهم بما كانوا هم عازمين ان يعاملوهم بهِ فيقصروا اشبار المانيا حتى لا تستطيع ان تضرَّ بهم في المستقبل

والظاهر ان المانيا وقعت الآن بين شرين لا بدَّ لها من اختيار احدهما فاما ان تطلب ممالكها واماراتها الخارجة عن بروسيا المدنة وتخلع نير بروسيا ونير اسرة الامبراطور عنها او تواصل الحرب الى ان تقهر المانيا فتقسم الى ممالك وامارات صغيرة وتفصل المجر عن النمسا وتتحد اقسام بولونيا الثلاثة فتعود مملكة واحدة تحت سيادة روسيا وتتحد بوهيميا ومورافيا وتسترد

الدنمارك شلسوك الشمالية وتأخذ كل من رومانيا والسرب ما يخصها من امبراطورية النمسا وتأخذ ايطاليا ترنتنو والقسم الايطالي من اوستريا ودلماطيا وتسترد فرنسا كل ولايات الرين وتأخذ بلجكا ما تستحقهُ وهي تستحق اكثر من غيرها ويمتد تخم هولندا الى امس وتشترك روسيا وانكلترا وفرنسا في اتمام سكة بغداد وتأخذ انكلترا املاك المانيا في شرق افريقية حتى تتصل املاكها من بلاد الراس الى مصر

ومن المحتمل ان الشعب الالماني لم يدرك حتى الآن الخطر الذي هو فيهِ وان المتنورين منهُ ومن النمسويين اصحاب المصالح الكبيرة في همبرج وبرمن وهنوفر وبرنسويك ودرسدن وليبسك وكولن ومنهم ودرمستات وويمر وفرنكفورت وكارلسرو وستتغارت ومونخ وڤينا ينهضون ويطلبون توقيف الحرب وارجاع الجنود الالمانية الى المانيا . وتطلب المانيا والنمسا حينئذٍ عقد مؤتمر دولي يقضي بينهما وبين خصومهما ولا بدَّ لهما من ان تسلما دولة كبيرة محايدة مثل الولايات المتحدة الاميركية كل البلدان التي عليها النزاع وجانبًا كبيرًا من اساطيلهما ضمانًا على انهما تقومان بما يفرضهُ عليهما المؤتمر . وكل ما يفرضهُ عليهما يكون خفيفًا جدًّا في جنب اضمحلال الامبراطورية الالمانية الذي هو نتيجة لازمة عن استمرار هذه الحرب لانهُ يستحيل ان يكون الفوز لها وللنمسا اخيرًا ولم يبقَ لهما الاَّ ان تعترفا بخطإهما وبان الامور لم تأتِ على ما قدَّرتا فقد اخطأتا في تقديرهما قوة السرب والبلجيك الحربية ومقدرة الاسطول الالماني على الاضرار بالتجارة البريطانية وفي اعتمادهما على مساعدة ايطاليا والدولة العثمانية لهما . الخطأ خطأ الحكومة الالمانية والحكومة النمسوية فهل يجوز ان يؤخذ شعباهما بجريرتهما . هل يجوز ان تهلك الملايين وتضام الملايين لان عشرين رجلاً من الملوك والامراء والوزراء والقواد ليس فيهم من الشجاعة الادبية ما يحملهم على الاعتراف بخطإهم

وخلاصة ما تقدم اولاً انهُ حتى شهر يوليو الماضي لم ترَ المانيا من انكلترا وفرنسا معارضة في ما تبتغيهِ من التوسع في الاستعمار والاتجار سواء كان في افريقية او في جزائر البحر والصين وبر الاناضول والزوملي . وثانيًا ان المانيا رغمًا عن ذلك كلهِ استولت على لكسمبرج واجتاحت بلجكا وشهرت الحرب على فرنسا وجاهرت بانها قاصدة اخذ مستعمراتها منها وذلك كلهُ بناء على ان مملكة السرب الصغيرة اظهرت العداء للنمسا . ولا تستطيع المانيا ان تجهل ان عملها هذا يدعو الى قتل كثيرين من الابرياء في بلجكا والالزاس واللورين وتلف ما لا يقدر من الاملاك والمقتنيات والآثار الفنية ويحمّل بريطانيا وفرنسا وبلجكا نفقات تفقر شعوبهنَّ سنين كثيرة

هذه خلاصة ما كتبهُ السر هري جنستن وهو صديق لالمانيا والالمانيين ولهُ مقالات كثيرة قبل ذلك حاول بها اقناع قومهُ والالمانيين بان يتصافوا و ينزعوا من بينهم كل خلاف وضغينة وكان يعتقد انهُ سينال ما يتمناهُ ولكن حبطت مساعيهِ لان الطبيعة الغضبية لا تزال قوية في الانسان وستبقى كذلك دهوراً طويلة

سياسة المانيا ومستقبلها

ان المقالة السابقة ملخصة مما كتبهُ صديق حميم للالمانيين بذل جهدهُ في جعل انكلترا حليفة لالمانيا وازالة ما بين المانيا وفرنسا من اسباب الخلاف ولكن السطور التالية مقتبسة من مقالة لكاتب آخر مضت عليهِ الاعوام وهو يجاهر بمساوىء السياسة الالمانية ويحذر بلادهُ منها وهو المستر اليس باركر مؤلف كتاب المانيا الحديثة فقد كتب سنة ١٩١٢ في مقدمة الطبعة الرابعة من كتابهِ هذا يقول

« ان فشل السياسة الالمانية الذي اشرت اليهِ في الطبعات السابقة من هذا الكتاب قد زاد في السنين الاخيرة فان نظارة الخارجية الالمانية تدرَّجت من فشل الى فشل ومن خطإٍ الى آخر وما حادثة المغرب الاقصى الاخيرة الأ غلطة من سلسلة اغلاط متوالية ومشروعات فائلة . وسياستها تجاه بريطانيا هي التي سبَّبت الاتفاق الثلاثي وعجَّلت توحيد الامبراطورية البريطانية الذي كانت المانيا تتمنَّى منعهُ وقد حاولت منعهُ فعلاً . ويظهر فشل سياستها الداخلية بما ثبت من ازدياد الحزب الاشتراكي في بلادها حتى بلغت اصواتهُ في الانتخابات الاخيرة سنة ١٩١٢ أكثر من ٤٢٥٠٠٠٠ صوت . ولا شبهة في ان المانيا نجحت نجاحاً فائقاً في صناعتها وتجارتها ولكن من يمعن نظرهُ الآن يجد ان نجاحها اخذ يقل ولا يظهر ان مستقبلها سيبقى باهراً كما كان »

ثم استطرد في هذه المقالة الى الاستدلال على ما يقدرهُ للدولة الالمانية من الخراب العاجل فقال —

لقد اكَّد لي اصدقاء الامبراطور مراراً انهُ محب للسلام ولكنني لم انفك عن حسبانهِ عاملاً على تقويض دعائم السلم . ولقد سبقت فحدَّدت الوقت الذي يفعل فيهِ ذلك فقلت في مقالة نشرت في جزء يوليو من مجلة القرن التاسع عشر سنة ١٩٠٧ عند كلامي على توسيع ترعة كيال حتى تسير فيها اكبر المدرعات ما نصهُ

« ينتظر ان تتم ترعة كيال التي تصل البحر الشمالي ببحر بلطيك بعد ثماني سنوات . ففي هذه السنوات الثمان لا تستطيع المانيا ان تنتفع بهذه الترعة الاَّ لتسيير سفنها الصغيرة القديمة ولذلك تبقى بوارجها الكبيرة محصورة اما في بحر بلطيك او في البحر الشمالي فستبذل جهدها لكي لا تقع في مشكل مع دولة بحرية من الدول الكبرى بل تحتفظ بالسلم مع كل جيرانها ولكن متى اتمت هذه الترعة تصير مستعدة لحرب بحرية كبيرة »

ولقد كان لهذه المقالة ولاسيما لخاتمتها وقع عظيم في انكلترا وغيرها و بذل الالمان جهدهم فاتموا توسيع الترعة في سبع سنوات بدلاً من ثماني سنوات واحتفلوا باتمامها في ٢٤ يونيو الماضي قبلما شُهِرت الحرب بخمسة اسابيع وقد حضرت البوارج الانكليزية هذا الاحتفال وكان لها حصة كبيرة من الاشتراك فيهِ

لما ارتقى الامبراطور الى عرش آبائهِ كان لالمانيا الكلمة العليا في اوربا وكانت المحالفة الثلاثية مشدودة العرى عزيزة الاركان لان خصومها كانوا منفردين فان بسمارك كان قد اوقع النفرة بينهم بدهائهِ السياسي ففرَّق بين فرنسا وايطاليا بسماحهِ لفرنسا ان تأْخذ تونس التي كانت ايطاليا تصبو الى امتلاكها واوقع النفرة بين انكلترا وفرنسا باغراء فرنسا لكي تناظر انكلترا وتقاومها في امتلاك المستعمرات . وزاد مسافة الخلف بين انكلترا وروسيا بتشجيعهِ روسيا على مباراة انكلترا في اسيا . ولما نجح في تحريض فرنسا وروسيا على انكلترا اطأَنَّ بالهُ بان انكلترا تساعدهُ اذا حاربتاهُ او تبقى على الحياد

وفي كثير من خطبهِ واقوالهِ ما يدلُّ دلالة قاطعة على انهُ كان يخطب ود انكلترا و يقصد مصافاتها فقد عرضت في مجلس النواب الالماني في ١٠ مايو سنة ١٨٨٥ مسأَلة خلاف بين انكلترا والمانيا على بعض المستعمرات فوقف وقال

« اني اطلب من حضرة العضو الذي تكلَّم اخيراً ان لا يحاول تكدير العلاقات الودية التي بين انكلترا والمانيا ولا ان يضعف ثقة الناس بدوام السلم بين هاتين الدولتين بقولهِ اننا سنجد انفسنا يوماً ما مضطرين الى محاربة انكلترا فانني انكر احتمال ذلك كل الانكار . والمسائل الخلافية التي بين انكلترا والمانيا وهي الآن موضع النظر ليس لها من الشان ما يستدعي نقض السلم لا من جهتنا ولا من جهتها وفوق ذلك فاني لا اعلم ما هو الخلاف الكبير الذي يمكن ان يقع بين انكلترا والمانيا »

و بعد اربع سنوات تكلَّم في مجلس النواب الالماني على ما وقع من الخلاف بين انكلترا والمانيا في زنجبار فقال « ان الاحتفاظ بمودة انكلترا اهم شيء لنا واني ارى في انكلترا حليفة

قديمة مجرَّبة . ولا خلاف بيننا و بينها واذا قلت انها حليفة لنا لا اعني بذلك المعنى السياسي لاننا لسنا متحالفين معها ومع ذلك اود ان نبقى على تمام الوفاق معها حتى في مسائلنا الاستعمارية . وقد سارت الامتان الانكليزية والالمانية جنباً الى جنب مئة وخمسين سنة على الاقل واذا رأيت انهُ لا بدَّ لنا من الانفصال عن بريطانيا فاني ابذل جهدي لكي احتفظ بمودتها »

ولقد كان بسمارك حريصاً على حفظ عرى الصداقة مع انكلترا مكينة لانهُ كان يتوقع مساعدتها اذا اتفقت فرنسا وروسيا على المانيا وحاربتاها وكان يخشى معاداة انكلترا لانها تستطيع ان تلحق الاذى بالمانيا بحراً ولان المانيا والنمسا لا تستطيعان ان تعتمدا على مساعدة ايطاليا الاَّ اذا كانت انكلترا معهما او اذا وقفت على الحياد فان سواحل ايطاليا واسعة وفيها اهم مدنها فلا اسهل من تدميرها بالقنابل الانكليزية ومثلها ايضاً سككها الحديدية فانهُ يسهل تخريبها كلها على دولة بحرية . وهي تعتمد على البحر في موارد رزقها مثل انكلترا فاذا كانت انكلترا معادية لالمانيا اضطرت ايطاليا ان تتخلَّى عنها

وقد عظم شأن المانيا بسياسة بسمارك لانها فازت في ثلاث حروب كبيرة . ولما اتم توحيدها على اسس راسخة جرى في سياستهِ الخارجية متبعاً سبيل المسالمة والحكمة والاعتدال لكي تثبت عظمة المانيا وتأمن المخاطر لانهُ كان يعلم ان سياسة التهور والطيش والاعتداء والتحرُّش تقيم لها الاعداء الالداء والامبراطورية جديدة لا قبَل لها بهم . وقد وضع خطط السياسة التي يجب ان تسير عليها بلادهُ في خاتمة سيرتهِ حيث قال

« ان تسيير سفينة السلطنة بين العواصف التي اثارها مركزنا الجغرافي وتاريخنا السياسي يضطرنا الى ان نعدَّ دائماً عدتنا الحربية الكافية وننظر الى الامور نظراً دقيقاً . وعلينا ان نبذل اقصى جهدنا لكي تزيل ما قام في نفوس غيرنا من الكراهة لنا بسبب صيرورتنا من الدول العظمى وذلك بان نستعمل نفوذنا استعمالاً مقروناً بالدعة وكرم الاخلاق فنقنع العالم ان تفوُّق الدولة الالمانية انفع لهُ واسلم واقل اجحافاً بحقوق الدول الصغيرة من تفوق فرنسا او روسيا او انكلترا . ولا ننال هذه الثقة بنا الاَّ اذا اقلنا العثرة ورغبنا في المسالمة وكان كرم الاخلاق اساس كل معاملاتنا وكان باطننا مثل ظاهرنا »

وسنة ١٨٨٨ رقي ولهلم الثاني الى عرش آبائهِ وكان يعتقد انهُ ورث روح فردرك الكبير واخلاقهُ وقد رسخ هذا الاعتقاد فيهِ بما كان يقولهُ لهُ المتملقون من اعوانهِ فجاهر بان الله يوحي اليهِ وهو الذي البسهُ تاج الملك وانهُ غير مسؤُول لاحد الاَّ لله عز وجلَّ . ومن اقوالهِ المأثورة « لهذه البلاد سيد واحد وهو انا . مَن قاومني سحقتهُ سحقاً . نحن آل هوهنزلرن

نتناول تاجنا من الله وحدهُ ولا نقدم حساباً الى احد عن اعمالنا الاَّ الى الله . السنَّة العليا ارادة الملك . يجب ان لا تريدوا الاَّ ما اريدهُ انا . ليس في البلاد الاَّ سنَّة واحدة وهي سنَّتي »

وهو كثير الكلام طلق اللسان شديد الثقة بنفسهِ يحيط بهِ جماعة من المتملقين وقد جعل دأبهُ التعرُّض لاعمال وزرائهِ ومحاولة ادارتها بنفسهِ فلم يكد يتربع على عرش الملك حتى اقال بسمارك لانهُ ابى ان يجاريهُ في كل رأي فطير وعمل عاقبتهُ الفشل . وقال انهُ سيدير دفة الحكومة في طريق جديد اختطهُ هو لها فيقود البلاد الى المجد والعظمة ويكون وزير نفسهِ فصفَّق لهُ المتملقون طرباً وهتفوا اعجاباً . ومن ثمَّ صار يجازف غير حاسب للعواقب حساباً فاغاظ الممالك الاوربية كبارها وصغارها ولم يستثنِ بريطانيا العظمى والولايات المتحدة

ونظر بسمارك من معتزلهِ الى اعمال الامبراطور بالدهشة والاسف وخاف ان يقود البلاد الى المخاطر فكتب في مذكراتهِ يقول « ان الامبراطور ولهلم الاول كان بعيداً عن هذا العُجْب الذي نراهُ الآن وكان يخشى ان يعمل عملاً ينتقدهُ معاصروهُ او خلفاؤُهم . ما كان احد يتجاسر ان يتملَّقهُ في وجههِ لانهُ كان يقول اذا حقَّ لاحد ان يتملقني في وجهي حق لهُ ان ينتقدني في وجهي . وكان يكرهُ الاثنين

« واني اخشى من اننا اذا واظبنا على السير في الخطة التي نحن فيها الآن ذهب مستقبلنا ضحيَّة التسرُّع . كان ملوكنا السابقون ينظرون الى كفاءة مشيريهم لا الى خضوعهم لم فاذا لم يُطلَب من المشير الاَّ الطاعة لاوامر مولاهُ وقع العبء كلهُ على المولى واي ملك يستطيع القيام بهذا العبء وفردرك الكبير لم يستطع القيام بهِ مع ان مطالب السياسة في عهدهِ كانت اسهل مما هي الآن »

ولقد استخف الامبراطور بنصيحة بسمارك الحكيم وهي ان المانيا يجب ان تتبع سياسة الصراحة والمسالمة وتتجنَّب كل ما يغيظ الدول الاخرى وزاد على ذلك انهُ تحدَّى بريطانيا العظمى في تفوقها البحري فقلبها من صديق حميم الى خصم عنيد

ولقد انذر كاتب هذه السطور البرنس بولوف والاميرال فن ترپتز مراراً بان اهتمام المانيا بمناظرة بريطانيا في البحر يعود على المانيا بالضرر الكبير لانها اذا اشتبكت في حرب اوربية اضطرت بريطانيا ان تنصر خصومها عليها فلم يحفلا بقولهِ

حدثت مسأَلة المغرب الاقصى الثانية في صيف سنة ١٩١١ بارسال السفينة الحربية بنثر الى اغدير وكادت تفضي الى استعار نار الحرب بين فرنسا والمانيا وحينئذٍ قال المستر لويد جورج في المنشن هوس (دار البلدية) علانية انهُ اذا حاربت المانيا فرنسا اضطرت

بريطانيا ان تساعد فرنسا في الدفاع عن نفسها وبلغ الخلاف بين بريطانيا والمانيا حينئذٍ حدهُ . ولما فُصل الخلاف بين فرنسا والمانيا في شهر دسمبر تلك السنة لقيت واحداً من زعماء الساسة الالمانيين من نظارة الخارجية الالمانية ودار الحديث بيننا فابنت لهُ ان اهتمام المانيا بتقوية اسطولها حتى يباري الاسطول البريطاني يوقعها في خطر ويفضي الى حل المحالفة الثلاثية وان سياسة المانيا هذه تتهدَّد كيانها لان سلامتها تتوقف على توثيق عرى الصداقة مع بريطانيا وانهُ يحسن بها ان تتجنَّب مغاضبة فرنسا ولا تزيد سفنها الحربية فوق البيان الذي وضعتهُ لها لانها اذا استمرت سائرة في الخطة التي هي فيها الآن فلا بدَّ من وقوع الحرب بينها وبين بريطانيا . وقلت لهُ ان حرباً مثل هذه تكون نتيجتها قهر المانيا وسقوطها وانا اقول هذا القول في مصلحة المانيا لا في مصلحة بريطانيا لانهما اذا تحاربتا لم تخسر بريطانيا شيئاً يذكر واما المانيا فتخسر كل شيءٍ . فلما قلت لهُ هذا القول الصريح احتدم غيظاً واهانني في الكلام . والظاهر ان الذين يديرون سياسة المانيا الخارجية ضُربوا بالعمى . وبعد اسابيع قليلة زيد البيان الالماني البحري زيادة كبيرة وقرَّ القرار على ان تكون الاساطيل الالمانية كلها على قدم الاستعداد للحرب دائماً حتى في زمن السلم وشرعت الصحف تهيج الشعب على بريطانيا . ولما عدت من المانيا كتبت مقالة في مجلة الفورتنيتلي قلت فيها ما يأتي

« ان بريطانيا العظمى غير مضطرة الى مراضاة المانيا لان ابتعاد المانيا عنها لا يضرُّ بها واما ابتعادها هي عن المانيا فيضر بالمانيا ويعرضها لخسارة كبيرة فان البلاد البريطانية امينة في كل مكان واما البلاد الالمانية فمعرضة للخطر من كل جهة ولذلك فالمانيا احوج الى معاونة بريطانيا من بريطانيا الى معاونتها نعم ان الجيش الالماني لا يزال اعظم جيش في اوربا ولكنهُ لا يقدر ان يقاوم جيوش الدول الاوربية التي يمكن ان تتألب عليهِ ولذلك لا يخشى من المانيا الآن على سلام العالم كما كان يخشى منها قبلاً لانفرادها وابتعادها عن بريطانيا العظمى . وعلى ساستها ان يهتموا بالدفاع عن انفسهم اكثر مما يهتمون بالهجوم على غيرهم ولذلك فمن الجنون ان يقول حكام المانيا انهم يحتاجون الى زيادة البوارج لكي يتغلبوا بها على بريطانيا

« ومستقبل المانيا مظلم فان غناها ونموها لا يكفيان لجعل جيشها اعظم الجيوش وبوارجها من القوة بحيث تتحدَّى اعظم الدول البحرية فان كل دولة حاولت ان تكون الاولى برًّا وبحراً معاً عادت بالفشل »

ولما اتضح ان المانيا مصرَّة على تحدي بريطانيا ومغاضبتها كتبت في مجلة القرن التاسع عشر في شهر يونيو سنة ١٩١٢ ما نصهُ

«لا تستطيع دولة ان تتوسع في سياستها البحرية الاَّ اذا كانت بلادها في حرز حريز إما بان تكون جزيرة كبريطانيا واليابان او بان تكون بعيدة لا يستطيع جيرانها ان يغزوها كالولايات المتحدة . اما المانيا فلها ثلاث جارات قويات واثنتان منهنَّ وهما فرنسا وروسيا ليستا من صديقاتها ولا تستطيع ان تثق ثقة تامَّة بمساعدة جارتها الثالثة وهي النمسا . وقد انتبه بسمارك لذلك وحذرها منهُ في مذكراتهِ . ولهذا فحاجة المانيا الكبرى هي الى التحصُّن في البر لا الى التوسع في البحر ومصالحها برية لا بحرية» . وواضح ايضاً ان سياسة الامبراطور ولهلم جعلت المحالفة الثلاثية اسماً لغير مسمًّى فلا تستطيع المانيا ان تعتمد على معونة ايطاليا في ساعة الشدَّة . وقد كتبت في هذا الموضوع سنة ١٩١٢ اقول

«السياسة الخارجية بنتائجها فبها تمدح او تذم . لما اقيل بسمارك من منصبهِ كان التحالف الثلاثي متين الاركان كالبناء المرصوص وكانت كلٌّ من فرنسا وروسيا وبريطانيا منفصلة عن الاخريين ولذلك كانت المانيا في حرز حريز وكانت صاحبة الامر والنهي في اوربا . فلما اتُّبعت سياسة المناضبة لبريطانيا ابعدتها عنها وقربتها من فرنسا واضعفت المحالفة الثلاثية وقلَّ مَن يتكل الآن من الالمان على ايطاليا في ساعة الضيق فكانت نتيجة السياسة الالمانية ان تولَّد الاتفاق الثلاثي وضعفت المحالفة الثلاثية او انحلت . نعم انها لا تزال في حيز الوجود ولكنها حبر على ورق لانهُ لا ينتظر من ايطاليا ان تنصر المانيا على فرنسا ولا يحتمل انها تحارب بريطانيا وبالاحرى لا تحارب بريطانيا وفرنسا متحدتين . وقلَّ من يعتمد على مساعدة ايطاليا من الالمان المتنورين واكثرهم يعتقد انها تبقى على الحياد اذا نشبت حرب اوربية كبيرة او تنضم الى اعداء المانيا»

واعيد القول الآن ان مركز المانيا في اوربا كان في عهد بسمارك وبداءة حكم الامبراطور ولهلم الثاني امينًا جدًّا فقد كان اعداؤُها منفصلين غير متحدين وكانت المحالفة الثلاثية خماسية لان المانيا كانت تستطيع الاعتماد على تركيا ورومانيا عند الحاجة وكانت تركيا ورومانيا قادرتين على مساعدة المحالفة الثلاثية اذا نشبت الحرب بينها وبين روسيا ولكن المانيا اغضت عن تركيا وسمحت لايطاليا ان تسلبها املاكها ثم سمحت لممالك البلقان ان تفعل ما فعلت ايطاليا فتغير التوازن في اوربا ورأت رومانيا ان المحالفة الثلاثية لم تعد اقوى من الاتفاق الثلاثي لاسيما وانها تنوي الاستيلاء على البلاد المجاورة لها من مملكة النمسا والمجر التي يسكنها ثلاثة ملايين من الرومانيين . فضعف سياسة الامبراطور ولهلم اضعف تركيا وحرم المانيا مساعدة سبع مئة الف من جنود الاتراك البواسل وحرمها ايضاً مساعدة ايطاليا .

ومساعدة هاتين الدولتين لالمانيا كانت فائقة الثمن ولاسيما في هذا الوقت . وقد اشرت الى ذلك في مقالة نشرت في هذه المجلة في شهر يونيو من السنة الماضية حيث قلت

« لقد كان من سياسة المانيا انها الجأت بريطانيا العظمى الى الاتفاق مع فرنسا وروسيا فتعرضت المانيا لحرب برية وبحرية في وقت واحد ولذلك وجب عليها ان تقوي مركزها البرحتى يستحيل التغلب عليها برًّا وذلك بتقوية النمسا وايطاليا ورومانيا وتركيا ولاسيما تركيا لان مساعدتها كبيرة القيمة اذا نشبت الحرب بين المانيا وبريطانيا. وكان الواجب عليها ان تضمها الى المحالفة الثلاثية ولكنها جرت في سياستها مع تركيا كما جرت في سياستها مع بريطانيا بالرعونة وقصر النظر في العواقب فسمحت اولاً لايطاليا ان تغزو بلاداً عثمانية وتجتاحها وسمحت ثانياً لممالك البلقان ان تحاربها وتفوز عليها وتنتزع جانباً كبيراً من بلادها . فلو كانت المانيا على شيء من حسن السياسة او لو كان زمامها في يد سياسي محنك او رجل بصير بالعواقب لرأت ان تعضيدها لتركيا اهم لها من تعضيدها لايطاليا ولضمّت تركيا الى المحالفة الثلاثية كما اشار الجنرال فون برنهاردي او لاجابت بلاغ ايطاليا النهائي لتركيا ببلاغ مثلهِ لايطاليا والمرجح انها كانت منعت اجتياح ايطاليا لطرابلس الغرب »

والمشهور ان الجيش الالماني احسن الجيوش انتظاماً ولكن الخبيرين بالامور الحربية يقولون لك ان الامبراطور اضرَّ بالجيش الالماني كما اضرَّ بالسياسة الالمانية فانهُ من حين اهتم بمباراة بريطانيا بحراً اهمل امر الجيش فاولاً قلل نفقاتهِ وعدد المنتظمين فيهِ لكي ينفق على الاساطيل والبحارة وثانياً جعل نفسهُ قائداً للجيوش البرية والبحرية كما جعل نفسهُ وزيراً للداخلية والخارجية . يقال انهُ لما عين ابن اخ ملتكي رئيساً لاركان الحرب كما كان عمهُ ملتكي الشهير اعتذر عن قبول هذا المنصب لانهُ لا يستطيع القيام باعبائهِ فطيب الامبراطور خاطرهُ وقال لهُ ان ما لا تعرفهُ انت اعرفهُ انا فانوب منابك في كل ما يطلب منك عملهُ

وقد شرحت هذا الاهمال للجيش في المقالة التي تكلمت فيها عن فشل السياسة التي جاءت بعد بسمارك حيث قلت « ان زعماء هذه السياسة يقولون ان مستقبل المانيا في البحار ولذلك اهملوا الجيش في الكم والكيف . فجعلت المانيا تسخو على بحريتها وتبخل على بريتها ولم تقف نتيجة ذلك عند تقليل الجيش بل تناولت صفات ضباطهِ فيشكو القواد الالمان الآن من ان ترقية الضباط صارت بالصنيعة اكثر منها بالكفاءة . والمواد الحربية من اسلحة ونحوها لم تعد صالحة كما كانت قبلاً وصارت عند الفرنسويين اصلح منها عند الالمان وكذلك صارت المدافع الفرنسوية اصلح من المدافع الالمانية بشهادة الكولونل بيبل وغيرهِ من الثقات وامست

حركات الجيش الالماني قديمة · ولم يستفد الالمان ممَّا رأوهُ في حرب البوير وحرب الروس واليابان · وقد نشر الماجور هو بنستات كتاباً سنة ١٩١٠ قال فيهِ ان الجنود الالمانية تضيع اكثر وقتها في التعلم في ساحات الثكنات واقلهُ في الحركات الحربية · ويحسب كثيرون من الضباط ان سبب هذا الاهمال هو الامبراطور فان جده ُ ولهلم الاول كان جنديًّا فكان الجيش شغلهُ الشاغل ولم يكن يسمح لاحد ان يتملقهُ ولا كان للصنيعة محل عندهُ واما ولهلم الثاني هذا فجعل البحرية شغلهُ الشاغل فلا يهتم بالجيش الاَّ مكرهاً · ويقول كثيرون ان اهتمامهُ بهِ ليس اكثر من اهتمامهِ بنظارة الخارجية »

ولما حدثت حادثة المغرب الاقصى بادرت المانيا الى تعزيز جيشها فاصلحت الاسلحة وقوَّت الحصون · كانت ميزانية الحربية ٤٧٢٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٢ فصارت ٥٠٤٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٣ و ٨٣٥٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٤ وعينت ٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه فوقها نفقات غير عادية لتعزيز الجيش · ولكن الجيوش والاساطيل تنمو نموًّا ولا تخلق خلقاً ولا يصلح في يوم ما افسد الدهر ناهيك عن ان رقي الجنود واعتمادهم على انفسهم لا يشتريان بالمال ولا ينزع بهِ ما في النفوس من الغرور ولا يعطى بهِ حسن النظر في العواقب ولا يبدل بهِ قوَّاد ترقوا بالصنيعة بقواد يستحقون الترقي بالكفاءة

قلنا ان بسمارك علَّم بلادهُ بعد ان عظم شأنها ان تسير بالدعة والتوُّدة والمسالمة ولكنهُ اوصلها الى هذه العظمة بالاعتداء على غيرها فرسخ عملهُ في نفس ابنائها اكثر ممَّا رسخ تعليمهُ ولذلك بقيت الحكومة الالمانية تعتقد انها لا تزيد عظمة وتبسطاً الاَّ بالقوة · وهذا مذهب الشعب الالماني فتألفت منهُ عصب مختلفة لاغراض مختلفة من ذلك عصبة البحرية وهي تحوي مليون نفس وغرضها جعل البحرية الالمانية اقوى بحريات الدول كلهنَّ · وعصبة الجيش وهي تسعى لجعل الجيش الالماني اقوى جيوش العالم . وعصبة الهواء او الطيران وغرضها ان تتسلط المانيا على السير في الهواء . وعصبة جمع الالمان وغرضها ان تتغلب المانيا على بلجكا وهولندا والدنمارك والولايات الروسية على بحر بلطيك وان تتسلط المانيا اخيراً على العالم كلهِ

وجعل الكتَّاب ينشئون الروايات و يبينون فيها كيف تتغلَّب المانيا على فرنسا وروسيا وتحطم الاسطول البريطاني وتثير الثورة في الهند وتدوخ انكلترا وتنزع منها مستعمراتها وتقاص الولايات المتحدة وتمزق تعليم منرو الذي يمنع اوربا من امتلاك البلدان في اميركا · وقلما تجد في هذه الروايات او الكتب التي على شاكلتها اشارة الى ان المانيا قد تُقهَر في حرب من حروبها · وقد خطب الوف من الخطباء والقواد والاساتذة حاثين على التدرُّع بالقوة

ولكن ليس منهم من حث على التدرُّج بالحكمة او بالحذر او بمعاملة الغير بالانصاف . وعندهم ان مَن يطلب الاعتدال او يفرض احتمال الفشل هو خارج عن الوطنية وعدو لها

والشعب الالماني سهل القياد يفعل ما يطلبهُ زعماؤُهُ . قد يعامل الغرباء بالصلف ولكنهُ مع حكامهِ خراف وديعة وعبيد مطيعة سياستهُ سياسة حكامهِ ورأيهُ رأيهم . وقد مرَّ عليهِ ربع قرن وهو لا يسمع الاَّ كلام العتو والعظمة والجبروت فتغير ما كان فيهِ من خلق كريم وعقل ثاقب

بعد ان رسم الكاتب هذه الصورة لالمانيا وامبراطورها وتوسع في ايضاحها وكيفية دخول المانيا في هذه الحرب وخرقها لحياد البلجيك واعتذارها عن ذلك بانهُ السبيل الوحيد للاسراع في قهر فرنسا استطرد الى وصف هذه الحرب وما يقدرهُ لها من العواقب فقال : —

ان الحكومة لا تفلح في حرب تثيرها ما لم يكن شعبها راغباً في هذه الحرب كما قال بسمارك في مذكراتهِ . والشعب الالماني ليس راغباً في الحرب الحاضرة كالشعب الفرنسوي والشعب الروسي . وقلما يفلح امرؤٌ في امر وهو ليس على حق فيهِ فلا يطول المطال حتى تضطر المانيا ان تأخذ جانب الدفاع . وشكل بلادها الطبيعي يسهّل عليها الدفاع عن نفسها فان فيها ثلاثة انهر كبيرة تخترقها من الجنوب الى الشمال وهي الرين والوزر والالبي فتعيق مَن يقصد تدويخها وكل جسور (كباري) الرين الكبيرة محصنة امنع تحصين وبين برلين والبلاد الفرنسوية سلاسل من الجبال يصعب ارتقاؤُها . والبلاد من جهة روسيا سهل ولكن يصعب اختراقها على الجيوش الكبيرة لكثرة ما فيها من البحيرات والمستنقعات والغابات . وما فيها من الطرق وسكك الحديد تحميهِ حصون قوية فلا بدَّ من ان تطول الحرب كثيراً الاَّ اذا قهر الجيش الالماني في معارك كبيرة فاصلة . ولكن اذا بقيت الحرب سجالاً طالت ستة اشهر او اكثر

ولا خوف من المجاعة في المانيا لانها تستغلُّ من بلادها تسعة اعشار ما تحتاج اليهِ من الحبوب فتستعيض من العشر الباقي بالبطاطس والسكر وغلتها فيها كثيرة جدًّا تزيد على حاجتها . واذا قللت عمل البيرا والسبيرتو توفَّر لها كثير من البطاطس والشعير . وهي قلما تستورد شيئاً من اللحم ولكن قد يقل فيها علف المواشي ولا بدَّ من ان تحتاج الى الزبدة والبيض والجبن والسمك والبن والشاي والتبغ لانها تستورد كثيراً منها . ولذلك لا تفتقر الى لوازم المعيشة ولو طالت الحرب سنة او اكثر . ولكن معاملها تقف عن العمل لقلَّة الفحم الحجري والمواد الاولية كالصوف والقطن والحرير والمعادن ويقل الوقود عند السكان لان اكثر مستخرجي الفحم الحجري خرجوا للحرب . وعشر تجارة المانيا الخارجية مع النمسا وجيرانها المصافين لها والتسعة الاعشار مع البلدان المحاربة لها الآن فستقف وقوفاً تامًّا وتبطل معاملها و يفتقر عمالها

واذا دارت الدائرة عليها فالمرجح ان ينزع منها جانب كبير من بلادها شرقاً وغرباً وشمالاً فتفقد ولايتي الالزاس واللورين الفرنسويتين وفيهما مناجم الحديد التي رقّت الصناعة الالمانية. ومن المحتمل ان تأخذ فرنسا كل البلاد الالمانية الى حد نهر الرين. ويحتمل ايضاً ان تعطى شلسويك هولستين وكيال مع ترعة كيال للدنمارك لان هذه البلاد كانت لها حتى سنة ١٨٦٤ وتأخذ بريطانيا العظمى هليغولند وبوركم وكل المستعمرات الالمانية. وقد اعلن القيصر ان غرضهُ ارجاع بولونيا مملكة مستقلة تحت حمايتهِ فتخسر المانيا جانباً كبيراً من شرقيها وتخسر ميناء دنتزج وكونجسبرج وهما من صميم مدن بروسيا فتصير برلين على ٩٠ ميلاً من تخوم روسيا بعد ان كانت على ١٨٠ ميلاً منها فتتعرض لهجوم الروس عليها من وقت الى آخر

ولا بدَّ من ان تنتقل متاجر المانيا مدة الحرب الى غير الالمان ثم حينما تضع الحرب اوزارها تضطر المانيا ان تدفع غرامة حربية لا تذكر في جنبها الغرامة التي دفعتها فرنسا اليها. فقبلما نشبت الحرب تهدَّدت الصحف الالمانية فرنسا بان المانيا ستأخذ منها الفي مليون جنيه لا مئتي مليون جنيه كما اخذت سنة ١٨٧١ فلا يبعد ان يؤْخذ هذا المال الطائل من المانيا الآن اذا دارت الدائرة عليها فتفتقر وتزاد الضرائب على شعبها والنجاح الصناعي والفقر لا يجتمعان في بلاد. وللالمان اموال طائلة ومصالح كبيرة في فرنسا وبلجكا وبريطانيا وروسيا فيفقدون جانباً كبيراً منها. واذا انحطت الصناعة الالمانية عن المقام الرفيع الذي بلغتهُ بارت مصنوعاتها وضرب الفقر اطنابهُ في البلاد فيضطر ملايين من السكان ان يهاجروا الى اميركا والمستعمرات الانكليزية

والمسألة الآن هل يصبر الالمان على الضيم ويواصلون الحرب الى نهايتها ام يخرجون على امبراطورهم. وهذا الخروج محتمل وقد يكون على وجهين فيحتمل انهُ اذا دارت الدائرة على الجيش الالماني في معركة كبيرة جدًّا تخرج الولايات الجنوبية عن الاتحاد الالماني وتمتنع عن مواصلة الحرب مع الامبراطور. والظاهر من خطبة ملك باڤاريا ان هذا الخروج ليس بعيد الاحتمال. ويحتمل ايضاً ان ينهض الشعب الالماني كلهُ ويخرج على حكامهِ لان الفريق الاكبر من الشعب غير راضٍ عن الحكومة والمتعلمون المتنورون لا يرضون ان يحكموا كالاولاد. وما دامت البلاد في رخاء لا يصعب على شعبها الرضوخ للحكم الاستبدادي المموَّه بغشاء دستوري ولكن اذا حلَّ بها الضيق وضعف شأن الحكومة تمزق غشاء التمويه ولذلك اذا دارت الدائرة على الجيش الالماني فالمرجح ان الشعب ينهض ويطلب حكومة مقيدة كالحكومة الانكليزية او حكومة جمهورية ولا يبعد ان يخلع الامبراطور وولي عهدهِ لان لهما اليد الطولى في اثارة هذه الحرب ويأبى ان يكون ملوكهُ في المستقبل من آل هوهنزلرن

قد تضيق مساحة المانيا وقد يفتقر سكانها ولكن الشعب الالماني شعب حي نشيط والبلايا تنهض الهمم وتشحذ الاذهان · وما اضعف هذا الشعب في الماضي الاَّ السياسة الحربية الاستبدادية التي جرى عليها حكامهُ فاذا تملَّص منها فالمرجح انهُ لا تمضي عليهِ سنون كثيرة حتى يعود الى مقامهِ الاول بين شعوب الارض ويصير شعباً جمهوريًّا مسالماً كسكان بريطانيا وسكان الولايات المتحدة الاميركية ويجاريهم في ميدان الحضارة وحينئذٍ يتحقق الحلم الذي يحلم بهِ البعض وهو اتحاد الشعوب الجرمانية الثلاثة

لكن اذا دارت الدائرة على الجيش الالماني فالمرجح ان الامبراطور ينزل الى ميدان القتال ويحارب حتى يقتل ويحتمل ان يقع في الاسر او يلجأ الى بلاد اخرى وكيفما كانت الحال لا ينتظر ان يعود الى عرشهِ ولا ان يعامل بالتؤدة لان هذه الحرب التي اثارها جريمة لا تغتفر ضد المانيا وضد نوع الانسان والعمران عموماً

وضرر هذه الحرب بالنمسا اشد من ضررها بالمانيا لان المانيا لا تفقد الاَّ حصتها من بولونيا وسكانها ٣٥٠٠٠٠٠ والبلاد التي اصلها لفرنسا والدنمارك · واما بلاد النمسا والمجر وسكانهما ٥٣٠٠٠٠٠٠ فليس فيها من الشعب الجراماني الاَّ ١٢٠٠٠٠٠٠ ومن الشعب المجري الاَّ ٨٠٠٠٠٠٠ ولكن فيها ٣٠٠٠٠٠٠٠ من السلاف فستخسر حصتها من بولونيا وعدد سكانها ٥٠٠٠٠٠٠ وتأخذ روسيا منها البلاد التي سكانها روثنيون وهم ٣٥٠٠٠٠٠ وينضم صربها الى السرب وعددهم ٥٠٠٠٠٠٠ ورومانيوها الى رومانيا وعددهم ٣٠٠٠٠٠٠ وايطاليوها الى ايطاليا وعددهم ١٠٠٠٠٠٠ . وحينئذٍ تعود بولونيا مملكة كبيرة سكانها ٢٠٠٠٠٠٠٠ ويصير سكان رومانيا ١٠٠٠٠٠٠٠ وسكان السرب ١٠٠٠٠٠٠٠ . ويحتمل ان يبقى امبراطور النمسا متسلطاً على ما يبقى من مملكتهِ ويحتمل ايضاً ان يحل بآل هبسبرغ ملوك النمسا ما يحل بآل هوهنزلرن ملوك بروسيا

اما الدول الاخرى بريطانيا وفرنسا وروسيا فاذا عقد النصر لها اخيراً فانها لا تلبث ان تسترد ما خسرتهُ فبريطانيا تتسع صناعتها وتجارتها وتنمو مستعمراتها وفرنسا تعود الامَّة العظيمة La Grande Nation كما كانت وروسيا تتدرج بتحريرها بولونيا الى ان تصير بلاداً دستورية بالفعل

والفوز الاكبر والغلبة العظمى اذا عقد النصر للحلفاء هو في تغلُّب المذاهب الدستورية السلمية الشائعة في انكلترا وفرنسا على المذاهب الاستبدادية الحربية الشائعة في المانيا وفي ما ينتج عن ذلك وهو تقليل النفقات الحربية وابطال الحروب اخيراً ولو مدة نصف قرن

الحرب وتجارة القطر المصري

ما دامت الحرب ناشبة فتجارة القطر المصري من صادر ووارد مع المانيا والنمسا في حيز العدم واما تجارتهُ مع سائر البلدان فتبقى على حالها من اكثر الوجوه · وقد ابنا في الجدول التالي قيمة اهم ما يصدر من القطر المصري في السنة الى المانيا والنمسا ومجموع ما يصدر الى غيرهما من البلدان وذلك كلهُ بالجنيه المصري وبالتقريب

	المانيا	النمسا والمجر	سائر البلدان
الحيوانات والمواد الحيوانية	٠٩٠٠٠	١٣٠٠٠	٢٧٥٠٠٠
الجلود والمصنوعات الجلدية	١٣٠٠٠	٢٨٠٠٠	١٩٤٠٠٠
سائر المواد الحيوانية	٠٤٠٠٠	٠٩٠٠٠	٤٠٠٠٠
الحبوب والقطاني وبزرة القطن	١٥٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	٠٣٤٠٠٠٠
السكر والصمغ	٥٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠٠٠
زيت قطن وسمك	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٥٠٠٠٠
خرق وورق وكتب	٠٥٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠٠
حنا	٠٠٠٠	٠٥٠٠	٣٤٠٠٠
عقاقير طبية الخ	٤٠٠٠	١٥٠٠	١٢٠٠٠٠
قطن ومنسوجات	٢٤٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠	٢٣٠٠٠٠٠٠
مواد معدنية	٠٥٠٠	١٥٠٠٠	١٨٠٠٠٠
مواد اخرى	٥٠٠٠	٠١٠٠٠	١٠٠٠٠٠
سيكار	٨٥٠٠٠	٤٥٠٠٠	٣٧٠٠٠٠
والجملة	٤٠٤٦٠٠٠	١٧١٧٠٠٠	٢٧٩٨٣٠٠٠

فالمانيا والنمسا تشتريان من القطر المصري في السنة ما ثمنهُ نحو خمسة ملايين وسبع مئة الف جنيه وسائر البلدان تشتري منهُ ما ثمنهُ نحو ٢٨ مليون جنيه · واهم ما في ذلك كلهِ القطن فالمانيا والنمسا تشتريان منهُ بنحو اربعة ملايين من الجنيهات فاذا استمرَّت الحرب سنة اخرى فلا يحتمل ان المانيا والنمسا تشتريان منهُ شيئاً ولكن لا يبعد ان اميركا والهند واليابان تشتري جانباً من القطن الذي كان يرسل الى المانيا والنمسا

هذا من حيث الصادرات اما الواردات فثمن ما يرد منها الى القطر المصري من المانيا والنمسا اقل من ثمن ما يصدر منهُ اليهما وهو قليل جدًّا في جنب ما يستوردهُ من غيرهما كما ترى في الجدول التالي وقد ذكرنا الثمن فيهِ بالجنيهات المصرية وبالتقريب ايضاً لان الصادر والوارد لا يكونان دائماً على معدَّل واحد

	المانيا	النمسا والمجر	سائر البلدان
حيوانات ومواد حيوانية الاصل	٧٠٠٠	١٤٠٠٠	١٠٥٠٠٠٠
جلود ومصنوعات جلدية	٢٥٠٠٠	٤٠٠٠٠	٠٣٢٠٠٠٠
مواد اخرى حيوانية	٠٢٠٠٠	٠١٥٠٠	٠٠٧٠٠٠٠
حبوب وطحين	١٢٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠
سكر وبن وشاي الخ	٠٠٩٠٠٠	٣٣١٠٠٠	٠٨٠٠٠٠٠
خمور وسمك وزيت	٠٣٠٠٠٠	٠٣٥٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠
ورق وكتب	٠٥٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠	٠٢٥٠٠٠
خشب وفحم	٠٩٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠	٣٤ ٠٠٠٠
حجارة وزجاج	٠٥٠٠٠٠	١١٠٠٠٠	٠٤٥٠٠٠٠
اصباغ	١٠٠٠٠٠	٠٠٧٠٠٠	٠١٥٠٠٠٠
ادوية ومواد كيماوية	٠٦٠٠٠٠	٤٠٠٠	١٢٥٠٠٠٠
منسوجات	٠٣٠٠٠٠	٥٥٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠٠
معادن ومصنوعات معدنية	٥٠٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠
مواد مختلفة	١٩٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠	١٦٠٠٠٠٠
سيكار وتبغ	٠٠٠٦٠٠	٠١٠٠٠٠	١٢ ٠٠٠٠
والجملة	١٢٦٣٦٠٠	١٨٦٨٥٠٠	٢٤٣٤٠٠٠٠

اي انهُ يرد الى القطر المصري من المانيا والنمسا بضائع في السنة بنحو ثلاثة ملايين من الجنيهات . ولا صعوبة في الاستغناء عنها كلها اذا اقتصد القطر في نفقاتهِ على ما ذكرنا في مقالة سابقة . وعليهِ فالحرب قلما تؤَثّر في القطر من هذا القبيل ولا خوف من انهُ يتعذَّر عليهِ جلب ما يحتاج اليهِ من سائر البلدان الداخلة في الحرب لان تجارتها لم تنقطع ومعاملها لم تقف ولكن الخوف الكبير هو من ان هذه البلدان تقلل ما تشتريهِ منهُ فانها تشتري ما ثمنهُ عشرون مليون جنيه كما ترى في هذا الجدول

	انكلترا	فرنسا	روسيا	بلجكا
حيوانات ومواد حيوانية	٢٠٠ ٠٠٠	٣٠ ٠٠٠	١٠٠	٠٠
جلود ومواد جلدية	٠٢٠ ٠٠٠	٥٠ ٠٠٠	١٥٠	٤٠٠٠
بزرة قطن وحبوب	٢٨٠٠ ٠٠٠	٢٠٠ ٠٠٠	٤٠ ٠٠٠	٥٠٠٠
سكر وصمغ	٠٠٢٠ ٠٠٠	٠٢٠ ٠٠٠	٠٠٢٠٠	٠٥٠٠
قطن	١٢٠٠٠ ٠٠٠	٢٤٠٠ ٠٠٠	٢١٠٠ ٠٠٠	٨٠٠٠٠
سكاير	٠٠٦٠ ٠٠٠	٠٠٢٥ ٠٠٠	٥٠٠	١٤٠٠٠
والجملة	١٥١٠٠ ٠٠٠	٢٧٣٥ ٠٠٠	٢١٤٠٩٥٠	١٠٣٥٠٠

فما تشتريهِ بلجكا من القطر المصري طفيف لا يعتدُّ بهِ ويبقى ما تشتريهِ انكلترا وثمنهُ ١٥ مليون جنيه وما تشتريهِ فرنسا وثمنهُ مليونان و٧٣٥ الف جنيه وما تشتريهِ روسيا وثمنهُ أكثر من مليونين و ١٤٠ الف جنيه واكثر ما تشتريهِ هذه البلدان هو القطن وبزرتهُ فان لم تقلَّ مقطوعيتها منهما فالحرب لا تؤَثر فينا تأْثيراً يذكر ولكن لا بدَّ من ان تقل مقطوعيتها من القطن فوق ما يحتمل من الهبوط في سعرهِ وهو العمدة في صادرات القطر كما لا يخفى

فاذا طالت الحرب بضعة اشهر اخرى او سنة او أكثر كما يظن البعض اضطرَّت البلدان المتحاربة ان تقلل ما تشتريهِ من القطن وغيرهِ واذا قللت ما تشتريهِ من القطن المصري عشرين في المئة او ثلاثين في المئة فالرأْي الشائع الآن ان ما لا تشتريهِ يكسد عندنا ويبقى الى العام المقبل · اما نحن فلا نظن الامر كذلك لان غازلي القطن الاميركاني لا يتعذر عليهم ان يغزلوا القطن المصري بمغازلهم والانوال التي تحوك القطن الاميركاني لا يتعذَّر عليها ان تحوك القطن المصري كما لا يتعذر على المغازل والانوال ان تغزل وتحوك القطن الاميركاني الجيد اذا جاد في بعض السنين ودقَّت شعرتهُ وطالت · ولا يبقى بين القطن المصري والقطن الاميركاني الجيد الاَّ فرق الثمن · وكان متوسط هذا الفرق غالباً ستة ريالات فاذا هبط الى اربعة ريالات او الى ثلاثة فالمرجح عندنا ان الغزالين والنساجين يفضلون قنطار القطن المصري على قنطار القطن الاميركاني · والمجال واسع لاستعمال موسم القطن المصري لان الموسم الاميركاني يتراوح بين ١٣ مليون بالة و ١٦ مليوناً اي بين ٦٥ مليون قنطار و ٨٠ مليون قنطار فمحصول القطن المصري كلهُ يساوي نصف الفرق بينهما

سامراء الحديثة

١ً نبذة في احوالها

ان سامراء قد فقدت حضارتها الغابرة في العصور الدابرة فاندثرت معالمها وقصورها واندرست مدارسها ومعاهدها الأ انها لا تزال الى اليوم بلدة جليلة الشأن عامرة آهلة بالسكان ففيها من الابنية الفخمة والآثار الخالدة ما يبقى ذكرها حيًّا على الالسنة ومسطوراً على صفحات التواريخ . وهي الآن على ربوة ارتفاعها عشرون متراً عن سطح دجلة وتبعد عن شاطئهِ الايسر مسيرة ربع ساعة . وامامها من جهة الشمال والغرب منبسط من الارض تموج فيهِ الاطلال الدوارس موج المياه في البحار الزواخر . وهي باجمعها من بقايا التمدن العباسي . ويحيط بها اليوم سور رصين لهُ اربعة ابواب وقد اقيمت ابراج محكمة في جهات السور الاربع على الطرز القديم . وكان السكان يتحصنون بها دفعاً لغارات الاعراب وصدًّا لهجماتهم وغزواتهم . وهو كما يظهر من مواد بنائهِ قديم العهد ولكنهُ قد تجدد انشاؤهُ في القرن الماضي واختلف الرواة في من جدده فقال بعض الشيوخ المعمرين ان امرأة احد ملوك الهند الشيعيين واسمها «مسركالا» زارت سامراء في منتصف القرن الثالث عشر للهجرة لمشاهدة مدافن الائمة فيها فادركت ما يحيق بهذه المدينة المقدسة في نظرها من الاخطار وجادت بمبلغ طائل من المال لتشييد سور يحميها من عوادي الغازين فاقامت احد العلماء فيها رقيباً على البناء . ومن قائل ان الذي عمرهُ هو الميرزا زين العابدين السلامي وذلك حوالي سنة ١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤ م وكانت النفقات من جيب احد فضلاء الهند . وعلى كلٍّ فهو مأثرة خالدة اذ كان السبب الوحيد لبقاء سامراء رائعة في بحبوحة من الامن والسكون مدة قرن من الزمان فاتسعت دائرة عمرانها وكثرت فيها المنازل والفنادق وسكنها اقوام من العرب والفرس والهنود والاتراك . ويبلغ سكانها الآن زهاء عشرة آلاف نسمة ثلثاهم من الاعراب . وهم ينقسمون الى سبعة افخاذ لكلٍّ منهم رئيس ينظر في شؤونهم وينوب عنهم في اعمالهم العامة . وقد اتخذت الحكومة سامراء مركز قضاء من اعمالهِ مدينة تكريت القديمة ودجيل المشهورة بارطابها واعنابها

ومهنة اهالي سامراء الاشتغال بزراعة الحبوب على اختلاف انواعها واكثرهم فقراء لضيق ذات ايديهم ورداءة آلاتهم الزراعية وانعكافهم على القديم البالي وكثيرون منهم

يعيشون من فضلات الزائرين السائحين وما تجود بهِ أكفهم في سبيل الوقوف على الآثار الدارسة والاطلال الطامسة التي تنطق بما كان للامة العربية من الحضارة مما لم يتيسر لامة من الامم مجاراتها ومضاهاتها فيهِ على عهد زهوها. ومذهب السكان مذهب اهل السنة والجماعة الاَّ ان التشيع قد انتشر فيهم اخيراً وذلك يرتقي الى ٥٠ عاماً. ولا تزال بيوتات كثيرة تدين بمذهب الشيعة وتجاهر بعقائدها على رؤُوس الاشهاد

وليس في سامراء بساتين واشجار كما في غيرها من مدن العراق وحواضرهِ وتأتيها الفاكهة من اعناب وارطاب وليمون ورمان وخوخ واجاص من دجيل ونواحيها. الاَّ ان البطيخ الاخضر والاصفر كثير فيها لشدة اعتناء الاهلين بزراعتهِ و براعتهم في تعهدهِ واصول سقيهِ

٢ وصف مسجد الامامين

يطوف المرء في شوارع سامراء المتعرجة وازقتها المملوءة بالاوساخ والاقذار فلا يجد فيها من البنايات ما يستوقف الابصار و يستلفت الانظار غير مسجدين عظيمين هما من احسن مساجد العراق زينة واكثرها زخرفة وتزويقاً واجملها هندسة وتنسيقاً واحفلها بالاثار النادرة التي تفيد التاريخ خدمة كبرى وتظهر للسائح ولع الشيعة باقامة الابنية حول قبور آل البيت النبوي وسخاءهم في بذل اللجين والنضار وكل طارفٍ وتليدٍ لتزويقها وتلوينها والمبالغة في تحسينها وتزيينها بالمآذن والقباب المغشاة بالذهب الابريز. الاول المسجد الذي لحد فيهِ الامامان علي الهادي وحسن العسكري وهو فسيح الاطراف واسع الاكناف اقيمت فيهِ ابنية شامخة فائقة الصنع شائقة الوضع ويدخل الى المسجد من باب فخم عليهِ طاق عال مبني بالحجر القاشاني وملون بانواع الاصباغ البهجة ويحيط بفناء الجامع سور رفيع الاركان راسخ البنيان وجههُ من الداخل من الحجر القاشاني ومن الخارج من الاجر المشوي وارتفاع السور قراب ١٥ متراً وطولهُ ٨٠ متراً في عرض يناهز ٦٠ متراً. وفيهِ اواوين محكمة الصنع ركبت عليها طيقان معقودة بالقاشاني وجدار السور مؤزر الى ارتفاع باعين بالرخام السماقي اللون. وفناء المسجد كلهُ فضاء واسع فسيح الارجاء مفروشة ارضهُ بالرخام الابيض الناصع في وسطهِ بركة ماء جميلة تقرب منها بئر بعيدة الغور. وفضاء الجامع يحيط بالروضة المقدسة التي فيها قبور الائمة الكرام. وامام الروضة صفَّة جميلة مبلطة بالمرمر وهي محكمة البناء بديعة الشكل مرصعة بقطع من المرائي النفيسة على اسلوب يأخذ بمجامع القلوب و يدخل الى الروضة من باب عليهِ القومة والحجاب معقود فوقهُ طاق شاهق

والباب المذكور من الشبه بديع الصياغة مما يبهر الناظر و يسر الخاطر وقد كتب على

اطرافهِ ابيات فارسية بخط نفيس ونقش عليهِ باللغة العربية ما نصهُ : هو الواقف على الضمائر قد وقف هذا الباب المستطاب طلبًا لوجه الله وابتغاء لمرضاتهِ الى حضرة الامامين سيدنا ومولانا الامام علي الهادي والامام حسن العسكري صلوات الله عليهم اجمعين · مكي سلمان بن مكي داود بن كرمسي التاجر الخوجه ساكن زنجبار وكان ذلك في السابع والعشرين من شهر رجب سنة الالف والمائتان والثانية والتسعين · اه · اي سنة ١٨٧٥ ميلادية

وهذا الباب يؤدي بالداخل الى رواقٍ جميل فرشت ارضهُ بالرخام الابيض وغشي جدارهُ بالمرمر الى ارتفاع مترين وما فوق ذلك مرصع بقطع المرائي على نقش بديع واسلوب شرقي يدهش الناظرين وسقف الرواق معقود بالقاشاني ومرصوف بالزجاج وهو مقسم الى طاقات مقوسة جميلة الصنع والرواق يحيط بالروضة احاطة السوار بالمعصم · وهو خاص بالزهاد والزاهدات والمتعبدين والمتعبدات والمنقطعين الى عبادة الله والمنقطعات · ويدخل الى الروضة « الحرم » من بابين متجاورين في ركنها الشرقي وهما من الساج مصفحان بالشبه منقوش عليهما نقوش بديعة وقد كتب فيهما بعض الآيات القرآنية والابيات الفارسية. وصنعتهما من ابدع ما رأيناهُ في معاهد العراق الدينية · وقد اظهر فيهما النقاش براعة عجيبة ومهارة غريبة · وعلى جانبيهما سهوات لطيفة بديعة الشكل مرصعة بالزجاج ترصيعًا هندسيًا يقل نظيرهُ . وقد كتبت ابيات من الشعر العربي بحرفٍ واضح وطرزٍ فاخر على رخامة بيضاء ناصعة زاهية بنقوشها والوان اطرافها وهي تمتد في اعلى البابين المذكورين وتشير الى مشيد هذا الركن من الروضة ومزينها فالذي كتب على الباب الذي يكون عن اليمين للخارج من الروضة هذه الابيات

محل قد سما شرفًا عليًا	بهِ الاملاك ساجدة جثيًا
محل قد حوى هادي البرايا	تراهُ والامام العسكريا
تضوَّع عن شذى منهُ استعارت	جنان خلودها الارج الذكيا
غدت اكنافهُ تزهو بجامٍ	يشيم اللحظ بارقهُ المضيا
يروق نضارهُ ويفوق معنى	ويحلو منظرًا حسنًا بهيا
بناهُ ذو المكارم والمساعي	فحاز المجد والفخر السنيا .
مخيف[1] فاز بالقدح المعلى	وكان لفوزهِ قمنًا حريا

(١) مخيف رجل من مشاهير اغنياء العراق واكابر موسريهم لا يزال حيا يقطن الكاظمية وله فيها وفي غيرها املاك واسعة وله شغف عظيم بالاحسان الى معاهد آل البيت

موالي آل حيدرة وطـه فطوبى للذي اضحى وليا
وفي سنن الولاء المحض ارخ مخيف شاده حرماً زكيا
١٣٢٧

وقد كتب على الباب بماء الذهب ايضاً ابيات تماثل هذه معنى

وداخل الروضة شيء يدهش العقول بجمال هندستهِ واتقان بنائهِ وما فيهِ من التزيينات الفاخرة التي يجود بها سخاء الشيعة الديني وهي مربعة طول كل ضلع منها عشرون متراً . وفي كل ركن ايوان مقوس قد رصع بالمرائي النفيسة وجدار الروضة مغشى بالرخام الذي بولغ في تزيينهِ ونحتهِ الى ارتفاع مترين وما فوق ذلك مرصوف بقطع كبيرة وصغيرة من الزجاج مقطوعة على رسوم هندسية وقد رصعت على طرازٍ فارسي يمازجهُ ذوق عربي يسحر الالباب ويسبي العقول وما فوق ذلك كتابات محيطة بالروضة كتبت باصباغ زاهية واكثرها من الكتاب الحكيم . ويعلو الحرم كلهُ قبة شاهقة مغشاة من اسفلها الى اعلاها بالذهب الوهاج يذهب سنا نورها بالابصار . ويبلغ ارتفاع القبة من اسفلها الى سطح الحرم زهاء ٢٠ متراً ومحيطها قراب ٦٠ متراً . وباطن القبة الذي هو سماء الحرم مغشى بقطع المرائي على طرزٍ يعجز الكاتب عن وصفهِ مهما كان بليغاً فصيحاً . وفي وسط الروضة شبكان الاول من الساج وهو الذي يكون عن الشمال وفيهِ ثلاثة قبور الاول قبر الامام علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم ولد في المدينة سنة ٢١٤ هـ = ٨٢٩ م وسبب خروجهِ منها وشخوصه الى سُرَّ من رأى ان عامل المتوكل العباسي على المدينة ونائبهُ فيها عبدالله بن محمد سعى بابي الحسن علي الهادي الى المتوكل قاصداً اذيتهُ فكتب المتوكل الى الامام يلين لهُ في القول ويستدعيهِ اليهِ على حيلٍ من القول والفعل فلبى الهادي دعوة الخليفة وقدم عليهِ في سامراء فافرد لهُ داراً حسناء الى ان توفي فيها سنة ٢٥٤ هـ = ٨٦٨ م وهي الآن المسجد الحالي الذي فيهِ قبرهُ وآل بيتهِ . ويعد هذا الامام العاشر من الاثني عشر اماماً المعصومين . والثاني قبر ابنهِ الامام حسن العسكري المولود سنة ٢٣٢ هـ = ٨٤٦ م والمتوفى سنة ٢٦٠ هـ = ٨٧٣ م وهو الامام الحادي عشر والثالث قبر زوجتهِ نرجس خاتون وهي ام الامام محمد المهدي صاحب الزمان . والمشبك الثاني مصنوع من الشبه وهو الذي يكون عن اليمين وفيهِ قبر واحد عليهِ استار الحرير والديباج وفيهِ رم حليمة خاتون بنت الامام محمد الجواد واخت علي الهادي . وقد علق على المشبكين من ادوات الزينة كالمعلقات

روضة الامام حسن العسكري

المقتطف صفحة ٣٧٦ مجلد ٤٥

الثمينة والتحف البديعة والآنية الذهبية والفضية شيءٌ كثير وبالجملة ان ما في داخل الروضة من انواع البهجة والزخرفة ورائق الصنعة يحير الالباب فهي تتلألأ نوراً وتلمع لمعان البرق يحار بصر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها · وللمسجد عدا ما تقدم مأذنتان على طرز مآذن العراق بنيتا بالحجر القاشاني وساعة دقاقة كبيرة ركبت على برج شاهق حول باب السور الخارجي ترى من اماكن قاصية

٣ً تاريخ عمارتهِ

تعاقب على قبور آل البيت في سامراء اطوار مختلفة تبعاً لسياسة الدولة التي تتسلط على العراق العربي فان كانت شيعية بالغت في اكرامها وتعظيمها وان كانت سنية فان المحافظة عليها واكرامها يتوقف على حسن سياسة القائمين بشؤون تلك الدولة · ومن توفق الى مثل تلك السياسة الرشيدة كسب مرضاة خمسين مليونًا من الشيعة في الهند وفارس وبخارى وخيوه والقوقاس وسورية والعراق · وقد لاقت هذه المعاهد الدينية ما يلاقيهِ كل شيء في هذا الوجود من ذلٍ وعزٍ واهانة وتعظيم فذاقت مر الزمان وحلوه · وكانت في ايام الامامين دار سكن لهما فدفنا فيها واقيمت بعد ذلك الابنية التي تختلف بفخامتها وضخامتها حسب اختلاف العصور وسياسة الدول فيها · ويرتقي زمن المبالغة في تشييدها الى عهد آل بويه فانهم لم يدخروا وسعاً في اقامة الصروح الفخمة حول قبور الائمة في النجف وكربلاء وسامراء · وكانت ايام استيلاء الدولة الايلخانية على العراق في القرن الثامن واخضاع الدولة الصفوية لهذه الاصقاع في القرن التاسع للهجرة مباني سامقة لا تقل حسناً وزخرفة عما هي عليهِ الآن ولكنها لم تكن على هذا الطرز والوضع · وظل الشيعة يكتتبون في مشارق الارض ومغاربها لنفقات اعمارها الى ان تمكن القائمون بها من الشروع باقامة هذه الصروح على الطرز الحالي من بناية القباب والمآذن وعمارة الروضة وغيرها وقد استقدموا لذلك امهر الصناع والعملة من فارس والصين وبعض الاصقاع التي اشتهر صناعها ببراعتهم وكفاءتهم · والذين بدأوا في عمارة المسجد ثلاثة رجال — وهم احمد خان وحسن خان وحسين خان وكان لهم مقام رفيع في الدولة الفارسية وبعضهم احرز رتبة الوزارة فيها كما يظهر من الكتابات التي نقشت على الجدران في هذا المسجد · وقبور هؤلاء الامراء ظاهرة في اول ايوانٍ من جهة الرواق الغربية وهو الديوان الملاصق للباب المؤدي الى داخل الحرم وهناك ثلاث رخامات كتب عليها ابيات فارسية ونثر باللغة العربية تشير الى ما جادوا وبذلوا في سبيل التقرب من العلويين · ولا يزال القراء والعلماء يتلون على مدافنهم القرآن صباح كل يوم ولهم على ذلك

مشاهرات يتقاضونها رأس كل شهر . وكان التعمير برعاية الحاج ميرزا محمد السلماسي المتوفى سنة ١٢١٩ هـ = ١٨٠٤ م اي كان زمن العمارة في عهد ولاية الوزير سليمان باشا الكبير على العراق . وكان في الجهة الغربية من الرواق قبور بعض الخلفاء العباسيين منهم المعتصم موسس سامراء والمتوكل وغيرهما وقد خربها الميرزا محمد المار الذكر يوم شرع في العمارة ولذلك لا يعرف لها اليوم اثر يدل عليها . ويقال انهُ فعل هذا الامر مدفوعاً بدافع الانتقام من العباسيين الذين غصبوا الخلافة من الهاشميين بعد ان عاهدوهم على ارجاعها اليهم خصوصاً من المتوكل الذي ضيق الخناق على الشيعة وطاردهم في الآفاق وامر بهدم قبر الحسين في كربلاء وحرث ارضهِ واسالة الماء اليهِ . فكأن المرزا اراد ان يقابل المتوكل بالمثل فاهان التاريخ اهانة عظمى بعملهِ وهو ابادة افخم الآثار التاريخية التي تتنافس في المحافظة على امثالها كل امة متمدنة وكل انسان يعرف قدر العلم والآثار

وآخر ما قام بهِ سلاطين الشيعة وملوكها وامراؤها واعيانها من اكرام المعاهد المقدسة عندهم تجديد الشاه ناصر الدين سلطان العجم لبعض الابنية في هذا المسجد وترميم قبابهِ واروقتهِ وزواياهُ . وبامرهِ طليت القبة الكبرى التي تغطي الحرم بالذهب الابريز وهي اكبر قبة في مساجد العراق المعاصرة وقد انفق من النضار على تغشيتها بالذهب ما يناهز ٥٠ الف جنيه ولا يزال اسم هذا الشاه العظيم مسطوراً بماء الذهب على الابنية التي شادها وكان ذلك بين سنة ١٢٨١ هـ = ١٨٦٤ م وسنة ١٢٨٥ هـ = ١٨٦٨ م وكان الرقيب على التعمير والتزيين المرزا محمد باقر السلماسي . وكثيرون من الاغنياء والموسرين في الهند والقوقاس وفارس والعراق اقتدوا بهذا الملك الجليل ولكن اسم اكثرهم لا يزال خاملاً بالنسبة الى سخاء ناصر الدين وجودهِ الذي لم يكن مقصوراً على معاهد سامراء بل تناول معاهد النجف وكربلاء والكاظمية ولهُ السبق في هذا المضمار الذي ينبعث عن تدين صادق وايمان متين ولا ريب فان تلك عادة قديمة متأصلة في ملوك فارس القدماء والمحدثين . ودفاعهم عن مشاهد آل البيت اشهر من ان يذكر فكثيراً ما خاضت فارس غمرات حروب ضروسة مع الدولة العلية واجتاحت العراق العربي لحماية ما فيهِ من الاماكن المقدسة لدى الشيعة . وكان السلاطين في فارس حينما يعقدون المعاهدات يطلبون من ملوك آل عثمان ان يتعهدوا لهم بوقاية البقاع المقدسة من الاضرار وحمايتها من الاخطار قبل ان يعترفوا لفارس باستقلالها . وكثيراً ما قدم البند المتعلق بحماية قبور العلويين على البند الذي تعترف فيهِ تركيا باستقلال فارس اي ان العناية بتلك المدافن اثمن عندها من العناية باستقلالها . وهذا شيء لم يسمع بهِ في الدول الاخرى

٤ً مسجد الامام المهدي واقوال الشيعة فيهِ

فرغنا من وصف مسجد الامامين وما فيهِ من التزيينات الفاخرة والآثار النادرة والآن نبدأ بوصف المسجد الثاني وهو مسجد الامام محمد المهدي بن الحسن العسكري وقبل الخوض في وصفهِ نشرع في بسط معتقد الشيعة بهذا الامام توطئة لما سنذكرهُ

يعتقد جمهور الشيعة ان الامام محمداً المهدي هو ابن الحسن العسكري وكنيتهُ ابو القاسم ولقبهُ الحجة والمهدي والقائم والمنتظر ولد سنة ٢٥٥ هـ = ٨٦٨ م ويقولون انهُ دخل السرداب في دار ابيهِ بسُرَّمن رأى وامهُ تنظر اليهِ فلم يعد اليها وكان عمرهُ تسع سنين وذلك سنة ٢٦٤ هـ = ٨٧٧.م على خلاف فيهِ ويقال انهُ ظهر بعد هذه الغيبوبة بخمسين عاماً ثم اختفى وهي الغيبة الكبرى التي لا تنتهي الاَّ بظهورهِ في آخر الزمان · وهو عندهم الآن لا يزال حيًّا يرزق كعيسى ابن مريم عليها السلام والخضر وسيخرج لتأييد الاسلام ورفع قواعدهِ ونشرهِ في الكرة حتى لا يبقى فيها احد لا يصدق بهِ وانهُ يملأُ الارض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ويوردون احاديث يسندونها الى النبي ولكن اهل السنة ينكرونها ويعتقدون تلفيقها الاَّ ان الشيعة لا يلتفتون الى ما يوردهُ السنة من البراهين على بطلان هذا الرأي · ولا يزال الامامية متشوقين الى خروج المهدي من السرداب الذي غاب فيهِ ولذلك تجدهم كلما نزلت بهم كارثة عللوا انفسهم بظهور الامام واسترجاع البلاد والاقطار على يديهِ والانتقام من الامم الفاتحة التي لم ترع لهم حرمة ذلك كان شأنهم حينما اخضع الانكليز ديار الهند واكتسح الروس القوقاس وبخارى وبقية الاصقاع الشاسعة

اذا طاف المتفرج في مسجد الامامين واتجه الى زاوية المسجد الغربية يجد جداراً حاجزاً بينهُ وبين مسجد اخر يدخل اليهِ من باب الى فناء اصغر من اخيهِ ولكنهُ على طرزهِ ونمطهِ من حيث البناء والترتيب والهندسة والصنعة · وقبل ان تدخل اليهِ من ذلك الباب تجد امامك بئراً يحتال بها خدام الحضرة على البلداء والمغفلين من الزوار بان يطلعوا فيها قمراً بازغاً لا يأفل مدى الليل والنهار ويروون لهم في هذا الصدد ان نرجس خاتون ام المهدي اطلَّت يوماً على قعر البئر فقطر من ثديها قطرة من اللبن فكان من تأثيرها هذا القمر المنير· وللجامع روضة الاَّ انها دون روضة الامامين من حيث النقش والتزويق والتزيين وامامها صفَّة مفروشة ارضها بالرخام وكذلك جدارها الادنى فانهُ موَّزر بهِ الى ارتفاع مترين وما فوق ذلك بني بالحجارة القاشانية وسقف الصفة قائم على دعائم من الساج ويدخل اليها من باب لصقت في اعلاهُ رخامة كتب عليها شعر فارسي معناهُ : ان محمد علي شاه صاحب الشوكة والعظمة وفاتح الممالك وزينة

المجالس والمحافل قد اتى ليدون لهُ اسماً في هذه الحضرة المقدسة بان يشيد اركانها ويجدد بناءها ليخلد لهُ ذكراً طيباً على مدى الدهور . وتحت ما تقدم تاريخ البناء وهو سنة ١٢٢٥ هـ = ١٨١٠ م

ثم تدخل الى رواقٍ جميل مبني بالرخام ويكون تجاهك مسجد صغير تقام فيهِ الصلاة والى جانب بابهِ باب اخر تهبط منهُ الى سرداب فيهِ ١٣ دركة وتمشي مسافة عرضها خمس درجات ومنها تنحدر الى ست دركات الى فرجة بين عقدين و تسلك من برزخ الى بهو صغير ليس فيهِ شيءٌ من ادوات الزينة والجمال ولكنهُ ضخم هائل محكم البناء قوي بحجارتهِ الرخامية ويكون عن يسارك غرفة مظلمة مفروشة بالرخام وكذلك جدارها وسقفها وهي خاصة بالزهاد وارباب التقى وفي اقصى البهو مخدع مظلم انيرت فيهِ الشموع الكبيرة والقناديل الفضية ولهُ باب من خشب الصندل كتب على اطارهِ مما يلي الارض بنقش نفيس ما هذا نصهُ :

« بسم الله الرحمن الرحيم قل لا اسألكم عليهِ اجراً الاَّ المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد لهُ حسناً ان الله غفور شكور » ثم ترى كتابة ابتداؤُها من اسفل الاطار صاعدة الى اعلاهُ وانتهاؤُها الى اسفلهِ وهذا نصها : « هذا ما امر بعملهِ سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام ابو العباس احمد الناصر لدين الله امير المؤْمنين وخليفة رسول رب العالمين الذي طوى البلاد احسانهُ وعدلهُ وغمر العباد فضلهُ قرن الله اوامرهُ الشريفة باستمرار النجح والبشر وباظهار التأْييد والنصر وجعل لايامهِ المخلدة حدًّا لا يكبو جوادهُ ولآرائهِ الممجدة سعداً لا يخبو زنادهُ في عزٍ تخضع لهُ الاقدار فتطيعهُ عواصيها وملك تخشع لهُ الملوك فتملكهُ نواصيها بتولي المملوك معد بن الحسين بن سعد الموسوي الذي يرجو الحياة في ايامهِ المخلدة ويتمنى انفاق بقية عمرهِ في الدعاء لدولتهِ المؤَيدة استجاب الله ادعيتهُ وبلغهُ في ايامهِ الشريفة امنيتهُ » اه . وقد حفر على عتبة الباب هذه العبارة : « من سنة ستمائة وست هلالية وهو حسبنا ونعم الوكيل » اه . وعند العتبة من جهة اليمين مما يلي الارض ثقب بمقدار ما تدخل فيهِ الكف يعتقد اهالي سامراء ان ابا العباس احمد الناصر لدين الله الخليفة العباسي المولود سنة ٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م والمتوفى سنة ٦٢٢ هـ = ١٢٢٥ م هو الذي ثقبهُ لكي يرمي فيهِ كل من اراد ان يدفع عريضة الى صاحب الزمان المنتظر ولا يزال باقياً على وضعهِ الى هذا العصر

ومساحة المخدع متران طولاً ومتر عرضاً وثلاثة امتار ارتفاعاً . وفي جهة اليمين قرب الباب نفق لا يزيد عمقهُ على مترين ونصف متر وعرضهُ متر ونصف مستدير الاطراف وهو السرداب الذي يقولون ان الامام المهدي قد غاب فيهِ . يقصدهُ الشيعة من

ديار قاصية لزيارتهِ والتوسل الى الغائب فيهِ ان يعجل بالظهور وقد المع ابن بطوطة في رحلتهِ الى هذا السرداب فقال عنهُ انهُ المشهد الذي غاب فيهِ المهدي وذكر موضعاً مثل هذا في الحلة من مدن العراق فقال ان القوم يزعمون ان المهدي غاب فيهِ ووصف طوافهم فيهِ فمن اراد الاطلاع عليهِ فليراجع رحلة ابن بطوطة — ج ٢ ص ١٣٢ — طبعة افرنجية ٠ وقد ركب على هذا السرداب من فوق قبة شاهقة مغشاة بالحجارة القاشانية وسمكها من سطح السرداب الى اعلى ذروتها قراب ٢٠ متراً ومحيطها يناهز ٤٠ متراً وقد ظهر فيها مواضع صدع ويقال ان الشيعة شرعوا يكتتبون لتجديد بنائها وتشييد اركانها وطلائها بالذهب الوهاج

هذا موجز ما يمكن ان يقال عن سامراء وما فيها من المساجد والمعاهد في هذا العصر. وربما نعقد فصلاً آخر في بقايا قصور الخلفاء واثارهم القديمة فيها ومن الله نستمد المعونة والتوفيق

بغداد ابرهيم حلمي العمر

بحث في البكتيريولوجيا[1]

(تاريخ العلم ونشأتهُ)

يراد بالبكتيريولوجيا العلم الذي يبحث عن الاحياء الدنيا التي لا ترى الأ بالمكرسكوب ٠ هذا العلم حديث النشأة لم يشتغل بهِ العلماء بهمة الأ في القرن الماضي وقد ساروا فيهِ خطوات واسعة نظراً الى اهميتهِ في الطب والزراعة والصناعة وسائر العلوم

لم يكن العلماء قبل ثلاثة قرون يعرفون شيئاً عن هذه الاحياء الدنيا ٠ واول من لفت نظرهم الى ذلك بطريقة علمية على ما يُقال عالم يسوعي[2] كان ذا المام بعلم الكيمياء وفن العدسيات المكبّرة قبل مائتين وخمسين سنة تقريباً فانهُ شاهد بمكرسكوب بسيط ديداناً صغيرة في اللحوم المتعفنة وفي اللبن والجبن فظن ان التعفن وانتشار الامراض ناتجان عن مثل تلك الديدان الصغيرة ٠ فلم يمضِ زمن طويل على هذا الرأي حتى جاء لُوفِنْهوك[3] واكتشف

---

(١) البكتيريولوجيا Bacteriology كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين : (Bakterium عصية و Logos علم) ويراد بها علم الاحياء الدنيا

(٢) هو اتناسيوس كرخر (Athanasius Kircher) العالم الالماني عاش (١٦٠٢ — ١٦٨٠)

(٣) هو انطون ڤان لوڤنهوك (Anton Van Leeuwenhoek) الهولندي ولد في بلدة دلفت وعاش (١٦٣٢ — ١٦٧٣) كان من المشتغلين بالابحاث المكرسكوبية ومن اشد المعارضين للقول بالتولد الذاتي ولهُ اكتشافات نافعة منها الدورة الدموية في الاوعية الشعرية وقد انتخب عضواً في الجمعية الملكية بلندن سنة ١٦٨٠

لاحياء الدنيا سنة ١٦٨٣ بعد ان تمكن من عمل اول مكرسكوب قوي · وقد عُرِفَ ذلك من كتاب بعث بهِ الى الجمعية الملكية بمدينة لندن وكانت قد اسست منذ سنة ١٦٦٢ قال فيهِ «رأيت عجباً في مزيج من اللعاب وقلاح الاسنان عند البحث فيهِ مكرسكوبيًّا فانني شاهدت احياء صغيرة كانت تتحرك بسرعة غريبة في اللعاب ويسبح اكبرها فيهِ كما يسبح السمك في البحر» · وقد وقع اكتشاف لوفنهوك هذا وقعاً عظيماً في نفوس العلماء يومئذٍ اذ كان علم البكتيريولوجيا في اول نشأتهِ والناس لا يعرفون منهُ شيئاً

وبعد ان اثبت لوفنهوك وجود هذه الاحياء الدنيا اشتغل بتجارب قليلة نافعة لمعرفة التعفن واسبابهِ وقال اننا اذا تركنا مادة آلية في الماء زمناً ما فانها تتعفن وتتصاعد منها روائح كريهة ناشئة عن وجود احياء صغيرة تسبب التعفن · ولاحظ في هذه التجارب ان عمل تلك الاحياء يقلّ اذا تركت المادة الآلية معرضة للهواء الجاف الحار مدة من الزمن ويعود كما كان اذا اعيدت الى الماء اي ان الاحياء المذكورة لا تُعدَم بمجرد تعريضها للجفاف كما كان يزعم كثير من العلماء حينئذٍ

ثم نشأ في القرن الثامن عشر طبيعي فرنسوي يدعى بوفون [1] كان من اشهر كتَّاب فرنسا وقال ان الاحياء المسبّبة للتعفن تنشأ من المادة الآلية اي تتولد منها تولداً ذاتياً ولا تأتي من الخارج · فجاراهُ طبيب انكليزي يدعى نيدهام معَضداً لرأيهِ سنة ١٧٤٩ بعد تجربة اخذ فيها خلاصة من اللحم ووضعها في زجاجة سدها سدًّا محكماً والصق سدادتها بقليل من المصطكى لمنع الهواء وعرّضها لحرارة مرتفعة لقتل ما فيها من الاحياء ثم اختبر ما فيها بعد ذلك مكرسكوبيًّا فشاهد آلافاً من الاحياء الدنيا ظن انها نشأت من الخلاصة نفسها

ولكن العالم اسبلنزاني [2] اثبت خطأ هذا القول فانهُ اعاد التجربة باتقان ولم يكتفِ بسد الزجاجة ولصق سدادتها بالمصطكى بل سدها سدًّا هرمسيًّا وتركها في الماء الشديد الحرارة زمناً وبعد اختبار ما فيها مكرسكوبيًّا لم يجد اثراً للاحياء الدنيا فجزم بخطإِ الرأي الاول لخطإٍ في اجراء التجربة وقال ان تطرُّق الاحياء الى الخلاصة كان بواسطة الهواء

---

(1) هو بوفون (Buffon) الطبيعي والكاتب الفرنسوي الشهير ولد في منتبارد وعاش (١٧٠٧ — ١٧٨٨) وقد الف تاريخاً طبيعياً في الحيوانات ذوات الاربع

(2) هو لازارو اسبلنزّالي (Lazaro Spallanazani) العالم الايطالي ولد في اسكانديانو وعاش (١٧٢٩ — ١٧٩٩) وكان استاذًا للتاريخ الطبيعي والفلسفة في جامعات مختلفة وساح في سيسليا وجهات اخرى سياحات علمية نشر ابحاثهُ فيها ولهُ فضل كبير في عدة مباحث

لاستحالة التولُّد الذاتي. وكان رأيهُ هذا ردًّا على كثير من علماء ذلك العصر الذين كانوا يعتقدون ان التولّد الذاتي ممكن. ذلك الرأي القديم الذي دفع فرجيل[١] المؤرخ الايطالي الى ان يذكر في كتاباتهِ «اننا لو اخذنا ثوراً ميتاً وضربناهُ بعصاً وتركناهُ في مكان مقفل مدة من الزمن لتولد منهُ جيش من النحل يمكن الانتفاع بعسلهِ». على انهُ لو فعلَ ذلك لحصل على جيش من الذباب غير متولد من لحم الثور بل من بويضات الذباب الذي تهافت على جثتهِ

ان امثال هذه الخرافات تنشأ في كل زمن من اهمال اهلهِ البحث وعدم تدقيقهم في النظر والمشاهدة. ولكن الحقائق العلمية لا تعدم انصاراً كاسپلنزاني المذكور آنفًا وكثيرين غيرهِ من الباحثين امثال أهرنبرج[٢] وشوان[٣] وكوهن[٤] وكينار لاتور[٥] الذين عاشوا متابعين البحث يكتشفون حقيقة بعد اخرى ويتدرجون في هذا العلم حتى جاء زمن پاستور[٦]

پاستور والبكتيريولوجيا — بعد من تقدَّم من الباحثين في البكتيريولوجيا جاء عصر پاستور فنهض بابحاث هذا العلم نهضة كبرى توفق فيها توفقًا لم يسبق لاحد غيرهِ. كان پاستور شغفًا بالعلم ومثابراً على العمل في خدمة الانسانية عمومًا وفرنسا خصوصاً فقد اكتشف اموراً نافعة نتجت منها نتائج كبيرة

---

(١) هو پوليدور فرجيل (Polydore Vergil) المؤرخ الايطالي المشهور ولد في اربنو وعاش (١٤٧٠ — ١٥٥٥) وكان يراسل اراسمس داروين

(٢) هو اهرنبرج (Ehrenberg) العالم الطبيعي الالماني ولد في بلدة دلتش وعاش (١٧٩٥ - ١٨٧٨) اشتغل بدرس الطب وبرع في الابحاث المكرسكوبية ولهُ اكتشافات نافعة في البكتيريولوجيا والتاريخ الطبيعي

(٣) هو شوان (Schwann) الطبيعي الالماني اشتغل مع آخر يدعى شليدن (Schleiden) في سنتي ١٨٢٨ و ١٨٣٩ وقررا ان الحيوانات والنباتات الراقية مؤلفة من انسجة خلوية ولهُ آراء في الخلية وتكونها

(٤) هو كوهن (Cohn) النباتي الالماني عاش (١٨٢٨ — ١٨٩٨) وكان من اشهر الواضعين للبكتيريولوجيا

(٥) هو كينار لاتور (Caignard Latour) العالم الطبيعي الفرنسوي ولد في باريس وعاش (١٧٧٧ — ١٨٥٩)

(٦) هو لويس پاستور (Louis Pasteur) الفرنسوي الشهير ولد في لوُول وعاش (١٨٢٢ — ١٨٩٥) وينسب اليهِ معهد الاكتشافات في باريس الذي كان كعبة العلماء والباحثين في عهدهِ ولا يزال كذلك الى الآن

كان الناس قبل زمنهِ يظنون ان الاختمار مسبب عن تغيرات كيماوية او طبيعية فأثبت بالدليل فساد هذا القول وبيّن ان الاختمار ناتج عن احياء دنيا مسببة لهُ واثبت ان المواد الآلية تتعفن وتفسد بهذه الاحياء الواصلة اليها من الهواء فانهُ اذا منع الهواء عنها لا يتطرق اليها فساد

اشتغل باستور بابحاث مختلفة خدم بها هذا العلم وحلَّ بها كثيراً من المسائل العويصة . ففي سنة ١٨٥٧ بحث في الاختمار وجلا اسبابهُ واثبت ان النشادر والحامض اللبنيك والحامض الزبديك ومركبات اخرى قد تنتج عن عمل احياء دنيا مخصوصة تتطرق الى المواد الآلية كالبول واللبن والسمن مثلاً وليست ناتجة عن تغيرات كيماوية او طبيعية في المواد المذكورة . وسنة ١٨٦٢ اجهز بادلتهِ القاطعة على القول بالتولد الذاتي ذلك الرأي القديم الذي شغل عقول العلماء قبلهُ السنين الطوال

وسنة ١٨٦٣ بحث في كيفية انتشار الامراض الوبائية وتفشي العدوى بتفشي المكروبات[1] وفي اختمار النبيذ واسبابهِ . وسنة ١٨٦٥ بحث في مرض كان شديد الفتك بدود الحرير في بلادهِ وقد سبَّب لها خسائر فادحة فعرف ان ذلك المرض ناتج عن حيوان دنيءٍ من نوع البروتوزوى فوقف على حياتهِ وتوفق لمقاومتهِ ومنع ضررهِ بطريقة انقذت فرنسا مما اصابها وخلدت ذكرهُ . وسنة ١٨٧١ اخذ يبحث في اختمار البيرة . وسنة ١٨٧٧ عاد الى درس الامراض الوبائية وطرق مقاومتها بالتلقيح وذلك بسبب تفشي مرض الجمرة الخبيثة في فرنسا وروسيا حتى نفق بهِ من البقر والغنم في بلاد الروس نحو ستين الفاً في سنتين . اما طريقتهُ في مقاومة هذا المرض فهي انهُ ربى مكروب الجمرة الخبيثة في بيئات صناعية على درجة حرارة الدم (٣٧° سنتجراد) ولقح بهِ خرافاً فماتت عن آخرها فعرف من هذه التجربة ان موت بعض الخرفان كان مسبباً عن الجمرة الخبيثة التي دخل مكروبها في دمها نشطاً قويًّا. فاعاد التجربة ليصل الى تلقيحها بمكروب المرض ضعيفاً حتى لا يفتك بها فربى المكروب على درجة من الحرارة اشد من الاولى (٤٢° سنتجراد) وهي الدرجة التي يمكن ان يبقى فيها المكروب حيًّا متكاثراً . ثم لم يكتفِ باضعافهِ بذلك بل تركهُ اسبوعين قبل استخدامهِ في التلقيح وبعد ذلك لقح بهِ اغناماً كثيرة فبدت عليها اعراض المرض خفيفة ولكنها لم تمت ثم زالت عنها

---

(١) اول من اطلق كلمة مكروب (Microbe) على الكائن الصغير الحي هو سيديو (Sédillot) العالم الفرنساوي وذلك سنة ١٨٧٨

تلك الاعراض وزال المرض بعد زمن يسير وبذلك اصبحت مصونة ولو دخلت بلاداً كان المرض متفشياً فيها

ان طريقة التلقيح لمقاومة الجدري كانت معروفة قبل باستور اي منذ سنة ١٧٩٦ اكتشفها جنر[١] الطبيب الانكليزي بالتجربة البسيطة لان المكروب لم يكن معروفاً يومئذٍ . ولكن هذا الامر لا ينقص من فضل باستور العظيم فان حياتهُ العملية كانت سلسلة اكتشافات نافعة للانسانية والعلم

اخذ باستور بعد السنوات الاولى من حياتهِ العملية يبحث عن سبب كثرة وفيات النساء بحمى النفاس عقب الولادة فعرف انها نتيجة عدوى مكروب مخصوص . وكان كثيرون من الاطباء الفرنسويين قد اشتغلوا في عهدهِ بالبحث عن السبب المذكور فاعلن كل منهم رأيهُ في ذلك في مجتمع طبي كبير حضرهُ باستور وكان الحق في جانبهِ دونهم فافحمهم في المناقشة وبيَّن خطأهم واعلن ان سبب العدوى من الاطباء والممرضات لان مكروب حمى النفاس ينتقل بواسطتهم من امرأة مريضة الى اخرى سليمة وحتم بوجوب النظافة اثناء الولادة . وبعد ان كشف السر في ذلك واشار بمقاومة المرض باتقاء عدواهُ قلَّ عدد الوفيات بحمى النفاس حتى اصبحت الحمى المذكورة لا تصيب الاَّ واحدة او اثنتين في الالف بعد ان كانت تصيب مائة الى مائتين في الالف

كانت اعمال باستور نافعة جدًّا وعاملاً مهمًّا في ترقية الطب ومقاومة الامراض الوبائية التي تصيب الانسان والحيوان او التي تنتقل من الحيوان الى الانسان كداء الكلَب مثلاً وامراض اخرى كثيرة

وقد تابع اعمال باستور في حياتهِ وبعد وفاتهِ كثيرون من العلماء مثل لِستَر[٢] الجراح الانكليزي الشهير فانهُ اشتغل بها في بلادهِ على نسق باستور واتت اعمالهُ بفوائد كبيرة . ومثل رُو[٣] تلميذ باستور الذي خلفهُ واكتشف اموراً نافعة اهمها علاج الدفتيريا بالمصل

---

(١) هو ادوارد جنر Edward Jenner الطبيب الانجليزي ولد في بركلي وعاش (١٧٤٩ - ١٨٢٣) واكتشف تلقيح الجدري ولم يعلنهُ رسمياً الاَّ سنة ١٧٩٦ وقد كافأهُ البرلمان فاعطاهُ ٣٠٠٠٠ جنيه

(٢) هو لورد لستر (Lord Lister) الجراح الانكليزي ولد في بلدة ابتن وعاش (١٨٢٧-١٩١٢) تعلم في جامعة لندن ونبغ في الجراحة فكان مكتشفاً طبياً وبكتيريولوجياً كبيرًا وينسب اليهِ التعقيم في الجراحة

(٣) هو رو (Roux) الطبيب الفرنسوي تلميذ باستور ولد في كنفولانس سنة ١٨٥٣

كوخ[1] والبكتيريولوجيا — نهض كوخ بالبكتيريولوجيا في اواخر القرن التاسع عشر فسار بها شوطاً طويلاً كباستور وتمكن من فصل مكروب الجمرة الخبيثة سنة ١٨٧٦ في بيئات صناعية خالية من كل مكروب آخر واثبت انهُ هو سبب المرض المذكور دون غيرهِ. فتمكن بذلك من اكتشاف الوسائل لمقاومتهِ. وقد ساعد كوخ على فصل مكروب هذا المرض ما كان قد وصل اليهِ العلم اذ ذاك بتحسن المكرسكوب واكتشاف اصباغ الانيلين ففصل اولاً مكروب الجمرة الخبيثة على ما سبق وبرهن على انهُ مسببها

ثم اكتشف مكروب التدرن سنة١٨٨٢ وفصلهُ وبرهن على انهُ سبب مرض السل. واكتشف مكروب الكوليرا سنة ١٨٨٣ بعد سياحة علمية وفد فيها على مصر والهند سنة ١٨٨٢ وكانت الكوليرا قد فشت في الديار المصرية في السنة المذكورة وتوفي بها ١٠١٦٨ في اربعين يوماً وكانت الوفيات اليومية ٥٣٣ في كثير من الايام

ثم تقدمت البكتيريولوجيا كثيراً وكثرت الاكتشافات يوماً بعد يوم بواسطة المعامل البكتيريولوجية التي يهتم بترقية شؤونها فحول العلماء والاطباء فعرفت اسباب امراض كثيرة فتاكة كالحمى التيفودية والكزاز او التتانوس والملاريا والزهري وغيرها وعرفت طرق مقاومة كثير منها بانواع المصل المختلفة

نعم لا يمكن القول بان العلم وصل الى غايتهِ ولا بان الاكتشاف اتى على كل شيء فامامنا الآن امور كثيرة لا نعرفها ولم نهتدِ الى طرق معرفتها. فكثير من الامراض يسببهُ مكروبات لا نستطيع رؤيتها باقوى المكرسكوبات مثل الجدري والحمى القلاعية وطاعون الدجاج وغيرها ولكن الامل كبير بتقدم العلم وارتقاء البحث لادراك كل غاية

محمود مصطفى الدمياطي
مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

---

[1] روبرت كوخ (Robert Koch) البكتيريولوجي الالماني الشهير ولد في مدينة كلوستال في مقاطعة هانوفر بالمانيا (١٨٤٣ — ١٩١٠)



* قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

المقتطف والشفاء بلا دواء

حوى جزء آب (اغسطس) فوائد جليلة . وقد استحسنت غاية الاستحسان ملاحظاتكم على اخبار القضاة . ومما اعجبني غاية الاعجاب مقالتكم البديعة « افتئات المشرق على المقتطف ودرس في الاخلاق » . فلقد اتيتم فيها من الادلة البديعة على صدق كلامكم ما يشهد لكم بهِ العدو والصديق . وقد طالعت ايضاً ما كتبتموهُ في عنوان الشفاء الغريب فان اغلب تعليلاتكم صحيح لكن قولكم « كل الاحجبة والاضرحة والمياه المقدسة لا تصلح رئة أكلها السل او معدة اتلفها السرطان او معًى خرقهُ التيفويد » . . . تدل على ان تعليلاتكم قاصرة اذ قد تحقق هذا الامر والظاهر انكم لم تقرأوا ما يحدث في لورد من الاعاجيب والمعجزات فان شهادات الاطباء الماديين على عدم شفاء المرض او المريض الفلاني لوجود ما اشرتم اليهِ فيهِ من الادواء نقضت اتم النقض عند وقوع الحقيقة . ما قولكم في ذلك

بغداد احد القراء

[المقتطف] قولنا في ذلك ما قالهُ المعري

جاءت احاديث ان صحت فان لها شأناً والاَّ ففيها ضعف اسنادِ
فشاور العقل لا تبغي بهِ بدلاً فالعقل خير مشير ضمهُ النادي

ونعني بالعقل خلاصة اختبار الناس فاذا دلَّ اختبارهم دلالة قاطعةً على ان النظر الى زهر البنفسج يشفي من السل والسرطان ويحول الرجل امرأةً والامرأة رجلاً فلا سبيل لانكارهِ لان هذا الشفاء وهذا التحويل ليسا مستحيلين لذاتهما . والباحثون عن الحقائق

يقولون في هذه الامور وامثالها هاتوا شهودكم ان كنتم صادقين · ولكن متى جاء الشهود انتقلت المسأَلة الى دور آخر هو عدالتهم اي صدق شهادتهم · اذا شهد شاهد انهُ رأَى زيداً يقتل عمراً في اليوم الفلاني والساعة الفلانية وشهد عشرة شهود انهم رأَوا زيداً في مدينة اخرى في ذلك اليوم وتلك الساعة وكانت الادلة على عدل الشاهد الاول والشهود العشرة واحدة اضطرَّ كل قاضٍ في الدنيا ان يأخذ بشهادة العشرة · ويعلل فساد شهادة الاول حينئذٍ بانهُ خُيّل لهُ ان القاتل هو زيد وهو غيرهُ او انهُ خُدع باسلوب آخر هذا اذا كنا نعتقد انهُ صدق اي شهد بما يعتقد صحتهُ

وقد مرَّ علينا الآن اكثر من اربعين سنة ونحن نبحث عن صحَّة ما يروى ممَّا يخالف اختبار الناس فثبت لنا ان كثيرين ينظرون الى الامور غير المأْلوفة على وجوه مختلفة فزيد يراها على شكل وعمرو على شكل آخر وكلٌّ منهما مخلص صادق في التعبير عمَّا رآهُ او اعتقدهُ وبعض الناس ميالون الى الانخداع وتصديق ما لا حقيقة لهُ ولا يستثنى من ذلك العلماء والاطباء والفلاسفة ورجال الدين · والذين بحثوا في ما يروى عن عجائب لورد واطَّلعنا على ابحاثهم مجمعون على ان الذين استشفوا بها على انواع نوع كان مرضهُ وهمَّا فزال الوهم باعتقادهِ انهُ لقي ما يشفيهِ ونوع كانت تنقصهُ قوة تؤَثر في عقلهِ الباطن تأْثيراً ينهض خلايا دمهِ البيضاء لمقاومة الميكروبات فنهضت وقاومتها وتغلَّبت عليها فشفي · ونوع لم يشفَ ولكنهُ اعتقد انهُ شفي · ثم ان الذين يشاهدون المرضى بعد شفائهم يرى بعضهم الامور على حقيقتها في عرفنا وعرف الجمهور فيقول ما نقولهُ ويقولهُ الجمهور · ويتوهم بعضهم صحَّة ما لا صحة لهُ فيحسب ان زيداً من الناس افسد ميكروب السل رئتيهِ ثم نمت لهُ رئتان جديدتان لانهُ زار سيدة لورد او شرب من مائها لكننا لا نظن ان عدد هذا البعض كثير · ومع ذلك فاذا ثبت ثبوتاً علميًّا ينفي كل ريب ان شرب ماء سيدة لورد ينمي يد الاقطع وانف الاجدع واذن الاصلم ويشفي من السل والسرطان ويحول القمح تفاحاً والتفاح فيراناً فاننا اول من يصدق ذلك كلهُ ويبقى صحيحاً الى ان يثبت نقيضهُ · ولو صحَّ كل ما ادعاهُ الناس في كل العصور عن عجائب الاجبة والاضرحة والمزارات وما اشبه او لو صح عشر معشارهِ لاستغنينا عن علم الطب وكل العلوم والفنون ولبقي الناس كلهم احياء ولم يمت منهم احد ولا مرض منهم احد · وكفى بذلك داعياً للعاقل ليقف وقفة المرتاب في كل ما يقال من هذا القبيل

الاخلاق

جناب الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

في جوابكم لعبد الوهاب افندي الزويني عن الاخلاق قلتم ان الاخلاق الفطرية الاولى ليست من الفضائل بل يولد الطفل وفي دقائقهِ الكذب والاحتيال والسرقة وما ماثلها من من الخصائل المرذولة تنمو وتتأصل فيهِ كلما شب ونما. ولكن اسمحوا لي ان اقول بانني قرأت كثيراً من اقوال العلماء في علم الاخلاق والطبيعة البشرية واختبرت الامر بنفسي بدرس اخلاق الاطفال في نعومة اظفارهم فتحققت ان الطفل يولد وهو مبني على كل الخصائل الحسنة بريء في طبيعتهِ سليم في نيتهِ ثم تفسد اخلاقهُ كلما مرَّ عليهِ يوم في معاشرتهِ من حولهُ. فهو يكتسب الشرور من محيطهِ ولا يرثها من والديهِ ولا تولد معهُ وفي الكتاب المقدس ان الله خلق الانسان على مثالهِ فمن البعيد ان يمثل الله الانسان بنفسهِ ان كان كما ذكرتم

فالطفل يولد سليماً نقيًّا طاهراً بعقلهِ ونفسهِ والوسط هو العامل الاكبر في تركيب المزايا وتقويم الاخلاق او افسادها والاخلاق نفسها ليست وراثية بل يشب الطفل بحسب محيطهِ. فان كان لديكم تحليل اخر تكرموا علينا بهِ ولكم مزيد الفضل

مصر عزيز كربيديان

[المقتطف] اذا اعدتم النظر على ما كتبناهُ وجدتم انهُ لا ينطبق تماماً على ما فهمتموهُ منهُ. والذي ذكرناهُ هو الصحيح حسب ما وصل اليهِ بحث جمهور علماء الاخلاق حتى الآن وقد يحتمل انهم كانوا يقولون غير ذلك في الماضي ويحتمل ان بعضهم لا يقول بهِ الآن ولكننا اذا سئلنا عن امر ذكرنا الرأي الاشهر فيهِ الآن وما ذكرناهُ هو الراي الاشهر.

الاحلام وتعليلها

لقد احسنت مجلة المقتطف في تفنيد آراء القائلين باتصال العالم الجسدي بالعالم الروحي اذ قالت: ان هذا الاتصال ليس مستحيلاً لذاتهِ ولكن لا يصح ما يقال فيهِ ما لم تقم الادلة العلمية على صحتهِ. ثم وجهت بعض الحوادث التي اوردها انصار ذلك المذهب توجيهاً حسناً وارجعت كثيراً منها الى ما يثبت بطلانها وخداع اصحابها او انخداعهم بها مما اعجب بهِ كل قراء المجلة على اختلاف الطبقات والنزعات

وما احسن تعليلها لحادثة حلم الاستاذ اغاسز الطبيعي الذي اهتدى الى تصوير سمكة

متحجرة في قطعة من الصخر في نومهِ بعد ان اعياهُ تصويرها في يقظتهِ اذ قالت : ان استنتاج اغاسز العقلي في نومهِ قد يصل اليهِ في يقظتهِ اذا كان دماغهُ مستريحاً كما وصل اليهِ وهو نائم وبعضها من المحفوظات في خزائن الدماغ التي ينساها المرء وهو مستيقظ كثير الاشغال ثم يتذكرها بعد ان ينام ويستريح دماغهُ فيحلم بها وهو يحسب انهُ لم يكن يعرف بها من قبل . اه

قلنا وكثيراً ما يتفق لارباب الاشغال العقلية امثال حوادث الاستاذ اغاسز ومن جملتها حوادث اتفقت لي يوم كنت تلميذاً في المدرسة الاعدادية فقد كنت ايام الامتحانات السنوية اذا اجهدت عقلي ودماغي بالاشتغال والمطالعة وعسر عليَّ حل بعض الغوامض من المسائل الطبيعية والرياضية وجاء وقت المنام واضطجعت مفكراً فيها فنمت اجد كأني اكشف غامضها في الحلم فاستيقظ للحال وادون ما علق بذهني على القرطاس فاذا اصبح الصباح وعرضت ما كان على الاستاذ استغرب مني ذلك غاية الاستغراب فامثال هذه الحوادث تثبت لي صدق المقتطف وهو ان الاستنتاج العلمي قد لا يتيسر في اليقظة حين يكون الدماغ منهوك القوى مثلما يتيسر في النوم عند ما يهدأ البال ويستريح الدماغ من الاشغال

على اني قد عرضت لي حوادث كثيرة كادت تضطرني الى التصديق باتصال الارواح على الرغم من شدة استمساكي بمذهب المقتطف منها القصة التالية. ذهبت في السنة الماضية الى البصرة تاركاً احد الاقارب مريضاً في بغداد . وبينما كنت اتناول الغذاء صباحاً على مائدة احد الاعيان شعرت باضطراب عقلي حتى كأني انتقلت من عالم الى آخر فخيل لي ان المرض اشتد على ذلك القريب واتاهُ اهلهُ بطبيب اجرى لهُ عملية جراحية كانت نتيجتها انصرام حبل حياتهِ. وظلت الوساوس آخذة مني كل مأخذ نحو ١٥ دقيقة فامتنعت عن الاكل لضيق في صدري واسرعت الى غرفتي لتدوين ما عرض لي في مذكرتي وكان ذلك في اليوم الثاني من صفر السنة الحالية . ولما قدمت بغداد علمت ان الرجل توفي متأثراً من عملية جراحية اجريت لهُ في ذلك اليوم الذي صادف اني اضطربت فيهِ وشعرت بموتهِ

ثم جرت لي حادثة اخرى وهي اني تركت شقيقة لي على فراش الموت في دارنا عند الغروب وذهبت لزيارة احد الاصدقاء وكان الطبيب قد اخبرنا ان الفتاة لن تموت قبل مضي خمسة ايام ولكني ما استقر بي الجلوس حتى شعرت باضطراب يشابه اضطرابي في الحادثة الاولى فمثلت لي شقيقتي كأنها ميتة والاهل يندبون ويعولون وبقيت مضطرباً قلقاً زهاء عشر دقائق . وقد استغرب مني الحاضرون هذا الاضطراب فاخبرتهم بالقصة فخطأوني لانهم عرفوا ما قالهُ الطبيب وقالوا ان هذا من نتائج اشتغال عقلك بالتفكير فيها ولكن بقيت مصراً

على الاعتقاد بحدوث وفاتها فما كان من الحاضرين الاَّ ان بعثوا من يستطلع الخبر وكانت المسافة بعيدة بين الدار التي كنا فيها وبين دارنا فجاء الرسول واخبرنا بنعاها وعندئذٍ بهت الحاضرون واخذوا يذهبون كل مذهب كلٌّ على حسب اعتقادهِ ودرجة عقلهِ

وكلما اردت ان اوجه ذلك الى غير اتصال العالم الجسدي بالعالم الروحي خفق مساعي ونقض عقلي ما اريد ان ابرهن عليهِ فما عسى ان يقول المقتطف في توجيه هاتين الواقعتين وهما من اغرب ما وقع لي بغداد ابرهيم حلمي العمر

[المقتطف] ان كنتم قد دونتم الحادثة الاولى في مذكرتكم هي وتاريخها فراجعوا ما كتبتموهُ وارسلوا لنا صورتهُ فاننا نرجح انهُ لا ينطبق على ما حدث . وقد اتفق لنا نحن ايضاً ان قرأنا مكتوباً مرسلاً من سيدة وهي مسافرة في البحر ذكرت فيهِ حلماً حلمتهُ في سفرها . وقد رسخ في ذهننا حينئذٍ من مكتوبها ان الحادثة التي اشار الحلم اليها منطبقة على الحلم تمام الانطباق فكتبنا مقالة في هذا الموضوع وجمعت حروفها لتنشر في المقتطف ثم خطر لنا قبل نشرها ان نراجع مكتوب تلك السيدة ثانيةً فراجعناهُ واذا الصورة الراسخة في ذهننا من قراءتهِ لا تنطبق على ما في المكتوب . وما في المكتوب ليس فيهِ من الغرابة عشر ما في الصورة التي كانت في ذهننا

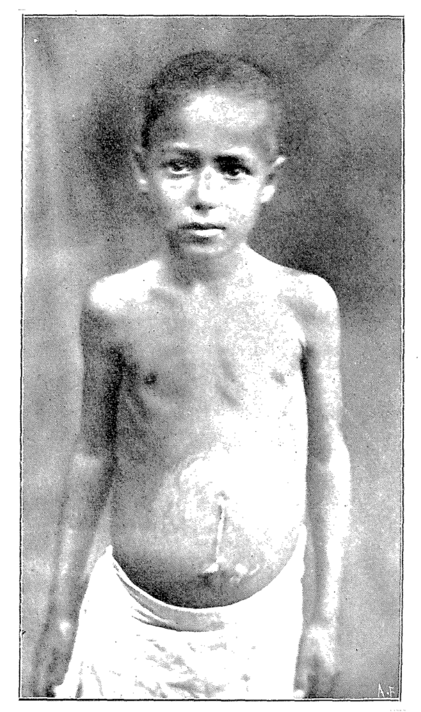
هذا من حيث الحادثة الاولى اما الثانية فشعوركم فيها من الامور العادية حتى لو بقيتم امام المريضة لاوجستم في كل لحظة انها تحت الخطر مهما قال الطبيب . ولا نظن ان مريضاً مرض الاَّ واوجس ذووهُ انهُ في خطر الموت مع ان الانسان يمرض من حين ولادتهِ الى حين مماتهِ مئات من المرات ولا يموت الاَّ مرةً واحدة فلا عجب اذا صدق حسبانُ المرء مرة في المئة وهو يعلم ان كل نفس ذائقة الموت

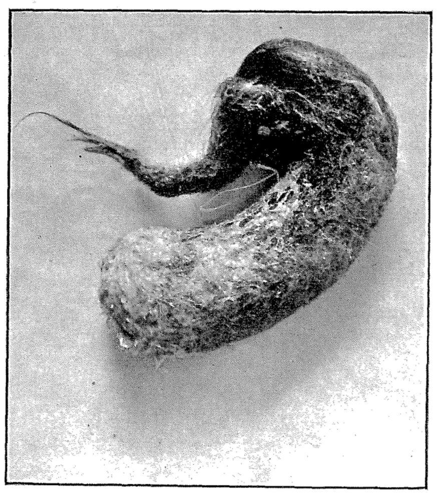
مشاهدة طبية غريبة

يخرج طالب الطب من المدرسة بعد اتمام دراستهِ فيظن انهُ عرف كل شيء . والحقيقة غير ذلك لانهُ لا يكاد يمارس الطب في الخارج حتى يرى ما لم يرَ من المشاهدات الغريبة التي يحسن بهِ ان يدرسها لكي يستفيد منها . ومن المشاهدات الغريبة التي شاهدتها ما يأتي :

جاءني يوم ٢٧ يونيه سنة ١٩١٤ طفل يدعى ابرهيم عبد الخالق من قرية اجهور الكبرى بمركز قليوب يبلغ من العمر ٨ سنوات تقريباً نحيف القوام اسمر اللون يشكو من ورم في بطنهِ ولم استطع ان احصل لا منهُ ولا من والدهِ على شيء يصح ان اذكرهُ كتاريخ للمرض

سوى قولها بوجود الورم منذ عشرين يوماً تقريباً . فحصت الطفل فوجدت ورماً في الجزء العلوي من البطن فوق السرة . متحركاً . صلب القوام . غير منتظم الشكل . وغير ملتصق بالجدار المقدم من البطن . ولم استطع ان اعين حدوده تماماً . ولم يكن الجلد فوقهُ متغيراً . وبالقرع وجدت اصمية في القسم المعدي . وبالضغط كان يُحس بأزيز لم اعرف تعليلهُ . ولم يشكُ المريض من قيء او اسهال او امساك او ألم . وكانت حالتهُ العمومية جيدة . وليس عنده ارتفاع في الحرارة مطلقاً . فادخلتهُ المستشفى في ذلك اليوم ولاحظتهُ لغاية ٤ يوليه سنة ١٩١٤ فلم اوفق لتشخيص المرض فحضَّرتهُ لعملية استقصائية . وفتحت البطن يوم ٥ يوليه سنة ١٩١٤ . وكان معي حضرة الدكتور عبد الوهاب وهبي مفتش صحة مركز قليوب فوجدت ان المعدة جميعها متحجرة لوجود ورم فيها كان فيها كما يكون القالب داخل الجزمة اي متخذاً شكلها وسادًّا فراغها . وشققت المعدة للتحقق مما هو بداخلها فوجدت فيها جسماً اسود خشن الملس غير ملتصق بالجدر المعدية ومغطى بقليل من مشمول المعدة فاستخرجتهُ ولم أكابد صعوبة في استخراجهِ . واتممت العملية بخياطة جرح المعدة وجرح البطن ثم فحصت الجسم المستخرج من المعدة فاذا هو بشكل الباذنجان الاسود لولا ان طرفهُ الدقيق يستدق شيئاً فشيئاً حتى ينتهي بشكل فرفلي . وهو مكوَّن من شعر اسود كشعر الخيل متماسك ومغطى بمواد غذائية من مشمول المعدة كما ذكرت . وطولهُ ٤٥ سنتيمتراً . وكان الطرف الغليظ عند فتحة الفؤاد . والطرف الدقيق عند الفتحة البوابية . وكان بعض هذا الطرف داخلاً في الاثني عشري . وبذلك شغل الجسم كل تجويف المعدة . ومحيط دائرتهِ عند الطرف الغليظ ٢٠ سنتيمتراً . وعند الانحناء ١٥ سنتيمتراً . وقد ارسلت هذا الجسم ليحفظ في متحف مستشفى القصر العيني . اما المريض فسار في طريق الشفاء بدون ان يطرأ عليهِ شيء من المضاعفات بالكلية . واتماماً للفائدة اقول اني اعطيتهُ يوم ١١ يوليه عشر ورقات من الزئبق الحلو والبنزونفتول كانت كل ورقة تحتوي على سنتغرامين من الزئبق و ٣ من البنزونفتول . وكان يأخذ كل ساعة ورقة . وذلك بنيه اسهالهِ وتطهير امعائهِ فشوهدت ٦ ديدان من النوع المسمى بالاسكارس في برازه . وقد تم شفاؤُهُ واخرج من المستشفى يوم ٢١ يوليه سنة ١٩١٤ وها هي صورتهُ بعد الشفاء . وقد فتشت في الكتب الطبية التي بين يدي فلم اعثر على مثل هذه المشاهدة وحادثت كثيرين من زملائي فلم يمكنهم افادتي عن سبب تكون هذا الجسم الشعري في المعدة بهذه الطريقة . الا ان حضرة الدكتور سليمان عزمي الطبيب بمستشفى القصر العيني اخبرني انهُ رأى فيتا رأى في متحف الكلية الجراحية





المقتطف صفحة ٣٩٢ مجلد ٤٥

الملكية بلندن كرة من الشعر استخرجت من امعاء ثور وكان حجمها كبيراً . وعلل هذا الزميل ايضاً وجود هذا الشعر بابتلاعهِ وقال انهُ كثيراً ما تبلع المرضى الشعر في احوال الهيستريا لكنني لم اشاهد على المريض شيئاً من علامات هذا المرض . فهل لحضرات الزملاء ان يمدوني بافكارهم في طريقة تكون هذا الجسم في المعدة

الدكتور محمد عبد الحميد
طبيب مستشفى قليوب

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النباتات الاهلية وفوائدها الطبية

السوس A. Licorice, F. Reglisse, L. Glycyrrhiza Glabra يعرف عند العامة بعرق السوس وهو جذر نبات من الفصيلة القرنية اسطواني الشكل املس ومن الباطن اصفر طولهُ عدة اقدام وطعمهُ حلو غير قابض يستعمل ملطفاً وملينًا للصدر يؤخذ نقيعاً بنسبة ١٥ — ٦٠ كراماً في ليتر ماء وتحلى بهِ المسهلات الملحية فيخفي طعمها الكريه وهو افضل محلٍ يزيل كراهة الملح الانكليزي . ويستخرج منهُ خلاصة تعرف بربّ السوس تجبل بها الحبوب الدوائية ويؤخذ في النزلات الصدرية ملطفاً للسعال ولبحة الصوت في الالتهاب الحنجري

ومن اشهر مستحضراتهِ مسحوق السوس المركب وهو مؤلف من

مسحوق جذر السوس	٦٠	كرام
مسحوق السنا	٦٠	«
كبريت مكرر	٣٠	«
مسحوق الشمر	٣٠	«
سكر	١٨٠	«

وجرعتهُ ملينًا كرام ومسهلاً ٣ كرامات — ١٠

السوسن A. Flagflower, F. Iris, L. Iris نوع اعشاب من الفصيلة السوسنية جذورها مسهلة ومدرة للبول و يحضر كتيلات بهيئة الحمصة لتشغيل الكي

الشاهترج A. Fumiter, F. Fumeterre, L. Fumaria officinalis حشيشة من الفصيلة الشاهترجية شديدة المرورة تدخل في تركيب الخمر المضاد للاسكربوط وتستعمل مقوية ومنقية ولاسيما في الربيع وهي خضراء فيؤخذ عصيرها بكمية ٦٠—٣٦٠ كراماً كل يوم مدة شهرين او ثلاثة اشهر • ولها فائدة كبيرة في ادرار الحيض ولا محذور في استعمالها لهذه الغاية كما في غيرها من العقاقير الاخرى التي تسيء العامة استعمالها

الشاي A. Tea, F. Thé, L. Thœa نبات من الفصيلة الشائية وهو صنفان اسود واخضر ولكنهما نوع واحد لان صفاتهما وخواصها واحدة واختلاف اللون عائد الى كيفية تحضيرهما التي لا محل لشرحها هنا

فالشاي هو اوراق اطراف الاغصان التي تجنى مراراً في السنة وافضلهُ الجنية الاولى حينما تكون الاغصان في اول ظهورها واوراقها لا تزال صغيرة

يستعمل الشاي نقيعاً بنسبة ٨ — ١٢ كراماً في ليتر ماء ممزوجاً بسدسهِ او ثمنهِ لبناً وهو مشروب حسن يفيد السمان واصحاب البنية المترهلة ولا يوافق النحفاء واصحاب المزاج العصبي السريعي التأثر

واما اذا استعمل دواء كما لو اعطي في سوء الهضم المسبب عن تخمة فيحضر النقيع بنصف الكمية المذكورة اي بنسبة ٤ كرامات — ٦ في ليتر ماء و يؤخذ بدون لبن

و بين القهوة والشاي فرق في فعلها المنبه فالقهوة منبه خصوصي للدماغ لا تزيد بها الحرارة غير الطبيعية كما تزيد بمنبهات الدورة الدموية بل تهبط و يبهت لون الجلد واما الشاي فيفعل بوقت واحد على الوظائف الدماغية والدورة الدموية و ينبهُ الحرارة ويزيد الافراز وبتأثيرهِ يسرع النبض ويمتلئ ويسرع التنفس ويفرز العرق والبول ويسخن ويحتقن • و يفعل كالقهوة الخضراء والكافائين بالجرعات المعتدلة فينبهُ الدماغ و يعيد للعقل نشاطهُ ومضاءهُ بعد الكلل والتعب

والجرعات الكبيرة من الشاي تنبهُ الدماغ تنبيهاً شديداً وتحدث ارقاً مستعصياً واضطراباً عصبياً مزعجاً لان الشاي على ما يظهر يحتوي على مبدإٍ فعال غير الكافائين

الشعير A. Barley, F. Orge, L. Hordeum حب نبات من الفصيلة النجيلية يحتوي على مادة نشائية ومستحلب يكتسب بهما خواصهُ المغذية والملطفة ولاسيما اذا كان مقشوراً

وهو يرد مقشوراً في التجارة باسم الشعير المقشور والشعير اللؤلؤي يستعمل المغلي منهُ بنسبة ٣٠ كراماً الى ليتر ماء ويحضر الى قوام الشراب ويؤخذ محلى بشراب ملطف او ممزوجاً بمغلي عرق السوس وتغسل الحبوب قبل الغلي بالماء البارد . واما مغلي الشعير الاعتيادي فطعمهُ مر حريف غير مقبول بسبب قشره . اما الشراب المعروف بالاورجا Orgeat فليس من الشعير بل من مستحلب اللوز ولو دلَّ اسمهُ الافرنجي على الشعير . والشعير مغذ وملطف ومبول وهو العنصر المهم في تحضير البيرا

شقائق النعمان A. Anemony, F. Anémone, L. Ranunculus اعشاب من الفصيلة الشقيقية كثير منها حريف كاوٍ وهي كثيرة الاستعمال في الطب القديم وقد اهملت في الطب الحديث

يستعمل بعضهم خلاصة شقائق النعمان للبهر اي العمى الوقتي المسبب من فعل النور الشديد وفي بياضة العين (بياض القرنية) ويستعملهُ آخرون منظفاً في القرعة وآخرون في انسداد القنوات الصفراوية في الكبد ويستعملون الماء المقطر منهُ غسولاً لازالة حب الصبا وحروق الجلد بفعل الشمس

الشقيق او الخشخاش الرياس A. Corn-rose, F. Coquelicot, L. Papaver rhœas نوع من الخشخاش ينمو في الحقول ولكنهُ لا يحتوي على افيون او مورفين وزهرهُ من الزهور الاربعة الصدرية يستعمل نقيعهُ معرقاً ومسكناً خفيفاً

الشمر A. Fennel, F. Fenouil, L. Anethum fœniculum عشبة اهلية عطرية من الفصيلة الصيوانية خواصها منبهة ومبولة وجذرها من الجذور الخمسة الطاردة للريح عند القدماء

الشوفان A. Oats, F. Avoine, L. Avena sativa حب نبات من الفصيلة النجيلية خواصهُ مغذ وملطف يستعمل مغلياً ويرد في التجارة مقشوراً ومجروشاً وغلاف الحب يحتوي على مادة عطرية تشبه الڤانيلا رائحةً ودقيقهُ كثير الشبه بالاراروت . وكثيرون يغتذون بهِ صباحاً ويفضلونهُ على اللبن لسهولة هضمهِ فيأخذون المغلي صرفاً معطراً بماء الزهر او ماء الورد او مبهراً بالقرفة او ما ماثلها من البهارات العطرية . وهو يوافق كثيراً اصحاب المعد الضعيفة وسوء الهضم المعوي والناقهين من الحميات المضعفة كالتيفويد والالتهاب المعوي والدوسنطاريا الخ

شوك الجمال A. Thistle, F. Chardon, L. Carduus عشبة من الفصيلة المركبة

يؤْخذ نقيعها مقوياً للمعدة ومدرًّا للبول ولشوك الجمال تنوعات منها الشوكة المباركة وهي مقوية للمعدة ومقيئة والشوك الدوار مبول ومطمث ومنبه للقابلية والشوك الباسوري ويعزون لهُ الوقاية من البواسير ويحملون ذلك على وجود حدبيات حمراء تظهر على جذوع الاغصان من وخز بعض الحشرات ومشابهتها للبواسير بمنظرها ولونها

الشوكران A. Conium, hemlock, F. Cigüe, L. Conium, Cicuta عشبة من الفصيلة الصيوانية تنبت في الحقول الغير مزروعة وفي الجنائن وتشبه البقدونس في اول نموها ثم تمتازعنهُ بعد ان تبلغ وتزهر وهي مخدرة سامة فيجب الحذر في استعمالها وهي لا تستعمل الاَّ بمشورة الطبيب

الشيح : انظر الوزان

الصبر A. Aloe, F. Aloes, L. Aloe نبات من الفصيلة الزنبقية اوراقهُ غليظة لحمية يخرج من عصيرها خلاصة راتينجة ذات لون اصفر محمر ورائحة كريهة قوية وطعم مر شديد هو الصبر المعروف في الطب والتجارة وخواصهُ مقو ومسهل وطارد للدود ومطمث ويختلف فعلهُ باختلاف الجرعة التي يؤْخَذ بها فهو بين ٥ سنتكرامات الى ٢٥ سنتكراماً مقو ومن ١٥ — ٥٠ مسهل وهو يحدث مغصاً فيمزج ببعض المسكنات تلافياً لذلك واستعمالهُ مدة طويلة يحدث باسوراً واذا كان الباسور موجوداً تهيج بهِ وكثيراً ما يستعمل مسحوقهُ ذروراً في العين لازالة البياض منها ولهُ استحضارات كثيرة ومنها الصبغة المعروفة باكسير الحياة الطويلة

الصفصاف A. Willow, F. Saule L. Salix شجر من الفصيلة الصفصافية يستعمل قشرهُ بدلاً من خشب الكينا فيؤْخذ مسحوقاً بكمية ٣٠ كراماً او يغلى ٣٢ — ٤٨ كراماً منهُ في ليتر ماء الى ان يبقى الثلث

الصندل A. Sandal, F. Santal, L. Santalum في الصيدلية ثلاثة اشكال خشبية تسمى بالصندل وهي الابيض والليموني والاحمر فالابيض والاصفر او الليموني من الفصيلة الصندلية ويفعلان بالغشاء المخاطي الملتهب في الرئتين والمثانة ومجرى البول كما تفعل المواد التربنتينية ويستخرج منها جوهر عطري يفعل فعلها ويعطى بنوع خاص في التهاب الغشاء المخاطي لمجرى البول واما الاحمر فمن الفصيلة القرنية الفراشية والاشكال الثلاثة معرقة

الصنوبر A. Pine, F. Pin, L. Pinus نوع اشجار عالية من الفصيلة الصنوبرية ذات منافع كثيرة فخشبها صلب يستعمل في الصناعة وقشرها يحتوي على حامض تنيك

فيستعمل في الدباغة وثمرها يستعمل لتطييب الاغذية ويستخرج منهُ بلسم كبلسم كندا وزفت كزفت برغونيا وزيت كزيت التربنتينا

واما فوائدهُ الطبية فان هواءهُ يفيد اصحاب الامراض الصدرية ولاسيما المسلولين فيشار عليهم ان يقيموا مدة الصيف في احراش الصنوبر. ويحضر من براعمهِ شراب مفيد في النزلات الرئوية وفي السل وقد عرفت فائدتهُ في شفاء الاسكربوط منذ القديم

الصوفان A. Agaric or Amadou, F. Amadou, L. Boletus igniarius

فطر ينمو على شجر السنديان وغيرهِ ينقع بالماء المشبع بنيترات البوتاس اوكلوراتهِ وينشف بالهواء خواصهُ قابض يستعمل لتوقيف النزف السطحي الخفيف كتوقيف الدم بعد العلق

الدكتور امين ابو خاطر

الرياضة البدنية

الحركة ضرورية لقيام الجسم باعمالهِ . واكثر الناس يتعاطون اعمالاً تضطرهم الى الحركة فلا حاجة بهم الى رياضة بدنية خاصة الاَّ ما كان من قبيل التسلي وترويح النفس . اما الذين يتعاطون اعمالاً تقتضي القعود بلا حركة والذين لا يتعاطون عملاً على الاطلاق فالرياضة ضرورية لهم مثل الاكل والنوم . ومن فوائدها انها تساعد على نزح الفضلات وتجديد ما يندثر من الجسم لانها تزيد عمل القلب والرئتين والكليتين التي تهيجها كثرة الفضلات في الدم بسبب الرياضة . وتقوي دورة الدم بانقباض العضلات وانبساطها لان هذا الانقباض والانبساط يدفعان الدم في اوعيتهِ . ثم ان حركة الحجاب الحاجز وعضلات البطن تحرك المعدة والامعاء وتعركها وتضغط الكبد فيفرز الصفراء فينتظم الهضم وتخلص الامعاء مما يكون فيها من الفضلات

اما من يهمل الرياضة من الحديثي السن فتظل عضلاتهُ ضعيفة وعظامهُ دقيقة وقد يؤدي ضعف عضلات ظهرهِ الى تقوس كتفيهِ او التواء عمودهِ الفقري . ويبقى صدرهُ ضيقاً عرضة للامراض الصدرية كالسل وغيرهِ . ومن اهملها من الشبان قل دمهُ واصيب بسوء الهضم والامساك ومن اهملها من المتوسطين في السن ترهّل وضعف قلبهُ واوعيتهُ الدموية وارتخت عضلاتهُ وتجمع فيها الشحم وتعرض بالتالي لامراض كثيرة

وللافراط في الرياضة مضار لا تقل عن مضار التفريط فيها . وقد تنمو العضلات وتكتنز في بادئ الامر اذا أُجهدت ولكنها لا تلبث ان تاخذ بالضعف والضمور اذا طال اجهادها

كما يحدث لعضلات الفخذين في الذين يكثرون من ركوب الخيل ولا يقومون بنوع آخر من الرياضة · والذين يجهدون انفسهم في العدو تتمدد قلوبهم واوعيتهم الدموية وخلايا الهواء في رئاتهم · ومن اكثر في حداثتهِ من الرياضة العنيفة كالعدو ولعب كرة القدم ثم انقطع عنها بعد ذلك فالغالب ان يسمن ويتجمع الشحم في قلبهِ

ويجب التدرج في الرياضة تدرجاً من الخفيف الى العنيف والرياضة الخفيفة التي لا تتعب كثيراً انفع من الرياضة العنيفة · ومن كان في بعض اعضائهِ ضعف فيجدر بهِ ان يستشير طبيباً في نوع الرياضة التي تلزم لهُ ومقدارها

الصلع وعلاجهُ

قلما يصيب الصلع الذين لم يزالوا بعيدين عن اسباب المدنية ويعيشون في الهواء الطلق · ولكنهُ يكثر في اهل المدنية حتى يصح ان يعد من ظواهر تقدمهم في السن · واكثر ما يظهر تدريجاً ولكنهُ قد يظهر بقعاً وقد يعم البدن فلا يترك فيهِ شعرة

ومما يسبب سقوط الشعر الحميات الثقيلة والسفلس والسل وفقر الدم وكثرة الهم · والصلع الباكر وراثي في الغالب ويسبقهُ ظهور الهبرية (القشرة) في الرأس بفعل بعض المكروبات التي تتلف المادة الزيتية في الشعر · ولكل شعرة حياة تنتهي بسقوطها ولكن غدتها تنبت شعرة اخرى بدلاً منها اما اذا تتابع سقوط الشعر سريعاً اخذت الغدد تضعف الى ان تتعطل عن الانبات جملةً

ومما يمهد السبيل للصلع بعض ما يلبس على الرأس مما يضغط على الاوعية الدموية ويمنع جرى الدم فيها وكثرة التفكير لانها تقصي الدم من ظاهر الرأس ليجتمع في الدماغ · ويقال ان الشعر الجعد لا يصاب بالصلع كثيراً لانهُ يخفف ضغط لباس الرأس على الاوعية الدموية · ومما يضر بالشعر ويعجل موتهُ كثرة العرق ولذلك يكثر الصلع في الذين يقيمون مدة طويلة في البلاد الحارة · وبعض الامراض الجلدية كداء الذئب والحمرة والقوباء اذا اصابت الرأس سبّبت الصلع فيبادر المصاب الى الغسولات التي تهيج نمو الشعر فيجني الضرر من حيث يرجو النفع

ويجب المبادرة الى معالجة الصلع في بدايتهِ لانهُ اذا امكن انبات الشعر ثانية بعد سقوطهِ جاء اضعف مما كان اولاً · ويجب ايضاً الامتناع عن لبس ما يعوق جريان الدم في الاوعية التي في ظاهر الرأس وترك الرأس حاسراً ما امكن · ويجتنب المشط ذو الاسنان الحادة

والفرشة ذات الشعر الصلب • ويغسل الشعر كل اسبوع بخلاصة الكوباليا مع الماء السخن او بالصابون الكثير الدهن او ببيضة مخفوقة ثم ينشف جيداً فاذا بقي قاسياً قصماً دهن بمركب فيهِ جزء من اللانولين و ١٦ جزءا من زيت السمسم • واذا ظهر الصلع في الاحداث قص شعرهم قصيراً وغسلت رؤوسهم بالسبيرتو يومياً • اما الذين يدبّ فيهم الصلع ويكرهون قص شعورهم على هذه الطريقة فيغسلونها كل يوم بصابون هيبرا المصفى المطيب وهو يتركب من جزئين من الصابون الطري وجزء من السبيرتو المصحح ثم ينظفونها من بقايا الصابون كلما غسلوها ويواظب على ذلك الى ان يقف سقوط الشعر • ويمنع سقوط الشعر ايضاً دهون يركب من درهم من التنين و ٦ دراهم من اللانولين ودرهمين من زيت السمسم • ويزيل الهبرية او قشرة الرأس غسول يركب من ٥ اواق من الماء واوقية من الكولونيا وقمحة من السليماني • ويجب الاعتناء بصحة الجسم عموماً وقص الشعر مرة كل ثلاثة اسابيع • وينفع حرق رؤوس الشعر في كثير من حوادث الصلع



تقليل زراعة القطن

في القطر المصري

كانت مساحة الاطيان المزروعة قطناً في العام الماضي في الوجه البحري ٢٤٣ ٣٧٣ ١ فداناً او نحو ½ ٤٥ في المئة من مجموع اطيانهِ وفي الوجه القبلي ٠٢٧ ٣٨٢ فداناً او نحو ١٩ في المئة من مجموع اطيانهِ والجملة ٢٧٠ ١٧٥٥ فداناً • ولما كسدت سوق القطن بسبب الحرب الاوربية وخيف ان لا يباع القطن المصري كلهُ هذا العام فيهبط ثمنهُ وتبقى منهُ بقية كبيرة الى العام المقبل يهبط بها ثمن قطنهِ ايضاً قرَّرت الحكومة المصرية بعد ما استشارت جماعة من كبار المزارعين والتجار ان لا تزيد زراعة القطن في العام المقبل على مليون فدان وصدر الامر العالي بذلك في ٢٢ سبتمبر وهذا نصهُ

نحن خديوي مصر

نظراً لان المصلحة الاساسية للقطر المصري في الظروف الحاضرة تقضي من جهة اولى بانقاص محصول القطن تبعاً لنقص حاجة السوق لاجل المحافظة على سعر معتدل للمحصول •

وتقضي من جهة ثانية بزيادة الحاصلات من الحبوب لمنع ما قد يحتمل حدوثهُ من ارتفاع اسعار الحبوب الواردة من الخارج ولتمكين القطر في هذه الحالة من الانتفاع بتصدير ما يزيد عن حاجاتهِ من هذه المحصولات

وبناء على ما عرضهُ علينا ناظر الزراعة بعد اخذ رأي المجلس الاستشاري للزراعة وبعد موافقة رأي مجلس النظار

امرنا بما هو آت

المادة الاولى يكون الحد الاقصى لمجموع المساحة التي تزرع قطناً في سنة ١٩١٥ الزراعية مليوناً واحداً من الفدادين ولهذا الغرض

اولاً تمنع زراعة القطن في اراضي الحياض بالوجه القبلي منعاً قطعيًّا

ثانيًا لا يسوغ لاي مالك او مستأجر ان يزرع من القطن ما تزيد مساحتهُ على ربع مساحة الملك الزراعي الواحد

المادة الثانية وبطريق الاستثناء من النصوص المتقدمة يجوز ابلاغ نسبة الاراضي الجائز زراعتها قطناً الى الثلث وذلك بقرار من ناظر الزراعة فيما يتعلق بالمناطق او الاملاك التي يثبت لهُ انها غير صالحة لزراعة الحبوب وبشرط ان الحد الاقصى لزراعة القطن وقدرهُ مليون واحد من الفدادين لا يحصل تجاوزهُ في اي حال من الاحوال

المادة الثالثة الاراضي الواقعة في الحياض المعمول لها حوش الآن والمنتفعة بالري الصيفي بواسطة النيل او الترع بمقتضى تصريح خاص من مصلحة الري او بواسطة الآبار الارتوازية او غيرها لا يسري عليها حكم الفقرة الاولى من المادة الاولى من امرنا وتعتبر فيما يتعلق بتطبيق الفقرة الثانية من تلك المادة كأنها عبارة عن ملك زراعي مستقل

المادة الرابعة الاراضي البور والاراضي التي لا تصلح لزراعة عادية منتظمة لا تدخل في الحساب عند تقدير زمام الملك الزراعي فيما يتعلق بتطبيق الفقرة الثانية من المادة الاولى

المادة الخامسة فيما يتعلق بتطبيق الفقرة الثانية من المادة الاولى يجوز اعتبار الاراضي المتجاورة المملوكة لملاك مختلفين كأنها ملك زراعي واحد وذلك بناء على طلب اصحابها وبعد مصادقة الموظف الذي يعينهُ ناظر الزراعة لهذا الغرض

المادة السادسة على ناظر الزراعة تنفيذ امرنا هذا · ولهُ ان يصدر القرارات اللازمة لهذا الغرض بعد التصديق عليها من مجلس النظار

صدر بالقاهرة في ٢ ذي القعدة سنة ١٣٣٢ — ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٤

ومساحة الاطيان الصالحة للزراعة في الوجه البحري نحو ثلاثة ملايين فدان فاذا زرع ربعها قطناً بلغت مساحتهُ ٧٥٠٠٠٠ فدان . ومساحة الاطيان في الوجه القبلي نحو مليوني فدان ولكن الصالح لزرع القطن منها نحو مليون فدان فقط فاذا زرع ربعهُ قطناً بلغت مساحتهُ ٢٥٠٠٠٠ فدان فتكون مساحة القطن في الوجه القبلي والوجه البحري مليون فدان وهو المطلوب

ويرجح الخبيرون ان هذا الترتيب يفيد القطر ماليًّا من وجوه كثيرة

فاولاً يختار المزارعون اجود اطيانهم لزرع القطن فلا تذهب نفقاتهم سدًى في زرع الاطيان الضعيفة لان نفقات فدان القطن كثيرة جداً من اربعة جنيهات الى ستة ونفقات زرع الحبوب لا تزيد على جنيه ومع التسميد تبلغ جنيهين او اكثر فيتوفر من تقليل المساحة نحو ثلاثة جنيهات في كل فدان وفي السبع مئة والخمسين الف الفدان مليونان وربع من الجنيهات

وثانياً وجد بالاختبار ان السباخ البلدي اصلح من غيرهِ لتسميد القطن ومقدارهُ في القطر قليل لا يكفي لتسميد مساحة كبيرة فاذا حُصر في مساحة صغيرة كفاها وكان فعلهُ كبيراً فيها ولا يبعد ان تكون نتيجة ذلك زيادة قنطار في محصول كل فدان

وثالثاً ان الاطيان التي لا يزرع القطن فيها كما كان يزرع عادة تزرع زراعة شتوية قمحاً او فولاً وزراعة نيلية وهذه المزروعات كلها تسمد بالسماد الكيماوي فيتوفر السباخ البلدي كلهُ للقطن

رابعاً ان المياه التي توفر من ري ٧٥٠٠٠٠ فدان قطناً يمكن استعمالها لري مئتي الف فدان من الارز في الاراضي التي تصلح لهُ وهو يصلحها فتستعد لزرع القطن في العام التالي

خامساً ومن المحتمل ان تغلو الحبوب في العام المقبل بسبب الحرب وامتناع بلدان واسعة في اوربا عن الزرع اما القطر المصري فلا يضطر ان يجلب بعض طعامهِ من الخارج وقد تزيد الحبوب فيهِ عن المقطوعية البلدية فيصدر منها الى الخارج

سادساً واخيراً انهُ اذا قلَّ موسم القطن حتى لم يزد على المقطوعية فالمرجح ان ثمنهُ يرتفع او لا يهبط كثيراً

هذا ولولا جسامة الخطر من هبوط سعر القطن بسبب الحرب لاشرنا بالتدرج في هذه التجربة فتقلل المساحة عشرة في المئة او عشرين في المئة لا اربعين في المئة دفعةً واحدة . ولو كانت الحكومة المصرية في سعة مالية لاشرنا عليها ان تكتفي بتقليل المساحة عشرين في المئة وان تبتاع مليوني قنطار من القطن وتحلجها وتخزنها الى ان تعود الاسعار الى سابق عهدها لان القطن لا يحمض ولا يسوس

الطعام الرخيص

يأكل الفلاح المصري خبز الذرة من غير ادام او يأدمهُ بقليل من الفول والبصل وقد يأكل بيضة او شيئاً من اللبن او الجبن او الزبدة وفي النادر يأكل لحماً . ومتوسط ثمن طعامهِ في اليوم لا يزيد على غرش الى غرشين وهو منتصب القامة شديد العضل يعمل النهار كلهُ في الشمس ولا يشكو تعباً وينام الليل كلهُ ولا يشكو ارقاً . وقد يكون مالك الارض الذي يعمل فيها اميراً او وزيراً او تاجراً وهو في الغالب مترفه في معيشتهِ يأكل اللحم مرتين او ثلاثاً في اليوم الواناً مختلفة ويأكل من السمك والبيض وخبز القمح وانواع الحلوى والفاكهة ولا تقل نفقات طعامهِ في اليوم عن ريال او ريالين او اكثر وهو ليس اصح بنية ولا اجود صحة ولا اهنأ عيشاً من الفلاح الذي ثمن طعامهِ من غرش الى غرشين بل الغالب انهُ يكون دون الفلاح في كل شيء من قبيل الصحة

والطعام عماد الصحة البدنية كما لا يخفى وهو اصل القوى الجسدية والعقلية فان كان الغالي منهُ ليس اصلح من الرخيص للقيام بالاغراض التي يؤكل لاجلها فلماذا يتهافت الناس على الغالي القليل الفائدة ويتركون الرخيص الكثير الفائدة

ان ما تقدم من ثمن طعام الفلاح الصغير وطعام المالك الكبير محقق لا ريب فيهِ وهو يغني عن كل بحث علمي ولكن البحث العلمي جاء مؤيداً لهُ تمام التأييد ففي الدنمارك معهد للبحث العلمي في الاغذية وفائدتها مديرهُ عالم اسمهُ الدكتور هندهيد وقد ألف كتاباً منذ عهد قريب ضمنهُ خلاصة مباحثهِ في ذلك المعهد والنتائج التي اوصلت التجارب اليها وهي مؤيدة لما تقدم من ان طعام الفقير الرخيص كافٍ لتغذية جسم الانسان مثل طعام الغني الثمين بل هو افيد منهُ . فقد ثبت بالبحث العلمي ان في رطل البطاطس من المواد المغذية قدر ما في خمسة ارطال من اللحم المبر . نعم ان المادة المغذية التي في اللحم المبر ليست من نوع المادة المغذية التي في البطاطس ولكن الواحدة تغني عن الاخرى . وثمن رطل البطاطس نصف غرش وثمن الخمسة الارطال من اللحم عشرون غرشاً على الاقل (والرطل هو الرطل المصري اي نحو ثلث اقة)

والمادة المغذية التي في اللحم المبر موجودة في الخبز وهي في اللحم ١٨ في المئة من وزنهِ وفي الخبز ١٠ في المئة من وزنهِ وفي الخبز مادة اخرى مغذية غير هذه . ورطل اللحم المبر يساوي اربعة غروش ورطل الخبز نحو نصف غرش ولا نبالغ اذا قلنا ان في ما ثمنهُ غرش واحد من الخبز غذاء للجسم قدر ما في قطعة من اللحم المبر ثمنها عشرون غرشاً

وقد وصف الدكتور هندهيد اكثر انواع الاطعمة فقال فيها ما ملخصهُ

البطاطس — اجود انواع الطعام . وقد جعلتُ طعام البعض منها وحدها عشرة اشهر فجادت صحتهم . وهي تشفي من الامساك وتذيب الحامض اليوريك ولكن لا بد من سلقها جيداً بقشرها ثم يجب مضغها جيداً وقت اكلها . وما يصدق عليها يصدق على غيرها من الجذور كالجزر ونحوهِ

الخضر — غالية وقليلة الغذاء فهي تؤْكل للتلذذ بطعمها

الجبن — كثير الغذاء وانفع من اللحم في الغالب ولكنهُ غالٍ بالنسبة الى ما فيهِ من الغذاء ولو كان ارخص من اللحم

البيض — اغلى من القمح ومن الذرة وزناً لوزن والغذاء في الرطل منهُ اقل من الغذاء في رطل القمح او رطل الذرة

الفول والعدس والحمص واللوبياء — في هذه الحبوب كلها من الغذاء ما يغني عن اللحم ويحسن ان يبدل بها القمح والبطاطس من وقت الى آخر او تؤْكل معها

الاثمار — قليلة الغذاء لكثرة ما فيها من الماء ولكنها مفيدة جدًّا بالقليل من الغذاء الذي فيها وبالاملاح التي تحتويها فيحسن اكلها مع الحبوب والادهان . وانا امزج البورج (العصيدة) بالاثمار وقت اكلهِ والوث الخبز بربى الاثمار وآكلهُ

الزبدة — غالية نوعاً ولكنها مفيدة جدًّا وفي الرطل منها من القوة قدر ما في ثمانية ارطال من اللحم الهبر. والانسان يستطيع ان يعيش على الخبز والزبدة او على البطاطس والزبدة طول عمرهِ ولا يكون ثمن طعامهِ في اليوم اكثر من ثلاثة غروش

مركبات النيتروجين في الزراعة

مركبات النيتروجين لازمة للزراعة لخصب المزروعات وهي تصل الى المزروعات اما من الارض نفسها او من السماد الطبيعي كزبل البقر والغنم وما اشبه واما من السماد الكيماوي الموجود في الطبيعة كنترات الصودا واما من الهواء بواسطة الميكروبات التي تعيش على جذور القطاني كالفول والبرسيم واما من الهواء بواسطة القوة الكهربائية التي استعملت الآن لتركيب نيتروجين الهواء مع الجير وتكوين نيترات الجير السياناميد

وقد قرأنا ان معامل اودا في نروج تصنع الآن ٨٠٠٠٠ طن في السنة من سياناميد الجير وينتظر ان تتسع ايضاً بعد عهد قريب حتى تصير تصنع مليوني طن في السنة

وسياناميد الجير ونيترات الجير يفيدان جدًّا في زراعة القمح والذرة وقد جربناهما في زراعة القطن فنما كثيراً ولكن جاء لوزهُ قليلاً جدًّا فلا يصلحان للقطن على ما ظهر لنا ولعلهما يصلحان لهُ في الارض الضعيفة

دود لوز القطن

ظهر دود لوز القطن بكثرة في كل مديريات الوجه البحري . والذي رأيناهُ منهُ هو دود بزر القطن فقط اي الدود القرنفلي ولكن الذي رأيناهُ منهُ اكبر قليلاً من الدود القرنفلي المعتاد ورأينا ايضاً في بزر لوز القطن دوداً ابيض صغيراً جدًّا رأسهُ اسود ولعلهُ من الدود الاحمر قبلما يكبر . ودود البزر يكتفي باكل البزر ولكنهُ يوسخ القطن ويتلفهُ . والظاهر ان الوسيلة التي اشارت بها الحكومة وهي حرق اللوز المضروب او تحميصهُ لم تكفِ لاستئصال هذه الضربة فلم يبقَ الاَّ ان يفتش علماء الزراعة عن حشرة او مادة فطرية تفتك بدود بزر القطن وتربيها وتبثها في البلاد . وما فلَّ الحديد الاَّ الحديد . وهذا لا يمنع من تنقية اللوز المضروب هذه السنة وتحميصهُ حتى يموت ما فيهِ من الدود

اما اللوز المضروب فليس كثيراً في ما فحصناهُ من القطن يبلغ خمسة في المئة الى عشرة في المئة ولكن يقال انهُ اكثر من ذلك كثيراً في جهات اخرى من كل مديريات الوجه البحري وهو على كل حال محصور في الطرح الاخير او المجاور لهُ وقلما تراهُ في الطرح الباكر فكأَن وجودهُ متعلق ببرد الهواء ورطوبتهِ وهما حالتان جويتان لا سلطة للانسان عليهما

النتروجين في ماء المطر

بحث عالم يقال لهُ الدكتور جورتز في مقدار ما ينزل من النتروجين والكلور مع ماء المطر في جنوب افريقية فوجد ان النتروجين في امطار الصيف اكثر منهُ في امطار الشتاء في الغالب . وينزل من النتروجين في كل فدان من الارض رطل ونصف الى ستة ارطال وخمس في السنة . اما الكلور فوجد انهُ يزيد كثيراً بعض السنين فيبلغ ما ينزل منهُ في الفدان الواحد من ٦٠ رطلاً الى ٧٠

وقد بحث الدكتور غيلوم كابوس عمَّا يقع مع ماء المطر في بلاد التنكين التابعة لفرنسا من الحامض النتريك المتكون بفعل الانواء الكهربائية فوجد انهُ يعادل في السنة ١٨١٣٩٠ طنًّا من نترات الصودا و ١٣٧٥١٠ طنًّا من كبريتات الامونيا ومجموعهما يساوي نحو اربعة ملايين من الجنيهات

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) نير غريب

بغداد محمد افندي جعفر الشبيبي. راقبت في احدى الليالي كوكباً صغيراً يبزغ من الجنوب الغربي عند الغروب فيتباعد الى اقصى الجنوب بسرعة فائقة ويتوارى عن الانظار في الساعة الثانية بعد الغروب اي يظل بازغاً زهاء ساعتين وهو احمر قانٍ فعجبتُ من هذا الكوكب وكتبت هذه السطور راجياً ان تخبرونا باسمهِ وما يجود بهِ علمكم في هذا الشأن

ج ليس بين كواكب السماء ما يصدق عليهِ وصفكم. ولا يصدق وصفكم على النيازك لان النيزك الواحد منها لا يظهر الاَّ مرةً واحدة ولا يبقى بازغاً زهاء ساعتين. ولكن اذا حذفنا من وصفكم قولكم « فيتباعد الى اقصى الجنوب بسرعة فائقة » فما بقي منهُ يصدق على النجم المسمَّى بقلب العقرب فانهُ احمر اللون ويظهر في بعض شهور السنة الى الجنوب الغربي فوق الافق بنحو ثلاثين درجة فيغيب بعد الغروب بساعتين. واما اذا كان وصفكم صحيحاً تماماً فيحتمل ان يكون ما رأيتموهُ قنديلاً معلَّقاً بطيارة لا كوكباً

(٢) المزاج الصفراوي

دمشق. احد القراء. ذكرتم في المجلد الحادي عشر والصفحة ٣٦ ان المزاج الصفراوي لم يزل مشكوكاً فيهِ فهل ثبت وجودهُ الآن

ج الكلام على الامزجة قديم لا يعنى بهِ الاطباءُ الآن وقد ابدلوهُ بالكلام على البنية والاستعداد للامراض والوقاية منها اي انهم تتبعوا كل حالة صحية او مرضية الى اصلها وتركوا التعميم السابق لكثرة ما فيهِ من الخلل

(٣) القبض

ومنهُ. وفي تلك الصفحة ايضاً في القواعد الصحية لاصحاب هذا المزاج اجتناب القبض فما هو المراد بذلك

ج القبض او الامساك ضد الاسهال اي يجب على المصاب بمرض الكبد مثلاً ان يتناول مسهلاً من وقت الى آخر او كلما اصيب بالامساك

(٤) الزاوية القائمة

ومنهُ. هل يمكن معرفة الوتر اي الضلع

القائم في مثلث قائم الزاوية متساوي الساقين

ج . نعم فان المبتدئين في الهندسة يعرفون قضية فيثاغورس الذي نشأ في القرن السادس قبل المسيح وهي ان مربع الوتر يعدل مربعي الساقين ولذلك فالوتر يعدل الجذر المالي من مضاعف مربع احدى الساقين المتساويتين فاذا كان كلٌّ منها ثلاثة امتار مثلاً فالوتر يعدل الجذر المالي من ١٨ او نحو ٤ $\frac{1}{4}$

(٥) نسبة المحيط الى القطر

ومنهُ . ما هي نسبة محيط الدائرة الى قطرها بالتدقيق

ج . ان النسبة بينهما غير متناهية وقد وصل بها بعضهم الى اكثر من سبع مئة رقم من الكسر العشري . ويكفي في الاستعمال هذه النسبة وهي ٣,١٤١٥٩ او $\frac{٣٥٥}{١١٣}$

(٦) تحويل موازين الحرارة

ومنهُ . ما هي القاعدة لتحويل درجات موازين الحرارة بعضها الى بعض

ج . ان كل ٩ درجات من ميزان فارنهيت تعدل ٥ درجات من ميزان سنتغراد او ٤ درجات من ميزان رومر ولذلك تقسم درجات فارنهيت على ٩ وتضرب في ٥ لتحويلها الى سنتغراد او في ٤ لتحويلها الى رومر . وتقسم درجات سنتغراد على ٥ وتضرب في ٩ لتحويلها الى فارنهيت وفي ٤ لتحويلها الى رومر . وتقسم درجات رومر على ٤ وتضرب في ٩ لتحويلها الى فارنهيت وفي ٥ لتحويلها الى سنتغراد . ولكن درجة الجليد في فارنهيت ٣٢ وفي سنتغراد ورومر صفر فلا بدَّ من طرح ٣٢ من درجات فارنهيت قبل تحويلها الى سنتغراد او الى رومر ومن اضافة ٣٢ بعد ما تحوَّل اليها درجات سنتغراد او رومر

(٧) نور يشبه البرق

ومنهُ . ظهر عندنا في دمشق في الصيف الماضي في الليل نور شديد يشبه البرق فما سببهُ

ج . لعلهُ نور نوءٍ كهربائي او نور الشفق القطبي

(٨) مصر والحرب

فراشة . شيخ العرب ابو هاشم علي قريط . هل يخشى على مصر من الحرب الحاضرة

ج . ان الضيقة المالية التي اصابت القطر هي من نتائج هذه الحرب ولولاها لاقبل التجار على ابتياع قطننا باربعة جنيهات ونصف او اكثر القنطار ونحن لا نطمع الآن ان نبيع القنطار بثلاثة جنيهات ونصف فخسارة مصر في ثمن موسم هذه السنة وحدهُ لا اقل من سبعة ملايين من الجنيهات . والبنوك التي اودعها الوطنيون اموالهم لا ينتظر ان تستطيع رد كل اموالهم اليهم وهذه خسارة اخرى من نتائج هذه الحرب . ولكن اذا علمتنا هذه الضيقة المالية الاقتصاد والاعتماد على جلب البضائع الخالية من الغش في المستقبل فقد نستفيد ما يزيد على الخسارة التي خسرناها

(٩) بيع القطن وتسديد الديون

ومنهُ . اذا طالت الحرب فكيف يباع القطن وكيف تسدَّد ديون البنوك وهل تستطيع الحكومة ان توقف حجوز البنوك الى ان تنتهي الحرب

ج. ذكرنا في غير هذا المكان انهُ اذا كان الفرق بين ثمن القطن المصري والقطن الاميركي ريالين او ثلاثة فقط فالمرجح ان القطن المصري يباع كلهُ لانهُ قليل جدًّا في جنب القطن الاميركي . والقطن الاميركي يبلغ في بعض السنين ٦٥ مليون قنطار وفي غيرها ٨٠ مليون قنطار والفرق بينهما ١٥ مليون قنطار اي مضاعف موسم القطن المصري فالمعامل التي تتدبر خمسة عشر مليون قنطار في السنة الواحدة فوق مقطوعيتها في سنة اخرى لا يصعب عليها ان تأخذ القطن المصري كلهُ اذا كان سعرهُ قريبًا من سعر القطن الاميركي . اما الديون فلا بدَّ من تأجيلها الى ان يباع القطن . وقد ابنا في مقالة اخرى في هذا الجزء ان القطر المصري يستطيع اذا دعت الحال ان يقتصد في نفقاتهِ فيوفر منها نحو عشرة ملايين جنيه ومهما هبط ثمن القطن لا يكون الهبوط اكثر من ذلك ولا ندري ما تقصد الحكومة عملهُ في امر الحجوز ولكننا نرجح انها ستتفق مع اصحاب البنوك العقارية على امهال المستدينين الى ان يبيعوا قطنهم

(١٠) المجرة

شبرا اليمن . عبد الفتاح افندي عطية . نهر المجرة هل هو مكون من اجرام سموية او من غازات متجمعة

ج . ان اكثر ما نراهُ من المجرَّة شموس كل شمس منها اكبر من شمسنا مرارًا وقد يكون بينها ما لا يزال في الحال السديمية

(١١) الفجر الكاذب

ومنهُ . اصحيح ان الفجر الكاذب هو نور يسطع حوالي الساعة الثالثة ثم يعقبهُ ظلام حالك . وهل هو ناجم عن دنو الشمس من الشرق او هو قائم بنفسهِ

ج . الفجر الكاذب او ذنب السرحان او النور البرجي نور يظهر مستعرضًا في السماء بعد غروب الشمس وقبل شروقها يرجح انهُ ناتج من انعكاس نور الشمس من ذرات مادة منتشرة حول الشمس الى بعد شاسع عنها وقد رجح الاستاذ نيوكم الفلكي ان هذه الذرات غازية او في حكم الغاز للطافتها . ولا يعقبهُ ظلام حالك ولكن متى قربت الشمس من الافق في الصباح كسف نورها نورهُ كما يكسف نور النهار نور الشمعة فظهر مظلمًا بعد ان كان مضيئًا

(١٢) لعب الورق

مصر . سمعان افندي نجار . من استنبط لعب الورق

ج . لا يعلم تمامًا من استنبط لعب الورق ولا اية امَّة استعملتهُ اولاً ولكن يرجح انهُ

استنبط في اسيا فقد جاء في القاموس الصيني تشن تسه تنج الذي أُلف سنة ١٦٧٨ ان لعب الورق اخترع في عصر سن هو لتسلية سراريهِ وذلك سنة ١١٢٠ للميلاد ولكن يقال ايضاً ان لعب الورق كان معروفاً في بلاد الهند من عصر قديم جدًّا وانهُ من مخترعات البراهمة . ونسب بعضهم اختراعهُ الى المصريين القدماء وبعضهم الى العرب . ولكننا لم نرَ في كل ما قرأناهُ من الكتب العربية ما يدل على ان العرب كانوا يعرفون لعب الورق ولا اشارة في كتب اللغة اليهِ . وقد عرف لعب الورق في اوربا في اواسط القرن الرابع عشر

(١٣) الشطرنج

ومنهُ . من استنبط لعب الشطرنج

ج . استنبطهُ الهنود ومنهم انتقل الى بلاد الفرس في القرن السادس للميلاد وقد ذكرهُ المسعودي في نحو سنة ٩٥٠ للميلاد كلعبة قديمة

باب الاخبار العلمية

مصطفى باشا فهمي

فقدت مصر وزيراً من اكبر وزرائها واصدقهم في خدمتها وهو المرحوم مصطفى باشا فهمي . مضى الى اوربا في اوائل الصيف على جاري عادتهِ ثم اضطرَّ ان يعود منها مسرعاً بسبب نشوب الحرب فتعب في السفر برًّا الى ان وصل الى مرسيليا وانذر الاطباء ذويهِ بالخطر فاسرعوا بهِ الى مصر . واشتدَّت وطأة الضعف عليهِ الى ان قُبض الى رحمة ربهِ في الاسكندرية ليل الرابع عشر من سبتمبر وجيءَ بهِ الى العاصمة في اليوم التالي واحتُفل بجنازتهِ ودفنهِ احتفالاً فخماً منقطع النظير فسار في موكب الجنازة الامراء والعلماء والوزراء والوجهاء وكل ذي مقام واشتركت الجنود الانكليزية والمصرية في تشييع الجنازة واطلاق المدافع والبنادق لانهُ كان حائزاً لرتبة فريق . وقد نشرنا طرفاً من ترجمتهِ في مقتطف يونيو الماضي وذكرنا خلاصة اوصافهِ في المقطم يوم دفنهِ ونكرر هنا ما قلناهُ في خاتمة تلك العجالة وهو ان اسم مصطفى باشا فهمي سيبقى في تاريخ مصر الحديث مقروناً بالاجلال والاكرام كوزير حكيم امين في خدمة وطنهِ وكمثال في الصدق ولين الجانب واصالة الرأي وحسن النظر في العواقب

الجوز من السنديان

كتب بعضهم الى مجلة نانشر من كليفورنيا باميركا يقول انهُ زاوج بين اشجار من السنديان واشجار من الجوز فتولَّد معهُ شجرة شكلها وشكل اغصانها وورقها مثل شجر السنديان تماماً ولكن ثمرها جوز لا بلوط . وعندهُ ان انواع النباتات متولدة من اختلاط الاجناس المختلفة بعضها ببعض بالمزاوجة لا غير

التطعيم للوقاية من التيفويد والفساد

فرضت الحكومة الانكليزية على كل جنودها ان يتطعموا للوقاية من الحمَّى التيفويدية ودليلها على ذلك انهُ كان يموت بالتيفويد من الحامية البريطانيـة في بلاد الهند من ٣٠٠ الى ٦٠٠ كل سنة فتطعم ٩٣ في المئة منها بالطعم الذي يقي من التيفويد فهبط عدد الوفيات بهذا المرض في العام الماضي الى ٢٠ فقط . وقد اخذت معامل انكلترا الباثولوجية تصنع المصل الواقي من التيفويد وتصنع ايضاً المصل الواقي من فساد الدم وهو يقي الجنود من ان تفسد جراحها اذا جرحت وكانت قد تطعمت بهِ

البحث العلمي في الهند

هذه اول مرة وقع نظرنا على خلاصة بحث علمي مجرَّد لعالم هندي فان الدكتور والي محمَّد من كلية علي كده بالهند وصف نتائج بحثهِ في تركُّب الخطوط التي ترى في طيف الالومينيوم والبزموث والكدميوم والكروم والكوبلت والنحاس والرصاص والمغنيسيوم والمنغنيس والفضة والصوديوم والقصدير والتلور يوم . وكان يصوّر الطيف على الواح مختلفة كلٌّ منها صالح الجزء منهُ فوجد ان الخطوط المركبة قلما توجد في طيوف المعادن فلا توجد الاَّ في طيف النحاس والرصاص والمنغنيس

تجارة القطر المصري في ثمانية اشهر

بلغت قيمة الواردات الى القطر المصري في شهر اغسطس الماضي ١٤٨٩٩٦١ جنيهاً وكانت في هذا الشهر من العام الماضي ٢٢٥٩٩٥٩ جنيهاً فنقصت هـذه السنة ٧٦٩٩٩٩ جنيهاً . واذا استمر النقص على هذه النسبة سنة من الزمان نقصت قيمة الواردات فيها اكثر من تسعة ملايين من الجنيهات هذا من غير ان تزاد زراعة الحبوب فاذا زيدت واستغنى القطر بغلتهِ عن جلب الحبوب من الخارج بلغ النقص في قيمة الواردات مدة سنة نحو ١٢ مليوناً من الجنيهات . وقد نقصت قيمة الصادرات ايضاً ٨٠٥٢٥٣ جنيهاً واذا استمرَّ النقص سنة على هذه النسبة بلغ في آخر السنة اكثر من تسعة ملايين من الجنيهات ولا يحتمل ان

يزيد النقص على ذلك . فاذا بلغ نقص الصادرات من اول هذه الحرب الى اثني عشر شهراً عشرة ملايين من الجنيهات ونقصُ الواردات اثني عشر مليوناً كان تأثير الحرب في القطر المصري نفعاً لا ضرراً لانهُ يكون قد اقتصد في نفقاتهِ اكثر مما خسر بهبوط ثمن صادراتهِ . وقد يستمرُّ على الاقتصاد سنةً وسنتين بعد ذلك

وقد تناول نقص الواردات في شهر اغسطس الماضي كل شيءٍ تقريباً ومن اهم ذلك المواد التالية وقد ذكرناها هنا وذكرنا معها مقدار نقص ثمنها عن ثمن ما ورد منها في اغسطس السابق

الحيوانات والمواد الحيوانية	٢٩٢٨٢	جنيهاً
الحبوب والدقيق	٨٧٧٠٥	«
السكر والبن والشاي	٤٨٨٦٦	«
الخمور والزيوت	٢٢٩١٨	«
الخشب والفحم	١٣٧٧١١	«
المنسوجات على انواعها	٢٠٤٣٦٠	«
المعادن والمصنوعات المعدنية	١٢١٦٩٥	«
الطرابيش والبرانيط الخ	٠٣٢٤٣٥	«

ولا بدَّ من ان يزيد النقص في ثمن ما يرد من الدقيق والحبوب والخمور والمنسوجات والسكر والبن والشاي ونحو ذلك مما يمكن الاستغناءُ عنهُ لانهُ من غلات القطر او لانهُ من الكماليات لا من الحاجيات

الشاي والبحث العلمي

كان الصينيون والهنود يزرعون نبات الشاي ويعللون ورقهُ حتى يجود طعمهُ غير بانين عملهم على اساس علمي . واقتفى الاوربيون خطواتهم وجروا مجراهم في زرع الشاي في الهند وسيلان وتعليلهِ من غير بحث علمي فقام اليابانيون الآن يبحثون في ذلك بحثاً علمياً مدققاً فوجد عالم منهم ان تعريض الشاي الاخضر لبخار الماء السخن يقتل منهُ الخمائر المؤكسدة ولكن اذا طال تعريضهُ للبخار ماتت منهُ خمائر اخرى تتوقف عليها نكهتهُ وجودة طعمهِ وان فتل الاوراق يسهّل استخراج عصارتها حينما تغلى لاسيما وانهُ يخرج العصارة من غدد السطح الداخلي الذي ينضغط بالفتل

هدية روزفلت

اهدى المستر روزفلت رئيس اميركا الاسبق الى متحف التاريخ الطبيعي الاميركي ٢٥٠٠ من الطيور و ٤٥٠ من ذوات الاربع وهي كلها مما اصطادهُ من اميركا الجنوبية

الحرب والعلم

كان من اول نتائج الحرب الاوربية ان اجّلت الجمعيات العلمية اجتماعاتها السنوية التي تعقد عادةً في الصيف والخريف او الغتهــا وحوّل بعض المدارس الكبيرة الى

مستشفيات لجرحى الجيش وعدل كثيرون من الفلكيين عن رصد كسوف الشمس الكلي في اماكنهِ ومما يذكر في هذا الصدد ان الشمس كُسفت في دسمبر سنة ١٨٧٠ وقت الحرب بين فرنسا وبروسيا وكان المسيو جانسن الفلكي في باريس فطار منها ببالون وذهب الى بلاد الجزائر ليرصد الكسوف فيها

الحرب والصناعة والزراعة

وكان من نتائج هذه الحرب ايضاً ان المواد الكيماوية التي تصنع في المانيا وتستعمل في الصناعة والزراعة منع اصدارها من المانيا فغلَت ايدي الصناع ومنها اصباغ الانيلين والفحم الذي يستعمل في المصابيح الكهربائية القوسيَّة والصودا المستعملة في طبخ الصابون وعمل الزجاج وغير ذلك من المواد الكيماوية. وكذلك املاح الصودا والبوتاسا المستعملة سماداً في الزراعة فان اكثرها يرد من المانيا. وبعض المعادن المستعملة في الصناعة كالقصدير والانتيمون. ولقد ارتفعت اسعار هذه المواد كلها الآن ولا يبعد ان يحمل ذلك اهالي البلاد الانكليزية والاميركية على السعي في عمل هذه المواد للاستغناء عن المانيا

الحامض البروسيك في النبات

لا يخفى ان الحامض البروسيك او الهيدروسيانيك يوجد في بعض النباتات فتبتعد المواشي عنها ولا تأكلها لئلاَّ تسم بهِ. ومن هذا القبيل نبات الذرة عند اول ظهورهِ وقد عُرف الآن ان هذا الحامض يتكوَّن في النباتات من فعل المركبات النيتروجينية بمواد مثل الفانيلين والحامض الشتريك كما يتولد من تمثيل الكربون

كرَم ابي قردان

ابو قِرْدان طائر معروف في هذا القطر ومن مزاياهُ ان كلاًّ من ذكرهِ وانثاهُ يأتي بالطعام الى فراخهِ من السمك ونحوهِ ويضعهُ في حوصلتهِ ويفتح منقارهُ فتدخل صغارهُ مناقيرها فيهِ وتلتقط الطعام منهُ. وقد وجد بعضهم بالمراقبة ان طيوراً اخرى من نوع ابي قردان غير الاب والام تأتي بالطعام الى الفراخ وتطعمها اياهُ كرماً منها وهذا من اغرب ما روي عن الطير

النظارات التي تصنع

اكبر النظارات العاكسة التي تصنع الآن نظارة لمرصد جبل ولسن باميركا قطر مرآتها ١٠٠ بوصة ونظارة لمرصد الدومنيون بكندا وقطر مرآتها ٧٢ بوصة ونظارة لمرصد سيميس في بلاد القرم وقطر مرآتها ٤٠ بوصة ونظارة لمرصد حلوان بمصر وقطر مرآتها ٣٠ بوصة ومثلها نظارة لمرصد المستر دستر بانكلترا

اختراع ثمين

اخترع شاب اميركي اسمهُ غايسمن طريقة يكتب بها المصور اسمهُ في اسفل الصورة التي يصورها بالكوداك حال تصويرها فاشترت منهُ شركة ايستمان هذا الاختراع بثلثمئة الف ريال ٠ وكم من رجل يقضي عمرهُ يبحث ويحقق في المسائل العلمية ويكتشف ويخترع ما ينتفع بهِ الالوف ثم يموت جوعاً

برج اعلى من برج ايفل

كانت حكومة البلجيك شارعة في اقامة برج ليكون محطة للتلغراف اللاسلكي ومرصداً للاحداث الجوية وعزمت ان تجعل ارتفاعهُ ١٠٩٣ قدماً فيكون اعلى من برج ايفل لان ارتفاع هذا ٩٨٤ قدماً

الميكروب والمطر

من الاقوال الشائعة في بلاد الشام ان من يشرب من ماء المطر الاول يصاب بالسعال او بالشهقة او بنحو ذلك من الامراض ٠ ولا نعلم ان احداً بحث عن صحة ذلك بحثاً استقرائيًّا او بحث في الامراض التي يقال انها تحدث من شرب ماء المطر الاول بحثاً علميًّا ولكن القول المتقدم شائع في طول البلاد وعرضها ٠ والذين يجمعون مياه المطر في الصهاريج لا يجمعون ما يقع اولاً منهُ ٠ وقد ثبت الآن ان لهذا الاعتقاد اساساً علميًّا وهو ان نقط المطر تتجمع حول الميكروبات التي تكون في الهواء ولا يبعد ان يكون بينها كثير من ميكروبات الامراض فمتى اغتسل الهواء منها صار ماء المطر صالحاً للشرب

الموت الى حين

كتب الدكتور بكرل المشهور الى جريدة الماتن يقول انهُ عرَّض القمح والخردل وبعض المكروبات لاقصى درجات الجفاف والبرد ثم استنبت القمح والخردل فنبتا واعاد المكروبات الى بيئة صالحة لمعيشتها فعادت الى الحياة ثانية ٠ وعندهُ ان الحبوب والمكروبات زال منها كل اثر للحياة مدة تعريضها للجفاف والصقيع لانهُ وضعها في انابيب افرغ منها كل ما قدر على افراغهِ من الهواء ثم انزل حرارتها الى الدرجة ١٩٠ تحت الصفر بمقياس سنتكراد مدة ثلاثة اسابيع ثم الى الدرجة ٢٥٠ تحت الصفر مدة سبع وسبعين ساعة وابقى الحبوب في هذه الانابيب سنة وابقى بزور المكروبات سنتين ومع ذلك كلهِ عاشت لما وضعت في بيئة صالحة لمعيشتها

نفقات قتل رجل في الحرب

قال الاستاذ دافد جوردان الاميركي في خطبة لهُ ان نفقات قتل رجل واحد في حروب هذا العصر تبلغ ٣٠٠٠ جنيه وقد بلغت في حرب البوير في جنوب افريقية ٨٠٠٠ جنيه

تجميد الزيوت

الفرق بين الزيوت والشحم الجامد هو ان الهدروجين في الشحم اكثر منهُ في الزيوت. وقد اكتشف احدهم طريقة يزيد بها مقدار الهدروجين في الزيوت والادهان المائعة وذلك بان يجعل بعض المعادن كالبلاتين والبلاديوم والنكل تمتص الهدروجين ثم ثم تفلتهُ في الزيوت ليتركب معها. واذا جمد زيت السمك على هذه الطريقة صار بقوام شحم البقر وفقد ما في رائحتهِ وطعمهِ من الكراهة. اما زيت الزيتون وزيت الفول السوداني فيشتد قوامهما ويفقدان رائحتهما وطعمهما. ويصبح زيت الخروع صلباً قصماً يمكن سحقهُ كما يسحق السكر ويتوقع ان يكون لهذا الاكتشاف شأن كبير في الصناعة خصوصاً اذا تمكن بواسطتهِ من تحويل البترول الى زيت يمكن عمل الصابون منهُ

البلاتين في المانيا

نحو ٩٥ في المئة من البلاتين المستعمل الآن ياتي من جبال اورال في روسيا ولكن قد اكتشف البلاتين في فندون بوستفاليا من المانيا حيث يتوقع ان يستخرج منهُ شيءٌ كثير

تصفيح البوارج

اخترع مهندس الماني يقال لهُ شومان دروعاً لتصفيح البوارج وآلات الحرب يقول انها تفوق الدروع القديمة بالخفة وقلة النفقة والمناعة. وطريقتهُ هي ان يجعل الدرع من طبقتين غير متلاصقتين بل تتصل احداهما بالاخرى في نقط قليلة وتكون الطبقة الخارجية من النكل والطبقة الداخلية من معدن لين. فاذا اصابت قنبلة هذا الدرع التوت طبقتهُ الخارجية الى ان تلامس الطبقة الداخلية فتدعمها هذه. وقد جرّب درع من هذا النوع سمك طبقتهِ الخارجية مليمتران وسمك طبقتهِ الداخلية ٣ مليمترات فلم تعمل فيهِ القنابل التي تخترق درع الفولاذ الذي سمكهُ ٣ مليمترات ونصف

تطهير الماء بالنور

مهما اعتني بتطهير الماء في برك السباحة يظل فيهِ شيءٌ كثير من المكروبات التي يكتسبها من الذين يسبحون فيهِ. وقد جرّب تطهير الماء في بركة من برك السباحة في مدينة نيو يورك باشعة النور التي تقع فوق البنفسجي في الطيف الشمسي فقل المكروب فيهِ الى جزء من عشرين مما كان قبل التطهير. اما طريقة العمل فهي ان يمر الماء في مصفاة ليتصفى ثم يمر بانبوب تنبعث منهُ هذه الاشعة

مرصد فلكي جديد

عزمت حكومة كندا في اميركا الشمالية على اقامة مرصد تجهزهُ بجميع الآلات اللازمة فاختارت لهُ موقعاً في مقاطعة كولومبيا

البريطانية واوصت بصنع تلسكوب قطر مرآتهِ العاكسة ٧٢ بوصة وعليهِ فسيكون اكبر تلسكوب استعمل للرصد حتى الآن ما عدا تلسكوب معرض باريس

رصاص الراديوم

تنتهي حياة الراديوم بتحولهِ الى رصاص ولكن بعض العلماء يرون ان ثقل جواهر الرصاص الذي يتولد من الراديوم يختلف عن ثقل جواهر الرصاص العادي ٠ وقد القى الدكتور فاجانس الالماني خطبة قال فيها ان الفرق في الثقل بين جوهر الراديوم المتولد من الرصاص وجوهر الراديوم المتولد من الثوريوم نحو ثلاثة اعشار في المئة ٠ وفي ٧ مايو بيّن العالمان سودي وهيمانس في جمعية لندن الكيماوية ان الفرق في الثقل بين جوهر الرصاص المتولد من الثوريوم وجوهر الرصاص العادي نحو خمسة اعشار في المئة

المهاجرة الى الارجنتين

احصى الدكتور البرت هايل عدد المهاجرين الذين دخلوا جمهورية الارجنتين في جنوب اميركا بين سنة ١٨٥٧ وسنة ١٠١٢ فكانوا ٤٢٤٨٣٥٥ منهم ٢١٣٣٥٠٨ ايطاليون و١٢٢١٢٩٨ اسبان و٢٠٦٩١٢ فرنسويون و١٣٦٦٥٩ روس و١٠٩٢٣٤ سوريون و٨٠٧٣٦ نمساويون و٥٥٠٦٨ المان و٥١٦٦٠ انكليز ومن ٢٠٠٠٠ الى ٣٠٠٠٠ من كل من السويسيين والبلجيكيين والبرتغاليين و٧٠٠٠ من كل من الدنماركيين والهولنديين و٥٥٠٠ من اهل اميركا الشمالية و١٧٠٠ من الاسوجيين و٧٩٢٥١ من امم مختلفة ٠ وعدد المهاجرين من الروس والسوريين آخذ في الازدياد بالنسبة الى المهاجرين من الامم الاخرى

قدم المدنية في بابل

القى الدكتور بانكس خطبة في جمعية علم الانسان في مدينة وشنطون باميركا قال فيها انهُ عثر في اثناء اشرافهِ على البحث عن آثار بابل على شقف خزف يحتمل ان يستدل منها على انهُ قام في بابل امة ذات مدنية راقية منذ ١٥٠٠٠ سنة اي قبل الميلاد بنحو ١٣٠٠٠ سنة ٠ ومما قالهُ ايضاً انهُ عثر على مكان لاحراق الموتى ويجب ان يكون من عهد السومريين لان عادة الساميين ان يدفنوا موتاهم دفناً

الفحم الحجري في اميركا

بلغ ما استخرج من الفحم الحجري من ارض الولايات المتحدة الاميركية في خلال سنة ١٩١٣ نحو ٥٧٠٠٤٨٠٠٠ طن قدر ثمنها بنحو ٧٦٢٠٩٧٠٠٠ جنيه ٠ وبلغ عدد الذين اشتغلوا باستخراج الفحم تلك السنة

٧٤٧ ٦٤٤ رجلاً اي نحو ثلاثة ارباع المليون من الناس

المواليد في فرنسا

بلغ عدد الاطفال الذين ولدوا احياء في فرنسا السنة الماضية ٧٤٥ ٥٣٩ وكان ٧٥٠ ٦٥١ سنة ١٩١٢ . وكان معدل المواليد في فرنسا ٩٤٥ ٠٠٠ بين سنة ١٨٧٢ وسنة ١٨٧٥ فهبط سنة ١٩٠٧ الى اقل من ٨٠٠ ٠٠٠ ثم هبط سنة ١٩١١ الى ما تحت ٧٥٠ ٠٠٠ ومعدل المواليد لكل عشرة آلاف من السكان سنة ١٩١٣ كان ١٨٨ وكان ١٩٠ سنة ١٩١٢ و ١٨٧ سنة ١٩١١ و ١٩٦ سنة ١٩١٠ و ٢٠٥ سنة ١٩٠٦ فالنقص اذن مطرد . والمواليد آخذة بالنقصان في البلدان الاوربية عموماً ولكن فرنسا قد فاتتها جميعاً في هذا السبيل. وكانت زيادة المواليد على الوفيات سنة ١٩١٢ لكل عشرة آلاف من السكان في فرنسا ١٥ مقابل ١٥٨ في هولندة و ١٤٠ في ايطاليا و ١٣٠ في المجر و ١٢٧ في المانيا و ١٠٧ في النمسا و ١٠٥ في بلاد الانكليز . واكثر النقص في المواليد في المقاطعات الشمالية . اما عدد الزيجات فبلغ ٢٩٨ ٧٦٠ اي انهُ نقص ١٣ ١٦٩ عمَّا كان سنة ١٩١٣ وبلغ عدد حوادث الطلاق ١٥ ٠٧٦ اي زاد نحو ٥٠٠ عمَّا كان سنة ١٩١٢

سكك الحديد في الدنيا

بلغ طول سكك الحديد في قارات الارض المختلفة سنة ١٩١٢ ما تراهُ في هذا الجدول

في اميركا	٣٤٣ ٦٤٣	ميلاً
« اوربا	٢١٢ ٦٥١	«
« اسيا	٠٦٦ ٥٣٤	«
« افريقيا	٠٢٦ ٤٩١	«
« استراليا	٠٢١ ٦٧٨	«

التلفون في الدنيا

بلغ طول خطوط التلفون في العام الماضي نحو ٣٣ مليون ميل كما ترى في هذا الجدول

في الولايات المتحدة	٢٠ ٢٨٥ ٠٠٠	ميل
في اوربا	١٠ ٣١١ ٠٠٠	«
في كندا	٠٠ ٨٥٠ ٠٠٠	«
في سائر المسكونة	٠١ ٤٧٦ ٠٠٠	«
والجملة	٣٢ ٩٢٢ ٠٠٠	

اما عدد التلفونات فبلغ نحو ١٣٧٠٠٠٠٠ كما ترى في هذا الجدول

في الولايات المتحدة	٨ ٩٧٥ ٠٠٠
« اوربا	٣ ٦٣١ ٠٠٠
« كندا	٠ ٤٠٠ ٠٠٠
« سائر المسكونة	٠ ٦٨٦ ٠٠٠
	١٣ ٦٩٢ ٠٠٠

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخامس والاربعين

صفحة

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الخامس والاربعين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٤ — الموافق ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٣٢

الحرب ورجال العلم

يعتقد الالمان انهم اصلح الناس للتعمير في الارض · والظاهر ان هذا الاعتقاد قديم فيهم ثم زاد رسوخاً وظهوراً بتعاليم رجل من علمائهم اسمهُ تريتشكي Treitschke كان أستاذاً في جامعة برلين وعلَّم ان ناموس الطبيعة يقضي بان يتغلَّب الشعب القوي على الشعب الضعيف و يقرضهُ عن وجه الارض · وسنأتي على خلاصة تعاليمهِ في الجزء التالي

وقد قام العلماء الآن يشددون النكير على الالمان و يفندون مزاعمهم · من ذلك ان ستة من اساتذة جامعة اكسفرد ألفوا كتاباً موضوعهُ « لماذا نحارب » Why we are at war جمعوا فيهِ كثيراً من الحقائق الدالة على ان الالمان معتدون في هذه الحرب واذا فازوا فيها فمن فوزهم ضرر اكيد لنوع الانسان واما البلجيكيون والفرنسويون والروسيون والبريطانيون فمحقُّون كلهم في مقاومتهم لالمانيا والضرب على يدها ومن فوزهم نفع للعالم اجمع · وقام العلاَّمة المشهور الدكتور اليوت الاميركي رئيس جامعة هارفرد المعروف في هذا القطر بنصائحهِ الحكيمة التي اسداها لنظارة المعارف المصرية منذ بضع عشرة سنة فكتب في جريدة التيمس الاميركية مبيناً الاسباب التي حملت الشعب الاميركي على ان يكون ضلعهُ مع الانكليز وحلفائهم · وحذا الاستاذ الكيماوي الكبير السر وليم رمزي الانكليزي حذوهُ فكتب في مجلة نانشر العلمية مقالة بيَّن فيها خطأ الالمان وضرر مذهبهم

اما الدكتور اليوت فقال « يخطئ من يظن ان الاميركيين يضمرون العداء للالمان او يغمطون فضلهم العلمي عليهم وعلى العالم اجمع ولكنهم يرون ان الامة الالمانية اخطأت في سياستها نظريًّا وعمليًّا · جرت على هذا الخطإ منذ اكثر من مئة سنة وهي الآن تجني ثمارهُ · وقد رأى الاميركيون ان اعمال المانيا لا تنطبق على مبادئهم فمالوا الى الحلفاء ·

ومن هذه الاعمال استبداد اولي الامر بالامة وسوقها الى الحرب من غير ان يستشار نوابها ويشيروا بها. والاعتماد على القوة الحربية كأَنها اساس لعظمة الامة . وامتلاك البلدان بالقوة رغمًا عن اهاليها. وخرق المعاهدات بدعوى ان الحاجة الحربية قضت بذلك والاعتداء على البلجيك وحدهُ كافٍ لان يجعل ضلع الاميركيين مع الحلفاء . اضف الى ذلك اطلاق القنابل جزافًا من غير تمييز وحرق المدن غير المحصنة واتلاف الآثار القديمة الثمينة وابتزاز الاموال من سكان المدن او يقتلوا او يؤْخذوا رهائن . وقد كره الاميركيون هذه الفعال لانها مناقضة لصورة الارتقاء الراسخة في اذهانهم ثم ان ارتقاء الالمان يعتمد على القوة واعتمادهُ هذا فاسد نظريًّا وعمليًّا لانهُ ما من استعداد حربي مهما عظُم يكفي لحفظ السلم في اوربا او بقي المانيا او غيرها من الممالك . فان العلوم الحربية الحديثة تستلزم ان تكون الحروب كثيرة الضحايا كثيرة النفقات لا تنتهي الاَّ اذا نفدت اموال احد الفريقين وخارت قواهُ . اما وقد فشل الالمان في ما كانوا يقصدونهُ من الاستيلاء على باريس في فاتحة الامر فلا يرى الاميركيون لهذه الحرب الاَّ مصيراً واحداً طالت او قصُرت وهو انقلاب المانيا والنمسا واقلاع شعوبهما عن المذهب الحربي . والاميركيون يأسفون اشد الاسف على ويلات هذه الحرب ولكنهم يعتقدون انها تنتج ثماراً صالحة فتزيد الحرية في اوربا وينتشر لواؤُها

« وخوف الالمان من عزم الروس على اجتياح بلادهم لا يبرر عملهم العدائي الاَّ كما تبرر الاراجيف امتشاق الحسام . فان كان لعزم الروس هذا ادنى دليل يؤَيدهُ فارتباط دول غربي اوربا بمعاهدة دفاع افعل في مقاومتهِ من تصدي دولة واحدة لهُ بالقوة . اما تصميم الفرنسويين على استرجاع البلاد التي أُخذت منهم والكيل لالمانيا بالكيل الذي كالت لهم بهِ سنة ٧٠ و ٧١ فامر شريف يمدحون عليهِ . ونجاح المانيا التجاري في الثلاثين السنة الاخيرة يجعل الاميركيين يستغربون نقمتها على الانكليز اهتمامهم بمقاومتها تجاريًّا لان هذه المقاومة ان كانت حقيقية فلم تؤَثر في تجارتها اقل تأْثير وهب ان الانكليز ارادوا الاستئثار بالتجارة فذلك لا يبرر المانيا في توخيها السلطة العليا في اوربا ثم في العالم كلهِ »

وقال الاستاذ السر وليم رمزي في مجلة ناتشر ما خلاصتهُ

« ان اظهر خُلق من اخلاق الشعب الانكليزي (الانجلوسكسون) هو احترام حقوق الغير فان هذا الاحترام اساس سياستهِ وشرائعهِ ولذلك تجدهُ منصفًا غير ظالم شعارهُ المساواة والحق والعدل وقلما يحيد رجالهُ عن هذه الخطة وهي التي دفعتهُ الآن الى الاشتراك في الحرب لكي لا ينقض عهداً اخذهُ على نفسهِ ولا يرى امة صغيرة تُظلَم وهو واقف مكتوف

اليدين . وقد ساعد الامة الفرنسوية والامة الروسية قصدْ احقاق الحق وازهاق الباطل

ونظرُ الالمان في ما يجب على الامم بعضها لبعض مخالف لنظرنا ولا يمكن التوفيق بينهُ وبين اخلاقنا واخلاق اخواننا الاميركيين فاننا نعتقد ان الحكومة هي الامة والامة هي الحكومة وهذا مفاد كل حكومة نيابية بالفعل . فاذا لم ترضنا سياسة نوابنا ابدلناهم بغيرهم واما عند الالمان فالحكومة غير الامة وهي قائمة بذاتها ولها السلطة المطلقة على حياة رعاياها . وعندهم ان للحكومة ان تحكم بما يجب على الرعايا اتباعهُ ولا يستطيع احد ان يناقض حكمها ما دام الجيش معها . شعار الانكلوسكسون عِشْ ودع غيرك يعيش وشعار التيوتون (الالمان) عش كما تطلب منك الحكومة ان تعيش . مبدأ الانكليز حرية كل احد ومبدأ الالمان خضوع كل احد لذوي السلطة

الانكليز يعطفون على الضعيف ويحتفظون بهِ ويهتمون بتقويتهِ ولو ضعف بهِ مجموعهم . واما الالمان فيعاملون الضعيف منهم بالشدَّة الى ان يقوى او يموت ولذلك قوي مجموعهم وصار غرضهم الذي يرمون اليهِ التسلط على المسكونة وعندهم انهم اذا تسلطوا عليها اصلحوها . وقد صار هذا رأي كل طبقاتهم وهو الذي قادهم الى هذه الحرب وهم يتوسلون بكل وسيلة لنيل هذه الغاية حقاً كانت او بطلاً

امَّا هذه آراؤُها وهذه مطالبها لا يستطاع الصبر عليها . لا مشاحة في ان الالمان وسَّعوا العلوم والفنون ولبعض افرادهم شهرة واسعة وفضل لا ينكر ولكن الابتكار قليل عندهم وجهد ما يفعلونهُ انهم يتناولون مكتشفات غيرهم ومخترعاتهم ويستخدمونها في الاعمال ويجرون فيها على اساليب من الدقة والتقييد تنطبق على طبعهم المشار اليهِ آنفاً كأنهم جنود في جيش عامل . ويقال ان آدابهم في التجارة ليست الآن على ما يرام فلا يوثق بكلامهم ولا يركن الى معاملاتهم . وهم في العلم غير معصومين من هذه المعرَّة وعليهِ فهم عائدون الى البربرية رغماً عن دعواهم انهم متفوقون في العمران . وفعال جنودهم القبيحة كقتل الابرياء غير المحاربين وتخريب المباني الفاخرة ومعاملتهم النساء والاولاد باشد انواع القسوة كل ذلك من مظاهر طباعهم

ولذلك فهذه الحرب التي اثارتها المطامع تناولتها المروءة فضربت بها الفظاظة والمبادئ فضربت بها الاغراض وتناولها الحق فضرب بها الباطل . وتدلُّ الدلائل الآن على ان النصر سيعقد للحلفاء ويكون الفوز للعدل والرحمة . ويجب ان يكون شعار الحلفاء منع الحرب بتاتاً في المستقبل ونزع الاستبداد الذي نخر آداب الامة الالمانية كالآكلة حتى لا ينمو ثانية

ولا خوف من ان العلم يضعف بضعف الالمان لان ليس لهم فيهِ شأن كبير بل قد يقوى بتقليل ادعيائهِ . واكثر ما ينسب الى الالمان يجب ان ينسب الى الاسرائيليين الذين سكنوا بلادهم ونحن واثقون ان الشعب الاسرائيلي يستمرُّ في خطتهِ و يتابع اشغالهُ العلمية والفلسفية»

مالية المانيا والحرب

اتضح من سير الحرب الاوربية حتى الآن ان ليس في طاقة احد الفريقين المتحاربين ان يضرب الآخر ضربة قاضية فيصعب ترجيح كفة احدهما على كفة الآخر من الوجهة العسكرية اما من الوجهة المالية فكفة الحلفاء هي الراجحة على ما يظهر واليك مجمل الاحوال المالية في المانيا

لما اعلنت حكومة المانيا الحرب اجاز لها مجلس النواب (الريخستاغ) ان تستلف ٢٥٠ مليون جنيه للقيام بالنفقات الحربية عند الحاجة فلم تعتم ان طلبت من الاسواق المالية ١٠٠ مليون جنيه من هذا القرض بل قيل انها طلبت ٢٠٠ مليون جنيه . وسواء طلبت المبلغ الاول او المبلغ الثاني فستضطر الى طلب المزيد في القريب العاجل . وقد اصدرت بنصف المبلغ سندات تكفلت بان توفيها اصلاً وفائدة وجعلت النصف الآخر قرضاً دائماً تنقد ناقلي اسهمهِ ما يستحق لهم من الفائدة السنوية وعرضت بيع المئة في كلا الحالين بمبلغ $\frac{1}{2}$ ٩٧ وتكفلت بدفع ٥ في المئة فائدة سنوية . فاضطرارها الى دفع هذه الفائدة دليل على ضعف الثقة بها والحرب لم تزل في اول اطوارها . ولا يتوقع ان ينفق كثير من اسهم هذا القرض في الممالك المحايدة و يؤخذ من الاخبار التي تفلت من المانيا ان الالمان انفسهم لم يقبلوا على شرائها رغماً عن ارتفاع فائدتها وعن حث الجرائد لهم واستنهاضها همتهم لعضد الحكومة فان الانسان مهما اشتدت حماستهُ الوطنية ومهما اغري بالفائدة الكبيرة لا يجازف بمالهِ

قابل ذلك بالسهولة التي بيعت بها سندات السلفة التي عقدتها الحكومة الانكليزية للقيام بنفقات الحرب يظهر لك الفرق بين موقف البلادين من جهة المال . فقيمة السلفة الانكليزية ٤٥ مليون جنيه اي اقل كثيراً مما اضطرت المانيا الى استلافهِ وقد بيعت سنداتها في شهر واحد و بقيت الفائدة في الاسواق المالية الانكليزية تتراوح بين $\frac{1}{2}$ ٣ و $\frac{3}{4}$ ٣ في المئة

ولا شك في ان المانيا ستضطر قريباً الى اقتراض كل ما اجاز لها الريخستاغ اقتراضهُ فيزيد دينها مبلغ ٢٥٠ مليون جنيه و يزيد ما تدفعهُ سنوياً فائدةً لديونها مبلغ ١٢ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات . وسنة ١٩١٣ كان الدين الالماني الامبراطوري ٢٣٠ مليون جنيه واذا

اضيفت اليهِ ديون حكومات المالك والامارات التي تتألف منها المانيا بلغ المجموع ١٠٠٠ مليون جنيه وسيصبح بالقرض الجديد ١٢٥٠ مليونًا · ولم يكن دين الامبراطورية الالمانية سنة ١٨٧٧ سوى ثلاثة ملايين ونصف من الجنيهات وسنة ١٨٧٤ لم يكن عليها دين بل كان في خزينتها ٢٠٠ مليون جنيه وهي الغرامة التي اخذتها من فرنسا· ثم أُنفق هذا المال كلهُ واخذت الحكومة الامبراطورية تستدين وسيبلغ دينها الآن ٤٨ مليون جنيه واذا اضفنا اليهِ قروضاً اخرى استقرضتها من غير فائدة بلغ دينها كلهُ ٥٫٢٠ مليون جنيه · فاذا كانت مالية المانيا تسير هذا السير في زمن السلم فما قولك بها في زمن الحرب

ان المبلغ الذي رأت الحكومة الالمانية ان تستلفهُ الآن لا ينفع كثيراً من غلتها حتى ولو اضيف اليهِ المال الاحتياطي الذي كان في قلعة سبنداو وما تنوي ان تبتزهُ من المدن التي احتلتها في البلجيك وفي فرنسا· ولا شك في انها تفكر بتعويض خسارتها بغرامة حربية كبيرة بعد انتهاء الحرب ولكن الخطط الحربية مهما دُقق في احكامها تظل عرضة لان يطرأ عليها ما يفسدها · ومن العوامل التي سيكون لها شأن في سير هذه الحرب وترجيح الفوز النهائي لاحد المتحاربين تعاقد الدول المتحالفة على ان لا يكون لاحداهنَّ مطالب لا يوافق عليها سائرهنَّ ومعنى ذلك ان هذه الدول ستثابر جميعها على الحرب ما دام في امكانها الانفاق على جيوشها. فعلى المانيا اذن ان تقهر ثلاث دول غنية قبل ان تتمكن من ابتزاز غرامة حربية من احداهنَّ· فستضطر الى الانفاق بكثرة وتضطر الدول المناهضة لها الى الانفاق ايضاً ولكن اي الفريقين يقوى على مداومة الانفاق اكثر من الآخر · اشار المستر لويد جورج (ناظر المالية ببلاد الانكليز) الى اهمية المال في هذه الحرب فقال « ان الملايين الاخيرة القليلة ستربح هذه الحرب · يقدر اعداؤنا ان ينفقوا الملايين الاولى كما ننفقها نحن واما الملايين الاخيرة فلا يقدرون ان ينفقوها مثلنا » · واذا ذكرتَ ما كان للمال من التأثير في حروب نبوليون وكيف كانت انكلترا تعمل على التغلب عليهِ بتقديم المال للدول الصغيرة لمحاربتهِ عرفتَ ما سيكون لمقدرة الحكومات على اعداد المال من الاهمية في سير هذه الحرب التي تلتهم المال والرجال خصوصاً اذا طال امرها

ان المانيا حديثة العهد بالارتقاء الصناعي والتجاري · نعم لا ينكر عليها ما اظهرتهُ من النشاط والحنكة في هذا الارتقاء ولكنها اذا قوبلت بانكلترا من هذا القبيل كانت كالطفل في جنب الجبار · تستند انكلترا الى ثروة جمعتها في مدى قرون ولكن المانيا لم تقم الأ بالامس · وللانكليز مصالح كثيرة في جميع انحاء المعمورة تدرُّ عليهم المال ولا تؤثر في

ماليتهم المؤثرات الموضعية الخارجية كثورة المكسيك والجدب في البرازيل لكثرة مصالحهم وتفرقها في انحاء المعمور اما مالية المانيا فقد اثَّر فيها هذان العاملان كثيراً . ثم ان كثيراً من مصالح الالمان خارج بلادهم ليس على ما يرام فلا يدرُّ عليهم ربحاً زد على ذلك ان اكثر ما لم انفق على انشاء المعامل والمصانع في المانيا نفسها وهذه المعامل والمصانع لا تعود بفائدة في زمن الحرب ولو كانت تأتي بالربح في زمن السلم . ويظهر لك وهن المانيا المالي من انهُ لما ضاقت الاحوال المالية منذ سنتين في اوربا تعذر على الالمان استدانة المال في بلادهم حتى بالضمانات والرهون. ولكن الاحوال تحسنت بعد ذلك فبلغت النقود التي كان الناس يتعاملون بها في المانيا في الربيع الماضي ٣٠٠ مليون جنيه وقبل اعلان الحرب كان في خزائن بنك المانيا الامبراطوري مبلغ ٦٧٢٠٠٠٠٠ جنيه من الذهب بين نقود وسبائك وما قيمتهُ ١٦٢٠٠٠٠٠ جنيه من الفضة . وفي مدة الاثني عشر شهراً التي سبقت الحرب اضاف الى ما في خزينتهِ من الذهب ما قيمتهُ ١١ مليون جنيه فزاد ذهبهُ ٢٢ مليون جنيه عما كان منذ عامين

ولا ينكر ان هذه الاحتياطات كانت عوناً كبيراً لالمانيا في بدء الحرب ولكنها لا تؤثر شيئاً في تخفيف وطأة الضيق المالي الذي يتهددها . ان الضيق المالي اليوم اشد وطأة من الضيق المالي الذي حدث زمن الحرب البلقانية ولا بد للمدن الالمانية من ان تشعر بشدة وطأتهِ في القريب العاجل ولو تكلفت التظاهر بسعة الحال الذي تقصد بهِ التمويه على الناس استبقاء لثقتهم . وقد استفاد التجار الالمان من عدم ايفاء ديونهم المستحقة فتركهم ذلك في سعة ولكن هذه السعة وقتية فتأجيل ايفاء الديون ليس مورداً يدر المال . والمبالغ الطائلة الموظفة في المعامل والمصانع في بلاد المانيا لا تعود عليها بفائدة زمن الحرب كما تقدم بل تكون وهقاً في عنقها . ومستعمراتها لا تساعدها كثيراً بل ان بعضها كان دخلهُ اقل من نفقاتهِ فتضطر الحكومة الامبراطورية ان تسد عجز ميزانيتهِ من خزينتها فقد كانت تدفع كل سنة مبلغ ١١٧٢٥٠ جنيهاً لمستعمرة الكرون ومبلغ ٧٣٧٠٠٠ جنيه لمستعمرة دمارالند . فاكثر ثروة المانيا اذن مما لا تقدر ان تستفيد منهُ في هذه الحرب ولذلك لا بد من ضعف الثقة المالية بها . ومن الحقائق الناصعة ان المال افعل من الجيوش في حروب هذه الايام

وعلى الحكومة الامبراطورية ان تدفع مبالغ باهظة فائدةً لديونها القديمة والحديثة ولا بد لها من المال ايضاً للانفاق على الحرب . فحاجتها الى المال ماسة وتجارتها الخارجية مشلولة ومواد الطعام فيها عزيزة وقد سدت عليها سبل استيراد المأكولات واصدار المصنوعات واُقفل جانب كبير من مصانعها فاصبح كثير من العمال عاطلين بلا عمل . وليس من شأننا ان

تنظر الآن في نتائج الجوع والبطالة اذا اجتمعا على اهل بلد فنكتفي بالاشارة الى انهُ يؤخذ من بعض المصادر ان الخبز يصنع الآن فيها من دقيق البطاطس لقلة القمح وان نساء همبرغ اعوزهن اللبن لاطعام اطفالهن

ومعظم دخل الحكومة الامبراطورية من المكوس الجمركية وضرائب التمتع واجور البوسطات والتلغرافات وسكك حديد الحكومة ومما تدفعهُ الممالك والامارات والمدن التي تتألف منها المانيا ومن الضريبة على الاملاك ٠ اما الضريبة على الاملاك فقد ضربت حديثاً لتسد منها نفقات الزيادة التي زيدت على الجيش وكان يظن ان ما يجمع منها يبلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠ جنيه فلم يبلغ سوى ٣٠٠٠٠٠٠٠ جنيه في السنة الماضية ولا شك في انها ستهبط ايضاً الآن بهبوط قيمة الاملاك في المانيا . وكان دخل المانيا للسنة المالية الحاضرة قد قدر بمبلغ ١٧٤٧٨٥٦٨٣ جنيهاً منها ٧٠٠٠٠٠٠٠ جنيه دخل الجمارك والضريبة على الاملاك . وقد هبط هذا الدخل كثيراً وسيهبط ايضاً كما بينّا وخصوصاً العوائد الجمركية لان المانيا باتت في معزل عن العالم وكاد ينقطع ورود المتاجر اليها وصدورها منها ٠ زد على ذلك ان الزراعة ستتعطل في الولايات الشرقية التي اجتاحتها الجنود الروسية وفي جميع البلاد عموماً لتجنيد القادرين على العمل ٠ فستكون السنة القادمة سنة ضيق مالي على الحكومة والامة.

وقد بلغت قيمة الصادرات الالمانية ما عدا الذهب ٤٣٧٠٠٠٠٠٠ جنيه في سنة ١٩١٣ فحرمت اكثر هذا المبلغ هذه السنة ٠ وسيكون العامل الالماني وزوجتهُ واولادهُ اول من يؤثر فيهِ تعطل تجارة البلاد الخارجية

وقد تأثرت التجارة الانكليزية ايضاً بالحرب فهبطت قيمة الواردات في شهر اغسطس ١٣٦١٣٦٧٠ جنيهاً (اي ٢٤ في المئة) عما كانت في شهر اغسطس من السنة الماضية وهبطت قيمة الصادرات ١٩٨٩٩٤٥٨ جنيهاً (اي ٤٥ في المئة) ٠ والنقص في الصادرات ناشئٌ بعضهُ عن وقوف دولاب التجارة في الدنيا عموماً اذ اضربت البلدان الاخرى عن طلب البضائع وبعضهُ عن قلة تصدير البضائع الى المانيا والنمسا والبلجيك وفرنسا فقد هبطت صادرات الانكليز الى المانيا من ٢٢٤٩٠٦٧ جنيهاً الى ٧٩٩٠١٧ جنيهاً اي نحو ١٤٥٠٠٠٠ جنيه .اما صادرات المانيا الى البلاد الانكليزية فهبطت من ١٨٧٩٤١٨ جنيهاً الى ١٩٥٨٣٥ جنيهاً اي ١٦٨٣٥٨٣ جنيهاً فاذا بقي الهبوط في ما تصدرهُ المانيا الى البلاد الانكليزية مطرداً مدة سنة بلغ نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه واذا كان هذا شأن صادراتها الى البلاد الانكليزية وحدها فما قولك بما يحل بصادراتها الى سائر البلدان ٠ اما التجارة بين

البلاد الانكليزية وبين النمسا والمجر فاقل من هذه اهمية وقد هبطت صادرات النمسا والمجر الى بلاد الانكليز من ٦٧٦ ٢٩٨ جنيهاً الى ٤٢٣ ٤٥ جنيهاً وهبطت الصادرات الانكليزية الى النمسا والمجر من ٤٨٢ ٦٣ جنيهاً الى ٣٧١ ١٨ جنيهاً

وهذه الارقام لا تدل على قيمة كل التجارة الانكليزية مع المانيا والنمسا والمجر لان جانباً كبيراً من هذه التجارة يمر ببلاد اخرى في طريقهِ من بلاد الانكليز الى بلاد الدولتين الاخيرتين او منهما اليها ولكن هذه الاحصاءات تظهر جليًّا ان تجارة الانكليز تعطلت بقدر ما يصيب المانيا والنمسا والمجر منها اما تجارة المانيا والنمسا والمجر فقد تعطلت كلها تقريباً اذ لا تخرج لهم باخرة في البحر الاَّ تعرضت للاسر · والمانيا تُعدُّ الثانية بين ممالك الارض في التجارة البحرية ومعظم بواخرها التي سلمت من الاسر لاجئة الى موانئ لا يجسر على مبارحتها· نعم لا يفتقر الالمان الى جلب الاطعمة من الخارج بقدر افتقار الانكليز ولكن ما يفتقرون اليهِ قد انقطع عنهم الآن وانقطاعهُ عنهم ينزل بهم الشدة واما الانكليز فلا يعسر عليهم جلب كل ما يحتاجون اليهِ

وكيفما التفتنا الى المانيا من الوجهة المالية رأينا الدلائل كلها تدل على تفوق الحلفاء عليها وعلى انها لا تقوى على مقاومتهم طويلاً · ولا ترجح كفتها الاَّ اذا قهرت الاسطول الانكليزي الذي عطل تجارتها وصناعتها وقلّل دخلها وجعلها بمعزل عن العالم فالاسطول الانكليزي هو الذي اوقف التجارة الالمانية وقلل دخل المانيا الامبراطوري وعطل مصانعها وجعل مستقبلها المالي مظلماً

يقدِّر العارفون ما تنفقهُ المانيا شهريًّا على الحرب بمبلغ يتراوح بين ٥٠ مليون جنيه و ١٠٠ مليون جنيه واذا طالت الحرب سنة فسيتحرج موقفها المالي قبل اكتوبر التالي

ومما يؤيد ما قلناهُ عن مالية المانيا الخطة التي وضعها الالمان للحرب فانها مبنية على مبدإِ الاقتصاد فقد كانوا ينوون ان يتخطوا حدود البلجيك في مدة قصيرة ويستولوا على باريس في موعد مخصوص ثم يرتدوا على روسيا. فخطتهم كانت مبنية على التعجيل في الوقت لتقليل النفقات. ولكن سير الحرب لم يجئ مطابقاً لخطتهم فقد أُجِّل الآن دخول باريس الى اجل غير معلوم وديون المانيا آخذة في الازدياد· وستتأثر مالية الممالك الاوربية عموماً من هذه الحرب ولكن مالية المانيا ستتأثر اكثر من غيرها كثيراً كما يستدل من الدلائل ومن عزم الدول المتحالفة على مداومة الحرب · واشباح الجوع والثورة تدنو من المانيا متبعةً تضعضع الاحوال المالية والمعاشية الذي لا بد من ان يحيق بها الاَّ اذا حدث ما لا تدلُّ الدلائل الآن على حدوثهِ

محاربة المسكرات

اطلعت في مقتطف اغسطس على المقالة الشائقة في المسكرات وقد تضمنت خلاصة ما اثبتهُ العلم من مضار هذه الآفة التي لا يشك في ضررها ذو عقل سليم فرأيت ان آتي على خلاصة تاريخ الحرب التي اثارتها الامم على المسكرات والتي يؤمل معها الوصول الى القضاء على هذا العدو اللدود قضاء تامًّا او على الاقل تخفيف جانب كبير من الويلات التي جرها على العالم

كانت الولايات المتحدة الاميركية اول الامم التي اثارت الحرب على المسكرات ولا غرو فهي في مقدمة جميع الشعوب اهتماماً بالاعمال العمومية النافعة كعمل الخير ومقاومة الشر . ولم تقتصر اعمالها على بلادها بل تجاوزتها الى جميع انحاء المسكونة تشهد بذلك مدارس الاميركان ومستشفياتهم وملاجئهم الخيرية وكلها قائمة على نفقة محبي الخير منهم

وقد بدأت الحرب التي اثارها الاميركان على المسكرات منذ ستين سنة وكان ذلك في ولاية ماين وهي في القسم الشمالي الشرقي من البلاد . ولا يخفى ان كل ولاية من الولايات المتحدة مستقلة في سن قوانينها الداخلية فلذا سنت الولاية المشار اليها قانوناً يمنع بيع المسكرات داخل حدودها . فسخط عليها ارباب معامل المسكرات وقاوموها مقاومة شديدة ولم يتركوا وسيلة لم يلجأوا اليها في تحقير عمل هذه الولاية لكي لا يجرأ غيرها على الاقتداء بها . وقد نجحوا في ذلك في بادئ الامر غير ان ولاية ماين ثبتت على مبادئها . وفي سنة ١٨٨٠ اقتدت بها ولاية كنساس فقامت قيامة تجار المسكرات عليها ورموها بالرياء وتنبأوا بان مصيرها الى الخراب صناعيًّا وتجاريًّا . غير ان النتيجة جاءت بعكس ذلك واهل هذه الولاية الآن اغنى من اهالي الولايات الاخرى وعدد الجرائم فيها قليل جدًّا . ثم لما رأت بعض الولايات الاخرى نجاح هذه التجربة سنت هي ايضاً القوانين القاضية بمنع تجارة المسكرات ضمن حدودها

وقد بلغت الآن الولايات التي حظرت تجارة المسكر عشراً ولا يزال عددها آخذاً في الازدياد رغماً عن المقاومة العنيفة . وآخر ما حدث من هذا القبيل ان بعض اعضاء مجلس النواب اقترح اضافة مادة الى دستور الولايات المتحدة يمنع عمل المسكرات وبيعها في الجمهورية كلها . هذا وان كان المجلس لم ينظر في هذا الاقتراح حتى الآن فلا شك انهُ سينظر فيهِ مدفوعاً الى ذلك بقوة الرأي العام في جميع انحاء البلاد وخدمة الدين واساتذة المدارس وقادة الامة مساعٍ حميدة في هذا السبيل وانصارهم يزدادون عدداً كل يوم

ومن الشواهد العديدة على انصراف كبار الاميركيين واقطابهم الى محاربة المسكرات ما حدث عند تولي الدكتور ولسن رئاسة الجمهورية وهو ان وزيرهُ الاكبر وناظر خارجيتهِ المستر وليم بريان (وقد خطب في جماعة من اهل القاهرة سنة ١٩٠٦) دعا السفراء وكبار رجال الحكومة الى المأدبة السياسية التي يقيمها نظار خارجية الدول من وقت الى آخر وقدم لهم الماء القراح قائلاً انهُ لما كان لا يتناول المسكر لا هو ولا عائلتهُ فهو يقدم لضيوفهِ الماء البارد الذي يشربهُ كل يوم . وقد تناقلت الجرائد هذا الخبر مبدية اعجابها بشجاعة المستر بريان الادبية التي جرأتهُ على مخالفة عادة من سبقهُ في مركزهِ وعادة جميع الوزراء في العالم انتصاراً لمبدإٍ جليل . وقد كان لما فعلهُ احسن تأثير في طول البلاد وعرضها وامتنع كثيرون عن تقديم الخمور في مآدبهم اقتداء بهِ . وقد اطلقت بعض الجرائد الهزلية على حكومتهِ اسم حكومة الماء البارد ولكن العقلاء لم يحفلوا بقولها

وفي الربيع الماضي اصدر ناظر بحرية الولايات المتحدة امراً يمنع شرب المسكرات في جميع الاساطيل وفي الثكنات التي تسكنها البحارة على البر . فاعترض بعض الضباط على ذلك بدعوى انهم يضطرون احياناً الى تقديم المشروبات الروحية لضباط الاساطيل الاجنبية اذا زاروهم غير ان ذلك لم يثنِ ناظر البحرية عن رأيهِ وقد بُدئ بتنفيذ امرهِ هذا في اول يوليو من هذا العام

ومن اغرب ما ورد في الجرائد الاميركية في الآونة الاخيرة ان ثلثي المسجونين في سجن بنسلفانيا العمومي في فيلادلفيا ويبلغون الفاً وقَّعوا على عريضة رفعوها الى مجلس ولاية بنسلفانيا التشريعي يطلبون فيها سن قانون يمنع بيع المسكرات في انحاء الولاية محافظةً على الامن العام لان اغلب الجرائم ناتجة عن تعاطي المسكرات . وقد جاء في هذه العريضة ما نصهُ : —

« يتشرف مقدموهُ وهم اغلب المسجونين في سجن بنسلفانيا العمومي بأن يعرضوا ما يأتي : —

« ان سبعين في المئة من الجرائم التي ارتكبت في هذه الولاية نتيجة تعاطي الاشربة الروحية القوية كما نعلم بالاختبار الشخصي . ولما كنا متأكدين ان منع بيع المسكرات في هذه الولايات سينقص عدد الجرائم الى النصف جئنا نلتمس النظر في سن قانون يمنع بيعها » . وقد كان لهذه العريضة تأثير عظيم لان مقدميها ممن اختبروا فعل المسكرات بانفسهم

من الطف النوادر التي حدثت في محاربة المسكرات ان اهالي احدى المدن الاميركية اجتمعوا مرة للبحث في مسألة اقفال المحلات التي تبيع المسكرات في مدينتهم فخطب فيهم قادة القائلين بالاعتدال حاضّين على اقفال هذه المحلات ثم خطب الفريق الآخر واشار

بتركها مفتوحة · وكان لخطباء الفريق الثاني تأثير عظيم في السامعين حتى ظن الحاضرون ان الغلبة لهم · ولكن ارتفع صوت امرأة من بين الجمع تغني اغنية انكليزية مشهورة اولها ما معناهُ (اين ابني الضال الليلة) وهي اغنية والدة تتحسر على ولدها الذي ربتهُ ساهرةً عليهِ نهاراً وليلاً ثم مال الى العشرة الرديئة فضلَّ متبعاً طريق الغواية ولكنها بقيت محبةً مستعدة لان تنسى كل سيئاتهِ اذا رجع اليها · ولم تكد تلك الامرأة تغني دورين او ثلاثة من ادوار الاغنية حتى اشترك معها الجمهور في الغناء ودارت الدائرة على اصحاب محلات المسكر الذين كانوا سبباً في ضلال كثيرين مثل هذا الشاب وصدر امر محافظ المدينة باقفال محلاتهم

وقد اشتركت شعوب اوربا في اثارة الحرب على المسكرات ومن اول القائمين بهذه الحرب المانيا وقد بدأت بذلك منذ سنة ١٨٦٦ حين نشر الاستاذ فون بونج كتابهُ «مسألة المسكر» الذي اشتهر بعد ذلك كثيراً · وعقب ذلك عقد مؤتمرات عديدة لمقاومة المسكر وتنظيم الجمعيات في الممالك المختلفة لهذه الغاية · وكانت نتيجة انعقاد مؤتمر ستوكهلم سنة ١٩٠٧ ان تشكلت لجنة دولية لمقاومة المسكر تقيم في لوزان بسويسرا وعين الدكتور روبرت هركور رئيساً لها وهو مشهور بمقدرتهِ الادارية واقدامهِ وهذه اللجنة تعمل على نشر المقالات في الجرائد على اختلاف لغاتها عن المسكرات وعن نتيجة السعي في مقاومتها في الممالك المختلفة وعلى اصدار مجلة شهرية في هذا الموضوع

اما في المانيا فقد اشترك في هذه الحركة المباركة جميع الطبقات من الامبراطور الى الفقر اشتراكي والجميع يطلبون منع بيع المسكرات منعاً تاماً لا الاعتدال في استعمالها · وقد نشرت حكومة الامبراطورية احصائيات عن تأثير المسكرات في الشعب ومن جملة ما جاء فيها ان من يشرب المسكرات يكون عرضة للمرض اكثر ممن لا يشربها بمرتين ونصف مرة وان مدة مرضهِ تكون اطول · وقد عزموا على تعويد الاولاد الامتناع عن المسكر امتناعاً تاماً

سمعت احد الضباط الالمان يروي عن نفسهِ انهُ كان مرة في احدى الولائم الرسمية في فرقتهِ فلما شرب الضباط نخب الامبراطور رفع كأسهُ الى فمهِ وكان فيها ماء فقط · فلما رآهُ قائد الفرقة وبخهُ وشكاهُ الى ديوان عموم الجيش فاتى الرد بعد بضعة ايام بان الامبراطور صرح لجميع الضباط بشرب نخبهِ اما ماء او لبناً او خمراً . وقد زار هذا الضابط بعد هذه الحادثة بمدة قصيرة احدى فرق الجيش الالماني التي كانت مشهورة بشرب المسكر فعلم من اولي الامر فيها ان تعاطي المسكرات بين افرادها قلَّ كثيراً

وقد امتدت هذه الحركة الى ايطاليا ايضاً فان حكومتها سنت قانوناً سنة ١٩١٣ يمنع اعطاء رخص جديدة لبيع المسكرات الا بعد مصادقة المجالس البلدية وموافقة المحافظين وان ينشأ في كل مقاطعة قومسيون للبحث في تأثير استعمال المسكرات ولمنع بيعها للاولاد وللذين في حالة السكر · ومن البلاد التي حاربت المسكرات الدنمارك و نروج واسوج وفنلندا واقسام بولونيا الثلاثة (اي الروسية والنمساوية والبروسيانية) وروسيا وقد الغى قيصرها مؤخراً احتكار احد انواع المسكرات وكانت الحكومة تربح منهُ بضعة ملايين من الجنيهات سنوياً

وقد نقصت تجارة المسكرات كثيراً في انكلترا ونقصت كذلك حوادث السكر · ولا تزال الحرب قائمة فيها ضد هذه التجارة ولولا نفوذ اصحاب معامل المسكرات لكانت النتيجة افضل كثيراً

والحركة في النمسا وسويسرا واسبانيا ليست باقل مما هي في سائر الممالك · هذا و يستغرب القارئ من سريان هذه الحركة حتى في البلاد المشهورة بصناعة الخمور على انواعها كفرنسا وايطاليا واسبانيا التي تجارة الخمر فيها من اهم اسباب الدخل وكالمانيا التي لا يزاحمها في صناعة البيرا مزاحم · فقد رأت هذه الشعوب وحكوماتها ان ضرر المسكرات بلغ درجة لا يصح السكوت عنها وان ما يصرف عليها سنوياً اكثر كثيراً مما يصرف على الجيوش والاساطيل وغيرها من سبل الانفاق في حين انهُ لا فائدة منها على الاطلاق كما اثبت العلماء بالبرهان القاطع ناهيك عن ضررها الذي يفوق كل خسارة مالية · وقد قررت بعض شركات التأمين على الحياة تخفيض عشرة في المائة من الاقساط السنوية لمن كان ممتنعاً تمام الامتناع عن شرب المسكرات وكذلك قرر كثير من الشركات التجارية والصناعية في اميركا عدم استخدام من يشرب المسكر او عدم ترقيتهِ

اما في القطر المصري فتجارة المسكرات في ازدياد ولم نسمع ان الحكومة اهتمت بمحاربتها مع ان شرب المسكرات في البلدان الحارة اضرّ كثيراً من شربها في البلاد الباردة · سر اينما شئت في انحاء القطر المصري تجد محلات بيع الاشربة الروحية منتشرة اما جهراً او سرًّا · كنت مرة في احدى قرى الوجه البحري البعيدة عن العمران وعن السكك الحديدية بعداً شاسعاً فاخبرني احد اهاليها ان بدّالاً روميًّا اتى تلك القرية واشترك معهُ في دكان بدال وكان رأسمالها خمسة وثلاثين جنيهاً فلم تمضِ بضعة ايام حتى خسرا نحو عشرة جنيهات فبقي معهما خمسة وعشرون جنيهاً · غير ان هذه الخسارة لم تكن لتثبط عزيمتهما فان ربحهما في آخر الستة الاشهر الاولى بلغ نحو خمسة واربعين جنيهاً لان الرومي عمد الى

جلب المسكرات في البراميل وافراغها في زجاجات يملأ ثلثيها ماء عكراً من الترعة و يبيعها للفلاحين باثمان فادحة . وسمعت مدير احدى المديريات الكبيرة يقول انهُ كان يحقق قضية سطو فرأى عند المتهمين صناديق مملوءة زجاجات وسكي لان اللصوص اعتادوا شرب الوسكي لتثور فيهم روح الشجاعة والحمية . ولا تسأل احداً من الذين يجولون في الارياف الاّ ويخبرك عن انتشار المسكرات بين اهاليها رجالاً ونساء ناهيك عن انتشارها في المدن والبنادر انتشاراً مخيفاً ينذر بسوء العاقبة اذا لم تتدارك الحكومة الامر قبل استفحالهِ وتأمر باقفال هذه المحلات ومطاردة اصحابها حتى لا تقوم لهم قائمة . وفتك المسكرات ليس باقل من فتك الحشيش فلاعذر للحكومة اذا لم تهتم بمقاومتها وتجعل تدريس اضرار المسكرات في مدارسها الزامياً لكي تشب الناشئة الجديدة على بغضها كاره للمسكرات

الحياة

(تابع ما قبلهُ)

٦ — كيمياء الحي الاول

ان ابسط المركبات الآلية هي المركبات الكربوهيدراتية اي التي تتركب من الكربون والهيدروجين والاكسجين ومنها النشا والسكر . ويمكن عمل بعض انواع الكربوهيدرات كالفورم الدهيد مثلاً من غاز الحامض الكربونيك والماء بفعل القوة الكهربائية . وقد اثبت فنتون انهُ يمكن عمل الفورم الدهيد ايضاً بفعل المغنيسيوم بالحامض الكربونيك الممتزج بالماء . وليس ما ينافي نشوء المواد الكربوهيدراتية في قديم الزمان نشوءاً طبيعياً على نحو ما تقدم بفعل الكهربائية او بفعل نور الشمس

ومن المواد الكربوهيدراتية والنتروجين نشأت الحوامض الامينية وهذه الحوامض هي اساس المواد الزلالية التي نشأ منها الحي الاول . ويمكن عمل هذه الحوامض كيماوياً ولكنها تنشأ عادة بالعوامل الحيوية ولذلك تعد من المواد الآلية . ودقائقها قليلة التراكيب ولكنها كثيراً ما يتركب منها دقائق كثيرة التراكيب تكون منها المواد الزلالية التي هي مادة البروتوبلاسما الاساسية

ويرى بعض العلماء ان الكربوهيدرات الاول كان نتيجة عمل بركاني لان البراكين تقذف عند هيجانها كثيراً من الحامض الكربونيك الكثيف ومن بخار الماء . ولكن يمكن

تكوّنهُ يبطء في محاول مخفف من غاز الحامض الكربونيك في احوال طبيعية عادية · ومن المؤكد ان الحياة لا يمكن ان تكون قد نشأت على الارض قبل ان هبطت حرارتها الى ما بين الدرجة ١٤٠ والدرجة ١٦٠ بمقياس فرنهيت لان بعض المواد الآلية تتجمّد اذا ارتفعت حرارتها عن ذلك فتصير غير صالحة للامتصاص والتفاعل الكيماوي الى غير ذلك من الافعال الضرورية للحياة

فدرجة الحرارة على شواطئ البحار وفي البحيرات والينابيع الحارة كانت اكثر من حرارة فوهات البراكين موافقةً لنشوء المواد الآلية · زد على ذلك ان المياه الراكدة هي افضل بيئة لرقي المواد الآلية · ولا ريب في ان تحوّل الحوامض الامينية الى مواد زلالية كان بطيئاً جدًّا · وهب ان الكربوهيدرات تكوّن في البراكين فان تحولهُ الى مواد زلالية لم يكن هناك · بل الارجح ان المادة الزلالية الاولى تنوعت مركباتها في مجتمعات المياه الراكدة حيث تكثر المواد الكربونية والاملاح المعدنية التي تساعد على ذلك وحيث يتم التفاعل بنور الشمس لا بفعل الكهرباء · وفي المياه الراكدة والاوحال توجد المركبات الكيماوية الضرورية للحياة وهي الغازات ومركبات الكبريت والفصفور والصوديوم والبوتاسيوم والجير والمغنيسيوم وكلها تذوب في الماء

والراجح ان المقادير الصغيرة من الاملاح المعدنية التي تمتصها المادة الزلالية كانت العامل الذي اكسب المادة الزلالية قوتها الحيوية · ويرجح ايضاً ان كتل مركبات الكربوهيدرات الهلامية كانت تنمو وتنقسم بطريقة شبه ميكانيكية الى ان تكون حولها بفقد الماء من ظاهرها قشرة صلبة حالت دون هذا الانقسام · على ان هذه القشرة مهما صلبت لا تمنع كتلة المادة الزلالية من الانقسام بفعل عامل يحتوي على مادة فصفورية

والخلية الحية تنقسم بفعل نواتها والفصفور اهم العناصر التي تتركب منها النواة · والخلايا الخالية من الفصفور تحيا ولكنها لا تنقسم اي لا تتوالد

والفصفور موجود في فصفات الجير في بعض الصخور وليس ما يمنع اشتقاق الحامض الفصفوريك منهُ وانحلالهُ في الماء فتمتصهُ الكتل الزلالية ويكون العامل على انقسامها وتوالدها وتحركها

ان سر نشوء الحياة هو سر نشوء العامل الذي اكسب المواد الزلالية القوة الحيوية والى الآن لم يعثر على آثار جيولوجية تدل على طبيعتهِ كما عثر على آثار بعض الاحياء القديمة البائدة · ويستبعد كثيراً العثور على آثار جيولوجية للحي الاول لان قوامهُ كان رخواً لا يمكن ان يترك

اثراً زد على ذلك ان العصر الذي عاش فيهِ سبق العصور التي وصلتنا آثارها بمدات طويلة

فالجيولوجيا اذن لا تفيد شيئًا في معرفة قدم الحياة ولا بد في ذلك من الالتجاء الى علمي الفلسفة الطبيعية والكيمياء لمعرفة العصر الذي اصبحت فيهِ الارض صالحة للحياة

٧ — تعدُّد الحياة وتجددها

بعد فراغ القارئ من هذا البحث لا بد ان تمر في خاطرهِ الاسئلة التالية : —

اولاً هل نشأت الحياة على الارض في مكان واحد او في امكنة متعددة في وقت واحد

ثانيًا اذا كانت قد نشأت في اماكن متعددة فهل كانت الاحياء في اوائل عهدها متشابهة الطبائع او مختلفتها

ثالثًا نرى ان الاحياء تتفرَّع من الاصل الاول الى فرعين كبيرين يختلفان اختلافًا جوهريًا في اسلوب معيشتها وهما الحيوان والنبات فما سر تفرُّع الحي الاول الى فرعين فقط لا ثالث لهما

رابعًا الا تزال الحياة تنشأ على الارض في العصر الحاضر ام قد وقف نشوء الاحياء الجديدة بعد نشوء الحي الاول وتفرعهِ ورقي فرعيهِ

يرجح ان سطح الارض كان لاول عهد صلاحيتهِ للحياة مشتملاً على بيئات متعدّدة نشأت فيها الاحياء الاولى اذ ليس ما يمنع ان تنشأ الحياة على شاطىء الاوقيانوس الغربي كما تنشأ على شاطئهِ الشرقي ولاسيما اذا كانا في منطقة واحدة . وحينما توجد العناصر اللازمة للحياة والاحوال الطبيعية الملائمة لها يوجد طبعًا الهلام الذي تنشأ منهُ الحياة . وهذه العناصر كانت موجودة في معظم بقاع الارض وتلك الاحوال متعددة فالراجح اذن ان الاحياء الاولى نشأت في بيئات متعددة وعصور متقاربة

ولما كانت البيئات تختلف بعضها عن بعض اختلافًا طبيعيًا ولو زهيداً كان لا بد من ان تختلف الاحياء الاولى اختلافًا عرضيًا مع تشابهها في الامور الجوهرية . اما الامور التي تتشابهُ فيها فهي : —

اولاً العناصر والمركبات البسيطة التي تتكوَّن منها

ثانيًا وجود العامل الذي يكسبها حيويتها

ثالثًا ادخار القوة وصرفها

رابعًا نموها وتوالدها بالانقسام

واما الامور العرضية التي تختلف فيها فهي : —

اولاً مركباتها الكيماوية العليا

ثانياً نوع العامل الذي أكسبها الحيوية

ثالثاً كيفية توالدها بالانقسام

رابعاً سرعة رقيها

ويستدل على ذلك مما هو معلوم من الفروق بين الاحياء الدنيا ذات الخلية الواحدة

ولما كانت الاحياء الاولى وما نشأ منها متفاوتة الرقي لتفاوت بيئاتها في الصلاحية كان لا بد من مرافقة سنة تنازع البقاء لسنة الارتقاء · ولهذا قلَّ التنوُّع بين الاحياء ولم يتفرع الاَّ نوعان هما الحيوان والنبات لان بقاء الواحد لا يقتضي فناء الآخر بل ان احدهما وهو النبات لازم لحياة الآخر وهو الحيوان فانهُ يهيئ من المركبات البسيطة ومن العناصر المعدنية غذاء للثاني والثاني يفرز الحامض الكربونيك الذي هو من لوازم الغذاء للاول · ولولا تبادل المنفعة بين النوعين لانقرض اولهما قبل ان يخطو خطوة في درجة رقيهِ ولكان التفرُّع مقتصراً على ما رقي من الحي الاول

اما ان الحياة لا تزال تنشأ على الارض فليس ما ينافيهِ الاَّ اعتبار واحد وهو ان الاحياء التي نشأت من الحي الاول لم تدع فرصة لنشوء حياة جديدة اذ كلما تكون من العناصر الكربوهيدراتية هلام التهمتهُ الاحياء الموجودة ولم تمهلهُ الى ان يتحوَّل الى حي· وما دام هناك حيٌّ بسيط وحيٌّ راقٍ فلا بد من التهام الارقى للادنى جرياً على سنة التنازع

ولكن وجود الاحياء الدنيا حتى في هذا الزمن الذي بلغ رقي الاحياء فيهِ الى الانسان يدل على احد امرين او على كليهما معاً : — الاول انهُ لا يستبعد ان بعض هذه الاحياء الدنيا نشأ في بيئات خفية لا تبلغ اليها الاحياء الراقية لتنازعها بقاءها فارتقت قليلاً الى ان اصبحت تستطيع ان تنزل الى حلبة التنازع وتدافع عن نفسها وتحفظ كيانها · والاَّ فاذا كانت هذه الاحياء الدنيا من جملة فروع الحي الاول فما هو سر تأخرها في الرقي مع مرور مئات الالوف من السنين عليها : — والثاني ان هذه الاحياء التي نعدها دنيئة انما هي دنيئة من حيث تركيبها الكيماوي وشكل حيويتها ولكنها راقية من حيث تنازع البقاء فان جانباً كبيراً منها ينازع ارقى الاحياء بقاءهُ ويتغلَّب عليهِ كما تفعل الميكروبات الوبائية بالانسان والحيوان· فهذه الاحياء الدنيا يحتمل ان تكون متسلسلة من الحي الاول القديم او من الاحياء الاولى المتجددة في كل زمان ومكان على ممر الازمان ويحتمل ان يكون بعضها من النوع الاول وبعضها الآخر من النوع الثاني

نقولا الحداد

الجيوش وآلات الحرب

يقسم الجيش المحارب الى ثلاثة اقسام رئيسية وهي الفرسان والمدفعية والمشاة. ويضاف اليها رجال الهندسة والتسهيلات ونحوهم وهؤلاء كلهم لازمون للجيش ولكن العبرة بالاقسام الثلاثة الاولى

اما الفرسان فالغرض الاول منهم معرفة اماكن العدو ولذلك يرسلون امام الجيش للاستطلاع. والغالب انهم يلتقون بالعدو ويناوشونهُ. ويجب ان يكونوا على تمام الاهبة مدة اشتغال المدفعية والمشاة بالحرب لكي يساعدوا من يحتاج الى المساعدة منهم فوق عملهم الاول الذي هو الاستطلاع او الكشف

ويسلَّح الفرسان بسيف او بندقية او بهما كليهما وقد يسلحون بالرماح ويسمون باسماء مختلفة حسب فرقهم فعند الالمان الهسّار والأُهلان والدراغون. وعند الروس القزاق والدراغون والهسار. وعند الفرنسويين الكويراسيه والهسار والدراغون. وعند الانكليز الهسار واللنسر. وعند النمسويين الدراغون والأُهلان. ويطلب من كل فارس ان يتمرَّن على ركب الخيل حتى يبقى على ظهر جواده زماناً طويلاً من غير ان يتعب او يمل

والمدفعية تتلو المشاة في الاهمية وعلى تفوُّقها يتوقف النصر في الحروب الحديثة ولذلك تنفق الممالك نفقات طائلة على مدافعها. والتفوُّق في صنع مدافع الميدان للفرنسويين والالمان ويقال ان المدافع الفرنسوية تفضل الالمانية من وجوه كثيرة كما سيجيء

والغرض من مدافع الميدان مساعدة المشاة على التقدم والتأخر فيوجّه المدفعية همهم الى الفتك بما يحسبونهُ خطراً على مشاتهم ويفعل خصومهم فعلهم ولذلك يبتدئون باطلاق المدافع. ويهتم المدفعية من الجانبين بان يفتك كل فريق منهم بالآخر فيطلق مدافعهُ على مدفعية خصمهِ والفريق الذي يتغلَّب على الآخر ويسكت مدافعهُ يهيئ السبيل لفوز مشاتهِ. ولذلك لا يفلح المشاة من جيش في هجومهم على جيش آخر الا بعد ما تسكت مدافعهُ. ومتى هجم المشاة تبقى مدافعهم تطلق قنابلها على العدو من فوق رؤُوسهم. ويجب ان يكون المدفعية قادرين على نقل مدافعهم من مكان الى آخر بسرعة فائقة حتى يتمكنوا من استعمالها استعمالاً يفيد مشاتهم

والغالب ان تكون هذه المدافع في فرق او بطريات في كل بطرية منها اربعة مدافع الى ثمانية بما يلزم لها من المركبات والبارود والقنابل

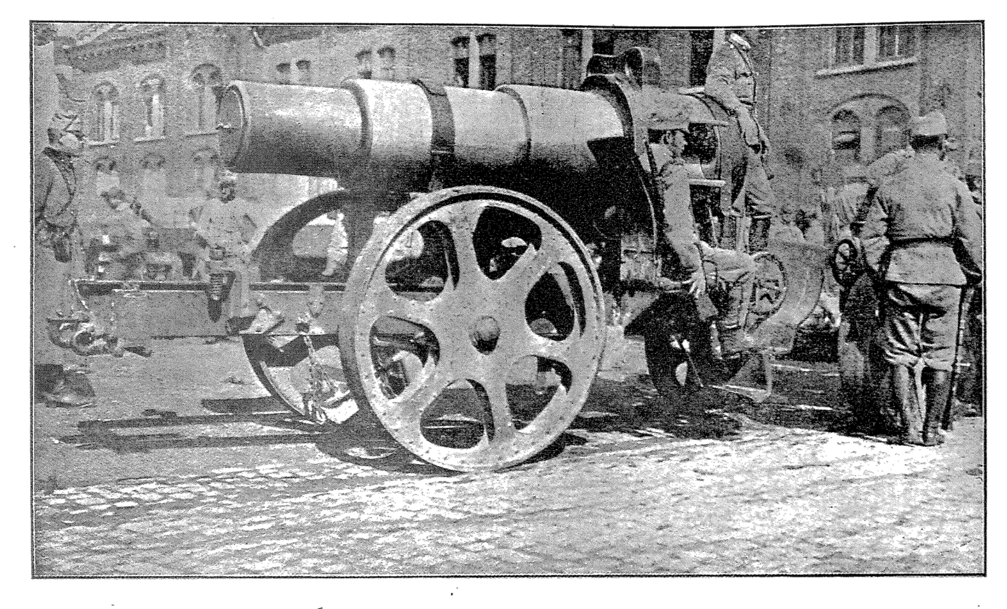
ولما كان الغرض الاول من المدافع اسكات مدافع العدو اما باتلافها او بقتل رجالها

بُذلت العناية في إبعاد مرماها لكي تصيب مدافع العدو عن بُعْد شاسع و بذلت الهمة في جعلها خفيفة ما امكن حتى يسهل نقلها من مكان الى آخر بسرعة وتركيبها ثانيةً ولذلك كانت كل مدافع الميدان صغيرة قطر فوهة المدفع منها نحو ثلاث بوصات اي نحو ثمانية سنتمترات او هو يتراوح باختلاف البلدان بين سبعة سنتمترات وثمانية · وقد ذكرنا في الجدول التالي اقطار مدافع الميدان عند الدول المختلفة وسائر ما يتعلق بها

	انكلترا	فرنسا	روسيا	بلجكا	المانيا	النمسا	ايطاليا
قطر الفوهة بالبوصة	٣٫٣	٢٫٩٥	٢٫٩٥	٢٫٩٥	٣٫٠٣	٣	٢٫٩٥
وزن القنبلة (ارطالاً)	١٨	١٥٫٩	١٤٫٣	١٤٫٣	١٥٫١	١٤٫٧	١٤٫٣
كم يطلق المدفع في الدقيقة	٢٩	٢٠	٢٠	٣٠	٢٠	٢٥	٣٠
سرعة قنبلتهِ اقداماً في الثانية	١٦٠٠	١٧٤٠	١٩٤٥	١٦٢٠	١٥٠٠	١٦٢٠	١٦٧٥
مداهُ الفعال اقداماً	١٨٩٠٠	١٨٠٠٠	١٨٠٠٠	١٨٠٠٠	١٦٥٠٠	٢٠١٠٠	١٩٨٠٠
ثقله وثقل مركبتهِ ارطالاً	٣٦٩٠	٢٥٠٠	٣٣٠٠	٣٣٠٠	٢٠٨٠	٢٣٥٠	٢٢٠٠
عدد المدافع في البطرية	٦	٤	٨	٦	٦	٦	٤

والمدافع الفرنسوية (مدافع الميدان) اثقل من الالمانية وقنابلها اثقل ايضاً من قنابل المدافع الالمانية وسرعتها اشد · ومعلوم ان فعل المقذوفات يتوقف على ثقلها مضروباً في مربع سرعتها ولذلك ففعل المدافع الفرنسوية اشد جداً من فعل المدافع الالمانية ولاسيما اذا اطلقت عن بعد وافتك جداً اذا كانت قنابلها من النوع الرشاش ولكن نقل المدافع الفرنسوية من مكان الى آخر اصعب من نقل المدافع الالمانية · والمدى المذكور هنا هو المدى الفعَّال الذي تصل اليهِ القنبلة اذا كانت زاوية ارتفاع المدفع ١٥ درجة فقط . فاذا زادت الزاوية حتى بلغت ٤٥ درجة زاد المدى بعداً حتى بلغ اقصاهُ وهو حينئذٍ نحو ٣٠٠٠٠ قدم ولكن القنابل التي تصل الى هذا البعد تكون قليلة الفعل ولذلك لا ترفع المدافع الى هذه الزاوية الاَّ اذا أُريد دام اطلاقها على طيارة او بلون

وتصفّ المدافع وقت الحرب ومع كل مدفع منها صندوق مملوء بالذخيرة اي القنابل والبارود وتنصب البطرية كلها وراء حاجز يخفيها عن عين العدو فلا يرى المدفعية غالباً الغرض الذي يسددون مدافعهم اليهِ ولكن يكون معهم رئيس يقيم على رابية او في شجرة حتى يرى الغرض ومع المدفع آلة لها دليل يرفع او يخفض حتى اذا اتبعهُ المدفع في ارتفاعهِ او انخفاضهِ اصابت قنبلتهُ الغرض · والالمان يصلون الى رفع الدليل او خفضهِ بقياس المسافة



مدفع من مدافع الهاوون الالمانية التي تطلق قنابلها الكبيرة على الحصون المنيعة فتدكها دكاً

المقتطف صفحة ٤٣٥ مجلد ٤٥

والزاوية بآلة معدة لذلك فيصل اول طلق من مدافعهم الى الغرض المطلوب واما الفرنسويون فيقدرون الارتفاع تقديراً ويطلقون اول قنبلة بناء على هذا التقدير ثم يطلقون غيرها الى ان يصلوا الى الارتفاع المطلوب . وتعرف المسافة عندهم بآلة لا يزيد خطأها على ٦٠٠ قدم ما دام البعد ١٥٠٠٠ او ١٦٠٠٠ قدم

وقد اهتمت الدول حديثاً باضافة مدافع الحصار الكبيرة الى مدافع الميدان وهي من نوع الهوتزر او الهاوون والغرض منها اطلاق قنابل ثقيلة جداً على ابعاد شاسعة ولوكانت سرعتها قليلة . فاذا كان العدو واقفاً وراء المتاريس بعيداً عن خصمهِ واطلقت عليهِ القنابل من مدافع افقية مرّت من فوق رأسهِ او اصابت المتاريس فلا تضر كما لو أُطلقت من مدافع الحصار التي ترفع على زاوية كبيرة فتعلو قنابلها في الجو ثم تنزل وتقع في وسط الجيش وراء المتاريس . فاذا كان بعد الجيش ٩٠٠٠ قدم فالمدافع الفرنسوية التي ترفع الى ٧ درجات فقط تمرُّ من فوق المتاريس وتتخطى الجيش ولكن مدفع الهوتزر الذي قطر فوهتهِ ١٢ سنتمتراً يمكن ان تطلق منهُ قنبلة قليلة السرعة فتعلو وتقع على بعد ٩٠٠٠ قدم اي تقع على الجيش الواقف وراء المتاريس . ويمكن استعمال هذه المدافع ايضاً لايصال قنابلها الى مكان بعيد فتمنع العدو من الدنو بمدافعهِ

واستعمل الالمان في هذهِ الحرب مدافع حصار كبيرة جداً لدك حصون لياج ونامور المصفحة بالحديد قطر فوهة المدفع منها نحو عشر بوصات الى ١١ بوصة لكن هذهِ المدافع لا تستعمل الأَّ لدك الحصون لصعوبة نقلها وقلة فتكها بالجنود

ومدافع الميدان سريعة الاطلاق فقد تطلق البطرية منها ٢٩٠٠ طلق الى ٣٣٠٠ طلق في اليوم كما حدث في حرب الروس واليابان . واكثر مقذوفاتها من قنابل شربنل اي القنابل الرشاشة فان في القنبلة منها نحو ٢٥٠ رصاصة فتنفجر فوق رؤُوس الاعداء وترشهم بالرصاص رشًّا وقد تقتل كل رصاصة رجلاً اذا اصابتهُ

ومهما يكن فعل المدافع كبيراً في الحروب فالفوز فيها يتوقف اكثرهُ على المشاة لا على غيرهم فقد يبتدئ الفرسان بالقتال ويتمكن المدفعية من اسكات مدافع خصومهم ولكن لا يتم الفوز لجيش الاَّ اذا فاز مشاتهُ ودحروا مشاة خصمهِ

ويسلَّح كل جندي من المشاة ببندقية وحربة (سنكة) والاعتماد على البندقية فلا تستعمل الحربة الاَّ اذا التحم الجيشان وتماسكا يتطاعنان بالحراب

والبنادق تختلف بعض الاختلاف في ثقلها وقطرها ومداها وشكل رصاصها وعدد ما

في خزنتها من الخرطوش الخ كما ترى في الجدول التالي

	انكلترا	فرنسا	روسيا	بلجكا	المانيا	النمسا	ايطاليا
عدد الخرطوش في الخزنة	١٠	٨	٥	٥	٥	٥	٦
قطر فوهة البندقية بالبوصة	٣٠٣و٠	٣١٥و٠	٣٠٠و٠	٣٠١و٠	٣١١و٠	٣١٥و٠	٢٥٦و٠
مداها الفعال بالقدم	٦٣٠٠	٦٥٦١	٤٢٨٨	٦٥٦١	٦٥٦١	٦٢٩٦	٦٥٦١
شكل رأس الرصاصة	مستدير	مرأس	مستدير	مستدير	مرأس	مستدير	مستدير
ثقلها قمحات	٢١٥	١٩٨	٢١٤	٢١٩	١٥٥	٢٤٤	١٦٣
سرعتها عند انطلاقها في الثانية	٢٠٦٠	٢٣٨٠	١٩٨٥	٢٠٣٤	٢٨٨٣	٢٠٣٤	٢٣٩٥
مداها القتال اقداماً	١٩٣٠	١٩٣٠	١٨٦٠	١٩٣٠	١٨٣٠	١٩٥٠	٢٣٥٠

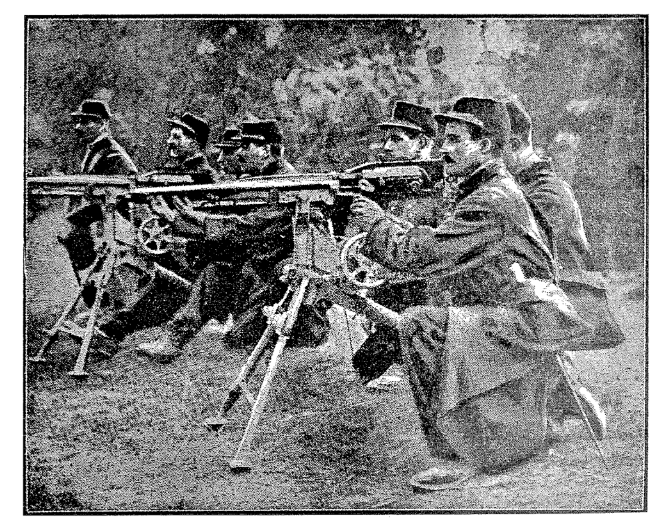
ويراد بمرماها القتال انهُ اذا أُطلقت بندقية وهي على قدم فوق الارض مسدَّدة الى وسط غرض ارتفاعهُ مثل قامة الانسان او نحو ٦٨ بوصة وكان في المرمى القتال جندي من المشاة فالرصاصة تصيبهُ حتماً واما اذا كان واقفاً وراء هذا المرمى فالرصاصة تمر فوق رأسهِ ولذلك يزيد فتك البنادق بزيادة طول مرماها القتال

وقد استعملت المانيا وفرنسا الرصاص المحدد الرأس منذ ١٩٠٦ لان دقة راسهِ تقلّل مقاومة الهواء لهُ فيطول مداهُ · واذا زيدت السرعة زاد مرمى الخطر ولو بقيت سائر الشروط على حالها

وقد اهتمت الدول كلها بجعل بنادقها تطرح الخرطوش الذي اطلق وتدفع خرطوشاً جديداً بدلاً منهُ الى قصبة البندقية حتى تزيد سرعة اطلاقها ولكنها لم تفلح تماماً حتى الآن

ويكون مع كل الاي من المشاة مدفعان او اربعة من المدافع الكثيرة الطلقات وهي في الحقيقة بنادق تحشى وتطلق بآلة ميكانيكية في خزنتها يأتيها الخرطوش من علب او مناطق في كل منها من ٣٠ خرطوشاً الى ٢٥٠ واشهر هذهِ المدافع المدفع الفرنسوي المسمَّى هتشكس والانكليزي المسمَّى فكرس والمدفع منها يطلق من ٤٠٠ رصاصة الى ٥٠٠ في الدقيقة من الزمان وينتقل من مكان الى آخر على مركبة صغيرة او على ظهر بغل او فرس · ومتى نصب في مكان مناسب صبَّ وابلاً من الرصاص على العدو

وقد دخل في الحروب الآن عاملان آخران وهما الطيارة والبلون والغرض منهما استطلاع مواقف العدو وطرح القذائف عليهِ · ويقاومان بطيارة مسلحة وبلون مسلح يحار بانهما في الجو وبنادق ومدافع تطلق عليها الرصاص والقنابل وقد استعمل ذلك كلهُ في الحرب الناشبة الآن



صورة من رجال المدفعية الفرنسويين يطلقون المدافع السريعة الاطلاق في ساحة الحرب

الوراثة

(تابع ما قبله)

ومن الطبيعي ان نجتنب التعميم والاجمال . فلا يحسن ان نبحث في اصل الحيوانات الحاريَّة والنباتات التي بزورها ذات فلقتين ونحن لا نعرف كيف نشأ من البريمولا أبكونكا اشكال كثيرة في خمس وعشرين سنة وهي بمرأى منا . وقد اثرت معرفتنا بالوراثة في ما نعتقده من امر التباين حتى صار كثيرون من العلماء ينكرون وقوعه بالمعنى القديم الذي كنا نفهمه من كلمة تباين

من القضايا التي تعد مسلّمة ان التباين هو سبب كل تغير في النشوء فهل نشاهد في الطبيعة حولنا وقوع تباينات يسوّغ لنا ان نعتقد حدوث النشوء في هذا العصر. كان اكثرنا الى عهد قريب لا يتردد في الاجابة عن هذا السوءال بالايجاب و يستشهد كما استشهد داروين بكثرة الاختلاف بين افراد النوع الواحد حتى يتعذر معها تحديد النوع . وابلغ من هذا الشاهد كثرة الاشكال في الحيوانات والنباتات الاهلية التي اذا أُعيدت الى المعيشة البرية لم يقوَ نسلها على البقاء مما يبعث على الحكم بانها نشأت وثبتت بانتخاب البشر لها . فهي اذن اشكال نشأت بالتباين وكثير منها متميّز عن غيره تميّزًا تامًّا حتى يجوز ان يعد انواعًا . ولكن هذه الامور اذا امتحنت بمحك التحليل ظهرت بمظهر آخر

فما هي قابلية التباين في الانواع البريّة اي ما هي الحقيقة الطبيعية المعنية بقولنا ان في النوع الواحد تباينات كثيرة . المعنيّ بذلك احد امرين اما ان افراد النوع الواحد المجموعة من مكان واحد تختلف بعضها عن بعض او ان افراد النوع التي يوءتى بها من اماكن مختلفة تختلف بعضها عن بعض . وواضح ان الدليل المباشر على التباين هو الامر الاول اي الاختلاف بين افراد جماعة من الاحياء عائشة في مكان واحد . ودرجات الاختلاف متفاوتة كثيرًا منها ما لا يوءبهُ لهُ ومنها ما يكاد يجعل الاصناف اشكالاً متميزة لولا انها تتوالد سويّة كما يرى في اصناف العث . فقد كان الطبيعيون يظنون انهُ يمكن توليد كل صنف من اصناف العث من اي صنف آخر . فلم يكن يصعب على الطبيعي التصديق ان الزوجين من العث يمكن ان يولّدا اي صنف منهُ . اي انهُ كان مثل من يطالع رواية فانهُ لا يستغرب ان يرى في سياقها اولاد كل نوع من الوالدين يجيئون متصفين باي نوع من الصفات الممكنة في البشر . ولكن البحث في تكوّن الاحياء قد قضى على هذه الاغلاط كلها

ولم يبقَ اقل شك في ان اصناف الاحياء تتسلسل في نظام مخصوص وان كلاًّ منها نتيجة اجتماع اصول موروثة كل منها مستقل عن غيرهِ

اما الاعتقاد بحدوث التباين في العصر الحاضر فوهم · فالتغير من درجة الى اخرى يحصل اما باكتساب اصل او بفقدهِ · ويظهر ان على التغير بفقد الاصول من الشواهد ما يكفي لاثباتهِ اما التغير باكتساب الاصول في العصر الحاضر فلا ارى عليهِ دليلاً كافياً ولكني اقر بوقوع حوادث يمكن تفسيرها باكتساب الاصول · وقد تغير رأينا في التباين فصرنا نراهُ عملاً فسيولوجيًّا محدوداً · ونبذنا الاعتقاد الذي مال اليهِ داروين في اخريات ايامهِ وهو ان الفروق الكبيرة يمكن ان تحصل من تجمع الفروق الصغيرة · فالفروق الصغيرة في الغالب نتيجة الاحوال المعاشية وهي سريعة الزوال لا تنتقل الى النسل · ولكنها اذا كانت ترافق تكوُّن الحي فلا شك في ان لها اصولاً مثل الفروق الكبيرة وما من سبب يسوّغ لنا القول بانها تتجمع فتؤلف فروقاً كبيرة . اما كيف تجيء هذه الاصول او من اين تجيء فلا نعلم لا يقيناً ولا حدساً ولكننا نعلم مما نرى من تأثيرها انها اشياء معيَّنة مثل جراثيم الامراض · ولا نعلم كيف تنشأ ولا كيف يتم اشتراكها في تركيب الحي حتى تصبح عند انشقاق الخلايا كأَنها جزء من الجرثومة

ومما كان شائعاً بين القائلين بالنشوء ان الحيوانات الاهلية نشأَت من اشكال برية · وكان يظن ان اكتشاف هذه الاشكال البرية امر سهل · فكان يُظَن مثلاً ان اصناف الدجاج نشأَت من دجاج الغاب الهندي · هكذا قالوا ولكن جرّب ان تمشّي هذا النشوء في درجاتهِ التي يجب ان يكون قد تمشى فيها فلا تعتّم ان تحقق جهلك · نعم ان من اصناف الدجاج ما يشبهُ دجاج الغاب في اللون كدجاج ليغورنو الاسمر ولكنهُ يخالفهُ في الشكل وفي اعتبارات اخرى · ولنفرض ان صعوبة تغير الشكل زالت لاننا لا نعرف كثيراً عن تكون الاشكال في الاجنَّة ولنفرض ايضاً ان دجاج ليغورنو خسر غريزة الامومة بفقد اصل لم يفقدهُ دجاج الغاب وهذا امر محتمل ولكن ماذا يقال في دجاج ليغورنو الابيض؟ ليس من صعوبة في تصور نشوئهِ حسب الظاهر لانهُ قد شوهد كثيراً نشوء اصناف بيضاء من غيرها · ولكن بياض دجاج ليغورنو ليس مثل البياض الطبيعي الناتج من فقد المادة الملونة بل سببهُ وجود مانع يمنع هذه المادة من الظهور · فمن اين اتى هذا المانع؟ ويمكننا ان نسأَل مثل هذا السؤَال عن الاصناف الاخرى التي تمتاز باعرافها وريشها فهذه يصعب التسليم بانها نشأَت من اشكال اوربية قديمة قد بادت الآن وما من انواع برية تشبهها ولكن

يمكننا ان نفرض ان هذه الانواع البرية كانت موجودة وانقرضت . بل يمكننا ان نقول مثل هذا القول عن كل الحيوانات والنباتات الاهلية اي ان كثيراً من صفاتها المميزة لها مشتق من اصل بري منقرض

وهذه هي النتيجة التي ينتهي اليها كل عالم عصري مدقق ينظر في هذه المواضيع . واذا طلبنا شواهد حديثة على حدوث التغير كان فشلنا اعظم فاصناف الحيوانات الاهلية التي تولدت حديثاً هي نتيجة انتقاء ما تولّد من اصناف اخرى كانت قبلها ومن المزاوجة بينها . واكثر اصناف النباتات الاهلية المستجدة هي نتيجة المزاوجة اي تلقيح شكل من آخر . ولا شك في ذلك على وجه العموم بل اننا نعرف تاريخ حدوث اصناف جديدة بمثل هذا التلقيح في نبات الكسيفون والسحلب والبغونيا وغيرها . اما نشوء صنف جديد من اصل واحد فقليل جدًّا واوضح الامثلة عليهِ الجلبان العطر ويمكنني ان اسمي غيرهُ ايضاً ولكن ببعض التردد . ومن هذه النباتات التي لا اسميها الأَّ بتردد بخور مريم اذ قد جرب تلقيحهُ من غيرهِ منذ بدء بزرعهِ وليس ما يمنع من ان يكون تغيرهُ نتيجة ذلك التلقيح . وكثير من النباتات التي يقال انها تولّدت من اصل واحد لم تصل الينا الأَّ وهي اهلية ولذلك بقي اصلها غامضاً مثل البريمولا الصينية والداليا والتبغ . وكان العلماء سابقاً يسلمون على وجه العموم بان لكل نبات اهلي اصلاً واحداً تولّد منهُ ولكن قد تغيرت الحال الآن واصبح من المقرر ان كثيراً من الحيوانات والنباتات الاهلية مثل الكلاب والخيل والبقر والغنم والدجاج والقمح والشوفان والارز والبرقوق والكرز تولّد كل منها من اشكال مختلفة . والذي دعا الى هذا القول في تولّدهذه الاصناف هو انهُ يمكن تتبع نشوء الفروق التي بينها والرجوع بها بقدر ما ترجع بنا الادلة التي لدينا وان هذه الفروق عظيمة تفوق كل فرق نعرف ان التباين يمكن ان يحدثهُ حتى صرنا نفضل ان نتجاهل ما في تعليل ذلك من الصعوبة ونجعل بدء ظهور هذه الفروق في زمان غابر بعيد لا يتبين منهُ شيء ولا نُسأَل عن معرفة ما وقع فيهِ . وواضح ان ذلك ليس حلاً للمسأَلة بل ارجاءٌ لها فقط . واذا كان يصعب علينا ان نعرف مبدأ شكل من الاشكال الاهلية فقولنا ان تميُّزهُ عن غيرهِ من الاشكال بدأ وهو في الحالة البرية لا يهوّن المسأَلة . الخص اي نوعين من الانواع المستقلة التي تلتقي بعضها مع بعض في انتشارها مثل اللخنس (نبات من الفصيلة القرنفلية) النهاري واللخنس الليلي تجد منها اشكالاً كثيرة متوسطة بين الاثنين وقد كان يظن ان هذه الاشكال تدل على درجات نشوء النوع الواحد من الآخر ولذلك كان يشك في ان كلاًّ من اللخنس الليلي واللخنس النهاري نوع قائم بذاتهِ . ولكن اذا

تحققنا ان هذه الاشكال ليست سوى خلاسيات بين النوعين صار يصعب علينا ان نتصور نشوء احدهما من الآخر . واذا كان كل من النوعين يقوى على البقاء فلماذا باد الاصل الذي تولّدا منهُ ولماذا لا يولّدان مثل سلفهما اذا لقح احدهما من الآخر عوضاً من ان يولّدا خلاسيّات عقيمة بعض العقم . وعندي ان هذا المثل يبيّن مقدار ما كان يقع من الغلط في تفسير الحقائق

ومتى أُدرك المراد بتأصل الشكل او خلوص اصلهِ لم يعد من السهل الاغضاء عن مسألة التباين . فما هو سبب التباين . نعرف طريقة واحدة لحدوث الصفات الجديدة وهي تلقيح صنف من آخر . لقح صنفين مختلفين من البريمولا الصينية مثلاً فترى في نسلها الثاني اشكالاً كثيرة تختلف بعضها عن بعض وعن جديها وجميعها تنتج عن اختلاط صفات الجدين وتركّب بعضها مع بعض . وكثير من هذه الاشكال يمكن تأصيلهُ واذا وجد برّيًا عُدَّ نوعاً مستقلاً وقد قال لوتسي من عهد قريب ان سبب كل التباينات قد يكون تلقُّح الاشكال المختلفة بعضها من بعض حداهُ الى هذا القول كثرة ما رأى من الاشكال في النسل الثاني لشكلين من عشب الذئب لقح احدهما بالآخر وكان قبل ذلك قد وقف عند الصعوبة التي ابنتها لكم . ولا اخفي اني اميل الى رأي لوتسي . وهذا الاقرار الصريح منهُ بصعوبة المسألة بعد ظهور القائلين بالنشوء في مظهر المقتنع المكتفي بما لديهِ لما يدعو الى السرور . واقل ما يتوقع من تأثير قول لوتسي هذا اظهار ما في تنظيم مراتب الحيوان والنبات من الاعتماد على الاساليب الوضعية المخالفة للتحقيق العلمي . واذا لم نبنِ تمييزنا للانواع بعضها عن بعض على تجارب نجريها في تأصيل الاحياء فتمييزنا لها وحسباننا بعضها انواعاً وبعضها اصنافاً ضرب من الحدس والتخمين ولا فرق في ذلك جاءت التجارب بنتائج تجلو الحقيقة ام لم تجئ . والاحياء الوحيدة التي يمكن ان يقال انها من نوع واحد هي الاحياء التي تتولد من اباء متشابهة وتتزاوج معاً وتولّد . واذا اقدمنا على القول بان الصفات الفلانية ثابتة والصفات الاخرى عرضية زائلة نكون قد سرنا في سبيل ليس لهُ سند فسيولوجي نستند اليهِ فهل كان يخطر على بال احد ان التفاح والكمثرى اللذين يتشابهان حتى يكاد يتعذر على النباتي التمييز بينهما يقبلان التلقيح الواحد من الآخر . وان نوعين من عشب الذئب يختلفان كل الاختلاف يتلقحان الواحد من الآخر فيجيء الخلاسي بينهما غير عقيم . ان جوردان كان على حق لما قال ان الاشكال الكثيرة التي رآها وتحقق ان كلاً منها يخلف نسلاً مثلهُ هي مستقلة بعضها عن بعض ولكن العلماء الذين يعينون مراتب الاحياء اجتنبوا مشاق البحث واجملوها انواعاً لينيوسية بلا مسوغ علمي تسهيلاً على الذين يعنون بجمعها ولكي يمكن تنظيمها في جداول

بسيطة وقد يكون لهذه الاعتبارات العملية اهمية كبيرة في تدبير المنابت والمتاحف الطبيعية ولكن لا شأن لها في البحث العلمي في فسيولوجيا التباين . وكل ما يجدهُ من يبحث عمليًا في فسيولوجيا التباين اذا وجه بحثهُ الى شكل من الاشكال التي يقال انها قابلة للتباين هو انواع تلد احياء مشابهة لها وخلاسيات متوسطة بينها . ويتضح لدى البحث ان ما كان يحسب تباينًا هو في الحقيقة نتيجة تجمُّع الاصول وتركب بعضها مع بعض على هيئات مختلفة ضمن ضوابط مقررة . واذا عزل كل من هذه الانواع على حدة ظهر ان صفاتهِ ثابتة . ويحق لنا تجاه نتيجة مثل هذه ان نتساءل مع لوتسي قائلين هل يحدث الآن في الاحياء تباين متولداً لذاتهِ . وجواب لوتسي على هذا السؤال هو النفي . فاذا تعذَّر علينا ان نثبت تغيُّر الاصول باضافة بعض الفواعل اليها وجب علينا ان نعترف ايضاً انهُ يتعذر علينا غالبًا ان نثبت حدوث التغير بواسطة فقدان بعض الفواعل بل ان لوتسي يشك في ان فقدان بعض الفواعل امر واقعي . وليس للتغير في نظرهِ سوى سبب واحد هو التزاوج اي تلقح الانواع بعضها من بعض . ولكنني ارى موقفهُ غير ثبت في هذا الاعتبار الاخير

وهنا ذكر الخطيب امثلة يستدلُّ منها على ان التغير او التباين يحدث احيانًا من فقد بعض الاصول او من انقسامها ثم استطرد الى ما يراهُ في كيفية حدوث التغير فقال

ولا ارى من وجه للشك في ان التباين بفقد الاصول وانقسامها هو ظاهرة من ظواهر الطبيعة في العصر الحاضر ولو اضطررنا الى نبذ القول بوقوع التباين باكتساب الاصول . فلننظر اذن في هل يمكن اظهار عمل النشوء بمظهر تفكيك مركب اصلي كان يحوي كل ما في الاحياء من الصفات المختلفة . ولا ارى ان نبتّ حكمًا في ما هو محتمل وما هو غير محتمل من هذا القبيل اذ ليس الوقت وقت الآراء النظرية في النشوء . ولكن لما كنا نقر بانهُ وقع نشوء وان الاحياء التي نراها نشأت من احياء اقل منها عدداً بطريقة من الطرق كان يجدر بنا ان ننظر في هل نحن مضطرون الى الاخذ بالرأي القديم اي القول بان النشوء سار من البسيط الى المركَّب ام هل يمكن ان يتصور سير النشوء من المركَّب الى البسيط . ومتى عمت معرفة الحقائق التي اكتشفت في علم تكوّن الاحياء بين علماء الحياة ولم تبقَ محصورة في القليلين منهم كما هي محصورة الآن فلا بد من وقوع مجادلات كثيرة طويلة في هذه المسألة واني مقدم ملحوظاتي توطئة لذلك ولا اطلب منكم ان تعتقدوا ان النشوء سار من المركب الى البسيط بل اسألكم فقط ان تنتبهوا الى ان ذلك محتمل وتحلوهُ محلهُ من الاعتبار ولو كان في ذلك بعض العناء اذ تضطرون ان تحولوا افكاركم عن السبل التي اعتادت

ان تسير فيها . يظهر عند اول وهلة انهُ من الحمق ان نحسب ان كتلة البروتوبلاسما او كتلها الاولى كان فيها من كثرة التراكيب ما يمكن ان تنشأ منهُ جميع اشكال الاحياء وانهُ اقرب الى التصور ان نعتقد ان اكتساب القوى باكتساب اضافات من الخارج كان ممكناً . ولكن ما هي طبيعة هذه الاضافات ؟ من الثابت انها لا يمكن ان تكون اضافات مادية . نعم يقول بعض العلماء ان املاح الحديد في التربة تجعل المدرانجيا القرنفلية زرقاء ولكن الحديد لا ينتقل الى النسل اذ كيف يمكن للحديد ان يتكاثر او يتوالد وكل ما يمكن لنسل المدرانجيا ان يرثهُ هو القوة على تمثيل الحديد . ومن مكروبات الامراض ما يقدر ان ينتقل احياناً في الخلايا الجرثومية مثل الببرين الذي يصيب دود القز . وهذا الحي اي الببرين يقدر ان يتوالد و يفعل فعلهُ في النسل الذي ينتقل اليهِ ولكنهُ لا يصير قسماً من الحيوان الذي يعيش فيهِ ولا نقدر ان نتصور انهُ يشترك في اعمال انفصال الاصول وهي منظمة تنظيماً دقيقاً . قد يظهر هذان المثلان ساذجين في جنب هذه المسألة ولكن اي دقة تلتئم مع ما تقتضيهِ مسألة الشيء المكتسب من الخارج وهي انهُ يجب ان يجاري الحي نفسهُ في ان يكون قادراً على التكاثر وعلى الخضوع لنظام انفصال اصول محدد في دقائقهِ ؟ ان ما يكتسب عند التباين يجب ان يكون تغيراً لا في المادة بل في الوضع او الحركة

من المحتمل ان الحي الاول كان صغير الحجم ولكن ذلك يجب ان لا يستوقفنا اذ لا اهمية للحجم في هذه الامور . فشكسبير كان حيناً من الاحيان ذرة من البروتوبلاسما اصغر من رأس الابرة ولم يضف الى هذه الذرة الاَّ ما كان يمكن ان تنمو بهِ ذرة السعدان فتصير سعداناً . فلننظر في زوال ما نسميهِ بالاصول المانعة اي العوامل التي تحكم في القوى والمواهب التي تكون في جبلة الحي او تلبسها غير مظهرها او تمنع ظهورها . يظهر في اشكال الجلبان العطر الحديثة العهد الوان كثيرة فهذه لا شك في انها نشأت من النوع البري ذي اللونين بزوال بعض الاصول تدريجاً . ولكن اذا اتينا نفكر في كثرة اشكال التفاح البستاني واختلافها شكلاً وحجماً وطعماً رأينا من الصعب ان نفرض ان جميع هذه الاشكال مختبئة في التفاح البري . لا اقدر ان اجزم ان اشكال التفاح كلها مختبئة في التفاح البري ولكني اظن ان كل المشتغلين بالتحليل المندلي يوافقونني على ان ذلك محتمل وعلى انهُ يمكننا ان نفرض ان في التفاح البري اصولاً مانعة قد فقدتها الاشكال الزراعية . وكثيراً ما نسمع القول القائل ان الاشجار التي تنمو من بزر التفاح تجيء برية وقد بحثت كثيراً عن صحة ذلك مع زارعي التفاح فلم اهتدِ الى حادثة واحدة راهنة انما اخبرت عن شتلة جاءت برية ولدى

البحث وجدت ان لا اساس للخبر . ولي ثقة ان المواهب الفنية في البشر سيظهر ان سببها ليس شيئاً يضاف الى ما يتألف منهُ الانسان عادةً بل عدم وجود اصول تكون في الانسان وتمنع ظهور هذه المواهب . ويجب ان ينتفي كل شك تقريباً في عدها قوى ظهرت بعد ان كانت مخبوءة . فالآلة حاضرة في كل حال ولكنها موقفة . والراجح ان روائح الازهار والاثمار والاقسام الدقيقة التي تميز صوف المارينوس على غيره وما يقابل هذه الاقسام في ريش الحمام المروحي الذنب جميعها امثلة على هذا الظهور . وقد تسألون قائلين ماذا يرشدنا في التمييز بين الاصول الايجابية وكيف نقدر ان نقنع انفسنا ان ظهور صفة ما يتوقف على نوع من الفقدان . يجب ان نعترف ان ليس لنا ما نرجع اليهِ في تحقيق هذه الامور غير ما نراهُ من نتائج التغلب . اذا لقحنا بازلا طويلة ببازلا قصيرة وجاء النسل طويلاً قلنا ان السلف الطويل اورث النسل اصلاً جعلهُ طويلاً . والسلف الطويل تناول من سلفيهِ مقدارين من هذا الاصل اما السلف القصير فلم يتناول منهُ شيئاً ولكن نسلهما جاء طويلاً ولذلك نقول ان مقداراً واحداً من صفة الطول المتغلبة يكفي لان يجعل النسل طويلاً اي ان الطول هو الصفة المتغلبة فهو اذن الصفة الايجابية . ولكن اكثر ما تكون نتيجة تلقيح شكلين مختلفين الواحد من الآخر ظهور شكل متوسط بين الاثنين . اي ان الصفات الوالدية لا تظهر كاملةً في النسل الاَّ اذا نشأ من خليتين جرثوميتين متماثلتين تماماً وان مقداراً واحداً لا يكفي لظهور صفات احد الوالدين كاملة في النسل . واذا كانت الحال على مثل ذلك لم نقدر ان نعرف اي الصفتين هي الايجابية وايهما هي السلبية لان تغلُّب احداهما على الاخرى ليس كاملاً . فلا يبقى لنا ما نستعين بهِ في تعيين الايجابي والسلبي غير مبلغ تأثير كل من الصفتين . واذا جئنا ننظر في شكلي البازلا الطويل والقصير لنعرف اي صفة هي الايجابية وجدنا اننا لا نقدر ان نبت هذه المسألة بالتأكيد الذي يظهر اننا نقدر ان نبتها بهِ . عثر الاستاذ كوكرل منذ عهد قريب على زهرة من زهور عباد الشمس بعضها احمر وبعضها اصفر بين الوف من الازهار الصفراء ثم اخذ يؤصلها الى ان ربّى منها شكلاً كلهُ احمر . فالشكلان الاحمر والاصفر اذن اصيلان والشكل الذي بعضهُ احمر وبعضهُ اصفر خلاسي بين الاثنين

ويمكننا ان نعد الصفرة صفة ايجابية ونرمز الى الاصفر بالحرفين ص ص اي ان فيهِ مقدارين من اصل ايجابي يمنع ظهور سائر الالوان والى الاحمر بالحرفين خ خ اي انهُ خالٍ من الاصل الذي يمنع ظهور الالوان والى الذي بعضهُ اصفر بالحرفين ص خ اي ان فيهِ مقداراً واحداً من هذا الاصل . ولكن ليس ما يمنع من عد الحمرة صفة ايجابية وعند ذلك نعكس

هذه الرموز فنرمز الى الاحمر بالحرفين ح ح والى الذي بعضهُ احمر بالحرفين ج خ والى الاصفر بالحرفين خ خ . وتفسيرنا للتغير النشوئي بفقدان الاصول او اكتسابها يتوقف على اية الطريقتين تتبع في الرمز الى صفات الاشكال . ولكن ألا يمكننا ان نفسر الصفات الاخرى الحادثة المتغلبة على غيرها بالطريقة ذاتها ؟ ان البياض المتغلب في الدجاج وفي البريمولا الصينية يمنع ظهور الالوان فيها . ولكن أليس من الممكن ان الدجاج او البريمولا الاصلي الملون كان فيهِ مقداران من اصل يخفي هذا المانع ؟ ان نوعاً من الفراش في بلاد الانكليز ولّد صنفاً اسود حوالي سنة ١٨٤٠ وقد كثر هذا الصنف الاسود الآن حتى تغلب على غيرهِ في جهات كثيرة . ومما يلاحظ ان الافراد السوداء الاصيلة في السواد ليست اشد سواداً من الخلاسيات . ومع انهُ يظهر عند اول وهلة ان السواد شيء اكتسبهُ الفراش من الخارج فلا نخرج عن حد المعقول اذا قلنا ان الاصل في الفراش ان يكون فيهِ مقداران من الاصل المانع وان خلوهُ من احدهما سبب ظهور السواد

وارانا مضطرين الى الاقرار انهُ ليس من تغير نشوئي تمكّننا معارفنا الحاضرة من الجزم انهُ لم يتسبب عن فقد الاصول وان كنا نرى ما لا يتفق مع هذا القول حسب الظاهر . ومن الطبيعي ان يُسأل بعد التسليم بصحة هذا القول أليس في القول بزوال الاصول المانعة مخرج يخرج بهِ العلماء من المأزق الذي اضطرهم الى القول بان كثرة الاشكال المختلفة في الحيوانات الاهلية ناتجة عن ان اسلاف هذه الحيوانات كانت من اشكال كثيرة مختلفة ؟ لا شك في انهُ يمكننا توقع شيء من هذا القبيل ولكن لا يمكننا القول باننا خرجنا من هذا المأزق او اننا لم نخرج منهُ الاَّ بعد ان تزيد معرفتنا بما ينتجهُ التباين بفقد الاصول في جسم الحي زيادةً كبيرةً . ويساعدنا كثيراً على حل هذه الصعوبة اهتداؤنا الى دلالة تشير الى مبدإ الاحياء الاصلي أكان واحداً ام متعدداً . واظن ان علماء العصر يميلون الى القول بالمبدإ المتعدد ولكن ليس من دليل يمكن الاعتماد عليهِ في هذا القول . والمسألة حتى الآن لم يتناولها البحث العلمي . وكلما سمعنا ان تكوُّن الفورم الدهيد الذاتي يمكن ان يعد الدرجة الاولى من نشوء الاحياء ذكرنا هري لودر لما كان ولداً في احد كتاتيب غلاسكو وكان يظن ان الدريهمات التي في جيبهِ تبني او تومو بيلات كثيرة

وكل ما تمكننا الحقائق التي عرفت حتى الآن من اضافتهِ الى العقائد النشوئية يمكن اختصارهُ في الكلمات القليلة الآتية وهي ان التباين امر محدود يقع في الطبيعة ويأتي غالباً بنتيجة غير متواصلة وان ظهور الاصناف يتم بتأصيل جماعات من الافراد التي فشت فيها صفات

مخصوصة احدثتها حوادث التباين المنفردة بعضها عن بعض وان التباين الذي يظهر لنا انهُ تم باكتساب شيء جديد هو في الغالب نتيجة فقد شيء وقد يكون دائماً كذلك . وقد قام في اذهان العامة ان النشوء يقع تدريجاً بتغير الكثير من افراد الاحياء ولكن ليس في الابحاث الحديثة ما يؤيد هذا الرأي . والحوادث المنفردة التي تسبب التباين هي تغيرات في الانسجة الجرثومية ولعلها في طريقة انقسام هذه الانسجة . ومن المحتمل ان وقوع التباينات لا يحصرهُ ضابط اما اسبابهُ فلا نقدر ان نقول فيها شيئاً ولو رجماً . ولا شك في انهُ بعد ان ظهرت الاشكال المتميزة بعضها عن بعض نشأ منها انواع بتزاوجها واجتماع صفاتها . وقد يكون نشوء بعض الانواع الجديدة جارياً مجراهُ في الطبيعة في العصر الحاضر ولكن مجال هذا النشوء ضيق جدًّا . ولكننا من الجهة الاخرى لا نرى حولنا في العالم الحاضر تغيرات تحدث ونقدر ان نتصور انها ستنتهي بنشوء اصناف متميزة . نقدر ان نولد اصنافاً جديدة من الكلب وابن آوى والذئب بتزاوجها وقد يكون بعض هذه الاصناف انواعاً ولكني لا ارى اننا نقدر بهذه الطريقة ان نولّد ثعلباً او ان الكلب يمكن توليدهُ من الثعلب

اما هل يتبين من اكتشافات العلماء ان بعض جماعات الاحياء يمكن ان تعد انواعاً استناداً الى خصائص تظهر في فسيولوجيا تكونها وان الفروق بين غيرها ليست مهمة فيمكن عدها اصنافاً فذلك مما نتوقف معرفتهُ على البحث في تكون الاحياء فقط واني اتوقع اكتشافاً من هذا النوع وان كنت لا اقدر ان أؤيد توقعي لهُ بادلة تسوغهُ

قد خصصت اكثر خطابي بالوجهة النشوئية من البحث في تكون الاحياء على غير رضىً مني ولكن قياماً بالواجب . اننا لا نقدر ان نخلي رؤُوسنا من هذه الامور مع اننا نودّ ان نخليها احياناً لو قدرنا على ذلك . اما النتيجة فهي كما ترون سلبية تنقض كثيراً مما كان يعد حقائق راهنة قد يكون النقض نافعاً ولكنهُ عمل غير شريف . نحن الآن في موقف يقابل موقف بويل في القرن السابع عشر . نبذ بويل الكيمياء القديمة المبنية على الاوهام ولكنهُ لم يقدر ان يضع اكثر من شبهٍ للكيمياء العلمية الحديثة . واننا نتوقع من يقوم في علم تكون الاحياء بما يقابل ما قام بهِ بريستلي ومندليف في علم الكيمياء من بعد بويل . لكننا لا شأن لنا الآن في تكون الاحياء من الجهة الاجمالية الشاملة فللاجمال وقت سيجيء . وتقدم العلم مثل النشوء لا يكون بتقدم المجموع تقدماً عامًّا غير محسوس بل بظهور النوابغ ذوي العقول الثاقبة وظهورهم يكون متقطعاً واذا ظهر النابغة سار في اثرهِ الاتباع فيوسعون الطريق التي سلكها ويزيلون منها كل عائق كما هو شأننا في الطريق التي اكتشفها مندل

نجاح الافراد

ان التقدم والنجاح لا يحصلان بالرغائب والاماني الفارغة بل بالكدِّ والجدِّ والسعي ولا يمكن ان ينبغ كل احد اذ النوابغ في الجماعات شواذ لا بل من فلتات الطبيعة ولكن كل احد يستطيع ان يزيد اقتدارهُ الطبيعي و ينفع قومهُ وهاك الذرائع التي توصل الى ذلك

(١) تقويم الاخلاق : — ان الاخلاق الحميدة في الافراد هي عنوان مجد الامة والقوة العاملة في ارتقائها والمتصفون بالاخلاق الحميدة والخصال الكريمة تخضع لهم نواميس النجاح والفلاح اما من تسفَّلت اخلاقهُ وآدابهُ فيهوي في دركات الهوان مهما شرف اصلهُ . ولا يتسنم ذروة الرقي والسوءدد الاَّ النفوس الابية الرابطة الجأش اما النفوس السافلة فنصيبها الاندثار . وكيف يعرج في مراقي الكمال من كان دأبهُ التهتك وقتل الوقت بين الكاس والطاس يقضي شبابهُ بين القينة والقانون ويريق ماء جفنيهِ بالسهر حول موائد المقامرة

(٢) التربية : — ان العامل القوي في تقويم الاخلاق هو التربية . وتربية الاحداث منذ نعومة اظفارهم تنقي اخلاقهم من كل وصمةٍ وتعدهم للكفاح الاجتماعي . وتقسم الى ثلاثة اقسام ادبية وعلمية وصحية ولا يسعني المقام ان اسهب في الكلام عليها ولكن اجتزئ باليسير واقول انهُ يقصد بالتربية الادبية تهذيب القلب وبالتربية العلمية شحذ العقل وبالتربية الصحيَّة تقوية الجسد . وكان الاقدمون يعدون القلب مركز الحاسيات والعواطف ومصدرها واهل هذا العصر لا يعتقدون مثل ذلك ولكني رأيت ان اتابع الاقدمين في عد القلب مصدر العواطف تسهيلاً للكلام فاقول ان قلوب الاحداث صحف بيضاء نقية لا عيب فيها تسر الناظر وتبهج الخاطر . ارض بكر لم تفلح من قبل والزارعون هم الآباء والامهات والمهذبون يبذرون في هذه الارض ما ارادوا ولكنهم مسوءولون امام ضمائرهم وامام الانسانية عموماً فعلى الوالدين والمهذبين ان يخطوا على هذه القلوب حاسات الشرف الحقيقي وآيات الفضائل وان ينقشوا فيها صور العفاف والطهارة والدعة وروح التفاني وكرم الطباع وعزة النفس والحب الادبي . وان يبذروا في هذه الارض بذور الحرص على القيام بالواجب ويقتلعوا منها اشواك الاهواء

اما التربية العقلية فتزين عقول الناشئة بالعلوم والمعارف والفنون . ومن اعتاد البحث عن الحقيقة في نواميس الطبيعة وتواريخ القرون الماضية قل ان يميل مع الاهواء وعلم ان مصلحتهُ مرتبطة بمصلحة غيرهِ من الناس وتمكن من نفع نفسهِ ونفع غيرهِ

اما التربية الصحيَّة فهي من الاهمية بمكانٍ لان الاجسام عروش الارواح وهياكل النفوس وقد قال المثل ان العقل السليم في الجسم السليم . وكان الرومان يعتقدون ان الاجسام اللطيفة هي مهبط الفضائل والاجسام البشعة مقر الرذائل . ولا بدعَ فان الصحة من لوازم الحياة ومن اهم اركان العمران فعلى المهذبين ان يلقنوا الاولاد القواعد الصحية لا بل ان يعلموهم ان يحسّنوا الجنس البشري بامتناع المصابين منهم بعاهات ارثية عن الزواج

ولتهذيب الافراد ثلاث مدارس العائلة والمكتب والمجتمع فيجب ان تكون المعيشة العائلية صالحة وان يكون الآباء والامهات قدوةً لاطفالهم في الاخلاق الحميدة وان تنظم المكاتب وتبث فيها روح الفضيلة والاجتهاد

(٣) الجد والسعي : — قال صفيّ الدين الحلّي بيتين من الشعر حري بهما ان ينقشا بحروفٍ من التبر على جبين الدهر وان يكونا شعار كل من يروم فوزاً مبيناً في حلبة السباق الاجتماعي وهما

لا يمتطي المجدَ من لم يركب الخَطرَا ولا ينال العلى من قدّم الحذرا
ومن اراد العلى عفواً بلا تعبٍ قضى ولم يقضِ من ادراكها وطرا

قد أُودع البشر غريزة الشوق الى العلياء وركب فيهم خلق يسوقهم الى حب الرقي والرفعة فلا يكتفي الانسان ولو قبض براحتيهِ ناصية العلا وبلغ السماكين وساد على الملا . وهذا دليلٌ باهرٌ على شرف مصدرهِ وسمو مرجعهِ ولكن كثيرين يرومون المجد وهم نائمون على بساط الراحة مستسلمون الى الاقدار فيبنون في ساحة مخيلتهم قصوراً شاهقة لا تجديهم شيئاً . فالنجاح ابن السعي والفلاح نتاج الجد وهذه قضية تثبتها الماجريات التي تقع يوميًّا . فاذا تصفحنا سير مشاهير الرجال رأينا ان الذين نبغوا وافادوا المجتمع البشري هم الذين وصلوا الليل بالنهار بالجد والاجتهاد وكم من الذين كانوا في المدارس آية الذكاء وتعلقت بهم الآمال الطيبة ثم زاغوا عن المهيع المستقيم وسقطوا في ورطة الكسل فكان نصيبهم الانحطاط والفشل

(٤) : الاعتماد على الذات والاقدام في الاعمال : قال الوزير مجد الدين الطغرائي :

وانما رجل الدنيا وواحدها مَن لا يعوّل في الدنيا على رجلِ

ان الاعتماد على الذات من الصفات التي تشترك فيها الامم المتمدنة واوضح ما يرى في الشعب الانكليزي المجلّي بين بقية الشعوب في مضمار التربية الاستقلالية وهو في مقدمة الشعوب الراقية

ومن الذرائع التي يتذرع بها الآباء ليغرسوا في اولادهم الاعتماد على الذات القاء امر عيشهم ومسألة نجاحهم على عواتقهم اذا بلغوا سن الشباب وجعلهم يحترفون مهنة من المهن الحرّة كالتجارة والزراعة والصناعة والطب وعلم الحقوق التي تغرس في النفس حب الاعتماد على الذات وتدفع الافراد الى الاستقلال في الاعمال وتجعلهم يقدمون على المشاريع العظيمة الخطيرة غير هيَّابين العقبات ويسخرون بالصعوبات ويرومون بلوغ سدرة الفخر والمقام الشريف ولو كان دون ذلك خرط القتاد واذا نبا صارم جدهم وكبا جواد مجدهم فلا يعتريهم اليأس بل يستأنفون سيرهم رابطي الجأش

(٥) الارادة : — في الانسان غريزة تسوقهُ الى اجتناب ما يضرهُ والاخذ بما ينفعهُ ولكن المدنية التي وصل اليها تقتضي تقدير نتائج الاعمال والنظر في عواقبها قبل الاقدام عليها اي لا بد للانسان من قوة تدفعهُ على السير في السبيل الذي يوصلهُ الى ما ينفعهُ في النهاية ولو اعترضهُ ما يكرهُ وهذه القوة هي الارادة ولا ينال الانسان امراً مهمًّا الاَّ بارادة ماضية قويَّة ثابتة لا تكلّ ولا تملّ ويظفر بهذه الارادة بالتدرب والممارسة والارادة هي باب الآمال وسلم الكمال ودرع الرجال وسلاح الابطال

(٦) انتقاء المهن : — ان في الانسان قابلية للقيام باعمال جسدية وعقلية وادبية وهذه القابلية تختلف باختلاف الاشخاص ومن هذا الاختلاف ينشأ تفرع الوظائف في المجتمع البشري . فمن البشر من يمتاز برقة الشعور ورخامة الصوت ودقة السمع فيصلح ان يكون موسيقيًا ومنهم من هو رشيق اليد خفيف الحركة سليم الذوق يميل منذ نعومة اظفاره الى الخط والتصوير فهذا اهلٌ لان يكون نحاتًا ومنهم الحصيف الماضي العزيمة الصائب الرأي المميز بين المسائل الدقيقة فيصلح ان يكون سياسيًّا وهكذا قل في سائر الناس وقابلياتهم . فالذين ينزلون الى معترك الحياة محترفين المهنة التي تلتئم مع قابليتهم واستعدادهم الشخصي ينجحون اما الذين يحترفون المهنة التي لا تلتئم مع قابلياتهم بل يقذفهم اليها تيَّار الزمان فلا تجديهم فتيلا بل تكون عليهم ثقلاً عثلاً ولا ينالون بها من المجد اثيلاً . ومراعاة القابلية في الاحداث من اقدس الواجبات التي يقوم بها الآباء والأمهات والمهذبون

(٧) النظام والترتيب : — قال احد المشاهير إحفظ النظام فيحفظك النظام . نعم ان النظام والترتيب هما من اكبر اركان النجاح . فالناس على مذهبين من الترتيب فمنهم مفطورون على حبّهِ تراهم منذ نعومة اظفارهم وحداثة سنهم يهتمون بهندام ثيابهم وترتيب كتبهم وصفّ اقلامهم وتنظيم دفاترهم وما شاكل ذلك ومنهم من لا يميل الى شيء من ذلك بل

يرى راحتهُ في الاهمال والبلبلة فمثل هذا يفشل في كل عمل يتعاطاهُ وينكص على اعقابهِ خاسراً . فعلى الوالدين والمربين ان ينتبهوا الى هذا الامر المهم . ويهتموا بتدريب الناشئة الحديثة على النظام الذي ينفعها في الكبر ويوفر لها الوقت ويخفف عنها اتعاباً جمة

(٨) الاقتصاد :— تقاس ثروة الامة بثروة افرادها وكلما زادت الامة رقيًّا وكثرت ماليتها كثر الاختلاف بين ثروة افرادها وكثر احتياجهم الى الدراهم . فالفرق بين غنى افراد القبائل المتوحشة لا يعتدّ بهِ نسبةً الى الفرق بين ثروة المثرين الاميركيين مثل روكفلر وكارنيجي واضرابهما وبين صعاليك الاميركيين الذي لا يملكون شروى نقير . واين حاجة الاعرابي الى الدراهم من حاجة الاميركي اليها فشتَّان ما بينهما . ولا سبيل الى الغنى الاَّ بالتدبير والاقتصاد ومن لا يقتصد يظل فقيراً مهما كان دخلهُ

(٩) مطالعة سير الرجال :— سير المشاهير افضل درسٍ لمن يروم النجاح . وخير قدوةٍ لمن يصبو الى الفلاح . وخير ما يضعهُ الوالدون بين ايدي اولادهم سير العظام الذين يريدون ان يروا اولادهم يسيرون في خطواتهم

يوسف رزق الله غنيمة

الزراعة والبكتيريولوجيا

اذا كان پاستور توفق لاكتشافات مهمة في البكتيريولوجيا الطبية[1] والصناعية[2] في القرن الثامن عشر فانهُ توفق هو وكثيرون غيرهُ لاكتشافات كبيرة مختصة بخصب الارض وصلاحيتها لتغذية النبات ونموهِ وسلامتهِ من الامراض وهذا هو القسم المعروف بالبكتيريولوجيا الزراعية على الاجمال

كان ليبج[3] الكيماوي الكبير في اواسط القرن التاسع عشر يقول ان المواد الآلية النيتروجينية تنحل في الارض بطرق كيماوية ثم تستحيل الى مركبات نشادرية يتغذى بها النبات وانهُ من المحتمل استحالة جزء صغير من النشادر المذكور الى الحامض النيتريك

(١) يراد بالبكتيريولوجيا الطبية (Medical Bacteriology) المباحث الخاصة بالمكروبات التي تصيب الحيوانات وتسبب لها الامراض

(٢) يراد بالبكتيريولوجيا الصناعية (Industrial Bacteriology) المباحث الخاصة بمكروبات صناعة الكحول والمشروبات الروحية والخبز ودباغة الجلود وتعطين الكتان وتدبير الدخان وحفظ اللحوم ومواد الطعام وهي من الفروع الرئيسية للبكتيريولوجيا العمومية (General Bacteriology)

(٣) هو البارون غسطس ليبج (Gustus Liebig) كيماوي الماني شهير (١٨٠٣ — ١٨٧٣)

بطرق كيماوية اخرى فيمتصهُ النبات بواسطة جذوره كغذاء ايضاً

ولكن باستور عارض هذا القول وصرَّح ان المركبات النشادرية الارضية لا تتكون بعملية كيماوية وانما هي نتيجة عمل مكروبات مخصوصة في الارض وان بعض هذه المركبات يستحيل تدريجاً الى الحامض النيتريك بعمل مكروبات اخرى

ثم قام العالمان شلوزنج[1] ومنتز[2] سنة ١٨٧٧ فأيدا رأي باستور اثناء ابحاثهما في التغيرات الكيماوية التي تطرأ على مياه المراحيض بتجربة حققا بها بطلان الرأي القديم وذلك انهما اخذا طبقة من الرمل والجير ذات سمك معين ورشحا مياه المراحيض منها ببطء فلم يشاهدا تغيراً بادىء بدء ولكنهما بعد مضي عشرين يوماً على التجربة لحظا ان نشادر مياه المراحيض بدأ يستحيل الى نيترات الكلسيوم تدريجاً ثم انتهى الامر بنقاوة المياه المذكورة من النشادر لاستحالته الى نيترات الكلسيوم الصرف فظنا ان الاستحالة المذكورة لم تكن عن تفاعلات كيماوية لانها لو كانت كذلك لحدثت بسرعة ولم يكن هناك ابطاء فيها

ارادا بعد ذلك ان يثبتا ان الاستحالة مسببة عن عمليات مكروبية فجاءا بمقدار من الكلوروفورم واضافاهُ الى طبقة الترشيح فوجدا ان الاستحالة وقفت تماماً . ثم عادا بعد تبخر الكلوروفورم فوضعا عليها كمية من الماء والطين الخصب فشاهدا ان عملية الاستحالة بدأت ثانية فلم يبقَ ريب ان مقدار الكلوروفورم الموضوع اولاً امات ما كان في طبقة الترشيح من المكروبات فوقف بذلك تحول النشادر الى نيترات وانهُ عند ما اضيف الطين وجدت معهُ المكروبات التي كانت تحوّل النشادر الى نيترات . وبذلك تقرر ان الاستحالة المذكورة بكتيريولوجية محضة لا كيماوية

وقد تناول ورنجتن[3] هذه التجربة وجعلها ضمن تجاربهِ الكيماوية الزراعية في محطة روذامستد[4] لتحقيقها فوجدها صحيحة . ثم اخذ في البحث عن هذه المكروبات بمثابرة حتى

---

(١) هو جان جاك شلوزنج (J.J.T. Schloesing) كيماوي زراعي فرنسوي ولد في مرسيليا سنة ١٨٢٤ وكان استاذاً في المعهد الوطني بباريس

(٢) هو شارل منتز (A.C. Muntz) كيماوي زراعي فرنسوي ولد سنة ١٨٤٦ كان تلميذاً ومساعداً للعالم بوسنجولت (Boussingault) واشتغل بالابحاث الكيماوية الزراعية

(٣) هو ورنجتن (R. Warington) الكيماوي الانكليزي الشهير كان استاذاً للاقتصاد الزراعي في جامعة اكسفورد ولهُ كتب في الكيمياء الزراعية

(٤) هي محطة روذامستد (Rothamsted Station) اسسها المثري الانكليزي الشهير السر جون لوز (J.B. Laws) في سنة ١٨٤٣ ببلدة هاربندن (Harpenden) بانجلترا وذلك بان تبرع بارض زراعية

تحقق ان عملية تحوّل النشادر في الاراضي الزراعية لا تتم الأ بواسطة مكروبين مختلفين احدهما يحوّل النشادر الى الحامض النتروس والثاني يحوّل الحامض النتروس الى الحامض النتريك[1] ثم اجتهد ورنجتن المذكور في فصل هذين المكروبين احدهما عن الآخر في بيئات صناعية فلم يتوفق لذلك لانهُ كان يستعمل الجلاتين بيئة لتربيتهما وهو غير صالح لذلك كما سيأتي

وسنة ١٨٩٠ تمكن ڤينوجرادسكي[2] من فصل هذين المكروبين ودرسهما تماماً في بيئة هلامية من السلكا صالحة لنموهما لقلة المواد الآلية فيها فهذه المواد اذا كثرت اضرت بالمكروبين كما وقع في تجربة ورنجتن . ثم قال ان جميع المركبات الآلية النتروجينية التي لا تذوب في الماء ليس في امكان النبات امتصاصها قبل ان تستحيل الى نشادر فنيترات وان هذه الاستحالة تحدث في جميع الاراضي الخصبة وحدوثها ضروري لحياة النبات اجمالاً

ان ابحاث ڤينوجرادسكي هذه تعتبر مكملة ومحققة لابحاث ورنجتن وقد ابان بها سبب اخفاقهِ في فصل المكروبين المذكورين

اشتغل العلماء بعد ذلك بتحقيق مسألة مهمة هي امكان تغذي النبات بنيتروجين الهواء فذهبوا الى القول بان في الارض مكروبات مخصوصة في قدرتها تثبيت عنصر النتروجين المذكور وتحويلهُ الى نيترات . وقد ارشدهم الى ذلك برتلو[3] سنة ١٨٨٥ بما قام بهِ من التجارب

وفي سنة ١٨٨٦ وجد كل من هلريجل[4] وولفرث[5] بعد تجارب عملية ان النباتات غير القرنية كالقمح والشعير والشوفان مثلاً يتم نموها بوجود النيترات الارضية فان فقدت النيترات وقف نموها وماتت وان النباتات القرنية كالفول والبرسيم واللوبياء لا يتوقف نموها على وجود النيترات في الارض بل تنمو من غير نترات فمن اين لها بعنصر النيتروجين الضروري لحياتها

واقام فيها معملاً كيماوياً انفق عليها ١٠٠٠٠٠ جنيه وعهد بها الى الدكتور جلبرت (Gilbert) ليقوم بالتجارب والتحاليل الكيماوية الزراعية وهو الآن معهد زراعي معروف في انجلترا بابحاثهِ وفوائدهِ الجليلة

(١) هذه العملية تعرف بالنترجة (Nitrification) وتتم بواسطة مكروبين مختلفين في الارض احدهما يحول النشادر الى الحامض النيتروس والثاني يحوّل الحامض النيتروس الى الحامض النيتريك

(٢) هو ڤينوجرادسكي (Winogradsky) العالم الروسي الشهير

(٣) هو برتلو (M.P.E. Bertholot) كيماوي فرنسوي شهير (١٨٢٧ — ١٩٠٧)

(٤) هو هلريجل (Hellriegel) العالم الالماني

(٥) هو ولفرث (Wilfarth) العالم الالماني

كان النباتيون من قبل يعرفون ان في جذور النباتات القرنية ادرانا تحتوي على مكروبات ولكنهم لم يعرفوا وظيفتها · فظن هلريجل وولفرث انهُ من الممكن لهذه النباتات ان تتناول النيتروجين من الهواء بواسطة مكروبات الادران المذكورة وان هذه المكروبات تمد النباتات القرنية بالنتروجين في شكل مركبات آلية وتستمد منها مقابل ذلك ما تحتاج اليهِ من المواد النشوية والسكرية وغيرها مما يعرف بالمواد الكربوهيدراتية وبذلك تستغني النباتات القرنية المذكورة عن النيترات الارضية بنيتروجين الهواء الممثل لتغذيتها على هذه الطريقة التي تم بها تبادل النفع بينها وبين المكروبات المذكورة

ثم اظهرت تجارب هلريجل وولفرث صحة هذا الظن فقد وجدا مثلاً نبات البسلة المزروع في رمل معقم غير محتوٍ على النيترات ينمو مجرداً عن الادران المذكورة يبقى ضعيفاً جداً ووجداهُ ينمو جيداً وتتكون فيهِ هذه الادران اذا اضيف الى الرمل المعقم طين خصب في الماء · والسبب في الحالتين معقول اذ الرمل كان خالياً من المكروبات بالتعقيم في الحالة الاولى وغير خالٍ منها في الحالة الثانية لاشتمال الماء المخلوط بالطين على المكروبات

وقد عرض هلريجل وولفرث بحثهما هذا على مجمع علمي كبير عقد في برلين سنة ١٨٨٦ حضرهُ الدكتور جلبرت الكيماوي [1] فرجع الى بلادهِ واعاد التجارب المذكورة وحققها وقال بصحة رأيهما

ثم اكتشف بيرنك [2] مكروب الادران المذكورة سنة ١٨٨٨ وفصلهُ في بيئات صناعية نقياً من كل مكروب آخر

وفي سنة ١٨٩٢ اشتغل لوران [3] وشلوزنج [4] بتجارب كثيرة فوجدا في احدى تجاربهما ان كمية النيتروجين الممتص من الهواء تساوي على التقريب زيادتهُ في جسم النبات القرني وفي الارض المزروع فيها · فايدا بذلك آراء برتلو وهلريجل وولفرث المذكورة وقالا بوجود مكروبات بعضها يعمل لتثبيت نيتروجين الهواء في الارض والبعض الآخر يعمل لتمثيلهِ في جذور النباتات القرنية

---

(١) هو جلبرت (Gilbert) الكيماوي الانكليزي الشهير · من تلامذة ليبج (١٨١٧ — ١٩٠١)

(٢) هو بيرنك (Beijerinck) البكتيرلوجي الالماني

(٣) هو لوران (Laurent) المكتشف الكيماوي الفرنسوي

(٤) هو تيوفيل شلوزنج (T. Schloesing) ابن جان جاك شلوزنج الفرنسوي كان استاذاً في احدى كليات فرنسا وله اكتشافات في الكيمياء الزراعية والصناعية

وفي سنة ١٨٩٥ اكتشف ڤينوجرادسكي المذكور في ارض سان بطرس بورغ مكروبًا يثبت عنصر النيتروجين الجوي

لم يهمل العلماء المشتغلون بكشف الحقائق المختصة بخصب الارض وصلاحيتها لتغذية النبات ونموهِ الاهتمام بسلامتهِ من الامراض ودفع الآفات عنهُ سواء كانت فطرية او بكتيريولوجية غير ان البحث في امراض النباتات من طريق علمي صحيح لم يكن قديم العهد لان معلومات الاقدمين عنها كانت محصورة في وصفها دون تعليلها ودون البحث في طرق الوقاية منها

ورد شيءٌ من وصف امراض النباتات في كتابات الاقدمين مثل ارسطو طاليس[1] وثيوفراستس[2] وپلينيوس[3] وغيرهم الاّ انها اوصاف قاصرة ليست من العلم في شيء

وفي اوائل القرن التاسع عشر بدأ البحث يتنوع قليلاً الأان القول بالتولد الذاتي كان عائقًا كبيرًا فوقف بالعلماء زمنًا كانوا يقولون فيهِ بامور كثيرة لا يقول بها عالم اليوم كقولهم مثلاً ان اللطوخ المرضية التي تشاهد على سوق النباتات واوراقها واثمارها ليست الاّ اجزاء ميتة

وفي آخر النصف الاول من القرن التاسع عشر قام عائق آخر هو غلو العلماء في ابحاثهم الكيماوية الكثيرة حيث كان العالم ليبج يقول ان امراض النباتات مسببة عن التغيرات الكيماوية والطبيعية التي لا تلائم الحياة النباتية فرداءة الغذاء او عدم كفايتهِ او فقد بعض العناصر المهمة منهُ من اسباب امراض النبات على رأيهِ

بقي الحال على ذلك حتى تمكن بعض العلماء من تحقيق مسألة مهمة هي اصابة النبات السليم بالمرض اذا لقح بقطر من نبات آخر مريض ٠ عند ذلك امكن القول بانتقال المرض في النباتات بالعدوى كانتقالهِ بالتلقيح والفضل في هذه الابحاث النافعة يرجع الى العلامة دي باري[4] فانهُ اول من اهتم بتوضيح معنى التطفل في النباتات وشرح كيفية العمل لتلقيحها

---

(١) هو ارسطوطاليس (Aristolte) الاستاجيري الفيلسوف اليوناني (٣٨٤ - ٣٢٢ ق ٠ م ٠) كان مؤدبًا للاسكندر الاكبر المقدوني وهو مؤسس المذهب المنسوب اليهِ وآثارهُ الكثيرة افادت العلوم الحديثة

(٢) هو ثيوفراستس (Theophrastus) فيلسوف يوناني (٣٧٤ -٢٨٧ ق ٠م ٠) لهُ آثار في الطبيعيات وكتاب معروف في الاخلاق

(٣) هو پلينيوس (Plinius) طبيعي روماني (٢٣ — ٧٩) الف تاريخًا طبيعيًا كدائرة معارف لم يزل ذا قيمة علمية الى الآن ومات في ثوران بركان بزوف سنة ٧٩

(٤) هو دي باري (De Bary) نباتي الماني شهير ولد سنة ١٨٣١ وكان استاذًا في جامعات مختلفة ولهُ اكتشافات مهمة في النباتات الفطرية والطفيلية ٠

بالجراثيم الناقلة للامراض ليمرضها صناعيًّا

وفي منتصف القرن التاسع عشر تقريباً تفشت امراض نباتية بمزروعات اوربا الغربية فاضرت بزراعة البطاطس والكرم والغلال فاشتغل كثير من العلماء امثال شخت [١] وكوهن ودي باري بالبحث عن الامراض المذكورة واشتغل آخرون بامراض الاشجار والغابات فجاءت ابحاثهم بنتائج مهمة

ثم توسع العلماء الالمانيون فجعلوا هذا البحث شاملاً لامراض النباتات واطوارها وعللها من فطر ومكروب وحشرات نقالة للمرض مساعدة على انتشارهِ فادوا خدماً مشهورة مشكورة

وسنة ١٨٩٠ ناطت الجمعية الزراعية في المانيا بالعلماء كوهن وفرانك [٢] وسورور [٣] البحث في المواضيع السابقة فجاءت ابحاثهم بفوائد جمة

وسنة ١٨٩٧ اقترح العلامة فرانك على ادارة الصحة العمومية بالمانيا تأسيس معهد بيلوجي للزراعة والغابات فأسستهُ الادارة المذكورة بتعضيد كبير من الحكومة فجاءت ابحاث العلماء القائمين عليهِ بمنافع كبيرة جعلت بلادهم قدوة العالم في هذه العلوم والمعارف

ثم تابع العمل في ذلك غيرهم من العلماء فوصلوا الى تحقيق كثير من امراض النباتات المسببة عن المكروبات وبذلك اتسعت دائرة البكتيريولوجيا الزراعية حتى صارت علماً مستقلاً يقوم عليهِ اختصاصيون فيهِ مثل سمث [٤] وغيرهِ كما يقوم الاختصاصيون في البكتيريولوجيا الطبية والصناعية على ما هم مختصون بهِ ودونت فيهِ الكتب المفصلة

محمود مصطفى الدمياطي

مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

---

(١) هو شخت (Schacht) العالم النباتي الالماني

(٢) هو فرانك (B.Frank) النباتي الالماني الشهير

(٣) هو بول سورور (Paul Sorauer) نباتي الماني ولد في برسلو سنة ١٨٣٩ وبحث في امراض النباتات

(٤) هو اروين سمث (E.F. Smith) بكتيريولوجي اميركي مختص الآن بالبحث في امراض النباتات البكتيريولوجية وله مؤلفات ضخمة

تكون اللؤلؤ

اكثر ما يعثر على اللؤلؤ في الاصداف المشوهة التي تظهر عليها علامات المرض ولذلك قال البعض ان اللؤلؤ افراز مرضي يفرزهُ حيوان اللؤلؤ اذا أُصيب ببعض الادواء . وقال آخرون ان هذا الحيوان يفرز اللؤلؤ اذا دخلت حصاة او ذرة رمل او ما اشبه بين بدنهِ وصدفتهِ فآذتهُ فانهُ يفرزهُ ليكتنف ما يؤْذيهِ ويمنع اذاهُ

وقد عني كثيرون بالبحث في تكون اللؤلؤ لان الاهتداء الى سر تكونهِ قد يكون من ورائهِ ربح كثير. واكثر الذين بحثوا في ذلك في الآونة الاخيرة يذهبون الى ان سبب تكونهِ حيوان حلمي صغير يدخل جسم حيوان اللؤلؤ فتتجمع حولهُ المادة اللؤلؤية لتقتلهُ . وقد بحث عالمان يقال لهما هردمان وهورنل في لؤلؤ سيلان فقالا ان في قلب كل لؤلؤة بحثا فيها نواةً هي بزرة دودة من نوع الدود القرعي وقد وافقهما في هذا القول غيرهما من الباحثين

ومن المشتغلين بالبحث في تكون اللؤلؤ عالم يقال لهُ الدكتور جايمسون وقد ارتأى رأيًا جديدًا في تكونهِ فقال ان الابحاث الحديثة تدل على ان علة تكونهِ ليست افرازًا يقصد بهِ اكتناف جسم غريب كذرة رمل او حيوان حلمي بل وجود اكياس صغيرة من نسيج البشرة الذي يفرز مادة الصدفة . وتختلف الاسباب التي تنشأ عنها هذه الاكياس حسب نوع الحيوان وحسب الامكنة التي يعيش فيها

وقد بحث الدكتور جايمسون بحثًا مدققًا في نوع مخصوص من محار اللؤلؤ اذا حلَّت فيهِ الدودة الحلمية المعروفة بالجنوفالس فوجد انهُ يحوطها بكيس من نسيج بشرتهِ الذي يفرز المادة الصدفية فاذا ماتت او خرجت من الكيس اخذ الكيس يفرز اللؤلؤ طبقات بعضها فوق بعض فيكوّن لؤلؤة . ولا يتكوّن هذا الكيس حول جسم آخر اذا دخل انسجة الحيوان سواء كان هذا الجسم جمادًا او حيوانًا حلميًا غير الجنوفالس وذلك يدل على ان هذه الدودة هي السبب الوحيد لتكون هذه الاكياس اي هي علة تكون اللؤلؤ

ويحتال الصينيون لتكوين اللؤلؤ صناعيًّا بطريقة عرفوها منذ عهد عهيد وهي ان يدخلوا بين بدن حيوان اللؤلؤ وصدفتهِ تماثيل صغيرة او خرزًا ويتركوها الى ان تغشيها المادة اللؤلؤية . وقد اشار لينيوس العالم الطبيعي بتكوين اللؤلؤ في محار الماء العذب على طريقة مثل طريقة الصينيين ومن هذا القبيل طرق كل الذين حاولوا تكوينهُ صناعيًّا . واللؤلؤ الذي يكوّن على هذه الطرق يكون مغشيًّا لاجسام غريبة او لاصقًا بالصدفة على هيئة نتوات .

ولم ينجح احد في تكوينهِ خالصاً غير متصل بشيءٍ كما يتكوَّن في الحيوان طبيعياً

غير ان الدكتور جايمسون يقول انَّ الدكتور الفردس الالماني نجح في تكوينهِ كما يتكون طبيعياً وطريقتهُ في ذلك ان يعمد الى محارة من محار الماء العذب ويأخذ جزءاً من نسيج بشرتها الذي يفرز المادة الصدفية ويدخلهُ في الغشاء الذي يحيط بالحيوان الذي فيها

اما طريقة العمل فهي ان تفتح طبقتا الصدفة ويسلخ قسم من الغشاء الذي يحيط بحيوانها ويكشط من وجههِ الخارجي خلايا تزرع في النسيج الخلوي من الغشاء او يقطع من الغشاء قطعة صغيرة يكون فيها خلايا من التي تفرز المادة الصدفية وخلايا غيرها وتزرع هذه القطعة كلها في الغشاء ثم ترد المحارة الى الماء . وقد جرب الدكتور الفردس ذلك في محار كثير ثم اخذ يقتلهُ بعد ان تركهُ في الماء يومين الى ان قتلهُ كلهُ بعد سبعة اسابيع فوجد ان الجرح كان يلتئم على الخلايا التي غرسها وتظل هي متميزة عن الانسجة التي حولها . ووجد ايضاً ان هذه الخلايا اذا باشرت خلايا النسيج الخلوي لم تلبث ان تموت ولكنها اذا اصابت فراغاً مثل الفراغات التي تكون داخل غشاء الحيوان اخذت تمتد الى ان تبطن الفراغ كلهُ اي الى ان تصير كيساً من الخلايا التي تفرز مادة الصدف وعند ذلك يبدأُ تكون اللؤلؤة . وتتخذ اللؤلؤة شكل الكيس فان كان مستديراً اتت مستديرة وان كان غير مستدير اتت غير مستديرة

اما حجم اللآلئ التي صنعها الفردس على هذه الطريقة فكان يتوقف على حجم الفراغات التي تصل اليها الخلايا المغروسة وكان قطر اكبرها مليمتراً . وفي بعض الاحيان كان افراز اللؤلؤ في الكيس يبدأُ بعد الغرس بايام قليلة واحياناً كان يمضي على الغرس سبعة اسابيع ونصف اسبوع ولا يبدأُ الافراز

وهذا الاكتشاف خطوة كبيرة في سبيل تكوين اللؤلؤ صناعياً . وقد قال الدكتور جايمسون يجب ان لا يبحث عن سر تكوُّن اللؤلؤ بعد الآن في محاولة حيوان اللؤلؤ تغشية جسم يؤذيهِ بل في وصول خلايا بشرتهِ الى انسجتهِ الداخلية اما بدافع خارجي يدفعها او بحمل دودة حلمية لها او باختلال يصيب البشرة . ولم يعثر على نويات في اللآلئ التي كوَّنها الاَّ عند ما كان يدخل مع البشرة عند غرسها جسم غريب بطريق العرض او عند ما كانت بعض الخلايا من حيوان اللؤلؤ نفسهِ تدخل الكيس فان اللؤلؤ يكتنفها

والظاهر ان الدكتور الفردس يشك في انهُ يستطيع ان يصنع لآلئ كبيرة ثمينة ولكن لا شبهة في انهُ قد قرب حل هذه المعضلة التي كثر البحث فيها وهي جعل حيوان اللؤلؤ يشرع في تكوين لؤلؤة بمعالجتهِ معالجةً ميكانيكية

الامتيازات الاجنبية في الممالك العثمانية

يرجع تاريخ الامتيازات الاجنبية في البلاد الشرقية الى عصر الخليفة هرون الرشيد العباسي فانهُ منح الافرنج من رعايا الامبراطور شارلمان الذين يؤمون البلدان الشرقية كثيراً من الضمانات والتسهيلات التجارية . ولما تداعت اركان امبراطورية الافرنج مُنحت تلك الامتيازات للمدن الايطالية المستقلة التي قامت على انقاضها . ففي سنة ١٠٩٨ مسيحية منح صاحب انطاكية امتيازات لمدينة جنوى الايطالية ووسع ملك القدس هذه الامتيازات فشملت مدينة البندقية سنة ١١٢٣ ومدينة مرسيليا سنة ١١٣٦

وسنة ١١٧٣ منح السلطان صلاح الدين الايوبي بعض الامتيازات لمدينة بيزا الايطالية ونحا امبراطرة القسطنطينية هذا النحو فمنحوا الامتيازات لجنوى وبيزا والبندقية

ويعلل هذا المنح بان رجال الحل والعقد في تلك العصور كانوا يعتقدون ان عنايتهم تشمل رعاياهم فقط وانها امتياز يمتازون بهِ فلا يحق للاجانب مشاركتهم فيهِ

ولما عظم شأن الاجانب في البلدان الشرقية واتسعت ثروتهم وعرض جاههم استُصوب ان يكون لهم قانون يخضعون لهُ وقر القرار على ان يخضعوا لقانون بلادهم . فلما حل السلاطين العثمانيون محل ملوك الروم سمحوا بابقاء الحالة على ما كانت عليهِ فتركوا للعناصر غير المسلمة ما كان لها من شبه الاستقلال في احوالها الشخصية وأيدوا امتيازات الجنو بين القاطنين في غلطه

وسنة ١٥٢٢ امضيت معاهدة تجارية بين الدولة العلية وجمهورية البندقية تؤيد المعاهدات السابقة وزيد عليها ان وكيل الجمهورية في الاستانة يغيَّر كل ثلاث سنوات وانهُ هو يفصل في قضايا التركات بين البنادقة المقيمين في البلاد العثمانية ويحق لهُ ان يرسل ترجماناً لحضور المرافعات في القضايا التي تقام على رعايا حكومتهِ في المحاكم العثمانية

على ان اول معاهدة تعدَّدت فيها الامتيازات في بلاد الدولة العلية هي معاهدة سنة ١٥٣٦ مع الحكومة الفرنسوية . ولا يخفى ان الدولة العلية كانت في ذلك العصر في اوج مجدها وقمة عزها وبطشها وكان فرنسيس الاول ملك فرنسا قد قُهر في معركة بافيا واسرهُ الامبراطور شارلكان فاستعان بالسلطان سليمان القانوني لانقاذهِ ودارت بينهما مكاتبات تدل على ان السلطان سليمان كان يخاطب ملك فرنسا مخاطبة الرئيس للمرؤوس فلا يحتمل ان يكون قد انالهُ ما انالهُ من الامتيازات خوفاً منهُ او رغبةً في التزلف اليهِ وانما كان غرضهُ ترغيب الاوربيين في سكنى البلاد العثمانية والاتجار فيها للاكتساب منهم . وكان ملك فرنسا

قد سبر غور السلطان بواسطة رسول اسمهُ فرنجيبا كي ارسلهُ اليهِ ثم بواسطة دلافوري سفيرهِ الاول الذي ارسلهُ الى القسطنطينية سنة ١٥٣٤ فرأَى منهُ ميلاً الى عقد المعاهدة

والمعاهدة في ستة عشر بنداً وقَّعها سر عسكر الدولة العلية والمسيو جان دي لافوري سفير فرنسا في فبراير سنة ١٥٣٦ وهاك خلاصتها

﴿ البند الاول ﴾ يجوز لرعايا ملك فرنسا السفر بحراً في مراكب مسلحة او غير مسلحة والسير برًّا في البلاد العثمانية والاقامة فيها والرجوع منها بقصد الاتجار ولهم الحرية التامة في ذلك لا يعتدي عليهم احد ولا على متاجرهم . وكذا يجوز لرعايا السلطان الاعظم وتابعيهِ في بلاد ملك فرنسا

﴿ البند الثاني ﴾ يجوز لرعايا الطرفين واتباعهما البيع والشراء والمبادلة بكل البضائع التي يجوز الاتجار بها ونقلها برًّا و بحراً من بلاد الى اخرى مع دفع العوائد والضرائب المعتادة بحيث يدفع الفرنسوي في البلاد العثمانية ما يدفعهُ العثماني و يدفع العثماني في البلاد الفرنسوية ما يدفعهُ الفرنسوي ولا يدفع احد منهما ضرائب او مكوساً اخرى

﴿ البند الثالث ﴾ اذا عيَّن ملك فرنسا قنصلاً لهُ في القسطنطينية او بيرا او غيرهما من المدن العثمانية كالقنصل المعيَّن الآن في مدينة الاسكندرية يُستقبَل و يعامل بالاكرام و يكون لهُ ان يسمع و يحكم بمقتضى قانونهِ وذمتهِ في كل ما يقع في دائرتهِ من القضايا المدنية والجنائية بين رعايا ملك فرنسا لا يمنعهُ من ذلك حاكم او قاضٍ شرعي او صو باشي او اي موظف آخر . واذا امتنع احد رعايا ملك فرنسا عن طاعة اوامر القنصل واحكامهِ فللقنصل ان يستعين برجال السلطان على تنفيذها وعليهم مساعدتهُ ومعاونتهُ . وعلى كل حال ليس للقاضي الشرعي او اي موظف آخر ان يحكم في الخصومات التي تقع بين التجار الفرنسويين و باقي رعايا فرنسا ولو طلبوا منهُ الحكم فيها بينهم وان اصدر حكماً في هذه الاحوال يكون حكمهُ باطلاً لا يعمل بهِ مطلقاً

﴿ البند الرابع ﴾ لا يجوز سماع الدعاوي المدنية التي يقيمها العثمانيون على الرعايا الفرنسويين او الحكم عليهم فيها ما لم يكن مع المدعين سندات بخط المدَّعى عليهم او حجج رسمية صادرة من القاضي الشرعي او القنصل الفرنسوي وحينئذٍ لا تسمع الدعوى او شهادات مقدميها الاَّ اذا كان ترجمان القنصل حاضراً

﴿ البند الخامس ﴾ لا يجوز للقضاة او غيرهم من مأموري الحكومة العثمانية سماع دعوى جنائية او الحكم فيها على احد من رعايا فرنسا بناء على شكوى احد من رعايا الدولة

العثمانية بل على القاضي او المأمور الذي ترفع اليهِ الشكوى ان يكلف المتهمين بالحضور الى الباب العالي محل اقامة الصدر الاعظم الرسمي اذا كانوا في القسطنطينية او امام اكبر مأموري الحكومة السلطانية اذا كانوا في غيرها وهناك يجوز التداعي

﴿البند السادس﴾ لا يجوز محاكمة التجار الفرنسويين ومستخدميهم وخدامهم في ما يختص بالمسائل الدينية امام القاضي او غيرهِ من المأمورين بل تكون محاكمتهم امام الباب العالي ولهم ان يتبعوا شعائر دينهم ولا يجبرون على الاسلام ولا يعتبرون مسلمين ما لم يعترفوا بذلك مختارين غير مكرهين

﴿البند السابع﴾ اذا تعاقد واحد او اكثر من رعايا فرنسا مع احد العثمانيين او اشترى منهُ بضائع او استدان منهُ نقوداً ثم خرج من الممالك العثمانية قبل ان يقوم بما تعهد بهِ فلا يطالَب قنصلهُ او اقاربهُ او اي شخص فرنسوي آخر مطلقاً بما فعلهُ وكذلك لا يكون ملك فرنسا مطالبًا بهِ وانما عليهِ ان يوفي طلب المدعي من مال المدَّعى عليهِ او من املاكهِ اذا وجدت لهُ املاك في البلاد الفرنسوية

﴿البند الثامن﴾ لا يجوز استخدام التجار الفرنسويين او مستخدميهم او خدامهم او سفنهم او ما فيها من الامتعة والاسلحة والبضائع رغمًا عنهم في خدمة السلطان الاعظم في البر او في البحر وانما يجوز ذلك اذا رضوا بهِ غير مكرهين

﴿البند التاسع﴾ لتجار فرنسا ورعاياها ان يوصوا بكل ممتلكاتهم كما يشاؤون واذا مات احد منهم موتًا طبيعيًا او قهريًا عن وصية وزّعت تركتهُ حسب وصيتهِ واذا توفي ولم يوصِ تُسلَّم تركتهُ الى وارثهِ او وكيلهِ كما يشير قنصلهُ واذا لم يكن هناك قنصل تجرَّد التركة وتكتب بها قائمة جرد على يد شهود وتحفظ لدى القاضي او مأمور بيت المال ثم تسلَّم الى القنصل او من ينوب عنهُ اذا طلبها قبل الوارث او وكيلهِ

﴿البند العاشر﴾ حالما يعتمد جلالة السلطان وملك فرنسا هذه المعاهدة فكل من كان رقيقًا في احدى البلادين من رعايا البلاد الاخرى يصبح حرًّا مطلقًا. ومن الآن فصاعداً لا يجوز لجلالة السلطان ولا لملك فرنسا ولا لقبودانات البحر ولا لرجال الحرب ولا لاي شخص آخر تابع لاحد الفريقين او لمن يستأجرانهِ في البر او في البحر اخذ اسرى الحرب او بيعهم او شراؤهم او حجزهم كارقاء واذا تجاسر احد قرصان البحر او غيرهم من رعايا احدى الدولتين المتعاقدتين على اخذ احد رعايا الدولة الاخرى او اغتصاب املاكهِ او اموالهِ فعلى والي الجهة ضبط الفاعل ومعاقبتهُ على مخالفتهِ شروط الصلح عبرة لغيرهِ وردّ ما عندهُ مما

اغتصبهُ الى صاحبهِ . واذا تعذر ضبط الفاعل فيمنع هو وكل شركائهِ من دخول البلاد وتصادر ممتلكاتهُ ويعطى منها المجني عليهِ ما يساوي ما سُلب منهُ وهذا لا يمنع معاقبة الجاني اذا قُبض عليهِ

﴿ البند الحادي عشر ﴾ اذا تقابل اسطول احدى الدولتين المتعاقدتين بسفن لرعايا الدولة الاخرى فعلى هذه السفن انزال شراعها ونشر اعلام دولتها حتى تعلم حقيقتها فلا يحجزها الاسطول . واذا اضرَّ اسطول دولة منها بسفن الدولة الاخرى فعلى الدولة صاحبة الاسطول ان تقوم حالاً بما يعوض الضرر . واذا تقابلت سفن رعايا الدولتين فعليها نشر اعلامها والتسليم باطلاق مدفع ويجب على ربانها ان يُصدِق الربان الآخر اذا سألهُ عن الدولة التي هو تابع لها ولا يجوز حينئذٍ لسفن الفريق الواحد ان تفتش سفن الفريق الآخر بالقوة

﴿ البند الثاني عشر ﴾ اذا وصلت سفينة فرنسوية الى احد المرافئ العثمانية تعطى ما يلزم لها من الاطعمة ونحوها بالثمن المعتدل ولا تُلزَم بتفريغ شحنها ويباح لها ان تذهب كيفما شاءت واذا وصلت الى القسطنطينية وارادت السفر منها بعد ان فُتِشت ودفعت الرسم اللازم واخذت جواز السفر فلا تفتش في مكان آخر الاَّ عند الحصون المقامة في مدخل غاليبولي فانها تفتش هناك ولكنها لا تدفع رسمًا آخر مطلقًا

﴿ البند الثالث عشر ﴾ اذا جنحت سفينة او غرقت في بلاد احدى الدولتين وهي تخص احداً من تبعة الدولة الاخرى فمن ينجو منها يبقى ممتعاً بحريتهِ ولا يمنع من اخذ ما لهُ من امتعة السفينة اما اذا غرق كل مَن فيها فما يمكن تخليصهُ من امتعتها وشحنها يسلم الى القنصل او نائبهِ ليعطيهُ لاربابهِ ولا يجوز لاحد من مأموري الدولة ان يأخذ منهُ شيئًا ومن يخالف ذلك يعاقب اشد العقاب

﴿ البند الرابع عشر ﴾ اذا ابق عبد لاحد العثمانيين ولجأَ الى بيت احد الفرنسويين او مركبهِ فعلى الفرنسوي الاَّ يمنع التفتيش عنهُ في بيتهِ او مركبهِ واذا وجد انهُ اخفى العبد الآبق يوكل عقابهُ الى قنصلهِ ويرد العبد الى سيدهِ

﴿ البند الخامس عشر ﴾ كل تابع لملك فرنسا اذا لم يكن قد اقام في بلاد الدولة العلية عشر سنوات كاملة بدون انقطاع لا يلزم بدفع الخراج او اية ضريبة كانت ولا بعمل آخر من نوع السخرة وكذلك تكون معاملة رعايا الدولة العلية في بلاد فرنسا

وقد اشترط ملك فرنسا انهُ يحق للبابا ولملك انكلترا اخيهِ وحليفهِ ولملك اسكتلندا ان يشتركوا في منافع هذه المعاهدة اذا ارادوا واعلنوا ارادتهم في مدة ثمانية اشهر

﴿ البند السادس عشر ﴾ يرسل كل من جلالة السلطان وملك فرنسا تصديقهُ على هذه المعاهدة الى الآخر في غضون ستة اشهر بعد توقيعها ويعد كلٌّ منهما بالمحافظة عليها والتنبيه على جميع العمال والقضاة والمأمورين وسائر الرعايا للعمل بكل نصوصها بالدقة التامَّة ولكي لا يدَّعي احد الجهل بها تنشر صورتها في القسطنطينية والاسكندرية ومصر ومرسيليا وناربونة وفي كل الاماكن المشهورة في البر والبحر من ممالك الدولتين اه

وهذه المعاهدة هي اساس كل المعاهدات التي تلتها . وبعد ذلك بخمس سنوات منحت الدولة العلية امتيازات كهذهِ للبندقية . وكان المتعارف اولاً ان الامتيازات تدوم مدة حكم السلطان الذي منحها ولذلك جدد السلطان سليم الثاني في سنة ١٥٦٩ الامتيازات الفرنسوية التي منحها سلفهُ وزاد عليها امتيازات اخرى اهمها ان يعفى الفرنسويون من دفع مال الاعناق وانهُ يحق للقناصل ان يبحثوا عمَّن يكون عند العثمانيين من الفرنسويين في حالة الرق والبحث عمَّن استعبدهم وباعهم ارقاء والاقتصاص منهُ . وان يرد السلطان كل ما سلبهُ قرصان البحر من السفن الفرنسوية ويعاقب الذين سلبوها وان يكون لفرنسا كل الامتيازات الممنوحة لجمهورية البندقية

وسنة ١٥٧٩ ارسلت انكلترا ثلاثة من تجارها الى القسطنطينية وهم وليم هربون وادورد الِس ورتشرد ستابل لكي يطلبوا من الباب العالي ان يكون لتجار الانكليز ما لغيرهم من تجار الاوربيين من الامتيازات . وسنة ١٥٨٣ جعل وليم هربون سفيراً في القسطنطينية من قبل الملكة اليصابات وكان غرض الملكة من ذلك ان تستعين بالسلطان مراد الثالث على ملك اسبانيا وبابا رومية وكتبت الى السلطان مراد سنة ١٥٨٧ تستغيث بهِ ليرسل اليها من ستين الى ثمانين سفينة حربية (غالي) لكي تستعين بها على محاربة ملك اسبانيا ثم كتبت اليهِ ثانية في شهر نوفمبر سنة ١٥٨٨ تبشرهُ بفوزها على ملك اسبانيا وتطلب منهُ ان يرسل اساطيلهُ لتأديب ذلك الملك . وكان هنري الثالث ملك فرنسا قد كتب اليهِ بمثل ذلك في شهر ابريل سنة ١٥٨٨ وقال انهُ اذا تمكن ملك اسبانيا من قهر انكلترا فانهُ يعود ويحارب الدولة العلية ويتغلَّب عليها . وقد نالت انكلترا امتيازاتها الاولى سنة ١٥٨٣ ومنها امتياز لتجار بلادها بان ترفع سفنهم العلم الانكليزي في مرافئ الدولة العلية وكانت السفن الاجنبية تدخل المرافئ العثمانية حينئذٍ رافعة العلم الفرنسوي الاَّ سفن البندقية

وكانت فرنسا الى ذلك الحين الحامية الرسمية لجميع الاوربيين المقيمين في تركيا ثم ان

انكلترا ادعت حق حماية رعايا سائر الدول ولكن هذه الدعوى رفضت في معاهدات الامتيازات الممنوحة لفرنسا سنة ١٥٩٧ و ١٦٠٤ و ١٦٠٧ وقد جاء في الاخيرة منها ان فرنسا تتولى حماية رعايا الدول التي ليس لها سفراء في الاستانة

وسنة ١٦١٣ نالت هولندا امتيازاتها الاولى بمساعدة سفير فرنسا لان فرنسا كانت ترغب في مساعدة هولندا على مناظرة انكلترا في التجارة

ومن الامتيازات التي نالها الانكليز سنة ١٦٧٥ انهُ يجوز لملك انكلترا ان يشتري بمالهِ من البلاد العثمانية وسق سفينتين من التين والزبيب وانما يكون ذلك في سني الخصب لا في سني الجدب ويدفع عنها رسماً ٣ في المئة

وسنة ١٦٧٣ فازت فرنسا بتأييد امتيازاتها وكانت قد بقيت بلا تأييد منذ سنة ١٦٠٧ وكان لويس الرابع عشر ملك فرنسا يحاول ان يتولى حماية جميع الكاثوليك في السلطنة العثمانية ولكنهُ لم يفز بمشتهاهُ واعترفت لهُ الحكومة العثمانية بحق حماية جميع اللاتين الذين ليسوا من الرعايا العثمانيين

وفي جملة الامتيازات التي نالها الفرنسويون في ذلك الحين تخفيض الرسوم الجمركية على وارداتهم من ٥ في المئة الى ٣ في المئة وان تسمع جميع الدعاوي التي ترفع عليهم او يرفعونها على الرعايا العثمانيين وتتجاوز قيمتها اربعة آلاف غرش في الباب العالي نفسهِ لا في المحاكم

وسنة ١٧٣٩ ساعدت فرنسا الدولة العلية في مفاوضات صلح بلغراد وايدتها فمنحتها الدولة امتيازات سنة ١٧٤٠ وهي تقضي بان تكون الامتيازات دائمة لا تنقضي بوفاة السلطان الذي منحها وانهُ لا يجوز تعديلها بغير رضى فرنسا واعطت سفير فرنسا حق التقدم على زملائهِ

ونالت النمسا امتيازاتها سنة ١٧١٨ وعدلت سنة ١٧٨٤ ونالت روسيا امتيازات مثلها في تلك السنة ولم ينقضِ القرن الثامن عشر حتى نالت جميع دول اوربا تقريباً هذه الامتيازات. ونالت الحكومات الجديدة كالولايات المتحدة والبلجيك واليونان امتيازاتها في القرن التاسع عشر

واهم الامتيازات التي يتمتع بها الاجانب في السلطنة العثمانية بهذا النظام هي حرية السكنى والاقامة وعدم جواز خرق حرمة منازلهم ومحلاتهم وحرية السفر براً وبحراً وحرية التجارة وحرية ممارسة الشعائر الدينية والاعفاء من القوانين المحلية بقيود وضمانات ومن اختصاص النظر والحكم في ما ينشأ بين شخصين من رعية دولة واحدة ونحو ذلك

وقد ادعت الولايات المتحدة والبلجيك ان معاهداتهما مع الدولة تخولهما حق محاكمة

رعاياها في القضايا الجنائية ولو كان المجني عليهِ عثمانيًا وقد طلبت البلجيك ذلك في جناية القنبلة في قصر يلديز سنة ١٩٠٥ فانها ادعت الحق بمحاكمة جوريس البلجيكي وكان متهمًا بالاشتراك في تلك الجناية

هذا طرف موجز من تاريخ الامتيازات الاجنبية ومنشإها في بلاد السلطنة العثمانية . وقد الغيت هذه الامتيازات في الولايات التي نزعت من السلطنة واستقلت كرومانيا والسرب والبلغار او ضمت الى الممالك المجاورة كالبوسنه والهرسك

انفرس

وصفها ولمعة من تاريخها

يهم القراء الآن وقد سقطت انفرس التي كانت تعدُّ من امنع حصون العالم بعد باريس ان يقفوا على لمعة من تاريخها وشيءٍ من عظمتها وتجارتها وحصونها ومبانيها الفخمة الى غير ذلك مما يفيد الاطلاع عليهِ في مثل هذه الاحوال . فرأينا ان نلخص لهم ذلك في ما يلي

موقعها الجغرافي

انفرس مدينة تجارية كبيرة على ضفة نهر الشلد اليمنى او الشرقية الى الشمال من بروكسل وعلى بعد ٢٥ ميلاً منها و ٥٠ ميلاً من البحر الشمالي . وعرض نهر الشلد امامها ٢٢٠٠ قدم وعمقهُ يتراوح بين ثلاثين قدماً واربعين حين الجزر وبين ٤٢ قدماً و ٥٤ حين المد

تاريخها

ورد ذكر هذه المدينة في القرن الرابع كبلدة في المانيا الثانية (الغربية) . وفي القرن الثامن قام احد اعيان الانتوربيين او الغتربيانيين واسمهُ روبنجوس وانتحل لنفسهِ لقب امير انفرس . وفي سنة ٧٢٦ سقطت انفرس في يد النورسمن (الدنماركيين) فحكموها ٣٦ سنة وفي سنة ١٠٠٨ جعلها الامبراطور هنري الثاني مركزية (امارة) في المملكة الرومانية المقدسة واقطعها الامبراطور هنري الرابع الى جودفري دي بويون سنة ١٠٧٦

وسنة ١٣٣٨ زارها ادورد الثالث ملك انكلترا وزوجتهُ الملكة فيلبا وقضيا فصل الشتاء فيها ورزقا هناك البرنس ليونل دوق كلارنس . واقترض هذا الملك من اهلها حينئذٍ اربعماية الف فلورين . وانتقلت امارة انفرس بعد ذلك الى آل فلندرس ومنهم الى آل برغندي ثم الى آل برابانت سنة ١٤٠٦ . وبلغت مدينة انفرس من الشهرة والعظمة بين

سنة ١٤٨٨ وسنة ١٥٧٠ ما لم تبلغهُ الأ في اواسط القرن الماضي وقد دعاها بعض الكتّاب في ذلك العصر مثل جشيارديني وسكربانيوس « المدينة الغنية » ولقبها سواهم « بمدينة المال » وكانت تقام فيها حينئذٍ سوقان كبيرتان اسم احداهما « سوق العنصرة » والاخرى « سوق سان بادون » يؤمها الناس من جميع انحاء اوربا . وكان يدخل ميناء انفرس في هذه المدة ما لا يقل عن ٥٠٠ مركب يوميًّا وقد يكون فيها في وقت واحد ٢٥٠٠ مركب وكان يدخل ابواب المدينة يوميًّا اكثر من خمس مئة مركبة محملة بضائع من داخلية البلاد ولا تقل قيمة النقود التي يتداولها تجارها في العام عن خمس مئة مليون جلدر (٣٧ مليون جنيه) . و بلغ عدد سكانها في ذلك الحين اكثر من مئة الف نسمة

ولم ينقضِ القرن السادس عشر حتى هبطت انفرس من باذخ عزها ومجدها بسبب الحروب التي توالت على البلجيك . ففي سنة ١٥٧٦ استولى عليها الاسبان واباحوها للسلب والنهب ثلاثة ايام . ثم عادوا فحاصروها سنة ١٥٨٣ بقيادة دوق النسون فثبتت على الحصار الى ان أبدل دوق النسون بدوق بارما فشدد عليها الحصار وضيق عليها الخناق حتى سقطت في ١٧ اغسطس سنة ١٥٨٥ بعد ما عفا مجدها وبارت تجارتها الواسعة وتفرق شمل اهلها وهرب معظمهم الى همبرج . وغار الهولنديون مما بلغتهُ من الشهرة والعظمة فانشأوا الحصون على ضفتي نهر الشلد وصاروا يتحكمون في تجارتها فيمنعون المراكب من دخول نهر الشلد اليها او خروجها منهُ الى عرض البحر . ولما عقدت معاهدة وستفاليا سنة ١٦٤٨ اقفل نهر الشلد في وجه السفن وحرم عليها الدخول فيهِ الى انفرس

وفي سنة ١٧٩٤ استولى عليها الفرنسويون وجعلوها عاصمة ولاية « الده نات » (ولاية انفرس الحالية » وزارها نبوليون الاول سنة ١٨٠٣ فاعجب بحسن موقعها الجغرافي وحاول ان يجعلها قاعدة حربية كبيرة ومركزاً تجاريًّا عظيمًا وانفق نحو مليوني جنيه على انشاء الاحواض فيها توطئة لذلك . وقد سمع مراراً يقول « ان انفرس ليست الأ طبنجة محشوة وموجهة الى نحر انكلترا » . وظلت بيد الفرنسويين الى سنة ١٨١٤ حينما سلمت الى جيوش الحلفاء (انكلترا و بروسيا والنمسا) التي كانت بقيادة الجنرال جراهام الانكليزي بعد معاهدة باريس و بعد ما دافع عنها كارنو القائد الفرنسوي المشهور دفاعاً مجيداً . وانضمت هي وسائر البلجيك الى هولندا واتحدتا معاً فصارتا مملكة واحدة وظلتا كذلك من سنة ١٨١٥ الى سنة ١٨٣٠

وسنة ١٨٣٠ شبت نار الثورة في البلجيك وكانت قلعة انفرس بيد حامية هولندية بقيادة الجنرال شاسه فطلب الثوار منهُ أن يسلم القلعة اليهم فابى ودافع عنها مستبسلاً حتى

اضطره الفرنسويون بقيادة المرشال جرار الى التسليم سنة ١٨٣٢ واعادوا انفرس الى البلجيكيين . وفي سنة ١٨٣٩ انفصلت البلجيك عن هولندا رسميًّا بحسب الاتفاق الذي عقد بينهما فاخذت انفرس من تلك السنة تستعيد مجدها وعظمتها السابقين حتى صارت الميناء الثالث في العالم في كثرة احواضها وعظمتها وعدد ما يدخلها من البواخر واتساع تجارتها

احواض انفرس

في انفرس الآن عشرة احواض تبلغ مساحتها ١٧٠ فدانًا وهي

(١) حوض نبوليون الصغير (٢) وحوض نبوليون الكبير اللذان انشأهما نبوليون الاول كما تقدم آنفًا وطول الاول ٥٧٤ قدمًا وعرضهُ ٤٩٢ وطول الثاني ١٣١٢ قدمًا وعرضهُ ٥٧٤ قدمًا (٣) وحوض كانتديك وقد انشئ سنة ١٨٦٠ ووسع سنة ١٨٨١ (٤) وحوض بوى او الخشب (٥) وحوض كامبين وهو خاص بالسفن التي تقل المعادن (٦) والحوض الاسيوي ويصل بينهُ وبين نهر الموز قنال عريض (٧) وحوض لفيفر (٨) وحوض اميركا وقد فتح سنة ١٩٠٥ (٩ و١٠) والحوضان المتداخلان

تجارة انفرس

دخل ميناء انفرس سنة ١٩١٢ من البواخر التجارية ٢٢٤٤٤ باخرة بلغت حمولتها كلها ٣٢٦٧٢٩٨٩ طنًّا وبلغت قيمة المتاجر التي وردت عليها من الخارج ١٤٩٧٥١٢٠٠٠ فرنك وقيمة المتاجر التي صدرت منها ٢٩٤٣٢١٥٠٠٠ فرنك وقيمة البضائع التي مرت بها ٢٤٣٧٣٠٠٠٠٠ فرنك

سكان انفرس

احصي سكان انفرس في ٣١ دسمبر سنة ١٩١٢ فبلغ عددهم ٣١٢٨٨٤ نفسًا

حصون انفرس

يحيط بانفرس سلسلتان او دائرتان من الحصون احداهما داخلية والاخرى خارجية . فالخارجية منهما تتألف من تسعة عشر حصنًا مدرعة بالفولاذ وهي مشيدة على مسافة تتراوح بين ستة اميال وتسعة من المدينة . اما الدائرة الداخلية فتتألف من اثني عشر حصنًا مدرعة مثل الاولى وهي مشيدة في اطراف المدينة وضواحيها القريبة . وبين هذه الحصون سلسلة متصلة من الاستحكامات الاخرى تحول دون دخول الجيش المهاجم الى المدينة اذا استطاع اختراق منطقة الحصون الاولى او انسل من بين حصونها

وبين هذه الحصون طوابي عديدة وبطاريات كثيرة من المدافع الكبيرة . ويقال بالاجمال

ان بين كل حصن وآخر طابية او طابيتين من هذه الطوابي و بعض البطاريات الكبيرة وعددها يختلف على نسبة الابعاد التي بين الحصون . وبين بعضها ارض واطئة تغمرها مياه نهر الشلد

ابنية انفرس الفخمة

في انفرس كما في كل مدينة قديمة في اوربا اشتهرت بالمجد والغنى ابنية عديدة فخمة · واشهر هذه الابنية بناء شركة هنسيا ومخازنها وهو بناء كبير جدًّا اشبه بقلعة عظيمة منهُ بدار تجارة · و كنيسة نوتردام الكاتدرائية وقد شرع في بنائها في اواسط القرن الرابع عشر ولم تتم الاَّ في العقد الثاني من القرن السادس عشر وهي من اجمل الابنية التي في البلجيك من الطرز القوطي طولها ٥٠٠ قدم وعرضها ٢٠٠ قدم وهي الكنيسة الوحيدة في اوربا التي لها ستة اجنحة · ولها برجان علو احدهما ٤٠٣ اقدام والثاني لا يزال غير تام البنيان · وفي هذه الكنيسة صور نفيسة جدًّا اشهرها صورة « انزال المصلوب » وصورة « رفع الصليب » وصورة « الصعود » وهي من تصوير روبن

ويليها كنيسة سان جيمس وهي اجمل من كاتدرائية نوتردام في زينتها وزخرفها وفيها مدفن روبن المصور البلجيكي المشهور

وفي انفرس كنائس اخرى جميلة منها كنيسة سان بول وكنيسة سان اندرو وكنيسة سان اوغسطين

ودار بلدية انفرس من اجمل دور البلديات في العالم فقد جمعت في واجهتها ثلاثة نماذج من البناء الايطالي وقد رسم هذه الدار كرنيليوس فرينتي المهندس سنة ١٥٦٤ وطول واجهتها ٣٠٠ قدم وهي اربع طبقات مزدوجة الكوى غاية في الفخامة

وفي انفرس ايضاً متحف للصور فيهِ ٥٦٠ صورة من اشهر صور العالم من تصوير روبن وفانديك وتشيان وتنيير وجوردان وكوتين وماستي · وفيها فوق ذلك كليات عديدة ومدارس للصناعة والفنون وحديقة للحيوانات واخرى للنباتات وتياترات ودور قديمة مشهورة

وقد هاجمها الالمان في اوائل الشهر الماضي وسدَّدوا اليها مدافعهم الكبيرة التي قطر قنابلها من ٢٨ سنتمتراً الى ٤٢ فدكت بعض حصونها واضرمت النار في كثير من مبانيها وفي احواض البترول التي فيها فخرجت الحامية منها وهجرها بعض سكانها ودخلها الالمان صباح العاشر من اكتوبر . فلحقت هذه المدينة العظيمة بغيرها من مدن بلجكا الحصينة وثبت ان الحصون التي انشئت حتى الآن لا تقوى على القنابل الضخمة التي تطلق عليها بزخم شديد حتى لو خلا لها الجو لبلغ مداها عشرة اميال

نقص السكان في فرنسا

الامة الفرنسوية من ارقى امم الارض واعلاها كعباً وارسخها في المدنية قدماً وقدافادت العالم بكثرة من نبغ من ابنائها وبما لها من المساعي المشكورة في سبيل نشر المدنية وحمل نور المعارف الى الامم الاخرى خصوصاً امم الشرق. فاذا نكبت تالّم لها اهل المدنية عموماً واذا حل بها وهن فقدت المدنية ركناً من اعظم اركانها . وقد كان كتّاب الفرنسويين وذوو الشأن منهم يحذرون امتهم من خطرين عظيمين الاول غزو الالمان لفرنسا والثاني عدم ازدياد الفرنسويين في عددهم بقدر ما تزداد الامم الاوربية الاخرى . اما الخطر الاول فقد دهمهم الآن بوقوع الحرب بينهم وبين الالمان فان خرجوا ظافرين ازدادوا بسطةً ورفعةً وان خرجوا مقهورين فقد قهروا من قبلُ فلم يلبثوا ان اصلحوا ما فسد من امورهم وعادوا الى منزلتهم بين امم الارض العظيمة . اما الخطر الثاني فقد صورهُ بعض الكتاب بصورة داء دفين يوهن قوة الامة الفرنسوية ويصير بها الى الاضمحلال

يخيف الفرنسويين ان الشعوب الاوربية المجاورة لهم آخذة في النمو والازدياد سريعاً وانهم هم لا يزدادون مثلها فسنة ١٨٧٢ كان الشعب الفرنسوي ٣٦١٠٢٠٠٠ نفس فاصبح ٣٩٦٠١٠٠٠ سنة ١٩١١ اي انهُ زاد نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون . ولكن الشعب الالماني الذي كان ٤٠٠٠٠٠٠٠ اصبح ٦٥٠٠٠٠٠٠ اي انهُ زاد خمسة عشر مليوناً عدا عمن هاجر منهُ الى اميركا والبلدان الاخرى. والشعب الانكليزي الذي كان ٣١٨٤٠٠٠٠ اصبح نحو ٤٥٠٠٠٠٠٠ عدا عمن هاجر منهُ الى المستعمرات الانكليزية والشعب النمساوي المجري الذي كان ٣٥٧٠٠٠٠٠ اصبح اكثر من ٤٩٠٠٠٠٠٠ والشعب الروسي الذي كان نحو ٨٠٠٠٠٠٠٠ اصبح اكثر من ١٥٥٠٠٠٠٠٠

وقد قال المسيو برتيون في خطبة لهُ القاها سنة ١٩١٢ ان الشعب الفرنسوي كان ١٨ في المئة من اهل المدنية سنة ١٨١٥ فامسى ١٠ في المئة منهم. وان الذين يتكلمون الفرنسوية لا يزيدون على ٥٠٠٠٠٠٠٠ من البشر اما الذين يتكلمون الالمانية فيقربون من ١٢٠٠٠٠٠٠٠ والذين يتكلمون الانكليزية يبلغون ١٥٠٠٠٠٠٠٠ . وكانت فرنسا الاولى بين الممالك الاوربية في عدد السكان سنة ١٧٨٩ فصارت الآن السادسة ويتلوها في المرتبة ايطاليا التي لا تقل عنها كثيراً في عدد سكانها . واشار المسيو برتيون في خطبتهِ الى المضار التي تنجم عن نقص السكان فقال ان الصادرات الفرنسوية تكاد تقف عن الازدياد

لقلة العملة بينما الصادرات الالمانية آخذة في الازدياد وقد اصبحت ضعفي ما كانت منذ ثلاثين سنة . وان ما تعبئهُ المانيا من المقاتلة يزيد عمَّا تعبئهُ فرنسا خمسين في المئة وكانتا متساويتين في ذلك قبل هذا الاوان باربعين سنة . ولا تقدر فرنسا ان ترسل الى املاكها من يعمرها وينشر النفوذ الفرنسوي فيها وقد قلت اهمية اللغة الفرنسوية ايضاً لانها كانت اللغة العامة لنشر الكتب العلمية والصناعية فخسرت مركزها هذا الآن . واخذت المواليد تقل في فرنسا في القرن الماضي مع انها كانت تزداد في الممالك الاخرى فسنة ١٨٠١ كانت المواليد فيها ١٠٠٧٠٠٠ فهبطت الى ٩٢٧٠٠٠ سنة ١٨٣٦ ثم الى ٨٤٧٠٠٠ سنة ١٨٧٦ ثم الى ٨٠٧٠٠٠ سنة ١٨٩٦ ثم الى ٧٤٢١١٤ سنة ١٩١١ وكانت قد زادت قليلاً سنة ١٩٠١ . وسنة ١٨٩٧ كانت زيادة المواليد على الوفيات ١٠٨٠٠٠ فهبطت الى ٨٣٠٠٠ سنة ١٩٠٢ ثم الى ٢٦٠٠٠ سنة ١٩٠٦ . وسنة ١٩١١ زادت الوفيات على المواليد ٣٤٨٦٩ فكأَن فرنسا خسرت تلك السنة سكان مدينة مثل لونفيل او فردون

اما في الممالك الاخرى فزيادة المواليد مطردة فتزيد المواليد الشرعية كل سنة ٧٥٠٠٠٠ في المانيا و ٦٠٠٠٠٠ في النمسا والمجر و ٥٠٠٠٠٠ في بلاد الانكليز و ٣٠٠٠٠٠ في ايطاليا . وما يخيف الفرنسويين هو انهم يرون المانيا تزداد كل سنة من المواليد وحدها نحو مليون نفس بينما هم بدأُوا يقلون . وقد قال فون مولتكي ان المانيا تربح معركة حربية من فرنسا كل سنة اذ يزداد سكانها نحو مليون نفس . وقال المسيو دي فوفيل ان فرنسا تفقد اربعة فيالق كل ١٥ سنة

ويظهر من احصاءات الآونة الاخيرة ان المواليد آخذة في النقصان في جميع المقاطعات الفرنسوية ويزيد عدد الوفيات على عدد المواليد في كثير منها وهو في بعضها ضعفاهُ . وكان متوسط المواليد لكل الف من السكان ٣١٫٨ سنة ١٨١٠ فهبط الى ١٩٫٦ سنة ١٩١١ وهو في بعض المقاطعات ١٠٫٩ . ويؤْخذ من بعض الاحصاءات انهُ لم يولد في باريس السنة الماضية الاَّ ولد واحد لكل ثلاثين عائلة

وقد كان متوسط عدد الاولاد لكل مئة عائلة فرنسوية ٤٢٤ سنة ١٨١٠ فهبط الى ٣١٦ سنة ١٨٦٠ وهو الآن نحو ٢٠٠ ولد . ويقل هذا المتوسط بين اغنياء باريس وصغار الملاك والمأمورين حتى يبلغ ١٥٠

وقد جاء في احصاء نظارة العمال سنة ١٩٠٨ ان العائلات الفرنسوية التي لا اولاد فيها كانت ١٨٠٤٧١٠ والعائلات التي فيها ولد واحد ٢٩٦٦١٧١ والعائلات التي فيها ولدان

٩٧٨ ٦٦١ ٢ والعائلات التي فيها ثلاثة ٤١٥ ٦٤٣ ١ اما العائلات التي فيها اربعة اولاد فلا تزيد على ٣٩٣ ٩٨٧ فالعائلات التي فيها اربعة اولاد او اكثر كانت ٧٨٠ ٢٣٨ ٢ والعائلات التي فيها ثلاثة اولاد او اقل والتي لا اولاد فيها كانت ٢٧٤ ٠٧٦ ٩

اسباب النقص

تضاربت الآراء في اسباب النقص في الشعب الفرنسوي وقد قيل ان من هذه الاسباب كثرة الوفيات . فمتوسط الوفيات لكل الف من السكان في فرنسا يقرب من ٢٠ وهو دون ذلك بكثير في بلاد الانكليز وهولندة واسوج ونروج والمانيا وسويسرة ويقل في نروج حتى يبلغ ١٤ . ووفيات الاطفال على الخصوص كثيرة في فرنسا فثلث الوفيات جميعها من الاطفال الذين دون الثالثة من العمر . ومما يعمل على زيادة الوفيات في فرنسا شدة فتك السل اذ يموت بهِ كل سنة ٢٢٫٥ من كل ١٠٠٠٠ من السكان اما في المانيا وبلاد الانكليز فقد هبط عدد الوفيات بهِ حتى صار ١١ من كل ١٠٠٠٠ من السكان . ويشتد فتك هذا الداء في مدينة باريس وقد بلغت وفياتهُ فيها ١٣٦٠٠ سنة ١٩٠٨

وقيل ان ادمان المسكرات من العوامل التي تعمل على كثرة موت الاطفال وقلة المواليد . فان وفيات الاطفال تكثر في المقاطعات التي يكثر فيها تعاطي المسكرات . وقد قال المسيو ريبو العضو في مجلس الشيوخ ان تعاطي المسكرات والسل يعملان على ابادة الشعب الفرنسوي ووافقهُ على ذلك الباحثون في الامراض التي تسببها المسكرات . ويتضح من الاحصاءات ان تعاطي المسكرات في فرنسا آخذ في الازدياد ومتوسط ما يشربهُ كل واحد من الفرنسويين في السنة ١٤ لتراً . ويتضح منها ايضاً ان جانباً كبيراً من المجاذيب في الملاجئ جنوا لتعاطيهم المسكر . ولا ينكر ما لتعاطي المسكرات من الضرر ولكن لا نصيب لهُ في تقليل المواليد فهو لا يسبب العقم . ثم ان الانكليز والبلجيكيين والالمان يتعاطون المسكرات مثل الفرنسويين ومواليدهم كثيرة

وقد ذهب بول لروى بوليو وجماعة غيرهُ الى ان لارتخاء حبل الدين ونبذ الفرنسويين تقاليدهم القديمة يداً في نقص المواليد فان ولادة الاولاد كانت تعد من الواجبات الدينية ولم يبقَ لها تأثير الآن في الشعب الفرنسوي الذي كاد ينبذ الدين بتاتاً . وقد قال لروى بوليو انهُ لو كانت المواليد في مقاطعات فرنسا كلها منذ سنة ١٨٧١ مثل ما هي في مقاطعة فنستر المتمسكة بالدين لكان في فرنسا الآن ٥٣٠٠٠٠٠٠ من السكان لا ٣٩٠٠٠٠٠٠ فقط . ويقول انصار الدين ايضاً ان المواليد في مقاطعة كوبك في

كندا اكثر منها في فرنسا وكذلك يقال عن البلجيك وكوبك والبلجيك من البلدان التي رسخت فيها قدم المذهب الكاثوليكي . ويذهب آخرون الى ان قلة الزيجات من اسباب قلة المواليد ولكن الزيجات في فرنسا ما زالت آخذة في الازدياد فقد كان عددها ٣٣٢ ٢٦٩ سنة ١٨٩٠ فزادت الى ٧٨٨ ٣٠٧ سنة ١٩١١ مع ان المواليد قلت في المدة ذاتها . فكثرة عقود الزواج لا تزيد المواليد وانما يزيدها الزيجات التي يقصد بها توليد النسل

ويرى آخرون ان للطلاق يداً في قلة المواليد ويرد عليهم غيرهم بان الطلاق قد يعمل على زيادة المواليد لا على قلتها لانهُ يمكن من جاءت زيجتهُ عقيمة من ان يحلها ويتزوج ثانيةً . ثم ان القانون الفرنسوي لم يكن يجيز الطلاق قبل سنة ١٨٨٤ ولم يكن عدد السكان يزيد كثيراً حين ذاك زد على ذلك ان الطلاق جائز في بلدان اخرى ومواليدها كثيرة رغماً عن ذلك . ولم يكن القانون الفرنسوي يجيز للمحاكم ان تنظر في الدعاوي التي يطلب بها اثبات بنوة الابن غير الشرعي لابيهِ فكان ذلك يعد من الاسباب التي تقلل المواليد الشرعية ولكن قد اجيز لها ذلك السنة الماضية

وقد عد من جملة اسبابهِ ايضاً ميل الفرنسويين الى عيشة الرفاه والرخاء واستُشهد على ذلك بان المواليد تقل كثيراً في المقاطعات الغنية وان المواليد بين فقراء باريس تبلغ ضعفي المواليد بين ذوي اليسار من اهلها ولكن الحال على مثل ذلك في جميع البلدان فهذا السبب ليس خاصاً بالفرنسويين

فالسبب الاكبر لنقص الشعب الفرنسوي ليس في احوال الشعب الخارجية من اجتماعية وقانونية ودينية بل هو ان الفرنسويين لا يعبأُون بتخليف النسل . هذا هو السبب الاكبر اما الاسباب الاخرى ككثرة الوفيات وادمان المسكرات والطلاق وكل ما تقدم ذكرهُ فاسباب ثانوية . وقد قوَّى فيهم كرهَ تربية الاولاد انتشار مبادئ ملثوس[1] بينهم وكثرة الذين يغرونهم بالاجهاض وتقليل النسل تخلصاً من اعباء تربية الاولاد وعملاً على تقليل الناس دفعاً للضيق المقبل على ما يزعمون ويؤيد الملثوسيون زعمهم بالاستشهاد بغلاء المعيشة وصعوبة تحصيل المعاش ويقولون ان عظمة الشعب لا تكون بكثرة افرادهِ بل بارتقائهم وان بلاد فرنسا لا تحتمل من السكان اكثر مما فيها الآن فما النفع من ازدياد الفرنسويين اذا كان لا بد للذين يزيدون من ان يهجروا الى اميركا وغيرها من البلدان الاخرى . وقد انبرى

(١) عالم اقتصادي انكليزي قال ان اسباب المعيشة تزيد على نسبة حسابية واما عدد السكان فيزيد على نسبة هندسية وعليهِ فسيأتي وقت تمسي فيهِ اسباب المعيشة اقل مما يكفي لمعيشة الناس

لمقاومة هذه الآراء بعض اقطاب الفرنسويين وقد يلحون بحمل الحكومة على سن قانون يمنع نشرها

ويظهر مبلغ تأثير هذه الآراء من ان المقاطعات التي انتشرت فيها قلت مواليدها كثيراً . وقد زادت حوادث الاجهاض التي عولجت في مستشفيات الامهات بين سنة ١٨٩٨ وسنة ١٩٠٤ ثلاثة اضعاف وعدد حوادث الاجهاض في باريس اكثر من عدد المواليد ويقال ان ثلثي حوادث الاجهاض فيها اختيارية مقصودة . وقد قدر المسيو برتيون حوادث الاجهاض في فرنسا فقال انها ٥٠٠٠٠ ولكن المسيو بارتو قال انها قد لا تقل عن ١٠٠٠٠٠ في السنة

ومن الاسباب التي تدفع الفرنسويين على تقليل نسلهم حرص طبقة العمال ومستخدمي الحكومة على عيشة الرخاء مع قلة دخلهم . فاجرة العامل الفرنسوي نحو ١٦ قرشاً في اليوم ويبلغ مستخدمو الحكومة نحو مليون ومتوسط ما يتقاضاهُ الواحد منهم في العام لا يزيد على مئة جنيه كثيراً . ومتوسط عدد الاولاد في كل مئة عائلة من عائلات مستخدمي الحكومة ١٥٠ فقط . ومن اسباب تقليل النسل المهمة الميل الى ادخار المال وهذا الميل شديد في الفرنسويين خصوصاً في طبقة الفلاحين واصحاب الدكاكين وصغار الملاك . ويظهر من الاحصاءات ان المواليد تقل حيث يكثر الاقبال على بنوك التوفير . ومطمح آمال كل اب ان يترك ثروة لاولادهِ ويجهز بنتهُ بدوطة ولا يتيسر ذلك للفقير الأ اذا قلَّ اولادهُ . ويقال ان للفلاح الفرنسوي تعلقاً شديداً بارضهِ وممتلكاته فيعز عليهِ ان تقسم فيفضل ان يكون لهُ وارث واحد يرثها بجملتها حتى ولو كان ذلك الوارث بنتاً لا تديم اسمهُ ولا تقيم لهُ نسلاً . والقانون الفرنسوي لا يجيز للوالد ان يميز بين اولادهِ في وصيتهِ . وعند لروي بوليو ان سبب قلة المواليد في فرنسا هو نظر الفرنسويين الحديث في العائلة فانهم يعدون الاولاد عبئاً ويعتقدون ان العائلة يجب ان يرتفع شأنها في كل جيل عما كان في الجيل الذي قبلهُ . وكل اب يريد ان يرى ابنهُ في مركز اعلى من مركزهِ فالعامل يريد ان يرى ابنهُ مأموراً في الحكومة او من الملاك والفلاح يريد ان يرى ابنهُ محامياً او طبيباً او تاجراً ولا سبيل الى احراز هذه المطامح الأ بتقليل الاولاد ليمكن الانفاق عليهم فطموح جميع افراد الامة الى الارتقاء هو في عرفهِ السبب المهم في نقص المواليد الفرنسوية في الآونة الاخيرة

الذرائع لتكثير السكان

تنوعت الآراء في الذرائع التي يجب على الفرنسويين اتخاذها لتكثير عددهم . واول ما يشير

بهِ كتابهم العمل على تقليل الوفيات خصوصاً وفيات الاطفال فانها سدس الوفيات كلها وتتراوح بين ١٥٠٠٠٠ و ١٧٠٠٠٠ في السنة وثلثها من الاطفال الذين لم يتجاوزوا شهراً واحداً من العمر ويتوسل الى ذلك بالاحتياطات الصحية العمومية ومراقبة بيع اللبن وترغيب الامهات بارضاع اطفالهن ومن هذا القبيل القانون الذي سن حديثاً لحظر استخدام الحبالى في المعامل مدة ستة اسابيع قبل الوضع وستة اسابيع بعدهُ والزام المعامل التي تستخدم الامهات ان تعد امكنة خاصة للاطفال بحيث يستطيع امهاتهم ارضاعهم واطعامهم . ويقال ان امثال هذه الوسائل تنجي ٥٠٠٠٠ طفل من الموت كل سنة

وقد اخذت الحكومة تنظر في ترخيص ايجار المساكن للعائلات الكبيرة وسنت قانوناً يوجب عليها اعانة الاب الذي يزيد اولادهُ على ثلاثة اذا ثبت انهُ محتاج الى الاعانة

وقد اشار البعض بزيادة الاهتمام بمكافحة السل ومنع الطلاق وتحريم الترهُّب فان في فرنسا ٦٠٠٠٠ راهبة ولكن هذه الوسائل كلها لا تصيب الداء وقد قال المسيو برتيون اذا اخليت الاديار من الراهبات فاكبر زيادة في المواليد يؤمل حصولها لا تفوق ٥٠٠٠ وفرنسا في حاجة الى ٥٠٠٠٠ مولود كل سنة

وعند المسيو لروى بوليو وجماعة غيرهِ انهُ يجب على حكومة فرنسا ان تكف عن مناهضة المذاهب الدينية وان تسن الشرائع التي تضيق على الذين يسببون الاجهاض او يقتلون الاطفال ويشير البعض بتخفيض الرسوم التي تتقاضى من طالبي الزواج وتسهيل المعاملات القانونية عليهم وتخفيف الشروط التي يوجب القانون توفرها فيهم . وقد يكثر ذلك عقود الزواج ولا يكثر المواليد كما تقدم

ومن رأي المسيو لروى بوليو ايضاً ان تهون الحكومة على الاجانب التجنس بالجنسية الفرنسوية اغراء لهم على المهاجرة الى فرنسا وان تجوّز للآباء ان يميزوا بين اولادهم في ارثهم لكي يستطيعوا ان يختصوا احدهم بمعظم املاكهم ويأمنوا تقسيمها وتبددها وان تشارك الحكومة الوارث الوحيد في ارثهِ فتقاسمهُ الارث كما لو كان لهُ اخوة

وقد اشير ايضاً بدفع الاعانات المالية للعائلات اذا كثر الاولاد فيها وبضرب الضرائب على العزب وعلى المتزوجين الذين لا اولاد لهم وتخفيض الضرائب على ارباب العائلات . وفي فرنسا اكثر من ١٥٠٠٠٠٠ عزب فوق الخامسة والعشرين من العمر ونحو ٢٠٠٠٠٠٠ عائلة لا اولاد فيها ونحو ٣٠٠٠٠٠٠ عائلة فيها ولد واحد ونحو ٢٥٠٠٠٠٠ عائلة فيها

ولدان وقد قال احدهم ان من يربي ولداً يقوم نحو الامة بخدمة لاتقل اهميتها عن الخدمة في الجيش او عن دفع الضرائب

ويرى البعض ان على الحكومة ان تقدم ارباب العيال على غيرهم في الاستخدام في الوظائف التي لا تقتضي معارف فنية وانها تحسن صنعاً اذا حظرت الاستخدام في وظائفها على كل من لم يكن لهُ ثلاثة اولاد او اكثر . ومن الكتاب من يستحسن تمييز الحكومة في الاجور التي تنقدها لمستخدميها فتراعي في ذلك كثرة النفوس التي يعولها الموظف او قلتها وقد سارت بعض دوائر الحكومة على نسق يقرب من ذلك فتكفلت بدفع الاعانات للآباء اذا كثر اولادهم

ولكن ضرب الضرائب على العزب ودفع الاعانات الى ارباب العائلات الكبيرة ومشاركة الوارث الوحيد في ارثهِ جربها الرومان فلم تجدهم . والذرائع الاخرى التي اشير بها بعضها مما يستحيل العمل بهِ وجميعها لا تأتي بالفائدة المطلوبة . وافعل منها في راي بعض الكتاب العمل على تغيير آداب الفرنسويين وعاداتهم حتى يشعر كل رجل وكل امرأة منهم ان من واجباتهِ ان يلد اولاداً و يعولهم ليشبوا و يقوموا باعباء بلادهم و يرفعوا شأن امتهم اما الوسائل الاخرى الخارجية فلا تنفع الاَّ اذا ساعدت على احياء هذا الشعور في الصدور

وقد كثر اهتمام الفرنسويين بنقص عددهم واخذ علماؤهم وكتابهم يعالجون هذه الآفة و يبحثون عن الوسائل التي تمكن من ايقاف النقص ولكن المسألة صعبة جدًّا فالادواء الاجتماعية اصعب الادواء مراساً

هذا وعندنا ان الميل الى اخلاف النسل فطري في الانسان كما هو في الحيوان والنبات . فما دام الناس على الفطرة فهذا الميل قوي فيهم لا يعارضهُ معارض لاسيما وانهم يستفيدون من اولادهم وقلما يتعبون في تربيتهم واعالتهم ولا يتألم نساؤهم في ولادتهم . فاذا ارتقى الناس بقي هذا الميل فيهم على حالهِ ولكنهُ يلقى حينئذٍ مصاعب كثيرة تحول دونهُ كزيادة آلام الولادة وكثرة نفقات الاولاد في تربيتهم وتعليمهم ولاسيما نفقات البنات وقت تزويجهنَّ فتتعارض الاميال الفطرية والمصالح المادية فاذا استطاع الناس ان يكبحوا الميل الفطري او يصرفوهُ على وجه آخر حتى يقل اولادهم وتسهل تربيتهم واعالتهم فالغالب انهم يفعلون ذلك وعليهِ لا يحتمل ان يعدل الناس الراقون عن تقليل اولادهم الاَّ اذا رسخ في نفوسهم ان ذلك اثم ديني يعاقبهم عليهِ الله او اذا بُذلت العناية في تقليل آلام الولادة ونفقات الاولاد وسنَّت شرائع ينتفع بها الذين يكثر اولادهم حتى لا يضطروا الى كبح الميل الفطري

المدافع وافعالها

لا همَّ للناس الآن الاَّ معرفة اخبار الحرب الناشبة بين ممالك اوربا وكل ما يتَّصل بها كالبحث في تاريخ الحروب وآلاتها. اما اخبار الحرب فتأتي بها الجرائد يوماً فيوماً وسنلخصها في مكان آخر ليكون ملخصها تاريخًا لها . واما البحث في تاريخ الحروب وآلاتها فمحلهُ المجلات ينوع خاص والغرض منهُ توسيع المعارف واعداد الاذهان للتغلُّب على الميل الحربي المفطور عليهِ الانسان فان اسلافهُ الاولين قضوا الوفًا كثيرة من السنين وهم في نزاع دائم وجهاد مستمر للاستئثار باسباب المعيشة . والخُلق الذي رسخنهُ القرون الطوال — لا يسهل نزعهُ في قرن او قرنين لاسيما وان اسبابهُ تتجدَّد دوامًا فلا بدَّ من بذل كل وسيلة لاظهار ضررهِ وتنفير النفوس منهُ حتى ينشأ في الناس خلق آخر يقاومهُ ويتغلب عليهِ

يهاجم الحيوان غيرهُ ويدافع عن نفسهِ بانيابهِ واظافرهِ وحوافرهِ فاذا ارتقى رمى خصمهُ بالحجارة وضربهُ بالعصي .وقد اتصل الانسان من ذلك الى عمل المقاليع والسيوف والرماح والسهام ثم الى استنباط المدافع والبنادق . ولا يزال يتفنن في هذين النوعين الاخيرين حتى صنع من المدافع ما يقذف قنبلتهُ عشرين ميلاً ويخرق بها لوحًا من الفولاذ (الصلب) سمكهُ قدمان ومن البنادق ما يتوالى قذف الرصاص منهُ كل لحظة ويقتل رصاصهُ على الوف من الاقدام

وللمدفع فعلان كبيران الاول عملي بقنابلهِ وهو قتلهُ للناس وهدمهُ للحصون وتغريقهُ للسفن والثاني ادبي بصوتهِ وهو ارعابهُ للعدو او للذين لم يألفوهُ

ولا يعلم متى اخترع المدفع ولا مَن استعملهُ اولاً وقد فتشنا في كتب اللغة العربية فرأينا ان ابن منظور لم يذكر المدفع ولا المكحلة بمعنى المدفع في لسان العرب وقد توفي سنة ١٣١١ للميلاد ولا ذكرهما الفيومي في المصباح وقد كانت وفاتهُ سنة ١٣٣٣ ولا الفيروزابادي في القاموس وكانت وفاتهُ سنة ١٤١٣ ولكن الزبيدي شارح القاموس ذكر المكحلة وقال انها «هذه الآلة التي يضرب بها بندق الرصاص في لغة المغاربة» والزبيدي حديث توفي منذ مئة وثلاثين سنة

غير ان المكاحل والمدافع ذكرت في التواريخ العربية قبل ذلك فقد ذكرها ابن اياس في كلامهِ على معركة مرج دابق التي وقعت بين السلطان سليم العثماني والملك الاشرف ابي

النصر قانصوه الغوري سنة ١٥١٦ قال ان اعوان الملك الاشرف « هزموا عسكر ابن عثمان وكسروهم كسرة مهولة منكرة واخذوا منهم مناجق واخذوا المكاحل التي كانت على العجل ورماة البندق »

ولما جاء السلطان سليم الى مصر في اواخر تلك السنة قال الذين شاهدوا عساكره « انهم مثل الجراد المنتشر لا يحصى عددهم وان معهم رماة بالبندق الرصاص على عجلات خشب تسحبها ابقار وجواميس في اول العسكر » وقال ابن اياس بُعيد ذلك « وفي يوم الاثنين ثاني عشر (ذي الحجة من سنة ٩٢٢) اخرج السلطان (اي سلطان مصر طومان باي) الزردخانة الشريفة التي يخرجها صحبة العسكر فجلس في الميدان وانسحبت قدامهُ العجلات الخشب التي كان صنعها بسبب التجريدة فكانت عدتها مئة عجلة وتسمَّى عند العثمانية عربة وكل عربة منها يسحبها زوج ابقار وفيها مكحلة نحاس ترمي بالبندق الرصاص . فنزل السلطان من المقعد وركب وفي يدهِ عصا وصار يرتِّب العجلات في مشيها بالميدان ثم انسحب بعد العجل مئتا جمل محملة طوارق نحو الف وخمسمائة طارقة ومحملة ايضاً باروداً ورصاصاً وحديداً ورماح خشب » . وقال بعد ذلك انهُ « كان للسلطان عزم شديد في عمل العجلات وسبك المكاحل وعمل البندق الرصاص واشيع حينئذٍ ان صاحب رودس ارسل الى السلطان الف رام من جماعتهِ يرمون بالبندق الرصاص وارسل اليهِ عدة مراكب فيها بارود فدخلت تلك المراكب الى ثغر دمياط وامر بحفر خندق نصب عليهِ الطوارق والمكاحل معمرة بالمدافع »

وليست هذه اول مرة ورد فيها ذكر المدافع فقد ذكر في تاريخ ابن اياس في حوادث سنة ٧٥٣ هجرية الموافقة لسنة ١٣٥٢ مسيحية « ان نائب قلعة دمشق حصَّن القلعة تحصيناً عظيماً وركَّب عليها المكاحل بالمدافع »

وقد ورد ذكر المكاحل والمدافع هنا على اسلوب غريب فيحتمل ان يكون نائب قلعة دمشق وضع فيها مدافع معدنية تحشي بالبارود فيكون استعمال المدافع قديماً في البلدان العربية . ويحتمل ان يكون المراد بقولهِ المكاحل بالمدافع البنادق القديمة التي استعملت قبل المدافع الكبيرة فانها كانت اثقل من ان تحمل باليد ولعل كلمة Mangonneau الفرنسوية محرفة من كلمة مكحلة العربية او كلمة مكحلة مأخوذة من الكلمة الفرنسوية فان معناهما واحد

اما الافرنج فقد جاء في تواريخهم ان الالمان منهم استعملوا المدافع في حصار سفيدال بايطاليا سنة ١٣٣١ وان اثني عشر من رماة الملك ادورد الثالث الانكليزي كانوا مدفعية وذلك سنة ١٣٤٤ ولما كانت معركة كراسي المشهورة سنة ١٣٤٦ اتى الانكليز بمدافعهم الى

ساحة الوغى وهي اول مرة جرَّؤوا فيها المدافع الى ميدان القتال

ويستخلص من ذلك كلهِ ان المدافع استعملت في بداءة القرن الرابع عشر ولكن لا يعلم من اخترعها اولاً . ثم جعلت تزيد حجماً الى عهد السلطان محمد الفاتح فان رجلاً مجريًّا سبك لهُ مدافع ضخمة فتح بها القسطنطينية وكانت قنابلها من الحجارة الكبيرة وبقي بعضها الى اوائل القرن التاسع عشر وقد اصابت قنبلة مدفع منها سارية البارجة التي كان فيها الاميرال دكورث الانكليزي الذي اقتحم الدردنيل سنة ١٨٠٧ فكسرتها وكانت حجراً زنتهُ ٧٠٠ ليبرة واصابت اخرى جماعة من الجنود والنوتية فقتلت وجرحت ستين منهم

ويقسم تاريخ المدافع الى ثلاثة ازمنة الزمن الاول كانت القنابل فيهِ من الحجارة في الغالب وهو يمتد من اول استعمال المدافع الى سنة ١٥٢٠ وكانت المدافع تسبك حينئذٍ من الحديد وقلما تسبك من النحاس لانها كانت كبيرة جدًّا والنحاس غالي الثمن ولكن الصغير منها كان يسبك من النحاس دائماً كما تقدم في الكلام على مدافع سلطان مصر طومان باي الغوري لما حارب السلطان سليم العثماني وكان ذلك سنة ١٥١٦ والزمن الثاني من سنة ١٥٢٠ الى سنة ١٨٥٤ صارت المدافع تسبك فيهِ من الحديد ومن النحاس وصارت قنابلها كلها من الحديد وكانت كرات تحشى بالبارود واتقن عمل البارود فيهِ ولكن لم يحدث في عمل المدافع اصلاح يذكر . والزمن الاخير من سنة ١٨٥٤ الى الآن وفيهِ صنعت المدافع المششخنة اي التي باطنها لولبي واستعملت القنابل الاسطوانية الطويلة . وقد خطا اتقان المدافع في هذا الزمن ولاسيما في السنوات الاخيرة خطىً واسعة جدًّا فبلغ طول بعضها عشرين متراً وثقلهُ اكثر من مئة طن وثقل قنبلتهِ نحو عشرين قنطاراً وهو مع ذلك يحشى ويسدَّد على غاية السرعة والدقة بما يتصل بهِ من الآلات الكثيرة المتقنة التي تحشوهُ وتسددهُ

من اقدم المدافع الباقية من الزمن الاول مدفع في مدينة غنت Ghent سبك سنة ١٣٨٢ واستعملهُ اهاليها سنة ١٤١١ على ما يروى ولا يزال فيها . ثقلهُ ١٣ طنًّا باطنهُ الواح من حديد الصاج ضمَّ بعضها الى بعض كما تضم الواح البراميل ولحم بعضها ببعض ثم طوقت باطواق من الحديد بعد ان احميت حتى اتسعت ثم ضاقت لما بردت كما تطوق عجل المركبات . وطول هذا المدفع ست عشرة قدماً ونصف قدم وقطر تجويفهِ قدمان وبوصة ولكن خزنتهُ ضيقة قطرها ١٠ بوصات ثم تضيق رويداً رويداً الى ان تبلغ ٦ بوصات وتقذف منهُ كرة من حجر الغرانيت ثقلها ٧٠٠ ليبرة

وفي قلعة ادنبرج مدفع قديم مثل المدفع المار ذكرهُ اي انهُ مصنوع من الواح من

الحديد مضمومة بعضها الى بعض ومطوقة باطواق من الحديد وقطر تجويفهِ ٢٠ بوصة ونقذف بهِ كرات من الغرانيت ثقل الكرة منها ٣٣٠ ليبرة

ولعل اكبر المدافع القديمة المدفع المسمى ملك الميدان سُبك في الهند في القرن السابع عشر وكان طولهُ ١٤ قدماً وقطر فوهتهِ ٢٨ بوصة وثقل قنبلتهِ ١٦٠٠ ليبرة

وسبكت المدافع من النحاس في القسطنطينية سنة ١٤٦٨ في زمن السلطان محمد الفاتح ولا يزال مدفع منها في خزانة الاسلحة بولوتش في البلاد الانكليزية وهو قطعتان تمكّن احداهما بالاخرى بلولب. والامامية منها قطر تجويفها ٢٥ بوصة وتسع كرةً من الحجر ثقلها ٦٧٢ بوصة والخلفية لوضع البارود وقطر تجويفها ١٠ بوصات وزنة هذا المدفع نحو ١٩ طنًّا. وقد كانت هذه المدافع على الدردنيل فلما اقتحمهُ الاميرال السر جون دكورث بالاسطول الانكليزي سنة ١٨٠٧ كما تقدم عطبت بها ست من بوارجهِ وقتل وجرح ١٢٦ من رجالهِ

وعدل الناس عن سبك المدافع الكبيرة في القرن السادس عشر وجعلوا يسبكون المدافع الصغيرة ويسبكون قنابلها من الحديد لان فعلها لا يقل عن فعل قنابل الحجارة الكبيرة . وكثر سبك المدافع من النحاس ايضاً

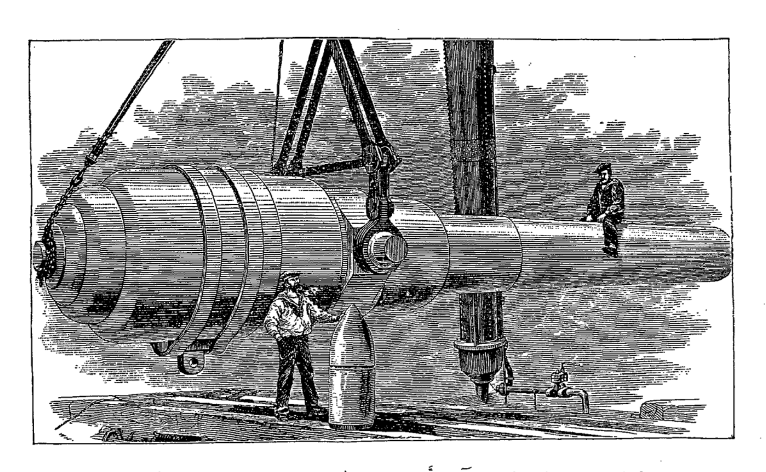
وكان البارود في اول الامر يصنع من موادهِ الاصلية حين استعمالهِ فيختلف فعلهُ من وقت الى آخر حسب تفاوة هذه المواد واختلاف النسبة بين مقاديرها فلما صُنع البارود المحبَّب زادت قوتهُ وصار اقوى من ان تحتملهُ المدافع الكبيرة فأُتقن عملها رويداً رويداً لكي تحتمل ضغط انفجار البارود . وبقيت المدافع الكبيرة تسبك من الحديد والصغيرة من النحاس الى اواسط القرن التاسع عشر ومن ثم بطل استعمال النحاس واتقن سبك المدافع من الحديد والصلب وتنوعت اشكالها ووسائل نقلها وحشوها وتسديدها مما يتعذر استيفاؤُهُ في هذه العجالة . واهم ما في ذلك إلباس المدفع اغلفة من الحديد ولف اسلاك الحديد او اطواقهُ عليهِ لان المدفع المصنوع من قطعة واحدة من المعدن اذا اشتعل البارود فيهِ فقد يشقهُ لشدَّة ضغطهِ واذا زيد سمكهُ زاد احتمالهُ لضغط البارود المشتعل ولكن يكون ذلك الى حد محدود فاذا اتَّسعت خزنتهُ فوق هذا الحد وكثر البارود فيها فزيادة سمك الحديد لا تكفي لمقاومة الضغط الزائد ولهذا يجعل المدفع معتدلاً في سمكهِ وتلفُّ عليهِ اسلاك دقيقة من الحديد المتين طاقًا فوق طاق او يطوَّق باطواق كثيرة من الحديد ثم يلبس اغلفة منهُ يزيد بها سمك جدرانهِ ولاسيما عند خزنتهِ ويقال ان اول من استنبط لف الاسلاك الدكتور ودبردج الاميركي سنة ١٨٥٠ واول من استنبط الباس الاغلفة والاطواق لورد ارمسترنج

الانكليزي سنة ١٨٥٥ وصارت المدافع تصنع من اسطوانة من الفولاذ تثقب وتلفّ عليها الاسلاك او الاطواق ثم الاغلفة وقد اتفق لنا ان زرنا معمل ارمسترنج في بلاد الانكليز منذ سنوات ورأينا فيهِ المدافع الكبيرة التي طول المدفع منها ستون قدماً وقطر فوهتهِ ١٢ بوصة في كل الدرجات التي يمر عليها من حين يسبك اسطوانة كبيرة من الحديد الى ان يتم ثقبهُ وششختنهُ ولف الاسلاك عليهِ والباسهُ اغلفة الفولاذ فان بعض تلك المدافع كان حديداً مصهوراً يسبك وبعضها كان يطرق حتى يندمج حديدهُ وبعضها كان يثقب بالمثاقب وبعضها كان يششخن وبعضها كان يخرط وبعضها كان يطوَّق ورأينا المدافع التي كانت تطوَّق في كل درجات تطويقها وكنا قد رأينا مدفعاً ضخماً في جبل طارق من المدافع القصيرة التي ثقل الواحد منها مئة طن فاكثر ولكن هذه المدافع الطويلة الدقيقة اقوى منها وابعد مرمًى كما ترى في الجدول التالي وقد ذكرنا فيهِ اكبر المدافع الانكليزية وسنة سبكها وثقل قنابلها وقوتها بالطن اي عدد الاطنان التي ترفعها القنبلة قدماً حين خروجها من المدفع ومقدرتها على ثقب صفائح الحديد

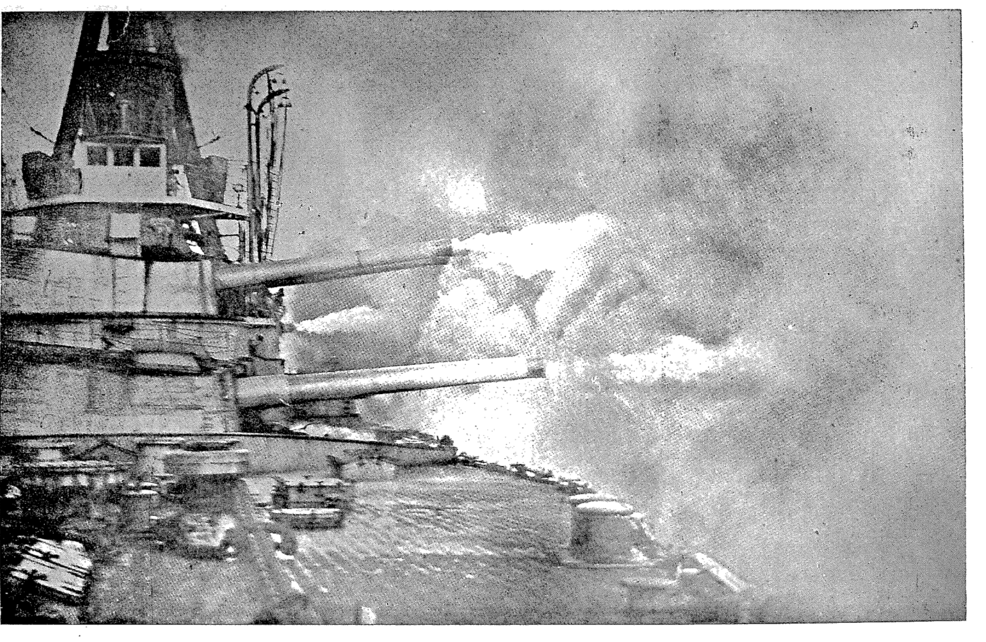
السنة	ثقل المدفع	قطر فوهتهِ	ثقل قنبلتهِ	قوتها بالطن	سمك ما تخرقهُ من الحديد
١٥٧٤	٤ اطنان	٨ ٣/٤ البوصة	٦٠ ليبرة	٠٠	٠٠
١٨٦٠	٤ ٣/٤ الطن	٨ ١/٨ «	٦٦ ١/٤ «	١١٤٥	٠٠
١٨٩٠	١٠٠ طن	١٧ ٣/٤ «	٢٠٠٠ «	٣٣٢٣٣	٢٥ ١/٢ بوصة
١٩٠٠	١١٠ ١/٢ «	١٦ ١/٤ «	١٨٠٠ «	٥٤٣٩	٣٨ «
١٩١٠	٦٦ «	١٢ «	٨٥٠ «	٥١٥٨٠	٥١ ١/٢ «
«	٣١ «	١٠ «	٥٠٠ «	٢٧٢٠٥	٣٩ ٩/٣ «

وقد صنع الانكليز الآن مدافع من هذا النوع الاخير قطر فوهة الواحد منها ١٥ بوصة وثقل قنبلتهِ ١٩٥٠ ليبرة اما الواح الحديد المذكورة هنا فهي الواح الحديد الصاج . واما الصلب الذي تدرع بهِ البوارج فامتن منها جدًّا واذا كان سمك اللوح منهُ ١٢ بوصة فهو امتن من لوح حديد الصاج ولو كان سمكهُ ستين بوصة

والمدافع الكبيرة عند الدول البحرية تقرب من المدافع الانكليزية الاخيرة التي قطر فوهتها ١٢ بوصة كما ترى في الجدول التالي



مدفع ثقله مئة طن ولا يستعمل الآن الاَّ في الحصون لحماية السواحل



صورة جنب من جانبي مدرعة من طراز الدردنوط وهي تطلق النار من مدافعها الكبيرة الحديثة

	ثقل المدفع	قطر فوهته	ثقل قنبلته	قوتها بالطن	سمك ما تخرقهُ من الحديد
المدافع الفرنسوية	٠٠	١٢ بوصة	٧٥٠ ليبرة	٤٢٨٩٠	٤٦ بوصة
«	٣٤,٥ طن	« ١٠,٨	« ٥٦٢	٢٧١٨٦	« ٣٨,٨
المدافع الالمانية	« ٣٣,٣	« ١١	« ٥٢٩	٢٩٨٧٨	« ٤٠,٢
«	« ٢٥,٤	« ٩,٤٥	« ٣٠٩	١٦٠٨٦	« ٣١,
المدافع الايطالية	« ٦٨	« ١٣,٥	« ١٢١٥	٣٦٠٥٠	« ٣٤,
«	« ٥١	« ١٢	« ٨٥٠	٣٩٢٢٠	« ٤٢
«	« ٣٠	« ١٠	« ٤٥	١٩٠٠٠	« ٣١
المدافع النمسوية	٠٠	« ١٢	« ٩٩٠	٤٧٣٠٠	« ٤٦
«	« ٢١ ½	« ٩,٤٥	« ٤٧٤	٢٢١٢١	« ٣٤ ½
مدافع الولايات المتحدة	« ٦١,٤	« ١٣	« ١١٣٠	٣١٣٣٣	« ٣١,٨
«	« ٥٦,١	« ١٢	« ٨٧٠	٥٢٤٨٣	« ٥٢
«	« ٣٤,٦	« ١٠	« ٥١٠	٢٥٧٧٢	« ٣٨
مدافع اليابان	« ٦٦	« ١٢ ½	« ٩٩٠	٣٦٥٠٠	« ٣٧,٣
«	« ٥٩	« ١٢	« ٨٥	٤٦٢٠٠	« ٤٧,٢
«	« ٣٤	« ١٠	« ٥٠٠	٢٨١٧٠	« ٤٠,٩

وعند هذه الدول مدافع اخرى كبيرة بعضها لحماية السواحل و بعضها خاص بالمعامل الخصوصية تبيعهُ للدول من ذلك مدافع حفظ السواحل في الولايات المتحدة الاميركية ثقل المدفع منها ١٢٧ طنًّا وقطر فوهتهِ ١٦ بوصة وثقل قنبلتهِ ٢٤٠٠ ليبرة وقوتها ٧٧٠٠٠ طن وهي تخرق لوحًا من الحديد الصاج سمكهُ ٤٦,٤ بوصة. ومدافع شركة فولاذ بيت لحم ثقل المدفع منها ٦٠ طنًّا وقطر فوهتهِ ١٨ بوصة وثقل قنبلتهِ ٢٠٠٠ ليبرة وقوتها ٧٠١٨٥ وهي تخرق لوحًا من الحديد سمكهُ ٤٢,٧ البوصة. ومدافع ارمسترنج الكبيرة ثقل المدفع منها ٦٩ طنًّا وقطر فوهتهِ ١٢ بوصة وثقل قنبلتهِ ٨٥٠ ليبرة وقوتها ٥١٦٤٠ طنًّا وهي تخرق لوحًا من الحديد سمكهُ ٥١,٥ البوصة. ومدافع معمل فكرس ومكسيم ثقل المدفع منها ٦٦ طنًّا وقطر فوهتهِ ١٢ بوصة وثقل قنبلتهِ ٨٥٠ ليبرة وقوتها ٥٣٤٠٠ طن وهي تخرق لوحًا سمكهُ ٥٣ بوصة.

ومدافع معمل كروب ثقل المدفع منها ٥٢ طنًّا وقطر فوهتهِ ١٢ بوصة وثقل قنبلتهِ ٩٨١ ليبرة وقوتها ٥٦٥٤٠ طنًّا وهي تخرق لوحًا سمكهُ ٥٣ بوصة · ومدافع معامل شنيدر ثقل المدفع منها ٥٧٫٦ الطن وقطر فوهتهِ ١٢ بوصة وثقل قنبلتهِ ٨٢٦ ليبرة وقوتها ٥٥٧١٧ طنًّا وهي تخرق لوحًا من الحديد سمكهُ ٥٤٫٨ البوصة

وكل هذه الآلات الجهنمية يقصد بها اما تغلب امة على اخرى او منع تغلبها معا يلازم التغلب من السلب والاستعباد والاذلال · وخيرات الارض من طعام وشراب وكساء وافرة ميسورة لجميع الناس ولكن خلق الطمع راسخ في النفوس لا يحول عنها

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلمُ

تاريخ الكتابة وادواتها

اطلعت على سلسلة مقالات نفيسة في تاريخ الكتابة للكاتب الفرنسوي بيزنا الذي عني بالبحث في الكتابات القديمة فرأَيت ان الخصها في ما يلي ديمتري نقولا

— تمهيد —

كانت الكتابة في بدء امرها رسومًا واشكالاً تصويرية فكان الانسان اذا اراد ان يشير الى عينهِ او يدهِ او عضو آخر من اعضائهِ صوَّرهُ بشكلهِ كما يتراءى لهُ · وهكذا اذا اراد ان يشير الى حيوان او نبات او متاع · ثم صارت بعض هذه الصور تدل على مقاطع صوتية مخصوصة اي انها قامت مقام الحروف

وتغير شكل هذه الصور مع تمادي الزمن شيئًا فشيئًا وبقي اثر منها في بعض الحروف المستعملة اليوم فالعين مثلاً بشكل دائرة تشبهُ العين في كل الحروف السامية والباء مربع يشبه البيت والجيم بشكل رأس جملٍ · ثم ابدلت هيئات الصور الاصلية بحروف صغيرة مختصرة · فابدل المصريون صور حروفهم الهيروغليفية بحروف صغيرة دقيقة دعيت ديموتيقية وابدل الاشوريون حروفهم باشكال مسمارية واما حروف اللغات السامية الاخرى كالعبرانية والكلدانية والفينيقية والحثية والعربية (الحميرية) والموآبية وغيرها فظلت متشابهة شكلاً زمنًا طويلاً الى ان اختصر رسمها على بدء اشكالها الاصلية وكانت الحروف اليونانية القديمة الاولى المعروفة بالايونية والاريسطوطالية كثيرة الشبه بالحروف الفينيقية لانها مأخوذة منها على ما جاء في اقاصيص اليونان فانهم يقولون ان قدموس الفينيقي علمهم

الكتابة · وظل الاختلاف بين حروف اللغات يزداد مع مرور الزمن الى ان صارت حروف كل لغةٍ متميزة عن حروف غيرها

وقد اهتم الباحثون بمعرفة الامة التي وضعت تلك الصور والحروف فكانت آراؤهم في ذلك متباينة فقال بعضهم وضعها المصريون وقال غيرهم وضعها الاشوريون وقال آخرون وضعها الصينيون الاَّ انهم مجمعون على ان الكتابة وجدت عند الشعوب السامية بعد الطوفان بزمن وجيز على اثر بناء برج بابل · واذا رجعنا الى اقوال الشعوب القديمة رأينا كل امةٍ تدّعي اختراع فن الكتابة لنفسها فيقول المصريون انهم تعلموا الكتابة من الاله توت ويقول اليونان انهم تعلموها من عطارد والفينيقيون انهم تعلموها من قدموس والسكاندنياف الاولون انهم تعلموها من اورين والعبرانيون انهم تعلموها من النبي موسى عندما اعطاهم الوصايا العشر مكتوبة باصبع الله على لوحين حجريين في طور سيناء والاشوريون انهم تعلموها من الههم البعل ولكن ما لامراء فيهِ هو ان اقدم الكتابات الاثرية التي اكتشفت هي من كتابات المصريين والصينيين والاشوريين وترجع الى عهد سحيق لا يقل عن اربعة آلاف وخمسمائة سنة

وقال علماء اللغات والباحثون في الكتابات الاثرية ان الحروف المصرية كانت تشابه الحروف السامية القديمة خصوصاً الحروف الموآبية والعبرانية والسامرية والفينيقية ومن هذه خرجت الحروف اليونانية الاصلية المعروفة بحروف اندروماخوس واما حروف اللغات اللاتينية والسكسونية والسلافية وغيرها من لغات اوروبا فمن الحروف اليونانية · وقال تاسيتوس و بلينيوس المؤرخان الرومانيان انهُ لم يكن فرق كبير بين الحروف اليونانية واللاتينية في اول عهد الكتابة بهما · وانتشرت الحروف اليونانية على اثر فتوح الاسكندر الكبير في مصر واسيا وايطاليا وغاليا (فرنسا) واسبانيا ثم صارت الحروف اللاتينية تختلف عنها شيئاً فشيئاً الى ان تميزت عنها تماماً على عهد الرومان · واما الحروف الصينية فلم يتغير شكلها منذ وضعها الى الآن

مواد الكتابة

اتخذ الانسان صحائف الكتابة من الجماد والنبات والحيوان · فاتخذ من الجماد الحجر والخزف والمعادن · ومن النبات اوراق الشجر والواح الخشب ثم نبات البابيروس المصري واخيراً الورق المصنوع من القطن والكتان وغيرهما · ومن الحيوان الرقوق والعظام وغيرها

الكتابة على الحجر والخزف — اول ما استعملهُ البشر للكتابة هو الحجارة والخزف فكانوا يكتبون على الصخور وجدران الهياكل واعمدتها وكانت الوصايا العشر التي اعطاها

موسى لبني اسرائيل مكتوبة على لوحين حجريين وقال ايوب على ما جاء في سفره من التوراة (ص ١٩ ع ٢٣ — ٢٤) «ليت كلماتي الآن تكتب يا ليتها رسمت في سفر ونقرت الى الابد في الصخر بقلم حديد وبرصاص» وايوب اقدم من موسى. واقدم كتابة سامية وصلت الينا مكتوبة على شقفة خزف وقد قال علماء الآثار ان عهدها يرجع الى ما قبل هذا العصر بخمسة آلاف سنة . واقدم الكتابات الكلدانية المسمارية محفورة في الطوب الاحمر

ولبث الاشوريون والكلدان يكتبون تواريخ ملوكهم واعمالهم ونتائج رصد النجوم والافلاك على الآجر الاحمر وشقف الخزف الوفًا من السنين . وفي متاحف باريس ولندن كثير من هذه الكتابات . واما المصريون فكانوا يكتبون اولاً على الصخور والحجارة والاعمدة ثم على الواح الخشب وتوابيت الموتى واقدم كتابة هيروغليفية مكتوبة على تابوت من خشب الجميز ويرجع عهد كتابتها الى ما قبل الآن بخمسة آلاف سنة وهي في المتحف البريطاني

وكانت شرائع سولون الحكيم اليوناني مكتوبة على الواح من خشب وفي متحف اثينا قطع منها وكذلك شرائع الطاغية دراكون التي قال بلوطارخوس عنها «ليت تلك الشرائع الظالمة تجعل وقوداً للنار تحت اواني الطبخ» واستخدم الرومان للكتابة الواح الخشب ورقائق النحاس والبرونز وكانوا يكتبون شرائعهم على الواح من خشب السنديان تعرض للشعب عند ابواب المرسح الاكبر (الفورم) في رومية

وكان قياصرة الرومان وكهنتهم يكتبون اوامرهم ومنشوراتهم على الواح خشب صقيلة مدهونة بدهان ابيض ولذلك كانوا يدعونها الواح «الالبوم» (كلمة لاتينية تعني ابيض) وصارت كلمة البوم عندهم مرادفة لكلمة كتاب

وكتب القدماء ايضاً على الواح الرصاص حفراً باقلام الحديد كما جاء في سفر ايوب . واما الكتابة على قطع الخزف فكانت شائعة عند المصريين واليونان والاشوريين كما ذكرنا . وفي متاحف اوربا كثير من هذه القطع منها صكوك وعقود بيع ووصايا ورسائل غرامية وقوائم نفقات منزلية

وقال بلينيوس المؤرخ ان بعض الامم كانت تكتب على اوراق الشجر ولم تزل بعض القبائل الهمجية في الهند وجزائر الاوقيانوس تكتب على قشور الشجر او اوراق النبات العريضة. فسكان جزائر مالديف الاصليون يكتبون على اوراق شجر يدعى عندهم مكريكو يبلغ طول الورقة منهُ متراً وعرضها ٣٠ سنتيمتراً . وقبائل جزائر سيلان يكتبون على ورق شجر يدعى تاليبوت وسكان ملابار في الهند على اوراق نوع من شجر النخل . وفي

متاحف اوروبا كثير من كتابات المكسيكيين القدماء على اوراق شجر يسمونهُ بتالا . وكان سكان الجزر من اليونان القدماء يكتبون على الصدف والمحار

واكتشف علماء الآثار في خرائب مدينة قديمة في الصين كثيراً من صدف السلاحف الذي تغشيهِ كتابات الصلوات القديمة ويرجع عهدهُ الى ما قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة

واستعمل الرومانيون للكتابة ايضاً الواحاً من العظام والعاج وكانت طريقتهم في الكتابة عليها ان يغمسوها في الشمع ثم يحفروا الكتابة في غشاء الشمع بقلم او مخرز من المعدن ويصبوا الحبر على الكتابة حتى اذا جف اذابوا الشمع فتظل الكتابة ظاهرة ثابتة . واول من كتب على القماش هم الصينيون والمصريون وهؤلاء كانوا يكتبون عليهِ بالحبر ويلفون بهِ موتاهم

ورق البابيروس (البردي) — ظل البشر الوفاً من السنين يكتبون على الحجارة والاجر والخزف والخشب وورق الشجر وقشورهِ وصفائح النحاس والبرونز والعظام الى ان توفق المصريون الى عمل الورق من البردي ولا شك انهم لبثوا حيناً من الدهر يعالجون صنعهُ . والمدينة المصرية التي فاقت غيرها بصنعهِ هي منف مدينة الآلهة وعاصمة الفراعنة . وكان صنعهُ سرًّا من اسرار الصناعة المصرية الى ان عرفهُ الفينيقيون وانتشر بواسطتهم في كل البلاد اليونانية والرومانية

والبردي نبات طويل الساق ينتهي بورق عريض وينبت على ضفاف النيل بكثرة ويوجد على شواطئ الانهار والمستنقعات في سورية والحبشة . وكان مورد ثروة لمصر تصنع من اليافهِ الحبال والاقمشة وقلوع المراكب وتحبك من سوقهِ السلال وتؤكل جذورهُ مطبوخة ولذلك لقب ابسكل الروماني المصريين « باكلة البابيروس »

ولا يعلم بالتدقيق زمن اختراع ورق البردي ويغلب على ظن علماء الآثار انهُ كان قبل العصر المسيحي بثلاثة آلاف سنة . فقد وجد شامبوليون العالم الشهير كتابات على ورق البردي قديمة جدًّا يرجع عهدها الى ما قبل موسى النبي (١٧٠٠ ق . م .)

وانتشر استعمال ورق البردي في بلاد اليونان وسورية وايطاليا بواسطة الفينيقيين ثم بواسطة فتوح الاسكندر واخترع احد صناع اليونان ويدعى فيلتاتوس طريقة يجعل بها هذا الورق صقيلاً لامعاً متيناً فاقام لهُ مواطنوهُ تمثالاً . وكانت الاسكندرية تصدر منهُ كميات كبيرة الى اقطار العالم ولما فتحها ماركوس فيرموس استولى على كل ما فيها من ورق البردي وباعهُ واوفى بثمنهِ كل نفقات جيشهِ

وكان ورق البردي انواعاً مختلفة منها الورق الفاخر الناعم الصقيل الملصوق بعضهُ ببعض

لصقاً محكماً وكان يستعمل لكتابة الاسفار الدينية والسجلات الملكية ودعي الرومان هذا الصنف «اغسطوس» اي القيصري واتقن صنع البابيروس على عهد كلوديوس قيصر وزيد طولاً وعرضاً ومتانة وصقلاً

واراد هيرون طاغية سيراقوزا سنة ٤٥٠ ق · م ان يزاحم مصر في تجارة ورق البردي فاتى بجذورهِ من ضفاف النيل ببذل المال الكثير لان نقل اغراسهِ الى الخارج كان محظوراً فزرع تلك الجذور على ضفاف انهار صقلية وفي مستنقعاتها الاَّ انها لم تنمُ جيداً رغماً عن كثرة اهتمامهِ بها ولم تأتِ صالحة لصنع ورق الكتابة · ولبثت مصر محتكرة هذه التجارة حتى ظهور الرقوق وجلود الحيوانات بعد الميلاد

وكثيراً ما كان يصاب موسم البردي بالمحل والقحط عند انخفاض النيل في بعض السنين فيقل محصولهُ وينذر وجودهُ وترتفع اسعارهُ ارتفاعاً فاحشاً حتى كان يصل ثمن الورقة الواحدة المصنوعة منهُ الى خمسة فرنكات على حساب نقود هذه الايام وقد ذكر بلينيوس المؤَرخ ان اثمان البردي ارتفعت في عصرهِ ارتفاعاً عظيماً لعدم ورودهِ من مصر حتى حصلت فتنة في رومية وهجم الكتاب والنساخ على حوانيت باعة البردي واختطفوا ما وجدوهُ عندهم

الرقوق

وقبل الميلاد بقليل شاع استعمال جلود الحيوانات المعروفة بالرقوق ورقائق الواح الخشب للكتابة وقال ديودور الصقلي وهيرودوتس اليوناني ان صناعة الرقوق اتقنت في سورية واليونان وايطاليا واستغنى بها كثيرون من النساخ عند البابيروس وكانت جلود الحملان والنعاج والغزلان تملح وتجفف كما سيأْتي بيانهُ فتصير صالحة للكتابة واجودها رقوق الغزلان لانها جامعة بين الرقة والمتانة والنعومة والصفاء والبياض وظل استعمال الرقوق شائعاً في اوربا نحو الف سنة بين القرن التاسع ق·م· والقرن الحادي عشر بعدهُ اي الى ظهور الورق النباتي المعروف الآن الذي يصنع من خرق القطن والكتان وبعض انواع النبات

واما الصينيون فكان الورق النباتي والحريري شائعاً عندهم منذ الوف من السنين وقد اتقنوا صنعهُ قبل ان يعرف في اوربا

وفي متحف بروكسل في البلجيك نسخة من اسفار موسى الخمسة من التوراة مخطوطة بالعبراني على رق ويرجع عهد كتابتها الى القرن التاسع · وهي مؤلفة من ٥٧ رقاً موصولة بعضها ببعض ويبلغ طولها ستة وثلاثين متراً

واشتهرت برغاموس [1] بصنع الرقوق وكانت معاملها تكشط جلود الخرفان والنعاج والعجول وتملحها وتجففها • ثم تكشطها بطريقة اخرى مخصوصة لتصير رقيقة ثم تصقلها جيداً فتصير صالحة للكتابة . وكانت الرقوق تصدر من برغاموس الى كل الاقطار اليونانية والرومانية ومن لفظة برغاموس اشتق اسم البرشمان المرادف للرق في اللغات اليونانيه واللاتينية

وعند دخول المسلمين الى مصر في القرن السابع قلت صادرات البابيروس منها حتى انقرضت صناعتهُ شيئاً فشيئاً ولذلك لم يعد للكتاب مواد اخرى للكتابة سوى الرقوق من جلود الحيوانات المذكورة • ومن الرقوق النادرة الثمينة جلود الافاعي والثعابين فقد ذكر زينون في تاريخهِ انهُ كان في مكتبة القسطنطينية على عهدهِ نسخة من الياذة هوميروس مكتوبة على جلود الافاعي بحروف دقيقة ويبلغ طولها ١٢٠ قدماً غير انها فقدت بعد استيلاء الاتراك على القسطنطينية

والرقوق اصناف كثيرة اجودها رقوق الغزلان وكان قياصرة الرومان والروم في رومية والقسطنطينية يستعملونها لكتابة شرائعهم وفي مكتبة ستوكهولم الملكية في اسوج نسخة من الاناجيل الاربعة كتبها اسقف اوفيلا في القرن الرابع على رقوق الغزلان وفي كنيسة نوتردام في مدينة اكس لاشابل نسخة اخرى من الاناجيل قديمة العهد وجدت في قبر شارلمان الاكبر مكتوبة بحروف ذهبية على رقوق ارجوانية • وكذلك النسخة المعروفة بالسينائية التي وجدت مؤخراً في دير طورسينا والمحفوظة الآن في مكتبة سان بطرسبرج (بتروغراد) كتبت على رقوق كبيرة باللغة اليونانية منذ القرن الثالث المسيحي • وفي مكاتب رومية ولندن وباريس وفينا رقوق يونانية ورومانية قديمة ثمينة نادرة

القلم والحبر

الاقلام — في العصور الحجرية والخزفية كانت تتخذ الاقلام من الحديد والمعادن لحفر الكتابة في الحجارة والمعادن او طبعها في الخزف وكان المصريون القدماء واليونان يستعملون اقلام القصب للكتابة على ورق البابيروس بالحبر ولم يزل هذا النوع من الاقلام يستعمل الى الآن في كتابة اللغات الشرقية • وكان للمصريين اعتناء عظيم بزراعة القصب

---

(١) برغاموس عاصمة مملكة يونانية قديمة بهذا الاسم في اسيا الصغرى وهي غير قلعة برغاموس في ترواده التي ذكرها هوميروس في الالياذة وقد اسس هذه المملكة فيلتياروس اليوناني سنة ٢٨٣ ق٠م٠ ثم استولى عليها الرومان سنة ١٣٣ ق ٠م٠ وكانت برغاموس شهيرة بمكتبتها الكبيرة وبصناعة الرقوق

وكانوا يقطعون ساقهُ ويجففونهُ ويتخذون منهُ اقلاماً يكتبون بها كتابة دقيقة واضحة حتى كانت الورقة الواحدة من البابيروس تكفي لكتابة سفر من اسفارهم

وكان قدماء اليونان والرومان يستعملون في الكتابة ريش الطيور الكبيرة بعد بريها وفي متاحف اوروبا الاثرية كثير من هذه الاقلام بعضها من اقلام القياصرة او العلماء المشهورين وقد قال احد مؤرخي اليونان ان بطاركة الروم في القسطنطينية كانوا يستعملون اقلاماً من فضة لا يستعملها احد سواهم في التوقيع على الاوامر البطريركية وقرارات المجامع المسكونية على عهد القياصرة المسيحيين

والقدماء كانوا يستعينون في الكتابة بالمسطرة والبيكار لتقويم الخطوط وقد وجدت ادوات كثيرة للكتابة في خرائب بومباي وهركولانيوم فعثر في بيت احد النساخ امام مكتبهِ على بيكار ومسطرة ودواة وحبر ومحف للكشط وعلبة تراب ناعم للتجفيف · ثم شاع استعمال الاقلام من ريش الاوز والطيور في اوربا الى القرن السابع عشر الى ان اخترعت الاقلام المعدنية المستعملة الآن

واما الحبر فكان يتخذ قديماً من هباب الدخان يضاف اليهِ الصمغ والماء وقال بلينيوس المؤرخ «انهم كانوا يضيفون اليهِ قليلاً من الخل او الحامض لئلاَّ يمحى عند احتكاكهِ» وقال ان بعض الكتاب كانوا يمزجون الحبر بمنقوع حشيشة الافسنت حفظاً للكتب من ان تتلفها الجرذان والارضة واما الحبر المستعمل الآن فظهر في القرن الثاني عشر واكثرهُ مركب من كبريتات الحديد والعفص والصمغ والماء

وكان كتاب القسطنطينية ورومية يستعملون في القرون الاولى حبراً اسود فاحماً لامعاً لم يزل ذا طلاوة زاهياً في المخطوطات الباقية من ذلك العهد · وكانوا يعرفون انواعاً كثيرة من الحبر الاحمر والاصفر والذهبي واما الحبر الارجواني فلم يكن يجوز استعمالهُ الاَّ للقياصرة والملوك

ولم يكن الكتاب والنساخ القدماء يستندون عند الكتابة الى مناضد ومكاتب كما يفعل اهل الغرب الآن بل كانوا يتربعون ويسندون الورق الى ركبهم كما يفعل كتاب العرب في بعض الانحاء الآن

اساطيل الدول المتحاربة

نشرت جريدة السينتفك اميركان فصلاً في هذا الموضوع قابلت فيهِ بين اساطيل الدول الاوربية المتحاربة انكلترا وفرنسا وروسيا من جهة والمانيا والنمسا من جهة أخرى ووضعت الجدول التالي للدلالة على هذه المقابلة بانيةً قوة السفن الحربية على عددها وتفريغها بالطن كما ترى

	بريطانيا		فرنسا		روسيا		المانيا		النمسا	
	العدد	التفريغ	العدد	التفريغ	العدد	التفريغ	العدد	التفريغ	العدد	التفريغ
بوارج من نوع الدردنوط	٣١	٦٦١٦٥٠	٤	٩٢٣٦٨	٠٠	٠٠	١٦	٣٥١٥١٩	٣	٦٠٠٣٠
« سابقة للدردنوط	٤٠	٥٨٩٣٨٥	١٨	٢٦٢٦٧٥	٧	٩٨٧٥٠	٢٠	٢٤٢٨٠٠	٦	٧٤٦١٣
حاميات السواحل	٠٠	٠٠	١	٨٨٠٠	٢	١٠٣٨٠	٢	٨١٦٨	٦	٤١٧٠٠
طرادات مدرعة	٣٤	٤٠٦٨٠٠	٢٠	٢٠١٧٢٤	٦	٦٣٥٠٠	٩	٩٤٢٤٥	٢	١٣٣٨٠
طرادات محمية	٧٤	٣٨٢٨١٥	٩	٤٦٠٩٥	٩	٥٢٨٤٥	٤١	١٥٠٧٤٧	٥	١٣٨١٥
مدمرات	١٦٧	١٢٥٨٥٠	٨٤	٣٥٨١٢	٩١	٣٦٧٤٨	١٣٠	٦٧٠٩٤	١٨	٩٤٥٠
نسافات (سفن تريد)	٤٩	١١٤٨٨	١٣٥	١٣٤٢٦	١٤	٢١٣٢	٠٠	٠٠	٣٩	٦٨٥٢
غواصات	٧٥	٣٠٣٦٢	٦٤	٢٧٩٤٠	٣٠	٦٥٠٦	٢١	١٤١٤٠	٦	١٦٨٦
والجملة		٢٢٠٨٣٥٠		٦٨٨٨٤٠		٢٧٠٨٦١		٩٢٨٧١٣		٢٢١٥٢٦

واذا قوبل مجموع ما عند الحلفاء انكلترا وفرنسا وروسيا بما عند المانيا والنمسا كان كما في الجدول التالي

	ما عند انكلترا وفرنسا وروسيا		ما عند المانيا والنمسا	
	العدد	التفريغ بالطن	العدد	التفريغ بالطن
بوارج من نوع الدردنوط	٣٥	٧٥٤٠١٨	١٩	٤١١٠٤٩
« سابقة الدردنوط	٦٦	٩٥٠٨١٠	٢٦	٣١٧٤١٣
حاميات السواحل	٣	١٩١٨٠	٨	٤٩٨٦٨
طرادات مدرعة	٦٠	٦٧٢ ٢٤	١١	١٠٧٦٣٥
« محمية	٩٢	٤٨١٧٥٥	٤٦	١٦٤٥٦٢
مدمرات	٣٤٢	١٩٨٤١٠	١٤٨	٧٦٥٤٤
نسافات	١٩٨	٢٧٠٤٦	٣٩	٦٨٥٢
غواصات	١٦٩	٦٤٨ ٨	٢٧	١٥٨٢٦
والجملة		٣١٦٨٠٥١		١١٥٠٢٣٩

فقوة السفن الحربية عند انكلترا وفرنسا وروسيا ٥١ ٣١٦٨ طنًّا اي اكثر من ثلاثة ملايين طن وعند المانيا والنمسا ٢٣٩ ١١٥٠ طنًّا اي اقل من مليون وسدس اي ان قوة السفن الحربية عند الحلفاء نحو ثلاثة اضعاف قوة السفن الحربية عند المانيا والنمسا. واذا حسبنا المدافع التي في هذه السفن وجدنا عند الحلفاء ١٢٠٦ مدافع وعند المانيا والنمسا ٤١٤ مدفعاً اي عند الحلفاء نحو ثلاثة اضعاف ما عند المانيا والنمسا

والجدولان السابقان لا يشملان السفن الحربية التي تبنيها هذه الدول الآن فعند انكلترا في دور الصنعة بارجتان من نوع السبر دردنوط كان ينتظر اتمامهما في اواخر اكتوبر تفريغ كلٍّ منهما ٢٧٥٠٠ طن وسرعتها ٢٥ ميلاً بحريًّا في الساعة وفيها ٨ مدافع ممَّا قطر فوهته ١٥ بوصة اي انهما من اقوى البوارج التي صنعت حتى الآن واكبرها مدافع. وعندها بارجتان اخريان تتمان في آخر هذه السنة وهما مثل البارجتين المتقدمتين في التفريغ والسرعة وكبر المدافع

والمانيا كان يُنتظر ان تتم في شهر اكتوبر ثلاث بوارج من نوع الدردنوط تفريغ كلٍّ منها ٢٤٧٠٠ طن وفيها ١٠ مدافع ممَّا قطرهُ ١٢ بوصة

وفرنسا تتم بارجتين من نوع الدردنوط تفريغ كلٍّ منهما ٢٣٥٥٠ طنًّا وفيها عشرة مدافع ممَّا قطرهُ ١٣ ½ بوصة

وروسيا تتم بارجتين من نوع الدردنوط تفريغ كلٍ منهما ٢٣٣٠٠ طن وفيها ١٢ مدفعاً قطر كل منها ١٢ بوصة

واذا اغضينا عن هذه البوارج التي كان ينتظر اتمامها في الشهر الماضي والاشهر التالية والتفتنا الى السفن التي كانت في البحر عند اعلان الحرب وجدنا انهُ كان عند الحلفاء ٣٥ بارجة من نوع الدردنوط والسبر دردنوط وعند المانيا والنمسا ١٩ بارجة · وعند الحلفاء ٦٥ من البوارج السابقة للدردنوط اي التي بنيت قبلها وعند المانيا والنمسا ٢٦ فقط · وعند الحلفاء ٦٠ من الطرادات المدرعة وعند المانيا والنمسا ١١ فقط · وعند الحلفاء ٩٢ من الطرادات المحمية وعند المانيا والنمسا ٤٦ فقط · وعند الحلفاء ٣٤٢ من المدمرات وعند المانيا والنمسا ١٤٨ فقط وعند الحلفاء ١٩٨ من النسافات او سفن التربيد وعند المانيا والنمسا ٣٩ فقط · وعند الحلفاء ١٦٩ من الغواصات وعند المانيا والنمسا ٢٧ فقط · ولم تذكر السينتفك اميركان الاسطول الياباني مع انهُ من الاساطيل الكبيرة وسيكون لهُ شأن كبير في هذه الحرب فان عند اليابان ١٨ بارجة من نوع الدردنوط وينتظر ان تتم اربع بوارج اخرى قريباً وبعضها من نوع السبر دردنوط وعندها ١٥ طراداً مدرعاً و١٩ طراداً محمياً و ٥١ مدمرة و٣٣ نسافة و١٣ غواصة فهي اقوى من النمسا كثيراً · وبين احصاء السينتفك اميركان والاحصاء الذي نشرناهُ في الجزء الماضي شيءٌ من الاختلاف لاعتبارات لا محل لبسطها

ولولا ترعة كيال التي احتمت السفن الحربية الالمانية داخلها حتى يتعذر الوصول اليها لاستحال على هذه السفن ان تقف امام الاساطيل الانكليزية والفرنسوية او ما يمكن ان يجتمع منها لمحاربتها ولكن ترعة كيال حمت البوارج والطرادات التي فيها واباحت للغواصات ان تخرج الى عرض البحر الشمالي وتغتال الطرادات الانكليزية فاغرقت اربعة منها حتى الآن · نعم انها من اصغر الطرادات واقدمها ولكن التربيد الذي تطلقهُ الغواصة اذا اصاب بارجة كبيرة فقد يغرقها كما يغرق الطراد الصغير ولذلك اذا لم يحذر الانكليز اشد الحذر ويحموا بوارجهم من فتك الغواصات الالمانية فقد تغرق الكثير منها

وقد بقي للالمان ٩ طرادات كانت في الاوقيانوس الهندي والاتلنتيكي والباسيفيكي عند نشوب الحرب وهي جائلة هناك الآن تصطاد السفن التجارية وقد يمضي زمن طويل قبلما تتمكن البوارج الانكليزية من الاهتداء اليها وتغريقها . وكذلك كان لهم في البحر المتوسط البارجة غوبن والطراد المحمي برسلو فهربا من وجه البوارج الانكليزية والفرنسوية الى الدردنيل

و يقال ان الدولة العلية اشترتهما وكان لها السفينة بنثر فاغرقت واغرق الانكليز والروس خمسة طرادات المانية و بعض الغواصات والمدمرات

اما الاسطول النمسوي فلا شأن لهُ لان البوارج الانكليزية والفرنسوية حصرتهُ واتلفت بعضهُ

وغنيٌّ عن البيان ان البوارج الانكليزية عملت القسم الاهم من عملها وهو اصطياد السفن التجارية الالمانية والنمسوية وتعطيل التجارة الالمانية والنمسوية من صادر ووارد حتى تتعطل الاعمال في المانيا والنمسا ويشتد الضنك على اهاليهما وتُلجأ الحكومتان الى التسليم وطلب الصلح . وقد لا يقع ذلك الا بعد سنة او سنتين لان البلادين زراعيتان تخرج ارضهما ما يمون سكانهما ولو بالتقتير فاذا لم تقهر المانيا والنمسا بالحرب البرية فلا ينتظر ان ترضخا لحكم الاقدار الا بعد زمان طويل

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النباتات الاهلية وفوائدها الطبية

العائق A. Columbine, F. Aneolie, L. Aquilegia عشبة من الفصيلة الشقيقية تنبت صيفاً في الاحراج وخواصها مبولة ومعرقة ومضادة للاسكربوط

العدس A. Lentil, F. Lentille, L. Lens حب نبات من الفصيلة القرنية يستعمل غذاء وليس لهُ خواص دوائية وكان يستعمل قديماً في الجدري والحصبة فيسقى المصاب كميات كبيرة من مغلي العدس ظناً انهُ يسهل ظهور النفاط وقد اهمل استعمالهُ في الطب الحديث

العرعر A. Juniper, F. Genévrier, L. Juniperus شجيرة صغيرة من الفصيلة الصنوبرية كانت كل اقسامها اي الثمر والخشب والورق ورؤُوس الطرابين تستعمل طبًّا واما الآن فيقتصر على الثمر وهو اكواز صغيرة بقدر الحمصة لونهُ اسود عند النضج ويحتوي على

لب يغلف ثلاث بزرات وطعمهُ حلو سكري قابل الاختمار فيستخرجون منهُ مشروباً مسكراً يعرف باسم الجن

خواصهُ · معرق ومضاد للزهري وورقهُ ورئووس طراينهِ مسهلة والثمر مقوٍ للمعدة ومبول ونسبة نقيع الثمر ٢٠ الى ١٠٠٠

العشبة المغربية A. Sarsaparilla, F. Salsepareille, L. Smilax, Salsaparilla جذور عشبة من الفصيلة العشبية منقية ومنبهة خفيفة ومعرقة كثيرة الاستعمال يحضر منها شراب بسيط وآخر مركب وتستعمل منقية بنوع خصوصي في الزهري اما وحدها او مع المستحضرات الزئبقية ولكنها تفيد في كل الامراض الجلدية التي يهتم في علاجها بتقوية وظيفة الجلد

المصلح A. Soap Wort, F. Saponaire, L. Saponaria officinalis عشبة من الفصيلة القرنفلية اذا اضيف جذرها الى ماء الغسيل احدث رغوة كرغوة الصابون واكسب الاقمشة المغسولة صفاء ويقال انهُ يقوم مقام الصابون ويغني عنهُ

وخواصهُ الطبية منبه خفيف ومنقٍ ومعرق ويستعمل في الاسكربوط والزهري ويؤخذ نقيع جذرهِ بنسبة ٢٠ جزء الى ٣٠ جزء في الالف

العمشق A. Ivy, F. Lierre, L. Hedera helix العمشق نوعان احدهما من الفصيلة الصيوانية بزورهُ مسهلة ويستعمل ورقهُ لتشغيل الكي والثاني من الفصيلة الشفوية وقد مرَّ ذكرهُ (انظر حبل المساكين)

العنب A. Grape, F. Raisin, L. Uva ثمر انجم متعرشة من الفصيلة الدالية لذيذ الطعم كبير الفائدة في كل ادوار نموهِ

فالحصرم يحمض بهِ الطعام ويعمل منهُ شراب لذيذ مبرد · والعنب فاكهة لذيذة سهلة الهضم يستعمل علاجاً في امراض المعدة والكبد ويوافق بنوع خصوصي اصحاب المعد التي لا تحتمل المساهل الملحية كالملح الانكليزي وغيرهِ فهو مسهل لطيف لا يؤثر تأثيراً سيئاً وقد كثر الاستشفاء بهِ في المدة الاخيرة ويمكن للمقيم في الجهات التي يكثر فيها ان يستغني بهِ عن السفر الى الحمامات المعدنية في اوربا لما في هذا السفر من المشقة وزيادة المصاريف · وكيفية الاستشفاء ان يؤكل العنب صباحاً على الريق ومساء قبل العشاء مدة اسبوعين او ثلاثة الى ان يزول القبض او تفرز الصفراء المحتقنة في الكبد وحيثما

يكثر العنب ويسهل الحصول عليهِ رخيصاً كما في سورية يفضل ان يقتصر المريض على الاغتذاء بهِ مدة اسبوعين او ثلاثة وقد شفي بهذه الواسطة كثيرون من المصابين باليرقان المستعصي بسبب انسداد القنوات الصفراوية

والزبيب هو احد الاثمار الاربعة الصدرية وهو ملطف وملين للصدر يؤخذ منقوعاً بالماء ومعطراً بماء الورد او ماء الزهر وهو المعروف بالخشاف او مغلياً مع اخواتهِ في الزكامات الصدرية

ويحضر من طرابين الدوالي الطرية شراب نافع في تقوية الصدر ويستعمل في الالتهاب الشعبي المزمن

العناب A. Jujup, F. Jujube ثمر شجرة اسمها النباتي Zizyphus vulgaris من الفصيلة النبقية وطنها الاصلي سورية ومنها نقلت الى اوربا · خواصهُ ملطف وملين للصدر وهو احد الاثمار الاربعة الصدرية ويؤخذ نقيعاً بنسبة ٣٠ الى ١٠٠٠ ومعجوناً على غير نسبة معينة

العليق A. Bramble, F. Ronce, L. Rubus fruticosus انجم من الفصيلة الوردية تسيج بها البساتين والحدائق اوراقها قابضة تغلى وتستعمل في التهاب الحلق فتفيد فيهِ كثيراً ويعمل منها شراب مفيد للاطفال

العنصل A. Squill, F. Scille, L. Scilla Maritima نبات معمر من الفصيلة الزنبقية بصلتهُ بحجم قبضة اليد ذات نسيج ابيض او احمر والبصلة الحمراء هي المستعملة في الطب

خواصهُ مدر قوي للبول ومنبه وملين للبلغم ومنفث يعطى في الاستسقاء وفي الامراض الصدرية وبالجرعات الكبيرة يحدث اسهالاً عنيفاً وقيئاً واعراضاً شبيهة باعراض التسمم بالسموم الحريفة وجرعة مسحوقهِ من ٥ سنتكرامات الى ١٠ مكررة عدة مرات بالنهار ويحضر منهُ شراب كثير الاستعمال في الامراض الصدرية وعسل هو العسل العنصلي يعطى بكمية ١٥ كراماً الى ٣٠ وغير هذين من المستحضرات المعروفة في الكتب الطبية · ويستعمل لب البصلة لبخة من الخارج

عود الصليب A. Peony, F. Pivoine, L. Pœonia officinalis عشبة من الفصيلة الشقيقية تنفع في مضادة التشنج فيحضرون من جذرها شراباً يعطى في داء الصرع

الغار A. Laurel, F. Laurier, L. Laurus nodilis شجر كبير من الفصيلة الغارية ورقهُ عطري يستعمل منبهًا ومقويًا ويحضر منهُ مرهم لتسكين الآلام العصبية ويستعمل زيتهُ من الخارج مسكنًا عصبيًّا

الغار الكرزي Cherrey laurel, F. Laurier-cerisi, L. Prunus lauro-cerasus شجرة من الفصيلة الوردية رائحة ورقها كرائحة اللوز المرّ يستقطر منها الماء المعروف بماء الغار الكرزي الذي يحتوي على الحامض الهيدروسيانيك بنسبة ٥ ميلكرامات من الحامض في ١٠ كرامات منهُ فيجب ان يؤخذ باحتراس وهو مسكن ومضاد للحكة وجرعتهُ من كرام واحد الى ١٠ كرامات يعطى مسكنًا في امراض الحلق والصدر والمعدة

الفجل A. Radish., F. Radis, L. Raphanus sativus بقلة سنوية من الفصيلة الشفوية تستعمل مع الطعام وخواصها منبهة ومدرة للبول ومضادة للاسكربوط

الفجل البري A. Horseradish, F. Raifort, L. Nasturtium armoracia هو نوعان البري والمزروع المعروف بالفجل الاسود ويستعمل منهُ الجذر الطري وخواصهُ منبه شديد ومدر للبول ومحمر ويضاد النقرس ويحضر منهُ شراب مفيد جدًّا في الاسكربوط

الفحم A. Charcoal, F. Carbon, L. Carbo خواصهُ مطهر ومضاد للتعفن والفساد وفيهِ خاصة قوية للامتصاص فتصلح بهِ مياه الشرب . وكل ماء مشوب بمواد فاسدة اذا مرَّ بطبقة من الفحم خرج صافيًا صالحًا للاستعمال وكل سائل مشوب بلون غريب يصفو لونهُ بمرورهِ بطبقة من الفحم . فهذه الخاصة تجعلهُ مفيدًا في امراض المعدة والامعاء حينما تكثر الغازات الفاسدة المسببة من اختمار الطعام . فيعطى في سوء الهضم المسبب عن زيادة الحامض في المعدة والذي اعراضهُ شعور المريض بحريق كاوٍ يمتد من المعدة الى البلعوم وفي سوء الهضم المعوي الذي تكثر فيهِ الغازات والارياح ويصلح البخر المسبب من فساد في القناة الهضمية . ويدخل في تركيب المساحيق المنظفة للاسنان وهو من اكثرها استعمالاً واجلها فائدة

على ان الفحم المستعمل دواء ليس هو فحم المنازل لان هذا يحتوي على ماء وهيدروجين وغاز الهيدروجين المكربن وحامض كربونيك واملاح خاصة بالخشب الذي حضر منهُ فتزال هذه الشوائب بعملية خاصة بحيث يصلح للاستعمال الطبي . وجرعتهُ ملعقة صغيرة فما فوق

الفطر A.Mushroom, F.Chompignon, L.Fungus نباتات من انواع كثيرة تختلف هيئةً وبنيةً فقد تكون جافة او خيطية او قشرية او منتفخة او لحمية وقد تكون عديمة اللون او بيضاء او سوداء او صفراء او سنجابية او زيتونية او برتقانية او حمراء ومنها ما هو مغذٍ لذيذ يصلح للطعام ومنها ما هو مضر سام ولا قاعدة مطلقة للتمييز بين النوعين الاَّ انهُ يقال اجمالاً ان ما لا يصلح للاكل هو كل فطر تكون رائحتهُ رديئة او طعمهُ حريفاً او حامضاً او مرًّا وكل فطر يكون قوامهُ قشريًّا وجافًّا او رخواً ومائيًّا او يتغير لونهُ بعد قطعهِ

ومن افضل انواع الفطر الاغريقي الذي ينمو في الحقول وعلى جذوع الاشجار ويعرف بالقبعة التي على رأسهِ وهو حسن التغذية والطعم ويفضل طبخهُ بعد بلوغهِ الذي يعرف من اسوداد حراشفهِ على انهُ غير سام في كل ادوارهِ واذا جني قبل البلوغ وجب ان يزاد اغلاؤهُ عن المعتاد . والكما فطر ارضي لحمي كثير الغذاء ولذيذ الطعم.

الفلفل A. Pepper, F. Poivre, L. Piper ثمر شجرة كثيرة الجذوع من الفصيلة الفلفلية تنمو في جاوي وسومطرة وشجر الفلفل المعروف في مصر والشام ليس منها بل من الفصيلة البطمية ويسمى باللاتينية Schinus . والفلفل نوعان اسود وابيض فالاسود سطحهُ مجعد لانهُ يجنى قبل البلوغ حذراً من ان ينفرط ويقع على الارض فيضيع والابيض لا يختلف عنهُ الاَّ لكونهِ وضع في الماء الغالي لنزع قشرتهِ اللحمية الملتصقة بهِ وطعمهُ اقل حدة من طعم الاسود . ويطيب بهِ الطعام وهو منبه ومحمر ويساعد باستعمالهِ من الخارج على شفاء القرعة

الدكتور امين ابو خاطر

السمن وعلاجهُ

الدهن ضروري للجسم فهو فيهِ بمثابة الوقود او القوت الاحتياطي عدا عن انهُ يزيدهُ جمالاً . ولكنهُ اذا زاد حتى صار يعوق الجسم في حركاتهِ والاعضاء في اعمالها او اذا اخذ يزداد بسرعة ترتبت عليهِ مضار جمة بل كان دليلاً على ان في الجسم اختلالاً

والسمن وراثي في بعض العائلات وطبيعي في بعض الاصناف من الناس ولهُ اسباب مختلفة تسببهُ ولكنهُ يحدث غالبًا لغير سبب ظاهر . وقد يتذرع من ورث الميل الى السمن بكل وسيلة ممكنة لمنعهِ فلا يجديهِ ذلك

ومن اسباب السمن على وجه عام عيشة الرخاء والبطالة وكثرة النوم وعدم الهم وقلة التعب العقلي . ومن اسبابهِ المباشرة الاكثار من الاكل والاشربة خصوصاً الاشربة الكحولية

وقد ترى من السمان من لا يتناول من الطعام الاّ القليل ومن المهزولين من يأكل اضعاف ما يأكلهُ غيره ُ ولكن القاعدة العامة هي ان ما يزيد على حاجة الجسم من الطعام يتحول الى دهن خصوصاً اذا كان الطعام كثير المواد الدهنية والنشوية والسكرية . والاشربة الروحية اذا اكثر تناولها سببت السمن لانها تولد الحرارة في الجسم فتغنيهِ عن اكسدة الاطعمة النشوية والسكرية وتوفرها لتكوين الدهن عدا عن ان بعضها كالبيرا مثلاً يحتوي على السكر

والنساء عرضة للسمن اكثر من الرجال واكثر ما يظهر فيهنَّ بعد ولادة الولد الاول . ولعلَّ لقلة حركتهنَّ وعدم مقدرة دمهنَّ على اكسدة الطعام مثل دم الرجال يداً في ذلك . فالدهن نتيجة التأكسد غير التام في الجسم فاذا بقي قسم من الطعام لم يتأكسد تماماً لزيادتهِ على حاجة الجسم تحوّل الى دهن . وقلة الحركة من اسباب السمن ولكن كثيراً ما يزيد السمين سمناً اذا اخذ يروض بدنهُ وسبب ذلك ان الرياضة تزيد قابليتهُ فيزيد اكلاً

مضار السمَن — زيادة السمَن تعوق حركة الجسم فترتخي عضلاتهُ وتنحط . وتجمُّعهُ في الصدر والبطن يعوق عمل الاعضاء التي فيهما . ويقل عمل العقل في السمان على وجه العموم ولكن لهذه القاعدة شواذ كثيرة من السمان الذين نبغوا باعمالهم العقلية . ويغلب ان تكون انسجة السمين البدنية احط من انسجة غيرهِ

وتعرُّض السمين للامراض الحادة ليس اقل من تعرض النحيف واذا حل بهِ المرض فالغالب انهُ يبلغ منهُ اكثر مما يبلغ من النحيف . واذا كان ممن يكثرون الاكل تعرَّض للنقرس والبول السكري لان هذين المرضين مثل السمن في انهما نتيجة قلة التأكسد . وتكثر اصابة السمان بالاكزيما والتسميط وغيرهما من ادواء الجلد

علاجهُ — اكثر الادوية والوسائل الاخرى التي جربت لانقاء السمن او التخلص منهُ لم تجدِ او سببت ضرراً شرًّا من السمن . ومما جرب فيهِ الفصد والكي بالحراريق وتناول المسهلات وتقليل الاكل او الاضراب عنهُ . وكان يظن ان تناول الخل ينجع فيهِ ولكن لا دليل على صحة ذلك والخل فوق ذلك كثير الضرر ومثلهُ بعض الادوية التي يلجأ اليها السمان

ومما جرب وكان لهُ بعض النفع يوديد البوتاسيوم . ولا بدَّ من الحديد للفتيات اللواتي يتأتى سمنهنَّ عن فقر دمهنَّ ويجب ان يلجأن ايضاً الى الوسائل الاخرى التي يعالج بها فقر الدم . واذا كان السمن متأتياً عن مرض المكسيديما فعلاجهُ خلاصة الغدة الدرقية

وافعل من جميع الادوية تعديل العادات في ما يختص بالاكل والنوم والرياضة ولذلك طرق كثيرة

طريقة بنتنج — بنتنج رجل انكليزي اضرَّت بهِ كثرة سمنهِ فجعل يقلل من تناول الاطعمة السكرية والنشوية والدهنية والاشربة ويستعيض عنها باللحم او السمك مع الثمار بمقادير معتدلة ويشرب دواء مضادًا للحامض فخف وزنهُ وجادت صحتهُ . وقد حذا حذوهُ غيرهُ فكان لهم ما ارادوا ولكن بعضهم ساءت صحتهم لما اخذوا يهزلون فاضطروا الى العدول عن طريقتهِ . ويرى البعض ان ملح فيشي وملح كسنجن ينفعان مع الحمية ولا يترتب عليهما ضرر وطريقة تناولهما ان يذابا في ماء الشرب يومًا ويتركا يومًا

طريقة سلسبري — وتقوم بان يقتصر السمين على اكل اللحم اسبوعًا او عشرة ايام فيأكل كل يوم نحو اقة من لحم البقر الهبر مسلوقًا او مقليًا او مشويًا ويقسم هذا اللحم ثلاث علفات في اليوم ويشرب قبل كل علفة جرعة من الماء السخن . وبعد ان ينقضي عليهِ نحو اسبوع يعود الى سابق عادتهِ ولا يحتمي الا عن انواع قليلة من الاطعمة . وهذه الطريقة تذهب السمن غالبًا ولكن لا يجوز لمن كان معرضًا للنقرس او مصابًا بمرض بريط ان يسير عليها

طريقة شروت — وتقوم بالاقتصار على اكل الخبز البائت وشرب القليل من الماء القراح ولا يستطيع الصبر عليها الا القوي البنية الجيد العافية

وفي اوربا كثير من الحمامات التي يلجأ اليها السمان فتعالج سمنهم بطرق خاصة . ووجه الفائدة في هذه الحمامات هو انهُ يسهل على من يلجأ اليها ان يسير على القواعد التي ترسم لهُ ولا يسهل عليهِ ذلك في بيتهِ

وعلى العموم يجدر بمن يريد التخلص من السمن ان يقلل اكلهُ او يقتصر بقدر الامكان على اكل اللحم الهبر والسمك والشوربة القليلة الدسم ولحم الطير وحيوانات الصيد عمومًا والبيض والجبن والخضار والثمار والخبز المحمر واللبن المزالة قشدتهُ او المستخرجة زبدتهُ . ويجب ان يمتنع عن شرب الاشربة الروحية ويقلل تناول الشاي والقهوة بقدر الامكان

وعليهِ ان يكثر من الرياضة البدنية وان يخفف ثيابهُ . ولا بد ان تزيد شهوتهُ للاكل اذا عكف على الرياضة ولكن عليهِ ان لا يزيد طعامهُ بقدر ما تطلب شهوتهُ لان كثرة الطعام تزيد الدهن فتذهب بما يرجى من نفع الرياضة . وعليهِ ان ينام باكرًا ولا يزيد ساعات نومهِ عن سبع ساعات او ثمانٍ وان يقلع عن النوم في النهار . وينفعهُ ايضًا الحمام التركي اذا لجأ اليهِ مع الوسائل الاخرى

الثياب من الوجهة الصحية

يجب ان تتوفر في الثياب الشروط الصحية قبل توفر شروط الزينة · واذا توفرت فيها شروط الصحة وشروط الزينة معاً فهي الغاية · واهم ما يطلب توفرهُ في الثياب التدفئة وامتصاص العرق ومقاومة النار

الدفء — افضل الثياب لحفظ حرارة الجسم ثياب الصوف ويليها الحرير ثم القطن ثم الكتان والطاق من الصوف يدفئ بقدر ما يدفئ طاقان من الكتان اذا تساوى السمك · وللون ايضاً بعض التأثير في حفظ الحرارة فالثياب السوداء والزرقاء تمتص من حرارة الشمس اكثر من ضعفي ما تمتصهُ الثياب البيضاء · فالثياب البيضاء اذن تقي من وهج الصيف ومثلها الثياب الصفراء اما الثياب الحمراء فمتوسطة بين السوداء والبيضاء من هذا القبيل · واذا كان بين خيوط النسيج فرجات كما في القمصان والجوارب المحبوكة حبكاً كان افضل للتدفئة لان الهواء يتخلل هذه الفرجات وهو افضل ما يحفظ الحرارة · والطاقان يدفئان اكثر من الطاق الواحد ولو كان سمكهُ بقدر سمكهما معاً وما ذلك الاَّ لان بين الطاقين طبقة من الهواء · ومن الاسباب التي تجعل الصوف يدفئ اكثر من غيرهِ ان اليافهُ تهيج الجلد ويحفظ الهواء بينها · ومن كان جلدهُ شديد التأثر والتهيج لا يطيق الصوف اذا باشر بدنهُ فيتخلص من هذه الاهاجة بلبس قميص قطن او كتان تحت قميص الصوف

امتصاص العرق — يفضل الصوف غيرهُ في امتصاص الرطوبة وتعجيل تبخرها · ومن يكب على عمل شاق تريحهُ ثياب القطن والكتان في بادئ الامر اكثر مما تريحهُ ثياب الصوف لان القطن والكتان يشعّان الحرارة ويخلصانهِ منها ولكن اذا اخذ يعرق صار الصوف يريحهُ اكثر لانهُ يمتص عرقهُ ويعجل تبخرهُ · واذا تعرض من بللهُ العرق للهواء البارد في ثياب القطن او الكتان بردت ثيابهُ وظاهر جسمهِ سريعاً وتضرر اما اذا كانت عليهِ ثياب الصوف فلا تبرد الاَّ ببطء

مقاومة النار — لهذا الاعتبار اهمية في الثياب خصوصاً ثياب الاولاد . والصوف والحرير لا يحترقان الاَّ ببطء اما القطن والكتان فيلتهبان سريعاً · ويعالج الكتان بنشاء مضاد للنار فيهِ تنجستات الصودا فيصبح بطيء الاحتراق مثل الصوف

فافضل ما يباشر البدن صيفاً وشتاء هو الصوف · والقمصان الواسعة افضل من الضيقة للتدفئة وللراحة · اما في الليل فتفضل ثياب القطن والكتان لان الفراش يحفظ الحرارة التي

يجب ان لا ترتفع الى درجة تسبب العرق . اما الثياب الظاهرة فالصوفية منها تفضل غيرها في الشتاء والثياب الخفيفة الملونة في الصيف

فوائد منزلية

ازالة اللطوخ من الكتب

تزال اللطوخ من الكتب بمحلول من الحامض الاكساليك او الحامض الشتريك او الحامض الطرطريك فهذه الحوامض لا تؤثر في حبر الطبع ولكنها تزيل اللطوخ والكتابة المكتوبة بالحبر العادي

جلو المرائي

بلّ المغنيزيا المكلسنة بالبنزين النقي الى ان تصير اذا عصرتها يخرج منها قطرة بنزين . والبنزين النقي طيَّار يتبخر سريعاً فيجب حفظ هذا المزيج في زجاجات مسدودة سدًّا محكمًا . فاذا اردت جلو المرآة لتصير لامعة تخذ قليلاً من هذا المزيج على قطنة وافركها بهِ

تنظيف صينيات القهوة والشاي

لا تصب الماء السخن على هذه الصينيات بل امسحها باسفنجة مبلولة بالماء الفاتر ثم امسحها جيداً . واذا ظهر فيها بقع فذر عليها دقيق القمح ثم امسحها جيداً بخرقة ناشفة

صابون لتنظيف القطن والحرير

امزج رطلاً (مصريًّا) من الصابون العادي بنصف رطل من مرارة البقر واوقية وثلاثة ارباع من تربنتين فنيسيا فيكون لك صابون ينظف انسجة الحرير والقطن

تنظيف لطوخ الخل والخمر

امزج اوقيتين ونصف من الصابون الابيض ودرهماً سائلاً من زيت التربنتين و ٢٥ قمحة من ملح النشادر فيكون لك صابون ينظف لطوخ الخل والخمر

تنظيف البراميل

ضع في البرميل الذي تريد تنظيفهُ ارطالاً قليلة من الجير غير المروّى وصبّ عليهِ الماء وسدّ البرميل واتركهُ برهة ثم عد اليهِ فزدهُ ماء وقلّبهُ ثم اشطفهُ بالماء

تنظيف آنية الزجاج

فحم العظام افضل ما ينظف الزجاج من الروزين والزيوت الاثيرية. وطريقة التنظيف به ان تصب قليلاً من السبيرتو في الاناء الذي تريد تنظيفهُ وتخضهُ ليبتل كلهُ بالسبيرتو ثم تضع فيهِ فحم العظم وتصب فوقهُ قليلاً من الماء وتخض الاناء جيداً



زراعة الحبوب ونحوها

نشرت نظارة الزراعة المنشور التالي لترغيب المزارعين في زرع الحبوب والحاصلات الزراعية الاخرى

لا يخفى ان الحوادث الخطيرة الشأن القائمة في اوربا قد ترتب عليها نقص طلب القطن المصري نقصاً ذا شأن بسبب انقطاع تصديرهِ الى بعض البلدان المتحاربة وهبوط مقطوعيتهِ في بعض البلدان الاخرى المتأثرة بالحرب لان ذلك القطن يستعمل غالباً في المنسوجات النفيسة التي يقل طلبها عادة في ازمنة الحرب تبعاً للضيق المالي الذي يسود في مثل تلك الازمنة

ولما كان القطن عماد الثروة الزراعية الاول في هذه البلاد فقد رأت الحكومة وجوب تخفيض زراعتهِ تخفيضاً عظيماً انقاذاً للبلاد من العواقب الوخيمة التي تحيق بها من جراء هبوط الاسعار هبوطاً فاحشاً في السنة المقبلة اذا بقيت مساحة الزراعة القطنية على حالها

ولذلك صدر الامر العالي المؤرخ في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٤ القاضي بانقاص مساحة الاطيان التي تزرع قطناً في القطر في العام المقبل الى مليون فدان بدلاً من مليون وثلاثة ارباع المليون من الافدنة التي تزرع عادة . والمأمول ان يكون الطلب في العام المقبل معادلاً للمحصول مع ضم ما يتبقى بلا بيع من محصول هذا العام ومتى تمَّ هذا التوازن فالمأمول ان يمتنع هبوط السعر هبوطاً يخشى منهُ

على ان تنفيذ ذلك الامر العالي سيعود على البلاد بمزية اخرى عظيمة الشأن وهي الانتفاع بزراعة الحبوب في السبعمائة والخمسين الف فدان التي تنقص من المساحة القطنية الاعتيادية

ومعلوم ان محصول الحبوب الاخير قد تعذر اتمام ضمهِ في كثير من انحاء اوربا لقلة الايدي العاملة فضلاً عن عبث الجيوش بهِ اثناء مرورها كما ان انصراف الشبان الاصحاء البنية عن الفلاحة الى ميدان القتال في كثير من تلك البلاد سيعود بأوخم النتائج على محاصيلها في الموسم المقبل ولذلك ينتظر ان يزداد طلب الحبوب في اوربا في العام المقبل ولا يخفى ما يعود على القطر المصري اذ ذلك من الربح من تصدير تلك الحبوب بعد ان تستوفي البلاد حاجتها منها

وهذه هي اهم انواع الحاصلات التي يجب الاهتمام بتوسيع نطاق زراعتها

الحاصلات الشتوية

القمح — سيكثر طلب القمح في اوربا في العام المقبل للاسباب المتقدمة ولذلك يحسن ان تزاد زراعتهُ زيادة كبيرة . والارجح ان جانباً عظيماً من الاطيان التي نقصت من المساحة القطنية سيزرع قمحاً . وقد رغبت الحكومة في انتهاز هذه الفرصة لتحسين نوع القمح فاستوردت من الهند مقداراً كبيراً من تقاوي القمح الهندي النقية من مثل التقاوي التي استحضرت من تلك البلاد منذ عشر سنوات وقد انحطت رتبة محصولها الآن انحطاطاً عظيماً لتقادم العهد عليها . فاستعمال هذه التقاوي الجديدة لا بد وان يأتي بمحصول جيد يشبه في النوع محصول القمح الهندي في بدء عهد ادخالهِ الى القطر . وهذه التقاوي تطلب من المديريات وفي ديوان كل مديرية وكل مركز عينة منها ليعاينها من يريد من الاهالي

الشعير — سيكثر طلب الشعير في الخارج فلذلك يحسن زيادة مساحتهِ ولكن باقل من نسبة زيادة زراعة القمح

الفول — ان اكثار من زراعة الفول لا بد ان يعود بالربح على المزارع فان الفول المصري كثيراً ما يصدر الى سواحل اوربا الجنوبية لوفرة طلبهِ والمرجح ان يكون ثمن الفول في اوربا حسناً في العام المقبل لقلة محصولهِ هناك

العدس والفاصولية والفول السوداني — كلها اصناف تصلح للتصدير الى جنوب اوربا حيث تطلب عادة

الذرة — بجميع انواعها تصلح للتصدير الى تلك الجهات عينها

البصل والطماطم والباذنجان والكرنب والبامياء والبلح والليمون — كلها اصناف تصلح للتصدير وان كان من السهل بيعها كلها في القطر

الحاصلات الصيفية

الفاصولية البيضاء الناشفة (اللوبياء) — يحسن ان تزرع الذرة الصيفية والفول الصيني (المعروف بالفاصولية البيضاء الناشفة) في الاراضي التي لم تزرع زراعة شتوية فزرعت برسيماً وكان يراد زرعها قطناً بعد ذلك · والفول الصيني المعروف بالفاصولية البيضاء الناشفة يزرع في شهر فبراير على خطوط تشبه خطوط القطن ويضم محصولهُ في شهر يونيه بحيث يتسع الوقت لزراعة الذرة بعده · وقد جربت زراعة هذه الفاصولية البيضاء في مديرية الجيزة فبلغ محصول الفدان الواحد نصف طونولاته من الفاصولية الناشفة فضلاً عن كمية كبيرة من التبن الكثير الغذاء · وتباع الفاصولية البيضاء في ثغور البحر الابيض المتوسط وانكلترا واميركا وقد بلغ ثمن الطن منها في العام الماضي عشرين جنيهاً في انكلترا

الذرة الصيفية — والراجح ان الذرة الصيفية سيكثر طلبها في مرسيليا للزومها على الاخص للجنود القادمة من الشرق الاقصى

الارز — اما الارز فالمنتظر توسيع نطاق زراعتهِ في السنة الآتية لما سيتوفر من المياه بسبب تنقيص زراعة القطن · ولم يعلم للآن تماماً مقدار الارض التي يمكن اعطاؤُها الماء الكافي لزراعة الارز وان كان المظنون انهُ سيكون في الامكان زيادة مساحة زراعتهِ زيادة عظيمة

ويجدر بالمزارعين عند ترتيب زراعتهم ان ينتخبوا للحبوب الارض التي تجود فيها بنوع خاص · وقد يخشى من ان بعض المزارعين يقدمون على تكرير زراعة الارض الواحدة قطناً اذا كانت من اجود اراضيهم وذلك بالنظر الى تخفيض المساحة القطنية ورغبتهم في ابلاغ كمية محصولهم الى اقصى ما يمكن بازاء هذا التنقيص فالاولى بهم ان يجتنبوا هذا العمل لما يتركهُ من الاثر السيء في اضعاف الارض

دورة المحاصيل وتعب الارض

انشأ المستر فلتشر ناظر مدرسة الزراعة سابقاً مقالاً نفيساً في هذا الموضوع آثرت تلخيصهُ لما فيهِ من الفوائد العلمية التي اكتشفها بنفسهِ ونشرها في مجلة مصر العلمية سنة ١٩٠٨ واعاد طبعها في مطبعة مصر الاميرية ثم اكمل بحثهُ وكتب في ذلك كتاباً سماهُ افرازات جذور النباتات

يعلم جميع الزراع ان توالي زرع المحصول الواحد في بقعة واحدة يضر بالارض الاَّ في ظروف استثنائية ولذلك يلجأون الى معاقبة المحصولات لكي لا يزرع نبات من اية فصيلة في الارض التي زرع فيها الاَّ بعد زرعها بنبات فصيلة اخرى وهذا ما يعبر عنهُ بدورة المحاصيل. واذا استمر على زرع النبات الواحد في الارض نقصت غلتها بسرعة من سنة الى اخرى فيقال ان الارض تعبت ولا بد للنبات من الازوت والفصفور والبوتاسيوم والكبريت والكلسيوم والمغنيزيوم والحديد ولكن النبات غالباً لا يتناولها الاَّ وهي محاليل من ازوتات وكبريتات وفوصفات. والعناصر السابقة الذكر مع الكربون والهيدروجين والاكسوجين التي يتناولها النبات من الهواء والماء تعرف بعناصر التغذية الضرورية لانهُ ان فقد النبات احداها لم يكمل نموهُ

والنباتات الزراعية تختلف في مقدار ما يتناولهُ كل منها من كل من هذه العناصر فالقمح مثلاً يتناول ازوتاً اكثر من البرسيم والبرسيم يتناول من الارض بوتسا اكثر من القمح. وكذلك تختلف النباتات باختلاف جذورها فذات الجذور القصيرة تتغذى من الطبقة السطحية اما طويلتها فمن الطبقات السفلية ومن هذا يتضح لزوم دورة المزروعات منعاً لاختلال الموازنة بين مواد الارض الغذائية الذي تظهر آثارهُ عملياً في نقص المحصول

يظهر من التحليل الكيماوي ان المواد الغذائية على مقادير متساوية في الارض قبل تعبها وبعدهُ وتعليل هذا صعب والتعليل المعروف هو ان الاغذية المدخرة في الارض ليست كلها على حالة تسمح للنباتات بتناولها وذلك يعد حسنة من حسنات الطبيعة لانهُ لو كانت كلها صالحة للتغذية لكثرت على النبات واضرت بهِ ونفدت في مدة قصيرة

وقد برهن الكاتب ان سبب تعب الارض على العموم ناشئ عن افراز جذور النباتات لمواد سامة

فقد بيَّن ان بعض النباتات اذا زرع في جوار غيرهِ اضعف نموهُ رغماً عن توفر الغذاء والماء لهُ وبرهن صحة قولهِ بتجربة خصوصية يستدل منها على ان النقص في المحصول لا ينتج عن قلة المواد الغذائية بل عن التأثير السام لبعض النباتات في جاراتها فزرع النباتات في آنية ملأ بعضها ماء مرشحاً وبعضها ماء بئر فاخذت النباتات في النمو في هذه المياه التي كانت تزاد كلما نقصت من غير ان يزال ما بقي منها فماتت النباتات بعد مدة من الزمن فزرع محلها بذوراً من نوعها فنبتت ولكن حياتها كانت اقصر من حياة سابقتها وماتت. وهكذا كانت حياة كل زرع اقصر من حياة سلفهِ. ولا يمكن القول بان سبب هذا الموت هو نقص الغذاء لانهُ

ظهر بالتحليل ان الغذاء كان يزيد كلما اضيف ماء جديد اي ان الماء الموجود في الآنية عند موت النبات كانت مواد الغذاء فيهِ كثيرة في حين ان اول ماء وضع في الآنية كان خلواً من مواد التغذية تقريباً · وبعد زرع مئة نبتة من كل من ثلاثة انواع من النبات ازيلت جميع النباتات من الآنية ثم بُخر ما بقي فيها من الماء فصارت لا تحتوي الأ على محلول مركز من المادة التي افرزتها الجذور وهو مادة قلوية لا يمكن التحقق من معرفة تركيبها بالضبط الأ بعد تجارب كثيرة ولا يعرف هل جميع النباتات تفرز نفس المواد السامة ام ان كل فصيلة تفرز مادة خاصة · وقد اجريت عدة تجارب للتثبت من ذلك فاخذت عدداً من الزجاجات التي سعة الواحدة منها اربع اوقيات وملأتها بمحاليل مركزة جدًّا من افرازات انواع عديدة من النباتات وزرعت فيها نباتات صغيرة ذات حجم واحد ومن فصيلة واحدة فاخذت نباتات كل زجاجة وعددها اربعة تسابق نباتات اختها في النمو — ولا داعي هنا لشرح الطريقة التي كنت استعملها في قياس النباتات لعدم ضرورة ذلك

وبعد ان انتهى هذا السباق وعلمت النتيجة زرعت محل هذه النباتات نباتات غيرها من فصيلة ثانية بنفس العدد وفي الزجاجات عينها · وبهذه الطريقة اتضح انهُ اذا كانت الزجاجة تحتوي مثلاً على افرازات جذور الاذرة الهندية فالقطن ينمو فيها اجود مما ينمو في الزجاجة المحتوية على افرازات جذور الكاجينص وكذا الحال مع باقي النباتات التي جربت زرعها مثل الاذرة والسمسم وغيرهما · فاذا امكننا القول بان جذور الاذرة تفرز مادة مغايرة لما تفرزهُ جذور الكاجينص فينتظر ان يكون بين النباتات المختلفة فرق في مقاومة المفرزات والراجح ان المحلول الافرازي يختلف في درجة تركيزهِ فقط وليس في نوعهِ

الخاتمة

ان جميع الاسمدة الصناعية خصوصاً كبريتات البوتاسيوم ترسب هذه المفرزات السامة وتجعلها غير قابلة للذوبان وهذا هو السر في نفع هذه الاسمدة الصناعية وينفع مثلها الكربون واكسيد الحديد المرسب حديثًا والطين فانها تزيل المادة السامة فتنمو النباتات حتى في محاليل المواد المفرزة من الجذور وهذه الخاصية (خاصية ازالة ضرر المواد المفرزة) من الراجح انها تدل على تأثير المواد العضوية عند استعمالها كسماد · وطمي النيل لهُ نفس المفعول لاحتوائهِ على المخصب العظيم وهو الغرين

محمد مختار الجمال
مساعد مدرس بمدرسة الزراعة العليا

المالك والمستأجر

وزراعة القطن

من الاطيان ما لا يزرع الاَّ قطناً وارزًّا والغالب ان يزرع نصفهُ قطناً والنصف الآخر ارزًّا سنةً بعد اخرى دواليك . وهذه الاطيان مستثناة من الامر العالي القاضي بزرع القطن في ربع الاطيان فقط وما على اصحابها الاَّ ان يبسطوا امرهم لرجال الحكومة فينصفوا . ومنها ما يزرع القطن في ثلثهِ فقط وهو يزرع ايضاً قمحاً وفولاً وحلبة وذرة وسمسماً وما اشبه من الزراعات الشتوية والنيلية مع زراعة القطن الصيفية وهذه الاطيان اذا قلت زراعة القطن فيها الى الربع فما من احد يستطيع ان يقول ان مجموع محاصيلها يكون ثمنهُ اقل مما لو زرع ثلثها قطناً . وبيان ذلك انهُ اذا استأجر مستأجر اثني عشر فداناً فعلى معدل زرع الثلث يزرع القطن في اربعة افدنة منها . وعلى معدل زرع الربع يزرع القطن في ثلاثة افدنة منها فالفرق في فدان واحد من كل اثني عشر فداناً اما الاحد عشر فداناً الباقية فتزرع كما تزرع عادة والامر العالي لا يمسها

فلننظر الآن في هذا الفدان الواحد من الاثني عشر فداناً ما يكون تأثيرهُ في ايجار الاحد عشر فداناً الباقية

اذا زرع هذا الفدان قطناً وبلغ محصولهُ خمسة قناطير بلغ محصولهُ من القمح والذرة اذا زرع بهما بدل القطن خمسة ارادب او ستة من القمح وستة ارادب الى ثمانية من الذرة على اقل تقدير ويضاف الى ذلك ثمن التبن . فهل الباقي من ثمن القطن بعد طرح مصاريف زراعتهِ يزيد على الباقي من ثمن القمح والذرة بعد طرح مصاريف زراعتهما . هذه مسألة تتوقف على ثمن القطن وثمن القمح والذرة . ففي هذه السنة التي هبط فيها ثمن قنطار القطن الى اقل من ثلاثة جنيهات وبقي ثمن الحبوب على حالهِ يكون صافي ثمن القمح والتبن والذرة اكثر كثيراً من صافي ثمن القطن . ولا ينتظر ان يزيد ثمن القطن في العام المقبل ولا ان يهبط ثمن القمح والذرة بل المنتظر ان يبقى ثمن القطن على حالهِ او يهبط ايضاً وان يزيد ثمن القمح والذرة

هذا من حيث ابدال زراعة الثلث بالربع اي ابدال زراعة فدان واحد من كل اثني عشر فداناً . اما اذا نظرنا الى المسألة من وجه آخر وهو وجه هبوط ثمن القطن عموماً فهذا لا ينظر فيهِ الى الحقوق الرسمية اي الى عقود الايجار لان هذه العقود لا يشترط فيها ان

تكون صحيحة ما دام سعر القطن كذا وكذا وتلغى اذا نقص السعر عن هذا الحد او زاد عنهُ بل لا ذكر فيها لسعر القطن مطلقاً

ولا يخفى ان المستأجر يستأجر وهو عالم ان الزراعة معرضة للآفات الجوية والتقلبات التجارية فقد رأينا اطياناً بلغ محصول الفدان منها ثمانية قناطير من القطن في بعض السنين وثلاثة في غيرها واطياناً بلغ محصول الفدان منها عشرة ارادب من القمح واربعة في غيرها ورأينا سعر القطن يتراوح بين جنيهين وخمسة وسعر القمح يتراوح بين ثمانين غرشاً ومئة وخمسين . والغالب انهُ اذا زاد ربح المستأجر بوفور الحاصلات او بارتفاع الاسعار او بكليهما فالمالك لا ينالهُ شيء من ذلك . واذا قلَّ ربح المستأجر بقلة الحاصلات او هبوط الاسعار او كليهما عجز عن تسديد جانب من الايجار فوقعت الخسارة على المالك

ولكن كثيرون من صغار المستأجرين لا يفهمون شيئاً من الحساب الزراعي فاذا قال لهم قائل قوموا وانذروا المالك وقولوا لهُ ان زرع قيراطين من الفدان قمحاً وذرةً بدل القطن يخول لكم ان لا تدفعوا ايجار الفدان كلهِ صدقوا قولهُ وتهافتوا على ارسال الانذرات ودفع الرسوم ورفع القضايا فعسى ان يهتم عقلاء الامة بتعليم بسطائها لكي يقلعوا عمَّا فيهِ ضررهم

وحبذا لو اقلعت الحكومة عن التعرُّض لشؤُون الناس الخصوصية في اعمالهم وعن تقييدهم بالقوانين الكثيرة فيها فان العرف المتبع في البلدان الزراعية اكفل براحة سكانها من كل القوانين الوضعية وقد أَلِفهُ الفلاحون فيسهل عليهم العمل بهِ

مستقبل القطن المصري

هبط سعر القطن المصري في هذا القطر هبوطاً فاحشاً لاسباب اكثرها محلي عدا الهبوط العام بسبب الحرب الذي تناول سعر القطن الاميركي ايضاً

ولا يخفى انهُ اذا قارب ثمن القطن المصري ثمن القطن الاميركي فكل معامل الغزل والنسج في الدنيا تفضل القطن المصري على الاميركي لانهُ اجود منهُ جداً . وكل المغازل والانوال التي تغزل القطن الاميركي وتنسجهُ تستطيع ان تغزل القطن المصري وتنسجهُ . ولكن المغازل والانوال المعدة لغزل القطن المصري ونسجهِ لا تصلح لغزل القطن الاميركي ونسجهِ اي اذا اريد نسج المنسوجات الدقيقة التي تنسج من القطن المصري فلا بدَّ لها من مغازل خاصة وانوال خاصة وكذا اذا اريد ان يكون القطن المصري خيوطاً دقيقة جداً كخيوط البكر التي يتألف الخيط منها من ستة خيوط دقيقة جداً فهذه الخيوط تغزل بمغازل خاصة

لا يصلح لها الاَّ القطن الدقيق الشعر الطويلهُ كالقطن المصري وقطن السي ايلند

ومعلوم ان ايطاليا وسويسرا واسبانيا واميركا تستطيع كلها ان تشتري القطن في زمن هذه الحرب وقد وجدنا بالبحث ان ايطاليا تشتري في السنة قطناً بمبلغ ٣٩٠ مليون فرنك او نحو ١٥ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات وسويسرا تشتري قطناً وخيوطاً قطنية باكثر من مئة مليون فرنك او نحو اربعة ملايين من الجنيهات واسبانيا تشتري قطناً بنحو مليونين و٢٠٠ الف جنيه ومجموع ذلك كلهِ نحو ٢٤ مليون جنيه واكثر هذا القطن من القطن الاميركي فهذا الثمن هو ثمن سبعة ملايين قنطار او اكثر . فاذا هبط ثمن قطننا حتى قارب ثمن القطن الاميركي فالمرجح ان ايطاليا وسويسرا واسبانيا وحدهنَّ يأخذن كل موسم القطن المصري اذا بلغ سبعة ملايين قنطار وتطلب منا اميركا مليون قنطار فوقها على الاقل بل ان معامل اميركا وحدها قد تأخذ موسمنا كلهُ اذا قارب سعرهُ سعر قطنها وتستعيض بهِ عمَّا يماثلهُ وزناً من قطنها

ولذلك لا نرى مسوغاً لخوف الحكومة من عدم تصريف القطن المصري ولا لخوف التجار ولا لهذا الاهتمام بتقليل زراعتهِ . اما اذا اريد ان نعود الى الاسعار القديمة اي اربعة جنيهات وخمسة جنيهات القنطار فذلك امر آخر لا نرى سبيلاً اليهِ الاَّ اذا قلَّ القطن المصري حتى صار ثلاثة ملايين قنطار او اذا وضعت الحرب قريباً وعادت المقطوعية الى سالف عهدها

الصادرات والواردات الزراعية

لم يمرَّ على القطر المصري منذ سنوات كثيرة شهر مثل شهر سبتمبر الماضي نقصت فيهِ قيمة الصادرات الزراعية كلها الاَّ السكر وهاك قيمة النقص في كل صنف منها

الصنف	القيمة		الصنف	القيمة	
(١) البيض	٥٨	جنيهاً	(٨) الفول	١٩٦	جنيهاً
(٢) الجلد	١٢٧٤٧	«	(٩) بزرة القطن	١٧٧١٠٦	«
(٣) العاج	٧٥٧	«	(١٠) الارز	١٤٠٠٣	«
(٤) ريش النعام	٨٧٣	«	(١١) الطماطم	١٣	«
(٥) القمح	١١١٠٤	«	(١٢) كسب بزر القطن	٨٠٩	«
(٦) الذرة	١٠١	«	(١٣) البصل	٨٦٧	«
(٧) العدس	٦٢٧	«	(١٤) الفول السوداني	١٦٥	«

الرقم	الصنف	القيمة	
(١٥)	السكر	٢٣٨٥١ (زيادة)	جنيهاً
(١٦)	الصمغ العربي	٨٢١	«
(١٧)	الخرق	٥٠	«
(١٨)	الحناء	٢١٧٠	«
(١٩)	الصابون	٧٢	جنيهاً
(٢٠)	القطن	٩٧٣٤٨١	«
(٢١)	الكتان	٥٧١١	«
(٢٢)	السكاير	٢٢٤٧٣	«

وبلغ مجموع قيمة كل الصادرات في شهر سبتمبر الماضي ٣٦٧ ٢١٥ ١ . واذا جرت الحال على هذا المنوال مدة اثني عشر شهراً بلغ نقص الصادرات ١٥ مليوناً من الجنيهات . والظاهر انهُ سيفوق ذلك متى بان النقص في ثمن القطن الصادر

وكذلك نقصت قيمة الواردات كلها ما عدا البترول والسماد الكيماوي وهاك جدول اهم الواردات وقيمة نقص كلٍ منها

الرقم	الصنف	القيمة	
(١)	البقر والجاموس	١٢٥٤٥	جنيهاً
(٢)	الغنم والمعزى	١٨٢٤٤	«
(٣)	الزبدة	١٤٦٨	«
(٤)	الجبن	٣٢٦٣	«
(٥)	الشمع	١٣٠٤	«
(٦)	القمح	١٦٢	«
(٧)	الذرة	٩٢٤١	«
(٨)	الشعير	٤٢٥٨٨	«
(٩)	الارز	١٨٩٨٢	«
(١٠)	الدقيق	١١٨٨٦٥	«
(١١)	السكر	١٤٠٧٨	«
(١٢)	البن	٢٦٦٣١	«
(١٣)	الخمر	٨٥٣	«
(١٤)	البيرة	٣٢٤٠	«
(١٥)	الالكحول	١٢١٩	«
(١٦)	الاشربة الروحية	٤٨١٣	«
(١٧)	زيت الزيتون	٣٧٠١	«
(١٨)	زيوت اخرى	٦٩٣٨	جنيهاً
(١٩)	الزيت المعدني	٦٦٥٧	«
(٢٠)	البترول	١٩٥٤٨ (زيادة)	«
(٢١)	خشب التجارة	١١٨٨٣٠	«
(٢٢)	الفحم الحجري	٩٦٢١٦	«
(٢٣)	النيلة الطبيعية	١٠٤٧	«
(٢٤)	النيلة الصناعية	٢٨٧٦	«
(٢٥)	الصابون	٢٦٧١	«
(٢٦)	السماد الكيماوي	٤٤٨٤٥ (زيادة)	«
(٢٧)	غزل القطن	٢٠٧٤٢	«
(٢٨)	الانسجة القطنية	٢٢١٨٣٨	«
(٢٩)	الانسجة الكتانية	٤١١٠٦	«
(٣٠)	الحرير	١٣٨٥٧	«
(٣١)	اكياس فوارغ	٨٤٧١١	«
(٣٢)	حديد ونحاس	٨٧١٩٣	«
(٣٣)	تبغ	٢٧٩٣	«
(٣٤)	تمباك	١٨٤٥٢	«

وصافي النقص في قيمة كل الواردات ٠٠٦ ٣٩٩ ١ جنيهات اي اكثر من النقص في قيمة

الصادرات واذا استمرَّت الحال على هذا المنوال اثني عشر شهراً والمرجح انها تستمر او تزيد بلغ نقص الواردات فيها نحو سبعة عشر مليوناً من الجنيهات اي اكثر مما قدرنا واذا حدث ذلك من غير ان يحتاج القطر الى ضروريات المعيشة خرج بعد اثني عشر شهراً رابحاً لا خاسراً لاسيما اذا زادت حاصلاتهُ من الحبوب واستطاع ان يصدر منها مقداراً كبيراً يبيعهُ باسعار غالية لان اكثر الواردات التي قلَّت ليس من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها بل هو من الكماليات التي لا تمس الحاجة اليها ولا تزيد بها ثروة القطر كالبن والاشربة الروحية على انواعها والمنسوجات المختلفة والتبغ والتمباك وما اشبه · ومن المحتمل ان الاستغناء الاضطراري عن هذه الاشياء يسهّل على مستعمليها الاستغناء عنها حيناً لا يضطرون الى ذلك



فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) مَن دفع غرامة فرنسا

فراشة · شيخ العرب ابو هاشم علي قريط

اصحيح ما يقال من ان روشيلد هو الذي دفع الغرامة الحربية عن فرنسا بعد حرب السبعين وهل دفعها مرة واحدة او على اقساط

ج · لم يدفعها روشيلد والمرجح انهُ اشترى جانباً من سندات الدين الذي استدانتهُ الحكومة الفرنسوية لدفع هذه الغرامة كما اشترى غيرهُ · ولم تكن ثروة كل بيت رشيلد حينئذٍ بالغة مبلغ الغرامة وهو مئتا مليون جنيه · وكانت الغرامة اقساطاً تمَّ دفعها في سبتمبر سنة ١٨٧٣

(٢) مساحة القطر المصري

ومنهُ · اصحيح ما يقال ان مساحة القطر المصري جميعهِ ١٥٠ مليون فدان

ج · ان مساحة القطر المصري اي وادي النيل والجبال المحيطة بهِ والصحاري والواحات ما عدا السودان نحو ٤٠٠٠٠٠ ميل مربع او نحو ٢٥٠ مليون فدان ولكن مساحة الارض الزراعية فيهِ نحو ١٢ الف ميل مربع او سبعة ملايين فدان ونصف مليون

(٣) الطن والطونولاته

ومنهُ ما هو الفرق بين الطن والطونولاته ومقدار كل منهما

ج · هما لفظتان بمعنىً واحد والطن يعادل الف كيلوجرام او نحو الفين ومئتي رطل مصري

(٤) مقدار القطن الاميركي

ومنهُ · اعترض احد تجار القطن هنا على قولكم ان محصول قطن اميركا في السنة نحو ثمانين مليون قنطار وقال انهُ لا يقل عن مئة وخمسين مليون قنطار فهل ذلك صحيح

ج · كلاَّ ومتى نسبنا القطن الى اميركا فالمعنى قطن الولايات المتحدة الاميركية واقصى ما بلغهُ نحو ١٦ مليون بالة والبالة الاميركية اصغر من البالة المصرية فانها خمسة قناطير فقط فيكون وزن الستة عشر مليون بالة ٨٠ مليون قنطار .

(٥) مرتبات الخديوي والنظار

ومنهُ · كم مرتب الجناب الخديوي في مصر ومرتب كلٍّ من النظار والمعتمد البريطاني

ج · كانت مخصصات الحضرة الخديوية ٢٨٤ ٩٤٩ جنيهاً مصرياً سنة ١٩١٢ وهي ١٠٠٠٠٠ مخصصات الحضرة الخديوية بالذات والباقي مرتبات العائلة الخديوية وكابينه الحضرة الخديوية · وراتب كلٍّ من حضرات النظار ثلاثة آلاف جنيه في السنة وراتب المعتمد البريطاني خمسة آلاف جنيه

(٦) زرع البن في مصر

سان باولو بالبرازيل الخواجه قسطنطين الخوري لماذا لا يزرع البن في القطر المصري مع ان معدن ارضها مثل معدن ارض هذه البلاد واجود لاسيما لتوفر الري فيها

ج · جربت المدرسة الزراعية الخديوية زراعتهُ فنما جيداً ولكننا لم نسمع انها اشارت بزرعهِ في القطر المصري بعد ذلك · ولا نظن ان اقليم مصر صالح لزرع البن ولا ان صافي غلتهِ يفي في بلاد الارض الزراعية فيها غالية كالقطر المصري فان محصول الفدان يبلغ نحو ١٢٠٠ رطل وثمن رطل البن البرازيلي عندنا من غرش الى ثلاثة ويمر على شجر البن زمن طويل قبلما يحمل ومصاريف زرعهِ وجناهُ كثيرة فزرع القطن والحبوب في مصر اربح منهُ ومع ذلك ارسلوا لنا شيئاً من حبوب البن قبل قشرها لنجرب زراعتهُ

(٧) ذهاب ضوء المصباح

اسيوط · الخواجه ثابت جرجس بشاي · اين يذهب ضوء المصباح عند اطفائهِ

ج · لهب المصباح غاز احترق فتحركت دقائقهُ بالاحماء حركة سريعة جدًّا فاهتزَّ بها الاثير اهتزازاً تشعر بهِ اعصاب البصر شعوراً نسميهِ نوراً · فاذا اطفئَ المصباح بطل هذا الاهتزاز المتجدد في دقائق الاثير

فبطل شعورنا بهِ . وذلك مثل من يضرب بكفهِ على كفك فما دام الضرب متواليًا فانك تشعر بهِ فاذا ابطل الضرب بطل شعورك بهِ

(٨) قياس الابعاد السموية

ومنهُ . ما هي الطرق التي يقيس بها الفلكيون الابعاد السموية الشاسعة

ج . ان شرح هذه الطرق يقتضي مجلداً كبيراً فمتى درستم علم الفلك النظري والعملي ترونها مبسوطة فيهِ وتعجبون من صبر علماء الفلك ودأبهم حتى لقد يقضون مئة سنة وهم يحققون زاوية صغيرة لا تزيد سعتها على جزء من مليون جزء من الدرجة

(٩) قيمة بعض النقود

ومنهُ . كم يساوي المارك الالماني والدلار الاميركي والروبل الرومي والفلورين النمسوي

ج . المارك الالماني يساوي نحو ٤٧ مليماً ونصف مليم . والدلار يساوي عشرين غرشاً او كل عشرة آلاف ريال تساوي مئتي الف غرش وثلاثة غروش . والروبل يساوي عشرة غروش وثلاث مليمات وثلث . والفلورين يساوي ٩٥ مليماً وثمانية اعشار المليم

(١٠) التقمص

الأُبيّض بالسودان . نجيب افندي جورجي حداد . جرت مباحثة هنا منذ بضعة ايام بين بعض الادباء في مسأَلة التقمص (اي انتقال روح الانسان بعد وفاتهِ الى شخص آخر) وقد تعذر على الذين ايدوا هذا المبدأ ان يأْتوا ببرهان مقنع او شهادة ثابتة على صحة مبدإهم لهذا اقترح بعضهم ان نطلب من المقتطف ان يوضح لنا ما اتصل بهِ عن صحة هذا المبدإ او فسادهِ

ج . تقمص الارواح اعتقاد قديم اعتقد بهِ اناس كثيرون في ازمنة مختلفة ولا يزال كثيرون من المتوحشين والمتمدنين ايضاً يعتقدون بهِ . لقينا منذ بضع عشرة سنة سيدة اميركية في باريس واسعة الاطلاع جدًّا تعتقد هي وجماعة كبيرة من امثالها ان روح كل ميت تبقى على الارض الى ان تجد جنيناً يتكوَّن في بطن امهِ فتدخلهُ فيحيا بها ويصير انساناً . ومن ادلتهم على صحة ذلك ان بعض الناس وصفوا بلاداً لم يروها في حياتهم وما ذلك الاَّ لان ارواحهم رأَتها وهي في اناس آخرين قبلهم ومن قبيل ذلك حادثة الفتاة التي نومها الكولونل ده روشا واتينا على وصف افعالها في مقتطف دسمبر سنة ١٩٠٥ ومقتطف يناير سنة ١٩٠٦ في مقالة موضوعها قبل الولادة وبعد الموت . وقد عللنا امر هذه الفتاة بان ما ترويهِ عن امور سبقت ولادتها انما ترويهِ من محفوظات عقلها الباطن كما ترون في الصفحة ٢٥ من مقتطف يناير سنة ١٩٠٦ . وسنعود الى هذا الموضوع في جزء تالٍ

(١١) المواد الاصلية ورسوم الجمارك

الاسكندرية . الخواجه الياس الغز . اطلعنا على مقالة في المقتطف الاخير عن اسباب الحرب الحاضرة ذكرتم فيها ان فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة رفعن رسوم الجمارك على بضاعة المانيا الصادرة والواردة لدرجة عظيمة . مع اننا نعلم ان المانيا جعلت من شروط الصلح بعد حرب السبعين ان بعض متاجرها يكون حرًّا يدخل فرنسا بدون دفع رسوم فكيف ذلك

ج . لم نقل ان فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة رفعن رسوم الجمارك على بضاعة المانيا الصادرة والواردة كما ذكرتم ولا ذكرنا بضاعة المانيا مطلقاً . بل قلنا «ان اميركا وفرنسا ضربتا المكوس الباهظة على ما يرد اليهما من البضائع ولا يبعد ان تقتفي انكلترا خطواتهما» وليس مفاد ذلك ان اميركا وفرنسا ضربتا الآن المكوس على بضائع المانيا كلاَّ بل المراد كما تدلكم القرينة ما هو معروف وهو ان رسوم الجمارك غالية جدًّا في اميركا وفي فرنسا وقد تقتفي انكلترا خطواتهما فتضرب الرسوم الجمركية على كل ما يرد اليها من المواد الاصلية كالقطن والجلد والصمغ المندي والكوكو وما اشبه من المواد الاصلية التي يجلبها الاوربيون من المستعمرات

ففي سنة ١٨٨٤ وما بعدها قالت المانيا في نفسها ان هذه المواد الاصلية لازمة لي للصناعة وهي تجلب من المستعمرات المختلفة فاذا دخلت فرنسا واميركا اولاً واردت جلبها منهما لاصنع منها المصنوعات التزمت ان اشتريها بثمن غالٍ لان ثمنها يزيد بارتفاع رسوم الجمارك عليها في اميركا وفرنسا فيتعذَّر عليَّ مناظرة غيري في الصناعة حينئذٍ لاني اشتري المواد الاصلية غالية

نعم ان انكلترا لا تأخذ رسوماً جمركية على ما يرد اليها وما يصدر منها من هذه المواد ويمكنني ان اشتريها منها الآن بعد ان تكون هي قد احضرتها من المستعمرات ولكن يحتمل ان انكلترا تضرب الرسوم الجمركية اقتداء بفرنسا واميركا فتغلو المواد الاصلية ويصير جلبها من انكلترا متعذراً عليَّ فليس لي اذاً الاَّ امتلاك المستعمرات حتى تصير المواد الاصلية تأتيني منها رأساً . هذا هو المراد مما ذكرناهُ في المقتطف بالاختصار فراجعوهُ وتدبروهُ ثم ان ما اتفقت عليهِ فرنسا والمانيا في عقد الصلح لا يعمل بهِ الآن بعد ان نشبت الحرب بينهما واستحلَّ كلٌّ منهما دماء الآخر وامواله وعلى كل حال ليس ذلك مما اشرنا اليهِ في المقالة المشار اليها

(١٢) التنويم المغنطيسي

الاستانة العلية . نقولا افندي عبد النور . بينما كنت اطالع في كتاب يبحث عن التنويم المغنطيسي رأيت بعض امور رغبت في تجربتها فنوَّمت شخصاً وسألتهُ

اسئلة مختلفة امام بعض الاصدقاء وكان يجاوب على اكثرها اجوبة حقيقية . مثلاً كنت اضع الساعة وراء رأسهِ واسألهُ كم الساعة الآن فيجيبني بالصواب وسألتهُ عن العلامات التي حصلها بعض الرفاق في امتحاناتهم فاجاب عنها مع ان اصحابها لم يكونوا يعرفونها وكان حينما يجيب عن هذه الاسئلة يبل اصبعهُ بريقهِ ويحركهُ كمن يقلب دفتر النمر و ينظر فيهِ وكان قد امسك بيدي زاعماً انها هي الدفتر وهو يفركها باصبعهِ المبلول والاسئلة كانت كثيرة فاجاب عنها فكيف يعلل ذلك

ج . اذا امسك بيد رجل ناظر الى الساعة فالرجل يرشدهُ الى عدد الساعات والدقائق رويداً رويداً ولو عن غير قصد منهُ كما ترون في مقالة كمبرلند المدرجة في مقتطف يناير سنة ١٨٨٧ وفي وصف مشاهدتنا لهُ المدرج في مقتطف ابريل سنة ١٨٩٣ صفحة ٣٤٨

وكذلك اذا امسك بيد رجل يعرف نمر الامتحان فان الرجل يرشدهُ الى المراد بحركة يدهِ عن غير قصد منهُ

(١٣) قصيدة ليلى بنت لكيز

ومنهُ . اين توجد قصيدة ليلى العفيفة بنت لكيز بن مرة التي استصرخت بها عشيقها البراق وقتما اسرها العجم وقالت في مطلعها

ليت للبراق عيناً فترى
ما اقاسي من بلاء وعناء

ج . نتذكر اننا قرأنا هذه القصيدة وقصة البراق كلها في كتاب اسكندر اغا ابكاريوس المسمى تزيين نهاية الارب في اخبار العرب المطبوع في بيروت سنة ١٨٦٧ وكان عندنا نسخة منهُ فقدناها منذ سنوات كثيرة ولم نعثر على نسخة غيرها

(١٤) سوس الخشب

مصر . شكري افندي مظلوم . هل يوجد دواء فعال لابادة السوس الذي يأكل الخشب

ج . لا نعرف دواء خاصاً لقتل هذا السوس غير الادهان الزيتية التي يدهن بها الخشب عادة فانها كلها تقيهِ شر السوس ومن هذا القبيل سائل قطراني يستخرج من الفحم الحجري وتدهن بهِ اعمدة التلغراف فيقيها من السوس ومن الارضة ايضاً

(١٥) الخرسانة المسلحة

المنصورة . طه افندي حمولي . ما هي طريقة تركيب الاسمنت المسلح وما مقدار كل مادة تدخل في تركيبهِ

ج . تجدون بياناً وافياً عن ذلك في مقتطفي ابريل ومايو من سنة ١٩١٢



معرض بناما

قررت لجنة معرض بناما ان لا توَّجل افتتاحهُ عن الموعد المقرر لهُ وهو يوم ٢٠ فبراير القادم . وقد ابلغتها ايطاليا وفرنسا والدولة العلية واليابان انها لم تعدل عن شيءٍ مما كانت تنوي ان تقوم بهِ قبل ابتداء الحرب الاوربية وقد زادت بعض البلدان كهولندا واليابان والارجنتين الاموال التي كانت قد قررت انفاقها على ما يختص بها من هذا المعرض وطلبت اليابان ان يكبر المكان المخصص لمعروضاتها فاجيب طلبها

آلة تنبئ بحدوث الصواعق

اقامت شركة كهربائية في مدينة نيويورك جهازاً كهربائيًّا مخصوصاً يشبهُ الجهاز الذي يلتقط الرسائل في التلغراف اللاسلكي شديد التأثر بالاضطرابات الكهربائية التي تحدث في الهواء قبل ان تظهر الغيوم التي تنبعث الصواعق منها بساعات . وكلما اثر في هذا الجهاز اضطراب كهربائي قرع فيهِ جرس مخصوص يضرب اولاً بتقطع حتى اذا لم يبقَ لحلول الصاعقة سوى ساعة او نصف ساعة صار يقرع قرعاً متواصلاً غير متقطع . وهذا الجهاز ينبه الشركة لتتخذ اهبتها للانواء والصواعق

تسمم الحيوان ببزر القطن

جرب ثلاثة من علماء الاميركان فعل بزر القطن بالخنازير فعزلوا ١٧٥ خنزيراً ولم يطعموا بعضها الا كسب بزر القطن واطعموا بعضها هذا الكسب مع قليل من انواع العلف الاخرى فماتت هذه الخنازير بعد بقائها على هذه الحال مدة تتراوح بين ٥٩ يوماً و ٩٦ يوماً . وجرب فعلهُ ايضاً بعشرين ارنباً لم تطعم الا كسب بزر القطن فكان متوسط عدد الايام التي قدرت ان تعيشها على هذا الطعام ١٣ يوماً وماتت كلها . وقد استخلص هؤُلاء العلماء خلاصات كثيرة من كسب بزر القطن بواسطة المذوبات الكيماوية فوجدوا جميع الخلاصات غير سامة وان السم يبقى في الكسب . ووجدوا ايضاً انهُ اذا قدم للحيوان علف اخضر ورماد مع الكسب وسمح لهُ بالحركة الكثيرة قل تسممهُ . واذا عولج هذا البزر بمادة قلوية كحولية بطل تسم الارانب بهِ وينفع الخنزير اذا تسمم بكسب بزر القطن

الكبريتات الحديدوس (الجاز) اما الارنب فينفعها نترات الحديد والامونيا

رحلة شكلتون الى القطب الجنوبي

في ١٨ سبتمبر برح السر ارنست شكلتون لندن الى اميركا الجنوبية عازماً ان يقطع المنطقة المتجمدة الجنوبية من جهة اميركا الى جهة استراليا وقد ارسل بعض رجالهِ في جهة استراليا ليلتقوهُ عند بحر روس وهو يقدر انهُ سيوافيهم عند ذلك البحر في شهر ابريل من السنة القادمة والأَ ففي شهر مارس سنة ١٩١٦

جامعة لوفان في انكلترا

اهتمت جامعة اكسفورد وجامعة كمبردج وجامعة لندن باعداد كل ما يمكن اعدادهُ من اسباب المعيشة والراحة لاساتذة جامعة لوفان وتلاميذها. وقد اباحت لهم جامعة اكسفورد الانتفاع بمكتبتها وجميع معدات البحث العلمي فيها واجازت للتلاميذ ان يحضروا محاضرات اساتذتها وللاساتذة ان يلقوا المحاضرات على تلاميذهم ليبقى عملهم سائراً كما لو كانت مدينة لوفان لم تحرق

المشاهير في اميركا

اخذ بعضهم دليل الولايات المتحدة الاميركية لسنة ١٩١٣ وجعل ينظر في مهن ١٠٠٠٠ من المشهورين الذين ذكرت اسماؤُهم فيهِ فوجد ان ١٩٣٢ منهم اساتذة و ١٣٥٤ محامون و ٩٩٨ رجال اعمال تجارية وصناعية و ٩١٦ مأمورو حكومة و ٩٠٨ مؤَلفون و ٧٣٢ خدمة دين و ٦١٩ اطباء و ٦١٤ من المشتغلين بالعلوم الطبيعية و ٥٩٥ صحافيون و ٤٣٠ من رجال الجيش والبحرية و ٩٠٢ من مهن مختلفة. ووجد ايضاً ان ٧٧٩ منهم (اي ٧,٨ في المئة) اناث وان ٢٣٢٤ (اي ٢٣,٢ في المئة) ولدوا في مدن سكانها اكثر من ٢٠٠٠٠ نفس

تلفون عالي الصوت

جعلت سكك الحديد تستعمل التلفون بدل التلغراف ولكن التلغراف يسمع صوت مفتاحهِ عن بعد فاذا سمعهُ العامل اسرع الى الآلة او فهم المراد وهو بعيد عنها من سماعهِ صوت مفتاحها واما التلفون فلا يسمع صوتهُ عن بعد فيضطر مأمور المحطة ان يلبس قبعاً على رأسهِ فيهِ سماعة امام اذنهِ. وقد استنبط احد الاميركيين بوقاً كبيراً مثل بوق الفونوغراف يوصل بالتلفون ويوضع على المكتب امام مأمور المحطة فيسمع صوت التلفون بهِ ولو كان بعيداً عن اذنهِ. ويقال انهُ يسهل على المامور ان يسمع صوت التلفون بهذا البوق ولو كان على خمسة امتار منهُ

سكة الحديد في منشوريا

تتوقف سهولة النقل في منشوريا على سكة حديد واحدة مفردة وهي سكة شرقي

الصين ولكن روسيا شرعت الآن في انشاء خمس سكك اخرى تصل منشوريا ببكين عاصمة الصين وقدرت نفقات انشائها بمليون جنيه

الفحم الصيني

وجد في بلاد الصين منجم غني بالفحم الحجري فاتي اليهِ بالآلات اللازمة وجعل العمال يستخرجون الفحم منهُ وهم يستخرجون الف طن كل يوم من الفحم الجيد واجرة العامل منهم لا تزيد على غرشين في اليوم

اثر الصوت في قرص الفنوغراف

تلا المسيو لروى من روان خطبة في اكادمية العلوم الفرنسوية ذكر فيها طريقة لهُ لتكبير اثر الصوت في اقراص الفنوغراف وطريقتهُ ان يطبع الصوت في نوع من الجلاتين يتمدد اذا عولج ببعض الوسائل فيكبر اثر الصوت معهُ ثم يجمدهُ لكي لا يتقلص ثانيةً ويطبع منهُ اقراصاً اذا ركبت في الفنوغراف اعادت صوت المغني او المتكلم اعلى مما كان عند ما أُخذ اولاً بالفنوغراف ومن غير ان يخسر شيئاً من طلاوتهِ ومميزاتهِ

تحول القصدير بالبرد

كان نقص الوقود من اكبر الاسباب في هلاك الكبتن سكوت ورفاقهِ في رحلتهم الى القطب الجنوبي وكان يظن ان نقص الوقود لديهم نشأ عن تبخر البترول من سدادات الصفائح التي كان محفوظاً فيها في موادع المونة . ولكن المستر بروكس الاميركي يرى ان ذلك بعيد الوقوع وان النقص نشأ في الراجح عن ارتشاح البترول من الصفائح فان القصدير الذي يلحم بهِ الصفيح اذا هبطت حرارتهُ الى الدرجة ٤٠ تحت الصفر بمقياس سنتكراد تحول الى مسحوق رمادي اللون . ويتحول مثل ذلك ايضاً اذا كانت حرارتهُ دون ١٨ درجة بمقياس سنتكراد ولكن ببطء

تحقق الحبل في الحيوان

بحث عالم يقال لهُ الدكتور ابدرهالدن في دم الحيوانات عندما تكون حبلى فقال انهُ يحتوي على نوع من الخمير يحل المواد البروتينية التي تكون في المشيمة وان هذا الخمير يزول منهُ بعد الولادة بعشرة ايام . فاذا اريد التحقق من حبل حيوان قبل ان تبدو عليهِ علامات الحبل العادية يؤْخذ قليل من مصل دمهِ ويمزج مع مواد بروتينية من مشيمة حيوان من نوع آخر ويوضع المزيج في غشاء يغطس في ماء يحتوي على قليل من التوليوين وترفع حرارتهُ الى درجة ٣٧ سنتكراد مدة ١٦ ساعة . ثم يضاف الى الماء الذي يكون قد نقطر فيهِ بعض المزيج محلول النينهيدرين (١ : ١٠٠) فاذا ازرق فالحيوان حامل والاَّ فهو غير حامل

زبد الكاوتشوك

هو كاوتشوك تتخللهُ مادة غازية في فراغات صغيرة جدًّا فتجعل قوامهُ مثل قوام الاسفنج في كثرة الفراغات التي فيهِ غير ان فراغاتهِ لا يفضي بعضها الى بعض مثل فراغات الاسفنج فلا يمكن خروج الغاز منها. ويقال انهُ يمكن عمل الاطارات لعجل الاوتوموبيلات والبيسكلات منهُ عوضاً عن انابيب الكاوتشوك المفرغة التي تنفخ بالهواء. وهو يفضلها في انهُ مهما خرق بقي قابلاً للضغط يمنع الارتجاج لان الخرق مهما كبر لا يصل الأ الى قليل من فراغاتهِ. ويقال ايضاً انهُ افضل ما عرف من المواد التي تحفظ الحرارة ولذلك تبطن بهِ الصناديق التي يحفظ فيها الثلج. اما طريقة صنعهِ فهي ان يوضع الكاوتشوك وهو في قوام العجين في انبوب ويضغط عليهِ النتروجين ضغطاً يساوي ٤٠٠٠ ضعف من ضغط الجو فيذوب فيهِ. واذا رفع الضغط عن الكاوتشوك انتفخ فصار حجمهُ نحو اربعة اضعاف ما كان اولاً وكان فيهِ ما لا يحصى من الفراغات الصغيرة التي يملأُها النتروجين

جسر كبير من الخرسانة

اقيم في ولاية بنسلفانيا من الولايات المتحدة الاميركية جسر (كبري) كبير من الخرسانة المسلحة تمر عليهِ قطرات سكة الحديد. وطول هذا الجسر ٢٣٧٥ قدماً وعلوهُ في بعض اقسامهِ ٢٤٢ قدماً. وقد استخدم في بنائهِ ١٦٧٠٠٠ يرد مكعب من السمنت وسلّح بقضبان من الحديد يبلغ ثقلها ٢٢٧٥٠٠٠ رطلاً ويعد هذا الجسر من عجائب الهندسة في هذا العصر

الكاوتشوك الصناعي

قال رئيس جمعية الحديد والفولاذ في لندن من خطبة لهُ ان بعض الباحثين يسعون في صنع الكاوتشوك من الغازات التي تتصاعد من الفحم عند تحويلهِ الى كوك لانها قريبة منهُ في تركيبها الكيماوي وان الدلائل تدل على انهم سينجحون في ذلك قريباً

المواليد في المانيا

زاد سكان المانيا كثيراً بين سنة ١٨٧٠ وسنة ١٩٠٠ ثم اخذت مواليدهم تقل. فقد كانت المواليد ٣٧٠ لكل ١٠٠٠٠ منهم سنة ١٩٠٠ فهبطت الى ٣١٠ سنة ١٩١٠. واكثر النقص في مواليد المدن الكبيرة والمقاطعات الصناعية والمقاطعات التي تميل الى الحزب الاشتراكي. وسنة ١٨٧٦ كان عدد المواليد ١٤٩ لكل عشرة آلاف من سكان برلين فهبط الى ٩٣ سنة ١٩١٢ واقل احياء برلين مواليد هي احياء اليهود

سماد النترات

يقال ان اول سفينة شحنت نترات الصودا من شيلي الى اميركا لم تجد من يشتريهِ منها فاضطرت الى طرحهِ في البحر وكان ذلك سنة ١٨٢٥ اما الآن فقد بلغ ثمن النترات التي يستعملها الناس سماداً للارض كل سنة نحو ٤٠ مليون جنيه

الاوتوفون

هو آلة تحول النور الى صوت فتمكن العميان من قراءة الحروف المطبوعة . وقد وصفها الدكتور دالب في الجمعية الملكية بلندن فقال ان اهم اجزائها قرص فيهِ ثقوب تقع في دوائر ذات مركز واحد . وهذا القرص يدور بسرعة ومن ورائهِ سلك ينير نوراً ساطعاً فيمر نورهُ في الثقوب ويقع على الحروف المراد قراءتها وينعكس منها الى تلفون مخصوص يحولهُ الى صوت يسمعهُ الاعمى فيفهمهُ . وكل حرف من الحروف الهجائية يكون لهُ صوت مخصوص في هذه الآلة لان اشكال الحروف تختلف بعضها عن بعض فيختلف النور المعكوس منها

الاوتوموبيل في الحرب

للجيش الالماني ١٥٠٠٠ اوتوموبيل من النوع المختص بنقل الاثقال وللجيش الفرنسوي نحو ١٠٠٠٠ منها وللجيش الروسي ٥٠ وللجيش النمسوي ١٠٠٠ اما انكلترا فعندها كثير من الاوتوموبيلات من جميع الانواع ولا تحاكيها في ذلك دولة اخرى ومن الاوتوموبيلات ما قد حول الى مطابخ او مستشفيات او مكاتب للضباط او انتفع بهِ في وجوه اخرى في هذه الحرب

وفيات السل في اميركا

يقدر ما تخسرهُ الولايات المتحدة كل سنة بتعطل المصابين بانواع التدرن عن العمل بنحو مئة مليون جنيه وهي تنفق على مكافحتهِ نحو اربعة ملايين جنيه كل سنة . ووفياتهُ فيها آخذة في النقص فقد صار متوسط الوفيات بهِ ١٥٨ لكل مئة الف من السكان وكان قبل هذا الاوان بعشرين سنة ٢٤٥

الجمعيات العلمية في باريس

قررت اكادمية العلوم واكادمية الطب الفرنسويتين في باريس ان تكونا رهن اشارة الحكومة لتنتفع بمعارف اعضائهما في الحرب الحاضرة

انتقال قطبي الارض

قال كثيرون من العلماء ان قطبي الارض غير ثابتين حيث هما الآن بل كانا في الماضي في غير مكانهما الحاضر ولا يزالان ينتقلان

بيطء . والذين قالوا بذلك قالوا بهِ استناداً الى ادلة جيولوجية وادلَّة من علم الحياة كآثار الجليد في اوربا وغيرها ومتحجرات الحيوانات والنباتات . وقد ذهب بعض القائلين بذلك الى ان القطب الشمالي كان في الاقسام الجنوبية من الاوقيانوس الاتلنتيكي وانتقل الى حيث هو الآن مارًّا بافريقية فالهند فكندا فغرينلندا . وقال آخرون ان القطب لا يزال يذهب ويجيء في خط يمر باوربا وافريقية ولكن بيطء كثير حتى اننا لا نشعر بهِ . وقال آخرون ايضاً انهُ يدور دوراناً في دائرة اختلفوا في تعيين قطرها .

وقد كتب عالم اميركي في مجلة سينس يقول ان الادلة الفلكية والرياضية تناقض هذه الفروض كلها ولا تسوغ القول الأ بانتقال قليل اقل كثيراً مما توهم علماء الحيوان والجيولوجيا وان الحقائق الجيولوجية والحيوانية التي استند اليها في هذه الاقوال يمكن تعليلها بغير انتقال القطبين . ويراد بانتقال القطبين اختلاف المحور الذي تدور عليهِ الارض .

من اسباب قلة السكان

اتى رئيس قسم الجغرافيا في مجمع تقدم العلوم البريطاني على ذكر اهمية الغابات في عمار البلاد لانها تعدّل هواءها ومطرها وتمنع السيول من جرف التربة فاستشهد بقول المسيو ركلو الجغرافي الفرنسوي « ان فعل السيول المخرّب في جبال الالب الفرنسوية يبيّن لنا السبب الذي من اجلهِ اقفرت اقسام كثيرة من سورية واليونان والاناضول وافريقية واسبانيا من ساكنيها . ان سكان تلك البلدان ذهبوا بذهاب الاشجار . وفاس الحطّاب ليست اقل فعلاً من سيف الفاتح في اخلاء البلاد من ساكنيها »

التعليم الصناعي في فرنسا والمانيا

كلفت لجنة المعارف في مدينة لندن احد اعضائها ان يبحث في وسائل التعليم الصناعي في فرنسا والمانيا وخصوصاً ما اختص منها بالاحداث الذين يخرجون من المدارس البدائية الى المعامل والمصانع رأساً فقدم لها تقريراً عن الوسائل المتبعة في باريس وبرلين ومونيخ وليبسك واطرأ فيهِ القانون الالماني الذي يلزم ارباب الاعمال ان يسمحوا لمستخدميهم بست ساعات الى تسع من ساعات العمل يقضونها في مدارس خصوصية يتعلمون فيها اصول الصنائع وكثيراً غير ذلك من المعارف النافعة . ومما قالهُ ايضاً ان ارباب الاعمال قد تحققوا نفع هذا القانون لانهُ يزيد مستخدميهم كفاءة

حيوان يعيش بلا رأس

وضع عالم دعاميص حيوان من نوع

الضفدع يقال لهُ نكتوروس في اناء ماء واخذ يهزها هزًّا عنيفًا فذهبت رؤُوس كثير منها ولكن بعض الدعاميص التي ذهبت رؤُوسها بقي حيًّا يتحرك وينمو على عادتهِ ولو ببطء . وظل ايضًا يتأثر بالنور وذلك دليل على انهُ يحس بهِ بجلدهِ

بكتيريا الكبريت

من المكروب صنف يعرف بالشيزوميسيت او بكتيريا الكبريت لانهُ يؤكسد الكبريت ومركباتهِ غير المتأكسدة . ومن هذا الصنف نوع احمر يكون في الماء الآسن واذا كثر فيهِ صيرهُ قرمزيًّا ولذلك سمي ببكتيريا الكبريت القرمزي

حيوان جديد

ارسل احدهم من الفيلبين الى مجلة المعرفة الانكليزية يقول انهُ شاهد حيوانًا من الحيوانات القشرية يعلو من الماء ويطير في الهواء ولكنهُ لم يتمكن من امساكهِ لكي يصفهُ

تعرض الاشجار للصواعق

قال المستر فشر وهو عالم انكليزي في كتاب وضعهُ حديثًا ان جميع الاشجار معرضة لانقضاض الصواعق عليها ولكن اكثرها تعرضًا للصواعق البلوط وما ماثلهُ من الاشجار التي تغور جذورها في الارض الى الطبقات الكثيرة الرطوبة وان الاشجار النشوية كالبلوط والحور والجرمشق تنقض عليها الصواعق اكثر مما تنقض على الاشجار الزيتية كالزان والجوز . واذا انقضت صاعقة على شجرة وكانت تربتها رطبة ذهبت الكهربائية في الارض اما اذا كانت تربتها جافة فيتصل قسم من الكهربائية من جذور الشجرة المصابة الى جذور الاشجار الاخرى وعليهِ فالصاعقة الواحدة قد تميت جملة اشجار متجاورة

هداية الطيارات في الليل

يعتمد الالمان في هداية طياراتهم في الليل على منارات يبنونها لهذا الغرض خصيصًا وفي بلادهم كثير منها وقد اقامت مثلها الامم الاوربية الاخرى التي تهتم بالطيران . ومن رأي عالم اميركي يقال لهُ المستر هامر انهُ يمكن ابدال هذه المنارات بعلامات من دهان مخصوص يركب من مواد فصفورية ومواد متألقة فينير في الظلمة وتهتدي الطيارات بهِ . فالمنارات تكلف كثيرًا في بنائها ثم لا بد لها من رجال يقومون عليها لايقاد نورها وارشاد الطيارين بالعلامات الخاصة اما الدهان الفصفوري فيمكن ان تعمل منهُ علامات مختلفة الالوان والاشكال على جدران البيوت او على الخيم او غير ذلك ولا يلزم لها رجال مخصوصون يعتنون بها

فهرس الجزء الخامس من المجلد الخامس والاربعين

صفحة

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الخامس والاربعين

١ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩١٤ — الموافق ١٤ محرم سنة ١٣٣٣

ديون الدول والدين المصري

يتعذَّر على الدول ان تقصر نفقاتها دائماً على دخلها ولا تجاوزهُ لان الدخل محدود في الغالب ولكن النفقات تزيد في بعض السنين زيادة فاحشة فلا تستطيع الدولة القيام بها الاَّ اذا استدانت اموالاً طائلة كما اذا اشتبكت في حرب كالحرب الاوربية الحاضرة. وقلما كانت الدول تستدين الاموال لهذه الغاية في غابر الزمن بل كانت تجبيها من رعاياها ابتزازاً ثم صارت تدَّخر الاموال من دخلها السنوي او مما تكسبهُ بالغزو والنهب ثم تنفقها في حروبها . وقد تحتاج الى المال الوافر لعمل عمومي نافع كحفر الترع للري وبناء المرافىء للسفن وانشاء سكك الحديد للنقل وما اشبه فكانت تعمل هذه الاعمال بالسخرة فتسخر فقراءها لكي يعملوا عملاً ينتفع بهِ اغنياؤُها وابناؤُهم . ومهما كان السبب الذي يدعوها الى نفقات تزيد على دخلها السنوي فتوزيع هذه النفقات على رعاياها كلهم في الحاضر والمستقبل ايضاً حتى ينال كلاًّ منهم جزء صغير منها في سنين متطاولة اقرب الى الانصاف من وضع اعبائها كلها على رعاياها في الحاضر سواء سخرتهم سخرة او اخذت منهم الاموال ابتزازاً. وخير ايضاً من خزن الاموال وتركها بلا فائدة الى ان يبدو سبيل لانفاقها

على هذا المبدإِ الاقتصادي اي توزيع النفقات على كل الذين ينتفعون منها في الحاضر والمستقبل ايضاً عُقدت القروض الدولية حتى بلغت مبلغاً عظيماً جدًّا وحتى امست الدول جابية لاصحاب هذه القروض تجبي لهم رباها من رعاياها وتوزعها عليهم من غير تعب ولا نصب

نعم ان هذا الربا معتدل جدًّا يتراوح بين ثلاثة وخمسة في المئة ولكنهُ مأمون في الغالب لدى المداينين لا اسلم منهُ لمن لا يستطيع ان لا يعمل باموالهِ عملاً نافعاً

وهاك جدول ديون بعض الدول وعدد سكانها وما يصيب كل نفس منهم من دين حكومتهِ

الحكومة	مقدار دينها	عدد سكان	ما يخص النفس منهم
فرنسا	١٣٠٠ مليون جنيه	٣٩ مليوناً	نحو ٣٥٩٠ غرشاً
روسيا	١١٥٠ » »	١٧٠ »	» ٠٧٦٠ »
المانيا	١٠٠٠ » »	٠٦٥ »	» ١٥٣٨ »
بريطانيا	٠٧٦٦ » »	٠٤٧ »	» ١٥٢٣ »
ايطاليا	٠٥٦١ » »	٠٣٥ »	» ١٦٠٣ »
النمسا والمجر	٠٥٢٥ » »	٠٥٠ »	» ١٠٥٠ »
اليابان	٠٢٤٩ » »	٠٥٣ »	» ٠٤٧٠ »
الولايات المتحدة	٠٢٠٠ » »	١٠٠ »	» ٠٢٠٠ »
البلجيك	٠١٤٨ » »	٠٠٧ ½ »	» ١٩٧٣ »
البرتغال	٠١٤٣ » »	٠٠٦ »	» ٢٣٨٣ »
هولندا	٠٠٩٦ » »	٠٠٦ »	» ١٦٠٠ »
مصر	٠٠٨٩ » »	٠١٢ »	» ٠٧٤٢ »

ويظهر من هذا الجدول ان ما يصيب كل نفس من دَيْن حكومتهِ يختلف كثيراً باختلاف الحكومات فاكثرهُ في فرنسا حيث يصيب النفس ٣٥٩٠ غرشاً واقلهُ في الولايات المتحدة الاميركية حيث يصيب النفس ٢٠٠ غرش . ولكن هذا الامر الظاهر لا يدل على حقيقة الحمل الذي يحملهُ كل واحد من دين حكومتهِ لان هناك اعتبارات اخرى لا تدل عليها هذه الارقام فاولاً ان بعض الحكومات دينها لشعبها فالربا الذي تأخذهُ من شعبها تردهُ لاصحاب الدين منهم فكأنها تاخذ غرشاً من جيب زيد وتضعهُ في جيب عمرو وكلاهما من ابنائها فلا يذهب منها غرش الى غير شعبها . وبعضها دينها لغير شعبها فكل غرش تأخذهُ منهم تعطيهِ لمداينيها فتخسرهُ بلادها مثال الاولى فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة الاميركية ومثال الثانية روسيا ومصر والبرتغال

وثانياً انا ذكرنا مقدار الديون ولم نذكر معدل فوائدها وهذا المعدَّل يختلف كثيراً من ½ ٢ في المئة سنوياً كاكثر الدين الفرنسوي الى خمسة او ستة في المئة كالدين العثماني الجديد والدين الصيني وما اشبه . ولا يخفى ان خمسين مليون جنيه بفائدة ستة في المئة هي مثل مئة مليون جنيه بفائدة ثلاثة في المئة اذا لم يقصد ايفاء الاصل . والممالك التي دينها لرعاياها هي التي تدفع المعدَّل الاقل من الفائدة والتي دينها لغير رعاياها تدفع المعدل الاكثر الأ

اذا قويت الثقة بماليتها كالقطر المصري فقد كان معدل فائدة دينهِ ٧ في المئة سنة ١٨٧٦ وهو الآن من ٣ الى ٤ في المئة

وثالثاً ان بعض الديون يستدان لينفق على الحروب ونحوها وبعضها يستدان لتعمل بهِ اعمال نافعة ذات ريع كانشاء سكك الحديد المصرية والروسية والبلجيكية · وديون مثل هذه ليست من الاعباء التي تحملها الرعية بل من رؤُوس الاموال التي منها ريع يقوم بفوائدها

وقد يظن لاول وهلة ان ديون الدول كلها استدينت لقصد حميد كالدفاع عن الوطن وعمل الاعمال الكبيرة العمومية وان كل غرش منها أُنفق في سبيلهِ ولكن ليس الامر كذلك بل ان جانباً كبيراً من هذه الديون يذهب للسماسرة والصيارفة والامراء والوزراء· ولعلَّ ما وقع لديون الحكومة المصرية من هذا القبيل يفوق ما وقع لغيرها من ديون الدول· وقد عقد المستر طُد فصلاً لذلك في كتابهِ الاقتصاد السياسي للتلامذة المصريين اقتطفنا منهُ أكثر ما يأتي

كانت الحكومة المصرية سنة ١٨٤٠ خالية من الدين فلم تمضِ سنة ١٨٧٦ حتى بلغ دينها مئة مليون جنيه وهذا من نوادر التاريخ لبلاد صغيرة كالقطر المصري · واول من استدان من ولاة مصر المتأخرين سعيد باشا فيقال انهُ استدان ٢٨ مليون فرنك سنة ١٨٦٠ واربعين مليون فرنك سنة ١٨٦٢ وجملة ذلك ٦٨ مليون فرنك او نحو ٢٧٢٠٠٠٠ من الجنيهات الانكليزية ثم استدان تلك السنة ٣٢٩٢٨٠٠ جنيهاً ليوفي بها الدينين الاولين ويدفع ما تعهَّد بدفعهِ من نفقات ترعة السويس · وقد صدر هذا الدين بعضهُ بسعر ½ ٨٢ وبعضهُ بسعر ½ ٨٤ اي بيع سند المئة الجنيه باثنين وثمانين جنيهاً ونصف جنيه في الحالة الاولى وباربعة وثمانين جنيهاً ونصف جنيه في الحالة الثانية· والمرجح انهُ لم يصل الى سعيد باشا بعد طرح هذا الفرق وبعد طرح السمسرة سوى ٢٦٤٠٠٠٠ جنيه · وهذه اول صفقة خاسرة وقعت خسارتها على القطر المصري وهو اول دين مقسط · وكانت فائدتهُ ٧ في المئة سنويًّا نسبةً الى اصلهِ اي ٢٣٠٤٩٦ جنيهاً فبلغت بالنسبة الى المتحصل منهُ نحو تسعة في المئة· ورهن سعيد باشا اموال اطيان الغربية والمنوفية ضماناً لهذا الدين ولم يكتفِ بهِ بل استدان ديوناً اخرى سائرة بلغت عند وفاتهِ في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ نحو عشرة ملايين من الجنيهات

واول دين مقسط استدانهُ اسمعيل باشا كانت قيمتهُ الاسمية ٥٧٠٤٢٠٠ جنيه وفائدتهُ السنوية ٧ في المئة فلم يبلغ صافيهِ سوى ٤٨٦٤٠٠٠ فصارت فائدتهُ بمعدل ثمانية وربع في المئة ورهن لهُ اموال اطيان الدقهلية والشرقية والبحيرة وكان ذلك سنة ١٨٦٤ وقد استُؤذن الباب العالي في هذين الدينين المقسطين حسب نص فرمان الولاية · ثم استدان

اسمعيل باشا مبلغ ٣٠٠ ٣٨٧ ٣ جنيه سنة ١٨٦٥ من غير استئذان الباب العالي بجعلهُ خاصًّا بهِ ورهن لاصحابهِ املاكهُ الخاصة وكانت فائدتهُ ٧ في المئة ولكن بلغ صافيهِ ٧٥٠٠٠٠ ٢ جنيه لاغير وكان مراد اسمعيل باشا ان يشتري بمليون جنيه منها املاك حليم باشا في القطر المصري

وفي تلك السنة عقد اسمعيل باشا قرضًا آخر قيمتهُ ثلاثة ملايين من الجنيهات لاجل انشاء سكك الحديد فلم يبلغ صافيهِ سوى ٦٤٠٠٠٠ ٢ جنيه وقد اوفي كلهُ بستة اقساط سنوية كل قسط منها ٥٠٠٠٠٠ جنيه

وسنة ١٨٦٧ استدان دينًا خاصًّا مقدارهُ ٠٨٠٠٠٠ ٢ جنيه بفائدة ٩ في المئة ومع ذلك لم يبلغ صافيهِ سوى ٧٠٠٠٠٠ ١ فبلغت الفائدة اكثر من ١١ في المئة سنويًّا وكان غرضهُ ان يشتري بمليون جنيه منهُ املاك البرنس مصطفى فاضل باشا

وسنة ١٨٦٨ سلم ادارة امور البلاد المالية لاسمعيل باشا المفتش والمظنون ان الديون السائرة بلغت حينئذٍ اكثر من ثلاثين مليونًا من الجنيهات والديون المقسطة كانت سنداتها تباع باقل من ثمنها الاصلي بنحو ٢٢ في المئة فحاول المفتش استدانة مبلغ كبير يوفي بهِ الديون السائرة كلها فتمكن بعد اللتيا والتي من استدانة مبلغ ٨٩٠٠٠٠ ١١ جنيه بفائدة ٧ في المئة سنويًّا على ان يستهلك في ثلاثين سنة ولكن بلغ صافي هذا الدين ١٩٣٠٠٠ ٧ جنيه لاغير ولم تدفع كلها ذهبًا بل كان بعضها من سندات ديون الحكومة وسكة الحديد بقيمتها الاصلية ولذلك يرجح ان النقود التي قبضت من هذا الدين كلهِ لم تزد على خمسة ملايين من الجنيهات فكأن معدل فائدتهِ كان اكثر من ١٦ في المئة . واخذ اسمعيل باشا عهدًا على نفسهِ ان لا يعقد قرضًا آخر مدة خمس سنوات لكن الباب العالي اضاف الى فرمان التولية في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ شرطًا خاصًّا حرَّم فيهِ على اسمعيل باشا عقد قروض اخرى من غير مصادقتهِ لكن اسمعيل باشا عقد قرضًا خاصًّا سنة ١٨٧٠ بمبلغ ١٤٢٨٦٠ ٧ جنيهًا بضمانة دوائرهِ لكي ينشئ بهِ معامل للسكر وكانت فائدتهُ ٧ في المئة وبلغ صافيهِ نحو ٥٠٠٠٠٠٠ جنيه لاغير اي نحو سبعين في المئة من قيمتهِ الاصلية وعليهِ بلغ معدل فائدتهِ عشرة في المئة

واحتفل اسمعيل باشا بفتح ترعة السويس احتفالاً لا مثيل لهُ انفق فيهِ اموالاً لا تحصى فزادت الديون السائرة زيادة فاحشة ولما رأى انهُ لم يبقَ لديهِ سبيل لاستدانة الاموال من اوربا استنبط لهُ اسمعيل باشا المفتش سنة ١٨٧١ اسلوبًا جديدًا لجمع المال من اصحاب الاطيان وهو المعروف بالمقابلة ومدار هذا الاسلوب على ان يدفع المالك ما يساوي ستة امثال مال اطيانهِ السنوي فيخفض مال اطيانهِ في المستقبل الى نصف ما كان عليهِ ويعطى عقدًا رسميًّا

بان اطيانهُ صارت ملكاً لهُ منفعةً ورقبةً وكان امتلاك جانب كبير من اطيان القطر المصري متنازعاً فيهِ او كان ملك منفعة لا ملك رقبة . فاذا كان مال الفدان مئة غرش ودفع مالكهُ ٦٠٠ غرش دفعة واحدة جُعل مالهُ ٥٠ غرشاً في السنة بعد ذلك واذا دفعها اقساطاً سنوية خسم لهُ من كل قسط ٨ ½ في المئة وخفض مال الاطيان من حين دفعهِ القسط الاخير . ولو عمل الملاك كلهم بقانون المقابلة لبلغ ما دفعوهُ الى الحكومة ٢٧ مليون جنيه ولكن كثيرين منهم لم يعملوا بهِ ومع ذلك بلغ ما حصلتهُ الحكومة في السنة الاولى ٨٠٠٠٠٠٠ جنيه . ثم قُسّط مال المقابلة على اثنتي عشرة سنة فضاعت الفائدة المقصودة منهُ وهي تحصيل المال في القريب العاجل

وتمكن المفتش سنة ١٨٧٢ من استدانة ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه بفائدة ١٣ في المئة سنوياً انفق منها اسمعيل باشا مليون جنيه لاجل حذف القيد الذي قيّد بهِ في فرمان سنة ١٨٦٩ فصدر الفرمان من الباب العالي في ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٧٢ مجيزاً لهُ ان يعقد ما شاء من القروض من غير قيد وللحال سعى اسمعيل باشا المفتش في عقد قرض كبير بمبلغ ٣٢٠٠٠٠٠٠ جنيه ليوفي بهِ الديون السائرة وكانت قد بلغت نحو ٢٨ مليون جنيه ومتوسط فائدتها السنوية ١٤ في المئة فعقد هذا القرض بسبعة في المئة ولكن الجانب الاكبر منهُ ذهب سمسرة وتخفيضاً في السعر وخسارة في الاوراق المالية التي اعطيت بدل النقود فلم تزد النقود التي جاءت منهُ على احد عشر مليوناً من الجنيهات ومعها تسعة ملايين من السندات التي استصدرتها الخزينة قبلاً

وهاك جدولاً يتضمن خلاصة ما تقدم من القروض وفائدة كلٍ منها وصافي المتحصل منهُ ومقدار الفائدة بالنسبة اليهِ

	عقد سنة	مقدارهُ الاسمي	فائدتهُ	المتحصل منهُ	حقيقة الفائدة
الدين الاول	١٨٦٢	٣٢٩٢٨٠٠	٧	٢٦٤٠٠٠٠	٨,٧٥
الدين الثاني	١٨٦٤	٥٧٠٤٢٠٠	٧	٤٨٦٤٠٠٠	٨,٢٥
الدين الثالث	١٨٦٥	٣٣٨٧٣٠٠	٧	٢٧٥٠٠٠٠	٨,٦٠
الدين الرابع	١٨٦٦	٣٠٠٠٠٠٠	٧	٢٦٤٠٠٠٠	٨,٠٠
الدين الخامس	١٨٦٧	٢٠٨٠٠٠٠	٩	١٧٠٠٠٠٠	١١,٠٠
الدين السادس	١٨٦٨	١١٨٩٠٠٠٠	٧	٧١٩٣٠٠٠	١١,٥٦
الدين السابع	١٨٧٠	٧١٤٢٨٦٠	٧	٥٠٠٠٠٠٠	١٠
الدين الثامن	١٨٧٣	٣٢٠٠٠٠٠٠	٧	٢٠٠٦٢٠٠٠	١١
والجملة		٦٨٤٩٧١٦٠		٤٦٨٤٩٠٠٠	

وتعهد اسمعيل باشا حينئذٍ بان يتوقف عن عقد القروض سنتين لكنهُ استدان ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٨٧٤ بفائدة ١٤ في المئة ثم حاول عقد قرض الروزنامة بخمسة ملايين جنيه على ان يعطى اصحاب هذا القرض سنويةً دائمة معدلها ٩ في المئة لكنهُ لم يحصل منهُ سوى ٣٤٢٠٠٠٠

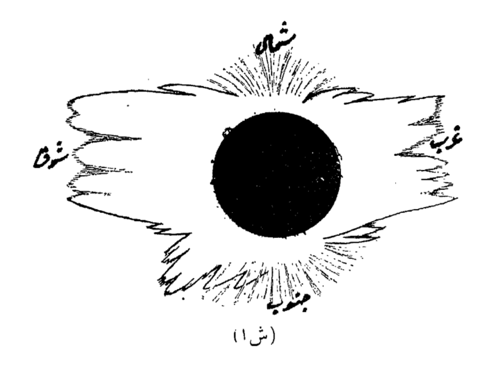
واشتدَّ الضيق على الخزينة سنة ١٨٧٥ حتى صارت تصدر سندات نقطعها بمعدل ٧٥ في المئة وكان اسمعيل باشا قد قطع سنة ١٨٦٩ من كوبونات سندات ترعة السويس الخاصة بهِ ما يمتد الى سنة ١٨٩٥ واعطاها للشركة بدل جانب من الدين المديون لها بهِ فعرض الاسهم نفسها حينئذٍ للبيع فاشترتها منهُ الحكومة الانكليزية باربعة ملايين من الجنيهات

لكن هذا المبلغ وهو اربعة ملايين من الجنيهات لم ينقع لهُ غلةً وحينئذٍ طلب اسمعيل باشا من الحكومة الانكليزية ان ترسل اليهِ مستشاراً ماليًّا لتدبير امورهِ المالية . والمرجح ان مجموع الديون التي استدانها المقسطة والسائرة بلغ حينئذٍ نحو ١٠٠ مليون جنيه وان دخل الحكومة العادي زاد على نفقاتها في عهدهِ نحو اربعين مليون جنيه فيكون قد انفق نحو مئة واربعين مليون جنيه وزاد ويركو مصر من ٣٧٦ الف جنيه الى ٦٧٥ الف جنيه . اما الوجوه التي انفقت فيها هذه الاموال فاوضحها ترعة السويس ويقال انهُ انفق فيها وبسببها ١٦ مليون جنيه اي ما يساوي كل نفقات الشركة على انشائها . وسكك الحديد والمرافئ ومعامل السكر والاطيان التي اشتراها والمباني التي بناها وما اشبه فالمرجح انهُ انفق في ذلك كلهِ نحو ٤٠ مليون جنيه . وكلَّفهُ اصدار القروض المقسطة والسائرة نحو ٢٢ مليون جنيه وبلغت الفوائد التي دفعها والقروض التي استهلكها نحو ٣٠ مليون جنيه وما بقي وهو ٣٢ مليون جنيه خسائر استقطاع وفوائد وهدايا للاستانة وما اشبه

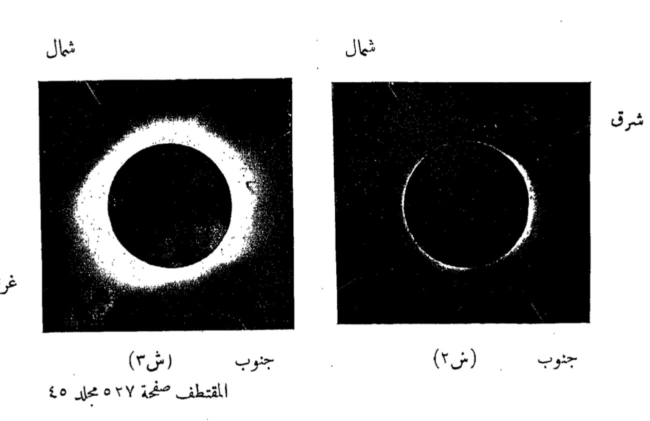
ولسنا ننكر فائدة الاعمال العمومية التي عملها وانما نقول انهُ كان يستطيع ان يعملها ويعمل اضعافها باقل من المبالغ التي انفقها عليها . ولو سارت اعمالهُ كلها على قوانين الاقتصاد العادية لعمل الاعمال النافعة كلها ولم تزد نفقاتهُ على دخل الحكومة العادي حينئذٍ اي انهُ كان يستطيع ان يعمل تلك الاعمال كلها من غير ان يستدين غرشًا

ومن المحتمل اننا لو تمكنا من البحث عن ديون كل الممالك لوجدنا انهُ وقع فيها من الاسراف في استدانتها وانفاقها كما وقع في الدين المصري

وسيأتي الكلام على بقية تاريخ الدين المصري الى ان بلغ ما هو عليهِ الآن من قلة الاصل والفائدة



(ش ١)



(ش ٣) (ش ٢)

الكسوف الكلي

قلّ الاهتمام بكسوف الشمس الكلي الذي وقع في ٢١ اغسطس الماضي لان الحرب الاوربية حالت دون بعض الرسالات الفلكية التي كانت عازمة على الذهاب لرصده في اماكنه ولكن الذين تمكنوا من رصده في اسوج وروسيا وُفقوا الى تحقيق امور كثيرة فقد كتب الاب كورتي اليسوعي الى مجلة نانشر في اواخر اكتوبر الماضي يقول ما خلاصتهُ

ان لجنة الكسوف المؤلفة من اعضاء الجمعية الملكية والجمعية الملكية الفلكية ببلاد الانكليز كانت قد انتدبتني مع الاستاذ فولر والمستر كورتس للذهاب الى كيَف في روسيا لرصد الكسوف ويذهب معنا الماجور هلس والاب اكنور كراصدين متطوعين ولكن الحكومة الروسية اعترضت عليَّ وعلى الاب اكنور لان قانون روسيا يمنع دخول اليسوعيين اليها فانقسمنا فرقتين وذهبت انا والاب اكنور والمستر جبس والمستر هو يتلو الى اسوج لنرصد الكسوف في هرنوسند فوصلناها في ٣ اغسطس ولقينا هناك الاب ولف ومساعدهُ الاب روده فنصبنا آلات الرصد في مكان مكشوف متصل بالمدرسة الصناعية

والهواء هناك نقي جدًّا ولكن لم تخلُ السماء من الغيم قبل يوم الكسوف الأ في يوم واحد وكان البارومتر عاليًا وكانت الريح تهبُّ شمالاً ولكن تغير مهبها في العشرين من اغسطس مساء فصار من الجنوب الشرقي وصفت السماء تلك الليلة مبشرة بنهار صافي الاديم . وكان النصيب الذي عينتهُ لي لجنة الكسوف ان اصور اكليل الشمس صوراً فوتوغرافية كبيرة لمعرفة تفاصيل الاكليل وصوراً فوتوغرافية صغيرة لمعرفة امتداده . وكان المراد ان نصور طيف الاكليل بالسبكترغراف ولاسيما في جهات الاحمر والاصفر

وعند الساعة الحادية عشرة خرج الينا جمهور كبير من اهل البلد وهم باحسن ملابسهم واجتمعوا على مقربة من آلات الرصد ومعهم زجاجات سوداء ليراقبوا الكسوف بها وكانوا غاية في السكينة على غير ما كان عليهِ اهل ڤنارزو باسبانيا لما رصدنا الكسوف فيها سنة ١٩٠٥ ولاسيما حينما تمَّ احتجاب الشمس وظهر الاكليل ببهائهِ فانهُ كان بديعًا وزاد المنظر جمالاً بظهور عطارد لامعًا عند الطرف الشمالي الشرقي من الشمس وظهور الزهرة ببهائها قرب الافق الشمالي الغربي

واخص مزايا هذا الاكليل على ما ظهر للعين المجرَّدة انهُ كان مؤلفًا من بنود منتشرة شرقًا وغربًا كاذناب السمك اطولها البنود الممتدة بين الشمال والشرق . واقصرها بين

الجنوب والشرق . اما المشاعيل فلم ترَ بالعين المجرَّدة وقد ظهر منها مشعلان كبيران في الصور الفوتوغرافية كلٌّ منهما منحنٍ نحو الآخر فصارا كالقنطرة

وصورنا خمس صور فوتوغرافية كبيرة تظهر فيها امور كثيرة دقيقة كحزم الاشعة القطبيَّة والمشاعيل والبنود المتقاطعة . كما ترى في الصورة المقابلة (ش ١) وهي منقولة عن الصور الفوتوغرافية المأخوذة بكرونوغراف طولهُ ٢٠ قدماً . وصوِّرت صور اخرى بكرونوغراف طولهُ ٣٠ قدماً فظهرت فيها بنود الاكليل ممتدة الى مضاعف قطر الشمس

وصورت صور كثيرة بالسبكتروغراف وصُوِّر فيها طيف الحديد لاجل المقابلة . وأُظهرت الصور كلها لاجل البحث فيها في المستقبل

ثم وصف الكاتب ما لقيهُ الرصَد في سواحل اسوج والبحر الشمالي من خطر الالغام البحرية وهم راجعون الى البلاد الانكليزية حتى اضطروا ان يعدوا قوارب النجاة ويكونوا دائماً مستعدين للنزول اليها اذا اصابت سفينتهم لغماً

وكتب المستر جونس والمستر دافدصن من الرصَد الذين ذهبوا الى منسك في روسيا ما خلاصتهُ ان الغيوم كانت كثيرة في السماء ولكن ما كان منها شيءٌ على الشمس وقتما تمَّ الكسوف هناك اما الذين كانوا في مدينة منسك نفسها وهي على ثلاثة اميال من محل الرصْد فلم يروا الكسوف مطلقاً وقت كمالهِ لاحتجاب الشمس حينئذٍ بالسحب

وظهر الاكليل بالعين المجردة ابيض ضارباً الى الزرقة ولم تشتد الظلمة وقت الاختفاء التام وبان قلب الاسد من خلال الاكليل مشرقاً لامعاً وظهر عطارد وظهرت الزهرة وكان للاكليل اربعة بنود مثل الاكليل الذي ظهر في كسوف سنة ١٨٩٨ . وبسط الرصد قرطاساً ابيض ليروا فيهِ مناطق الظل فلم يروها وهبطت الحرارة في الظل خمس درجات ونصف درجة بميزان فارنهيت اما رطوبة الهواء فلم تتأثر

وصوروا سبع صور بالكرونوغراف ظهر فيها مشعلان على حرف الشمس ارتفاعهما نحو جزء من عشرين من قطر الشمس ومشعلان اصغر منهما على الجانب الآخر . وفي الشكل الثاني صورة الاكليل حالما ابتدأ الاختفاء التام . وفي الشكل الثالث صورتهُ قبيل انتهاء الاختفاء التام والصورتان منقولتان عن صورتين فوتوغرافيتين . والاولى من هاتين الصورتين صُورت في ثانيتين والثانية في خمس ثوانٍ . ولم يظهر في الصور الفوتوغرافية كلها اثر لنور الكرونيوم وذلك يدل على انهُ كان معدوماً تقريباً من هذا الاكليل

آلات الحرب

تمهيد

يقتتل الناس في الحرب الدائرة رحاها الآن في البر والبحر والهواء والماء ويستخدمون فيها آلات ومعدات لم تستخدم في حرب قبل الآن الاَّ نادراً فقد استخدمت الطيارات والسيارات والغواصات في بعض الحروب الحديثة ولكن لم يكن يعتمد عليها بقدر ما يعتمد عليها الآن عدا عن انهُ قد غيّر فيها كثير وزيد عليها زيادات كثيرة . وقد استجد كثير ايضاً في سائر آلات الحرب كالمدافع والبنادق والقنابل حتى صارت الحرب غير ما كانت عليهِ من قبل

البلون والطيارة

والذي يلفت الانظار اكثر من غيرهِ في هذه الحرب الطيارات والمراكب الهوائية . ويظهر ان رجال الحرب كانوا عالمين بنفعها ولذلك اندفعت فرنسا والمانيا وروسيا في بناء الاساطيل الهوائية ثم اقتفت انكلترا خطواتها في ذلك . وصارت المانيا تنفق ٨٠٠٠٠٠٠ جنيه في سنة على بناء البلونات المسيرة واتقانها طمعاً بان تتمكن من النكاية بالاسطول البريطاني بواسطتها . وقد فعلت مثلها الدول الاوربية الاخرى فانفقت الملايين على الطيران ومعداتهِ ودفعت المئات من ابنائها الى الانقطاع لهُ

والطيارات عموماً على نوعين بلونات مسيرة او دردنوطات الجو وطيارات ذات سطح واحد او سطحين . وقد اكثرت المانيا من بناء البلونات المسيرة واهم انواعها نوعان بلون تسبلين وبلون شوت لانتس . وطول كل منهما بين ٤٠٠ قدم و ٥٠٠ وسرعتهُ من ٥٠ ميلاً الى ٧٠ في الساعة ويقدر ان يقطع من ١٢٠٠ ميل الى ٣٠٠٠ ميل من غير ان ينزل الى الارض ومحمولهُ من ٨ اطنان الى ١٠ ويركبهُ ٢٠ رجلاً الى ٣٠ وهو مدرع فلا يخترقهُ رصاص البنادق وفيهِ مدفع صغير وعدة للتلغراف اللاسلكي

ويقال ان هذه البلونات قلما تبالي بالرياح وقد جاء في نشرة لشركة تسبلين ان بلوناتها لم تقف عن الطيران الاَّ ٢٦ يوماً من ٣٣٤ يوم بين اول يناير سنة ١٩١٢ واول دسمبر من تلك السنة . وان مجموع الساعات التي قضتها في الهواء في هذه المدة بلغ ١١٦٧ ساعة وبلغ مجموع الاميال التي قطعتها ٤١١٤٥ ومجموع الاشخاص الذين اقلّتهم ١٠٢٩١ الركاب منهم ٤٦٨٢ والباقون وهم ٥٦٠٩ رجال البلونات الذين يديرونها ولم يقتل في كل هذه المدة احد

بسبب سقوطها . ولكن المعروف ان عدد القتلى بسقوط البلونات يفوق عددهم بسقوط الطيارات الاخرى من جميع الانواع

ويعد الالمان هذه البلونات مراكب حربية ذات شأن في الحروب ويقال انها قد دمرت هدفاً بشكل قرية عن ارتفاع ٦٠٠٠ قدم برمي المتفجرات عليهِ وان بلوناً منها رمى القنابل على هدف بشكل سفينة في بحيرة كونستانس عن ارتفاع ٣٠٠٠ قدم فاخطأتهُ القنبلتان الاوليان واصابتهُ الثالثة وبعد ذلك والى رمي القنابل عليهِ من غير ان يخطئهُ . وفي اعلى كيس الغاز من كل بلون سطح تركز عليهِ بندقية من النوع الكثير الطلقات ويقوم رجل على ادارتها وتسديدها واطلاقها على الطيارات المهاجمة

وقد اتقن الفرنسويون طيارة يسمونها مضادًّ تسبلين تقل رجلين او ثلاثة غير الطيار الذي يديرها وتدرَّع لكي لا يخرقها رصاص البنادق وتسلح ببندقيتين من النوع الكثير الطلقات . وعند الفرنسويين ان الغلبة في القتال بين الطيارة والبلون المسير تتوقف على تمكن الطيارة من الارتفاع فوق البلون فاذا ارتفعت فوقهُ اخذت ترمي القنابل عليهِ اما البلون فيعتمد على سلاحهِ لانهُ اثبت من الطيارات في الهواء ويسهل تسديد المدفع او البندقية منهُ

ولكل من هذين النوعين مهمة تختلف عن مهمة الآخر في الحرب فمهمة البلون المسير ان يرمي القنابل على جيوش العدو وعلى القطارات والجسور ومخازن الذخيرة وان يقف بالمرصاد لطياراتهِ التي تأتي للاستكشاف . اما مهمة الطيارة فهي الاستكشاف وتعتمد على سرعتها في التخلص من البلون . اما المهاجمة برمي القنابل واطلاق الرصاص فليست المقصود من الطيارة . ويشذ عن هذا الحكم طيارة سيكورسكي الروسية الحديثة العهد فانها كبيرة الحجم بطيئة في السير تقل ١٧ رجلاً فيجب ان تحسب مركباً حربيًّا لا طيّارة استكشاف

وقد اتقنت الطيارات حتى صار الطيران ممكناً في جميع الاوقات . قال الكولونل سيلي انهُ لم يكن سنة ١٩١٣ الاَّ ستة ايام لم تتمكن فيها طيارات الجيش الانكليزي من الطيران

ويقسم جيش الطيران في فرنسا الى فرق مع كل فرقة منها ست طيارات بجميع ما يلزم لها وستة اوتوموبيلات تجر الطيارات الى حيث يراد جرها وثلاثة اوتوموبيلات اخرى وموتوسيكلان للطيارين واعوانهم واوتوموبيلان في كل منهما جميع ما يلزم لتصليح الطيارات في الميدان . وقد نزلت فرقة من هذه الفرق في ميدان المناورات الفرنسوية سنة ١٩١٣ وتاهبت للطيران ثم جمعت معداتها وتأهبت للسير في مدة لا تزيد على ساعة

الاستكشاف الهوائي

يجب ان يكون في امكان الطيار الذي يريد الاستكشاف ان يطير بسرعة ويحلق في الجو عند اللزوم اتقاء لرصاص العدو. واذا ارتفع ثلاثة آلاف قدم امكنهُ ان يرى الى بعد اربعة اميال او خمسة الى كل جهة منهُ . ويسهل عليهِ ان يرى الجيوش اذا كانت سائرة او مجتمعة بعضها مع بعض والمدافع اذا كانت تطلق . اما اذا كانت العساكر بالثياب الترابية اللون في حقول محروثة فيصعب عليهِ رؤيتها وقد يصعب عليهِ ذلك ايضاً اذا سارت العساكر على الخضرة بهذه الثياب . ويسهل عليهِ ان يرى الخنادق والاستحكامات والجسور ومعابر الانهار وما يقيمهُ الجنود من التحصينات الوقتية حتى على بعد خمسة اميال الاَّ اذا كانت بلون البقعة المقامة فيها . وفرق الكشافة من الطيارين منظمة احسن تنظيم ويمكن لقائد الجيش ان يعتمد عليها في معرفة كل ما يمكن معرفتهُ عن حركات العدو ومواقعهِ

ولكن الاستكشاف الهوائي لم يبلغ حد الكمال رغم ما بذل على اتقانهِ من العناية . ففي المناورات الفرنسوية سنة ١٩١٣ أُخذ قائد وفرقتهُ على غرة مع ان طياراتهِ كانت تحوم في الجو لتطلعهُ على حركات الفرق المضادة . وفي بعض المناورات الانكليزية تمكن ١٢٠٠٠ جندي من مسير ١٦ ميلاً من غير ان تشعر بهم طيارات الفرق المضادة لهم وقد تمكنوا من ذلك بالمسير بمحاذاة السياجات والاشجار وتغطية المدافع وعربات النقل بالقش لتظهر مثل عربات الفلاحين وبالاستعانة برقباء يرقبون الطيارات المعادية وينبهون الضباط عند دنوها فيأمروا رجالهم بالكف عن السير والاختباء . وقد وقع مثل ذلك لطياري الالمان في هذه الحرب وخدعوا مراراً كثيرة

ويدَّعي الالمان ان احد طياريهم اصاب هدفاً قطرهُ ١٥ قدماً بقنبلة رماها عليهِ وهو على ارتفاع ٥٠٠٠ قدم ولكن المستر هدسون مكسم الاميركي وهو ثقة في كل ما يختص بالمواد القابلة للانفجار قال ان ما يهوَّل بهِ من فعل القنابل التي ترمى من الجو غير ممكن

للقنابل فعل كبير اذا اصابت الهدف ولكن ليس بقدر ما يتبادر الى ذهن من يقرأ ما يكتب عن افعال الطيارين . ويندر كثيراً ان تصيب قنبلة مرمية من الجو هدفها واذا لم تصبهُ تماماً لم تؤثر فيهِ كثيراً مهما اشتد انفجارها ومهما دنت منهُ . زد على ذلك ان القنبلة المرمية عن علو شاهق تصيب الارض بزخم شديد فتذهب فيها ويقل فعلها

واذا قسنا فعل القنابل الهوائية بفعل المدافع بان لنا ان رمي القنابل من الجو لا يأتي بتأثير يساوي ما يتجشم لاجلهِ من المؤونة والمخاطرة . ففي حرب البوير اطلق على لاديسمث

عشرون الف قنبلة ولم تحدث فيها ضرراً يذكر ووقع مثل ذلك في ضرب بريتوريا ايضاً ·
اما الاهتمام باتقاء شر الطيارات المعادية فلا يقل عن الاهتمام الذي بذل في سبيل جعل الطيارات قادرة على الاضرار بالعدو

وعند المانيا لا اقل من ثلاثين مستودعاً من مستودعات البلونات بين برلين وحدود فرنسا وفي كل مستودع مركبات مخصوصة من مركبات سكك الحديد فيها آنية الهدروجين فيمكن الاسراع بها الى حيث يحتاج اليها لملء البلونات بالغاز وفيهِ جهاز كهربائي يرشد البلونات باشاراتهِ في الليل · وفي كل بلون نور كشاف يستعين بهِ في الليل على تبيُّن المكان الذي يريد النزول فيهِ

الطيارات لمضادة الغواصات

اذا كان البحر ساكناً والماءُ صافياً لم يتعذر على الطيَّار ان يرى الغواصات وهي سائرة تحت الماء بل يمكنهُ ان يرى ايضاً الالغام البحرية · ولما كانت الغواصات لا تسير بسرعة وهي تحت الماء ففي استطاعة البوارج ان تتخلص منها بسهولة اذا كان معها طيارات ترشدها · ويرى البعض انهُ يمكن للطيارة ان تلقي القنابل على الالغام البحرية فتفجرها وتدفع عن البوارج خطرها · والانكليز يعتقدون ان للبلونات المسيرة نفعاً كبيراً اذا رافقت الاساطيل ولذلك كانت جميع البلونات المسيرة الانكليزية تحت تصرف نظارة البحرية اما الطيارات ذات السطوح فتختص بنظارة الحربية · وقد خصصت الحكومة الانكليزية ٨٠٠٠٠ جنيه لبناء باخرة تقل البلونات والطيارات وستكون اول باخرة بنيت من هذا النوع · وعند فرنسا باخرتان لحمل الطيارات ولكنهما لم تبنيا لهذا الغرض خصيصاً بل بنيتا لاغراض اخرى وتخصصان بذلك كلما دعت الحال

القنابل الجديدة

صنع الالمان قنابل للطيارات وزن القنبلة منها عشرون رطلاً (مصريًّا) وفيها نحو اربعة ارطال من مركَّبات النتروجين المتفجرة و ٣٤٠ رصاصة · ولها جهاز مخصوص يمنع انفجارها فاذا القاها الطيار فلها فراش يدور بمقاومة الهواء لهُ في نزول القنبلة فلا تهبط ٢٠ قدم عن الطيارة الأ ويكون هذا الفراش قد حل الجهاز وصارت القنبلة قابلة للانفجار باقل صدمة وبهذه الطريقة يمتنع الخطر عن الطيار نفسهِ

وقد صنع معمل كروب قنابل تنير ما حولها وهي نازلة في الهواء وبعد سقوطها على الارض فتمكن الطيارين من تسديد قنابلهم الى ما يريدون مهاجمتهُ في الليل وعند الطيارين

الالمان ايضاً نوع آخر من القنابل ينبعث منهُ دخان كثير كثيف يحجب الطيارة او البلون عن الانظار ويمكنهُ من الهرب . ومن القنابل نوع يقال انهُ اذا انفجر انبعثت منهُ غازات سامة تقتل كل انسان وحيوان الى مئة يرد منهُ وتضر بكل من كان منها على بعد يتراوح بين مئة يرد ومئتي يرد

وللفرنسويين طريقة في ايصال الرسائل من الطيارات من غير ان تضطر الى النزول الى الارض وهي انهم يضعون الرسالة في انبوب نحاسي مخصوص ويلقونهُ فاذا صدم الارض اشتعلت فيهِ مواد قد اعدت لهذا الغرض فيهتدي اليهِ بنارها ودخانها ويبقى دخانها يتصاعد الى ان يصل اليها من يقصدها عن بعد ٣٠٠ يرد

نفقات الدول على الطيران

كان المال المقطوع للانفاق على الطيران سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ في المانيا ٧٧٨٣٠٠٠ جنيه يضاف اليهِ مبلغ آخر مجموع باكتتاب وطني وفي فرنسا ١٥٠٠٠٠٠ جنيه يضاف اليهِ مبلغ آخر مجموع باكتتاب وطني . وفي انكلترا ٨٢٢٠٠٠ جنيه وفي ايطاليا ٤٥٠٠٠٠ جنيه يضاف اليهِ مبلغ آخر مجموع باكتتاب وطني . ولا يعلم كم كان المال المقطوع للطيران في روسيا وفي النمسا ولكن كان عند روسيا من الطيارات اكثر مما عند المانيا وعند النمسا نحو نصف ما عند المانيا

الغواصات

قلما يزيد طول الغواصة على ١٤٨ قدماً وقطرها على ١٥ قدماً . اما سرعتها فنحو ١١ ميلاً بحرياً على وجه الماء و٥ اميال بحرية تحت الماء . وفي بعض الغواصات من الوقود والذخيرة ما يمكنها من ان تقطع ٤٥٠٠ ميل من غير ان تلجأ الى مرفإٍ

واذا كانت الغواصة على وجه الماء سارت بقوة آلات الغازولين واذا غاصت سيَّرتها محركات كهربائية تأتي كهربائيتها من بطاريات تملأُها آلات الغازولين حينما تكون الغواصة على وجه الماء . ومهمة نوتية الغواصات اشق من مهمة النوتية في المراكب الحربية من جميع الانواع . وفي وسع الغواصة ان تخرج الى البحر مهما اشتد هيجانهُ فاذا قويت الامواج عليها غاصت الى العمق حيث تقل حركة الماء وقد تمكنت بعض الغواصات من المكث تحت الماء ٢٤ ساعة

وكما امتازت روسيا ببناء اكبر طيارة من ذوات السطوح تريد ايضاً ان تمتاز ببناء اكبر غواصة فانها تبني الآن غواصة طولها ٤٠٠ قدم وعرضها ٣٤ قدماً وتفريغها ٥٤٠٠ طن

فحجمها ١١ ضعفاً من حجم اكبر غواصة بنيت حتى الآن · وقوة آلاتها التي تسيرها على وجه الماء ١٨٠٠٠ حصان تقطع بها ٢٦ ميلاً بحريًّا في الساعة · وقوة المحركات الكهربائية التي تسيرها تحت الماء ٤٤٠٠ حصان تقطع بها ١٤ ميلاً بحريًّا في الساعة · وفي امكان هذه الغواصة ان تقطع ١٨٥٠٠ ميل من غير ان تجدد وقودها وذخيرتها وتقدر ان تسير تحت الماء ٢٧٥ ميلاً من غير ان تضطر الى الظهور فوق الماء وسلاحها خمسة مدافع قطر كل منها ٤٫٧ البوصة تحارب بها على سطح الماء و٣٦ انبوباً لاطلاق التربيد ويكون فيها عادةً ٦٠ طربيداً و١٢٠ لغماً لانها تقدر ان تبث الالغام ايضاً · ففي وسعها ان تنساب في الليل تحت الماء الى ميناء من موانئ العدو وتبث الالغام حول بوارجهِ ومراكبهِ ثم تعود سالمة من غير ان يشعر بها احد

وفي كل غواصة المانية مدفع صغير تهاجم بها الطيارات فتتقي شرها ويتوقع ان يكون للحك الذي يبقى افقيًّا بواسطة الدوامة شأن كبير في الغواصات لانهُ يمكنها من ان تسدد وجهتها الى البارجة التي تريد نسفها وتنساب اليها تحت الماء فتصل اليها

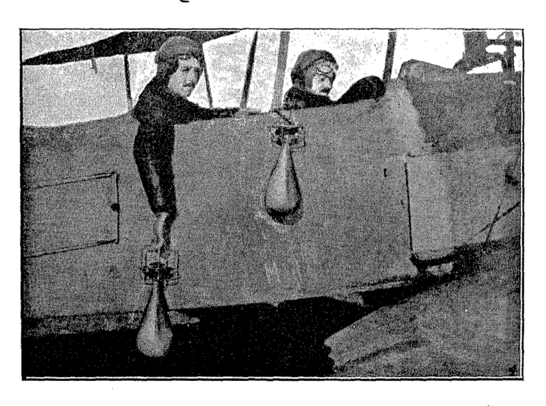
التربيد

وقد صنع ملازم من البحارة الانكليزية تربيداً وزنهُ ١٦٠٠ رطل فيهِ ٢٥٠ رطلاً من بارود القطن وهو مقدار يكفي لان يفصل جنب البارجة عن سائرها · واذا ارسل هذا التربيد في البحر ذهب مسافة ٧٠٠٠ يرد اي نحو اربعة اميال · واذا جهز التربيد بدوَّامة تمنع تمعجهُ في سيرهِ صارت رمايتهُ اسد من رماية المدافع الضخمة واذا كان في دفتهِ دوامة امكن اطلاقهُ عن اليمين او عن اليسار فيدور ٩٠ درجة ثم يستقيم في سيرهِ نحو هدفهِ · ويسير التربيد بقوة الهواء المضغوط الذي يفلت على فراشهِ فيديرهُ

الاوتوموبيل والموتوسيكل

ومما تمتاز بهِ الحرب الحاضرة كثرة الاوتوموبيلات فيها فقد استغني بها عن كثير من الخيل والبغال لجر الاثقال والمؤَن والذخائر وحمل العساكر وقد بلغ من اهتمام المانيا وفرنسا وانكلترا بامر اوتوموبيلات النقل ان كلاً منها كانت تدفع اعانة مالية لمن يقتني اوتوموبيلاً منها بشرط ان يكون صالحاً لاغراض الجيش وان يكون رهن اشارة الحكومة عند الحاجة اليهِ · فالمانيا تهب الالماني الذي يقتني اوتوموبيلاً للنقل تتوفر فيهِ الشروط المطلوبة ٢٠٠ جنيه عند شرائهِ ثم تعطيهِ ٢٠٠ جنيه اخرى موزعة على اربع سنوات ولا تعطى هذه الاعانة للاوتوموبيل الاَّ اذا كان يقل ١٣٠٠٠ رطل ويجر معها عربة مما تنقل عليهِ الاثقال

اعداد التربيد لنسف البوارج



القاء القنابل من الطيارات

ويقطع عشرة اميال في الساعة وهو مثقل بحمله ويرقى الطريق الذي يرتفع ١٤ متراً في كل مئة متر ويمكنهُ ان يجر مركبتين معاً عند اللزوم . وللحكومة ان تسخر كل اوتوموبيل في البلاد اذا احتاجت اليهِ

وتشجع الحكومة الالمانية اقتناء الموتوسيكل ايضاً وعندما بدأت الحرب الحاضرة كان عندها ٢٠٠٠ موتوسيكل من التي كانت تدفع لاصحابها اعانات مالية فجعلتها هي وركابها رهن اشارة الجيش لاستطلاع مواقع العدو ونقل الرسائل وغير ذلك . واذا دعت رجلاً من اصحاب الموتوسيكلات التي تعينها الى الاشتراك في المناورات دفعت لهُ نصف جنيه عن كل يوم يقضيهِ مع الجيش . وكلما تخرب شيء في الموتوسيكل اصلحتهُ معامل الحكومة من غير ان تتقاضى شيئاً مقابل ذلك واذا سقط راكبهُ فتضرر عولج في المستشفيات مجاناً وتضمن لهُ الحكومة فوق ذلك عملهُ الذي يتعيش منهُ فلا تسمح بان يستخدم فيهِ احد عوضاً عنهُ اذا غاب عن عملهِ اجابةً لطلب الحكومة . ووقت الحرب تدفع الحكومة ثمن هذه الموتوسيكلات الى اصحابها اذا استخدمتها في الجيش

اما فرنسا فتهب من يقتني اوتوموبيل نقل يقل ثلاثة اطنان ١٢٠ جنيهاً دفعة واحدة ثم تعطيهِ ١٢٠ جنيهاً اخرى مقسطة على ثلاث سنوات . ولحكومة فرنسا ايضاً ان تستولي على كل الاوتوموبيلات في بلادها في زمن الحرب وعند ابتداء هذه الحرب استولت على اوتوموبيلات الايجار في باريس . ولكثرة الاوتوموبيلات والبيسكلات اسرع العساكر في انتقالهم سرعة لم تكن تخطر ببال احد من الذين كانوا يعنون بالحروب قبل الآن

أكثر اعتماد الدول المتحاربة الآن في جر مدافعها على الاوتوموبيلات . والاوتوموبيل الفرنسوي لجر المدفع يسير بقوة ٣٥ حصاناً وفيهِ كل ما يلزم لانتشال المدفع اذا غاص في الوحل ويحمل طنين ونصف طن ويجر ١٥ طناً يسير بها ١٥ ميلاً في الساعة ويرقى الطرق التي ترتفع ١٠ امتار في كل مئة متر وهو مثقل بحملهِ ويمكن زيادة سرعتهِ اذا لزم ذلك . وقد استخدم الاوتوموبيل في كل ما يحتاج اليهِ الجنود في ساحة الحرب فمن الاوتوموبيلات مستشفيات ومطابخ وغرف نوم ومكاتب للضباط ومنها ما يحمل جهازات التلغراف اللاسلكي او مدافع تصوّب على الطيارات . واوتوموبيل الطبخ الروسي يحمل كل ما يحتاج اليهِ من المؤونة ويجر مركبة فيها ادوات الطبخ ويطعم ٢٥٠ رجلاً دفعة واحدة ويقدم لهم القهوة ويطبخ ما يكفي ٢٠٠٠ رجل في ٢٤ ساعة

التلغراف اللاسلكي والتلفون

في وسع القائد الآن ان يخاطب جميع فرق جيشهِ ويعلم ما يقع في كل قسم من ميدان القتال من غير تأخير بواسطة التلغراف اللاسلكي والتلفون فان جهاز التلغراف اللاسلكي يركّب في الاوتوموبيل فيمكن نقلهُ الى كل قسم من اقسام ميدان القتال بسرعة ومن اجهزة التلغراف اللاسلكي ايضاً ما يمكن حملهُ على ثلاثة بغال الى حيث يراد نصبهُ والحرب الحاضرة هي اول حرب استخدم فيها التلغراف اللاسلكي

اما التلغراف السلكي والتلفون فقد استخدما في بعض الحروب الحديثة ولكن قد استجد فيهما امور كثيرة . وقد جمع التلفون والتلغراف في آلة واحدة لا يزيد ثقلها على اربعة ارطال ونصف رطل. ويمد اسلاك التلفون في ميدان القتال اوتوموبيل او فرس او رجل . واذا اريد مدهُ الى الصفوف الامامية التي تشاغل العدو اخذ جندي لفافة السلك فناطها بصدرهِ واخذ يزحف والسلك يمتد وراءهُ الى ان يصل الى حيث يشاء فيركز الآلة بدق وتد في الارض ويرجع ومهما اسرع الجيش في مطاردة العدو بقي في الامكان مد هذه الاسلاك الى اقسامهِ بسرعة تحاكي سرعة تقدمهِ فيظل القائد واقفاً على جميع ما يجري في القتال

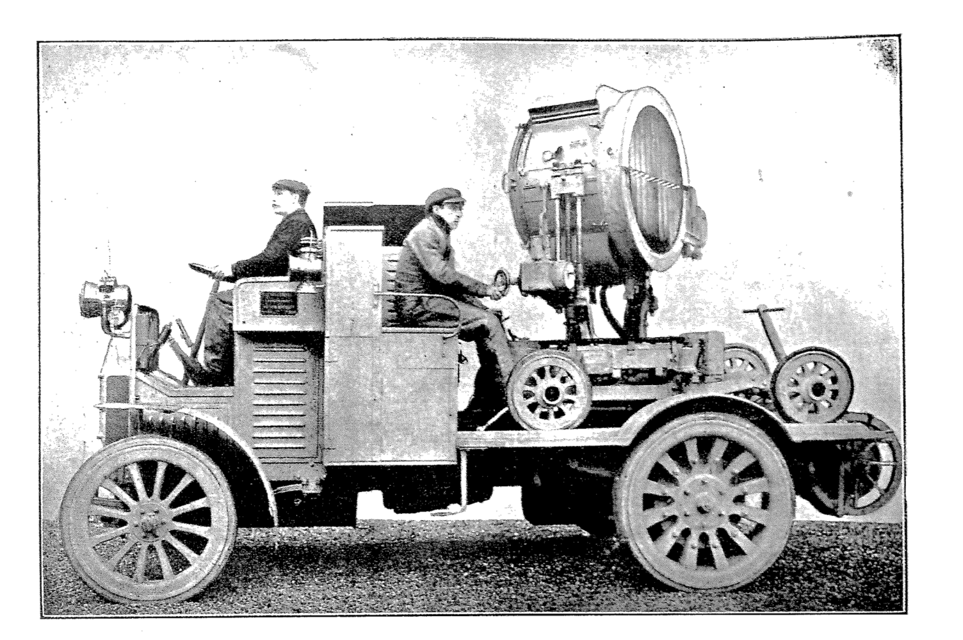
ويستخدم القائد في معرفة احوال جيشهِ عدا التلغراف والتلفون الطيارات والموتوسيكلات والاشارات بالاعلام والمرائي . ويستخدم ايضاً حمام الزاجل الذي لم يزل يستخدم لنقل الرسائل من ايام الفراعنة

حمام الزاجل في الحرب

اشتهر حمام الزاجل بنقل الرسائل في حصار باريس فانهُ نقلَّ ما يزيد على اربعين الف رسالة . ولم تكن الحكومة الفرنسوية تقتنيهِ في ذلك الحين ولا خطر على بال عمالها ان يربوهُ لهذا الغرض ولكن الاهلين قدموا لها ما كان عندهم منهُ . ومنذ ذلك الحين اخذت اقسام الهندسة في الجيش الفرنسوي تعتني بهذا الحمام وتروضهُ على نقل الرسائل. ويبدأ بترويضهِ عند ما يصير قادراً على الطيران ثم لا يمر عليهِ يوم بعد ذلك الأَ ويروض فيهِ . ويعوَّد ان يطير وان يقع طوعاً لاشارات مخصوصة . وكان اول ما عملهُ بسمارك بعد عقد الصلح مع فرنسا انهُ اقام ابراج الحمام في برلين وغيرها من اقسام الامبراطورية الالمانية وحذت حذوهُ الممالك الاوربية الاخرى ولدى كل حكومة اليوم الوف من هذا الحمام

القنابل والالغام

ابلى اليابانيون في حصار بورت ارثر بلاءً حسناً بالقنابل الصغيرة التي كانوا يرمونها



النور الكشاف وهو اوتوموبيل وفيهِ جهاز نور كهربائي ساطع يعادل نورهُ نور ٧ الاف شمعة

بايديهم فاتجهت الافكار اليها منذ ذلك الحين و بذلت الهمة في اتقانها وقد استحدثت منها انواع كثيرة من ذلك نوع يعرف بقنابل آسن ثقل القنبلة منهُ كيلو غرام واحد وفيها ١٩٠ رصاصة ولا بد لمن يرميها ان يختبي وراء شيءٍ يقيهِ رصاصها لانهُ يذهب في كل جهة

ومنها نوع يطلق من مدفع صغير لا يزيد ثقلهُ على ٢٤ رطلاً ويحملهُ الجندي كما يحمل البندقية · وثقل القنبلة من هذا النوع رطلان ومرماها ٣٠٠ يرد وتنفجر اذا صدمت شيئاً فتتطاير منها ٢١٥ رصاصة تتفرق في مساحة ١٠٠ يرد مربع · ومنها نوع يمكن اطلاقهُ من البنادق العادية وذلك بان يجعل في طرف قضيب يدخل في ثقب البندقية

وافتك من هذه جميعها القنابل التي تلغم بها الارض وثقل الواحدة منها ٨ ارطال وفيها ٤٠٠ رصاصة كبيرة وتطمر في الارض على عمق بوصات قليلة · فاذا سار العدو من فوقها وداس على زر كهربائي يدبَّر لهذا الغرض قفزت صعوداً في الهواء فتمسكها سلسلة تربطها الى الارض على ارتفاع يرد فتنفجر وتحصد الجنود من حولها

اما الالغام البحرية فليست حديثة العهد ولكن قد كثر بثها في هذه الحرب وبثها اليابانيون للبوارج الروسية حول بورت ارثر ومنها ما يربط الى اثقال تطرح في قاع البحر ومنها ما يسيَّب فتحملهُ الامواج والتيارات من مكان الى آخر

الحصون الحديثة

تجعل جدران الحصون من الخرسانة ويجعل سمكها من خمس اقدام الى عشر وتصفَّح احياناً بالفولاذ · و يغطى ظاهر الجدار بطبقة من الطين لتنمو فيها الاعشاب وتخفي الحصون عن الناظر اليها عن بعد فلا يميزها عما حولها · اما مدافع الحصون فتكون في ابراج او في قباب من الحديد والفولاذ يمكن ادارتها ومدافع حصون لياج كانت في قباب مثل هذه · ومن قباب المدافع ما يتوارى بعد اطلاق المدفع ومنها ما يميل الى جهة واحدة فيجعل المدفع في مأمن من قنابل العدو ومنها ما يدور دوراناً · ومنها ما هو كبير غليظ التصفيح ومنها ما هو صغير تنصب فيهِ المدافع الصغيرة ومنها ما يمكن نقلهُ

الانوار الكشافة

تحققت فائدة الانقضاض على العدو تحت جنح الظلام في الحرب الروسية اليابانية فجعلت دول اوربا تمرن فرقاً مخصوصة من عساكرها على القيام بهذا العمل واستنبطت ادوات كثيرة يمكن الانتفاع بها في هذا الهجوم او في صدهِ ومنها النور الكشاف الذي يحمل في اوتوموبيل و يوجهُ الى العدو المهاجم في الليل وخصوصاً الى البلونات المسيرة فيمكن المدفعية

من تسديد مدافعهم ولولا هذا النور لكانت المدافع قليلة النفع في صد الهجمات الليلية. واذا لم يكن لدى الجيش انوار كشافة فقد يستعيض عنها بالانوار الهوائية وهي قنابل صغيرة تثقل الواحدة منها نحو ١٢ اوقية ولها جهاز يحملها في الهواء اذا اطلقت . وتطلق من البنادق العادية وذلك بان تجعل في رأس قضيب مخصوص يدخل جانب منهُ في ثقب البندقية ونقذفها البندقية الى مسافة تتراوح بين ٥٠ يرداً و ١٠٠ يرد وتشتعل بنور ساطع ينير ما حولها من نصف دقيقة الى ثلاثة ارباع الدقيقة . ومنها نوع كبير يطلق من مدافع الميدان فيبعث نوراً ساطعاً يبهر الابصار و يظل في الهواء بضع دقائق

مسكتات المدافع

من الآلات التي ستجرب لاول مرة في هذه الحرب آلة تخفت صوت المدفع وتخفف رجوعهُ الى الوراء عند انطلاق قنبلتهِ وقد سميت مسكتة المدفع ومخترعها ابن السر حيرام مكسم مخترع المدفع المعروف باسمهِ . وقد اقتنت كل دولة من الدول المحاربة بضع مسكتات منها ومن فوائد المسكتة انها تمكن المدفعية من سماع اصوات ضباطهم وتخفف الزعب الذي ينزلهُ صوت المدافع بقلوب الجنود فيصيرون اثبت في وجه العدو وتذهب بخوف الطوبجي من رجوع المدفع عند انطلاق قنبلتهِ فيصبح اثبت واسد رماية . و يصعب على العدو معرفة موقع المدافع اذا جهزت بالمسكتات لان هذه المسكتات تخفت اصواتها وتمنع لمعان البارود عند انطلاق القنابل على ما يقال

الاروبلان الساكت

و يقال ايضاً ان ابن مكسم اخترع مسكتة اخرى لآلة الاروبلان. وقد اطرأ المرشال فرنش القائد العام للجيوش الانكليزية في فرنسا الاروبلانات على خدمها الجلى في الاستكشاف فكم يزيد نفعها اذا اخفت صوت آلاتها وصار العدو لا يشعر بدنوها منهُ

هذا قليل من كثير عن هذه الآلات التي تستخدم في الحرب الحاضرة . وستبين هذه الحرب ما يمكن الاعتماد عليهِ منها وما لا يمكن الاعتماد عليهِ ولعلها تغير فنون الحرب وتبدلها كما يتوقع انها تغير حدود الممالك

وقد تناقلت الجرائد منذ زمن غير بعيد ان مهندساً ايطاليًّا اكتشف طريقة يشعل بها القنابل وجميع المواد القابلة الانفجار عن بعد والراجح ان الخبر مبتسر ولكن لا يبعد ان يقوم من يتمكن من ذلك قبل نهاية هذه الحرب فيزيد الحروب هولاً وويلاً

المباراة في الاستعداد للحرب

لم تبطل الحرب من الدنيا في عصر من العصور ولكنها قلّت كثيراً في العصور المتأخرة ولاسيما في القرن الماضي بعد معركة وترلو التي قضي فيها على نبوليون بونابرت . فلم يحدث فيهِ بعدها من الحروب الكبيرة الأ حرب الثورة الهندية وحرب القرم وحرب تحرير العبيد باميركا وحرب السبعين بين الفرنسو بين والالمان وحرب الدولة العلية والروس . هذه هي الحروب الكبرى التي قتل فيها الالوف من الرجال وضاعت فيها بدرات الاموال . وحدثت فيهِ حروب اخرى اصغر منها كحرب الجزائر وحرب بروسيا والنمسا وحرب اميركا واسبانيا وحروب السودان وما اشبه ومع ذلك كان الشعور العام ان الميل الى السلم يزيد عاماً بعد عام والناس جارون في اعمالهم مطمئنين كأن الحروب مضى زمانها وانقضى . ولكن الدول لم تشارك رعاياها في هذا الاطمئنان ولاسيما دول اوربا فاستمرَّت على التسليح والتجهيز والاكثار من المعدات الحربية وهي تقول الاستعداد للحرب انفى لها الى ان كانت حرب طرابلس الغرب وحرب البلقان فتجنبتها هذه الدول على قدر طاقتها فخمدت نارها من غير ان تضطرم بها حرب اوربية عامة

ولكن الاستعداد لهذه الحرب بقي على ساق وقدم وظلت الدول تزيد نفقاتها الحربية وتكثر من الجنود والبوارج الى ان حملت رعاياها احمالاً تنوء تحتها

وقد حاول فضلاء الاوربيين منذ اكثر من عشر سنوات ان يوفقوا بين مصالح الدول المختلفة ويحملوها على فصل ما يقع بينها من الخصومات بالتحكيم فنجحوا بعض النجاح ولكن بقيت في اوربا دولة فاقت غيرها في الاستعداد للحرب وهي الدولة الالمانية فاضطرَّت جاراتها الى مجاراتها . هل كان غرضها الاحتفاظ بمقامها والاكتفاء بما عندها او الطموح الى ما عند غيرها هذه مسألة تختلف الآراء فيها باختلاف الناظرين اليها واميالهم ولكن لا خلاف في ان المانيا فاقت غيرها في التأهب للحرب . ومن رأي بعض العلماء ان تفوقها هذا هو الذي اضرم نار الحرب في اوربا وان الغاية التي ترمي اليها الدول المقاومة لها هي القضاء على هذا التفوق الحربي وتوطيد اركان السلم في الدنيا وانها كانت تقصد ان تصل الى ذلك باتفاق ودي مع المانيا من غير حرب ولكن خاب مسعاها ومن هؤلاء العلماء جماعة من اساتذة جامعة اكسفرد وقد الفوا كتاباً موضوعهُ « لماذا نحارب » وعقدوا فيهِ فصلاً في تاريخ المحالفات والاستعداد للحرب ذهبوا فيهِ ان عقد المحالفة الثلاثية بين المانيا والنمسا وايطاليا اضطر فرنسا الى عقد

المحالفة مع روسيا واضطرانكلترا الى التقرب منها · والاعتراض الوحيد على عقد المحالفة الثلاثية من حيث مصالح سائر الدول ان هذه المحالفة قوّت الدول الثلاث وجعلت لهنَّ الكلمة العليا في اوربا شرقاً وغرباً وحملت المانيا على مباراة انكلترا بحراً ومناظرتها في التجارة والاستعمار كأنها تهددها في البحر كما تهدد جاراتها في البر فاضطرتها الى زيادة الانفاق على بحريتها كما اضطرّت فرنسا وروسيا الى زيادة الانفاق على جيوشها

ثم فصَّل هؤُلاء الاساتذة هذا البيان الموجز فقالوا ما خلاصتهُ :— ان معاهدة الصلح بين فرنسا والمانيا التي عقدت في فرنكفورت في ١٠ مايو سنة ١٨٧١ الزمت فرنسا بان تقبل مطالب المانيا وفتحت باباً جديداً لسياسة اوربية جديدة فانها مكنت المانيا من التفوُّق في غربي اوربا· واتفق ان قام فيها رجل اسمهُ تريتشكي علَّم الالمان ان خير البشر متوقف على تفوُّقهم وعلى علومهم وعقولهم فطمع مريدوهُ في توسيع الامبراطورية الالمانية حتى تشمل المسكونة كلها ورأوا انهُ لا يتسنَّى لهم ذلك ما لم يسحقوا اولاً سلطة فرنسا وانكلترا · لكن الحكومة الالمانية لم تتخذ هذا المذهب قاعدة لاعمالها الاَّ بعد سنة ١٨٩٠ حينما اقيل بسمارك من منصبهِ لانهُ كان مضادًّا لهُ ومكتفياً بتقوية الامبراطورية الالمانية في بلادها وزرع بزور الشقاق بين اعدائها سواءٌ كانوا مجاهرين بعداوتها او كانت توجس فيهم العداوة · ففي سنة ١٨٧٢ تقرَّب من روسيا والنمسا الامبراطوريتين الكبيرتين في شرق اوربا فتألَّف من ذلك اتحاد الامبراطرة الثلاثة Dreikaiserbündis وكان الغرض منهُ الاحتفاظ بالحالة الحاضرة حينئذٍ ولكن صداقة روسيا فترت سريعاً ثم انقطعت لما تصدَّى القيصر اسكندر الثاني سنة ١٨٧٥ لالمانيا ومنعها من محاربة فرنسا · ثم زاد التقرب بين المانيا والنمسا لان مصالحها متفقة في المسألة الشرقية فان النمسا كانت تحسب سياسة روسيا في البلقان مضرَّة بها والمانيا لم تكن تودُّ ضعف النمسا حينئذٍ فزاد الالتحام بين المانيا والنمسا سنة ١٨٧٩ وعقدتا محالفة بقيت سرية الى سنة ١٨٨٧ وكانت دفاعية محضة ويظهر من بنودها ان الدولتين كانتا تضمران العداء لروسيا وتوجسان منها شرًّا · وارتبطت كل منهما بمساعدة الاخرى اذا اعتدت عليها روسيا او دولة اخرى انتصاراً لروسيا · وسنة ١٨٨٢ انضمت ايطاليا الى المانيا والنمسا كأنها شعرت انها لا تستطيع ان تأمن على نفسها ولا ان تتوسع في الاستعمار ما دامت منفردة

وقد دام هذا الاتحاد الثلاثي الى الآن وكان لهُ الشأن الاعظم في سياسة اوربا مع قلة انتفاع ايطاليا منهُ وانحصار نفعهِ في المانيا والنمسا وجعلهِ النمسا اقوى خصيم لايطاليا في بحر

الادرياتيك . وبقيت ممالك اوربا كما اراد بسمارك منفصلة بعضها عن بعض مع ان انكلترا كانت مصادقة لفرنسا واشتركت مع روسيا في منع اعتداء المانيا عليها سنة ١٨٧٥ لان احتلال انكلترا لمصر ساء فرنسا وتقدُّم روسيا في اسيا جعل انكلترا توجس منها شرًّا ولكن كان لهذه الدول الثلاث مصالح اخرى مشتركة افضت بها الى توثيق عرى التآلف بينها . نعم انها لم تعقد محالفة دفاعية لكنها اتفقت في امور كثيرة جوهرية

ثم ان سياسة المانيا كانت ترمي الى تعزيز قوتها الحربية حتى تخيف بها كل الدول التي يمكن ان تتفق على مناوأتها وقد ابتدأت في ذلك حين أُقيل البرنس بسمارك من منصبهِ فانهُ كان يخطب ود روسيا دائمًا حتى بعد سنة ١٨٨٢ وقد حالف روسيا محالفة دفاع ضد النمسا . نعم انهُ قوَّى الجيش الالماني ولكنهُ اشار على المانيا باتخاذ خطة الدفاع دائمًا وحذَّر مجلس النواب الالماني من كل محالفة يقصد بها الهجوم والدفاع معًا وهاك ما قالهُ لهُ في هذا الصدد

" اذا قلت لكم « ان فرنسا وروسيا تهددانا فالاجدر بنا ان نحاربهما حالاً لان الحرب الدفاعية اصلح لنا » ثم طلبت منكم اعتماد مئة مليون جنيه فلا ادري هل تسمحون بها . ارجو ان لا تسمحوا "

ولكن بسمارك اقيل سنة ١٨٩٠ فانتقلت دفة الحكومة الى ايدٍ اقل احتراسًا من يديهِ فاهملت المحالفة الدفاعية مع روسيا وتمكن الخلاف بينهما ورأت المانيا نفسها تجاه المحالفة الثنائية محالفة روسيا وفرنسا التي ابتدأت بالتقرب البسيط سنة ١٨٩١ وانتهت بمحالفة فعلية سنة ١٨٩٦ ولا شبهة ان هذه المحالفة وقَتْ فرنسا من الاعتداء على تخومها الشرقية وكانت معرضة لهُ منذ سنة ١٨٧٥ ولم يقم دليل على ان فرنسا استخدمتها للاضرار بغيرها ولم تتبسَّط فرنسا الأفي الاستعمار وفي هذا لم يشكُ منها اعضاء المحالفة الثلاثية انها اعتدت على حقوقهم المشروعة في مناطق نفوذهم فان املاكها الواسعة في غرب افريقية اعترفت لها بها المانيا وانكلترا بمعاهدات وامتلكت جزيرة مدغسكر في شرق افريقية ولم تنازعها في امتلاكها دولة اوربية . وتوسُّعها في الصين الهندية لم تطفْ بهِ الاَّ على املاك انكلترا وقد فُصِل الخلاف بينهما حبيًّا سنة ١٨٩٦ . ووقعت المناظرة بينها وبين المانيا في غرب افريقية في تخوم الكميرون وتوغولند ولكن المانيا لم تدَّعِ ان ما فعلتهُ فرنسا موجب للحرب وغنيٌّ عن البيان ان الالمان نظروا الى توسع فرنسا في افريقية بعين الغيرة وقد قالت المانيا قبيل نشوب هذه الحرب انها تحجم عن اخذ مستعمرات فرنسا اذا حاربتها . وحتى ذلك الوقت كانت بريطانيا تعتقد ان المانيا تحارب فرنسا قصد سلبها مستعمراتها ولكن ظهر من سياسة المانيا في الايام

الاخيرة ما اقنعها انها كانت مخطئة في اعتقادها. وكان المظنون حتى سنة ١٩١٤ ان اقصى ما تطمح اليهِ المانيا هو التوسع في السياسة التي اتَّبعتها حديثاً اي طلب التعويض من الدول التي تفلح في توسيع املاكها ضمن دائرة نفوذها . وليس من غرضنا الآن ان نمدح تقسيم افريقية ونحامي عنهُ او نذمهُ ونبين عيوبهُ وانما غرضنا ان نذكر الاساليب التي استعملتها المانيا لارهاب فرنسا في هذا الباب . واول شيء فعلتهُ من هذا القبيل كان متعلقاً باتفاق انكلترا وفرنسا على المغرب الاقصى لان هذا الاتفاق دلَّ على ان الدولتين تميلان الى ما يزيد على التوادّ العادي ولما تمَّ هذا الاتفاق قال البرنس بولوف في مجلس النواب ان المانيا لا تعترض عليهِ لانهُ لا يمس مصالحها . ولكن المانيا لم تعتم ان عدت هذا الاتفاق ماسًّا بمصالحها وبكرامتها ايضاً . وفي العام التالي (سنة ١٩٠٥) زار امبراطورها طنجة وقال فيها علانية ان غرضهُ تعزيز التجارة الالمانية والصناعة الالمانية في المغرب الاقصى وانهُ لا يسمح لدولة من الدول ان تدخل بينهُ وبين سلطان المغرب . ثم قالت الصحف الالمانية ان المانيا لا تعترض على الاتفاق الانكليزي الفرنسوي بالذات ولكنها تعترض على انكلترا وفرنسا لانهما لم تستشيراها قبلما عقدتاهُ . فقابلت فرنسا هذا الاعتراض باستقالة المسيو دلكاسه وزير خارجيتها وبقبولها عقد مؤتمر الجزيرة

وقال وزير المانيا حينئذٍ ان مصالح المانيا وسياستها وشرفها اضطرتها للتعرض للاتفاق الانكليزي الفرنسوي مع انهُ قال قبلاً ان هذا الاتفاق لا يضر بمصالح المانيا ثم قال بعد المؤتمر ان لا اعتراض لهُ على نصيب بريطانيا من هذا الاتفاق ولا على ما تمَّ بينها وبين فرنسا من التقرُّب . ولكن الرأي الشائع حينئذٍ كان ان المانيا ارادت ان تجس عود انكلترا وفرنسا وترى مقدار اتفاقهما او ان تري فرنسا ان اعتمادها على انكلترا كالتوكؤ على قصبة مرضوضة

لما رأت انكلترا ذلك من المانيا اوجست منها شرًّا وجعلت تتخلص من المشاكل التي بينها وبين سائر الدول وكانت قد بذلت جهدها سنة ١٩٠٥ في حمل اليابان على تخفيف شروط الصلح مع روسيا فعرفت لها روسيا هذا الفضل واتفقت معها اتفاقاً وديًّا سنة ١٩٠٧ على المسائل المختلف فيها في بلاد ايران وافغانستان وتبت . ولكن الاتفاقين مع فرنسا ومع روسيا كانا خاصَّين متعلقين باماكن محدودة ولا علاقة لهما بالسياسة الاوربية العامَّة . نعم ان انكلترا صارت اميل الى ترك العزلة التي كانت تباهي بها ولكنها لم تكن قد صممت على محالفة غيرها من الدول ولو قصد الدفاع لكن المانيا اضطرتها سنة ١٩١١ الى زيادة التقرب من فرنسا بارسالها سفينة من سفنها لاحتلال ثغر في المغرب الاقصى قصد اثارة الخصام بينها وبين فرنسا فكانت النتيجة ان انكلترا هددتها بانها تنضم الى فرنسا ان هي اصرَّت على احتلال

ذلك الثغر واثارت الحرب على فرنسا · وما من احد ارتاب حينئذٍ ان انكلترا كانت مصممة على الدخول في حرب لا يد لها فيها · فلما رأت المانيا منها ذلك احجمت واشتد الوئام بين فرنسا وانكلترا وتبادلت الحكومتان مكاتبات رسمية تثبت ذلك لكنها لا تقيد الواحدة بالاشتراك مع الاخرى في الحرب الأ اذا كانت هذه معتدًى عليها واتفقت الدولتان معاً على مقاومة المعتدي · ولم يكن غرض انكلترا من هذا الاتفاق ان تتوسل بهِ الى محاربة المانيا بدليل انهُ لما نشبت حرب البلقان وطلبت السرب ان تضم اليها البانيا ونصرتها روسيا وقاومتها النمسا اهتمت انكلترا بالتوفيق بين المتخالفين · ولو كانت تبطن العداء لالمانيا لوسّعت الخرق او لوقفت جانباً على الاقل

نعم انها اكدت لفرنسا انها تنتصر لها اذا حاربتها المانيا لكنها بذلت جهدها في استئصال اسباب الخلاف وارضت النمسا · وقد اشار الى ذلك وزير الامبراطورية الالمانية في ٧ ابريل سنة ١٩١٣ في مجلس النواب الالماني حيث قال « ان اوربا مديونة لوزير خارجية انكلترا على مقدرتهِ الفائقة واهتمامهِ الشديد في التوفيق بين المتخالفين فاستطاع ان يتغلب على المصاعب ولولا ذلك لنشبت الحرب بين النمسا وروسيا » الى ان قال « وعلى كل حال نحن لا نثير حرباً مثل هذه » وما اسرع ما اخلف وعدهُ

ولعلَّ فرنسا هي التي غرست جرثومة هذه الحرب بيد الجنرال بولنجه فانهُ اقنعها بزيادة جيشها زمن السلم وجعلهِ ٥٠٠٠٠٠ حينما كان جيش المانيا وقت السلم ٤٢٨٠٠٠ فقط وجيش روسيا ٥٥٠٠٠٠ فقابلهُ بسمارك بزيادة ٤١٠٠٠ الى الجيش الالماني في سبع سنوات ولم يتمكن من ذلك الأ بعد حل مجلس النواب وانتخاب مجلس آخر · ولا بد من ان تكون فرنسا قد ندمت على ما فعلت لقلة شعبها · وبقي الشعب الالماني مصرًّا على عدم مجاراة فرنسا لان الكونت كبريفي لم يتمكن من جعل الجيش ٤٧٩٠٠٠ الأ بمشقة كبيرة وجعل مدة الخدمة الاجبارية سنتين بدلاً من ثلاث · وبلغ عدد الجيش الالماني وقت السلم ٤٩٧٠٠٠ سنة ١٨٩٩ و ٥٠٥٠٠٠ سنة ١٩٠٥ وبقي الجيش الفرنسوي حينئذٍ اكثر من الجيش الالماني ولكنهُ لم يبلغ ٥٤٥٠٠٠ وقت السلم و ٤٠٠٠٠٠٠ وقت الحرب حتى بلغ الجيش الالماني ٨٠٠٠٠٠ وقت السلم و ٥٤٠٠٠٠٠ وقت الحرب · ولا غرابة في ذلك لان الشعب الالماني اكثر جدًّا من الشعب الفرنسوي وكان ذلك من اقوى الاسباب لعقد المحالفة بين فرنسا وروسيا لكي لا تبقى فرنسا منفردة امام المانيا · وقد كانت هذه المحالفة قذًى في عيني المانيا وهي السبب الاكبر الذي جعلها تنقم على فرنسا لانها اوجست منها شرًّا · ثم جعلت

تزيد نفقاتها الحربية فابلغتها سنة ١٩٠٩ الى ٤١ مليون جنيه بعد ان كانت ٢٧ مليوناً ورضيت بضم البوسنه والهرسك الى النمسا لتري روسيا انها اذا بادأت النمسا بالعداء فهي (اي المانيا) تنتصر لها فاضطرت روسيا ان تحجم ولكن المرجح انها لم تغتفر ما حدث.

وسنة ١٩١٣ زادت المانيا جيشها وقت السلم الى ٨٧٠٠٠٠ واقتدت بها فرنسا وروسيا وبلجكا . اما النمسا فاقتصرت على زيادة نفقاتها البحرية فدلَّ ذلك كلهُ على ان النار مخبوءة تحت الرماد ولا بد من اضطرامها يوماً ما . وتدَّعي المانيا ان اللوم في زيادة الجيوش على روسيا لانها هي البادئة فيها لكن روسيا تحتج بسعة بلادها و بانها مضطرة ان تحمي ١٧٣ مليوناً من النفوس و بلادها معرضة للهجوم من ثلاث جهات واما المانيا فلا تحمي الاَّ ٦٥ مليوناً من النفوس و بلادها معرضة للهجوم من جهتين

هذا من جهة الجيوش البرية اما الاساطيل البحرية فكانت بريطانيا تحسب انها اقوى فيها من كل دولتين يمكن ان تتفقا عليها ولم تكن تحسب انها تخوض غمار حرب برية لتستعد لها ولا كانت تحسب حساباً في البحر الاَّ لفرنسا وروسيا . ثم اخذت المانيا سنة ١٨٩٨ تقوي اسطولها فلم تلمها انكلترا على ذلك لان اتساع متاجرها ومستعمراتها يستلزم ان يكون لها اسطول كبير يحميها

وسنة ١٩٠٠ عدلت المانيا بغتةً عن الخطة التي كانت قد وضعتها لنفسها وهي ان تزيد اسطولها تدريجاً فضاعفت مقدار الزيادة التي كانت قد قررتها قبلاً فاعتقدت انكلترا انها هي المقصودة بهذه الزيادة لاسيا وانها كانت مشتبكة بالحرب مع البوير وان الحزب البحري الالماني كان يجاهر بالعداء لها . وكان الحزب الحر الانكليزي ميالاً الى الاقتصاد في انشاء السفن الحربية فقلَّل ما أنشأهُ منها من سنة ١٩٠٦ الى ١٩٠٨ ولكن المانيا لم تجارهِ في ذلك بل زادت ما كانت عازمة على انشائهِ واتضح لانكلترا حينئذٍ انها اذا بقيت جارية هذا المجرى هي والمانيا هي تقلل ما تنشئهُ من البوارج الكبيرة والمانيا تزيد ما تنشئهُ منها لم تأتِ سنة ١٩١٤ حتى تصير بوارج المانيا الكبيرة اكثر من بوارج انكلترا فعادت الى الاكثار من بناء البوارج وغيرها من السفن الحربية وقال رئيس وزرائها حينئذٍ اننا نأسف لوقوع هذه المباراة بيننا وبين المانيا وليس غرضنا منها العداء لالمانيا ولكننا لا نستطيع ان ندع تفوقنا البحري يزول لان سلامتنا كامة متوقفة عليهِ (١٦ مارس ١٩٠٩) . فاكثرت انكلترا من بناء البوارج الكبيرة (الدردنوط) حتى تزيد بوارجها دائماً على بوارج المانيا ستين في المئة

لكن المانيا لم تحجم عن المباراة فزادت نفقاتها البحرية سنة ١٩١٢ مليون جنيه في السنة وصرَّحت انكلترا حينئذٍ ان كل زيادة تزيدها المانيا تزيد هي مضاعفها وكل نقص تنقصهُ فهي تنقص مضاعفهُ حتى تبقى النسبة محفوظة بين اسطوليهما ولم يثنِ ذلك عزم المانيا فزادت نفقاتها البحرية سنة ١٩١٣ نصف مليون جنيه عن سنة ١٩١٢

والخلاصة ان المانيا قصدت التفوُّق برًّا وبحرًا لا لمجرَّد التفوق بل لاستخدامهِ في توسيع الاملاك والمستعمرات ولو بأخذ ما في يد الغير ويترتب على ذلك اما ان ترضخ الدول لارادتها واما ان تحاربها وتوقفها عند حدودها

المآخذ الشعرية

قال عمرو بن شاس الاسديّ :

اذا نحنُ ادلجنا وأنت امامنا   كفى لمطايانا بوجهك هاديا

فتناهبهُ الشعراء : فقال مروان بن ابي حفصة الاكبر يصف الركاب :

يكون لها نور الامام محمدٍ   دليلاً بهِ تسري اذا الليل اظلما

وقال حفيدهُ ابو السمط بن ابي حفصة :

فتًى لا يبالي المدلجون بنورهِ   الى بابهِ أن لا تضيءَ الكواكبُ

وقال ادريس بن ابي حفصة وذكر ابلاً وزاد عليهِ :

لها امامك نور تستضيءُ بهِ   ومن رجائك في اعناقها حادي

وقال القطامي :

ذكرتكمُ ليلاً فنوَّر ذكركم   دجى الليل حتى انجاب عنهُ دياجرُه

ويتصل بهِ قول ابي الطمحان العيني :

اضاءت لهم احسابهم ووجوههم   دجى الليل حتى نظَّم الجزع ثاقبهْ

وقال الحطيئة :

نمشي على ضوء احسابٍ أضأنَ لنا   كما أضاءت نجوم الليل للساري

وقال ايضاً :

همُ القومُ الذين اذا ألمَّت   من الايام مظلمةٌ أضاؤُوا

ولبعض المتقدمين :

اذا اشرقت في جنح ليل وجوههم   كفوا خابط الظلماء فقد المصابحِ

وقال ابو نواس :

آلـ الربيع فضلتمُ فضل الخميس على العشيرِ
من قاس غيركمُ بكم قاس الثماد الى البحورِ

فاخذهُ المتنبي وقال :

قواصد كافورٍ توارك غيرهِ ومن قصد البحر استقلَّ السواقيا
فتى ما سرينا في ظهور جدودنا الى عصرهِ الاَّ نرجّي التلاقيـا

وانشد احمد بن يحيى ثعلب الاعرابي :

كريم يغض الطرف فضل حيائهِ ويدنو واطراف الرماح دواني
وكالسيف ان لا ينتهُ لان متنهُ وحدَّاهُ ان خاشنتهُ خشنانِ

وشبيهٌ بهِ قول ابن المعتز :

ويجرح احشائي بعينٍ مريضةٍ كما لان متن السيف والحدُّ قاطعُ

وقال ابن الرومي في شعر طويل :

اقبل كالليل من مفارقهِ منحدراً لا يروم منحدرَهُ
حتى تناهى الى مواطئهِ يلثم من كل موطىء عفَرَه

اخذهُ ابو محمد بن مطرف بقولهِ :

ظباءٌ اعارتها المها حسن مشيها كما قد اعارتها العيونَ الجآذرُ
فمن حسن ذاك المشي قامت فقبَّلت مواطئَ من اقدامهنَّ الغدائرُ

وقال البحتري :

لو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعهِ لسعى اليك المنبرُ

وهو مأخوذ من قول ابي تمام :

ديمةٌ سمحة القياد سكوبُ مستغيثٌ بها الثرى المسكوبُ
لو سعت بقعة لإعظام نُعمى لسعى نحوها المكان الجديبُ

وقال ايضاً :

اليك القوافي نازعات شوارداً يسيِّر ضافي وشيها وينمنمُ
ومشرقة في النظم غرّاً يزيدها بهاءً وحسناً انهـا لك تنظمُ

وقال ايضاً :

أَلستُ الموالي فيك نظم قصائدٍ — هي الانجم اقتادت مع الليل انجما
ثناءً تخال الروض فيهِ منوّراً — ضحًى وتخال الوشي فيهِ منمنما

فالبيت الاول من قول ابي تمام :

حلُّوا بها عقد النسيم وغنّموا — من وشيها نشراً لما وقصيدا

والثاني من قول ابي تمام ايضاً :

اصخْ تستمعْ حرَّ القوافي فانها — كواكب الأَ انهنَّ سعودُ
ولا يكن الاخلاق منها فانما — يلذّ لباس البُرْد وهو جديدُ

وقال ابو الفتح كشاجم الرمليّ :

بيضاءُ يخصر طيبٌ كلما حضرت — فان نأت عنك غاب اللهو والفرحُ
كل اللباس عليها معرضٌ حسنٌ — وكل ما نتغني فيهِ مقترحُ

وهو من قول عبد الله بن المعتز العباسي :

وغنّت فأَغنت عن المسمعين — وارتجّ بالطرب المجلسُ
محاسنها نزهة للعيون — ومعرضها كل ما تلبسُ

وقال محمد بن وهب :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم — شمس الضحى وابو اسحاق والقمرُ
يحكي افاعيلهُ في كل نائبةٍ — أَلغيث والليث والصمصامة الذكرُ

فأَخذ معنى البيت الاول ابو القاسم محمد بن هانئ الاندلسي فقال :

المدنفان من البرية كلها — قلبي وطرفٌ بابليّ أَحورُ
والمشرقات النيّرات ثلاثة — الشمس والقمر المنير وجعفرُ

وبيت ابن هانئ الاول مأخوذ من ابن الروميّ القائل :

ما عليل جعل العلة مفتاحاً لسقمي
ليس في الارض طيلٌ غير جفنيك وجسمي

وقال ابن المعتز في رثاء عبيد الله بن سليمان بن وهب :

ذكرتُ عبيد الله والترب دونهُ — فلم تحبس العينان مني بكاهما

وحاشاهُ من قول سقى الغيث قبرهُ يداهُ تروّي قبرهُ من نداهما

فاخذهُ من قول الطائي :

سقى الغيث غيثاً وارت الارض شخصهُ وان لم يكن فيهِ سحابٌ ولا قطرُ

وكيف احتمالي للسحاب صنيعة باسقائها قبراً وفي لحدهِ البحرُ

ومن مآخذ ابن المعتز قولهُ :

لم تمت انت انما مات من لم يبقِ في المجد والمكارم ذكرا

لستُ مستسقياً لقبرك غيثاً كيف يظما وقد تضمّن بحرا

فأخذ معنى البيت الاول من قول الطائي :

ألم تمت يا سليل المجد من زمنٍ فقال لي لم يمت من لم يمت كرمهْ

وقال عبد السلام بن رعيان الحمصي :

سقى الغيث ارضاً ضُمنتك وساحة لقبرك فيهِ الغيث والليث والبدرُ

وما هي اهل اذ اصابتك بالبلى لسقيا ولكن من حوى ذلك القبرُ

فأخذ الراضي هذا المعنى في رثائهِ لابيهِ المقتدر بقولهِ :

بنفسيَ ثرًى ضمّنتَ في ساحة البلى لقد ضمَّ منك الغيث والليث والبدرا

فلو ان عمري كان طوع مشيئتي واسعدني المقدور قاسمتك العمرا

ولو أنَّ حيًّا كان قبراً لميّتٍ لصيَّرت احشائي لأعظمهِ قبرا

وهذا البيت ينظر الى قول المتنبي :

حتى اتوا جدثًا كأنَّ ضريحهُ في قلب كل موحّدٍ محفورُ

والى قول التهاميّ :

وكأن قلبي قبرهُ وكأنهُ في طيّهِ سرٌّ من الاسرارِ

وقال شاعر قديم من كندة :

تكاد تميد الناس بالارض ان رأوا لعمرو بن هند غضبة وهو عاتبُ

هو الشمس وافت يوم دجن فافضلت على كل ضوء والملوكُ كواكبُ

فأخذ المعنى النابغة الذبياني بقولهِ :

ألم ترَ أن الله اعطاك سورة يُرى كل ملْكٍ دونها يتذبذبُ

لانك شمسٌ والملوك كواكبٌ اذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

وقال ابو تمام الطائيّ :

راحت وفود الارض عن قبرهِ   فارغة الايدي وملأَى القلوبْ
قد علمت ما رُزئت انما   يُعرف فقد الشمس بعد الغروبْ

فاخذهُ بعضهم وقال :

لا تلحَ من يبكي شبيبتهُ   الاَّ اذا لم يبكها بدمِ
عيب الشبيبة غول سكرتها   ومدار ما فيها من النعمِ
لسنا نراها حقّ رؤيتها   الاَّ اوان الشيب والهرمِ
كالشمس لا تبدو فضيلتُها   حتى تُغشّى الارض بالظُلَمِ
ولربَّ شيءٍ لا يسرُّ بهِ   وجدانه الاَّ مع العدمِ

وقال علي بن عبد الكريم النصيبيّ : اتاني ابو الحسن علي بن عباس الروميّ . وقال : انصفني وقل الحق ايهما احسن قولي في الوطن :

ولي وطنٌ آليت ان لا ابيعهُ   وأَن لا أَرى غيري لهُ الدهرَ مالكا
عمرتُ بهِ شرخ الشباب منعَّماً   بصحبة قومٍ اصبحوا في ظلالكا
وحبَّب اوطان الرجالِ اليهمِ   مآربُ قضَّاها الشبابُ هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكَّرتهمُ   عهود الصبا فيها فحنُّوا لذلكا
فقد أَلفتهُ النفس حتى كأَنهُ   لها جسدٌ ان بانَ غودر هالكا

او قول الاعرابي :

احبُّ بلاد الله ما بين منعجٍ   اليَّ وسلمى انْ يصوب سحابُها
بلادٌ بها نِيطَت عليَّ تمائمي   وأَول أَرضٍ مسَّ جلدي ترابُها

فقلتُ : بل قولك : لانهُ ذكر الوطن ومحبتهُ . وانت ذكرت العلة التي اوجبت ذلك ففضلتهُ

وقال ابن الرومي يتشوق الى بغداد وقد طال مقامهُ بسرَّ من رأَى :

بلدٌ صحبتُ بهِ الشبيبة والصبا   ولبستُ ثوب العيش وهو جديدُ
فاذا تمثَّل في الضمير رأَيتهُ   وعليهِ اغصانُ الشباب تميدُ

فاخذ قولهُ في صفة الوطن من قول بشار بن برد العقيلي :

متى تعرف الدار التي بان اهلها   بسعدى فان العهد منك قريبُ
تذكِّرك الاهواء اذ انت يافعٌ   لديها بِ نعمناها لديك حبيبُ

او من قول بعض الاعراب :

ذكرتُ بلادي فاستهلّت مدامعي بشوقي الى عهد الصبّا المتقادمِ
حننتُ الى ارضٍ بها اخضرّ شاربي وقُطّع عني قبلُ عقدُ التمائمِ

وقال الخليل بن احمد الفراهيدي :

والمال يغشى اناساً لاخلاق لهم كالسيل يغشي اصول الرِّندة[1] البالي

فاخذهُ ابو تمام فقال :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

وانشد ابو تمام الطائي احمد بن ابي داود قصيدتهُ :

سقى عهد الحمى صوب العهادِ

وانتهى الى قولهِ :

وما سافرت في الآفاق الأ ومن جدواك راحلتي وزادي
مقيم الظن عندك والأماني وان قلقت ركابي في البلادِ

فقال لهُ ابن ابي داود : وهذا المعنى لك او اخذتهُ . قال : هو لي . وقد ألممتُ فيهِ بقول ابي نواس :

وان جرت الالفاظ يوماً بمدحةٍ لغيرك انساناً فأنت الذي نعني

فاخذهُ المتنبي بقولهِ :

أشرتَ أبا الحسين بمدح قومٍ نزلتَ بهم فرحتَ بغير زادِ
وظنوني مدحتهمُ قديماً وانت بما مدحتهم مرادي

واما قول ابي تمام : «وما سافرتُ في الآفاق ... البيت . فمن قول المثقّف العبدي :

الى عمرو بن حمدانٍ ابيني اخي النَجَدات والمجد الرصينِ

وقال العتابي في مدح هرون الرشيد العباسي من قصيدة :

أفي الاماقي انقباضٌ عن جفونهما وفي الجفون من الآماق تقصيرُ

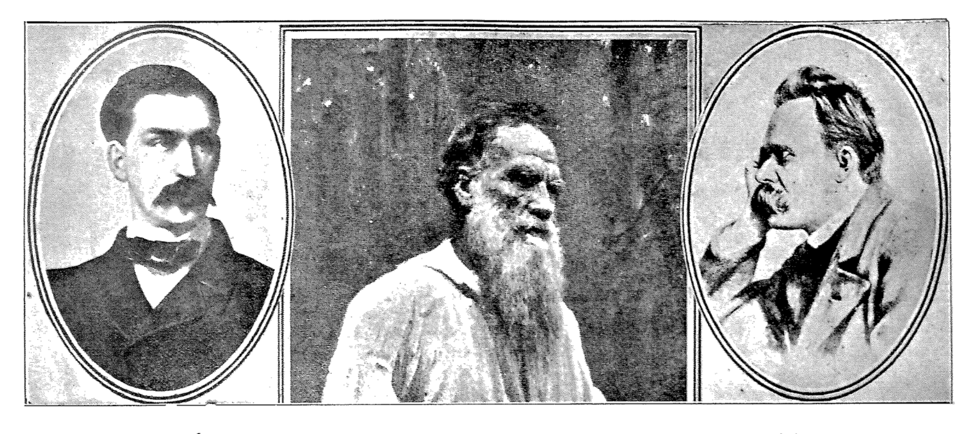
فاخذهُ من قول بشّار الذي احسن فيهِ كل الاحسان وهو قولهُ :

جفت عيني عن التغميض حتى كأن جفونها عنها قصارُ

عيسى اسكندر معلوف

---

(١) ويروى الدندن وهي بمعنى أصل الشجرة



نتشه معلم الالمان

تولستوي معلم الروس

ترتشكي معلم الالمان

المقتطف صفحة ٥٥١ مجلد ٤٥

ترتشكي معلم الالمان

من رأْي جماعة من الكتَّاب الذين بحثوا في ما ابداهُ الالمان من اعتدادهم بانفسهم واعتقادهم انهم افضل امم الارض وقد انتُدبوا للسيطرة على العالم وايرادهِ موارد السعادة ان غارس هذا الاعتقاد فيهم هو استاذهم ترتشكي . وهو اصلاً من اهالي سكسونيا ولد بمدينة درسدن سنة ١٨٣٤ ودرس في جامعتي ليبسك وبُن واقام في بن يلقي الخطب في التاريخ والسياسة فاقبل عليهِ الطلبة لابتكار آرائهِ وحسن اسلوبهِ لكن حكومة سكسونيا رأَت فيهِ من التطرف ما منعها من جعلهِ استاذاً في مدارسها

وكان يذهب الى ان لا بدَّ لممالك المانيا من ان تتحد معاً وتصير مملكة واحدة فتثل عروش الممالك الصغيرة التي فيها ولا يبقى منها الاَّ عرش واحد وراية واحدة تنضوي تحتها الامة الالمانية فكان لمذهبهِ هذا وقع عظيم في بروسيا لانها اكبر ممالك المانيا فجُعل استاذاً في جامعة فريبرج (ببروسيا) ثم لما نشبت الحرب بين بروسيا والنمسا اتى برلين وترك رعويتهُ السكسونية التي ولد فيها واخذ الرعوية البروسيانية وجُعل محرراً في احدى جرائدها فكتب مقالة شديدة اللهجة طلب فيها ضم هنوفر وسكسونيا الى بروسيا وانحى باللائمة على ملك سكسونيا فاغتاظ ابوهُ منهُ وسخط عليهِ لانهُ كان ضابطاً كبيراً في الجيش السكسوني ومن المقربين الى ملك سكسونيا . ثم جعل استاذاً في جامعة برلين سنة ١٨٧٤ وكان قد صار عضواً في مجلس النواب الالماني سنة ١٨٧١ ومن ثم الى ان توفي سنة ١٨٩٦ بقي من اشهر الرجال في مدينة برلين - ولما توفي سيبل المؤَرخ محرر المجلة التاريخية خلفهُ في ادارة تحريرها وكان اولاً من الحزب الحر فتركهُ وصار من انصار الاسرة الامبراطورية والممجدين لها

ويقال انهُ ما من احد استهوى اهل بلادهِ واستولى على عقولهم مثلهُ وكان شديد الوطأَة على كل الاحزاب التي يظن انها تأُول الى إضعاف المانيا او الوقوف في سبيل تقدمها وتفوقها فلا ينفك عن مهاجمتها والتنكيل بها . وساعد الحكومة في ما سنتهُ من القوانين لمقاومة الاشتراكيين والبولونيين والكاثوليك واليهود . وكان من الداعين الى التوسع في الاستعمار ولذلك كان عدوًّا لدوداً للانكليز ويقال انهُ هو المسبب الاكبر لما نشأ في نفوس الالمان في اواخر القرن الماضي من البغض لانكلترا

وكان في اول امرهِ من نواب الاحرار في مجلس النواب ثم انحاز بعدئذٍ الى المحافظين

المعتدلين وصار منهم ولكنهُ كان ضعيف السمع فلم يستطع الاشتراك في مباحثات المجلس

ولهُ مقام رفيع في علم التاريخ وقد اقتصر على التاريخ السياسي وعلى الازمنة التي جرت فيها حوادث سياسية كبيرة وكان همهُ الاكبر موجهاً الى تاريخ بلادهِ وقلما ابتعد عن المانيا . واكبر موَّلفاتهِ شأناً تاريخ المانيا في القرن التاسع عشر طبع الجزء الاول منهُ سنة ١٨٧٩ ثم طبع اربعة اجزاء اخرى ولم يصل بهِ الأ الى سنة ١٨٤٧ . ومن اشهرها كتابهُ في السياسة ومقالاتهُ العديدة في المواضيع السياسية والتاريخية

وكان اديباً حسن السيرة كتب وهو في الخامسة عشرة عبارة جعلها شعاراً لحياتهِ وقانوناً لسيرتهِ وهي قولهُ « يجب ان اسير بالاستقامة دائماً واكون عفيفاً اديباً شجاعاً نافعاً لنوع الانسان » . وسعى دائماً لكي لا يحيد عن هذه الخطة وقد انتقل من حزب الاحرار الى حزب المحافظين لانهُ اعتقد ان عظمة المانيا تتوقف على قوتها الحربية وعلى ملاشاة الدول الصغيرة . وحسب ان نجاح الامم في تنازع البقاء هو النتيجة المقدورة لها بالقضاء الالهي فلا بدَّ للامم من ان تتنازع البقاء وانما يفوز منها اصلحها لهُ بتوفيق الهي

وكان حرًّا في اقوالهِ وآرائهِ ومعاملاتهِ يكره التحيُّل والمحاولة والمواربة فانحى باللائمة على رجال القانون الذين حاولوا ان يجدوا مسوغاً قانونيًّا لضم دوقيتي شلسوك وهولستين لى المانيا وقال ان الغرض الذي ترمي اليهِ المانيا اقتضى ضمهما فضمتا من غير مسوّغ قانوني

ومن هذا القبيل ما قالهُ عن الحرب وهو

« لا يليق بالالمان ان يرددوا قول رسل السلام وعبَّاد المال الذي لاكتهُ الالسنة ولا ان يتغاضوا عن مطالب العصر ولو كانت ممَّا يوءلم النفوس . نعم ان عصرنا عصر حرب وزماننا زمان صدام فاذا تغلَّب القوي على الضعيف فيكون قد جرى على مقتضي سنَّة الكون التي لا تتغير وقضاء الله الذي لا مردَّ لهُ . فالمجاعات التي تفشو الآن بين قبائل الزنوج وتقلل عددهم ضرورية للمعيشة في قلب افريقية كالحروب التي تثيرها الامم للاحتفاظ بافضل مقتنياتها الادبية . تلك لازمة من باب مادي وهذه لازمة من باب ادبي »

وكان من اهل التعليل اي الذين يعللون كل شيءٍ بارجاعهِ الى مبدإٍ ادبي ويقولون ان الغاية تبرر الواسطة . ولم يخطر لهُ ان الواسطة قد تُفسد الغاية او تصير غايةً لذاتها الاَّ في اخريات ايامهِ بعد ان ذاعت تعاليمهُ وشاعت واعتنقها الالوف من مريديهِ . وكان يعتقد ان الحروب تربي المروَّة والشهامة في النفس وان تركها والانقطاع للتجارة يضعفان العزائم ويصغّران النفوس فاحتقر الانكليز لانهم اثاروا حروبهم لكي يوسعوا متاجرهم وقال ان

دعاتهم يحملون التوراة في اليد الواحدة والافيون في الاخرى وان الالمان افضل ام اوربا سيرةً واشدهم تديناً . وكان الامر كذلك حينما جاهر بهذا القول

لكن بهرعينيهِ فوز المانيا في حربها مع النمسا فاحتقر ماضيها الادبي المجيد وقال ان غيتي وكنت ومن حذا حذوهما في عصرهما كانوا شعراء واهل خيال لا سياسة لم ولا عظمة يبغونها وان كل فارس الماني يكسر رأس رجل كرواتي ينفع المانيا اكثر من امهر كاتب في يدهِ ابلغ قلم . ولولا صممهُ لانتظم في الجيش مثل ابيهِ

ولم ينفرد في آرائهِ بل شاركهُ فيها كثيرون من نوابغ عصرهِ مثل نيبهر ورنكي وممسن وسيبل وهومبر ودرويسن وغنست وكلهم من كبار المؤرخين فانهم ضربوا على نغمة واحدة وهو القضاء على الممالك الصغيرة وضمها كلها الى مملكة واحدة واذاعة الكراهة لفرنسا . الاَّ ان ترتشكي كان اكثرهم تدقيقاً وتمحيصاً وابعدهم عن التحيُّل والتمحُّل والتماس الاعذار فسهل عليهِ ان يجاري بسمارك اكثر مما سهل عليهم . ومن اقوال بسمارك لهُ « ان نسيجنا السياسي ليس ناصع البياض كما يجب ان يكون لكن ذلك لا يقلق ضميري » . وكان يتمنَّى ان تشمل مملكة بروسيا المانيا كلها ولا يبقى فيها ملك غير الامبراطور . ثم توسَّع في هذه الامنية وودَّ ان تتسلط المانيا على المسكونة كلها او تكون الدولة العظمى فيها ولها الكلمة العليا ورأى ان ذلك لا ينال الاَّ بتقصير اشبار انكلترا اولاً ومحق اسطولها وهو الذي حث الالمان على انشاء الاساطيل

وكان يقول بوجوب ضم الالزاس واللورين الى المانيا قبل الحرب السبعينية وتحرير سكانهما من نير فرنسا واقناعهم بان اصلهم المان ولو كانوا قد نسوا ذلك او تناسوهُ وهاك ما قالهُ في هذا الصدد

« نحن الالمان نعرف المانيا ونعرف فرنسا ونعرف ما هو اصلح للالزاس اكثر من اهلها الذين يجهلون ما هي المانيا بسبب اختلاطهم بالفرنسويين فيجب ان نردهم الى اصلهم رغماً عنهم »

وكان يعتقد ان الفضائل ستَينع في المانيا المتحدة وتساعدها على تهذيب العالم ولكن خاب ظنهُ فلما عيَّدت المانيا عيد معركة سيدان الخامس والعشرين خطب في جامعة برلين فقال

« لقد انحطَّت آدابنا من كل وجه وتلاشى من اهل هذا الجيل الاحترام الذي قال غيتي انهُ غاية كل التعاليم الادبية . الاحترام لله . الاحترام للحدود الفاصلة بين الرجال والنساء التي وضعتها الطبيعة واثبتها العرف . الاحترام للآداب الوطنية التي نراها قد تلاشت امام سراب الحرية . زاد التعليم انتشاراً فزاد تفاهةً واحتقر الناس تمشق اسلافهم وهم لا يعبأون الآن الاَّ بما يفي بغرضهم ويجنون منهُ النفع العاجل »

قال ذلك وقال ما هو اكثر منهُ لانهُ كان مخلصاً اخطأ في اعتقادهِ واخطأ في تعاليمهِ ثم رأى نتيجة خطإهِ بعينيهِ ولعلَّهُ ندم على ما بدر منهُ ولات ساعة مندم . والآن تجني المانيا نتائج خطإهِ وخطإ غيرهِ من الذين علَّموها ان تمتلك الناس بالسيف لكي تصيرهم فلاسفة ويشاركها في مضار ما جنتهُ اهالي اوربا كلهم واهالي المسكونة اجمع

الكسل

نشر الكاتب الاميركي ادنكتون بروس مقالة في الكسل في مجلة مكلور فرأيت ان اعربها لما فيها من الفوائد العلمية والعملية قال : —

قرأت بعض المؤلفات العلمية الحديثة في التعليم فرأيت فيها قولين متناقضين في الكسل اولهما ان محبة العمل والاجتهاد خلة يكتسبها الانسان اكتساباً وليست طبيعية فيهِ لان ميلهُ الطبيعي يدفعهُ الى السير في الجهة التي يلقى فيها اقل ما يمكن من المقاومة . وثانيهما ان محبة العمل فطرية في الانسان ولكنهُ يكتسب الكسل اكتساباً

ولدى القائلين بكلٍّ من القولين شواهد عديدة يستندون اليها . فالطفل كثير الحركة لا يهدأُ ابداً فيصرف النهار بطولهِ في تناول الاشياء التي امامهُ وفكها وتركيبها او في القاء السؤالات في المواضيع المختلفة . راقبت احدهم ولداً لهُ لم يتم عليهِ الحول الاول من العمر يمتحن صائر الباب فكان يجلس يوماً بعد يوم يتسلى بفتح الباب واغلاقهِ . وشاهد آخر ابناً لهُ يبلغ من العمر اربعة عشر شهراً يلعب بصندوق صفيح يرفع غطاءهُ ثم يعيدهُ الى محلهِ وقد فعل ذلك تسعاً وسبعين مرة من غير فترة . وكل من راقب طفلاً رأى ايضاً انهُ لا ينقطع عن الحركة . ثم ان كثرة السؤالات التي يلقيها الاولاد واختلاف مواضيعها دليل على ان عقولهم تعمل دائماً . وما تقدم يؤيد قول الفريق القائل بان حب العمل فطري في الانسان

غير انَّا اذا نظرنا الى هذا الطفل المجتهد وقد تجاوز سن الطفولية وجدنا فيهِ تغيراً بيناً يؤيد قول الفريق الآخر وهو ان محبة العمل والاجتهاد خلة يكتسبها الانسان اكتساباً وان اكتسابها لا يكون الاَّ بالضغط الشديد . فاذا زرت المدارس سمعت المعلمين يشكون كسل الطلبة واذا زرت المعامل سمعت الرؤساء يتذمرون من كسل العمال والمستخدمين ومن انهم يضيعون الوقت في ما لا طائل تحتهُ مجتنبين الكد والسعي المتواصل ما امكن . بل اذا راجعت تراجم الذين اشتهروا في العالم رأيت ان الاجتهاد لم يكن طبيعيًّا في كثيرين منهم بل كان

خلة اكتسبوها في الادوار المختلفة التي تعاقبت عليهم . فتشارلس داروِن الشهير كان شديد الكسل في صباهُ حتى خشي والدهُ ان يشب على الكسل و يكون عاراً على عائلتهِ . والسر تشارلس ليل الجيولوجي الشهير كان يكرهُ العمل على اختلاف انواعهِ . وبلغ الكسل من جيمس رسل لول الكاتب الاميركي مبلغاً اضطر روءساء جامعة هارفرد الى اقصائهِ عن المدرسة . وما تقدم يصدق ايضاً على هنريك هاين والسر همفري داڤي وصموئيل جنسن الذي قال انهُ لم يصل الى ما وصل اليهِ من الشهرة الاَّ بضرب المعلم اياهُ ضرباً مبرحاً . وبلزاك الكاتب الفرنساوي الشهير قال ايضاً ان الميل الى الكسل لم يفارقهُ حتى في السنوات التي اشتهر فيها بتآليفهِ العديدة بل كانت نفسهُ تحدثهُ دائماً بترك العمل وصرف الوقت على بساط الراحة

ويستنتج مما تقدم عن اجتهاد الاطفال في اول حياتهم ثم انقلاب هذا الاجتهاد الى كسل متى دخلوا المدارس او بدأوا العمل في ميدان العالم ان الاجتهاد غريزي في الانسان والكسل طارىء وان الكسل حالة باثولوجية او بعبارة اخرى انهُ مرض يستدعي المعالجة وان من يبتلى بهِ مريض اولى بالشفقة منهُ باللوم . وقد يجهل انهُ مريض ويرضى عن حالتهِ والرجاء بمن كان كذلك ضعيف . وقد يعلم بحقيقة مرضهِ ويأخذ منهُ الخجل والخوف من افتضاح امرهِ . شكا مرة احد المصابين بهذا الداء امرهُ الى طبيبهِ قائلاً « ابدأ بالشيء ولا اتمهُ اذا خطر على بالي ان اعمل عملاً التهبت حماساً واخذت اعمل فيهِ بجد غير ان الوصول الى الغاية يستدعي المثابرة على العمل وهذا ما لا طاقة لي بهِ ولذلك لم اتم امراً في حياتي . مررت مرة في ضواحي احدى المدن بقطعة ارض قد بنيت عليها جدران ثلاثة منازل او اربعة ولكنها لم تسقف ولم تركب فيها الابواب والشبابيك وقد مضى عليها بضع سنوات وهي على هذه الحال . فقلت في نفسي ما اشبه هذه الارض وهذه المنازل بعقلي وبما فيهِ من الاعمال التي بدأتها ولم أتمها »

وبديهي ان اول سوءال يخطر على البال بعد ما تقدم هو كيف يمكن الوصول الى معرفة حقيقة هذا الداء واي علاج يجب استعمالهُ لمداواتهِ خصوصاً في هذا العصر الذي اشتد فيهِ العراك في ميدان الحياة . ولو سئلنا هذا السوءال منذ بضع سنوات لما امكننا الاجابة عليهِ بالوضوح التام فان الاعتقاد الذي كان سائداً حينئذٍ هو ان الكسل ضعف في الارادة . نعم ان الكسل ضعف في الارادة ولكن الارادة ذاتها خاضعة للعوامل المادية والمعنوية التي توءثر في الجسم

وقد بحث العلماء خصوصاً بعض العلماء الفرنساويين في الكسل وكان لما اكتشفوهُ تأثير مفيد جدًّا في مداواتهِ . فقد اتضح لهم ان لهُ علاقة مهمة بضعف المجموع العصبي . واعراض هذا الضعف ابطاء القلب في عملهِ وقلة الضغط في الاوردة وضعف الدورة الدموية . قال تيودول ريبو احد كبار الباحثين في هذا الموضوع « ان دماغ الكسلان لا يقدر على العمل ولو ارادهُ واذا عمل كلَّ حالاً من التعب وهذا هو داء الكسل » وقد ظهر لبعض الباحثين ان منظر الكسالى قد يدل على انهم متمتعون بالصحة التامة ولكنهم كلهم مصابون بضعف المجموع العصبي وليس في امكانهم اجهاد انفسهم كثيراً ولا يقوون على اتمام اكثر من اعمالهم الضرورية الاعتيادية . ولا نعني بما تقدم ان الكسل نتيجة حالة مرضية في بنية كل الكسالى فان الابحاث التي اجراها العلماء قد دلت على ان الكسل غالباً نتيجة خلل في اداء الاعضاء لوظائفها وقد يكون هذا الخلل ناتجاً عن مرض في البنية . فالذين بحثوا في كسل اولاد المدارس وجدوا ان من اهم اسبابهِ الغدد التي تنمو في مؤخر الانف (Adenoids) فانها تعيق حركة تنفس الولد كثيراً فتضعف قواهُ الحيوية فيصعب عليهِ العمل العقلي والبدني ويصبح هدفاً لتعييرات والديهِ ومعلميهِ وعقوباتهم في حين ان علاجهُ لا يقوم بضربهِ بالعصا بل بعملية جراحية بسيطة

وقد كانت نتيجة هذه العملية الجراحية البسيطة وافية بهذا الغرض في كثير من الحوادث . عمل احد الاطباء عملية من هذا النوع لابنة في الرابعة عشرة من عمرها فنمت نحو سبعة سنتمترات في ثلاثة اشهر وتقدمت في دروسها تقدماً يذكر . وراقب احدهم ولداً في التاسعة من العمر نحيف الجسم شاحب اللون كسلان الى حد البلاهة وقد جعلهُ رفاقهُ في المدرسة هزءًا ومجزية فاستأصل الجراح الغدد التي في مؤخر انفهِ بعد ان استدل على وجودها بثقل سمع الولد وتنفسهِ من فيهِ فرجع الولد الى المدرسة وقد تحسنت احوالهُ الجسدية والعقلية تحسناً كبيراً

ومن اسباب الكسل امراض العيون خصوصاً طول النظر والمصابون بهِ من الاولاد يظهر كسلهم غالباً في الدرس فقط لا في اللعب لان القراءة تتعب عيونهم ولا تتعبها الالعاب الرياضية . واعراض طول النظر النعاس والتثاؤب ووجع الرأس وقد جاءت معالجة هذا المرض بنتائج مدهشة[1]

---

(١) (المعرب) قرأت في مجلة الكلية الاميركية في بيروت ان والدًا احضر اليها ولدهُ وكان قد اخرج من مدارس عديدة لكسلهِ وطلب ادخالهُ فيها . فلحظ رئيس الكلية ان الولد احول فاشترط على الاب لقبول ابنهِ ان يقبل باجراء عملية الحول لهُ . فقبل الوالد بذلك وتغير الولد بعد العملية وصار مجتهدًا في دروسهِ

وخلاصة القول ان كل ما يضعف المجموع العصبي يسبب الكسل . وقد يزول الضعف ولا يزول الكسل بزوالهِ لان المصاب يكون قد قام في نفسهِ انهُ لا يمكنهُ العمل فيزول العارض و يبقى هذا الاعتقاد متمكناً منهُ حتى يتيسر لهُ من يقنعهُ ان السبب الذي كان يمنعهُ عن العمل في الماضي قد زال تماماً . و يتذرع لذلك بالوسائل المادية والادبية اي تحسين صحة المصاب الجسدية واقناعهُ بالوسائل الادبية شيئاً فشيئاً بان العمل ميسور لهُ . والافضل في مثل هذه الاحوال ان يُعوَّد الكسلان على العمل تدريجاً وان تكون ساعات العمل في الاول قليلة حتى لا يكل وان يغرى بالمواعيد ليجد لذة في عملهِ

ومما يفيد ذكرهُ ان الذين كسلهم ناتج عن ضعف البنية قد يشفون منهُ اذا كان لم ما يغريهم بالعمل من العوامل الادبية او المطامع التي تنسيهم امراضهم وضعف بنيتهم . وافضل مثال لذلك تشارلس دارون فقد تقدم القول انهُ كان مصاباً بالكسل في حداثتهِ ولكنهُ كلف بدرس التاريخ الطبيعي واجتهد في البحث عن اصل الانواع . واعتلت صحتهُ مما قاساهُ في اسفارهِ من المشاق غير انهُ داوم العمل نحواً من اربعين سنة لم يشعر فيها يوماً واحداً ان صحتهُ تامة كباقي الناس واتم من الاعمال ما يقصر عن اتمامهِ كثيرون من اصحاء الابدان . فتغلب على ضعفهِ واقنع نفسهُ ان الجد والعمل ممكنان لهُ

وقد اشار احد الاطباء الذين بحثوا في الكسل بالعلاج الآتي : اذا اردت ان تصلح حال الكسلان فانتخب لهُ العمل الذي يوافق قواهُ ثم حسِّن لهُ اتمامهُ واظهر لهُ ما في ذلك من الفخر والثروة وما اشبه . وأعِدْ ذلك على مسمعهِ المرة بعد الاخرى حتى يشعر انهُ لا بد من الوصول الى الغاية التي وضعتها نصب عينيهِ . ثم اذا رأيت ذلك منهُ افهمهُ ان الغاية التي ينشدها لا تنال الاَّ بالسعي والجد وانهُ اذا لم يكد و يسعَ تلقفها من امامهِ من هو اكثر منهُ اجتهاداً . وعليهِ فعلاج الكسل يكون اولاً باثلوجيًّا او جراحيًّا اي بمعالجة جسم الكسلان ثم ادبيًّا اي بطريقة الاستهواء كما تقدم

ومما يحسن ايرادهُ هنا ما اشار بهِ احد الاطباء من وجوب تشجيع الاطفال على مداومة التفكير والقاء الاسئلة عوضاً عن زجرهم واسكاتهم . فالقاء الاسئلة غريزي في الاطفال ويجب ان يستخدم الوالدون هذه الغريزة في تعويد اطفالهم على البحث في المسائل بحثاً منظماً وان يراقبوا صحتهم حتى لا يضعف المجموع العصبي . فاذا قام الوالدون بذلك قلَّ عدد الكسالى كثيراً . فالولد الذي يعتاد الدرس والعمل في طفوليتهِ يبقى الاجتهاد ملازماً لهُ كل حياتهِ . فدواء الكسل ليس العقاب بل العلاج الطبي والتدريب

كسلان

رتبة الاحياء الدنيا بين الكائنات الحية

وقف العلماء زمناً عن البت في امر الاحياء الدنيا أمن النبات هي ام من الحيوان فكان فريق منهم يحسبها من النبات وآخر يحسبها من الحيوان ووقف فريق بين بين فاعتبرها من النبات والحيوان بلا تمييز . وكذلك اختلفوا في تسميتها بادئ بدء فاطلق سيديو[(١)] عليها اسم المكروبات[(٢)] وسماها هيكل[(٣)] بروتستا[(٤)] وسماها آخرون بكتيريا[(٥)] واطلق عليها غيرهم كلمة جرم[(٦)]

لم يختلف العلماء في حقيقة هذا الكائن الحي الصغير اعتباطاً وانما ساقهم الى الاختلاف فيهِ العلم وما رأوهُ من مقارنتهِ بما كان معروفاً من الحيوانات والنباتات الدنيا من امثال الاميبا[(٧)] والهياتوكوكوس[(٨)] وغيرها وما وجدوهُ من الفروق والمشابهات التي ادت الى هذا الاختلاف

ان عدم الجزم بان هذه الاحياء الدنيا من النباتات او الحيوانات ادَّى الى هذه التسمية المبهمة لتوقف العلماء عن القطع بحقيقتها لشبه كثيرة فقالوا مثلاً ان الحركة من مميزات الحيوانات على العموم وهذه الاحياء الدنيا تتحرك بحركة ترى جليًّا تحت المكرسكوب فهل يقطع بانها حيوانات ولكنهم رأوا من جهة اخرى ان عدداً من النباتات الدنيا تتحرك هذه الحركة فتوقفوا عن القطع بانها نباتات او حيوانات . وقالوا ان اللون الاخضر[(٩)] من مميزات النباتات على العموم وان هذه الاحياء الدنيا عديمة اللون الاخضر الأ فيما ندر فهل يمكن

---

(١) شارل امانويل سيديو (C.E. Sedillot) جراح فرنسوي ولد في باريس وعاش (١٨٠٤-١٨٨٣)

(٢) مكروب (Microbe) كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين مكرُوس (Mikros) وبايوس (Bios) ومعناها الحياة الصغيرة

(٣) ارنست هيكل (E.H. Haeckel) بيولوجي الماني شهير ولد في بتسدام سنة ١٨٣٤ واشتغل بدراسة الطب والحيوانات في برلين وفينا

(٤) بروتستن (Protiston) كلمة يونانية تدل على الحي الاول سواء كان نباتاً او حيواناً

(٥) بكتيريم (Bacterium) ماخوذة من كلمة بكتيرين (Bakterion) اليونانية ومعناها عصية

(٦) جرم (germ) ماخوذة من كلمة جرمن (germen) اللاتينية ومعناها نبت او نطفة

(٧) اميبا (amoeba) اسم يوناني اطلق على حيوان دنيء من نوع البروتوزوى مكون من خلية واحدة ليس لها جدار ولذلك تاخذ اشكالاً مختلفة كما يفهم من تسميتها باميبا

(٨) هيماتوكوكوس (Haematococcus) كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين : (Haematos ومعناها دم وcoccus ومعناها كرة) وهي تدل على نبات دنيء مكون من خلية واحدة كروية الشكل قد يكون لونها احمر شبيهاً بالدم

(٩) اللون الاخضر مسبب عن المادة الخضراء (Chlorophyll)

اعتبارها من الحيوانات ولكنهم توقفوا عن القطع بذلك عند ما رأوا بعض الحيوانات الدنيا كاليوغلينا مثلاً لهُ لون اخضر و بعض النباتات الدنيا كالفطر عديم اللون الاخضر . وقالوا ان من مميزات النبات على وجه العموم تكوّن جدران خلاياهُ من مادة سليلوسية[1] ومن مميزات الحيوان تكون جدران خلاياهُ من مادة آلية نيتروجينية[2] ورأوا ان الاحياء الدنيا تتكون جدران خلاياها من المادة الثانية دون الاولى على الاكثر فهل يمكن القطع بأنها من الحيوانات لهذا الشبه . وقالوا ان من مميزات الحيوان انهُ يتغذى بالمواد الآلية ومن مميزات النبات انهُ يتغذى بالمواد غير الآلية في الاكثر ورأوا ان الغالب في الاحياء الدنيا انها تتغذى بالمواد الآلية فتوقفوا عن الجزم بانها من الحيوانات او النباتات . ورأوا غير ذلك من الشبه التي لا يمكن البت معها في امر هذه الاحياء كما امكن البت بان النخلة نبات والارنب حيوان

لم يمنع قيام الشبه السابقة علماء النبات من جعل هذه الاحياء الدنيا في اسفل رتب النباتات كما يأتي

قالوا لم تكن الاحياء الدنيا من نوع الحيوان في اول الخليقة اذ لو كانت من نوعهِ لاحتاجت في تغذيتها الى المواد الآلية مثلهُ وهذا يستدعي وجود احياء سابقة وهو غير المفروض . وقالوا انها كذلك لم تكن من نوع النبات لانها لو كانت من نوعهِ لوجب ان تكون مشتملة على المادة الخضراء لكي تتغذى بالمواد غير الآلية البسيطة واشتمالها على المادة الخضراء اذ ذاك مستحيل اذ المادة الخضراء مركبة لا بسيطة والعلم اثبت استحالة وجود المركبات من هذا النوع في الطور الاول من الحياة وعليهِ فلم تكن من النباتات كما انها لم تكن من الحيوانات

من الممكن ان الاحياء الاولى كانت تتغذى بالمواد غير الآلية البسيطة بدون احتياج الى المادة الخضراء فقد شوهد ان بعض الاحياء الدنيا الآن لا تشتمل على المادة المذكورة وتتغذى بالمواد غير الآلية فقط[3] وعليهِ فان لم تكن نباتاً فهي اشباه بالنبات

اعتبرت الاحياء الدنيا اشباهاً للنباتات الى سنة ١٨٥٧ فلاحظ العالم نجيلي[4] وجه

---

(١) السليلوس (Cellulose) مادة آلية مركبة من الكربون والهيدروجين والاكسجين فقط ونسبة تركيب العنصرين الاخيرين فيها كنسبة تركيبها في الماء

(٢) المادة الآلية النيتروجينية (Nitrogenous organic matter) من مميزاتها وجود عنصر النيتروجين في تركيبها

(٣) مكروبات النترجة (Nitrifying Bacteria) تتغذى بالمواد الغير الآلية البسيطة من الارض والهواء مع عدم اشتمالها على المادة الخضراء (Chlorophyll)

(٤) كارل ولهلم نجيلي (C.W. Nägeli) نباتي سويسري (١٨١٧ - ١٨٩١) كان استاذاً في جامعة زيريخ وله ابحاث مهمة في النباتات السافلة والمكروبات

مشابهة بينها وبين النباتات الطحلبية التي تتكاثر بالانقسام كما تتكاثر هذه الاحياء ووجه مشابهة بينها وبين النباتات الفطرية في امور كثيرة فاعتبرها قسماً من النباتات السفلى التي تدخل تحت رتبة الثالوفيتا[1] واطلق عليها اسم الشيزوميسيتز

المكروبات بوجه عام

(١) تركيب المكروب — يتركب جسم المكروب من خلية صغيرة جداً لا ترى بالعين المجردة وانما ترى بواسطة المكرسكوب مكبرة الف مرة او اكثر. ويصعب درس هذه الخلية نظراً الى صغر حجمها المتناهي ومع ذلك فقد يشاهد فيها عند التأمل مادة شفافة في الغالب لزجة قد تكون مشتملة على حبيبات دقيقة جداً وهذه المادة تسمى بالبروتوبلاسم[2] ويحيط بالمادة المذكورة غلاف من مادة آلية نيتروجينية يتكون منهُ جدار الخلية . اما البروتوبلاسم فمركب من الكربون والهيدروجين والاكسجين والنيتروجين وفي الغالب من عناصر اخرى مثل الفصفور والكبريت وغيرها بنسب مختلفة لم يتمكن الكيماويون من وضع علامة كيماوية لها

ولا يرى في الخلية نواة محدودة كما في الخلايا الراقية وانما يشاهد فيها حبيبات كروماتينية[3] غالباً قد تكون منتشرة او متجمعة في اطرافها والحبيبات المذكورة معتبرة كنواة لها

وقد يوجد بعض الاحيان في البروتوبلاسم حبيبات زيتية او كبريتية او نشوية او غليكوجينية او حديدية غير الحبيبات الكروماتينية المذكورة تحقق وجودها بطرق كيماوية عملت في الخلية المكروبية

(١) الرتبة الاولى من النباتات هي الثالوفيتا (Thallophyta) وتشمل على جميع النباتات التي يستحيل تمييز جذورها عن سوقها وتكون اجزاؤها خيطية وتحتها ثلاثة اقسام (الاول) الشيزوميسيتز (Schizomycetes) اي المكروبات او الفطر الذي يتكاثر بالانقسام (fission) (والثاني) الفنجاي (fungi) نباتات فطرية عديمة المادة الخضراء ولذلك لا تمثل ثاني اكسيد الكربون من الهواء (والثالث) الالجي (algae) اي النباتات الطحلبية ذات المادة الخضراء . هذه اقسام الرتبة الاولى وهناك رتب ثلاث ارقى من هذه هي البريوفيتا (Bryophyta) والبتريدوفيتا (Pteridophyta) والفنيروجاميا (Phanerogamia)

(٢) البروتوبلاسم (Protoplasm) كلمة مركبة من كلمتين يونانيتين معناها المادة الاولية للتكوين

(٣) الحبيبات المذكورة وصفت بانها كروماتينية لقابليتها للتلون باصباغ الكروميوم (Chrominm)

(٢) شكل المكروب — للمكروبات اشكال مختلفة اهمها الشكل الكرويّ[١] والشكل العصويّ[٢] والشكل الضمي[٣] والشكل الحلزوني[٤] وفي احوال مخصوصة يتغير شكل المكروب عن الاشكال المذكورة لسبب غير عادي في البيئة كقلة الغذاء ونحوهِ فيكون الشكل غير المنتظم[٥] . وفي بعض الاحيان ينتفخ جدار الخلية المكروبية ويصير لزجاً شفافاً في الماء ذا حجم اكبر من حجم المكروب نفسهِ فتلتصق جدران خلايا عدة مكروبات بعضها ببعض و يتألف منها كتلة لزجة[٦] ليست شكلاً مستقلاً للمكروب وانما هي عبارة عن آلاف من المكروبات متجمعة في كتلة واحدة تشاهد على سطح مياه المستنقعات المحتوية على مواد آلية متعفنة

(٣) حجم المكروب — والمكروبات متناهية في الصغر جداً ولذلك يقاس حجمها بالمكرون[٧] تحت المكرسكوب . فمثلاً قطر المكروب الكرويّ يختلف من نصف مكرون الى مكرونين وطول المكروب العصوي يختلف من مكرونين الى عشرة وعرضهُ نصف مكرون فاقل . ولو اخذ من المكروبات المتوسطة الحجم ١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ مكروب لوزنت مليجراماً واحداً . هذا وقد اثبت العلم وجود مكروبات كثيرة متناهية في الصغر جداً لا نستطيع رؤيتها باقوى المكرسكوبات المصنوعة حديثاً

(٤) انتشار المكروبات — والمكروبات نظراً الى صغرها تنتشر بسرعة فائقة خصوصاً اذا كانت جافة لان الهواء يحملها حينئذٍ الى مسافات بعيدة فتصل الى البحار والانهار وتنتقل الى اماكن كثيرة كالمنازل والاصطبلات وغيرها وتلتصق بالحيوانات وتدخل امعاءها مع الطعام والشراب وتنتقل بوجه عام الى بيئات مختلفة من المياه والاطعمة والالبان والسوائل الاخرى ولا يسلم منها الا المياه التي تتفجر من طبقات عميقة في الارض ودماء الحيوانات السليمة وخلاياها وانسجة النباتات السليمة

و يساعد المكروبات على سرعة انتشارها تكاثرها السريع فهي تتكاثر في كل نصف ساعة مرة في الغالب اذا كان الغذاء كافياً والحرارة مناسبة والبيئة صالحة . واذا عرف ان مكروباً واحداً من مكروبات الكوليرا قد يتكاثر فيبلغ ١ ٦٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠٠٠٠

---

(١) كوكوس (Coccus) (٢) باشلوس (Bacillus) (٣) فبريو (Vibrio)
(٤) اسبيريلوم (Spirillum) (٥) الشكل الغير المنتظم (Involution Form)
(٦) يقال لهذه الكتلة من المكروبات زوجليا (Zooglœa) (٧) المكرون (Micron) او المكروملليمتر مقياس يساوي ١/١٠٠٠ من المليمتر او ١/٢٥٠٠٠ من البوصة

مكروب في اربع وعشرين ساعة عرف ما ينتج عن سرعة هذا التكاثر من مساعدة الانتشار وكثرة المضار فكم يكون مقدار الضرر اذا اهمل مكروب واحد من المكروبات الضارة في سائل كاللبن معد للتغذية مدة ساعات قليلة . ولكن الطبيعة تحول دون تكاثر المكروبات بهذه السرعة الهائلة تخفيفاً لما ينتج عنها من المضار بجملة وسائط كحرمانها من التغذية الكافية او الوسط الصالح لنموها وتكاثرها

(٥) حركة المكروب — اكثر ما تنتقل المكروبات بالوسائل الخارجية كالماء والهواء الى غير ذلك على ان قسماً عظيماً منها غير محروم من حركة ذاتية فيسبح في السوائل التي يعيش فيها الاّ ان سباحتهُ بطيئة نظراً لصغر حجمهِ المتناهي ويساعدهُ عليها ذنيب[١] او جملة ذنيبات دقيقة ملتصقة بها . والمكروبات من حيث ذنيباتها تنقسم الى ثلاثة اقسام (الاول) المكروب ذو الذنيب الواحد في احد طرفيهِ[٢] (والثاني) المكروب ذو الذنيبين او اكثر في طرف واحد او في كلا الطرفين[٣] (والثالث) المكروب ذو الذنيبات المنتشرة حولهُ[٤] فمكروب الحمى التيفودية ومكروب الكوليرا يتحركان حركة ذاتية وقد وجد العلماء ان المكروب الاول يتحرك في الماء الساكن بسرعة ٤ مليمترات في الساعة وان الثاني يتحرك بسرعة تبلغ ١٨ مليمتراً في الساعة

ولا دخل لحركة المكروبات الذاتية في سرعة انتشارها بل انتشار المكروبات المتحركة بذاتها والغير المتحركة لا يتم الاّ بالهواء والماء والحيوان على ما سبق

(٦) تكاثر المكروب — تتكاثر المكروبات بالانقسام اي ان الخلية المكروبية التامة النمو تنقسم الى نصفين مباشرة وهذا لا يتم الاّ في البيئة الصالحة بالحرارة المناسبة والتغذية . و يبتدئ انقسامها بواسطة حاجز يفصل النصف الواحد عن الآخر تماماً وقد يبقى النصفان متصلين احدهما بالآخر لا يفصلها الاّ ذلك الحاجز فيكونان مكروبين ينموان بالتغذية حتى يصير كل منهما في حجم المكروب الاصلي ثم ينقسم كل منهما على الطريقة السابقة وقد يتكون من تتابع الانقسام شبه سلسلة وكل ذلك يتم بسرعة فائقة

وينتج عن تكاثر المكروب الكروي ست حالات : —

(الاولى) وهي التي ينقسم فيها المكروب الى نصفين ينفصل احدهما عن الآخر انفصالاً تامًّا و يصير شبيهاً بالاصل و يقال للواحد منها كوكوس[٥]

(والثانية) ينقسم فيها المكروب الى نصفين كما في الحالة الاولى لكنهما يبقيان

---

(١) وضعنا كلمة ذنيب مقابل كلمة فلاجلوم (Flagellum) اللاتينية لانها البق

(٢) (Monotrichous) . (٣) (Lophotrichous) (٤) (Peritrichous) (٥) (Coccus)

متصلين و يقال لكل زوج منها ديبلوكوكوس [1]

(والثالثة) ينقسم فيها المكروب الى نصفين يبقيان متصلين كما في الحالة الثانية ثم يتكرر الانقسام في مستوى واحد فيتكون من ذلك شبه سلسلة من المكروبات يقال لها ستربتوكوكوس [2]

(والرابعة) ينقسم فيها المكروب الى اربعة اقسام بواسطة فاصلين متقاطعين تقاطعاً عمودياً فينتج من ذلك اربعة مكروبات تبقى متصلة يقال لها تتراكوكوس [3]

(والخامسة) ينقسم فيها المكروب الى ثمانية اقسام بواسطة ثلاثة فواصل متقاطعة تقاطعاً عمودياً فينتج من ذلك ثمانية مكروبات تبقى متصلة يقال لها سارسينا [4]

(والسادسة) ينقسم المكروب فيها بغير انتظام في مستوى واحد فيتكون من ذلك مجموعة مكروبية يقال لها ستفيلوكوكوس [5]

وينتج عن تكاثر المكروب العصوي حالتان مهمتان : —

(الاولى) ينقسم فيها المكروب الواحد الى نصفين بحاجز عرضي غالباً ثم ينفصل الواحد منهما عن الآخر انفصالاً تاماً و يصير شبيهاً بالاصل يقال للواحد منهما باسيلوس [6]

(والثانية) ينقسم فيها المكروب كالحالة الاولى الى نصفين لكنهما يبقيان متصلين ثم يتكرر الانقسام في مستوى واحد حتى تتكون شبه سلسلة يقال لها ستربتوباسيلوس [7]

تحول الطبيعة دون تكاثر المكروبات على ما ذكر بوسائط كثيرة كوجودها في البيئات الغير الصالحة بالجفاف وقلة الغذاء وتراكم الافرازات السامة لها وعدم مناسبة الحرارة ووجود الهواء او عدم وجوده خلافاً لما تقتضيه طبيعتها . ففي هذه الاحوال تزول المكروبات او يقف تكاثرها وتتطور الى حالة كمون كأنها تحتفظ بها ضد المؤثرات الطبيعية ثم تبقى كامنة حتى تتوفر لها الاحوال المناسبة والبيئة الصالحة فتعود الى نشاطها الاول وتتكاثر من جديد ولا تقع في حالة الكمون المذكور الا اذا كانت في وسط جاف فتنتقل في الهواء بسرعة وتنتشر بها العدوى و يعم الضرر الذي ينتج في الغالب عنها

اصطلح العلماء على تسمية هذا الكمون بالتولد الجرثومي [8] وما هو الا توقف او تطور في حياة المكروب يبدأ عند مهاجمة الطبيعة له وقت ضعفه بالتكاثر السابق فيتكون في

(1) (Diplococcus) (2) (Streptococcus) (3) (Tetracoccus)
(4) (Sarcina) (5) (Staphylococcus) (6) (Bacillus) (7) (Streptobacillus)
(8) التولد الجرثومي (Spore Reproduction)

جسم كل مكروب جرثومة[1] واحدة في الغالب من مادة البروتوبلاسم داخل الخلية التي يزول جدارها فتستقل الجرثومة وتكون بيضية الشكل غالباً شفافة يحيط بها جدار مميز لها عن جدار الخلية المكروبية الاصلية . و يلاحظ ان مادة البروتوبلاسم تكون داخل الجرثومة اكثف منها داخل الخلية وجدار الجرثومة اسمك واقوى من جدار الخلية الاصلية . ولذلك تقاوم الجراثيم المؤثرات التي لا يمكن للمكروبات نفسها مقاومتها فلا تموت الجراثيم في الماء الذي في درجة الغليان مثلاً بعد ساعة من الزمن كما تموت المكروبات . وتبقى حافظة لقوة الانبات عدة سنين ولو تركت في بيئات جافة جداً طول هذه المدة فاذا وضعت في البيئة الصالحة نبتت[2] وخرج من كل منها مكروب يتكاثر بالانقسام

محمود مصطفى الدمياطي
مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

فقراء الهند

كانت العادة عند الهنود ان ينفرد بعض النساك منهم في الغابات بالقرب من شطوط الانهر المقدسة فيعكفون على عبادة الآلهة ويعيشون عيشة التقشف زاهدين في الدنيا ولذاتها ويجمعون اليهم تلاميذ يطلعونهم على قوى الطبيعة الغامضة واسرار نواميسها و يفسرون لهم اسفار « الفيدا » Vedas وهو اقدم كتاب ديني وصل الينا

وقد نشأ من هؤلاء النسّاك في توالي الايام طائفة من العباد المتسولين استعار الفرنجة كلمة « فقير» العربية للدلالة عليهم . وقد ادخلوا هذه الكلمة في قواميس لغاتهم فصارت كلمة « فقير» Fakir عندهم تدل على المتصوفة من الهنود الذين ينفردون عن الخلق لعبادة الخالق و يعرضون عن زخرف الدنيا وزينتها . ثم اطلقت على كل النساك الهنود الذين ينقطعون عن الناس زهداً في الدنيا و يعيشون من صدقة المحسنين

وفقراء الهند في يومنا هذا فرقتان . فرقة تؤلف جمعية دينية يهتمّ افرادها بخدمة هياكل الاصنام وارشاد الشعب وتعليمهِ . والفرقة الاخرى قوم من الدجالين يطوفون البلاد عراة الابدان ممرغي الاوجه بالرماد و يتعاطون الشعوذة والسحر

---

(1) جرثومة (Spore) (2) يستغرق انبات الجرثومة زمناً يختلف غالبًا من ثلاث ساعات الى اربع على درجة حرارة مناسبة (٣٠ سنتغراد)

روى العالم جاكوليو انهُ تباحث يوماً مع احد فقراء الهند في العلوم الخفية · فقال لهُ الهندي : انكم معشر الغربيين درستم الطبيعة ونواميسها فانتهى بكم تبحركم في العلوم الطبيعية الى اكتشافات مدهشة واختراعات عجيبة · استعنتم للوصول اليها بالبخار والكهربائية وغيرهما من الهيوليات · اما نحن معشر الشرقيين فندرس منذ عشرين قرناً القوى الروحانية ونستطلع امر اتصال المادة الكثيفة بالروح اللطيفة · وقد وقفنا على سر تأثير النفوس البشرية في عالم العناصر · واتينا من الخوارق ما يفوق اكتشافاتكم واختراعاتكم · وانتم لا تعلمون ما يعانيهِ الفقير الهندي من النصب واجهاد النفس والجسد في المطالعة والرياضة البدنية حتى يبلغ درجة من سلم العلوم الخفية تمكّنهُ من اتيان هذه الخوارق · وقد تطول مدة هذه الرياضة من عشرين سنة الى اربعين

وقد اتى ابن خلدون في مقدمتهِ على وصف هذه الرياضة البدنية فقال : « ومن الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة · فيحاولون بالمجاهدة موتاً صناعيًّا باماتة جميع القوى البدنية · ثم محو آثارها التي تلونت بها النفس · ثم تغذيتها بالذكر لتزداد قوة في نشئها · ويحصل ذلك بجمع الفكر وكثرة الجوع · ومن المعلوم انهُ اذا نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابهُ واطلعت النفس على ذاتها وعالمها · فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل الموت ما يقع لهم بعدهُ وتطلع النفس على المغيبات · ومن هؤلاء اهل الرياضة السحرية · يرتاضون بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المغيبات والتصرفات في العوالم · وكثر هؤلاء في الاقاليم المنحرفة جنوباً وشمالاً خصوصاً بلاد الهند ويسمون هناك « الحوكية » · ولهم كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة · والاخبار عنهم في ذلك غريبة · اما المتصوفة فرياضتهم دينية وعرية من هذه المقاصد المذمومة : »

اما الخوارق التي يأتيها فقراء الهند فتشمل جميع اضرب السحر والشعبذة التي شاع امرها بين بني البشر وجاء ذكرها في كتب الاديان والتواريخ · من نحو استحضار الارواح ومناجاتها · وتناقل الافكار وقراءتها · ومعالجة الامراض بالاستهواء · والارتفاع عن الارض · والطيران في الهواء · والنفوذ في الاجسام الكثيفة· وتكبير حجم المادة وتصغيرها · ورقية الثعابين · وغيرها من الخوارق التي عجز العلماء عن تفسير بعضها ليومنا هذا

ولا يخفى ان مذهب استحضار الارواح الذي يسميهِ الفرنجة « سبيريتزم » Spiritisme نشأ في بلاد الهند ومنها انتقل الى مصر وبلاد العبرانيين على اثر الحروب التي ذهبت بمملكة « بهارات » وحملت بعض قبائل الهند على مهاجرة اوطانها

والذي يجعلنا تقضي العجب نحن ابناء هذا القرن قرن الراديوم والتلغراف اللاسلكي والطيران في الهواء ان هذا المذهب القديم العهد انتشر حديثاً في بلاد امريكا وانكلترا ٠ فاتبعهُ كثيرون من رجال العلم والصحافة ٠ وكان لانتشارهِ دويٌّ عظيم في المسكونة وشغل الجرائد اليومية والمجلات العلمية

وكان من زعماء هذه الحركة الفكرية المستر ستد منشئ مجلة المجلات الانكليزية الذي غرق مع الباخرة تيتنيك منذ ثلاثة اعوام

فهذا الصحافي الشهير تعرَّف بسيدة امريكية من اهل الصحافة اسمها جوليا ايمس Julia Ames كان لها المام باستحضار ارواح الاموات فانقاد لها وتمذهب بمذهبها وانشأ في مدينة لندن عام ١٩٠٩ مكتباً سماهُ « مكتب جوليا » Julia's Bureau تردد اليهِ كثيرون من الخاصة لمناجاة ارواح موتاهم فقالوا انهم انسوا بلقائها ونسوا احزانهم بحديثها ومؤَاساتها

روت السيدة استل ستد ان عدد الذين زاروا ذلك المكتب في ثلاث سنوات وايقنوا بمشاهدة ارواح ذوي قرباهم وخلانهم يزيد على ستمائة نفس ٠ وروت ايضاً ان المستر ستد عاد من بين الاموات بعد يوم وفاتهِ بثلاثة اسابيع ودخل حجرة داخلية من حجر مكتب جوليا حيث كان يجتمع باصدقائهِ في حياتهِ ويحدثهم عن الآخرة ويناجي في حضورهم ارواح الموتى وكان هؤُلاء الاصدقاء مجتمعين في تلك الحجرة لاقامة الصلاة وانتظار تجلي زعيمهم المحبوب ٠ فظهر لهم المستر ستد وكلمهم ثم غاب عنهم في لجة الظلام وصوتهُ يردّد هذه الالفاظ « كل ما قلتهُ لكم هو حق »

وقد صرح المستر ستد برأيهِ في هذا الشأن قبل موتهِ فقال: ان « خبرتي للاشياء تجعلني اؤَمل ان نتوصل بعد مضي مدة من الزمن ومع قليل من الصبر والاجتهاد الى تناقل الافكار بدون واسطة من الوسائط التي نتناقلها بها الآن كالتلفون والتلغراف اللاسلكي »

فاذا قابلنا قول المستر ستد بما قالهُ الفقير الهندي للمسيو جاكوليو رأينا ان الغربيين مع ما وصل اليهِ علماؤُهم من التنقيب عن عالم العناصر واستقصاء العلوم الطبيعية لم يبلغوا ما بلغهُ الشرقيون من التبحر في العلوم الخفيَّة والتوسع في معرفة عالم الارواح

يوسف شلحت

[المقتطف] نرجح انهُ لو لم يغرق المستر ستد لقضى اخريات ايامهِ في البيمارستان مع ما كان عليهِ من سعة المعارف وكرم الاخلاق لشدة تأثير الاوهام فيهِ وميلهِ الى الاستهواء الذاتي

الوراثة

من خطبة الاستاذ وليم باتسون رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني

القسم الثاني

تكلمتُ في القسم الاول من هذه الخطبة الذي القيتهُ في مدينة ملبرن على ما عرفناهُ حديثاً من خواص الاجسام الحية حسب ناموس مندل . واشرت الى قلة الادلة على كيفية نشوء الانواع بعضها من بعض والى انهُ لم يقم دليل صريح على ان هذا النشوء لا يزال جارياً الآن بدرجة كبيرة . والراسخ في الاذهان ان معرفة حقيقة الحياة ادق من ان يوصل اليها بالحدس والتخمين وما الحدس فيها الا كحدس الكيماويين الاقدمين في طبيعة العناصر . ولكن ما عُرف من امر الوراثة كاف للوصول الى نتائج عملية كثيرة ثابتة . ومرادي الآن ان اوضح بعض هذه النتائج في ما يتعلّق بنوع الانسان .

تكلمت في القسم الاول من خطبتي على بعض الحيوانات والنباتات التي تعيش معاً وتتزاوج وتتوالد وهي من اشكال مختلفة . وابنت ان اختلافها مبني على وجود بعض العوامل (او الاصول) الوراثية في الجراثيم التي تتولد منها او عدم وجودها . فان هذه العوامل ومركباتها تولّد المميزات التي نراها في افراد النوع الواحد . ولا تظهر ميزة في حيوان او نبات الا اذا كانت عواملها قد وصلت اليهِ من ابيهِ او امهِ او منهما كليهما وقتما تلقّحت البيضة او البزرة التي تكوّن منها ذلك الحيوان او النبات ولذلك لا يوصل والد الى نسلهِ شيئاً من الصفات وهي ليست فيهِ حتى يسوغ لنا ان نقول ان الصفات الجسدية والعقلية كالذكورة والانوثة واللون ومضاء الذهن والميل الى الامراض وطول العمر وقصرهِ وسائر الصفات التي تتباين فيها افراد الجماعات المختلطة تتعيَّن كلها حينما يتم تلقيح البيضة . وبعض هذه الصفات يقوى او يضعف حسب المؤثرات الخارجية التي تؤثر في صاحبها فلا ينمو بعضها ما لم تناسبهُ الاحوال والا بقي كامناً كما ان الولد الذي لا يأكل لا ينمو . وكل احد يورث نسلهُ العوامل التي وصلت اليهِ من والديهِ ولا يورثهُ غيرها . واذا وصلت اليهِ من احد والديهِ لا منهما كليهما اورثها نصف نسلهِ في المتوسط . ولم ينتبه الناس الى هذه الامور قبلاً على بساطتها لان الولد يولد من والدين فلا يسهل ان يُعرَف ما ورثهُ من كلٍّ منهما . وهو يتكون اصلاً من جرثومتين تتحدان وتكوّنان جسمهُ وفي كل منهما عناصر مختلفة تختلط وتمتزج حتى يصعب الاستدلال على كل منها على حدتهِ قبل ان تظهر نتائجها ولكن متى ظهرت نتائج امتزاجها صار الاستدلال عليها ممكناً

وقد غفل الناس عن هذه الحقيقة قبلاً لانهم كانوا يبحثون عن الانساب بالرجوع فيها الى الوراء فلو نظروا في صفة من الصفات في احد الناس او الحيوانات و بحثوا عن ظهورها في نسلهِ لاهتدوا الى ان معنى الوراثة هو ظهور بعض الصفات وعدم ظهور غيرها . وليس ذلك بالامر السهل من كل الوجوه لان صفات كثيرة تتعارض فيتعذر على الباحث استقصاؤُها كما يظهر في تربية الحيوانات والنباتات

واوضح ما ظهر من امثلة الوراثة في الانسان ما كان منها متعلقاً بشواذ البنية والامراض الوراثية . اما سائر المزايا العادية التي تكون في السليمي البنية فالمعروف من امرها قليل حتى الآن . واوضح ما عُرِف منها ما اثبتهُ هرست وهو انهُ اذا كان الوالدان اشهلي العيون لم يأتِ اولادهما سود العيون . وفي ما سوى ذلك لم يصل البحث حتى الآن الى نتائج مقررة من هذا القبيل ولكن الوصول اليها رهين الاستمرار على البحث

ظهر لبعضهم بالبحث في القمح انهُ قد يجتمع فيهِ كثير من العوامل المتماثلة وكلٌّ منها كافٍ وحدهُ لاظهار الصفة التي يدلُّ عليها ولا تكون هذه الصفة زائدة فيهِ بزيادة عواملها فقد تجتمع فيهِ ثلاثة من العوامل التي تسبب احمرارهُ ولكن حمرتهُ لا تزيد على حمرة ما فيهِ عامل واحد منها . وقد استعمل دڤانبورت وغيرهُ من الباحثين الاميركيين هذه الحقيقة في التعليل عن الوان الخلاسيين المتولدين من تزوج البيض بالسود في اميركا . فان القاعدة في ذلك انهُ اذا تزوج خلاسي بخلاسية وكانا كلاهما في الدرجة الاولى اي ان كلاًّ منهما متولد من ابوين احدهما ابيض والآخر اسود وجب ان يجيء ولد من اولادهما اسود وولد ابيض وولدان خلاسيين ولكن الواقع ليس كذلك و يمكن تعليلهُ بان بعض العوامل تجتمع ولا يظهر لها فعل كما تجمعت عوامل الاحمرار في القمح ولم تؤَثر فيهِ ولكن لم يقم دليل على ذلك . والمرجح عندي ان سببهُ نقص في انفصال الاصول فيتألف من تزاوج الابيض بالاسود خلايا جرثومية لا اسود فيها وخلايا اخرى كلها سوداء وخلايا بين بين ولكن مقدار الاسود والابيض فيها على درجات متفاوتة . وعندي انهُ لو احصي نسل الخلاسيين لوجدنا فيهِ اناساً يماثلون الاب واناساً يماثلون الام واناساً بين بين بعضهم اقرب الى الاب وبعضهم اقرب الى الام على درجات متفاوتة ولعل سبب ذلك تدرُّج انقسام الخلايا بين سرعة و بطء فيكثر انتقال العوامل او يقل . ومهما يكن السبب يبقى ما ذكرتهُ آنفاً صحيحاً وهو ان الحي لا يورث نسلهُ شيئاً لم يصل اليهِ

وقد وجدت امثلة تدل على ان لانتقال العوامل علاقة بكون الانسان ذكراً او انثى

مثال ذلك العمى اللوني والميل الى الرعاف او سرعة نزف الدم فان هاتين العلتين في الرجال اكثر منهما في النساء · اما العمى اللوني فابناء المصاب بهِ لا يرثونهُ منهُ · (ما لم تكن امهم مصابة بهِ) ولا يورثونهُ لاولادهم · و بعض بنات المصاب بالعمى اللوني او كلهنَّ يرثن هذه الآفة و يورثنها لاولادهنَّ ولو لم تظهر فيهنَّ · ومن حيث انهنَّ ورثنها من احد والديهنَّ فقط فنصف نسلهنَّ يرثها · والصبيان الذين يرثون العمى اللوني تظهر فيهم هذه الآفة واما البنات اللواتي يرثنها فتنتقل بهنَّ الى اولادهنَّ ولو لم تظهر فيهنَّ · والرجال الذين لا يظهر فيهم العمى اللوني لا يورثونهُ لنسلهم ولو كان والدوهم مصابين بهِ · وواضح من ذلك ان جراثيم الرجال المصابين بالعمى اللوني على نوعين النوع الواحد يدخل في توليد الذكور وهذا لا تنتقل بهِ آفة العمى اللوني والنوع الثاني يدخل في توليد الاناث وهذا تنتقل بهِ آفة العمى اللوني · وهناك ادلة على ان البيضة قد تكون مكونة ليتولد منها ذكر او لتتولد منها انثى · ولكن البحث في ذلك خارج عن موضوعي وقد ذكرت ما ذكرتهُ لان فيهِ شيئًا من التأييد للقول الشائع وهو ان الصبيان يشبهون امهاتهم والبنات يشبهن اباءهنَّ

اما شواذ الخلقة والامراض الوراثية فالامثلة على انتظام وراثتها كثيرة واوضح مثال على ذلك تفشي داء العشاوة في كورة قرب مونبليه في فرنسا ففي اهل تلك الكورة لا اقل من ١٣٠ اعشى وعشواء يتصل نسبهم جميعًا باعشى واحد حل فيهم في القرن السابع عشر وكل من ظهرت فيهِ العشاوة منهم كان احد والديهِ اعشى ولم تظهر العشاوة في احد وُلد من والدين صحيحي العيون

قيل ان الناس يولدون متساوين ثم ينشأ التفاوت بينهم باختلاف الاحوال التي يربون فيها · ولكن المعرفة بوراثة الامراض ووراثة المواهب تدلُّ على ان ذلك غير صحيح · وقد انجلى ذلك منذ نشر غلتون نتيجة ابحاثهِ في الوراثة حتى لم يبقَ مجال للشك وكان العلماء يحسبون مشابهة الاولاد لآبائهم واجدادهم من الامور التي تستلفت الانظار ولكن لا شأن للبحث العلمي فيها · ولولا اعتقاد غلتون ان كل عضو من الجسم يولّد العضو الذي يقابلهُ في الجنين ولولا معارفهُ الرياضية التي جعلتهُ يفضل الاحصاءات على التحليل والتجربة لاكتشف الحقائق المهمة في الوراثة التي عرفت بناموس مندل

كلما اكتشف اكتشاف ينفع الناس ماديًا بودر الى الانتفاع بهِ و بذلك زيدت سرعة النقل وسهّلت المواصلات والمخابرات وكثرت الاطعمة فازداد عدد الناس · و يجب ان يكون للاكتشافات المبنية على ناموس مندل مثل هذه النتائج اذا انتُفع بها في تربية الحيوانات

والنباتات . ولكني اظن ان اكبر تغيير ستحدثهُ هذه الاكتشافات هو زيادة الرغبة في البحث عن طبيعة الانسان وطبائع الشعوب . ومتى علمنا ان توزع الصفات والاخلاق في البشر خاضع لقواعد مخصوصة فلا شك في ان نظرنا في الحياة وفي الآداب سيتغير وقد يعقب تغيره تغيير عاداتنا الاجتماعية . ولا يمكن ان يكون التغيير في العادات الأ رجوعاً الى البساطة في الاكثر . ادعى فلاسفة القرن الثامن عشر الرجوع الى الطبيعة ولكن لم يخطر لهم ان يبحثوا عن ماهية الطبيعة . وقد ابعدوا عن الحقائق الفسيولوجية كثيراً في محاولتهم ان يجعلوا اساس القواعد الاجتماعية تساوي الناس عند ولادتهم . فالناس لا يولدون متساوين بل هم بعيدون عن ذلك كثيراً حتى ان الطبيعي ليعدهم في طليعة الانواع المختلطة التي تتألف من اشكال كثيرة تتزاوج وتتوالد سوية . لا بل ان سكان كل كورة من الشعب الواحد يتألفون من اشكال واصناف متميزة . فاذا اخذت مدينة من المدن الانكليزية مثلاً وعزلت بعض افرادها ونظرت الى نسلهم بعد بضعة اجيال رأيت فيهِ من الاشكال المختلفة ما يعدُّ بالمئات . ولكن رغماً عن ذلك ترى في المدن اصنافاً من الناس متميزين عن غيرهم لان الميل الغريزي واختلاف الطبقات الاجتماعية والمهن والازياء تفصل الناس بعضهم عن بعض على نوع ما

ويختلف اهل المدنية من الناس عن الحيوان والنبات من قبيل الوراثة في كثرة ما لديهم من الوسائل التي يستخدمونها لاستبقاء الاصناف الدنيا وذوي العاهات منهم . فيتزاوج افراد الطبقات الدنيا من غير وازع وكذلك ذوو العاهات الأ اذا كانت عاهاتهم تقتضي عزلهم في الملاجئ . وذوو العاهات من البشر كثيرون ففي جوار كل مدينة من المدن الكبيرة ملاجئ يسكنها مئات او الوف منهم وعشرات من الاصحاء الذين يقومون على العناية بهم . وحول لندن منقطة من الملاجئ فيها حوالي ٣٠٠٠٠ ذوو العاهات منهم نحو ٢٨٠٠٠ واكثرهم من نسل اناس مثلهم وقليل منهم من نسل الاصحاء . وعندي ان على كل احد ان يعضد العاملين على تحسين نسل البشر في بلادهِ وفي كل بلاد اخرى . ولكن جمعيات العاملين على تحسين النسل قلما تخلو من الميل الى اهمل بالعادات المرعية صحيحة كانت او فاسدة ولو كان لها سلطة لقضت على كثيرين من الذين يمكن استبقاؤهم . وغلتون وهو مؤسس علم تحسين النسل لهُ كلام يؤْخذ منهُ انهُ كان يعتقد ان ما لا بد من تلاشيهِ من اصناف البشر يجدر بالناس ان يعملوا على ملاشاتهِ سريعاً . وهذا خطأٌ فان ابا بيتهوفن كان سكيراً وامهُ ماتت بالسل وقد جاء في انساب البشر الاولين ان ضاربي العود والمزمار وصانعي آلات النحاس والحديد كانوا من نسل قايين الشرير لا من نسل شيث الصالح

في وسع كل امة ان تختار نوع الافراد الذين تتألف منهم ويتم لها ذلك اذا عملت عليهِ في اجيال قليلة وسوف تعمل كل الامم على تحسين نسلها

يجب ان لا تقف الاوهام الدينية سدًّا في سبيل تحسين النسل · نرى الامم الاوربية الراقية تخلع التقاليد القديمة من الافكار والفنون وعلاقات افرادها بعضهم ببعض فهل يعقل انهُ متى مهّد لها العلم الوسائل لتقليل ما في الدنيا من الشقاء الكثير ولجعل الناس اسعد حالاً مما هم انها تتردد في الاستفادة من هذه الوسائل ؟ ان التنازع بين جماعات البشر لم يزل في طور البداية حتى الآن وسيشتد كثيراً لان القوى المخزونة في الارض صائرة الى النفاد · فسينفد الفحم الحجري الذي يسهل استخراجهُ في بلاد الانكليز مثلاً ويترتب عليهِ نقص كبير في السكان الاَّ اذا اكتشف فيها مصدر جديد للقوة · قد اظهرت بعض الشعوب ان في وسعها نبذ كل تقليد والاستفادة من كل قوة جديدة يمكّنها منها العلم فهل تتردد في التخلص من ذوي العاهات اذا تيسرت لها وسائل التخلص منهم؟ ان الوسائل التي تمكن ذوي العاهات والطبقات الدنيا من البقاء كثيرة وهي تزيد كل سنة ولكن يجب ان يوقف العمل بها عند حد · وسوف لا ينقضي زمن طويل قبل ان تنفتح عيون الامم فترى عاقبة تسامحها بتكاثر هذه « الآفات التي نشأت على طول السلم في سكون العالم »

يمكننا ان نمنع تكاثر البله وقد بدأنا بذلك في بلاد الانكليز· ولا محذور من منع تزوج الابله بالبلهاء اذ لا يولد لها ولد سليم العقل ولو كثر اولادهما · ولكن يجب ان لا نتخطى هذا الحد الآن في منع الزواج · وقد يكون لبعض التأثير ايضاً لتغيير القواعد التي يسير عليها الاطباء · فمن القواعد المرعية عندهم ان يبذلوا كل ما في وسعهم لاطالة الحياة ولو كانت عبئاً على صاحبها · ولعلهُ كان لذلك وجه حينما كان تشخيص الامراض قاصراً اما الآن فاستحياء طفل مصاب بمرض عضال حتى لا يؤمل لهُ هناء في حياتهِ ولا يرجى منهُ نفع مثل تعمّد التعذيب لمجرد التعذيب · واكثر الذين شاهدوا اطفالاً من هذا النوع يسلمون ان حالتهم مما يستوجب الاسف ولكنهم يسألون اين يمكن رسم الحد الفاصل بين الاطفال الذين يجوز استحياؤهم والاطفال الذين لا يجوز استحياؤهم · والجواب ان بعض الجماعات المتمدنة سنت قوانين لمثل ذلك في جميع العصور ونجحت قوانينها في تقليل الجرائم والجنون

يأسف البعض لكثرة موت الاطفال غير مفكرين في ما يؤول اليهِ نوع الانسان لو عاش اكثر الاطفال الذين يموتون· وينعى الكتّاب قلة المواليد في بلدان ضاقت على سكانها اذ عندهم ان الامة التي لا يزيد عددها زيادة كبيرة آخذة في الانحطاط وذلك غير صحيح·

ان عدد السكان لا يزيد ولا ينقص اذا كانت الاحوال عادية غير استثنائية . ومدة القرن وربع القرن الاخيرة التي زاد فيها عدد الناس كثيراً كانت استثنائية وقع فيها للانسان ما وقع للارانب في السنوات الاولى بعد ادخالها الى استراليا . فقد زاد الناسَ ما وصلوا اليهِ من السعة باستخراج الفحم الحجري واستثمار البلدان الجديدة وما ترتب على ذلك من تدفق الخيرات على اوربا وساعد على هذه الزيادة اكتشاف المواد المطهرة والمضادة للفساد . ولا شك عندي انهُ لو انتشر البشر في اليابسة على السواء لامكنهم ان يزيدوا كثيراً عما هم الآن ولكن ما دام توزعهم غير منتظم فلا بد من وقوف ازديادهم في كثير من البلدان.

وقد زاد السكان في انكلترا حتى صارت زيادتهم بعد الآن داعياً للعناء لا للراحة . ولكن المرجح ان الجماعات الصغيرة الساكنة في البلدان الواسعة القليلة السكان هي على حق اذا اهتمت بتكثير عددها اذ قد يكون ذلك ضروريًّا لنجاحها اما الذين يعيشون مثلي في بلدان كثيرة السكان فيرون ان قلة السكان في البلاد خير من زيادتهم عمَّا تحتملهُ . يقول ارباب الاحصاء اذا كان متوسط اولاد العائلة اربعة بقي عدد الناس على ما هو لان وفياتهم قبل البلوغ لا تزيد على خمسين في المئة ولكن هذه الوفيات آخذة في النقصان لازدياد الوسائل الصحية فيمكن انقاص هذا المتوسط عن الاربعة

ان عوامل نجاح الشعوب وفشلها هي في نظرنا اسباب فسيولوجية وقد قام تقدم الانسان على سلسلة منها تشبهُ الاسباب التي نتج عنها ارتقاء الحيوانات والنباتات الاهلية من الانواع البرية . فاذا ارجعنا كل تغير ظاهر الى تغير في الاصول فاي تغير في الاصول تم بهِ هذا التقدم في امتلاك ازمة الطبيعة وتسخيرها الذي نسميهِ تمدناً ؟ قد تم بوقوع تباينات جلُّها او كلها ترتبت على فقد اصول كانت تقيّد العقل . ولم يقع هذا التقدم تدريجًا ولا اشترك فيهِ جميع افراد الامم الراقية كما يظن . فالذين يؤَثرون في تقدم المدنية قليلون جدًّا ولكن في وسع كثيرين ممن لا يختلفون عن اسلافهم في شيء من تركيبهم الفسيولوجي ان يسيروا في اثر هؤُلاء القليلين وينفعوا المدنية بالتوسع في ما اكتشفهُ غيرهم والاشتغال بهِ . لولا الطباعة والكيمياء والبخار والكهربائية والجراحة الحديثة لكنا الآن على ما كنا في القرون الوسطى . وهذه الامور كلها ثمرات عقول قليلة نادرة . قدّر غلتون النوابغ بواحد في كل مليون من البشر ولكنهُ عدَّ بين النوابغ اناساً اشتهروا بامور لا تفيد شيئاً في تقدم العالم . ان من يكمل اجزاء آلة مخترعة او يبين طريقة الانتفاع بمعارف لم يُنتفَع بها قبلاً هو من النوابغ لان ذلك فوق متوسط القوى البشرية ولكن النوابغ الذين يكتشفون عوالم جديدة ومعارف جديدة

مثل نيوتن وباستور يندرون ندرة تفوق التصور · ولولا الوف قليلة منهم لكنا حتى الآن في العصر الحجري لا نعرف شيئاً عن المعادن ولا الحساب ولا الكتابة ولا الحياكة ولا صناعة الخزف

ويصح هذا القول ايضاً على تاريخ الفنون الجميلة فان الذين تظهر فيهم قوة الابتكار فيها قليلون جداً بل ان الذين يدركون جمال المصنوعات الفنية التي يعملها غيرهم ويرتاحون اليها هم فوق متوسط الناس · وما شذ عن ذلك الا الموسيقى اذ يظهر انها متأصلة في بعض الجماعات · وموهبة الموسيقى من المواهب الفطرية التي تولد مع الانسان ويمكن تهذيبها وتقويتها بالتعليم والتمرين ولكن لا يمكن اكتسابها بوسيلة من الوسائل · والطريقة الوحيدة التي يمكن ان يصير بها الشعب الانكليزي كلهُ موسيقياً هي ان يكثر فيهِ ذوو المقدرة الموسيقية الى ان يمسي المحرومون منها قليلين لا يعتدُّ بهم · ويمكن ان تتم فيهم هذه المقدرة باختلاط اهل وايلس بهم وعند ذلك تنفتح امامنا مسألة اخرى وهي هل الشعب الناتج من هذا الاختلاط هو الشعب الانكليزي

وقد قامت مسألة مثل هذه في الشعب اليوناني الحديث عموماً وفي اهل اثينا خصوصاً · فقد كان لاهل اثينا في القرن الخامس قبل الميلاد مواهب فنية يفوقون بها اهل اثينا اليوم وجميع الامم الراقية · فكان في وسع عامتهم ان تشهد تمثيل الرواية لاول مرة فتسر بها ولا تفوتها نكتة من نكتها وان تنظر الى التمثال فتطرب لجمالهِ · وقد قدَّر غلتون ان الفرق بين الاثينيين القدماء وبيننا في توقد الذهن يعادل الفرق بيننا وبين الزنوج · ولم يتوال على الاثينيين الاجيال قليلة بعد ذلك حتى انحطوا وذهبت مواهبهم · ولا نعرف كيف اكتسبوا تلك المواهب ولا كيف تاصلت فيهم ولكنَّ فقدانهم لها كان بتزاوجهم من الارقاء المعتوقين والغرباء الذين حلوا فيهم · وكانوا قبل ذلك ينقسمون الى عشائر ولا يكاد فرد من العشيرة الواحدة يتزوج في العشيرة الاخرى فضلاً عن الغرباء والارقاء

ولكن يجب ان لا يؤخذ من كلامي هذا اني اعدُّ اختلاط الشعوب سبباً لانحطاطها فانا لا اعتقد بذلك بل عندي ان شعبنا الانكليزي اكتسب جانباً كبيراً من قوتهِ بتركبهِ من بضعة عناصر: فقد يكون امتزاج الشعب بغيرهِ سبباً لارتقائهِ وقد يكون سبباً لانحطاطهِ تبعاً لطبيعة الشعوب التي تمازجهُ · وليس من شأني الآن ان انظر في دقائق هذه المسألة بل يكفيني القول ان هذا التمازج يترتب عليهِ تغيرات كبيرة في طبائع الشعوب

وسيقع مثل هذه التغيرات للشعب الاميركي في الولايات المتحدة الاميركية فان مهاجرة

الايطاليين وغيرهم من اهل البلدان الاوربية الجنوبية آخذة في الازدياد فيمتزج هؤُلاء بالاميركيين. وبعد جيلين او ثلاثة يتسع الفرق بين اهل الولايات المعروفة بانكلترا الجديدة وبين اهل الولايات الاخرى التي تكثر المهاجرة اليها

ان المؤَرخين يردُّون التغير الذي وقع في اثينا الى الاحوال المعاشية والسياسية وسيعللون التغير الذي سيقع في الولايات المتحدة بذلك ايضاً. وليس لهذه الاحوال تأثير يذكر في هذا التغير الاَّ اذا ساعدت بعض اصناف الشعب على ان يزيدوا اكثر من غيرهم. ومن هذا القبيل اضمحلال كثير من عائلات الاشراف في اوربا تجاه تكاثر طبقة الصناع والتجار. اما من يتخذ ارتفاع شأن هذه الطبقة وانحطاط شأن الاشراف دليلاً على ان تميّز الاشراف عن سواهم لم يكن لهُ مسوغ فيغلط

ان الاحوال الخارجية تساعد المواهب على الظهور ولكنها لا توجدها. فلولا كثرة العبيد في اثينا مثلاً لما تفرغ الاثينيون الى الآداب والفنون فنبغوا فيها ولكن غيرهم من الامم اكثر من العبيد وعاش في سعة ورخاء ولم يرتقِ ارتقاءهم

لا شك في غلبة الطبع على التطبُّع. فالاخوة الاشقاء ينشأُون سوية في احوال واحدة ولكنهم يختلفون في الاخلاق والقوى بقدر ما يختلفون في الوجوه. ثم ان كثيرين من النوابغ نشأُوا في احوال تضاد نمو المواهب التي نبغوا فيها. ومربو الحيوانات والنباتات يعرفون ان الصنف الطيب قد ينحط اذا لم تلائمهُ الاحوال اما الصنف الرديء فلا يأتي بنسل طيب مهما اعتني بهِ. واعتقاد علماء التهذيب والاقتصاد بان تحسين احوال المعيشة يحسّن طبائع الانسان مبني على الامل وحسن الظن لا على الاختبار. قد وضع المستر ادمند هولمز وهو من القائلين بغلبة التطبُّع على الطبع كتاباً سماهُ «ما هو كائن وما يمكن ان يكون» قال فيهِ انهُ اذا زُرع بعض القمح في ارض طيبة وبعضهُ في ارض جدبة جاء الذي زرع في الارض الطيبة بغلة كثيرة جيدة ولم يجئ الذي زرع في الارض الجدبة الاَّ بغلة قليلة رديئة. والخوخ البريّ اذا زرع واعتني بهِ تحسَّن كثيراً ولكنهُ لا يجنى منهُ خوخ مثل الذي يجنى من الشجر البستاني. وليس الامر على مثل ذلك في البشر فان ابناء العامة اذا ربوا التربية اللازمة لم يقتصر تحسنهم على ان يرقوا الى الطبقة العليا من العامة بل رقي منهم كثيرون الى الطبقات العليا التي فوق العامة. ولكن فاتهُ ان كلاًّ من القمح والخوخ البري نوع متأصّل قليل الاصناف يأتي نسلهُ مثلهُ اما الانسان فنوع مخلوط فيهِ اصناف كثيرة تتزاوج وتتوالد معاً. ففي اهل كل قرية افراد فيهم مواهب كامنة اذا ورثها نسلهم ووافقتها

الاحوال ظهرت وقد يكتسب بعض افراد القرية مواهب لم تكن في اسلافهم

ان فقد الاصول المانعة الذي يرتقي بهِ الحي من درجة الى اخرى كما تقدَّم لا تغني عنهُ العناية بالطعام والتربية والوسائل الصحية . فان الانسان ينمو بعض النمو جسمًا وعقلاً اذا اعتني بهِ العناية اللازمة ولكن العناية لا تجعلهُ طويل القامة اذا كان قد ولد ليكون قصيراً ولا تكمّل مداركهُ اذا كان ناقص المدارك من جبلتهِ . والحكومات الراقية في هذا العصر تعمل على تعميم الوسائل التي تساعد كل فرد على تقوية مواهبهِ والوصول الى الطبقة التي تؤهلهُ لها هذه المواهب مهما كانت احوالهُ التي ولد فيها ولكن تعميم هذه الوسائل لا يجعل الناس على مستوًى واحد بل هو افعل وسيلة لتقوية الطبقات العليا واضعاف الطبقات السفلى

على الذين يسعون الى اصلاح الاجتماع البشري ان يهتموا بتقليل الفروق بين طبقات الناس وتصغيرها . اما محاولتهم ازالة هذه الفروق وجعل الناس طبقة واحدة فمن العبث . لم نرتقِ الى تمدننا الحاضر الاَّ بالتباين واختلاف بعضنا عن بعض وسنبقى مختلفين الى ما شاء الله . وسيزيد الاضطراب الاجتماعي الحاضر الى ان يبلغ حدًّا تحاول عندهُ الجماعات ان تساوي بين افرادها ولكن المساواة بينهم تظل اسمية لا فعلية وتزول سريعًا . وسبب الاضطراب الاجتماعي الحاضر ليس اختلاف الناس في قواهم التي تولد معهم بل الحوادث الاجتماعية الكبيرة الجارية بين الطبقات المختلفة . فان التغيرات العظيمة الجارية الآن سهلت على الناس الخروج من الطبقة الواحدة والدخول في طبقة اخرى . واذا بقيت الاحوال على ما هي بضعة اجيال استقرَّ كل صنف من الناس في الطبقة التي تلائمهُ وعند ذلك يبطل الاضطراب

وسوف تزال اسباب الشكوى من النظام الاجتماعي لا بتعميم المساواة المطلقة بين افراد المجتمع ولا بتقوية الانانية اي حرص كل فرد على مصالحهِ الخاصة غير مبالٍ بما يصيب غيرهُ بل بوصول كل صنف من الناس الى المنزلة التي يؤهلهُ لها بناؤهُ الفسيولوجي

ان الذين يشتغلون بالتجارة يربحون ربحًا طائلاً يفوق الفائدة التي يستفيدها البشر من تجارتهم اما الذين يشتغلون بالعلوم فلا يربحون ما يوازي اتعابهم او يقابل الخدمات التي يقومون بها . فهذا الفرق بين العلماء والتجار نشأ تبعًا لزيادة البشر زيادة كبيرة بسرعة ولا يمكن ان يدوم . ولكن لا يمكن منع تجمع المال في ايدي بعض الناس لان ذلك يثبط هممهم فيقعدون عن الجد والاجتهاد الاَّ اذا تغيرت الغرائز البشرية عما هي الآن . ولكن ليس ما يمنع وضع الحدود لتجمع المال او تحديد الامتيازات التي يتمتع بها اربابهُ لكي يقل التفاوت بين ارباب المال وسواهم ويقرب النفع الذي يجنيهِ ارباب كل طبقة من النفع الذي تستفيدهُ

الجماعة منهم و يقرب ايضاً من القوى التي يبذلونها · ولنا مثال على ذلك في جسم الانسان فان نمو كل عضو من اعضائهِ مرتبط بنمو الاعضاء الاخرى ومناسب لهُ

ان المسائل السياسية التي يقتضي حلّها معرفة الحقائق البيولوجية كثيرة ومنها مسائل التعليم والقوانين الجنائية وجميع فروع الادارة السياسية · فكثيراً ما تعرض لاهل السياسة مسائل يحكمون فيها في ما يمكن عملهُ او ما لا يمكن عملهُ لاحداث تغيير مطلوب في فرد مخصوص او في شعب بكاملهِ ولا بد للحكم في هذه المسائل من المعرفة بالحقائق البيولوجية

لا تعدُّ المعارف البيولوجية من المعارف الضرورية لاهل السياسة والاحكام في الوقت الحاضر ولكن سوف يأتي يوم يضطر فيهِ المعلم والحاكم والمحامي والسياسي الى الاشتراك مع الطبيعي في معارفهِ التي تتعلق بفسيولوجيا الشعوب

عضد الدولة وملك الروم

عضد الدولة فناخسرو شاهنشاه بن بويهِ اعظم ملوك بني بويه خلف عمهُ عماد الدولة سنة ٣٣٨ للهجرة (٩٤٩ للميلاد) ودوخ العراق ودخل بغداد وخُطب لهُ فيها واستولى على ملك بني حمدان · ذكر ابن الاثير وغيرهُ من المؤرخين ان عضد الدولة هذا ارسل القاضي ابا بكر محمد بن الطيب المعروف بابن الباقلاني الى ملك الروم في جواب رسالة وردت منهُ · و يؤخذ مما جاء في ذيل تجارب الامم (كتاب التجارب لابن مسكويه والذيل لابي شجاع العباسي) الذي اكتشفهُ احمد باشا زكي سكرتير مجلس النظار في الاستانة واحضرهُ الى القاهرة ان عضد الدولة ارسل رسولاً آخر الى ملك الروم بما قبل بهِ من شروطهِ واسم هذا الرسول ابن شهرام فشرح ما وقع لهُ في القسطنطينية في بلاط ملك الروم شرحاً مستفيضاً وقد اثبتناهُ هنا وعلقنا عليهِ بعض الحواشي اتماماً للفائدة مستعينين على ذلك بترجمة المستر امدروز والاستاذ مرجوليوث لهذا الشرح وبما لدينا من الكتب : —

« ذكر ما جرى بين عضد الدولة وملك الروم فيما ترددت بهِ الرسالة

كان سبب هذه الرسالة ما تقدم ذكرهُ من دخول ورد[1] الى بلد الاسلام فخاف ملك

---

(١) Bardas Sclerus هو قائد مشهور من قوّاد الروم اصلهُ من قوم وجهاء في اسيا الصغرى فقوي شأنهُ واستولى على املاك الروم في اسيا وهدد القسطنطينية فعزلهُ باسيليوس الخصي من قيادة الجيوش الشرقية · وحرف الباء يلفظ باليونانية مثل حرف V بالفرنسوية والانكليزية فعربهُ العرب واوًا وكتبوا الاسم ورد بدل برد والظاهر انهم كانوا يلفظون الواو حينئذٍ كما يلفظها الاتراك الآن

الروم وانفذ رسولاً الى عضد الدولة في امرهِ . فأُخرج ابو بكر محمد بن الطيب الاشعري المعروف بابن الباقلاني بجواب الرسالة فعاد ومعهُ رسول يعرف بابن قونس فاعيد وأُنفذ معهُ ابو اسحق بن شهرام فاستثنى على ملك الروم بعدة حصون ووصل معهُ رسول يعرف بنقفور الكانكلي (١) بهدية جميلة

نكت من جملة شروح وُجدت بخط بن شهرام دلت منهُ على دهاء وحزم وقوة راي

قال : لما حصلتُ بخرشنة عرفت ان الدمستق (٢) خرج من القسطنطينية اخذاً في الاحتشاد والاستعداد ومعهُ رسول حلب المعروف بابن مامك وكليب حمو ابي صالح السديد فاما كليب فانهُ كان مع ورد (٤) وحصل في جملة العصاة الذين اومنوا واقرّوا في بلد الروم بعد ان صودروا وهمَّ الروم بمصادرتهِ اسوةً بغيرهِ وارتجاع الضياع التي سُلّمت اليهِ حين سعى في تسليم قلعة برزويه اليهم فتوصل كليب الى البركموس (٥) والدمستق بما ارضاهما بهِ وضمن لملك الروم في امر حلب وغيرها ضمانات دفع بها الشرَّ العاجل وبذل تعجيل ما يتعلق بخراج حلب وحمص لما كان صهرهُ وانهُ لا يخالفهُ فتخلص بهذه الحجة . واما رسول حلب فانهُ لم يفصل معهُ امرٌ الاَّ انهُ طولب بخراج ما مضى من السنين

وحصل الدمستق بموضع عادل عن جادّة البريد فعدل ابن قونس بي اليهِ ووجدتهُ حدث السنّ معجباً بنفسهِ لا يؤثر اتمام الهدنة لاحوال منها انهُ يستغني عنهُ في العاجل فتبطل سوقهُ ومنها ان يقع الطمع فيهِ من ملك الروم « ولا نأمن بوائقهُ » والثالثة ما يرجوهُ ويشتهيهِ لنفسهِ الاَّ انهُ اظهر جميلاً وقبل الهدنة وشكر عليها

ثم سألني عما وردت فيهِ فذكرت جملتهُ واوقفهُ ابن قونس على نسخة الشرط فلما وقف عليهِ قال : لو تمَّ للرؤساء ان تخلي لهم عما يريدونهُ من البلدان والحصون باللطف والرفق لكان كل رئيس يتلطف ويستغني بذلك عن جمع الرجال وبذل الاموال . قلتُ : اذا كان اللطف والرفق من وراء قوّة وقدرة فهو دليل الفضل ويجب تلقيهِ بالقبول . قال : اما حلب فليست ببلدكم ولا يريدكم صاحبها وهذا رسولهُ وكليب يبذلان لنا خراجها ويسألان الذبّ عنها واما الحصون فانها أُخذت في زمان عمّي نقفور (٦) وغيرهِ من الملوك ولا فسحة في

(١) Nicephorus Konikleios اي نقفورس حامل الدواة وهو نقفورس اورانوس (٢) Domesticus اي الخادم او رئيس حرس الملك ويطلق على قائد جيوش الروم (٤) Bardas وهو Bardas Phocas الذي كان الدمستق او قائد الجيش حينئذٍ وقد استدعي لمحاربة برداس سكلوروس المذكور آنفاً

(٥) Parakoimomenos اي حافظ غرف المنامة وهو الخصي باسيليوس المشهور

(٦) Nicephorus II. Phocas الذي كان قائداً للجيش (دمستقاً) ثم صار امبراطوراً

النزول عنها فان كان معك غير هذا والاَّ فلا تتعب نفسك بطول الطريق · فقلت : ان كان امرك ملك الروم بانصرافي فعلتُ وان كنتَ قلتهُ من تلقاء نفسك فيجوز ان يسمع الملك كلامي واسمع جوابهُ واعود بحجة · فاذن لي في السير

فسرت الى القسطنطينية ودخلتها بعد ان تلقاني من اصحاب ملكها من احسن صحبتي اليها فأكرمتُ وانزلتُ في دار نقفور الكانكلي[٦] (الذي وصل الآن معي رسولاً) وهو خصيص بملك الروم ثم استدعيت فدخلت الى البركوس[٥] فقال : قد وقفنا على الكتب وقد احيل فيها على ما تقولهُ فاذكر ما عندك · فاخرجت الشرط الظاهر فلما وقف عليهِ قال : أليس قد تقرَّر الامر مع محمد بن الطيب (يعني ابا بكر بن الباقلاني) على ما طلبتموهُ من ترك خراج بلد ابي تغلب الماضي والمستأنف ورضي بما شرطناهُ عليهِ من رد الحصون التي اخذت منا والقبض على ورد[٧] وقد رضي مولاك بما شرطنا وفعل ما اردنا وطلبنا ان [تحضر] خطك معك بتمام الهدنة · فقلتُ : ما عقد محمد بن الطيب معكم شيئاً · فقال : ما خرج من عندنا الاَّ على تقرير ما شرطناهُ عليهِ وان ينفذ خط مولاكم باتمامهِ فقد كان احضر كتابهُ بالرضاء بجميع ما يمضيهِ هو · فاحتجتُ الى ان اتطلب محالاً اقاوم بهِ محالهم

ذكر بديهة جيدة انقدحت لابن شهرام في دفع حجة الخصم

فقلتُ : ما عقد محمد بن الطيب معكم شيئاً ولكن ابن قونس قرر هذا الشرط واخذ نسختهُ بالرومية · فاشتط[٨] البراكيموس وقال لابن قونس : من امرك بهذا فقال : ما قررت شيئاً ولا محمد بن الطيب قرر شيئاً · وانصرفتُ فاستعادني بعد ايام وعاود قراءة الشرط ووقف عند فصلٍ كان قيل فيهِ ما تقرر مع شهرام على ما في النسخ الثلث

فقال : هذه واحدة واين الاخريان · فرجعت الى الموضع فوجدت السهوَ قد وقع في ترك ذلك فقلتُ : معنى هذا اللفظ ان يكون الشرط على ثلاث نسخ احداها تكون عند ملك [الروم] واخرى بحلب والثالثة تكون بالحضرة · قال ابن قونس : ليس كذا قيل لي املِ عليَّ تفسير الشرط قال البركوس : لا ولكن هذه النسخة هي الظاهرة والاخرى بترك الحصون والثالثة بترك ذكر حلب وامضاء الشرط على ما قرَّرهُ محمد بن الطيب وانما انفذ هذا ليأخذ خط الملك وخاتمهُ بذلك · فقلتُ : هذا محالٌ وما عندي الاَّ ما ذكرتهُ من حال حلب والحصون على ما تضمَّنهُ الشرط الذي وقفتَ عليهِ · فقال : لو كان ورد في عسكرهِ وقد

(٧) هذا برداس سكلوروس Bardas Scleros (٨) هكذا في الاصل ولعل الصواب « فاستشاط »

اخذتمونا كلنا امرى ما زاد على هذا فكيف وذاك اسير

جواب سديد لابن شهرام

فقلتُ : اما قولك « لو كان ورد في عسكره » فهو غلط لانك تعلم ان ابا تغلب (واقل تابع لعضد الدولة اكبر منهُ) عاون ورداً فاهلك ملك الروم سبع سنين فكيف لو امدهُ عضد الدولة بعساكره : وهو اليوم وان كان اسيراً في ايدينا فانهُ لم تفعل بهِ ما تفعلون انتم باسرائكم من المثلة وكونهُ بالحضرة احوط لنا لاننا [لو] لم نستأسرهُ لربما كان يضيق صدرهُ بمدافعتنا اياهُ او ييأسُ منا فيستوحش ويمضي والآن فهو متصرّف على امرنا وساكن الى ما شاهدهُ بالحضرة من العزّ والأمن — والحبل في ايدينا باطرافهِ

فاشتدّ عليهِ خطابي ووجم منهُ وعرف صحتهُ وقال : الذي تطلبهُ لا طريق اليهِ فان اردتَ امضاء ما تقرّر مع محمد بن الطيب والاَّ فانصرف . فقلتُ : ان اردتَ ان انصرف من غير ان اسمع كلام ملك الروم فعلتُ . فقال : ما اقولهُ انا عنهُ ولكن استأذنهُ في ذلك

ثم استُدعيتُ بعد ايام فحضرت فاستعاد ملك الروم[٩] ما جرى فاعيد عليهِ بحضري فقال: يا هذا قد جئتَ بامرٍ منكرٍ لانهُ جاءنا رسول لكم فشرط علينا ما اجبناهُ اليهِ وشرطنا عليهِ ردّ الحصون التي اخذت ايام العصيان وتريد حصوناً اخر وبلاداً اخذها الملوك من قبلي فان رضيتم بما تقرر اولاً والاَّ فامضِ بسلام . فقلتُ : اما محمد بن الطيب فما قرّر شيئاً واما الشرط الذي قد وردَ معهُ فقد قطعتم فيهِ نصف بلدنا فكيف يجوز ان تقرر علينا امراً . فان الحصون التي في ديار بكرٍ [ما] منها شيء في قبضك وانما هو في ايدينا وليس لك فيها غير المنازعة ولا تدري ما يحصل منها . فقال البركوس[٥] : هذا رجل ذو جدلٍ وتمو يه للاقوال والموت خير من الدخول تحت هذا الحكم فدعهُ ينصرف الى صاحبهِ . وقام فانصرفتُ

فاستدعاني البركوس بعد ان تكاملت مدة مقامي شهرين في القسطنطينية واحضر القربلاط[١٠] والد الدمستق وهو مكحول[١١] وعدداً من البطارقة وتناظرنا في امر الحصون وبذلوا خراج حصن كيفا الذي في يد والدة ابي تغلب وهو يؤدي الخراج اليها فقلت : انا ادع لكم خراج سمند[١٢] فقالوا ما معنى هذا . فقلتُ : انما نذكر الاطراف في الشرط لتعلموا ان ما

---

(٩) باسيليوس بن رومانوس الملقب بذابح البلغار (١٠) Curopalate الحاجب او حارس القصر وكان حينئذٍ لاون فوكاس والد بردلس فوكاس المار ذكرهُ (١١) سملت عيناهُ لما عصى ابنهُ على الامبراطور تزمسكس (المسمى في العربية ابن الشمشقيق) (١٢) مكان قرب سمرقند ذكرهُ على سبيل التهكم

وراءها داخل في المدنة معها وحصن كيفا داخل من دون آمد بخمسة ايام فكيف تذكرونهُ ·
وجرى جدل في امر حلب حتى قال القربلاط : ان حَمل صاحب حلب الخراج الينا علمنا حينئذٍ انك مُبطل في قولك وانهُ يريدنا دونكم · قلت : وما يؤمنني ان تحتالوا على كاتبهِ كليب حميهِ حتى يعطيكم شيئًا تجعلونهُ حجة · فاما بغير حيلة فانا اعلم انهُ لا يكون · وانصرفتُ

ثم احضرني ملك الروم بعد ذلك وقد وصل خراج حلب فوجدت كلامهم غير الاوَّل قوَّةً وتحكُّمًا فقالوا : هذا خراج حلب قد حضر وصاحبها قد سألنا ان نشارطهُ على حرَّان وسرُوج ومعاونتهِ عليكم وعلى غيركم · فقلتُ : اما الخراج واخذكم اياهُ فانا اعلم انهُ بحيلة لان عضد الدولة ظنَّ انكم لا تستجيزون ما قد فعلتموهُ فلم ينفذ عسكرًا يمنع عسكركم واما ما تحكونهُ عن صاحب حلب فانا اعرَف بما عندهُ وكل ما يقال لكم عنهُ غير صحيح والدعوة فيها فهي قائمة لعضد الدولة · قالوا : هل معك شيءٌ غير هذا · قلت : لا · قالوا : فتودّع الملك وتنصرف مُصاحبًا · قلتُ : الساعة · واقبلت بوجهي نحوهُ لتوديعهِ

راي سديد رآهُ ابن شهرام في تلك الحال

قال : ثم تأمّلتُ الحال فوجدت البركوس والقربلاط وجماعة معهما ليس يؤثرون المدنة واصحاب السيوف يخافون لئلاَّ تبطل سيوفهم وتنقص ارزاقهم على رسم الروم اذا هادنوا ولم يبقَ لي طريق سوى مداراة ملك الروم والرفق بهِ فقلتُ : ايها الملك يجب ان تتأمّل ما فعلهُ عضد الدولة معك ولم يعاون عليك عدوَّك ولم يتعرَّض لبلادك ايام اشتغالك بمن عصى عليك وتعلم انك ان ارضيتهُ وحدهُ وهو ملك الاسلام والاَّ احتجت ان ترضي الوفًا من اصحابك ثم لا تدري هل يرضون ام لا ثم ان لم يرضوا ربما احتجت الى رضائهِ من بعد · وتعلم ان كلّ من حول عضد الدولة لم يرغبوا في هدنتك وانما هو وحدهُ اراد ففعل ما اراد ولم يقدم احد [على] مراجعتهِ واراك تريد هدنتهُ ولعلّ من حولك لا يساعدونك على مرادك · فاهتزَّ لخطابي و بان في وجههِ الامتعاض من علمهِ بالاعتراض عليهِ من اصحابهِ وقام وانصرفتُ

وكان المشرف على الخصيص بملك الروم وهو الذي يوقع عنهُ بالحمرة ولا يمضي امرًا دونهُ نقفور الكانكلي الذي وصل معي رسولاً فسألتهُ ان ينصرف معي ففعل

ذكر ما رتبهُ ابن شهرام مع خصيص ملك الروم حتى بلغ بهِ غرضهُ

فلما خلوتُ بهِ قلت : اريد ان تحمل عني رسالة الى ملك الروم فقد طال مقامي وتعرفني آخر ما عندهُ فان فعل ما اريدهُ والاَّ فلا وجه لمقامي · ولاطفتُ هذا الكانكلي بشيءٍ حملتهُ اليهِ ووعدتهُ عن عضد الدولة بجميل وكان مضمون رسالتي : انهُ يجب عليك اولاً ان تحفظ

ايها الملك نفسك ثم ملكك ثم اصحابك ولا تثق بمن صلاحهُ في فسادك فان بمعاونة ابي تغلب عليك تم في بلد الروم ما جرى وكيف تكون الحال مع عضد الدولة ان عاون عليك ايها الملك . واني ارى اصحابك لا يريدون تمام الهدنة بينك وبين اوحد الدنيا وملك الاسلام . والانسان لا يخفى عليهِ الأ ما لم يجرّبهُ وانت فقد جربت سبع سنين عند عصيان من عصى عليك للملك وملكك لا يبقي نفسك [اما] الروم فما يبالون (كذا) هذا ان لم يتحرك هو بنفسهِ وقد نصحتُ لما رأيتُ من ميل صاحبي اليك وإيثارهِ لك فتأمل خطابي واعمل بعد ذلك برأيك . فعاد نقفور وقال : يقول لك الامر كما ذكرتَ ولكن ليس يمكن مخالفة الجماعة ويروني بصورة من قد خانهم واهلكهم ولكن سأتم الامر وافعل ما يمكن فعلهُ

ومن الاتفاق الحميد ان البركوس مرض مرضاً شديداً فتأخر عن الركوب وترددت الرسالة بيني وبين ملك الروم ثم استدعاني اياماً متوالية وتولى خطابي بنفسهِ وساعدني الكانكلي بغضاً للبركوس ومنافسةً لهُ الى ان اجاب الى الهدنة على جميع ما تضمنهُ الشرط بعد مراجعات جرت لإخراج حلب فانهُ ما اجاب اليهِ فلما ضايقتهُ فيهِ وقلتُ : هذا كلهُ بغير حلب لا يتم . قال : دع هذا فلا نسلم غير ما سلمنا ولا نخلي عن بلدٍ نأخذ خراجهُ الأ بالسيف ولكني احملك رسالة الى صديقي ومولاك فاني اعلم انهُ فاضل واذا عرف الحق لم يعدل عنهُ . ثم قال لمن حولهُ : تباعدوا . وقال لي سرًّا من كل احدٍ : قل لهُ والله اني اشتهي رضاك ولكني اريد حجة فيهِ فان اردتم ان نحمل اليكم الخراج عن حلب او اتركهُ لكم تأخذونهُ على ان تصرفوا ابن حمدان عنها فافعلوا ما بذلتموهُ على لسان ابن قونس (إشارة الى تسليم ورد) فقلتُ : ما سمعتُ هذا ولا حضرتهُ وانني استبعد فعلهُ . فتنكر عليّ وقال : دع التطويل فما بقي شيء تراجعني فيهِ . وامر ان تكتب جوابات فكتبت واحضرت لتوديعهِ

واقع جيد وقع لابن شهرام

واشفقتُ ان يعرض من المقادير في موت من قد طلبوا تسليمهُ ما يعرض مثلهُ فيخرج من الجميع[١٣] بغير ميتةٍ (كذا) وتحصل الهدنة عن بلدنا الى دون الفرات وبلد باد[١٤] بغير حلب فقلتُ : انتم تعلمون انى عبدٌ مملوكٌ ولستُ ملكاً وما اقدر ان ازيد على ما أُمرت بهِ وقد صدقتك عنهُ والذي شرطتهُ الآن في امر حلب فقد حلفتُ لك انني ما سمعتهُ بالحضرة فهل لك ايها الملك في امرٍ قد وقع لي انهُ صوابٌ قال : ما هو . قلت : تكتب كتاباً بالهدنة

(١٣) كذا في الاصل ولعل الصواب او يخرج من الجميع (١٤) جد المروانيين بميافارقين

بيننا وبينك عن جميع ما (في) ايدينا من حمص الى بلد باد ولا تذكر فيهِ حديث من قد التمستَ تسليمهُ ولا غيرهُ وتحلف بدينك وتوقع فيهِ خطك وتختمهُ بخاتمك بحضرتي ويخرج بهِ صاحبك معي الى الحضرة فان رضي بهِ والأَّ عاد صاحبك . قال : فاكتب انت شرطاً مثلهُ . قلتُ : ان سلّمت انت شرطك بما طلبتَ . قال: ان ذكرتَ في خطك تسليم الرجل . قلت : لا اقدم على ذكر ما لم يرسم لي . قال : فانني اكتب شرطين احدهما عما قطع الفرات وبلد باد والاخر بذكر حمص وحلب على الشرط فان اختار مولاك ما قطع الفرات على إبعاد ورد كان اليهِ وان اختار الاخر فعل ما يختارهُ . قلتُ : فيكتَب الشرط ولا يذكر فيهِ شيءٌ من هذا . قال : فتكتب انت ايضاً ما اعطي خطاً بغير خطٍ آخذهُ . قلت : ولكن يكتب ترجمانك نسخة ما اقولهُ فاذا رضي عضد الدولة بما تقولهُ كتبتهُ بحضرتهِ ووقّع لي بخطهِ . فرضي بهذا وكتبت الشروط والكتب عليهِ وتقررت الهدنة على عشر سنين . ولما فرغت من ذلك قلت لهُ : لا تجعل رسولك مثل فيج ووافقهُ على ما تحبّ ان يفعلهُ بعد ما تقرر معي بحسب ما يشاهدهُ وامضِ كلما يمضيهِ . فقال : قد فعلتُ . وكتب ذكر ذلك في الكتب

وركب البركوس من دارهِ لما برئَ وقامت قيامتهُ لاحوالٍ منها انفراد الكانكلي بصاحبهِ ومنها اتمام الامر بغير حضورهِ ومنها امر حلب وحمص وما ضمنهُ لهُ كليب

كلام لملك الروم استمال بهِ قلب البركموس

قال لهُ على ما حدثني بهِ بعض خواصهم : يا بركوس ما معي احد يشفق عليَّ مثلك ولا من يحلّ مني محلّك لانك مني بادنى نسبٍ وسببٍ [كان باسيليوس الخصي ابناً غير شرعي للامبراطور رومانوس الاول] وهؤلاء فكما قال الرسول لا يبالون من كان ملكاً كنتُ انا او غيري ويجب ان تحفظ نفسي ونفسك ولا تسمع كلام القربلاط ولا تثق بهِ ولا برأيهِ لنا فقد علمتَ ما حدثنا بهِ ابرهيم عنهُ وعن ابنهِ من إضمار الغشّ لملكنا وخبث نياتهما في امرنا . (قلتُ لمن حدثني : ومَن ابرهيم قال: رسول كان للدمستق اليكم جاء الى الملك ناصحاً وعرّفهُ انهُ انفذهُ اليكم يطلب منكم اعانتهُ على العصيان)

فقبل البركوس هذا القول من ملك الروم واستدعاني ورأيت من خطابهِ وانبساطهِ معي غير الاول الأَّ انهُ لم تكن تخفى على وجههِ كراهيتهُ لهذا الامر ورتّب معي هذا الكانكلي رسولاً بعد امتناعهِ لكن ملك الروم لم يجد احداً يجري مجراهُ في ثقتهِ فالزمهُ وساعدهُ البركوس عليهِ فقال لهُ : ليس بحضرة الملك اكبر مني ومنك فاما ان تسير او اسير . وجد في الامر حتى ظننتُ انهُ فعل ذلك إيثاراً لابعادهِ وحسداً لما رأى من اختصاصهِ

فهذه نكت معاني من الفاظ ابن شهرام وعضد الدولة عليل والناس عنهُ محجوبون فامر بشرح ما جرى عليهِ امره ليعرض فان علة عضد الدولة التي توفي فيها كانت في هذا الوقت وحضر رسول ملك الروم المذكور مجلس صمصام الدولة بعد وفاة عضد الدولة وتسلمت الهدايا منهُ وتمّ معهُ ما ورد فيهِ وكتب شرطان احدهما الهدنة التي قررها ابن شهرام على اتمام مبانيها وإلقاء مراسيها والشرط الآخر بما تقرر آنفاً مع نقفور

ذكر ما تقرر في امر ورد واخيهِ وولده

جرت مخاطبات تقرر آخرها على ان يقيم نقفور و ينفذ صاحباً لهُ مع رسول من الحضرة ليأخذ خط ملك الروم وخاتمهُ لاخي ورد وابنهِ والامان والتوثقة لهما بضمان الاحسان وإعادتهما الى مراتبهما القديمة واحوالهما المستقيمة فاذا وصل ذلك اقدما حينئذٍ على ملك الروم مع نقفور و يكون ورد مقيماً في هذه البلاد ممنوعاً من طروق بلد الروم بافساد فاذا عرف ما يعاملان بهِ من الجميل في الوفاء بالعهد المبذول لهما اتبعا حينئذٍ ورداً في السنة الثالثة بعد اخذ التوثقة لها بما يرضيهم حسب ما فعل مع ابنهِ واخيهِ وان يكون ما يحملهُ الآن ابن حمدان من حمص وحلب الى ملك الروم من مال المفارقة عنهما محمولاً على استقبال اطلاق ورد الى بلد الروم الى خزانة صمصام الدولة فان دافع ابن حمدان حينئذٍ عن حمله ألزمهُ ملك الروم ذلك لئلا يتكلف صمصام الدولة تجهيز عسكر اليهِ وان يجري امر بلد باد على ما كان عليهِ من الملاطفة التي كان يحملها الى ملك الروم على ان لا يعاون باداً ولا يجيرهُ ان التجأ الى الروم . وانفذ الشرطان جميعاً وعاد الجواب عنهما بامضاء ما تقرر » انتهى المنقول عن الذيل نقلاً عن مجلة الجمعية الاسيوية الملكية البريطانية

وذكر ابن الاثير كيف وصل ورد الى عضد الدولة قال « في هذه السنة (٣٦٩) وصل ورد الرومي الى ديار بكر مستجيراً بعضد الدولة وارسل اليهِ يستنصرهُ على ملوك الروم و يبذل لهُ الطاعة اذا ملك وحمل الخراج وكان سبب قدومهِ ان ارمانوس[١٥] ملك الروم لما توفي خلف ولدين لهُ صغيرين فملكا بعدهُ وكان نقفور[١٦] وهو حينئذٍ الدمستق قد خرج الى بلاد الاسلام فنكا فيها وعاد فلما قارب القسطنطينية بلغهُ موت ارمانوس فاجتمع اليهِ الجند وقالوا لهُ انهُ لا يصلح للنيابة عن الملكين غيرك فانهما صغيران فامتنع فالحوا عليهِ فاجابهم وخدم الملكين وتزوّج بوالدتهما ولبس التاج ثم انهُ جفا والدتهما فراسلت ابن الشمشقيق[١٧] في قتل

---

(١٥) هو الامبراطور رومانوس الثاني .Romanus II (١٦) هو نقفورس فوكاس Nicephorus Phocas (١٧) ابن الشمشقيق Zimisces او Tzimisces وهو ارمني الاصل

نقفور واقامتهِ مقامهُ فاجابها الى ذلك وسار اليها سرًّا هو وعشرة رجال فاغتالوا الدمستق فقتلوهُ واستولى ابن الشمشقيق على الامر وقبض على لاون اخي الدمستق وعلى ورديس[١٨] بن لاون واعتقلهُ في بعض القلاع وسار الى اعمال الشام فاوغل فيها ونال من المسلمين ما اراد وبلغ الى طرابلس فامتنع عليهِ اهلها فحصرهم. وكان لوالدة الملكين اخ خصي وهو حينئذٍ الوزير فوضع على ابن الشمشقيق من سقاهُ سمًّا فلما احس بهِ اسرع العود الى القسطنطينية فمات في طريقهِ وكان ورد بن منير[١٩] من اكابر اصحاب الجيوش وعظماء البطارقة فطمع في الامر وكاتب ابا تغلب ابن حمدان وصاهرهُ واستجاش بالمسلمين من الثغور فاجتمعوا عليهِ فقصد الروم فاخرج اليهِ الملكان جيشًا بعد جيش وهو يهزمهم فقوى جنانهُ وعظم شأنهُ وقصد القسطنطينية فخافهُ الملكان فاطلقا ورديس بن لاون[١٨] وقدماهُ على الجيوش وسيراهُ لقتال ورد[١٩] فاقتتلوا قتالاً شديداً وطال الامر بينهما ثم انهزم ورد الى بلاد الاسلام فقصد ديار بكر ونزل بظاهر ميافارقين وراسل عضد الدولة وانفذ اليهِ اخاهُ يبذل الطاعة والاستنصار بهِ فاجابهُ الى ذلك ووعدهُ بهِ. ثم ان ملكي الروم راسلا عضد الدولة واستمالاهُ فقوي في نفسهِ ترجيح جانب الملكين وعاد عن نصرة ورد وكاتب ابا علي التميمي وهو حينئذٍ ينوب عنهُ بديار بكر بالقبض على ورد واصحابهِ فشرع يدبر الحيلة عليهِ واجتمع الى ورد اصحابهُ وقالوا لهُ ان ملوك الروم قد كاتبوا عضد الدولة وراسلوهُ في امرنا ولا شك انهم يرغبونهُ في المال وغيرهِ فيسلمنا اليهم والرأي ان نرجع الى بلاد الروم على صلح ان امكننا او على حرب نبذل فيها انفسنا فاما ظفرنا او متنا كرامًا فقال ما هذا رأيي ولا رأينا من عضد الدولة الاَّ الجميل ولا يجوز ان ننصرف عنهُ قبل ان نعلم ما عندهُ ففارقهُ كثير من اصحابهِ فطمع فيهِ ابو علي التميمي وراسلهُ في الاجتماع فاجابهُ الى ذلك فلما اجتمع بهِ قبض عليهِ وعلى ولدهِ واخيهِ وجماعة من اصحابهِ واعتقلهم بميافارقين ثم حملهم الى بغداد فبقوا في الحبس الى ان فرج الله عنهم »

ثم توفي عضد الدولة ولم يطلق ورداً فبقي في الاعتقال الى سنة ٣٧٥ على ما قالهُ ابن الاثير فقد قال في حوادثها ما نصهُ

« في هذه السنة افرج صمصام الدولة عن ورد الرومي وقد تقدم ذكر حبسهِ فلما كان الآن افرج عنهُ واطلقهُ وشرط عليهِ اطلاق عدد كثير من اسارى المسلمين وان يسلم اليهِ سبعة حصون من بلد الروم برساتيقها وان لا يقصد بلاد الاسلام لا هو ولا احد من اصحابهِ ما عاش وجهزهُ بما يحتاج اليهِ من مال وغيرهِ فسار الى بلاد الروم واستمال في طريقهِ خلقًا

---

(١٨) Bardas Phocas (١٩) Bardas Scleros

كثيراً من البوادي وغيرهم واطمعهم في العطاء والغنيمة وسار حتى نزل بملطية فتسلمها وقوي بها وبما فيها من مال وغيرهِ وقصد ورديس(١٨) بن لاون فتراسلا واستقر الامر بينهما على ان تكون قسطنطينية وما جاورها من شمالي الخليج لورديس وهذا الجانب من الخليج لورد وتحالفا واجتمعا فقبض ورديس على ورد وحبسهُ ثم انهُ ندم فاطلقهُ عن قريب وعبر ورديس الخليج وحصر القسطنطينية وبها الملكان ابنا ارمانوس وهما بسيل وقسطنطين وضيق عليهما فراسلا ملك الروسية واستنجداهُ وزوجاهُ باخت لهما فامتنعت من تسليم نفسها الى من يخالفها في الدين فتنصر وكان هذا اوَّل النصرانية بالروس وتزوجها وسار الى لقاء ورديس فاقتتلوا وتحاربوا فقتل ورديس واستقر الملكان في ملكهما وراسلا ورداً واقراهُ على ما بيدهِ فبقي مدة مديدة ومات قيل انهُ مات مسموماً وتقدم بسيل في الملك وكان شجاعاً عادلاً حسن الرأي ودام ملكهُ وحارب البلغار خمساً وثلاثين سنة وظفر بهم واجلى كثيراً منهم من بلادهم واسكنها الروم وكان كثير الاحسان الى المسلمين والميل اليهم»

انتهى كلام ابن الاثير وسنأتي في فرصة اخرى على خلاصة تاريخ عضد الدولة والامبراطور بسيل هذا وابيهِ وامهِ على التحقيق



* قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

المكاحل والمدافع

سيدي المحترمين

بعد التحية قرأت مقال المقتطف عن المدافع وافعالها وقد ذكرتم فيهِ ما ورد عن المدافع في الكتب العربية ومنها تاريخ ابن اياس وقد ترددتم فيما ذكرهُ عن حوادث سنة ٧٥٣ هـ واني ارسل الى جنابكم بنبذة وردت في كتاب صبح الاعشى للقلقشندي في الصفحة

١٣٧ من الجزء الثاني قال « ومنها (آلات الحصار) مكاحل البارود وهي المدافع التي يرمى عنها بالنفط . وحالها مختلف : فبعضها يرمى عنهُ بأسهم عظام تكاد تخرق الحجر . وبعضها يرمى عنهُ ببندق من حديد من زنة عشرة ارطال بالمصري الى ما يزيد على مائة رطل . وقد رأيت بالاسكندرية في الدولة الاشرفية . شعبان بن حسين . (٧٦٤ — ٧٧٨) في نيابة الامير صلاح الدين بن عرام رحمهُ الله بها مدفعاً قد صنع من نحاس ورصاص وقيد باطراف الحديد رُمي عنهُ من الميدان ببندقة من حديد عظيمة محماة فوقعت في بحر السلسلة خارج باب البحر وهي مسافة بعيدة »

ولعل هذه الجملة تكون مزيلة للتردد فانها مبينة ان المراد بما ذكر مدافع لا بنادق بدليل صنعها من النحاس والرصاص وثقل البندقة التي تقذفها حتى تصل الى مائة رطل بالمصري وتقييد المدفع باطراف الحديد حين اطلاقهِ ولجنابكم النظر الاعلى والسلام

محمد الخضري

وكيل مدرسة القضاء الشرعي

[المقتطف] ان ما ذكرهُ القلقشندي ونقلتموهُ عنهُ صريح في ان كلمة مدفع كانت في عصرهِ مرادفة لكلمة مكحلة وانهُ يراد بالمدفع ما يدفع بهِ جسم ثقيل فنشكركم على ذلك ويبقى امر آخر وهو الاستدلال على اول زمن استعمل فيهِ البارود لدفع هذه الاجسام الثقيلة لان الحجارة الكبيرة ونحوها كانت تدفع قبلاً بغير البارود

المدافع والمكاحل

عند العرب

نقلتم في مقالة (المدافع وافعالها) في مقتطف الشهر الماضي شيئاً مما ذكرهُ ابن اياس عن المكاحل والمدافع ومنهُ قولهُ في حوادث سنة ٧٥٣ « ان نائب قلعة دمشق حصّن القلعة تحصيناً عظيماً وركّب عليها المكاحل بالمدافع » ثم علّقتم عليهِ بقولكم « وقد ورد ذكر المكاحل والمدافع هنا على اسلوب غريب فيحتمل ان يكون نائب قلعة دمشق وضع فيها مدافع معدنية تحشى بالبارود فيكون استعمال المدافع قديماً في البلدان العربية . ويحتمل ان يكون المراد بقولهِ المكاحل بالمدافع البنادق القديمة التي استعملت قبل المدافع الكبيرة فانها كانت اثقل من ان تحمل باليد »

قلنا لا شك في ان اسلوب العبارة لا يخلو من غرابة وغموض غير ان من تتبّع كلام المؤلف في غير هذا الموضع انكشف لهُ ما ابهم في عبارتهِ هنا ولتوضيح ذلك نقول

اورد المؤلف لفظ المكاحل مقرونة بالمدافع في عدة مواضع من تاريخهِ منها قولهُ في ج ١ ص ٣٢٦ « اضطربت احوال مدينة حلب وحصّنوا سورها بالمدافع والمكاحل » وفي ج ٣ ص ٧٧ « المراكب التي كان ارسلها السلطان الغوري قد غرقت بما فيها من مكاحل ومدافع وآلات السلاح » وفي ص ١٦٠ من هذا الجزء « وحصّن الابراج التي بها وركّب عليها المكاحل وشرع في عمل عجلات وعمل مكاحل ومدافع » . وربما سبق الى الذهن بادئ الرأي انهُ يريد بالمدافع ما هو معروف وبالمكاحل ما نسمّيهِ اليوم بالبنادق ولكن الذي ظهر لي من تتبّع عباراتهِ انّ مرادهُ بالمكاحل المدافع المعروفة وبالمدافع الكرات المقذوفة منها التي جرى الكتّاب اليوم على تسميتها بالقنابل والدليل على ذلك قولهُ في ج ٢ ص ١٨٩ « وجعل حول هذا البرج مكاحل معمّرة ليلاً ونهاراً » وفي ص ٣٨٣ « ففي اليوم الثالث من المحاصرة ملك قصروه مدرسة السلطان حسن وركّب المكاحل المعمّرة بالمدافع » وفي ص ٣٢٦ « ثم انهم رموا بالمكحلة المسماة بالمجنونة على من في مدرسة السلطان حسن فخرق المدفع شباك المدرسة ودخل فقتل ثلاثة انفار من المماليك » . ولم نقف على ضبط لفظ المدفع عندهم اهو بكسر اوّلهِ على وزان اسماء الآلات ام بفتحهِ على وزان اسماء المواضع وسواء كان بهذا او بذاك فلا يخفى ما في اطلاقهِ على الكرة من الخطأ من الوجهة اللغوية

اما المادة التي كانت تُتخذ منها هذه المكاحل فقد صرّح ابن اياس انهم كانوا يسبكونها من الحديد او النحاس ويتخذون كراتها من الحجر فقال في ج ٣ ص ٩ « وفيهِ ارسل السلطان مكاحل حديد ومدافع وصوّانا الى ثغر الاسكندرية وسافرت في المراكب الى هناك فكانت نحو مائتي مكحلة » وفي ج ٢ ص ٣٢٤ « واحضر عدة قناطير نحاس وشرع في سبك مكحلتين كبار » وفي ج ٣ ص ١٢٤ « جمعوا الناس ليسحبوا المكاحل النحاس الكبار التي كانت بالقلعة » الى ان قال « ثم عقيب ذلك نزلوا بالمكاحل من القلعة وصاروا يربطون الرجال بالحبال في رقابهم ويسوقونهم بالضرب الشديد على ظهورهم » وفي ص ٢٦٥ من هذا الجزء « وكان بهِ ست عجلات تسحبها الاكاديش وعليها عدة مكاحل نحاس ومدافع حجر » وفي ص ٣٢٩ من الجزء الثاني « وكان دميلكو قد فرغ من المكحلة وركّبها ورمى بها اول حجر فكسر باب السلسلة »

وقد ذكر ابو ذرّ المشهور بسبط ابن العجمي المتوفى سنة ٨٨٤ هـ اتخاذ الكرات من

الحجر ايضاً في كتابهِ كنوز الذهب في تاريخ حلب وهو كتاب مخطوط عندنا فقال «اخذ تغرى برمش كافل حلب من اعمدتها بدلالة ابن الحصوني مباشرة فجعلها احجاراً للمكحلة التي عملها ليرمي بها على القلعة» وقال في موضع آخر «فرمى عليهم اهل القلعة بالمكحلة فاثرت احجار المكحلة بحائط المدرسة» وقال ايضاً «وحاصروا القلعة المذكورة اثنين وعشرين يوماً وعملوا مكحلة عظيمة ترمي بقنطار حلبي واكثر»

على ان ابن اياس قال في ج ٣ ص ١٤٤ «وخرج صحبتهُ جماعة كثيرة من العثمانية ومعهم مكاحل نحاس ومدافع نحاس وعجل» ولم يذكر المدافع النحاس اي الكرات في غير هذا الموضع وربما تُوهم منهُ ان اتخاذها من سوى الحجر كان خاصاً بالعثمانيين غير معروف عند المصريين مع ان الواقع خلافهُ كما سنبينهُ

بقي هنا قولهُ في ج ٣ ص ١٥٤ «فنزل من القلعة وقدامهُ من الانكشارية نحو ثلاثمائة انسان وهم مشاة وبايديهم المكاحل» ولا ريب في ان المراد بها هنا البنادق لا المدافع والظاهر ان المكحلة كانت تطلق على كليهما كما هو معروف الى اليوم عند المغاربة فانهم ما زالوا يسمّون المدفع بالمكحلة الكبيرة والبندقية بالمكحلة الصغيرة · وقد سمّى ابن اياس الصغيرة بالبندقية ايضاً فقال في ج ٢ ص ٣١٠ «ووقف عند سبيل المؤْمنين فخرّ عليهِ بعض الرماة بكفيّة وقيل ببندقيّة فجاءت على طرق اذنهِ جوازاً» وفي ج ٣ ص ٥٥ «وفيهِ اهتمّ الامير الدوادار بعمل طوارق خشب وكفيات وبندقيّات وغير ذلك من آلات الحرب» والمراد بالكفية ما يسمّى اليوم بالطبنجة على ما ظهر لي من مواضع في هذا الكتاب فذكر البندقيات معها يؤيد انهُ يريد بها المكاحل الصغيرة

اما قولهُ في ج ٣ ص ٢١٢ «هجموا على سوق النحّاسين واخذوا ما فيهِ من النحاس لاجل ان يسبكوهُ مكاحل لبندق الرصاص» فالراجح ان المراد هنا البنادق ايضاً اذ المشهور في كرات المدافع انها لا تتخذ من الرصاص ولولا ذلك لاحتمل انهُ يريد بالمكاحل المدافع وبالبندق كراتها لانهم كانوا يسمونها بذلك وقد صرّح بهِ القلقشندي في صبح الاعشى وسمّى المكاحل الكبيرة بالمدافع فقال في ذكر آلات الحصار «ومنها مكاحل البارود وهي المدافع التي يرمى عنها بالنفط وحالها مختلف فبعضها يرمى عنها باسهم عظام تكاد تخرق الحجر وبعضها يرمى عنهُ ببندق من حديد من زنة عشرة ارطال بالمصري الى ما يزيد على مائة رطل وقد رأيت بالاسكندرية في الدولة الاشرفية شعبان بن حسين في نيابة الامير صلاح الدين بن عرام رحمهُ الله بها مدفعاً قد صنع من نحاس ورصاص وقيّد بأطراف الحديد رُمي

عنهُ من الميدان ببندقة من حديد عظيمة محمية فوقعت في بحر السلسلة خارج باب البحر وهي مسافة بعيدة »

فيستخلص مما تقدم ان الكرة كانوا يسمونها بالمدفع وبالبندقة ولا يخفى ما في كلتا التسميتين من البعد وان المكاحل كانت تطلق على المدافع والبنادق ولا نذكر ان ابن اياس ذكر المدفع لما هو معروف اليوم الا في موضعين من تاريخهِ احدهما قولهُ في ج ٢ ص ٤ « فلما وصل الى دمشق وجد نوروز قد حصن دمشق وركب على سورها المدافع في كل جانب » والثاني في زجل للشيخ بدر الدين اوردهُ في ج ٣ ص ٦٦ يقول فيهِ

والامارة تحكي شجر مثمرْ في رياض نشرُو غدا عاطرْ
والمدافع ترمي سفرجلْ كبار ولاّ رمانْ يحكي الفحول فاخرْ

ويستخلص ايضاً ان استعمال المدافع في البلاد العربية لم يكن قبل التاريخ الذي ذكرتموهُ نقلاً عن ابن اياس وهو سنة ٧٥٣ هـ والراجح انها استعملت فيها قبل ذلك فقد جاء في الاحاطة في وصف حصار قام بهِ خليفة غرناطة اسماعيل بن فرج سنة ٧٢٤ ما نصهُ « ونازل حصن اشكر الشجا المعترض في حلق بسطة فاخذ بمخنقهِ ونشر الحرب عليهِ ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة حديد محماة طاقَ البرج المنيع من معقلهِ فاندفعت يتطاير شررها واستقرت بين محصور يه فعاثت عياث الصواعق السماوية » وان كان ذلك لا يفيدنا فائدة تذكر في قدم التاريخ زيادة عمَّا في ابن اياس . وذكر ابن خلدون « المجانيق والعرَّادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزنة امام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة » وذلك في حصار ابي يوسف لسجلماسة سنة ٦٧٢ هـ وقد استظهر دوزى في معجمهِ ان مرادهُ بالهندام هنا المدفع فان صحَّ ما ظهر لهُ وهو المرجح عندنا ثبت ان استعمال العرب للمدافع كان اقدم مما ذكرهُ ابن اياس بنحو قرن

ومما ينبغي ان يُتنبَّه لهُ ما جاء في سيرة صلاح الدين الايوبي لابن شداد المسماة بالنوادر السلطانية وهو قولهُ في ص ٨ من طبعة مصر « فتواصلت الاخبار بقوة عزمهم على الصعود الى المقدس ومحاصرتهِ وتركيب القنابل عليهِ » فانهُ ان كان يريد بالقنابل كرات المدافع ففيهِ دلالة على استعمالها في الحروب الصليبية الاولى وهو ما نستبعدهُ ولنا على استبعادهِ ادلة . منها انهُ قول لا يعضدهُ نقل آخر ولم يجرِ لهُ ذكر في غير هذا الكتاب . ومنها ان المؤلف وصف طرق المقاتلة بعد ذلك وذكر آلاتها فشرح امر الدبَّابات والابراج وما كان يلقيهِ الزرَّاقون من قوارير النفط ولم يسمها بالقنابل اذ المعلوم عن القوارير انها شيء آخر غير كرات المدافع .

ومنها ان لفظ القنابل شيء لهجوا بهِ في عصرنا هذا ولم نجدهُ مستعملاً قبلهُ وانما يذكرون القنابل على انها جمع قنبلة بالفتح للطائفة من الناس والخيل اما القُنبلة بالضم لكرة المدفع فمحرَّفة عن قُنبرة وقد استعملها الجبرتي في تاريخهِ بالراء وصاحب سلك الدرر في ترجمة محمد بك ابي الذهب حيث قال « ونصب لها الاطواب من المرج الاخضر وضربها بالقنابر فصارت تنزل القنابر على اهل البلد » وجاء في حاشية هذا الكتاب انها محرَّفة عن قمبرة وهذه عن خمبرة الفارسية . قلنا وقد اقتبس الاتراك الخمبرة وادمجوها في لغتهم واوردها سامي بك في معجمهِ ولكنهُ لم ينبه على فارسيتها وجاءت في الدرر المنتخبات المنثورة في اصلاح الغلطات المشهورة للمولى الحفيد من علماء القرن الثالث عشر الهجري بلفظ قومبرة قال وهي محرَّفة عن خمبرة الفارسية . فيعلم من كل ذلك انها لفظة حديثة الدخول في العربية توالى عليها اربعة تغييرات قبل ان تصلنا فاين هي اذن من عصر ابن شداد . ومنها ان هذه الكلمة وردت في نسخة ابن شداد المطبوعة باوربا سنة ١٧٣٢ م بلفظ « تركيب القتال عليها » والظاهر ان مصحح النسخة المصرية رأى ما في العبارة من القلق فغيَّر القتال بالقنابل جرياً على ما هو شائع على الالسنة الآن ولو انهُ غير التركيب بالترتيب لاستقام المعنى وخلَّصنا من هذا الاشكال

بقيت لنا كلمة فيما ذكرتموهُ عن لفظ Mangonneau فمذهبنا فيهِ ان كان مقتبساً من احدى اللغتين للاخرى انهُ عربيٌّ الاصل لان العرب انما استعاروا المكحلة للمدفع والبندقية لوجود الشبه بينهما وبين قارورة الكحل في الصورة كما ان البندقية كانت تحشى قديماً من فمها بالمدك فكان لها كالمرود للمكحلة . هذا على القول بتفرُّع احد اللفظين عن الآخر ولا يخفى ان الاقرب في اللفظ الفرنسي ان يكون مأخوذاً من المنجنيق على ما ذهب اليهِ صديقنا العالم البحَّاثة احمد زكي باشا في مقالة (آثار العرب الخالدة باوربا) والله اعلم

احمد تيمور

[المقتطف] نشكر حضرة العالم المحقق احمد بك تيمور على ما اتحفنا بهِ من البيان الوافي . وبعدُ فان كلام القلقشندي المذكور آنفاً صريح في ان المدافع هي المكاحل نفسها لا القنابل وقد ذكر ذلك قبل الزمن الذي ذكر فيهِ ابن اياس المكاحل المعمَّرة بالمدافع باكثر من مئة سنة . ولكن يظهر من النسخ المطبوعة التي بين ايدينا من ابن اياس والقلقشندي ان الكلام عن المدافع مضطرب كأنَّ فيهِ شيئاً مقحماً من النسَّاخ الاَّ بيت الشيخ بدر الدين فانهُ يعسر تخريجهُ لجعل المدافع قنابل . وسنعود الى هذا الموضوع . وحبذا لو عثر احد الباحثين على نسخة قديمة من هذين الكتابين او من غيرهما تزيل هذا الالتباس

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النباتات الاهلية وفوائدها الطبية

الفليفلة. A. Cayenne pepper, F. Piment, L. Capsicum. ثمر نبات من الفصيلة البطاطية اخضر قبل النضج واحمر بعدهُ طعمهُ حار يستعمل لتتبيل الطعام ولاسيما في البلاد الحارة وهو منبه ومقوٍ للمعدة ويستعمل من الخارج في التعليلة وضد سقوط الشعر وتعمل منهُ غرغرة لشفاء البحة ·

الفول. A. Horse bean, F. Fèves, L. Faba vulgaris. حب نبات من الفصيلة القرنية كثير المادة الغذائية ويغش بهِ دقيق القمح وهو غير مضر الاَّ انهُ يجعل لون الخبز اسمر مسودًّا ويصعب هضمهُ وزهر الفول ملين لطيف ·

قثاء الحمار A. Squirting cucumbre, F. Concombre sauvage, L. Ecbalium elaterium. ثمر نبات بري من الفصيلة اليقطينية عصيرهُ كاوٍ وقطرات قليلة منهُ تسهل اسهالاً عنيفًا ويستخلص منهُ خلاصة فعالة elatériue لا تستعمل الاَّ بارشاد الطبيب

القرع : انظر اليقطين

القرفة. A. Cinnamon, F. Cannelle, L. Cortex cinnamoni. قشر شجرة من الفصيلة الغارية رائحتهُ زكية وطعمهُ عطري مقبول حار الى حلاوة خفيفة وافضلهُ ما يرد من جزيرة سيلان وهو منبه ومضاد للتشنج يعطى مقويًا للمعدة وللقلب في الحميات العفنية ويضاف الى الخمور المقوية لتحسين طعمها وزيادة فعلها المقوي وهو من البهارات النافعة الكثيرة الاستعمال

القرنفل A. Pink, F. Oeillet, L. Caryophyllus زهر نبات من الفصيلة القرنفلية يحضر من ورق زهرهِ شراب يفيد منبهًا ومسكنًا للاعصاب

القصعين A. Sage, F. Sauge, L. Salvia. اعشاب عطرية من الفصيلة الشفوية

اكثرها منبه ومقوٍ واكثر ما يستعمل منها رؤُوسها وتوخذ نقيعاً بنسبة ٤ — ٨ كرامات في ٥٠٠ كرام ماء ويقطر منها ماءُ عطري وزيت طيار

القطران .. A.Tar, F. Goudron, L. Pix navalis هو سائل اسود بقوام الشراب كريه الرائحة والطعم يستخرج من خشب الصنوبر والشربين ويفيد كثيراً في امراض الصدر ولاسيما في السل وتزيد فائدتهُ فيهِ اذا استعمل استنشاقاً وذلك بان يوضع شيء منهُ في وعاء فيهِ ماء يوضع على نار خفيفة بحيث لا يغلي

والقطران فائدة كبيرة في معالجة فلغماسيا الجلد وفي كثير من الامراض الاخرى كالاكزيما وامثالها سواءٌ كان من الداخل او من الخارج ويفيد في زكام الحلق والمثانة وبالاجمال هو من الادوية المطهرة للمسالك التنفسية والمنقية ويستحضر منهُ اقراص ممزوجة بالسوس او المانثول او بلسم طولو وافضل استحضاراتهِ واكثرها استعمالاً الماءُ المعروف بماء القطران وجرعتهُ ملعقة صغيرة مع نصف كوبة ماء ثلاث مرات في النهار

القطن A. Cotton, F. Coton نجم من الفصيلة الخبازية يستعمل في الهند ملطفاً كما تستعمل الخبازى والخطمية عندنا ويستخرج من بزرهِ زيت حلو يستعمل في الطب والطبخ وخلاصة جافة تباع في الصيدليات على هيئة مسحوق حبيبي باسم اللكتاغول lactagol تفيد فائدة واضحة في زيادة افراز اللبن وتقوية خواصهِ الغذائية وتظهر هذه الفائدة بعد اخذهِ بمدة تتراوح بين اربع وعشرين ساعة وثلاثة ايام وتدوم كل مدة استعمالهِ ولو طالت وتقف بعد الانقطاع عنهُ وتعود بعد الرجوع اليهِ وجرعتها ملعقة صغيرة ثلاث مرات في النهار

والقطن نفسهُ كثير الاستعمال في الجراحة وكبير الفائدة في تضميد الحروق فانهُ يلطف ألمها ويسكنهُ ويسرع اندمالها . واشكالهُ كثيرة منها المعقم المعروف بالهيدروفيل ومنها المطهر باضافة مادة مضادة للفساد اليهِ كاليود والسليماني والفنيك والبوريك واليودوفورم والدرماتول والثيمول الخ

القنب A. Hemp, F. Chanvre, L. Cannabis sativa نبات من الفصيلة الانجرية تنبعث من كل اقسامهِ رائحة مسكرة وتحتوي بزرتهُ على لوزة بيضاء تتضمن شيئاً كثيراً من زيت دهني

ومن القنب الهندي يستحضر الحشيش الذي يستعمل مسكراً في انحاء كثيرة من الشرق

فيفعل كالافيون والمشروبات الروحية · وللمولعين بهِ طرق كثيرة لاستعمالهِ اكثرها شيوعاً تدخينهُ بالنارجيلة وهو يؤدي الى عواقب وخيمة فيضعف البنية والاعصاب ويجر الى البله والجنون والموت

والقنب مسكن ومخدر ولهُ مستحضرات كثيرة اهمها الخلاصة تعطى حبوباً بجرعة ٥ سنتكرامات

القنطاريون A. Centaury, F. Centaurée, L. Erythrœa centaurium

نوع اعشاب جميع اجزائها ولاسيما جذورها مرة ومنها العشبة المعروفة بالشوكة المباركة

وهي مقوية ومضادة للحمى المتقطعة وقد تقوم مقام الكينا فتستعمل نقيعاً او تنقع بالخمر وتؤخذ هكذا للتقوية في النقاهة بعد الحمى المتقطعة وجذورها مسهلة ومعرقة

القهوة A. Coffee, F. Café, L. Coffea تحضر القهوة من البن وهو ثمر شجرة من الفصيلة الفوية يحتوي على زيت عطري يظهر بالتحميص فيكسب القهوة نكهتها وخاصتها المنبهة ويستخرج منهُ مبدأ فعال هو الكافائين الذي يستعمل مقوياً للقلب في كثير من الاحوال المرضية وافضلهُ العربي الذي يرد من اليمن والحجاز واكثرهُ سعة تجارة البرازيلي

والقهوة شائعة الاستعمال في كل اقطار المسكونة وافضل طرق استعمالها الطريقة العربية باعتراف اهل الغرب وهي مشروب لذيذ مفيد ولاسيما بعد التعب وتعطى في الاغماء والخمول والانحطاط ولمضادة التسمم بمستحضرات الافيون وتستعمل لاخفاء الطعم الكريه للمسهلات الملحية ككبريتات الصودا والملح الانكليزي وطعم زيت السمك

ويستعملون في الحجاز والعراق الاوراق والطرابين الطرية بدلاً من البن فيغلونها بدون تحميص ويشربون المغلي فيقوم مقام القهوة ويقولون انهُ لا يقل عن قهوة البن نفعاً ونكهةً

ويفيد مغلي البن النيء في شفاء الحمى المتقطعة وكثيراً ما يقوم مقام الكينا

الكباد · انظر ليمون حامض

كبش القرنفل A. Clove, F. Clou de girofle, L. Caryophyllus aromaticus

زهر نبات من الفصيلة الآسية يجنى قبل تفتيحهِ حينما يكون ورق الزهر لا يزال ملتفاً بعضهُ على بعض وبارزاً قليلاً من الكاس ويجفف في الشمس ويعرض للتجارة وهو عطري زكي الرائحة يحتوي على زيت طيار وآخر ثابت · واكثر استعمالهِ لتطييب المعجونات والحلويات وهو منبه ومقوٍ للمعدة وللقلب · ويستقطر منهُ ماء يؤخذ بجرعة ٣٠ كراماً الى ٦٠ ويؤخذ نقيعهُ بنسبة ١ الى ١٠ في الالف

كبوش الارض او القش · فرولة A. Strawberry, F. Fraise, L. Fragaria ثمر نبات من الفصيلة الوردية لذيذ الطعم طيب الرائحة يحضر منهُ شراب مبرد يوْخذ حسب الارادة · وجذورهُ قابضة قليلاً ومنبهة للقابلية ومدرة للبول تستعمل نقيعاً بنسبة ٢٠ كراماً منها الى ليتر ماء ولمغليها لون احمر جميل يسود مع الحديد · واوراقها الطرية تدر البول فتستعمل نقيعاً كالشاي ويعزو لها البعض خاصة شفاء القروح لوجود مبدإٍ قابض فيها

كبوش العليق A. Blackberry, F. Framboise, L. Rubus. ثمر النجم من الفصيلة الوردية مبردة مثل كل الاثمار الحامضة وشرابها مبرّد يوْخذ حسب الارادة وتحلى بهِ الادوية

الكتان A. Linnen, F. Lin, L. Linum. نبات من الفصيلة الكتانية بزوره كثيرة الاستعمال في الطب الاهلي فمن دقيقها تحضر الضمادات الملينة ويستخرج منها زيت تحضر منهُ والشموع المرنة

وبزر الكتان كثير اللعاب اذا نقع بالماء السخن كان منهُ نقيع لزج يستعمل غسولاً وضماداً وحقناً في كل الاحوال الالتهابية واذا اخذت قبضة منهُ وصب عليها ماء غالٍ حصل مشروب لطيف جداً يستعمل ملطفاً ومحللاً للبلغم واذا اخذ منهُ ملعقة او ملعقتان صغيرتان صرفاً فعل فعلاً مليناً او فعلاً مسهلاً بدون تعب وانزعاج وبالاجمال ان بزر الكتان عقار اهلي نافع خالٍ من الضرر

الكراويا A. Caraway, F. Carvi, L. Carum carui عشبة من الفصيلة الصيوانية بزورها عطرية من البزور الاربعة الحارة عند القدماء وتشبه الانيسون بخواصها

الكرز A. Cherry, F. Cerise, L. Cerasus شجرة من الفصيلة الوردية اصلها من سيرازونت Cèrasonte المعروفة الآن باسم كريزون على جسر اوكزن في البحر الاسود· يستعمل قشرها محل استعمال خشب الكينا وثمرها صحي لذيذ مبرد وملين يحضر منهُ شراب · واذناب الثمر مدرة للبول وتستعمل نقيعاً بنسبة ١٠ الى ١٠٠

الكرفس A. Celery, F. Céleri, L. Apium graveolens. عشبة من الفصيلة الصيوانية طعمها حار وكل اجزائها عطرية تحتوي على زيت طيار وخواصها منبهة ومدرة للبول · بزرها من البزور الاربعة الحارة وجذرها من الجذور الخمسة المفتحة عند القدماء يدخل في شراب الجذور الخمسة وفي شراب الشيكوريا المركب

الكركم A. Crocus, F. Curcuma, L. Curucma جذر نبات من الفصيلة الزنجبيلية عطري منبه ومدر للبول يحضرون منهُ ورقاً للكشف الكيماوي

كزبرة البئر A. Maidenhair, F. Capillaire, L. Adiantum عشبة طحلبية كثيرة الاستعمال في الطب رائحتها مقبولة وطعمها قابض قليلاً وهي ملطفة ومحللة للبلغم ومدرة للبول تستعمل نقيعاً بنسبة ١٠ — ١٠٠٠ ويستقطر منها ماء ويحضر منها شراب وهي من طاردات الريح عند القدماء

الدكتور امين ابو خاطر

النوراستينيا او ضعف العصب

هي ضعف في الاعصاب عموماً لا يرافقهُ تعطل عمل مخصوص من اعمال الجسم ولا ألم مخصوص ولكن المصاب بهِ يمسي غير قادر على العمل ساعات متوالية · وهو قريب من الهستيريا حتى يتعذر الحكم في بعض الاصابات امن النوع الواحد هي ام من النوع الآخر ·

واظهر اعراض النوراستينيا الشعور بالضعف عند العمل وسرعة الاعياء · وقد يشعر المصاب بها في اول النهار ان في امكانهِ اتمام اعمال كثيرة فلا يكب على العمل قليلاً الاَّ ويأخذ منهُ الاعياء ويرتعش · ويتغير منظرهُ فيشحب لونهُ ويقل دمهُ وينتفخ ما تحت عينيهِ ويهزل في الغالب ولكنهُ قد يسمن ويرهل · وينحط جسمهُ عموماً فيشعر بخفقان قلبهِ وتقل شهوتهُ للطعام ويسوء هضمهُ · وفي اول الامر ينعس كلما تعب ولكن اذا قويت عليهِ النوراستينيا تولاهُ الارق · وتضيق اخلاقهُ فيمسي شديد التأثر يهمهُ الامر التافه ويحرمهُ الراحة ولا يميز بين المهم والتافه من الامور وقد يقوم في نفسهِ انهُ لا يقوى على اتمام امر من الامور وتكثر المواد الفصفاتية واليوراتية في بولهِ

يصاب بالنوراستينيا المعرض لها بطبيعة اعصابهِ وضعفهِ الفطري اذا اجهد قواهُ العقلية او توالت عليهِ الكوارث واورثتهُ الهموم والغموم وقد يصاب بها المتعود عيشة الرفاه والرخاء وخلو البال من الهم اذا اصابتهُ كارثة ولو كانت ممَّا لا يؤثر في غيرهِ ممن تعوَّدوا التعب والعمل · وقد يسببها عطب في الرأس او الظهر من جراء حادثة يرافقها خوف شديد كاصطدام قطر بآخر او ارتطام سفينة

علاجها — اذا كانت النوراستينيا في بدايتها فتسهل مداواتها بانقطاع المصاب عن العمل شهراً او شهرين في مكان لا يسمع فيهِ شيئاً عن اهلهِ واعمالهِ وكل ما يغمهُ وتناولهِ

المقويات لتقوية الشهوة للطعام وعكفهِ على الرياضة البدنية في الهواء الطلق وتخلصهِ من الارق والامساك بما يزيلهما اذا ظهرا فيهِ · اما اذا قويت النوراستينيا حتى ذهبت شهوة الطعام جملةً وصار العليل لا يقدر ان يقوم بعمل فيقيم في فراشهِ لا يخرج منهُ ولا يعمل عملاً عقليًا او بدنيًا ولا يأْكل في اول الامر الاَّ اللبن بمقادير يسهل على معدتهِ هضمها و يزاد لهُ تدريجًا كلما قوي هضمهُ الى ان يصبح قادراً على تناول الاطعمة الاخرى · و يدلك بدنهُ وتحرَّك اطرافهُ كل يوم فيقوم ذلك مقام الرياضة و يمكن جسمهُ من هضم الطعام وتمثيلهِ · واذا تحسنت حالهُ وصار قادراً على الذهاب والمجيء يخرج للسياحة قبل عودهِ الى اعمالهِ

الاغماء وكيف يعالج

الاغماء هو الغياب عن الوعي لتقصير القلب وقلة الدم في الدماغ اذ ينقطع عمل الدماغ او يضعف · و يمكن تجنب الاغماء اذا شعر المرء بدنوهِ بالاستلقاء على الارض او بالجلوس والانحناء الى الامام حتى يصير الراس دون الركبتين · اما سبب تقصير القلب فقد يكون تعبهُ وهو مصاب بمرض او ضعف وقد يكون ارتخاء عضلات الجسم عموماً كما يقع للضعفاء في الحمام السخن · ومن اسباب الاغماء شدة تهيج العواطف خصوصاً الحزن والالم المبرح كالم الرجل التي دهسها القطر واللطمات العنيفة على الراس او على البطن وتنشق الهواء غير النقي والروائح الكريهة ورؤْية ما يثير الحزن او الكره · وقلما يغمى على احد الاَّ اذا اجتمع عليهِ اكثر من سبب واحد من هذه الاسباب اما المصابون بالهستيريا و بعض الامراض الاخرى فيغمى عليهم لاقل سبب وقد يصحون من اغماءٍ فيقعون في آخر · وتسببهُ ايضاً بعض الادوية كالتبغ والكلوروفورم اذا اكثر منها

اما اعراض الاغماء فمعروفة وقل من لم يرَ شخصاً مغمًى عليهِ · ويسبقهُ ضعف النبض وامتقاع اللون والشعور بانحطاط القوة وثقل السمع وعدم تبيّن المرئيات بجلاء · و ينقطع المغمى عليهِ عن كل حركة و يقل تنفسهُ كثيراً و يضعف نبضهُ وتظهر في الغالب قطرات العرق على وجههِ · ولا يدوم الاغماء عادةً اكثر من ثوانٍ او دقائق قليلة ولكنهُ قد يدوم ساعات

علاجهُ — يمكن منع الاغماء في الغالب كما تقدم · ولكن اذا اغمي على شخص فكل ما يجب عملهُ هو تنويمهُ على الارض على ظهرهِ وازالة كل ما يعوق تنفسهُ وجعلهُ بحيث يصلهُ الهواء النقي · و يجوز فرك اطرافهِ او تربيتها ورش الماء على وجههِ وتنشيقهُ بعض الارواح كماء كولونيا والرائحة التي تتصاعد من حرق ريش الطيور

فوائد منزلية

ضربة الشمس

تحدث ضربة الشمس (الرعن) من شدة حرارة الشمس اذا اصابت قفا العنق فيجب عدم تعريضهِ للشمس وحرارتها . واذا أُصيب احد بضربة الشمس تفك ازرارهُ و يوضع ماء بارد او ثلج على رأسهِ

الثياب المبلَّلة

الثياب المبلَّلة مضرة جدًّا سواءٌ كان تبللها من العرق او المطر او ما اشبه فيجب خلعها حالاً وابدالها بغيرها وكذا الشراشف والملاءات المبللة

تهوية الفراش

يجب ان يُعلَّم الاولاد ان يفتحوا شبابيك الغرفة التي ينامون فيها قبلما يخرجون منها صباحًا وان يرفعوا ما على اسرتهم من الملاءات و ينشروهُ في الهواء او يعرضوهُ لهُ

القناديل في غرف النوم

اذا أُضيئت شمعة في غرفة النوم اخذت من اكسجين هوائها مدة الليل قدر ما يأخذ رجل نائم فيها . واذا اضيء الغاز فيها اخذ من اكسجين هوائها مقدار ما يأخذهُ ثلاثة من النيام . فيجب ان يتعلَّم الناس ان يناموا ولا مصباح موقد في غرفة النوم لانهُ يقلل صلاحية الهواء للتنفُّس ولا سيما اذا كانت الغرفة مقفلة الكوى

لحم الكهرباء

اذا كسرت اداة من الكهرباء (الكهرمان) واردت لحمها فاذب قليلاً من الكهرباء في الكلوروفورم وادهن بهِ قطعتي الاداة حيث يراد لحمها معًا بعد ان تنظفا جيداً والصقها فتلتصقان جيداً

مسحوق يقتل النمل

اذب ثلاثة اجزاء من الكبريت وجزئين من كربونات البوتاس في اناء من الخزف على النار وحينما يبرد مزيجها اسحقهُ سحقًا ناعمًا وذرهُ حيث ترى النمل

ماء الاستحمام

ماء الحمام اما بارد ودرجة حرارتهِ ٣٥ الى ٦٥ بميزان فارنهيت واما فاتر ودرجة حرارتهِ من ٧٥ الى ٩٠ واما حار درجة حرارتهِ من ٩٨ الى ١١٠

ولا يجوز الاغتسال بالماء البارد او الحمام البارد الاَّ اذا كانت البنية قوية والصحة غير منحرفة · ويجب ان لا يقوم الانسان في الماء البارد طويلاً بل يخرج منهُ حالاً ويفرك بدنهُ جيداً وما يقال عن المغطس البارد يقال عن الرشاش (الدوش) البارد ولا يجوز الاغتسال بالماء البارد اذا كان الجسم حارًّا جدًّا او كان فيهِ مرض

ومهما كان نوع الحمام فلا يحسن بالانسان ان يبقى فيهِ اذا شعر بتشة برد بل يجب ان يخرج منهُ حالاً ويفرك بدنهُ جيداً حتى يدفأ

ولعلَّ الحمام التركي خير انواع الحمامات لان غرفتهُ تكون دافئة فلا يبرد فيهِ الجسم ولا يتعرض للاحتقانات الدموية · وما يتبعهُ من الدعك افعل في تحريك الدم من الدوش البارد الذي يقصد بهِ دفع الدم من ظاهر الجسم الى باطنهِ



تربية الماشية (البقر) في مصر

العناية بالبقرة الحلوب

ان العناية بالماشية الحلوب في مصر على غير ما يرام · والفلاح لا يقتني غير البقرة القادرة على العمل واللبن والعمل على طرفي نقيض لان العمل يضعف البقرة ويجعل معظم غذائها يذهب الى تعويض ما تفقدهُ في الشغل ولا يبقى منهُ غير جزء يسير يذهب لتكوين اللبن وان اقتنى احد الفلاحين بقرة للحلب خاف عليها من الاصابة بالعين فيحجبها عن جميع الابصار بربطها في زريبة محاطة بسور من حطب القطن لا تقيها حرارة الشمس ولا برد الليل فتنام على روثها فيتسخ جسمها وضرعها ويصير لبنها عرضة للاوساخ وجسمها عرضة لكثير من الامراض واحياناً يبلغ بهِ الحذر مبلغاً يدفعهُ الى تلطيخ جسمها بالطين فيجعلها عرضة للامراض والهلاك فيجب ان تبنى الزريبة على طريقة يتجدد معها هواؤها ويدخلها النور وان يرش التراب الرفيع على الروث فيها وان يقام بقربها مظلة تستظل بها البقرة مدة النهار

اما العجول الصغيرة فتربط من يوم ولادتها فتنشأ ضعيفة هزيلة عديمة النشاط قليلة الشهوة للأكل · ولربطها في مكان واحد مع امها ضرر آخر وهو تعود الام على رؤية ولدها

معها دائماً حتى اذا اريد ابعادهُ عنها غضبت غضباً شديداً قد يضرها فافضل وسيلة هي اختيار قطعة ارض طلقة الهواء كثيرة الضوء مرتفعة واحاطتها بسور من السلك او الخشب واطلاق العجول الصغيرة فيها تجري وتلعب كما تشاء فتنمو بسرعة وتزداد نشاطاً وقوةً · وافضل وقت لميلاد العجول الربيع والشتاء لوجود البرسيم فيهما وهو سهل المضغ والهضم فتأكلهُ العجول وتغتذي بهِ البقر فيكثر لبنها وفضلاً عن ذلك هذا الوقت هو موسم اللبن لان فيهِ يصنع الجبن والسمن للسنة جميعها لعدم صلاحية عمل ذلك تماماً في الصيف لارتفاع درجة حرارتهِ · فالواجب اذاً الاجتهاد بجعل زمن الوضع في هذا الوقت لهذه الاسباب فان طلبت البقرة المواقعة مثلاً في شهر دسمبر فيكون ميعاد وضعها في اغسطس فيقول الفلاح الافضل تأخيرها لمارس حتى تضع في دسمبر (ابتداء البرسيم) ولكن تأخيرها مدة اربعة شهور بدون ملاقاة الذكر يجعلها لا تضبط الأ بعد عدة مرات وبذا يضيع وقت طويل بدون حمل وفي ذلك خسارة اكبر مما لو تركت للواقعة عند الطلب ففي مثل هذه الحالة يلزم التدرج بتأخيرها مدة قصيرة حتى تطلب ثاني مرة فيجمعها بالذكر ويفعل كذلك ثاني سنة حتى يتوصل الى مبتغاهُ

اما شبة البقر الحامل فيجب الاعتناء الزائد بمعاملتها حيث لم يسبق لها ذلك فعلفها يكون مناسباً لا كثير الغذاء فيتحول الى سِمَن ولا قليلهُ فتضعف ويضعف معها جنينها ويسمح لها بالرياضة واستنشاق الهواء النقي وتمنع من المشي الكثير والتنقل بالمرة وتوقى قبل الولادة بشهر ونصف او اكثر من الامساك والضرب ووثوب ثور عليها · كل هذه مسائل يجب الالتفات اليها وعندما يأتيها المخاض يلازمها صاحبها لمساعدتها ان اقتضت الحال بشرط تطهير يديهِ وذراعهِ بالحامض الفنيك المخفف خوفاً من اصابتها بمرض وبعد وضع العجل مباشرةً يتركهُ لها لتنظفهُ من المواد المخاطية المغطية لجسمهِ بلحسها لهُ وان لم تفعل ذلك كما يجب تساعد على ازالة هذه المواد بالقش ثم يرشد العجل الى ثدي امهِ ليتغذى بما تفرزهُ من اللبن الطبيعي ذي القوام المتماسك الكثيف واللون الاصفر ويسمى باللباء (السرسوب او المسمار) فقد خصهُ الله بمزايا كثيرة لا غنى عنها للعجل بعد ولادتهِ منها احتواؤهُ على مواد مسهلة تمنع عسر الهضم وتنفع العجل ولكن الفلاح يحلب معظمهُ لأكلهِ فينشأ العجل ضعيفاً ان لم يصب بمرض ولعلَّ الفلاح اذا ادرك خطأهُ لا يعود اليهِ

والشبة لعدم تعودها الحلب من قبل يلزم الحلاب استعمال الرأفة بها حتى لا تنشأ فيها اخلاق سيئة والحلب يجب فيهِ الاستمرار مع السرعة بعد تنظيف الضرع تماماً لئلاً يأخذ مقدار ما تدرهُ البقرة من اللبن في التناقص وتؤدي القذارة ايضاً الى قلة الدهن في اللبن

وفساده بسرعة وتعرض الضرع نفسهُ لكثير من الامراض والفلاح يزيد الطين بلة بوضع يده في اللبن تسهيلاً للحلب اذ يلوثهُ بما يتفق ان يكون عليها من الوسخ والجراثيم وفضلاً عن ذلك قد تصاب حلمة الثدي بالتشقق ونزف الدم بسبب ذلك فالواجب اذاً غسل الضرع واليدين بالماء الفاتر والصابون قبل الحلب ثم تنشيفها جيداً بعدهُ — ويسهل حلب البقرة اذا كان ولدها بجانبها فبينما هو يرضع احد شقي الضرع يحلب الشق الآخر وان اريد منهُ ادرار امهِ للبن يربط برجليها الاماميتين لان رؤيتها لهُ تجعلها ساكنة هادئة

وتترك اغلب الابقار بدون غطاء صيفاً وشتاء وذلك غلط فحرارة الصيف نهاراً شديدة تؤثر تأثيراً سيئاً في مقدار اللبن والغذاء الجاف في هذا الوقت يزيد هذا التأثير اما في الشتاء فتقتات المواشي بالبرسيم تترك ترعاهُ نهاراً وليلاً في الغيط فتكون عرضةً للبرد والامطار وصقيع الليل الشديد فتفقد معظم غذائها في حفظ حرارة جسمها والبرسيم ليس مما يولد حرارة كثيرة فتكون النتيجة قلة اللبن فالواجب اذاً ايواء البقر في الزرايب ليلاً واحضار البرسيم لها فيها اما في النهار فترعاهُ في الغيط لان ذلك افضل للماشية وللارض لما تكتسبهُ من الغذاء الذي في برازها — اما اوقات الحلب فيجب ترتيبها بقدر الامكان لانهُ ان طالت المدة قبل الحلب يكثر مقدار اللبن ويقل الدهن فيهِ والعكس بالعكس وبعد انتهاء زمن الحلب يلزم تمشيط الابقار لنظافة جسمها من الوسخ ومن الحشرات الطفيلية

الغذاء — الغالب ان الفلاحين لا يقدمون الغذاء الكافي للبقر فتنشأ ضعيفة هزيلة يتعذر تحسينها في مستقبل عمرها مهما قدم لها من الطعام وهذا من الاسباب المهمة لعدم وجود انواع خاصة للبن والعمل وغيرهما. والاغذية في مصر خضراء وجافة واهم انواع الاولى البرسيم شتوي ويمكث نحو سبعة شهور فتتغذى جميع مواشي القطر منهُ ويراعى عند اعطاء البرسيم للبقر النقط الآتية — جسم البقرة ومقدار ما تفرزهُ من اللبن وما تعملهُ من العمل ان كانت غير حامل وصاحبها يضطر الى تشغيلها وقد قدروا للبقرة مدة الربيع ثلاثة ارباع فدان تقريباً ولكن احسن طريقة ربطها في الغيط ترعى طول النهار لتأكل ما يكفيها. ويجب ان لا يسمح لها باكل البرسيم صباحاً قبل ان يجف الندى عنهُ لئلا يختمر في جوفها ويحاول الفلاح احياناً الاقتصاد فيضيف للبرسيم بعض الحشائش واوراق الخضراوات مثل الكبر واوراق الكرنب فتنتقل رائحتها الى اللبن فيصير غير مقبول ويعرض عنهُ الشارون. وفي بعض الجهات عند ارتفاع ثمن البرسيم يضيفون اليهِ قش الارز غير عارفين ان ذلك يقلل من مقدار اللبن — وبعد انقضاء موسم البرسيم تتغذى الماشية بالعلف الجاف لانهُ في زمن الصيف

لا يزرع الأ بعض الاباعد القليلة العلف الاخضر مثل الذرة الشامية والدنيبه والبرسيم الحجازي وحشيش الامشوط وقد تكلمت على صفاتهِ وكيفية زرعهِ وذرع المحاصيل السابقة في المقتطف الاغر منذ اربع سنين وبينت ما لها من المفعول الحسن في زيادة اللبن مما لا يتوصل اليهِ مطلقاً بالعلف الجاف خصوصاً التبن الذي يعتمد عليهِ الفلاح لرخصهِ وهو غير محتوٍ على شيء من عناصر التغذية الضرورية وفائدتهُ توليد الحرارة في الجسم وملء الجهاز الهضمي حتى يستطيع هضم الحبوب المغذية مثل الفول او الشعير او اقراص بذرة القطن المقشورة وغير المقشورة واقراص السمسم وبذر الكتان وكثير من الفلاحين يخزنون الدريس لزمن الصيف فيكون غذاء نافعاً للماشية محمد مختار الجمال

مساعد مدرس بمدرسة الزراعة

ارشادات لزراعة الفاصولية البيضاء

وزعت نظارة الزراعة منشوراً فيهِ الارشادات الآتية لزراعة الفاصولية

١ التقاوي — لا توجد تقاوي هذا الصنف عادة في القطر وانما يمكن استيرادها من الخارج فعلى من يريد شيئاً منها ان يخابر نظارة الزراعة بالكمية التي يطلبها ومتى اجتمع لدى النظارة مقدار كافٍ من الطلبات فهي تقوم اذ ذاك بالاتفاق مع بعض تجار هذا الصنف لكي يوردوهُ مباشرة الى الطالبين

اما مقدار ما يلزم للفدان الواحد من التقاوي فنحو كيلتين ونصف

٢ ميعاد الزراعة — في شهري فبراير ومارس

٣ تاريخ الحصاد — يحصد المحصول الناضج الجاف بعد تاريخ الزراعة بثلاثة اشهر ونصف

٤ الفلاحة — افضل طرق زراعة الفاصولية ان تخطط الارض خمسة خطوط في كل قصبة ويزرع الخط من جانبيهِ

٥ السماد — تسمد الارض بالسماد الكفري بمجرد ظهور النبات على وجه الارض . اما اذا استعمل السماد الكيماوي فيوضع للفدان ٢٢٥ كيلو من فوق الفوسفات و٥٠ كيلو من ميوريات البوتاس قبل البذار وهذا طبقاً للمقادير التي يستعملها قسم البساتين التابع للنظارة

٦ الري — تبتدئ الرية الاولى في اول فبراير قبل البذار والرية الثانية بعد البذار بنحو ٣٠ يوماً واما غيرهما من الريات الخفيفة فتكون حسب المناوبات فاذا اخذت القرون في التكون تروى الارض في فترات من ١٢ يوماً الى ١٥

٧ الفاصولية الخضراء — اذا زرعت الفاصولية لتؤكل خضراء فالارض تروى كل اربعة او خمسة ايام اثناء تكون القرون

٨ الفاصولية الناشفة — يقلع المحصول و يدرس بالطريقة المعتادة وتبنهُ ينفع غذاء للمواشي

٩ تؤكل الفاصولية البيضاء في سائر انحاء اوربا و يكثر طلبها ايضاً في اميركا

مستقبل زراعة القطن

وما يجب على الحكومة

يزرع القطن في القطر المصري في نحو مليون وثمانمئة الف فدان و يبلغ محصولهُ نحو سبعة ملايين قنطار الى سبعة ونصف فمتوسط محصول الفدان اربعة قناطير او اكثر قليلاً ومتوسط النفقات اللازمة لزرع فدان القطن الى ان يجنى و يباع من ثمن تقاوي وسباخ واجرة حرث وتخطيط وعزق وري وجمع وغفر نحو سبعة جنيهات ومتوسط ايجار الفدان الذي يبلغ محصولهُ اربعة قناطير ثمانية جنيهات فايجار هذا الفدان ومصاريف زراعتهِ ١٥ جنيهاً. وكان متوسط ثمن قنطار القطن في السنين الاخيرة ٤٢٥ غرشاً فاذا كان الزارع لهُ مستأجراً اوفى الايجار وربح اجرة عملهِ وجنيهين فوقها وحطب القطن. واذا كان مالكاً ربح منهُ ما يعادل ايجارهُ . والاطيان التي محصولها اكثر من اربعة قناطير ايجارها اكثر من ثمانية جنيهات والتي محصولها اقل من اربعة قناطير ايجارها اقل من ثمانية جنيهات. وقد تقل مصاريف الزراعة فتبلغ ستة جنيهات او خمسة وقد تزيد فتبلغ ثمانية او تسعة كما لو زرع المالك لحسابهِ ولكن ما دام ثمن قنطار القطن يتراوح بين اربعة جنيهات وخمسة فمنهُ ربح معتدل

واذا قيل للاوربيين اصحاب معامل الغزل والنسج ان متوسط محصول فدان القطن المصري اربعة قناطير تباع بستة عشر جنيهاً او اكثر حسبوا ان الربح من زرع القطن يفوق كل حد لان الفدان عندهم في الزراعات الواسعة لا يبلغ ثمن محصولهِ اكثر من ستة جنيهات او سبعة فيلجأُون الى كل وسيلة لخفض سعر القطن لانهم يجهلون مقدار المصاريف اللازمة لزرعهِ و يجهلون ايضاً ان مال الفدان الذي يزرع قطناً يتراوح بين جنيه وجنيه ونصف و يصيبهُ من نفقات النظار والمعاونين والخولاء والكلافين وتطهير المراوي والمصارف والجسور لا اقل من مئة وخمسين غرشاً الى مئتي غرش فالفدان الذي ايجارهُ ثمانية جنيهات لا يكون صافيها لمالكهِ اكثر من خمسة وقد يضيع نصفها في سني المحل

واذا دامت الحال على هذا المنوال من هبوط سعر القطن دعت الضرورة الى ابطال

زرعهِ لانهُ اذا كان متوسط سعر القنطار ٣٠٠ غرش فقط فمن زرعهِ خسارة أكيدة والذي يخسر سنتين لا يستطيع ان يكرر الزراعة في السنة الثالثة

غير ان القطن اهم كل مزروعات القطر المصري وعليهِ وحدهُ الاعتماد في ايفاء الاموال الاميرية واقساط البنوك ودفع ثمن الواردات الاوربية وليس في القطر محصول آخر يمكن اصدارهُ يقوم مقام القطن فالقمح المصري غير مطلوب واذا تأخر تصديرهُ ضربهُ السوس وقس على ذلك سائر الحبوب فانها كلها لا تقوم مقام القطن ولا مقام بزرة القطن · والتبغ الذي يكثر البعض من الكلام عليهِ وعلى وجوب العود الى زراعتهِ لا يمكن ان يقوم مقام القطن الاَّ اذا ثبت انهُ يمكن تصديرهُ واستعمالهُ بدل التبغ التركي وهذا لم يثبت حتى الآن ولا يرجح انهُ ممكن بل لم يترجح ان الوطنيين يدخنونهُ بدل التبغ التركي والرومي · وقصب السكر لا تروج سوقهُ ويغلو ثمنهُ الاَّ اذا ابطل الاوربيون زرع البنجر وهذا لا يحتمل الاَّ في زمن الحرب

بقي انهُ لا بدَّ من الاعتماد على القطن ومن بذل كل وسيلة ممكنة لاحتكارهِ ورفع سعرهِ · وما من سبيل الى ذلك في هذا القطر الاَّ اذا فعلتهُ الحكومة نفسها لان ليس فيهِ شركات غنية تستطيع ان تشتري محصول القطر وتتحكم في ثمنهِ · والحكومة ليست تاجرة ولا يحسن ان تتعرض للتجارة ولكن هذه الحال استثنائية والحكومة فيها بين شرين اما ان تترك التجار يتحكمون بسعر القطن فيهبط حتى يصير زرعهُ خسارةً وتقع البلاد في الافلاس واما ان تستدين نحو ٢٥ مليونًا من الجنيهات تشتري بها القطن سنة بعد سنة وتتحكم في رفع سعرهِ فان فائدة الخمسة والعشرين مليونًا في السنة لا تزيد على مليون جنيه ولكن رفع سعر القطن يزيد دخل البلاد عشرة ملايين من الجنيهات على الاقل

اننا نرى الدول تستدين الآن مئات الملايين من الجنيهات تنفقها في حروبها والحرب ليست احلَّ من التجارة ولا ربحها للبلاد اوفر من ربح التجارة · والقواعد التي يجري عليها علماء الاقتصاد يحسن العمل بها ما دام النفع منها ثابتًا والضرر منتفيًا ولكن اذا اتضح ان نفعها غير ثابت وان ضررها محقق وجب العدول عنها

ان ما فعلتهُ الحكومة المصرية الآن من تعيينها مليون جنيه فقط لتشتري بهِ قطنًا وتحديدها للقطن سعرًا واطئًا يجعل زرعهُ خسارة بخسارة لممَّا يدلُّ على انها اعتمدت في ذلك على اناس لا يعرفون شيئًا عن زراعة القطن ومصاريفها ولا يدركون اهمية القطن للقطر المصري فان السعر الذي حددوهُ للقطن لا يفي في أكثر الاحيان بمصاريف الزراعة وحدها فمن اين يأتي اصحاب القطن باموال الحكومة وايجار الاطيان وسائر المصاريف العمومية



صبح الاعشى للقلقشندي

الجزءان الثالث والرابع

اتمت الكتبخانة الخديوية طبع الجزئين الثالث والرابع من هذا الكتاب النفيس وفيهما معاً اكثر من الف صفحة بقطع كبير

والكتاب كما قلنا فيهِ غير مرة جامع بين الغث والسمين ولكنهُ خزانة فوائد كأنهُ خلاصة ما وجدهُ المؤلف في الكتب العربية المتداولة لعهدهِ . فاذا كان الموضوع الذي نقلهُ دينياً او مرتبطاً ببحث ديني ذكرهُ او لخصهُ كما هو من غير تجريح او انتقاد واما اذا لم تكن لهُ علاقة بالدين فانهُ يستعمل عقلهُ غالباً في تمحيصهِ فنقل مثلاً « ان اول من وضع الخطوط والكتب كلها آدم عليهِ السلام كتبها في طين وطبخهُ وذلك قبل موتهِ بثلثمائة سنة فلما اظلَّ الارضَ الغرقُ اصاب كلُّ قوم كتابهم . وقيل اخنوخ (وهو ادريس عليهِ السلام) وقيل انها انزلت على آدم عليهِ السلام في احدى وعشرين صحيفة . وقضية هذه المقالة انها توقيفية علَّمها الله تعالى بالوحي والمقالتان الاوليان محتملتان لان تكون (كذا) توقيفية وان تكون اصطلاحية وضعها آدم وادريس عليهما السلام . على انهُ يحتمل ان يكون بعض ذلك توقيفياً علَّمهُ الله بالوحي وبعضهُ اصطلاحياً وضعهُ البشر » . والظاهر ان القلقشندي واضرابهُ كانوا اذا وجدوا اسم الله في مقالة قبلوها مهما كانت وضربوا بعقولهم عرض الحائط فاذا قال لهم قائل ان الله سبحانهُ وتعالى جعل حماري فرساً لكي استطيع ان افرَّ عليهِ من التهلكة او انهُ حوَّل النحاس في يدي ذهباً لكي اشتري بهِ كتاباً ثميناً من يد الكفار قالوا آمنَّا بالله والله على كل شيء قدير ولم يسألوا القائل عن بينة على صحة قولهِ

لكن القلقشندي لم يجرِ على هذا الاسلوب في ما لا علاقة للدين بهِ بل استعمل عقلهُ واختبارهُ كتفنيدهِ ما يقال من ان ابن مقلة هو اول من نقل الخط المتعارف الآن عن القلم الكوفي . قال : — « ذكر صاحب اعانة المنشىء ان اول ما نُقِل الخط العربي من الكوفي الى ابتداء هذه الاقلام المستعملة الآن في اواخر خلافة بني امية واوائل خلافة بني العباس . قلتُ : على ان الكثير من كتَّاب زماننا يزعمون ان الوزير ابا علي بن مقلة هو اول من ابتدع ذلك وهو غلط فاننا نجد من الكتب بخط الاولين في ما قبل المائتين ما ليس على صورة

الكوفي بل يتغير عنهُ الى نحو هذه الاوضاع المستقرة وان كان هو الى الكوفي اميل لقربهِ من نقلهِ عنهُ » . فقد اصاب في الاستدلال على ان ابن مقلة لم يكن اول من استنبط الخط النسخي من الكوفي ولو زاد بحثاً لوجد ان الخط النسخي اقدم من الكوفي

ومن المواضيع التي طرقها المؤلف في هذين الجزئين غير الخط وادواتهِ وملابساتهِ جغرافية الارض وتاريخ الخلفاء وعواصمهم بنوع عام والديار المصرية والعربية بنوع خاص والممالك المجاورة لها والكلام في ذلك خاص اكثرهُ برجال الدولة ووظائفهم وازيائهم ومواكبهم وما اشبه

والكتاب مطبوع طبعاً متقناً جدًّا في مطبعة بولاق الاميرية

تقويم الشرق

يندر ان يشتري المرء بستة غروش كتاباً عربيًّا حاوياً من الفوائد والنوادر ما في هذا التقويم فان فيهِ اكثر من اربع مئة صفحة ولا تخلو صفحة منها من فائدة او فوائد جمة هذا عدا ما وُضع التقويم لهُ بالذات وهو الدلالة على ايام السنة في الحساب المسيحي الغربي وما يقابلها في الحساب الشرقي والقبطي والهجري وطول النهار واوقات طلوع القمر وغروبهِ والاعياد المختلفة ومواقيت الصلاة

ومن الفوائد الكثيرة التي نؤثر نقلها عنهُ ذكر ولاة العهد العثمانيين الآن الذين يحق لكل منهم الملك بعد مَن هو اكبر منهُ سنًّا وهم

١ يوسف عز الدين افندي بن عبد العزيز ولد في ٩ اكتوبر ١٨٥٧ (ولي العهد الحالي)

٢	وحيد الدين افندي بن عبد المجيد	ولد سنة	١٨٦١
٣	صلاح الدين افندي بن مراد الخامس	«	١٨٦٦
٤	عبد المجيد افندي بن عبد العزيز	«	١٨٦٩
٥	محمد سليم افندي بن عبد الحميد	«	١٨٧٠
٦	ابرهيم توفيق افندي بن برهان الدين افندي	«	١٨٧٦
٧	سيف الدين افندي بن عبد العزيز	«	١٨٧٤
٨	ضياء الدين افندي بن السلطان محمد رشاد الخامس	«	١٨٧٧
٩	عبد القادر افندي بن عبد المجيد	«	١٨٧٨

وقد وضع هذا التقويم حضرة الدكتور هنري مدور ولم يدَّخر وسعاً في تنسيقهِ وتعميم فوائدهِ وجعلهِ لازماً لكل رب بيت وربة بيت

الارجوزة الفارحية
في الوصايا الالهية

نظمها حضرة الدكتور هلال فارحي وقد قال في مقدمتها ان في التوراة اي اسفار موسى الخمسة ٦١٣ وصية ٢٤٨ منها اوامر و٣٦٥ نواهٍ وقد نظمها بعض شعراء الاسرائيليين قديماً في قصائد شعرية بالعبرانية فاقتفى اثرهم ونظمها في ارجوزة عربية بلغة بسيطة . وحبذا لو عني بتنقيحها حتى تخلو من الخطإ اللغوي والعروضي فتستحسنها الخاصَّة كالعامة وتنطبق الفاظها على معانيها السامية

الامراض المعدية

وضع هذا الكتاب حضرة الدكتور محمد عبد الحميد بك طبيب مستشفى قليوب وقد نفدت الطبعة الاولى منهُ وفي ذلك دلالة على شدة الحاجة اليهِ فاعاد طبعهُ بعد ان نقحهُ وهذبهُ وزاد مادتهُ ورسومهُ . ومدارهُ على التيفويد والتيفوس والحمى الراجعة والقرمزية والدفثيريا والحصبة والسعال الديكي (الشهقة) والالتهاب الرئوي والجدري والنزلة الوافدة والكوليرا والملاريا والطاعون والسل والجذام والتتانوس والكلب والجمرة وما اشبه

العلاج الجراحي

تأليف وليم روز والبرت كارلس وتعريب الدكتور محمد بك عبد الحميد وهو الجزء الثالث من هذا الكتاب النفيس ومدارهُ على النزف وعوارض الشرايين وامراضها وجراحة الاوردة وامراض الاوعية الشعرية وآفات الاعصاب

مؤلفات الاب جرجس شلحت

انسنا بلقاء عالم كبير من علماء السريان وخادم امين من خَدَمة المذهب السرياني الكاثوليكي وهو الاب جرجس شلحت فاهدى الينا بعض مؤلفاتهِ وهي كتاب النجوى والنخبة من امثال فنلون والطراز المعلم في مدح البتول مريم وستة اعداد من مجلة الورقاء اما النجوى

فني الصناعة والعلم والدين ولها مقدمة في مناجاة الله علّق عليها شرحاً مسهباً ملأ اكثر من مئة صفحة جمع فيهِ من الاقوال والامثال والاسانيد ما يدلُّ على علم غزير وبحث دقيق واطلاع على مئات من نفائس الكتب المؤلفة بالعربية وغيرها من اللغات في المواضيع الدينية والفلسفية والادبية · فتراهُ يستشهد بأمية بن ابي الصلت والقزويني والقديس اوغسطينوس والفيلسوف ديبونلدوالامام علي بن ابي طالب والبرعي والسيد جرمانوس فرحات وجالينوس والمفضل بن المجيد وابن سينا والقديس توما وعبد الله المراش والقديس غريغوريوس النيصي وابي نواس وابن العبري والامام الغزالي والطغرائي وشيشرون وابن الفارض وابي العتاهية والسيد البطليوسي ونبوليون الاول وكتورهوغو والقديس ديونيسيوس وابي حيان التوحيدي ونحوهم ممن يُستشهَد باقوالهم · ومما نأخذهُ على المؤلف نبذهُ بعض الذين يخالفونهُ في المذهب ونعتهم بالمعطلة والملحدة والوثنية · ولا ندري اي فائدة تعود على نوع الانسان من نعت بعض افرادهِ بهذه النعوت ولاسيما اذا كانوا يعتمدون على عقولهم فترشدهم الى غير ما ترشدنا اليهِ عقولنا او الى ما يخالف معتقداتنا التي اخذناها بالتسليم او بالايمان· ولا نظن ان احداً كان على ضلال فاهتدى بمثل ذلك · فان كان عمران القرن العشرين لا يرفع البشر عن الوقيعة بعضهم ببعض ويجعلهم يعملون بنصيحة المعري القائل « فشاور العقل لا تبغي بهِ بدلاً » وبقول يعقوب الرسول القائل « ان الديانة الطاهرة النقية عند الله الاب هي هذه افتقاد اليتامى والارامل في ضيقتهم وحفظ الانسان نفسهُ بلا دنس من العالم » فالبشر افسد من ان يصلحهم دين او يرقيهم عمران · ولو قال كل الناس بعضهم لبعض لكم دينكم ولي دين لانتفى جانب كبير من الضغائن والاحقاد ولسهل على الفضلاء من كل امة ومذهب ان يزيلوا اكثر الشرور التي لا تزال متملكة على طبع الانسان

اللورد بيرون

اتحفنا حضرة عبد الرحمن افندي البرقوقي صاحب مجلة البيان بترجمة اللورد بيرون الشاعر الانكليزي الطائر الصيت ومختارات من قصائدهِ ورواياتهِ · وقد اورد المختارات كلها نثراً وحبذا لو عني احد شعرائنا بنظمها فان معانيها الشعرية من الطراز الاول والعربية من احوج اللغات الى الشعر القصصي (epic) لقلتهِ فيها نعم ان المترجم افرغ كثيراً من اقوال بيرون في قالب السجع ولكن النفس لا تطرب الى السجع كما تطرب الى الشعر

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كاف

(١) فصل الذهب عن البلاتين

مصر . الخواجه ميخائيل سعد . عندي كمية نحو مئة جرام ذهب من عيار ٢١ وداخل فيها جزء لربما ٥ في المئة من الذهب الابيض (اي البلاتين) مصهورة مع الذهب الاصفر . وحيث لا يمكن شغل هذا الذهب طالما البلاتين فيهِ لشدة صلابتهِ فما هي الطريقة لفرز الذهب الابيض عن الذهب العادي

ج . تأخر الجواب عن سؤالكم سهواً ولا نعلم طريقة لفصل البلاتين عن الذهب الأصهر المزيج على درجة من الحرارة تذيب الذهب ولا تذيب البلاتين فينفصل احدهما عن الآخر فان الذهب يصهر عند الدرجة ١٠٦٤ واما البلاتين فلا يصهر الأ اذا بلغت درجة الحرارة ١٧١٠ او اكثر والحرارة الاولى يسهل عليكم الوصول اليها واما الثانية فلا يسهل الوصول اليها لاسيما وان البلاتين قد لا يصهر على هذه الدرجة

(٢) من هو الحمداني

فراشة . شيخ العرب ابو هاشم علي قريط . من هو الحمداني الذي ينقل عنهُ كثيراً صاحب صبح الاعشى في كلامهِ على قبائل العرب . ج . اين ذكر صاحب صبح الاعشى الحمداني اي في اي مجلد واي صفحة . والذي يتكلَّم كثيراً عن قبائل العرب هو الهمْداني لا الحمداني . والهمداني هذا هو ابو محمد الحسن بن احمد ابن يعقوب الهمْداني المعروف بابن الحايك صاحب كتاب جزيرة العرب في الجغرافية وكتاب الاكليل في الانساب

(٣) اضيق مكان في بحر المانش

ومنهُ . ما اضيق مكان في بحر المانش

ج . بين دوفر وكاله وعرضهُ ٢١ ميلاً فقط

(٤) العنبر وفائدتهُ

ومنهُ . من اين يؤْتى بالعنبر وما هي فوائدهُ الطبية والصحية

ج . هو مادة دهنية تفرز من امعاء نوع من الحيتان وتوجد طافية على وجه الماء وملقاة على شاطىء البحر في برازيل ومدغسكر وافريقية وبلاد العرب والهند الشرقية والصين واليابان وهو يستعمل الآن طيباً

لا غير وكان الاقدمون يكثرون من استعماله طبًّا كمنبه للاعصاب

(٥) الرشيدي

ومنهُ . من هو الرشيدي صاحب كتاب المادة الطبيَّة

ج . هو احد الاطباء المصريين الذين اتموا دروسهم الطبيَّة في فرنسا في عهد اسمعيل باشا الخديوي الاسبق وبعد عوده جعل يدرّس في مدرسة قصر العيني الطبيَّة وكانت وفاتهُ سنة ١٢٨٢ وكتابهُ في المادة الطبيَّة من اوسع الكتب التي وضعت في موضوعه الى عهده

(٦) احياء الآداب العربية

ومنهُ . هل شرعت نظارة المعارف في طبع الكتب التي احضرها زكي باشا لاحياء الآداب العربية

ج شرعت في طبع بعضها ولكن المطبعة الاميرية لا تكاد تكفي لمطبوعات الحكومة . والحكومة مقيدة بطبع كتبها فيها عن قصر نظر . وترون في هذا الجزء فصلاً موضوعهُ عضد الدولة وهو من كتاب من هذه الكتب أُرسل الى اوربا ليطبع فيها والاوربيون انفسهم يرسلون الكتب العربية الى مصر والشام لتطبع فيهما

(٧) عدد الجيش الروسي

مصر . امين افندي محمد . كم عدد جنود روسيا او كم تستطيع ان تجند

ج . يبلغ عدد جيش روسيا وقت الحرب ثمانية ملايين و يقال انهُ كلهُ مدرَّب ومجهز بكل ما يلزم من الاسلحة وسائر المعدات الحربية كالخيول والمدافع ووسائل النقل وما اشبه واذا دعت الحال امكنها ان تزيد على هذا الجيش اربعة ملايين اخرى فيصير عدد جيشها وقت الحرب اثني عشر مليونًا .

ونفقات الجيش الروسي قليلة اذا قوبلت بنفقات الجيش الانكليزي مثلاً فراتب الضابط من ٣ جنيهات الى عشرة في الشهر وراتب الجنرال من ٣٠٠ جنيه الى ٥٠٠ في السنة

(٨) المعارك الكبرى

ومنهُ . هل حدث في الحروب القديمة معركة كبيرة تقابل بالمعارك الدائرة الآن

ج . كلاَّ فان المعارك التي وقعت بين الروس واليابان كانت اعظم المعارك المنظمة واكبرها معركة مكدن كان عدد الروس فيها ٣١٠٠٠٠ وعدد اليابانيين نحو ذلك ومعركة شاهو كان عدد الروس فيها ٢٠٠٠٠٠ وعدد اليابانيين ١٧٠٠٠٠ . ومعركة غرافلوت بين الفرنسويين والالمان كان عدد الفرنسويين فيها ١٢٠٠٠٠ وعدد الالمان ٢٠٠٠٠٠ . اما معركة وترلو الشهيرة التي أُسر فيها نبوليون فكان عدد الفرنسويين فيها ٧٠٠٠٠ وعدد الحلفاء ١٠٠٠٠٠ . ومعركة وغرام الشهيرة كان عدد جنود نبوليون فيها ٢٢٠٠٠٠ وعدد النمسويين ١٥٠٠٠٠ . ومعركة ليبسك كان عدد جنود نبوليون فيها ١٥٠٠٠٠ وعدد جيوش الحلفاء ٢٩٠٠٠٠



ترع المريخ

كتب الاستاذ بكرنج الفلكي في المجلة الفلكية العمومية ان ترع المريخ شيء حقيقي لا خداع في البصر ويظهر في القمر شيء من الترع اذا نظر اليهِ بنظارة صغيرة كما يظهر في المريخ وقد علَّل ترع المريخ بانها مناطق كبيرة تنمو فيها النباتات فيظهر لونها مخالفًا للون سائر الارض حولها واذا كانت هذه الترع صناعية فتكون قد حدثت من ان سكان المريخ استنزلوا المطر من الجو بوسائل كهربائية فروت الارض في تلك المناطق فنما النبات فيها

شكلان جديدان من الفصفور

للفصفور ثلاثة اشكال وهي الشكل الابيض المصفر وشكل احمر وشكل قرمزي والشكلان الاخيران هما المستعملان في عمل عيدان الكبريت وقد وجد احد الكيماويين الاميركيين شكلين آخرين احدهما ابيض متبلور وهو يتولد بتبريد الفصفور العادي الى الدرجة ٧٦ تحت الصفر على ضغط الهواء العادي والثاني اسود وهو يتكون باحماء الفصفور الابيض الى الدرجة ٢٠٠ سنتغراد تحت ضغط شديد

مذنب انكي

عاد مذنب انكي الى الظهور فرصد في مرصد سيمس ببلاد القرم لكنهُ صغير لا يرى الاَّ بالتلسكوب

مذنب دلاڤان

لا يزال مذنب دلاڤان ظاهراً وقد صوره بعضهم فاذا ذنبهُ فرعان فرع طويل ضيق وفرع اقصر منهُ واوسع

المطر في مالطة

كتب مدير المرصد المتيورولوجي في مالطة انهُ وقع مطر غزير جدًّا فيها في السادس عشر من اكتوبر في العام الماضي بلغ ارتفاعهُ في ڤلاتا ١٢ بوصة ونصف بوصة في يوم واحد وكان ارتفاع ما وقع بين الساعة ١ و٣ بعد الظهر ست بوصات. وبلغ ما وقع من المطر في ذلك اليوم في مكان اسمهُ فتوريوزا ١٦ بوصة وثلاثة اعشار البوصة او نحو ٤١ سنتمترًا اي مضاعف ما يقع في الاسكندرية في سنة كاملة مع انهُ لم يقع في بعض الجزائر المجاورة لمالطة في ذلك اليوم سوى نصف بوصة فالمطر الذي وقع فيها من النوادر في كثرتهِ

البرد والرعد في السودان

بلغ عدد الايام التي حدث فيها البرق والرعد في اماكن مختلفة من السودان بين سنة ١٩٠٩ و١٩١٣ ما تراهُ في هذا الجدول

في وادي حلفا	٠٢
« مروي	٤٢
« الاتبره	١٠
« كسلا	٢١١
« الخرطوم	١٦٧
« الابيض	١٧٣
« القلابات	٠٦٢
« الرصيرص	٤٢
« واو	٢٠

واكثر البرق والرعد بين الساعة السادسة والعاشرة بعد الظهر

منازل الملح

في بلاد الجزائر اكمة من الملح الصرف يبلغ قطرها نحو ميل وارتفاعها اكثر من ٣٠٠ قدم لا نبات فيها ولا في ما حولها على الاطلاق ولكن الطيور والخفافيش جعلتها وطنًا لها ولا سيما البواشق والفواخت . اي ان ما يعيش في مقرهِ من الاحياء كالاشجار والاعشاب لا عيش لهُ هناك واما ما يضرب في الارض في انتجاع الرزق فلا تصعب عليهِ الاقامة على تلك الاكمة ولو كانت ملحًا صرفًا

الطاعون والفيران في العهد القديم

قيل في سفر صموئيل الاول من اسفار العهد القديم ان الفلسطينيين اصيبوا بالبواسير فاشير عليهم ان يصنعوا صورة بواسيرهم وصور الفيران التي انتابت ارضهم وقد فسر الاستاذ فريزر ذلك بان المرض الذي اصابهم انما هو الطاعون الدبلي وقد ابتلوا بهِ على اثر كثرة الفيران في بلادهم

تبرقش الطيور

لا يخفى ان ذكور الطيور مبرقشة مزوقة في الغالب وريش اناثها رمادي ساذج . والرأي الشائع عند علماء الطبيعة ان الذكور تتزوق لكي ترغب فيها الاناث وتهتدي اليها وقت المزاوجة ولكن قام الآن الدكتور موترام وقال ان ذكور الطيور تتزوق لكي تراها اعداؤُها فتفترسها بدلاً من افتراسها للاناث وبذلك تفتدي اناثها بانفسها وتحفظ نسلها . فتزوق ذكور الطيور من قبيل الايثار على نفسها والاهتمام بحفظ نسلها

التلفون اللاسلكي في القطارات

تمكَّن مهندس اميركي من عمل تلفون لاسلكي ووضعهِ في قطارات سكك الحديد فيستطيع ان يكلم بهِ القطار المسافر وهو سائر بسرعتهِ العادية على بعد مئة ميل وستنصب محطات للتلفون اللاسلكي في اماكن مختلفة للتكلُّم مع القطارات السائرة

الجواهر في النور فوق البنفسجي

امتحن فعل النور الذي فوق البنفسجي بالماس والياقوت والزمرُّد فوجد انهُ يشع من الماس في الهواء الملطَّف نور ازرق ووضع حجر ماس ثقلهُ اربعة قراريط في اناء زجاجي مفرغ من الهواء فتولَّد منهُ نور يماثل نور عشرين شمعة وتولَّد من الياقوت نور احمر ومن الزمرُّد نور قرمزي · و يمكن الفرق بين الحجارة الثمينة وغير الثمينة بهذه الواسطة فياقوت بُرْما اثمن من ياقوت سيام و يصعب الفرق بينهما في النور العادي ولكن اذا وضعا في النور الذي فوق البنفسجي اشع ياقوت برما بنور احمر كالفحم المشتعل واما ياقوت سيام فيظهر اسود

الطيارات في الحرب

يظهر من اقوال الجنرال. فرنش قائد الجيش البريطاني في فرنسا ان الطيارات الانكليزية افادت الجيش فائدة كبرى في الدلالة على مواقع العدو وان متوسط ما تقطعهُ الطيارة منها في اليوم الفا ميل وقد قطعت هذه الطيارات ٨٧٠٠٠ ميل حتى ٢١ سبتمبر في ١٤٠٠ ساعة فمتوسط ما كانت تقطعهُ في الساعة ٦٢ ميلاً فوق المدة التي كانت تقف فيها او تقلل سرعتها ومن رأي احد القواد الفرنسويين ان كل طيارة تفيد الجيش في الاستطلاع مقدار فرقة من الفرنسان

التعليم الزراعي باميركا

كان عدد التلامذة في المدارس الزراعية باميركا ٢٥٠٠ منذ عشر سنوات فبلغ الآن ١٢٥٠٠ اي زاد خمسة اضعاف في عشر سنوات وكان عدد الذين اتموا دروسهم سنة ١٩١٠ ونالوا الدبلوما الزراعية ٧٠٨ فبلغ في العام الماضي ١٣٨٤

سائحة اوربية في بلاد العرب

خرجت السيدة غرترود لوذيان بل من دمشق قاصدة السياحة في بلاد العرب للبحث عن الآثار القديمة فيها فوصلت الى حائل عاصمة شمَّر ثم سارت منها شمالاً الى بغداد وعادت من بغداد الى دمشق قاطعة بادية الشام وقضت في هذه السياحة اربعة اشهر ونصف شهر وستصف ما شاهدتهُ في سياحتها في الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز في السابع من دسمبر

حمام الزاجل والتصوير الشمسي

صنع احد الالمان آلة تصوير شمسي صغيرة جدًّا تربط الى صدر حمامة من حمام الزاجل فتطير بها فوق مواقع الاعداء وفيها آلة تلف الغشاء الذي ترتسم عليهِ الصور فتعود الحمامة الى برجها وقد ارتسمت في هذا الغشاء صور الاماكن التي مرَّت فوقها

عجائب الدنيا الحديثة

سألت الجريدة الالمانية برلنرلوكل انزيجر قراءها ما هي عجائب الدنيا الحديثة فاتاها ١٥١٧٦٤ جواباً وكانت اكثر الاصوات للستة التالية

١٧١٤٨	التلغراف اللاسلكي
١٦٢٥٩	ترعة بناما
١٢٨٢٨	آلات الطيران
١١٤٢٨	استعمال الراديوم
١١٢٩٦	الصور المتحركة
٠٦٢٧٦	الباخرة امبراطور

طلبة العلم في البلاد المحاربة

تجند معظم الشبان من طلبة العلم في البلدان المتحاربة حتى كادت المدارس العالية تقفل ابوابها لقلة الطلبة . ولم يبلغ الطلبة في جامعة كمبردج ببلاد الانكليز سوى ١٥٠٠ وكانوا ٣٥٠٠ السنة الماضية ويقال ان الجامعات الالمانية عموماً سيكون فيها من الطلبة حوالي ثلث ما يكون فيها عادةً . وكتب الينا رئيس المدرسة الكلية الاميركية في بيروت ان تلامذتها بلغوا هذه السنة سبع مئة وكانوا في السنة الماضية نحو الف

معادن الولايات المتحدة

قدرت قيمة المعادن التي تستخرج سنويًّا في الولايات المتحدة الاميركية باكثر من ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وهو مبلغ يزيد كثيراً على قيمة المعادن التي تستخرج في اية مملكة كانت . اما دخل الولايات المتحدة من الزراعة فيفوق دخلها من المعادن وقد بلغ ما استخرج فيها من الفحم الحجري ٤٠ في المئة مما استخرج من الفحم في العالم كلهِ وبلغ البترول المستخرج منها ٦٥ في المئة من البترول الذي استخرج في العالم كلهِ في السنة نفسها . ويستخرج فيها كل سنة ايضاً ٤٠ في المئة من الحديد الذي يستخرج في العالم كلهِ و٥٥ في المئة من النحاس و٣٠ في المئة من الرصاص والزنك ولا تفتقر الاَّ الى استيراد القليل من المعادن من الخارج

قتل النمل بالسيانيد

كتب احدهم الى مجلة العلم الاميركية انهُ جرب سيانيد البوتاسيوم في قتل النمل في مرج اخضر فوجدهُ نافعاً يقتل النمل ولا يقتل العشب وطريقة العمل بهِ ان يذاب نصف اوقية من السيانيد في نحو ست اقات او ثمانٍ من الماء وترش على النمل وقريتهِ

قدم الانسان في اوربا

قدر الاستاذ غيكي الانكليزي وهو من اشهر علماء الجيولوجيا في هذا العصر ان الانسان قطن القارة الاوربية منذ مدة تتراوح بين ٢٥٠٠٠٠ سنة و٥٠٠٠٠٠ سنة

آلة صغيرة للتلغراف اللاسلكي

ارسل مكاتب جريدة المورننغ بوست الانكليزية من رومية الى جريدتهِ ان استاذاً ايطاليًّا يقال لهُ ارجنتيري اخترع آلة تلتقط الاخبار المرسلة بالتلغراف اللاسلكي وهي صغيرة الحجم بحيث يمكن وضعها في الجيب ولا يزيد ثمنها على ١٢ شلناً وان الحكومة الالمانية عرضت عليهِ مبلغاً طائلاً من المال مقابل اختراعهِ اذا باعها اياهُ ولكنهُ ابى ذلك . وقد نقلت مجلة ناتشر الخبر وعلقت عليهِ شكها في صحتهِ

معالجة الجرحى في الحرب

القى المسيو دلروم خطبة في معالجة جرحى الحرب في اكادمية العلوم بباريس قال فيها ان ليس في الجيش الفرنسوي امراض متفشية واصابات الدوسنطاريا والتيفويد في الجنود لا تزيد عما تكون فيهم زمن السلم . وتختلف هذه الحرب عن حرب سنة السبعين بان معاركها تدوم اياماً او اسابيع من غير انقطاع فيتعذر نقل الجرحى من ساحة القتال الى المستشفيات الا بعد ان يمر عليهم زمن وتتقيح جراحهم . ثم ان التتانوس والغنغرينا الغازية يكثران في الذين تصيبهم شظايا القنابل لانها تصيب الارض قبل انفجارها فتتلوث بالتراب . ومن رأيهِ ان تجعل المستشفيات العسكرية قريبة من خطوط القتال بقدر الامكان

زلزال في بلاد اليونان

اهتزت بلاد اليونان جميعها بزلزال صباح السابع عشر من شهر اكتوبر فخربت بيوت قليلة في مدينة ثيبة وتداعت بعض البيوت في اثينا والبيريس وجرح بعض الناس ولكن لم يقتل احد . وقد شعر بالزلزال ايضاً في المورة وجزر الارخبيل الغربية والجزر الايونية

العلم عند غير الالمان

كان من نتائج هذه الحرب ان بحث الكتّاب في دعوى الالمان التفوُّق في العلوم والفنون فاثبتوا ان كل الذين اكتشفوا اكتشافات كبيرة في العلوم هم من غير الالمان فلم يقم منهم رجل مثل باستور ولستر ومندليف ورنتجن ومكسول وتسلا وكوري ورمزي وربلي وكلفن ومواسان ولافوازيه وبريستلي ودافي وغاي لوساك وكروكس ودوَر وبل وبرتلو هؤُلاء هم العلماء الذين اكتشفوا الحقائق العلمية التي ترقت بها العلوم الطبية والجراحية والصناعية واستفاد منها نوع الانسان فوائد لا تقدر ولو لم يستفد مكتشفوها شيئاً واما الالمان فاستخدموا هذه الحقائق واستفادوا منها في مصنوعاتهم حتى صاروا يصنعونها باقل ما يمكن من النفقة

تاثير الحرب في النسل

قالت مجلة تحسين النسل الانكليزية من مقالة ان الحرب تضر بالانكليز اكثر مما تضر بغيرهم من جهة النسل لان الخدمة في الجيش عندهم اختيارية فينبري لها اصحاب النخوة والنجدة دون غيرهم ونتيجة ذلك ان شهداء الحرب من الانكليز يكونون من نخبة شبانهم فيقل نسل هذه الطبقة الممتازة اما من سائر الامم فيكونون من جميع الاصناف على السواء لان كل فرد يساق الى حمل السلاح سوقاً رضي بذلك ام ابى فلا يقل نسل الطبقة الممتازة فيها اكثر مما يقل نسل غيرها

تمييز الالوان

اصيب جندي من الجنود في هذه الحرب برصاصة دخلت من جبينهِ وخرجت من قفا رأسهِ من غير ان تقتلهُ لكنهُ صار يرى الاشياء كلها خضراء اللون . وهذا يؤيد رأي احد العلماء القائل ان في الدماغ اعصاباً لتمييز الوان النور بعضها عن بعض والظاهر ان هذه الاعصاب ايفت بدخول الرصاصة ولم يبقَ منها سليماً الاَّ ما يشعر بامواج النور الاخضر

تصليب الخرسانة

اذا مزج ١٥ رطلاً من الحديد الناعم بمئة رطل من السمنت ومئتي رطل من الرمل وجبل ذلك كلهُ بالماء وبسط على الخرسانة حتى كان منهُ طبقة سمكها بوصة صار سطحها صلباً كالبلاط

الماس والراديوم

قال السر وليم كروكس في الجمعية الملكية ببلاد الانكليز انهُ اذا عرض الماس لنور الراديوم وقتاً كافياً اخضرَّ لونهُ واخذ يشع اشعة الراديوم الثلاثة الاولى وبقي كذلك سنين عديدة ولا يزول منهُ هذا اللون الجديد والاشعاع الاَّ اذا نزع سطحهُ بالحك

جوائز نوبل

العادة ان توزع جوائز نوبل في ١٠ دسمبر ولكن المعاهد العلمية المنوط بها توزيعها اخَّرت ذلك الى العام المقبل بسبب الحرب الحاضرة

زلزال في الاناضول

حدث زلزال في الاناضول في الثالث من شهر اكتوبر فدمَّر بلدتي بردور واسبارطة والاولى منهما على نحو ١٦٥ ميلاً والثانية على نحو ١٨٥ ميلاً الى الشرق من ازمير بميل الى الجنوب . وخرب ايضاً قسماً من السكة الحديدية بين ازمير وايدين فتوقفت القطارات عن السير عليها نحو ٢٤ ساعة الى ان اصلح ما خرب منها

فهرس الجزء السادس من المجلد الخامس والاربعين

صفحة

